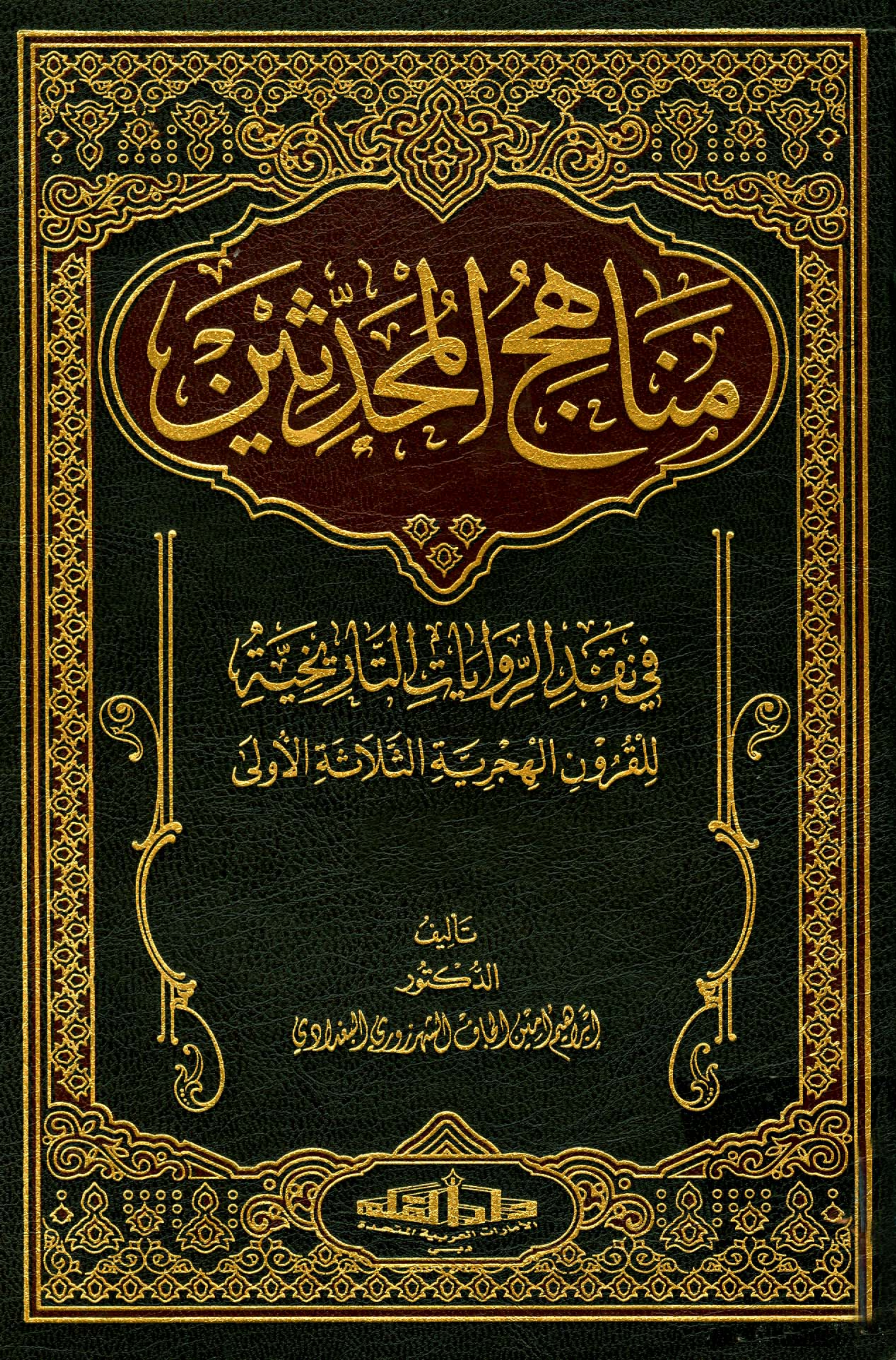


مناهج المحدثين
في نقد الروايات التاريخية
للقرون الهجرية الثلاثة الأولى
تأليف
الدكتور
إبراهيم أمين الجاف الشهرزوري البغدادي
الإمارات العربية المتحدة
دبي

مَنَاهِجُ المُحَدِّثِيْنَ في نَقْدِ الرِّوَايَاتِ التاريخيَّةِ لِلْقُرُوْنِ الْهِجْرِيَّةِ الثَّلاثَةِ الأُولَى

الجزء الأول

تأليف

الدكتور/

إبراهيم أمين الجاف الشهرزوري البغدادي

الناشر

دار القلم - دبي



٢٠١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾

(سورة آل عمران: ٧ـ ٨)

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

(سورة التوبة: ٤٧ـ ٥٠)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

(سورة الأحزاب: ٥٧ـ ٥٨)

صدق الله العظيم

مَنَاهِجُ الْمُحَدِّثِيْنَ في نَقْدِ الرِّوَايَاتِ التاريخيَّةِ

لِلْقُرُوْنِ الْهِجْرِيَّةِ الثَّلاثَةِ الأُولَى

الجزء الأول

دار القلم للنشر والتوزيع
الإمارات العربية المتحدة

الإدارة :
هاتف : +97143930430
فاكس: +97143930408

إدارة التوزيع :
هاتف: +97167430170
فاكس: +97167480992

ص.ب: 11817 دبي

Email: dar_alkalam@Yahoo.com
www.daralqalamdubai.com

ISBN : 978-9948-20-438-1



مَناهجُ المُحدِّثِينَ في نَقْدِ الرِّوَايَاتِ التاريخيَّة لِلْقُرُونِ الهِجريَّةِ الثَّلاثة الأولَى

الجزء الأول

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷛ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ :
«سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا بِهِ أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ ».
مسند الإمام أحمد ١٤ / ١٩ (٨٢٦٧)
صحيح مسلم (باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والإحتياط في تحملها)

عن أبي هريرة ﷛ يقول:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ يَأْتُونَكُمْ مِنْ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ لَا يُضِلُّونَكُمْ وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ».
صحيح مسلم (بابُ النهي عن الرواية عن الضعفاء والإحتياط في تحملها) .

عَنِ ابن عُمَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷻ خَطَبَ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلَ مَقَامِي فِيكُمْ فَقَالَ: «اسْتَوْصُوا بِأَصْحَابِي خيراً ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمّ الَّذِينَ يَلُونَهُم ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَبْتَدِئُ بِالشَّهَادَةِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا » مسند الإمام أحمد ١ / ٢٦٨ (١١٤) .

المحتويات

مُقَدِّمَة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ[1] صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم وسار على نهجهم وخطاهم إلى يوم الدين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن هذا الكتاب أصله أطروحة جامعية[2]، نال صاحبه بها درجة الامتياز في نقد التاريخ والتراث والحضارة الإسلامية وفق منهج المحدّثين، وأضاف إليها بعضا من مناهج الأصوليين من علماء أصول الفقه، ومناهج الأئمة الفقهاء الكبار لهذه الأمة، فيما يخدم طرق نقد الرواية التاريخية للقرون الهجرية الثلاثة الأولى ، بالإضافة إلى مناهج المؤرخين المسلمين ، وطرق النقد عندهم ، وشيئاً من مناهج المستشرقين وكبار نقاد المنهج التاريخي من غير المسلمين، مما قد يفيد لكتابة التاريخ الإسلامي وإعادة كتابته، وهو منهج لم يسبق أن جمعه أحد من أئمة وعلماء المسلمين

---

(١) هذا الاستهلال يسمّى: خطبة الحاجة رواه أحمد، والأربعة، وحسنه الترمذي، والحاكم، وغيرهم، والحديث بطرقه صحيح. مسند أحمد ٤/ ٤٧٤ (٢٧٤٩)، سنن أبي داود ٢/ ٢٠٣ (٢١٢٠) سنن النسائي ٦/ ١٢٦ (١٠٣٢٢)، سنن الترمذي ٤/ ٤٠٠ (١١٢٩)، سنن ابن ماجه ٦/ ٣ (١٨٨٢)، المستدرك ٢/ ١٨٢ - ١٨٣ (٢٧٤٤).

(٢) لم يُكْتَبْ سطر أو جملة أو كلمة من هذه الأطروحة - إلاّ عن سهود ومن غير قصد - إلاّ وكان صاحبه على وضوء، والحمد لله، وكانت أكبر من حجمها الحالي، حيث حذف منها: فصل كامل لكي يصبح كتابا آخر، سميّناه: المقدّمة الصغرى لكتابة وإعادة صياغة التاريخ الإسلامي.

من السلف والخلف، وحتى المعاصرين بهذه الصورة والشمولية، مع تطبيقه على أرض الواقع، واستخدام جميع تلك المناهج بتطبيقها على الروايات التاريخية مع الأمثلة والشواهد من الروايات الواردة في كتب التاريخ والتراث الإسلامي، وأثبت باحثه أن هذه المناهج؛ الأصولية الحديثية، والأصولية الفقهية، والفقهية، والتاريخية، قابلة للتطبيق فعلا على الروايات التاريخية، وأن هذا المنهج كفيل بتنقية كتب التاريخ وبقية كتب التراث الإسلامي، وتصحيحها مما لحق بها من التلويث والتزوير والترّهات والخزعبلات والزيادة والنقصان، والتحريف والدس.

كما أن هذا المنهج كفيل أيضاً لمن يكتب التاريخ الإسلامي وتراثه، عند الالتزام به، الشطط والزلل والانحراف، والميل أثناء كتابة وتدوين الرواية التاريخية من الولاءات الكثيرة التي لا يخلو منها مؤرخ إلاّ من رحم ربك، والتزم بهذا المنهج الربّاني.

للتاريخ أهمية كبرى في حياة الفرد والأمة، حيث أن التاريخ، منهج الحياة، وتجارب الماضين، ومنه يستلهم العبر والدروس، وإليه يرجع لتفسير وتوضيح كثير من جوانب الحياة، وتفسير أسباب النصر والعز والسؤدد، وعوامل الهزيمة والتقهقر والإخفاق.

فمن لا تاريخ له، لا ماضي له، ومن لا ماضي له، لا حاضر، ولا مستقبل له.

وعلم التاريخ - كما يقول الجبرتي -[١]: "علم شريف فيه العظة والاعتبار وبه يقيس العاقل نفسه على من مضى من أمثاله في هذه الدار وقد قص الله تعالى أخبار الأمم السالفة في أم الكتاب فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]".

وجاء في أحاديث سيد المرسلين كثير من أخبار الأمم الماضين كحديثه عن بني إسرائيل وما غيروه من التوراة والإنجيل وغير ذلك من أخبار الأمم والشعوب مما يفضي بمتأمله إلى العجب.

قال الشافعي رضي الله عنه: من علم التاريخ زاد عقله.

ولم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني تعتني بتدوينه سلفا عن سلف وخلفا من بعد خلف إلى أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وغدوه من شغل البطالين وأساطير الأولين ولعمري أنهم لمعذورون وبالأهم مشتغلون ولا يرضون لأقلامهم المتعبة في مثل هذه المنقبة فإن الزمان قد انعكست أحواله وتقلصت ظلاله وانخرمت قواعده في الحساب فلا تضبط

---

(١) ينظر الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الناشر: دار الجيل - بيروت ١/ ٩.

وقائعه في دفتر ولا كتاب وإشغال الوقت في غير فائدة ضياع وما مضى وفات ليس له استرجاع ".

لذا فإن من الواجب على المسلم، معرفة تاريخ أمته، فبالتاريخ عرف متى نزل الوحي ومتى بعث خاتم النبيين محمد ﷺ، ومتى فرضت الصلاة والزكاة، والصيام والحج، والناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم، والمتأخر والمتقدم من أحاديث النبيّ ﷺ ...الخ. ولولا التاريخ لأختلط علينا الحلال والحرام في كثير من أمور ديننا واختلط علينا حتى أمور دنيانا.

ومن أجل ذلك يجب على كل حريص على عقيدته وأمته أن يعرف ما يصّح من تاريخ أمته، وما ألصق به من الدس والأباطيل، فالتاريخ الصحيح هو: تفتيش نصوص الماضي، للوصول والوقوف على ما يصحّ ويثبت منه، ونبذ وترك وإهمال ما ألحق به وزيد فيه(١).

عند قراءة متأنية لتاريخنا الإسلامي سنجد أن أجدادنا خلّفوا لنا ركاما من الحوادث، ولم يعن أحد من المصنفين؛ المتقدمين ولا المتأخرين بتحقيق ذلك، وإنما كانت هذه المواد تلخص عن الطبري، ويزداد عليها أحياناً من البلاذري، أو يبدأ بها حيث انتهى الطبري(٢)، وأصبح تاريخنا أمام واقعين مؤلمين:

١ - في المصادر القديمة، وهذه من التجوز أن تسمى تاريخاً، فهي: نثار من الحوادث والوقائع، والحكايات، والأحاديث، والنتف والملح، والخرافات، والأساطير، والروايات المتضاربة، والأقوال المتعارضة، والدسائس، والأباطيل، والحقد الدفين، الذي يلمسه ويشتم روائحه من يقرئه لمن أوتي حظا من النقد والبصيرة ! (٣).

٢- في المصادر الأوربية، وبخاصة في أعمال المستشرقين، وتلامذتهم المتأثرين بمناهجهم، والمرددين لشعاراتهم، المقلدين لهم كالببغاوات، فهو تاريخ مكتوب بنفس أجنبي، وأحياناً بخبث وحقد صليبي(٤).

---

(١) ينظر هورس: جوزف هورس: قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، ط١، عويدات - بيروت ١٩٧٤م ص٩١.

(٢) ينظر: المرجع نفسه ص٤٥، جب:هـ، أ، ر جب، علم التاريخ، ترجمة إبراهيم خورشيد مع آخرين، ط١، دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨١م ص٧٢-٧٣، بول ماس: نقد النص، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي، طبعة دار النهضة العربية-القاهرة ص٣٠٠. (مطبوع مع النقد التاريخي).

(٣) قطب: سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، ط٣، دار الشروق - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص٤٢.

(٤) ينظر: المرجع نفسه ص٤٢.

٣- في كتب المتشيّعة التابعين للفرس عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخا وولاء وبراء، وذمّة وضميرا، المخرّبين والملوثين للتاريخ والتراث الإسلامي، ولم نجد في الماضي، ولا نجد في الحاضر، ولا في المستقبل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، من يماثلهم، أو يضاهيهم، أو يقاربهم، في الدسائس والكذب، والافتراء والبهتان على أمتنا الإسلامية، حيث قد فعلوا ويفعلون ذلك ديانة وتقصدا[(١)].

لم يبحث التاريخ الإسلامي، بحثاً علمياً صحيحاً ودقيقا، لأن توجه معظم المؤرخين، في القرون الأولى، كان منصبا على جمع شتات الموضوعات، وضم بعضها إلى بعض في كتاب واحد[(٢)].

(وإذا كان النقد التاريخي، يبدو ضعيفاً في دراستنا، فإن التحليل للروايات والتعامل معها يبدو أكثر قصوراً، بسبب النظرة التجزيئية للقضايا، والسطحية في التعامل مع الروايات، وعدم وضوح التصور الإسلامي، لحركة التاريخ، ودور الفرد والجماعة... فضلاً على أن الكتب التاريخية القديمة، لا تمدنا بمنحى واضح في التحليل والتصور الكلي، بسبب اعتمادها على سرد الروايات فقط) [(٣)].

لقد تعرض تاريخ أمتنا إلى مؤامرة لئيمة كبرى، من قبل أعدائه بعد القرن الثالث الهجري، شوهت الصورة الوضاءة، لسلفنا الصالح، وأدخلت فيه من الأباطيل والدسائس، جعلت الأمة تدفع ثمناً باهظا من وراء ذلك، وأصبحت تلك الروايات الباطلة بابا يدخل منه كل مفسد حسود، يفرق به أمر الأمة بعد أن كانت مجتمعة، ويتخذ منها- ما يريد- للنيل من عقيدة المسلمين وشريعتهم وحضارتهم لا بل أصبحت- تلك الروايات- عقيدة ودينا يحتكم إليها، أهل الأهواء والبدع والضلالة ويجعلونها من مسلمات التاريخ !!.

من أجل ذلك كله، أصبحت إعادة كتابة تاريخ الأمة دينا في رقاب رجالها، فكانت هذه المحاولة المتواضعة.

---

(١) ذكرنا هذا الموضوع وأشبعناه بحثا ونقاشا في رسالتنا الموسومة:

(٢) ماجد: عبدالمنعم ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ص٩.

(٣) العمري: أكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة، ط٥، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ١/ ١٤.

سبب اختيار الموضوع:

١- لم يطرق هذا الموضوع- فيما نعلم- قديماً ولا حديثاً من قبل أحد من المسلمين بهذه الصورة، بشكل واف شاف، كامل شامل، فهو أول محاولة في تاريخ المسلمين، يجمع فيها باحثها مناهج المحدثين، والفقهاء، والأصوليين، والمؤرخين، ويوضحها بشكل تفصيلي، ويضعها أمام المؤرخ المسلم، ويطبق ذلك- قدر المستطاع- على الروايات التاريخية مع الأمثلة والشواهد.

٢- لأن الجهل في المؤرخين أكثر من الجهل في غيرهم بهذه المناهج(١).

٣- اهتمام كثير من مؤرخينا ينصب على تناول الشبهات والرد عليها.

٤- (كان المتخصصون في القرون الأولى يعرفون الرواة وأحوالهم، والأسانيد، وشروط صحتها، فكان بوسعهم الحكم على الروايات وتمييزها، لكن هذه المعرفة بالرجال والأسانيد لم تعد من أسس الثقافة في القرون المتأخرة، بل يندر أن تجد من يهتم بذلك، من مثقفي هذا العصر، لذلك جاءت كتابات المعاصرين من الكتاب والمؤرخين خلواً من تمييز الروايات وفق قواعد مصطلح الحديث) (٢).

٥- إحياء مناهج المحدّثين، واستخدامها لكتابة التاريخ والبحوث التاريخية ولإعادة صياغة كتابة التاريخ الإسلامي، حيث أن أمتنا أمة خصت بمنهج الإسناد، دون غيرها من الأمم.

٦- خطورة القرون الثلاثة الأولى في حياة المسلمين، حيث الجيل القدوة، والرعيل الأول، الذين وصفهم سيد الخلق بخير القرون، وبداية تلويث وتخريب التاريخ وبقية كتب التراث الإسلامي على أيدي أعداء المسلمين بعد نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع، وهي القرون الفاصلة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والخير والشرّ، والصحيح والزائف.

٧- المصادر التاريخية القديمة في هذه القرون، تتشابه من ناحية التزامها بسوق الروايات، تتقدمها الأسانيد على طريقة المحدّثين في الغالب.

٨- التقرب إلى الله بتخليص، التاريخ من روايات طالما، أساءت إلى الأمة، عقيدة، وشريعة، وحضارة، وتاريخا، وجعلت كلمتها مفرقة مشتتة.

---

(١) ينظر السبكي: عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) قاعدة في المؤرخين، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ص٣١. (مطبوع مع كتاب الرفع والتكميل).

(٢) العمري: المرجع السابق ١/ ١٢.

٩- إن التاريخ الإسلامي، يتميز بارتباطه، بالعقيدة والشريعة، والأخلاق والقيم ارتباطاً، وثيقاً، لا يمكن تفسير أحداثه، من قبل من لم يكن من أهله، ويحمل عقيدته ومبادئه ويتفهم مقاصده، مهما كان يبلغ من المنزلة العلمية، ويحاول أن يطبق المنهج العلمي، ومهما يكون محايدا ومتجردا، ويمتلك العقل البارد، أثناء تدوين هذا التاريخ !.

الصعوبات التي واجهتها:

- قلّة المصادر، لكونها أول محاولة في هذا الميدان، وكنت قد كتبت هذه الأطروحة ببغداد في وسط التسعينيات القرن الماضي، حين كانت مكتبات بغداد الكبرى خاوية على عروشها وخالية من أي مصدر جديد، وقد كان أعداء المسلمين، شدّوا على العراق حصارا ظالما خانقا من جميع النواحي، وقد شمل ذلك جميع المجالات العلمية والبحثية.
- صعوبة الموضوع، حيث تناثرت أقوال العلماء في هذا الموضوع، في مؤلفاتهم المختلفة ككتب مصطلح الحديث، وأصول الفقه، الفقه، التاريخ، علم الرجال، التفسير، الأدب، الرحلات، البلدانيات، كتب النقد التاريخي...الخ.
- من المشاكل التي تواجه الباحثين في هذا المجال أيضاً، عدم وجود الإسناد لبعض الروايات، أو تجد لها إسناداً، لكن رجاله لم يتكلم فيهم جرحاً أو تعديلاً، والبحث في هذا شاق وعسير جداً.

المقصود بمنهج المحدثين:

"أن للمحدثين مناهج وطرقاً في نقد الحديث، ومعرفة الصحيح من الضعيف، والمطلوب تطبيق هذه المناهج في نقد الروايات التاريخية"[١] المتعلقة بالقرون الهجرية الثلاثة الأولى أولا، وعلى التاريخ الإسلامي بشكل عام.

وقد اعتمدت في إعداد هذه الأطروحة على كتب الأئمة المشهود لهم بالأمانة والصدق، من المصادر الأولية، اعتمادا أساسيا، واستأنست واسترشدت، بكتب المعاصرين من أهل العلم مما لا يتعلق بجوهر المادة.

وقد أخذنا- كما نذكر في المنهج- بالروايات الضعيفة، في الأحداث والموضوعات التي لا تتعلق بقضايا العقيدة، والشريعة، وسلف الأمة، إذا لم نجد الروايات الصحيحة والحسنة،

---

(١) العمري: المرجع نفسه ١/ ٣٨.

ونتعامل معها وفق معايير المنهج التاريخي، حيث أن الأمور المتفق عليها بين المؤرخين، يمكن أن تفيد وتسد بعض الثغرات في تاريخنا.

وهذا المنهج قد كتبناه لكتابة وإعادة كتابة تاريخ المسلمين، وفق معايير أئمة الحديث، والأصوليين، والفقهاء، وكبار المؤرخين. ولا يضرّنا أو يهمنّا من لا يؤمن بهذا المنهج، أو لا يعده معيارا في ذلك.

فمن المؤكّد أنّ هناك ناس لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يؤمنون بالمنهج النقدي والشرعي عند المسلمين، كأهل الكتاب والمشركين والوثنيين، والزنادقة المتسترين بالتشيّع الفارسي المجوسي، **ومثل هؤلاء لا يشكلون حجرة عثرة في يوم من الأيام في طريق نشر ديننا أو الدعوة إليه أو عند كتابة تاريخنا وتراثه وتنقيحه.**

وهل التاريخ وكتابته أو إعادة كتابته وفق هذا المنهج إلاّ جزء من هذا الدين ومن هذا المشروع الكبير؟

كما أنّ هذا الموضوع شأن من شؤون المسلمين، ويخضع لمبادئ عقيدتهم، وشريعتهم، ومناهجهم، وضوابط النقد لديهم، وليس لعقيدة، ومبادئ، ومناهج غير المسلمين، أو فرقة ضالّة تابعة لأهواء أهل الملل والنحل التي لا تمتّ الإسلام بصلة .

ولأن المسلمين هم أول من أسس أصول النقد بجميع طرقها - سندا ومتنا - والفضل ما شهد به الأعداء.

وقد استغرقت رسالتنا أكثر الأغراض السبعة التي من أجلها تؤلف الكتب وهي: (إما يؤلف في شيء؛ لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء يرتبه، أو شيء خطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرق يجمعه)[(١)].

وما لا يدرك كلّه لا يترك كله[(٢)]. حيث أن الأصالة الكاملة من كل الوجوه لا وجود لها في الواقع.

---

(١) التلمساني: أحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت ١٩٦٨م ٣/ ١٩٠، مجلة الأمة القطرية العدد (٢٧)، السنة الثالثة ربيع الأول ١٤٠٣هـ/ كانون الثاني ١٩٨٣م ص١.

(٢) العظيم آبادي: محمد شمس الدين: عون المعبود، ط٢، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ ١٠/ ٢٣٣، القنوجي: صديق بن حسن (ت ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م) أبجد العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٨م ٣/ ٢٦٧.

وأملنا بالعلماء والباحثين المسلمين كبير في نقد هذه التجربة وتقويمها وتقييمها حيث أنها تأصيل لأصول وقواعد، من المنهج الإسلامي في النقد، تم تطبيقها على التاريخ الإسلامي.

ونأمل من كل من يقرأ هذه الرسالة، أن يرشدنا إلى مواطن الزلل والخطأ، حيث أن الكمال المطلق لله وحده، والعصمة للأنبياء، أما بقية البشر جميعهم، فهم بنو آدم يخطئون ويصيبون.

يقول المزني- صاحب الإمام الشافعي-[1]: (لو عورض كتاب سبعين مرّة لوجد فيه خطأ أبى الله أن يكون كتاب صحيحاً غير كتابه).

وقال العماد الكاتب[2]: (إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلاّ قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا، لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر).

خطة البحث:

جعلت الرسالة في مقدمة، وسبعة فصول، وخاتمة، وقدمتُ لكثير من الفصول والمباحث، بتمهيد، وبيان عنوان الموضوع لغة واصطلاحاً.

فتحدّثت في الفصل الأول عن:

- أثر علم الحديث في المنهج التاريخي، ويشمل:
- التدوين التاريخي عند المسلمين.
- نقد السند.
- نقد المتن.

الفصل الثاني: أحوال الراوي والرواية، ويشمل:

- الحفظ والكتابة عند المسلمين.
- أحوال الرواة.
- أحوال الرواية.

---

(١) الخطيب: أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م) موضح أوهام الجمع والتفريق، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، دار المعرفة -بيروت ١٤٠٧هـ ١/ ١٤.

(٢) القنوجي: المصدر السابق ١/ ٧١.

الفصل الثالث: الوضع، والوضع التاريخي، ويشمل:

- الوضع وأثره السيئ على العقيدة والحضارة.
- أسباب الوضع.
- قواعد معرفة الموضوع.

الفصل الرابع: الجرح والتعديل ويشمل:

- الجرح والتعديل، تطوره، أهميته، ضوابطه.
- ألفاظ الجرح والتعديل.
- معرفة المتشددين والمتساهلين.
- مصطلحات خاصة وبيان المراد منها.

الفصل الخامس: العلل ويشمل:

- العلة، ميدانها، غايتها، أشهر علمائها.
- معرفة العلة، أسبابها، الكشف عنها.
- ضوابط لمعرفة العلل بأحوال معينة.
- قواعد وفوائد في العلل.

الفصل السادس: التعارض والترجيح، ويشمل:

- مفاهيم وقواعد في التعارض والترجيح.
- الترجيح وأنواعه.
- تطبيقات قواعد التعارض والترجيح.
- قواعد الأئمة الفقهاء مع التطبيقات.

الفصل السابع: تطبيقات مناهج المحدثين على الروايات التاريخية، ويشمل:

- تطبيقات على عصر الصحابة.
- تطبيقات على عصر التابعين.
- تطبيقات على عصر أتباع التابعين وأتباعهم.

والله أسأل أن ينفعني بها يوم القيامة، وينفع بها المسلمين، لإعادة النظر في كتابة وتدوين تاريخ أمتهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



الفصل الأول

أثر علم الحديث في المنهج التاريخي

يتطرق هذا الفصل إلى المباحث الآتية:

- المبحث الأول: التاريخ الإسلامي .. البداية ثم المنهج.
- المبحث الثاني: نقد السند.
- المبحث الثالث: نقد المتن.



الفصل الأول

أثر علم الحديث في المنهج التاريخي

المبحث الأول

التاريخ الإسلامي، البداية ثم المنهج

التدوين التاريخي عند المسلمين.

١ـ التاريخ لغة واصطلاحا:

التاريخ لغة: يأتي بمعنى التوقيت، وكذلك التواريخ،وبمعنى العهد، أو الحساب، أو تحديد الوقت، والحوليات، وتسجيل أهم حوادث الأمم، والأخبار مرتبة بحسب العصور[(١)].

---

(١) ينظر الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) مختار الصحاح، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٩م ص ١٣ (أرخ)، ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، دار لسان العرب - بيروت ١/ ٤٤(أرخ)، الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م) الصحاح في اللغة والعلوم: إعداد وتصنيف نديم مرعشلي، الطبعة الأولى، دار الحضارة العربية - بيروت ١٩٧٤م ١/ ١٦(أرخ)، جب: علم التاريخ. ص١٥، ٢٦، روزنثال: فرانز، علم التاريخ عند المسلمين: ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٣م ص١٩-٢٥. مجموعة من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية: ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، مطابع الشعب - القاهرة ٩/ ١١٠، ١١٥ (مادة تاريخ)، حاجي خليفة: المولى مصطفى بن عبد الله الرومي (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ١/ ٢٧١.

اختلف الباحثون عن أصل هذه الكلمة، هل هي عربية أم غير عربية؟ فقد ذهب الأكثرون إلى أن أصلها غير عربية لكنهم أيضاً اختلفوا هل هي فارسية وأصلها (ماه روز)، أم عبرية من (يأريخ) و(يرح) بمعنى القمر، والشهر، أم سريانية، أم أثيوبية؟ ومع ذلك ذهب جمهورهم إلى أنها غير عربية. ينظر تفصيل ذلك الأصبهاني: حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مكتبة الحياة - بيروت ص ١٢، البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) الآثار الباقية عن القرون الخالية، طبعة ليبزك ١٩٢٣م ص ٢٩، الخوارزمي: محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) مفاتيح العلوم، طبعة فإن فلوتن ص ٧٩، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) =

التاريخ اصطلاحاً، قيل هو: ذكر الأخبار الخاصّة بعصر أو جيل[(١)].

وقيل: حوليات عن البشر[(٢)] وقيل هو: أخبار ماضي الأمم[(٣)]، ويُعرّفه لانجلوا[(٤)]: "بالآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم".

أما جوزف هورس فيعرفه بـ (الوثائق):

"مجمل الحوادث. الملحوظة التي تجلت فيها حياة البشرية، وتتجلى فيها اليوم، وستتجلى فيها غداً"[(٥)].

ويقول السير تشارلزفيرث[(٦)]:

"التاريخ شيء لا يسهل تعريفه ولكن يبدو لي أنه سجل لحياة المجتمعات الإنسانية، وللتغيرات التي اجتازتها تلك المجتمعات وللأفكار التي تحكمت في توجيه نشاط تلك المجتمعات، وللظروف المادية التي ساعدت أو عاقبت تطورها".

الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق محمد بن إبراهيم الشيباني، الدار السلفية -الكويت ١٣٩٩هـ ص ١٠، جب: المصدر السابق ص ٢٦، ٢٧، فياض: عبد الله فياض: التاريخ فكرة ومنهجا، مطبعة اسعد - بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ١٠، مصطفى: شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين ١٩٧٩م ١/ ٤٩-٥٠.

يقول عبد الحميد العبادي: أن كلمة تاريخ (بتسهيل الهمزة) تفيد عند كتاب العرب معنى: العلم، من تحقيق، وضبط، كقول سفيان الثوري: لما أستعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ، أما التاريخ (بالهمزة) فتفيد عندهم مطلق التعريف بالوقت، فهو أسلوب لأداء أي فن، ينظر: هرنشو: علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، الطبعة الثانية، دار الحداثة - بيروت ١٩٨٢م ص ١٧ - ١٨ (المقدمة).

وقد تكون الكلمة عربية، ومأخوذة من كلمة الأرخ، والارخة بمعنى الفتية أو ولد البقر، ثم أخذ التاريخ منه بمعنى شيء حدث كما يحدث الولد. ويؤيد ذلك ما ذهب إليه مارجليوث، في أن مادة ورخ موجودة في عربية الجنوب، ينظر: ابن منظور: المصدر السابق ١/ ٤٤ - ٤٥، شاكر مصطفى: المصدر السابق ١ / ٥٠.

(١) ينظر ابن خلدون: المقدمة ص ٣٢ (دار القلم ١٩٨٤م).

(٢) ينظر هرنشو: المصدر السابق ص٦-٧ ويطلق على ثلاثة معان عنده وهي داخلة في التعاريف التي ذكرناها، وينظر كذلك: جب: المصدر السابق ص٩٠.

(٣) ينظر مجموعة من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ١١٠، فياض: المصدر السابق ص٧.

(٤) ينظر مجموعة من المؤرخين: النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية - القاهرة ص ٣٣.

(٥) قيمة التاريخ ص١٠.

(٦) أ. ل. راوس: التاريخ أثره وفائدته، ترجمة مجد الدين حفني ناصف، مؤسسة سجل العرب - القاهرة ١٩٦٨م ص ١٥، وينظر كذلك هرنشو: المصدر السابق ص ١٥.

أما المؤرخ الإسلامي الجبرتي فيعرف التاريخ بما يأتي[١]:

"اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأنسابهم ووفياتهم.

وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء والملوك والسلاطين وغيرهم والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من حيث هي وكيف كانت وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تغلبات الزمن ليتحرز العاقل عن مثل أحوال الهالكين من الأمم المذكورة السالفين ويستجلب خيار أفعالهم ويتجنب سوء أقوالهم ويزهد في الفاني ويجتهد في طلب الباقي".

نستخلص من تلك التعاريف ما يلي:

أن التاريخ الجهد الذي يبذله المؤرخ بالعمل المتواصل والتفاعل مع أخبار وأحوال الأمم الماضية، للوقوف على حقائق الأخبار وتخليصها من الأباطيل[٢].

وكان المسلمون يستخدمون كلمة الأخبار، والعدّ في بداية كتاباتهم التاريخية، جاء في البخاري[٣]: "ما عدّوا من بعث النبي ﷺ ولا من وفاته. ما عدّوا، إلا من مقدمه المدينة".

٢- الفرق بين المؤرخ والإخباري:

من المعلوم لدى المؤرخين أن **الإخباري**[٤] يطلق على من يجمع الأخبار في جميع مناحي الحياة، ويحافظ على كيفية اتصالها من حيث روايته بطريقة (السماع الشفوي) وهي الغالب على

---

(١) الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن (ت) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الناشر: دار الجيل - بيروت ١/ ٦.

(٢) ينظر ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) المقدمة، دار القلم - بيروت ص ٧ - ٢٥، السخاوي: محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دمشق ١٣٤٩هـ ص ٧، حاجي خليفة:كشف الظنون: ١/ ٢٧١، علي: جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام - بغداد ١٩٥٠م ١/ ١٦، ماجد: مقدمة لدارسة التاريخ الإسلامي ص ١٢- ١٣.

(٣) ينظر ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز عبد الله بن باز، المطبعة السلفية - المدينة المنورة ٧/ ٢٦٧ (٣٩٣٤) باب التاريخ، شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٤٩.

(٤) والصحيح الخبري، فقد عد ابن هشام ذلك من اللحن، لأن النسبة إلى الجمع ترد إلى الواحد كما تقرر في علم التصريف. ينظر السيوطي: تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، الطبعة الخيرية ١٣٠٧هـ ٢/ ٢٠٨.

طريقة الإخباريين أو عن طريق المدونات من قبل الرواة الأوائل[١].

أما المؤرخ: فهو الباحث عن الخبر في ذاته زيادة في تحري الحقيقة وتدقيقها وتحقيقها وتمحيصها، والتوفيق بينها، وكذلك ترتيبها واختصارها وأخذ الصحيح منها، وترك ما سوى ذلك من الأباطيل والموضوعات[٢].

٣ـ موضوعه وفائدته:

موضوعه هو: معرفة أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم وسيرهم ودولهم وسياسات ملوكهم.

فائدته: العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن، ليتحرز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع[٣].

٤ـ التاريخ عند العرب:

لا نكون بعيدين عن الواقع إذا قلنا: أن لا وجود للتاريخ وعلم التاريخ في ديار العرب قبل الإسلام[٤]، لكن الفكرة التاريخية قد تكون موجودة عندهم بشكل ضئيل، وهذا لا يسمى تاريخاً بالمفهوم المعروف لدى المؤرخين.

"ففي جنوب الجزيرة تشير الكتابات والنقوش إلى ظهور أربع ممالك خلال الفترة (١٢٠٠ق.م، و٥٠٠م) وقد خلفت هذه الممالك كتابات تتراوح تواريخها قبل القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي، وتسجل تلك الكتابات مختلف الفعاليات مثل أعمال البر، والتقوى، والحملات

---

(١) ينظر السخاوي: المصدر السابق ص٤٨، جب: دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٤م ص ١٤٤، ماجد: المصدر السابق ص ٣٥، : بدري محمد: شيخ الاخباريين ص ١١-١٢ والذي يظهر أن ابن النديم، لم يفرق بين الاخباري والمؤرخ، بالرغم من تخصيصه مساحة واسعة للمؤرخين وأصحاب السير والاخباريين ينظر: الفهرست ص ١٣١-١٦٧.

(٢) ينظر ماجد: المصدر السابق ص ٣٥، بدري محمد: المصدر السابق ص ١٢، هورس: قيمة التاريخ ص ١٩.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ص ٧، وينظر أيضاً حاجي خليفة: المصدر السابق ١/ ٢٧١، ويحدد موضوعه هرنشو فيقول: (إن نطاق التاريخ يتسع لجميع الصوالح البشرية، فكل ما يقع من الإنسان أو يقع عليه وكل ما يبنيه أو يهدمه داخل في حدود البحث التاريخي) علم التاريخ ص ٩.

(٤) ينظر زيدان: جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، تعليق حسين مؤنس، مطابع دار الهلال ١٩٥٨م ٣/ ٩٧.

العسكرية ومشاريع الري.... الخ"[١].

وهذا التطور مع تسجيل الأعمال البشرية قد يوحي بوجود شيء من الفكرة التاريخية.

ذكر المستشرق الكبير: مرجليوث، أن مادة (ورخ) كانت موجودة في عربية الجنوب، وإن كانت معدومة في عربية الشمال، مما يوحي بوجود تلك الفكرة التاريخية وإن كانت مجرد فكرة بسيطة للغاية حول هذا الموضوع.

أمّا العناية بالرواية وحفظ الأيام، والأشعار وغيرها فقد كانت موجودة قبل الإسلام، وقد كونت هذه المواد؛ الأخبار والأساطير حول بدأ الخليقة، وبعض أخبار الأمم الماضية، والعرب البائدة، وأيام القبائل وثاراتها والتي كانت تنشأ لأسباب تافهة في أكثر الأحيان،مادّة جيدة.

كما ساعدهم في ذلك وجود أهل الكتاب معهم، وخاصة فيما يتعلق ببدء الخليقة، وبعض أخبار الأمم الماضية[٢].

٥ـ التاريخ وظهور الإسلام

كان لظهور الإسلام أثر كبير وواضح لدفع عجلة التاريخ وعلم التاريخ إلى الأمام[٣]، وذلك لعدة أسباب وأهمها:

القرآن الكريم:

للقرآن الكريم دور كبير وأثر واضح في ترسيم معالم علم التاريخ حيث أن المتمعن في القرآن

---

(١) الدوري: عبد العزيز الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠م ص ١٣-١٤، ينظر كذلك جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ٢٩٤، وقد أنكر مرجليوث، وطه حسين استعمال الكتابة في شمالي الجزيرة العربية قبل الإسلام بالكلية، ينظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة محمود فهمي حجازي وآخرون، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ١/ ٦٤.

(٢) ينظر بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، الطبعة السابعة - بيروت ١٩٧٧م ٢/ ٢٨، جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٤٤-١٤٦، شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٦٠، جواد علي: موارد تاريخ الطبري مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد (١) الجزء الأول سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٥٠م ١/ ١٤٣، ١٤٤، العدوي: إبراهيم أحمد: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، الشركة المتحدة - القاهرة ١٩٧٧م ص ٦٤ - ٧١، الكاشف: سيدة إسماعيل: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٧٦م ص ١٢.

(٣) ينظر جرجي زيدان: المصدر السابق ٣/ ٩٧.

الكريم يجد أن (المسألة التاريخية) تشغل مساحة واسعة فيه، بل لا تكاد تجد سورة من سور القرآن الكريم خالية من عرض لواقعة تاريخية، أو أشارة سريعة لحدث ما أو تأكيد على قانون أو سنة تتشكل بموجبها حركة التاريخ[(١)].

تعرض القرآن الكريم لتجارب عدد من الجماعات البشرية، كما بين السنن الكونية التاريخية التي تحكم حركة الجماعات عبر الزمان والمكان، والتي لا تتغير ولا تتبدل ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٢].

كما دعا القرآن الكريم إلى تفحص التاريخ والاتعاظ به، وإن جانباً كبيراً منه ينصب على إخطار البشرية بالنذير الإلهي ومما يحيط بالمسيرة الإنسانية في حاضرها ومستقبلها من أوضاع وعما تتطلبه من شروط[(٢)].

إن القرآن الكريم جاء بنظريات جديدة تتعلق بالكون والحياة وإن نظريته وفلسفته (إن صح التعبير) تؤكد على عالمية التاريخ حيث أنه أعطى تصوراً واضحاً وكاملاً وشاملاً للكون والحياة منذ بدأ الخلق وإلى يوم القيامة.

وهذه الفكرة تتمثل في توالي النبوات، وهي في الأساس رسالة واحدة بشر بها الأنبياء جميعهم من آدم إلى خاتم النبيين محمد ﷺ وهي: الوحدة في العقيدة وإن كانت الشرائع تختلف.

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ [الشورى: ١٣].

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [المائدة: ٤٨].

وذكر القرآن الكريم كيفية خلق السموات والأرض، وخلق آدم ومراحل خلقه وكيفيته، وما خُلِق منه[(٣)]، كما ربط بين المبدأ والمنتهى بحلقات الأنبياء، وأعطى لمبدأ الخلق بشكل عام صورة لا تقل عنها وضوحاً صورة الآخرة، وجعل ما بين الطرفين فترة عبور.

وذكر القرآن الكريم ذكريات العرب الماضية، وذكر حوادث الأمم والشعوب السابقة،

---

(١) ينظر الدباغ: أديب إبراهيم: حركة التاريخ بين النسبي والمطلق، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص ١٢، عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، الطبعة الرابعة، شركة آسيا - نينوى ١٩٨٦م ص ٥.

(٢) ينظر عماد الدين خليل: المصدر نفسه ص ٧.

(٣) ينظر على سبيل المثال: سورة الحجر: آية/ ٢٦، سورة الرحمن: آية/ ٤.

وذلك بهدف العبرة والاتعاظ منها، عن طريق القصص الهادفة، وهي تشكل مادة تاريخية هامة، إلا أن الرغبة في تفصيل ما ذكره القرآن الكريم من هذه القصص والأخبار، فتحت باباً من أبواب المعرفة الدينية دخل فيه التاريخ، وإن كان الكثير من الإسرائيليات قد دخلت عن هذا الطريق إلى التاريخ الإسلامي كما دخله الكثير من الأخبار القبلية والأجنبية[١].

الرسالة الإسلامية:

إن كون الرسول ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، يقتضي ذلك معرفة تاريخ الرسالة، وسيرة الرسول، كما يقتضي دراسة أحوال الأنبياء والرّسل السابقين، وأنواع رسالاتهم وأخبار أقوامهم، ومن تبع واستجاب منهم دعوتهم، ومن رفضها.

وبهذا فقد توسع مجال التاريخ الإسلامي واتصل بالتاريخ العام.

"وأصبحت هذه الدراسة مقدمة لدراسة تاريخ الرّسول والرّسالة أو السيرة كما يقال لها عند العلماء، ويمكن أن يقال عنها: أنها بداية السير ولذلك قيل لها: (المبتدأ) أو (المبدأ) وتبدأ بتاريخ آدم في العادة ثم تستمر إلى أن تصل إلى السيرة التي تبتدئ بالنسب أي نسب الرسول ﷺ.

ثم صار العرف أن يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له: (المغازي)، وهو القسم الثالث والخاتمة.

لقد دل هذا الربط بين السيرة وتاريخ العالم منذ الخليقة إلى المبعث على تطور مهم جدا في الفكرة التاريخية وفي المفهوم التاريخي"[٢].

التطور الثقافي والفتوحات:

إن التطور الثقافي العام الذي حصل بفضل الإسلام، جعل علم التاريخ يتقدم يوماً بعد يوم، حيث إن علم التاريخ وصلته بعلم الحديث والأدب من جانب، وتكوين الحضارة الإسلامية والتصادم بين الآراء والتيارات الحضارية، وتطور الأمة وخبراتها من جانب آخر، أدت إلى الكتابة التاريخية[٣].

---

(١) ينظر شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٥١، ٦٠، الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص١٨.

(٢) (موارد تاريخ الطبري) مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥١.

(٣) ينظر الدوري: المصدر السابق ص ١٣.

"ويؤخذ من استعراض التطورات السالفة أن الحدث البارز فيها هو: أن الأمة الإسلامية، قد اكتسبت النزعة التاريخية..... ولا مراء في أن الحجج التاريخية الواردة في القرآن الكريم، والزهو الذي ابتعثته الفتوح الإسلامية الواسعة، والمنافسات بين قبائل العرب، كل أولئك قد ساعدت على خلق تلك النزعة"[١].

"وكان الباعث الأقوى على تدوين أخبار الفتوح رغبة ولاة الأمور في معرفة ما فتح من البلدان صلحاً، وما فتح عنوة، وما فتح بعهد، لأن لكل حكماً خاصاً، من حيث الجزية والخراج، فلما دون ذلك كله، وجد إلى جانب السير، نوع آخر من الرواية التاريخية، موضوعه؛ أخبار الماضين، وأحوال الجاهلية، وحوادث الإسلام، وقد أطلقوا على ذلك كله لفظ (الأخبار) وعلى المتخصص في روايته (الأخباري)"[٢].

مادة التفسير والأدب والشعر:

ومن أسباب نشأة التاريخ مادة التفسير والأدب والشعر، فمادة التفسير أثرت على نماء التاريخ وتطوره، حيث أن تفسير بعض تلك الأحداث كانت تتعلق بمادة ما قبل الإسلام (المبدأ) وبطبيعة الحال هذه المادة كانت مجملة في القرآن. فلجأ بعض المفسرين إلى إدخال بعض المواد (من أهل الكتاب) لتوضيح تلك المادة المجملة[٣].

وكذلك دراسات الأدب والشعر واللغة والنحو والبلاغة كلها أدت بشكل أو بآخر إلى حفظ الكثير من الأخبار والأحداث المتعلقة بذلك الشعر أو بمفردات اللغة أو الأدب، وتكونت من حصيلة تلك الأخبار المادة التاريخية الأولية، التي خدمت المؤرخين خدمة عامة وكذلك البحوث عن الكلمات الغريبة، أو الأمثال، أو اللهجات ودراسة الأمكنة والقبائل، والأيام والرجال وغيرها[٤].

---

(١) جب:علم التاريخ ص ٦٤، وينظر كذلك: دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ١٣٠.

(٢) هرنشو:علم التاريخ ص ٣٧.

(٣) ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٥٠، كولد تسهير: المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، ترجمة علي حسن عبد القادر: الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٤٤م ص ٥٥-٥٦.

(٤) ينظر شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٦٦، جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٤٩.

أمة الإسلام ضرورة تاريخية:

يضيف المستشرق: جب عاملا آخر من عوامل كتابة التاريخ فيقول[١]:

"ففي مذاهب أهل السنة أن الأمة الإسلامية - أي أُمّةُ الله - هي التي يرتبط بها استمرار النظام الإلهي على الأرض، لذا كانت دراسة تاريخ هذه الأمة تكملة ضرورية لدراسة الوحي الإلهي في القرآن والحديث"[٢].

اهتمام المسلمين بالتاريخ:

إنّ اهتمام المسلمين بالتاريخ نابع من اهتمامهم بدينهم وعقيدتهم حيث لا يمكن للمسلم أن يفهم كثيراً من أحكام دينه وشرعه إلا بمعرفة التاريخ وعن طريقه.

فالقرآن الكريم الذي هو دستور المسلمين في الحياة لا يمكن فهمه إلا بالتاريخ، حيث من المعلوم أن القرآن الكريم، أنزل منجماً[٣] على رسول الله ﷺ خلال (٢٣) سنة، فمعرفة السور المكية والمدنية، وترتيب الآيات والسور، وكذلك الناسخ من المنسوخ..... وبالتالي الحلال والحرام، متوقف ذلك تماماً إلى معرفة التاريخ.

---

(١) وهناك عوامل أخرى مثل مذاكرة الصحابة والتابعين لأخبار ما سبقهم - وطلبهم الآثار والأخبار وذلك يؤدي بدوره إلى الحصول على مادة تاريخية هامة، ينظر: أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٥م) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق إبراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٧م ١/ ٢٢-٢٣.

وقد لخص بعضهم العوامل الأولى لظهور التاريخ في الإسلام إلى:

١- تاريخية الإسلام.

٢- الحاجة الفكرية.

٣- الحاجات العملية الحياتية.

٤- العوامل المساعدة.

٥- ميل بعض الخلفاء كمعاوية والمنصور إلى الإطلاع على سياسات الملوك وأعمالهم.

٦- حرص البعض من دخل الإسلام (من غير العرب) من أهل الحضارات الأخرى على التنويه بمجد بلادهم القديم. ينظر: شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٦٤، هرنشو: المصدر السابق ص ٣٧، جرجي زيدان: المصدر السابق ٣/ ٩٧-٩٨.

(٢) علم التاريخ ص ٦٥، وينظر كذلك: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٨٥ -١٨٦.

(٣) أي مفرقاً.

"بالتاريخ عرف الناس أمر حجهم وصومهم وانقضاء عدد نساءهم ومحل ديونهم"[١].

قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ الآية [البقرة: ١٨٩].

ومن أجل ذلك ألف المسلمون كثيراً من الكتب التاريخية المتعلقة بتاريخ القرآن الكريم، ككتب تاريخ القرآن الكريم، وكتب أسباب النزول، وكتب الناسخ والمنسوخ.... الخ[٢].

وما يقال في القرآن الكريم يقال في السنة المطهرة، حيث أنها المصدر الثاني للتشريع عند المسلمين[٣].

فألفوا أيضاً في تاريخ السنة المشرفة، والناسخ والمنسوخ منها، وأسباب ورود الحديث؛ كتباً كثيرة[٤].

وربما يعود السبب الآخر في اهتمام المسلمين بالتاريخ هو معرفة سيرة رسول الله ﷺ منذ نشأته، إلى مبعثه، وإلى وفاته[٥]، كما كانوا مهتمين بمعرفة كل ما يتعلق برسولهم، من صفاته وأخلاقه وشيمه وشمائله[٦] وكيفية تلقيه الوحي، وكيفية صلاته، وصيامه، وحجه، وأمره مع

---

(١) العصفري:خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق الدكتور اكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب - النجف ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م ١/ ٥.

(٢) ينظر: على سبيل المثال: السيوطي لباب النقول في أسباب النزول، مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة (مطبوع مع تفسير ابن عباس)، الاكليل في استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ابن حزم: علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) كتاب في معرفة الناسخ والمنسوخ، مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة (مطبوع مع تفسير ابن عباس)، ابن الجوزي: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) نواسخ القرآن، مطابع: يوسف بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) ابن جزي: محمد بن أحمد بن محمد (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الخلود- بغداد ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ص ١٢.

(٤) ينظر: مثلا الحازمي: محمد بن موسى (ت ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٤٦هـ.

(٥) ومن هذا يظهر خطأ تحليل العبادي بأن الباعث الأقوى في تدوين التاريخ، كان وراء المال: الجزية والخراج.

(٦) ينظر على سبيل المثال: ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة - مصر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مطبعة خليل، الاستانة ١٢٩٠هـ.

قومه ومعاركه وغزواته[١]، ومعرفة أصحابه، وصفاتهم وأخبارهم[٢] مما يطول ذكره.

ومن علامات اهتمام المسلمين بالتاريخ، وتميز الحضارة الإسلامية بالنزعة التاريخية الواضحة، هو ظهور حوالي خمسة آلاف مؤرخ على الأقل فيها.

وكذلك ما يزيد على عشرة إلى اثني عشر ألف كتاب تاريخ لديها، وبعض هذه الكتب في خمسين، وثمانين، ومائة، مجلد[٣].

وهذا يعد بحق من أضخم التراث التاريخي الإنساني.

وقد أدى هذا الاهتمام في النهاية لوضع الخطوط الأولى لمنهجية وفلسفة التاريخ لدى المسلمين كما حصل ذلك على يد ابن خلدون[٤].

يقول أحد الباحثين المعاصرين[٥]:

"والمسلمون ألفوا في التاريخ كتبا لا تحصى، وما من أمّة قبل العصر الحديث بلغت في هذا العلم ما بلغ إليه المسلمون".

ومن أسباب اهتمامهم بالتاريخ معرفة أخبار الأمم الماضية، وذلك من أجل الاتعاظ والتذكرة والعبرة، لذلك كانت المؤلفات الأولى يتوسع فيها بذكر أخبار الأرض، من هبوط آدم، وقصص الأنبياء، وأحوال القيامة.... الخ[٦].

وألف فيه بعضهم من أجل المتعة حيث اعتبروه من أحسن العلوم وأشهاها، فألف فيه فحول المؤرخين كتباً، أعطوها عناوين مختلفة، تدل على محتوياتها[٧].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: كتاب الواقدي: المغازي.

(٢) مثل: كتب تراجم الصحابة وقد استخدمنا عددا منها في هذه الرسالة.

(٣) ينظر: ابن النديم: محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) الفهرست، دار المعرفة - بيروت ص١٣١-١٦٧، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٧١-٣٣٤، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٧.

(٤) يعد الفيلسوف الإنجليزي فلنت R. flint (ت ١٩١٠م) ابن خلدون واضع علم التاريخ. ينظر: هورنشو: علم التاريخ ص ٣٢، شاكر مصطفى: المصدر السابق ١/ ٧.

(٥) تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٠٩، ينظر كذلك لوبون:غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الطبعة الرابعة، البابي الحلبي ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م ص ٤٥٣.

(٦) ينظر السيوطي: الشماريخ في علم التاريخ، ص١٠، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ص ٧، ١٥-١٦، ٢١.

(٧) ينظر مثلا، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٧١-٣٣٤، ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ص٣٧- ٣٨.

أول من دون التاريخ في الإسلام وأسباب تدوينه:

يقول المؤرخ: الجبرتي:

"وأول واضع له في الإسلام عمر بن الخطاب وذلك حين كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل فقد قرأنا صكا محله شعبان فما ندري أي الشعبانين أهو الماضي أم القابل ؟.

وقيل: رفع لعمر صك محله شعبان فقال: أي شعبان هذا هو الذي نحن فيه أو الذي هو آت؟

ثم جمع وجوه الصحابة ﷺ وقال: إن الأموال قد كثرت وما قسمناه غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك؟.

فقال له الهرمزان[1] وهو ملك الأهواز - وقد أسر عند فتوح فارس وحمل إلى عمر وأسلم على يديه - : إن للعجم حسابا يسمونه: ماه روز، ويسندونه إلى من غلب عليهم الأكاسرة فعرّبوا لفظة: ماه روز، بيمورخ، ومصدره التاريخ واستعملوه في وجوه التصريف ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك فقال لهم عمر:

"ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم فيما يتعاطونه من المعاملات مضبوطة، فقال له بعض من حضر من مسلمى اليهود:

أن لنا حسابا مثله مسندا إلى الإسكندر فما ارتضاه الآخرون لما فيه من الطول".

وقال قوم: نكتب على تاريخ الفرس، قيل: أن تواريخهم غير مسندة إلى مبدأ معين بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ما قبله.

فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من لدن هجرة النبي ﷺ لأن وقت الهجرة لم

---

(١) الهرمزان بضم أوله وثالثه وسكون الراء ثم زاي وهو اسم لبعض أكابر الفرس، وهو دهقانهم الأصغر. والهرمزان رجل من رجال فارس مخضرم من الثانية أسلم على يد عمر قبل نهاوند وأذربيجان وأصبهان وفارس، كان متهما هو وأبو لؤلؤة المجوسي بقتل أمير المؤمنين عمر ﷺ.

"خرج أبو لؤلؤة على وجه يريد البقيع وطعن في طريقه اثنى عشر رجلاً فخرج خلفه عبيد الله بن عمر فرأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة وكان نصرانيا وهو يتناجون بالبقيع فسقط منهم خنجر له رأسان ونصابه في وسطه فقتل عبيد الله أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة ثلاثتهم". ينظر البخاري: التاريخ الصغير ١/ ٨٠، ابن حبان: الثقات ٢/ ٢٤٠، النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٦٨٤ (٦٤٤) ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٥٧١ (٧٢٧٥).

يختلف فيه أحد بخلاف وقت ولادته ووقت مبعثه ﷺ.

وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة لولاه ما ثبتت أصولها ولا تشعبت فروعها منها:

طبقات القراء والمفسرين والمحدثين وسير الصحابة، والتابعين وطبقات المجتهدين وطبقات النجاة والحكماء والأطباء وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار المغازي وحكايات الصالحين ومسامرة الملوك من القصص والأخبار والمواعظ والعبر والأمثال وغرائب الأقاليم وعجائب البلدان.

ومنها: كتب المحاضرات ومفاكهة الخلفاء وسلوان المطاع ومحاضرات الراغب.

وأما الكتب المصنفة فيه: فكثيرة جدا ذكر منها في مفتاح السعادة: ألفا وثلثمائة كتاب.

قال في ترتيب العلوم:

" وهذا بحسب إدراكه واستقصائه وإلا فهي تزيد على ذلك لأنه ما ألف في فن من الفنون مثل ما ألف في التواريخ وذلك لانجذاب الطبع إليها والتطلع إلى أمور المغيبات ولكثرة رغبة السلاطين لزيادة اعتنائهم بحسب التطلع على سير من تقدمهم من الملوك مع ما لهم من الأحوال والسياسات وغير ذلك "[(١)].

السيرة وبداية التدوين التاريخي:

إن تدوين العلوم عند المسلمين بدأ في وقت مبكر، والسنة النبوية كان لها سبق الشرف بالتدوين - بعد كتابة القرآن الكريم - لما كان لها من أهمية كبرى في حياة المسلمين، عقيدة، ونظاماً، وأحكاماً وأخلاقاً.

لا شك أن جُلّ اهتمام المسلمين بعد الكتاب والسنة، كان منصباً على سيرة نبيهم ﷺ حيث أنه نبي القدوة، والمعلم والقائد وأن سيرته العطرة ﷺ تتعلق بجميع جوانب حياة المسلمين، من حركية وسياسية، وعسكرية وشخصية وفقهية وروحية، وواقعية وغيبية، وعقدية وحضارية[(٢)]، ثم أنه مصدر القدوة الحسنة، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، التي يقتفي أثرها المسلم، ومنبع الشريعة العظيمة

---

(١) تاريخ عجائب الآثار ١/ ٦، ٩، ١٠، بتصرف.

(٢) ينظر عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، الطبعة السابعة، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ص ٦. دروزة: محمد عزت، سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم، الطبعة الثانية، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٥م ١/ ٢٥- ٢٦.

التي يدين بها، وهذا يقتضي منه متابعة المراحل خطوة خطوة، لكي يكون على بينة وبصيرة من أمره[(١)].

إن بداية التدوين التاريخي عند المسلمين بدأت بدراسة سيرة النبي ﷺ ومغازيه[(٢)] وأعمال الصحابة، والدولة الإسلامية التي أقامها النبي ﷺ في المدينة، وأخبار الغزوات والجهاد، وأخبار هجرة المسلمين إلى الحبشة والمدينة، وكان الاعتماد فيه في بادئ الأمر على الرواية الشفهية كالحديث، فالحديث دراية ورواية، والتاريخ كذلك دراية ورواية، وقد أشترك العلمان في المصادر والمنهج حيث أن كلا العلمين يعتمدان على الإسناد[(٣)].

"وأصبحت هذه الدراسة، لدراسة تاريخ الرسول والرسالة، أو السيرة، ولذلك قيل لها (المبتدأ) أو (المبدأ) وتبدأ بتاريخ آدم في العادة ثم تستمر إلى أن تصل إلى السيرة التي تبتدئ بالنسب أي نسب الرسول ﷺ. ثم صار العرف أن يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له (المغازي) وهو القسم الثالث والخاتمة".

لقد دل هذا الربط بين السيرة وتاريخ العالم منذ الخليقة إلى المبعث على تطور مهم جداً في الفكرة التاريخية وفي المفهوم التاريخي دل على شعور المؤرخين بأن التاريخ العربي صفحة من صفحات كثيرة مطوية، تكون منها التاريخ العالمي، وأن هذا التاريخ لا يمكن، أن يبقى بمعزل عن تاريخ الشعوب الأخرى"[(٤)].

- إن السيرة النبوية كغيرها من العلوم عانت في بداية أمرها نوعاً من أنواع انعدام وجود سنن مرسومة، أو منهجية معينة في التدوين، لكن هذه المعالم والسنن والمنهجية بدأت تظهر عند

---

(١) ينظر الغزالي: محمد الغزالي، فقه السيرة، مطبعة دار الكتاب العربي - مصر ص ٤ - ٥، الغضبان: منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبوية، الطبعة الثالثة - مكتبة المنار - الزرقاء ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ١/ ١٠، ١٤.

(٢) السيرة مرادفة للمغازي، ولو أن الأخيرة تعني لغوياً، غزوات الرسول وحروبه، لكنها تناولت في الحقيقة فترة الرسالة بكاملها، ينظر: الدوري بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٠، عبد العزيز كامل: سيرة النبي، مجلة العربي العدد ٢٣٢، وزارة الإعلام الكويتية، ربيع الأول ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م. ص ٢٥، الخطيب: محمد عجاج: السنة قبل التدوين، الطبعة الثانية، دار الفكر - القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ص ٣٨٠.

(٣) ينظر جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ١٤٧، بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/ ٨، الدوري: المصدر السابق ص ٢٠، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ص ٢٥.

(٤) جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥١ (مصدر سابق).

ابن إسحاق[١]، والواقدي[٢]، وابن سعد[٣]، وأصبحت فناً واضح المعالم، مستقلاً عن سائر الفنون التاريخية التي نشأت معه[٤].

لقد ذهب بعضهم[٥] إلى أن هذا التطور قد حصل قبل هؤلاء وأنه حصل على يد أبان بن عثمان بن عفان[٦] (ت ٩٥-١٠٥هـ/ ٧١٣-٧٢٣م) حيث يمثل مرحلة انتقال بين دراسة التاريخ ودراسة المغازي.

"لم يكن قبل ابن إسحاق منهج كامل، وإنما يجمع بعضهم رسالة في غزوة معينة أو خبر

---

(١) محمد بن إسحاق بن يسار، أمير المؤمنين في السيرة، ثقة روى له مسلم وأهل السنن، تكلم فيه بغير حق (ت ١٥٠هـ) على الصحيح ينظر: الخطيب: أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي - بيروت ١/ ٢١٤ - ٢٣٤، ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت ٤/ ٢٧٦ - ٢٧٧ (٦١٢)، الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م ٣/ ٤٦٨ - ٤٧٥ (٧١٩٧)، ابن حجر: تهذيب التهذيب، الطبعة الأولى، دار المعارف الهندية - حيدر آباد الدكن ١٣٢٦هـ ٩/ ٣٨ - ٤٦ (٥١).

(٢) محمد بن عمر بن واقد السهمي أحد كبار المؤرخين القدامى متفق على ترك حديثه (ت ٢٠٧هـ): ينظر الخطيب: المصدر السابق ٣/ ٣ - ٢١ (٩٣٩)، الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي (مصور عن طبعة حيدر آباد - الدكن ١٩٥٦م) ١/ ٣٤٨ (٣٣٤)، ابن حجر العسقلاني: تقريب التهذيب، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م ٢/ ١٩٤ (٥٦٧).

(٣) محمد بن سعد بن منيع عرف بكاتب الواقدي، أحد الثقات العدول من المؤرخين (ت ٢٣٠هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٥/ ٣٢١ - ٣٢٢ (٢٨٤٤)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ١٨٢ - ١٨٣ (٢٧٣)

(٤) ينظر: هورفتس: يوسف هورفتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م ص هـ (التصدير).

(٥) ينظر الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٢١.

(٦) ثقة من كبار التابعين وحديثه في مسلم وهو من شيوخ أبي الزناد والزهري لكن لا يوجد له ذكر في كتب السير كابن إسحاق، الواقدي، وابن سعد، ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٩٧، النووي: تهذيب الأسماء واللغات، طبعة مصر ص١١١ وقد يختلط أسمه بأبان بن عثمان البجلي الشيعي، وقد ألف هذا كتاباً في (المبتدأ والمبحث والمغازي) وورد ذكره في طبقات ابن سعد، ينظر: ابن سعد: محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) الطبقات الكبرى، دار بيروت ودار صادر - بيروت ١٩٥٨م ٤/ ٢٩، ٥/ ١٥٦، ١٨٥، وينظر كذلك: ابن أبي جرادة: كمال الدين عمر بن أحمد؛ المعروف بابن العديم (ت٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر - بيروت ١٩٨٨م ٤ / ٢٠٠٩، هورفتس: المصدر السابق ص ٥.

خاص، ومنهم من يقتصر على المغازي ومنهم من توسع بذكر المبعث[١] والوحي كما أن بعضهم ذكر ما لاقاه النبي من المشركين في مكة، وهناك من جمع الهجرة معها، وكيف كانت، وتطرق بعضهم إلى ما قبل المبعث والرسالات السابقة وقصص الأنبياء وكان بعض هؤلاء المؤرخين يلتزم إسناد الأخبار إلى أصحابها الذين تضاف إليهم، وبعضهم يترك الإسناد أحياناً فلما جاء ابن إسحاق - وكان من كبار علماء المسلمين - وضع المنهج الكامل للسيرة في كتابه الخالد[٢] وهو يعد بحق أمير المؤمنين في السيرة، الذي يعتبر رأس التأليف في هذا النوع من التاريخ، ومضى على آثاره الواقدي، وابن سعد فيما كتب من سيرة النبي". [٣]

الفرق بين كتب الحديث وكتب السير:

على الرغم من أن العنصر الرئيسي في كلا مادتي كتب الحديث وكتب التاريخ، هو: الإسناد والرواية. لكن هناك بعض الفروق بينهما منها:

إن كتب الحديث والروايات الحديثية تقرر أحكاماً ومبادئ عقدية، أو فقهية، أو خلقية، بينما روايات السيرة تتجه إلى سرد الحوادث وذكرها، دون التعرض إلى قضايا الأحكام[٤].

ومنها: إن كتب الحديث، ترتبُّ على حسب الموضوعات (كما في المصنفات التي منها الكتب الستة)[٥]، أو على حسب أسماء الصحابة الذين ترفع لهم الأحاديث (كما في كتب المسانيد، كمسند أحمد بن حنبل) مثلا.

أما كتب السير: فتورد الروايات مرتبة على السنين بحسب وقوع الحوادث التي تشير إليها الأحاديث[٦].

---

(١) ينظر على سبيل المثال، محمد بن إسحاق: سيرة ابن إسحاق (المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب- الرباط.

(٢) وهو كتابه: المغازي.

(٣) هورفتس: المصدر السابق ص و- ز، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٢٦ - ٢٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٥.

(٥) وهي: صحيحا البخاري ومسلم، والسنن الأربعة (أبو داود، ابن ماجة، الترمذي، النسائي).

(٦) ينظر هورفتس: المصدر السابق ص ١، يقول جرونيباوم وهو يصف دقة أهل الحديث: (ومعاير الضبط ومراقبة الضمير الحي عندهم على سمو يبعث الدهشة)، ينظر جرونيباوم: جوستاف. أ. فون، حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق، دار مصر للطباعة ص ٣٥٦.

ومنها: إن أئمة الحديث اتخذوا أقصى درجات العناية والحذر في الإسناد في كتبهم، أما أئمة السير، فلم يصلوا إلى هذه المرتبة من النقد والتحقيق عما ارتضاه أئمة الحديث لرواياتهم ومن هناك كانت منزلة كتب المغازي والسير أقل منزلة من كتب الحديث[١].

كتابة السيرة بشكل رسمي:

من المؤكد أن السيرة النبوية، قد مرت بمراحل عديدة قبل أن تدّون بشكل غير رسمي أو رسمي.

نشأت السيرة في بادئ الأمر في مجالس خاصة، كانت تحكى فيها مغازي رسول الله ﷺ، فيسأل أحد الخلفاء، أو الولاة[٢] في إحدى حواضر الإسلام الكبرى كالمدينة المنورة، والكوفة، ودمشق، وبغداد، وغيرها، أحد العلماء المتضلعين بسيرة رسول الله، فيسأله عن غزواته، متى كانت، ومن حضر، ومن استشهد منهم، وعن عددهم، فيحدّث العالم بذلك مما سمعه وما حفظه من أسلافه من الصحابة والتابعين من أقرانه[٣].

تقدمت السيرة خطوة فخطوة حتى وصلت أو قطعت شوطا من مراحل تدوينها، إذ دون بعض كبار التابعين الحفاظ، السيرة لأول مرة، وكان على رأس هؤلاء:

---

(١) ينظر عبد العزيز كامل: مجلة العربي الكويتي ص ٢٥ لعل أن بعض السبب الذي أدى ببعض اليهود والنصارى، رد معطيات السيرة النبوية إلى أصول نصرانية أو يهودية، مثل (كيتاني)، و(متنغمري وات) و(كولد زيهر) وغيرهم تمسك هؤلاء بالدرجة الأولى ببعض الروايات الإسرائيلية الموجودة في تلك الكتب، والاستعانة بالشاذ والغريب من الروايات. ولو كانت متأخرة، أو كانت من النوع الذي أستغربه النقدة، وأشاروا إلى نشوزه، تعمدوا ذلك لإثارة الشكوك حول بعض أحداث السيرة - النبوية وقد تصدى بشكل وافٍ لمواقف هؤلاء المستشرقين مجموعة من العلماء ينظر: جواد علي: تاريخ العرب في الإسلام، الطبعة الأولى، دار الحداثة - بيروت ١٩٨٣م ١/ ٨-١١، ٩٥، عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ص ١١ - ٣٤، المستشرقون والسيرة النبوية، مناهج المستشرقين، مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ١/ ١٣٦ - ١٤٧، صالح أحمد العلي: محاضرات في تاريخ العرب، الطبعة الثالثة، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٦٤م ١/ ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٢) وكذلك في المجالس العامة لأن الناس كانوا متشوقين إلى سماع تلك الأخبار.

(٣) ينظر: الطبري: محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، الطبعة الرابعة، دار المعارف - القاهرة ٢/ ٣١ (ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ) ابن سعد: طبقات ٥/ ١٦٧، ١٧٤.

أبان بن عثمان بن عفان، وعروة بن الزبير[١]، ولذا يمكن عدهما من مؤسسي السيرة الأوائل في الإسلام[٢].

ثم توالت الكتابة في السيرة فكان من بين مؤلفيها:

وهب بن منبه[٣] (ت ١١٠هـ/ ٧٢٨م)، وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ/ ٧٣٧م)، وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ/ ٧٤٠م)، وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ/ ٧٤١م)، ثم عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٠- ١٣٥هـ/ ٧٤٧- ٧٥٢م) ومن تلاميذ الزهري وأعظمهم شأناً- محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ/ ٧٦١م)[٤].

يظهر من بعض الإشارات الواردة في تاريخ الطبري[٥] فيما يرويه هشام[٦] عن أبيه عروة بن الزبير، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان.

ويبدو بالتأمل في تلك الكتابات، أن عبد الملك بن مروان: هو الذي كان يسأل عروة أن يكتب له في تلك المسائل والأخبار وكان هو يجيبه[٧].

---

(١) بن العوام: أحد الفقهاء السبعة في المدينة، أحد كرماء بني آدم (ثقة ت ٩٣هـ) ينظر: أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ/١٠٣٨م) حلية الأولياء، المكتبة السلفية ٢/ ١٧٦ - ١٨٣ (١٧١)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٥ - ٢٥٨ (٤١٦) ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ١٩ (١٥٧).

(٢) ينظر الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٢٠-٢٢. يظهر من بعض الإشارات

(٣) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل الصنعاني، من خيار علماء التابعين، ثقة اخرج له الشيخان وأصحاب السنن إلا ابن ماجه (ت ١١٠هـ) ينظر العصفري: خليفة بن خياط أبو عمر الليثي: الطبقات، تحقيق: د.أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٢٨٧، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٠ - ١٠١ (٩٣)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٤١٩.

(٤) ينظر هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها ص (و)، الدوري: المصدر السابق ص ٢٠-٢٧، وينظر كذلك أسماء ما ألف من كتب السير والمغازي، الكتاني: محمد بن جعفر(ت ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، الطبعة الثالثة، دار الفكر - دمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م ص ١٠٥ - ١١٠.

(٥) ينظر: تاريخ الأمم والملوك ١/ ٥٤٦، ٢/ ٢٠، ١٥٨، ٢١٢ (ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ).

(٦) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، أحد أئمة الحديث من التابعين، ثقة فقيه (ت ١٤٦هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/ ٣٧ - ٤٢ (٧٣٨٣)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/ ٨٠ - ٨٢ (٧٨١)، ابن حجر: تقريب التهذيب: ٢/ ٣١٩ (٩٢).

(٧) ينظر الطبري: المصدر السابق ٢/ ٣١ (ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ)، هور فتس: المصدر السابق ص ٢١، جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ٨٣.

"وتمثل كتابات عروة المذكورة هنا، أقدم المدونات التي حفظت لنا عن حوادث خاصة في حياة النبي ﷺ كما تمثل أقدم نصوص النثر التاريخي العربي، وعلى الرغم من أننا لا نجد في أي مرجع قديم، أن عروة ألف كتاباً حقيقياً عن المغازي فإننا واثقون أنه جمع وأخرج مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث في حياة النبي ﷺ"(١).

تبين مما مر أن بداية التدوين الرسمي للسيرة النبوية كانت في عهد عبد الملك بن مروان، وهو الأشبه والأقرب، لأمور منها:

١- الأسباب التي ذكرناها لتدوين السيرة(٢).

٢- أن السيرة النبوية، لم تكن كحديث رسول الله ﷺ حتى يخافوا من تدوينها خوفاً من اختلاطها مع القرآن الكريم لذلك لا يستبعد من أن يكون المسلمون قد فكروا في تدوينها في وقت مبكر، دون خوف، ولا نرى مناسباً تأجيل تدوين السيرة إلى عهد المنصور كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين(٣).

---

(١) هورفتس: المصدر السابق ص ٢٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٧، وينظر كذلك: مصطفى شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٨٣ يذهب بعض الباحثين ويقطع بأن التدوين التاريخي الرسمي كان في عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ينظر مصطفى شاكر: المصدر السابق ١/ ٧٩، الطبري: المصدر السابق ٤/ ٢٠٩-٢١٠.

(٣) ينظر ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) المعارف، تصحيح محمد إسماعيل الصاوي، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص ٢١٥، الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ٢٢١، ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٢٧٧ (٦١٢)، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من السلطان الأكبر، مطبعة مؤسسة الاعلمي - بيروت ١ / ٤.

قال الخطيب: أخبرنا الأزهري، قال نبأنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال سمعت حامداً أبا علي الهروي يقول سمعت الحسن بن محمد المؤدب قال سمعت عماراً يقول دخل محمد ين إسحاق علي المهدي وبين يديه أبنه قال له: أتعرف هذا ياأبن إسحاق؟ قال: نعم هذا ابن أمير المؤمنين.

قال: أذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم عليه السلام إلى يومك هذا. قال: فذهب فصنف له هذا الكتاب، ينظر: تاريخ بغداد ١/ ٢٢١، ثم يستخدم الخطيب البغدادي خبرته في معرفة علل الأخبار لتصحيح هذا الخبر، وقد بينا ذلك بأنه فن من فنون علم العلل فيقول: هكذا قال الراوي، دخل ابن إسحاق على المهدي وبين يديه أبنه، وفي ذلك عندي نظر، ولعله أراد أن يقول دخل على المنصور وبين يديه المهدي أبنه لأن ذلك أشبه بالصواب. ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٢١.

٣- الحديث النبوي قد تأكد تدوينه بشكل رسمي في زمن عبد الملك بن مروان[1] فبطريق الأولى أن تكون السيرة كذلك دونت في عهده، أو قبله.

الانتقال من عالم الحديث والسير إلى عالم التاريخ العام:

يعدّ بن إسحاق[2] بداية نقطة انتقالية من عَالَمِ السير والمغازي إلى عَالَمِ التاريخ الأعم، حيث

---

(١) ينظر الدوري: العصر العباسي الأول-دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، مكتبة الانجلو مصرية - القاهرة ١٩٧٣م ص ٤٦، عبد القادر: علي حسن، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، الطبعة الثانية، مطبعة العلوم - مصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م ص ١١٣.

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار وقيل بن كوتان المديني، أمير المؤمنين وأحد الأئمة الأعلام في السير والمغازي، صاحب كتاب المغازي توفي على أصح الأقوال (١٥٠- ١٥٢هـ) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ٢١٤-٢٣٤، ابن النديم: الفهرست ص١٣٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٢٣٦-٢٧٧(٦١٢)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٨-٤٧٥(٧١٩٧) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨-٤٦(٥١).

قد أتهم بعض أصحاب الجرح والتعديل، وكتب التاريخ هذا الأمام الجليل ببعض التهم الباطلة، والتي قد سببت بعض الشكوك والأشكال حول شخصية هذا العالم أولاً ثم في رواياته ثانياً.

ونحن نذكر هنا هذه التهم ثم نأتي إلى مناقشتها تهمة فقد اتهم ابن إسحاق:

١- مغازلة النساء.

٢- التشيع والقدر.

٣- الوضع في الأخبار والأشعار.

رد التهمة الأولى بأوجه:

منها أننا بحثنا في أقدم المصادر التاريخية وكتب التراجم والتي هي اختصاص هذه الأخبار - لم نجد أحداً منهم أشار ولو ببنت شفه إلى هذا الخبر.

وخلو أقرب وأقدم المصادر من هذا الخبر دليل على وضع هذا الخبر من مقبل المتأخرين، فخليفة ابن خياط، واليعقوبي، وابن قيبة الدينوري، والطبري، والمسعودي لم يذكروا شيئاً من ذلك، في مدوناتهم، فالطبري مثلا: لم يذكر حتى وفاته، واخر خبر فيه ذكر بن إسحاق (بصفة راوية) سنة (٥٤هـ) وهو استخدام معاوية عبيد الله بن زياد والياً على خراسان.

ينظر: خليفة بن خياط ينظر: **تاريخ** خليفة بن خياط ٢/ ٤٥٤، كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، مطبعة العاني - بغداد ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م ص ٢٧١، ابن قتيبة: المعارف ص ٢١٥ (ط الثانية ١٩٧٠م)، اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر؛ المعروف بأن واضح (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي، دار الفكر - بيروت ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م ٣/ ١١٢-١١٣، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٢٩٦، المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) التنبيه والأشراف، دار التراث - بيروت

١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ص ٢٩٦-٢٩٧، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، الطبعة الأولى، دار القلم - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩م ٣/ ٢٨٥.

ومنها: أن الخبر روي بصيغة (يحكى) للتضعيف، قال ابن النديم صاحب الفهرست: يحكى أن أمير المدينة رقي إليه أن محمداً يغازل النساء، فأمر بإحضاره..) فيقال لأبن النديم: من الذي حكى؟ وما اسم أمير المدينة الذي ضرب بن إسحاق؟.

أليس - كما يدعي المخبر- أن الحدث كان في مسجد رسول الله وهذا الأمر يوجب علينا أن نقول: إذا لا بد أن يكون هذا الخبر خبراً مشهوراً، بل متواتراً، لأنه وقع أمام أهل المسجد، وهو المسجد النبوي ﷺ، وعدد المصلين لا يقل من مئات أو آلاف، في ذلك العهد، إذ لم ينقل أحد منهم هذا الخبر مع ذكر اسمه ؟

ثم لم انفرد به ابن النديم- الذي هو نفسه مجهول لا يعرف عنه الكثير، يقول مقدم كتاب الفهرست بعد أن ينقل ترجمته عن ابن النجار، وياقوت الحموي في معجم الأدباء - الوحيدان اللذان اعطيا رؤوس نقاط عنه وعن كتابه -:

"هذا كل ما ذكره ياقوت، ولا تعرف من هذه الترجمة متى كان مولده ولا في أي قطر كان - وكيف كانت حياته، وما نوع العلوم التي تعلمها، وعمن اخذ، ومتى توفي..... ".

ينظر: مقدمة الفهرست ص أ-ب.

ومنها: تفهم من الترجمة المقتضبة له في (معجم الأدباء) أنه كان ورّاقاً وكان يتشيع وهي تهمة ليست بأقل من جهالته، وجهالة كتابه، عند أئمة الحديث، والتراجم، والتاريخ، ثم من هو ابن النديم حتى يتهم أحد أئمة المسلمين ؟.

والقاعدة القرآنية في نقل الخبر صريحة في عدم قبول نقل مثل هؤلاء في هؤلاء الأئمة الأعلام من علماء المسلمين.

يقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [الحجرات: ٦].

ومنها: كما ذكرنا أنه مجهول الحال-وقد يكون مجهول العين أيضاً ! كما أن كلام مثل بن النديم، يرفض في مثل بن إسحاق، (لكونه حتى ولو عرف عينه وحاله)، أنه ليس من أهل الجرح والتعديل، ينظر لذلك ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥ وينظر لزيادة الاطمئنان كتب الاختصاص الذين ترجموا لأبن إسحاق، وقد نقلوا كل شاردة وواردة حوله، ولم يذكر أحد منهم هذه التهمة ينظر على سبيل المثال الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ٢١٤-٢٣٤، ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٢٧٦-٢٧٧، الياقوت: معجم الأدباء، دار المشرق - بيروت ١٨/ ٥، ابن سيد الناس:فتح الدين، محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، الطبعة الثانية، دار الجيل ١٩٧٤م ١/ ١٠-١٧، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٢-١٧٤، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٨-٤٧٥، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الاعلام، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام التدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م (حوادث سنة١٤١-١٦٠هـ) ص ٥٨٨-٥٩٤، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨-٤٦، تقريب التهذيب ٢/ ١٤٤.

التهمة الثانية: رميه بالقدر والتشيع، وهذه التهمة ترد لأنها لم ترد بأي رواية مقبولة، ولم يأت أحد المتهمين له منهم بصيغة أقوى من الصيغة السابقة (وهي قيل)، يقول الذهبي: وقيل: كان قدرياً ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٣، وينظر كذلك ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٩، تاريخ الإسلام(حوادث ١٤١-١٦٠) ص ٥٩٢، تاريخ بغداد ١/ ٢٢٤، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢. وكل هذه الصيغ صيغ تضعيف. لا يعول عليها عند نقاد الحديث ونقاد التاريخ.

ثانياً: جميع هؤلاء الذين نقلنا عنهم هذه التهمة، ذكروا روايات أقوى في نفي هذه التهمة عنه.

ينظر الخطيب: المصدر السابق ١/ ٢٢٥-٢٢٦، الذهبي المصادر السابقة؛ تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٩، تاريخ الإسلام ص ٥٩٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٢. يقول عبد العزيز الدوري عن تهمة التشيع والقدر:

لكن هذا يتطلب الأدلة لإثباته ينظر: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٩.

ثالثاً: عند أبعد الاحتمالات، لو نفرض جدلاً أن ابن إسحاق كان فيه شيء من التشيع والقدر، فهذا الشيء اليسير من التشيع والقدر لا يمنعنا أن نأخذ برواياته، كما هو مقرر في كتب الاختصاص، ينظر بن هشام: السيرة ١/ س، ابن سيد الناس: عيون الأثر ١/ ١٣.

أما التهمة الثالثة: رميه بوضع الاخبار، الذي عليه جلة أهل العلم بالجرح والتعديل أن ذلك جاءه عن طريق الأمام مالك، وهشام بن عروة.

أما ما يتعلق بمالك قيل كان من أجل منافرة بينهما، وكان ذلك مرة واحدة ثم عادله إلى ما يجب. وحينما أراد ابن إسحاق السفر إلى العراق أعطاه مالك عند الوداع خمسين ديناراً ذكر ذلك ابن حيان في الثقات.

وفيما يتعلق باتهام هشام بن عروة له، لأنه كان قد روى عن زوجته فاطمة بنت المنذر، وقد قال هشام:

أدخلت علي - وما رآها رجل حتى لقيت الله تعالى - ورد على ذلك أئمة النقد فقالوا:

إنكار هشام بارد فلعله سمع منها في المسجد، أو سمع منها وهو صبي أو دخل عليها فحدثته من وراء حجاب، فأي شيء في هذا؟ وقد كانت امرأة قد كبرت وأسنت.

ينظر: المصادر السابقة بصفحاتها.. ويشكك ابن حجر أصل خبر المنافرة بين الأمام مالك وبن إسحاق، كما أن الكوثري قد استبعد ذلك وقال: لا أظن أن يكون ذلك صحيحاً، لأن أئمة الدين يجب أن يكونوا أنزه لساناً وجناناً من أن ينزلوا إلى هذه الدركة، ينظر بن حجر: المصدر السابق ٩/ ٤١، والكوثري: محمد زاهد بن حسن (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) حسن التقاضي في سيرة الأمام أبي يوسف القاضي، مطبعة الأنوار ١٣٦٨هـ ص ٤١.

ولو قبلنا جرح مالك وهشام في بن إسحاق، وصححنا ذلك (ولو جدلاً) لقلنا أن قاعدة المعاصرة، تمنعنا أن نصدق هذه التهم كما بينا ذلك في المعاصرة.

روى الخطيب بسنده عن أبي زرعة:

"ومحمد بن إسحاق قد اجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه. فمنهم سفيان، وشعبة، وأبن عيينة،

يبدو ذلك جلياً في نظريته التاريخية وأسلوبه، فقد جمع بين أساليب المحدثين والقصاصين وجمع كثيراً من الروايات التاريخية، والإسرائيليات، والقصص الشعبي مع كثير من الشعر الصحيح والموضوع، وحين ننتقل إلى بن إسحاق نُحّسُ أيضاً، بأننا قد انتقلنا من عالم الحديث إلى عالم التاريخ[1].

ومن أساليب بن إسحاق رواية الخبر عن كتاب لعدة مؤلفين ولكن ذلك لا يعرف إلا بالتدقيق.

==

وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وبن المبارك، وإبراهيم بن سعد وروى عنه من الأكابر: يزيد بن أبي حبيب، وقد أختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً، مع مدح بن شهاب له": تاريخ بغداد ١/ ٢٢٤، وقال ابن عدي:

"قد فتشت أحاديث ابن إسحاق الكثيرة لم أجد في أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ أو وهم كما يخطئ غيره، ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة، وهو لا بأس به".

ينظر الذهبي:ميزان الاعتدال ٣/ ٤٧٤، وقال الذهبي: فالذي يظهر لي أن بن إسحاق حسن الحديث، صالح الحال صدوق وما انفرد به ففيه نكارة، فإن في حفظه شيئاً. وقد احتج به أئمة فالله اعلم. ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٤٧٥.

وقد وثقه البخاري ومسلم، وخرج مسلم له في باب الرجم حديثاً كما قد استشهد له بخمسة أحاديث في صحيحه، وعلق له البخاري. ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٧٥، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٥، وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٧ وقد دافع عنه جمع من المتقدمين والمتأخرين وبشكل وافٍ فمن المتقدمين ينظر: تاريخ بغداد ١/ ٢٦١-٢٦٢، عيون الأثر ١/ ١٠-١٧ وقد دافع عنه دفاعاً علمياً جيداً، كما دافع عنه الذهبي ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٤٦٨-٤٧٥، تاريخ الإسلام- (حوادث ١٤١-١٦٠) ص٥٨٨-٥٩٤، بن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨-٤٦، والكوثري: حسن التقاضي في سيرة الأمام أبي يوسف القاضي ص ٤١. ومحققوا سيرة ابن هشام ١/ م-ع، موافي:عثمان موافي:منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٤م ص ١٩٨-٢٠٤.

لكن من المؤكد أنه رحمه الله قد روى عن أهل الكتاب خاصة فيما يتعلق بالمبتدأ-أخبار الجاهلية والأمم الأخرى قبل الإسلام-وكثيراً من الشعر الموضوع، والعهدة عنده على الراوي، كما أنه تساهل في بعض الأخبار التي لا تتعلق بالأحكام الشرعية ومن أجل ذلك قد انهالت عليه السهام من كل مكان.

ينظر المصادر السابقة، ابن النديم: الفهرست ص ١٣٦، الحموي:شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، معجم البلدان، دار صادر - بيروت ٢/ ٤٠٠، معجم الأدباء ٦/ ٤٠٠، الجمحي: محمد بن سلام (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، طبعة مصر ١٩٥٢م ٤ / ١، الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٧-٣٠ جب:علم التاريخ ص ٥٦-٥٧، هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها ص ٧٩-٩١.

(١) ينظر الدوري: المصدر السابق ص ٢٧-٢٨، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٧٩-٣٨٠.

يقول فؤاد سزكين[(١)]:

"لو دققنا في أسانيد بن إسحاق لوجدنا أنه يستخدم في رواية بعض الأحداث كغزوة الخندق مثلاً كتاباً لعدة مؤلفين لا يقل عددهم عن سبعة وصفهم بأنهم (علمائنا) وبعضهم من المؤلفين المعروفين، ولكن نصفهم غير معروف".

ويأتي بعد ابن إسحاق محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٣م) حيث يعتبر ما قام به من التدوين، عملاً تكميلياً لأعمال ابن إسحاق، فقد كان لا يدع أحداً من أبناء الصحابة، ولا مولى لهم، إلا وسألهم عما شاهدوه وما سمعوه من الأحداث التاريخية، كما أنه اطلع على المدونات والروايات التي جمعها سابقوه من أهل السير والمغازي، وقد كان لا يقتصر على النقل من الرواة فقط، وإنما ينتقل بنفسه إلى أماكن مغازي الرسول ﷺ، فإذا كان قد فات بن إسحاق ذكر تواريخ الأحداث، فإن الواقدي لم يفته ذلك، لذا يُعدُّ، أول من رتب التاريخ حسب السنين، وقد أفاد الطبري منه كثيراً[(٢)].

اهتم الواقدي أيضاً بقضايا التاريخ الإسلامي المهمة، وألف مؤلفات مثل الردة، ويوم الدار، وصفين، والجمل، وفتوح الشام، والعراق، وله مجموعة أخرى من الكتب التاريخية، وأهمها كتاب (التاريخ الكبير) الذي تناول فيه - كما يبدو- تاريخ الخلفاء حتى سنة (١٧٩هـ/ ٧٩٥م)[(٣)].

يأتي بعد الواقدي؛ محمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدي (ت٢٣٠/ ٨٤٤م) وقد تناول كتابه الرائع (الطبقات الكبرى) أحداث عصر النبي ﷺ والصحابة، والتابعين، حتى عام (٢٣٠هـ).

كان ابن سعد أدق من سابقيه في تفاصيل الأخبار، كما أنه يعطي مجموعة أكثر وأوفى من

---

(١) سزكين: فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- القاهرة ١٩٧٠م ١/ ٢٤٩.

(٢) ينظر عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٨٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/ ٢٣٧، عثمان موافي: منهج النقد التاريخ الإسلامي ص٢٠٨.

(٣) ينظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٧/ ٥٨، الدوري: بحوث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٢٣١، هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها ص ١١٥-١١٦، يظهر أن أقدم كتاب يحمل اسم علم التاريخ في الإسلام، هو (كتاب التاريخ) الذي يتناول أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري، وهو لعوانه بن الحكم الأخباري (ت ١٤٧هـ-٧٦٥م) ينظر الخلاف حول هذا الموضوع: روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٤، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٥١، ومن المعلوم أن مؤلفات الأخباريين الأولين لم تصلنا، وكل الذي وصلنا مقتطفات عن طريق المؤرخين فيما بعد مثل الدنيوري، واليعقوبي، والبلاذري، والطبري وغيرهم. ينظر جب: علم التاريخ ص ٦٥، الدوري: المصدر السابق ص ٣٤.

الوثائق لحدث معين، وأنه ذهب أبعد ممن سبقوه في التنظيم والتبويب، وقلما يوجد قول دون الإشارة إلى المرجع الذي أخذ عنه[١].

وكتاب الطبقات أدق بكثير من الكتب التي كتبت قبله وبعده في نقل الأخبار، وهو معجم كبير، ويعد أيضاً حلقة متواصلة بين علم الحديث، وبين الرواية التاريخية، وله مميزات كثيرة مما يجعله مصدراً ذا أهمية كبيرة في حياة المسلمين[٢].

يأتي بعد ابن سعد خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) وهو محدِّث نسّابَة، عارف بأيام الناس، غزير الفضل[٣]، له كتابان:

الطبقات:

وهو كتاب صغير الحجم لو قُورِنَ بطبقات ابن سعد المعاصر له، لكن مركّز في دراسته، دقيق في بحثه ومعلوماته[٤]، ويلقي ضوءا على التوجه الفكري وأسلوب البحث العلمي في عصره[٥].

يمثل هذا الكتاب وكتاب ابن سعد دراسة شاملة لمركز علوم الحديث في القرنين الأولين ومطلع القرن الثالث الهجري[٦].

والغاية من كتب الطبقات هي: خدمة علم الحديث، لتمييز؛ طبقات الصحابة، والتابعين، ومن بعدهم ممن له العلاقة بسند الحديث. فهي وسيلة لمعرفة ما في السند من إرسال أو انقطاع، أو إعضال، أو تدليس، وبمعرفة الطبقات يمكن التفريق بين الأسماء؛ المتشابهة، أو المتفقة، والمختلفة، حتى لا يقع الإشكال أو يلتبس الأمر في نقد الرجال[٧].

---

(١) ينظر هورفتس: المصدر السابق ١٢٦-١٣٠، جب: المصدر السابق ٥٨، جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي ٣/ ١٠٠-١٠٢، الدوري: المصدر السابق ٣٢.

(٢) ينظر عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢١٤، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٢.

(٣) ينظر ابن خلكان: الوفيات ٢/ ٢٤٣، ابن كثير: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية، الطبعة الخامسة، مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م ١٠/ ٣٢٢.

(٤) ينظر خليفة بن خياط: الطبقات ص ١١ (المقدمة).

(٥) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ص ١١.

(٦) ينظر فوزي: فاروق عمر، خليفة بن خياط مؤرخا، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٨م ص٢٠ -٢١.

(٧) ينظر جرونيباوم: حضارة الإسلام ص ٣٥٢، فوزي: المصدر السابق ص ٢١، خليفة بن خياط: المصدر السابق ص ١٠ -١١.

وكتاب الطبقات أقدم كتاب كامل في علم الرجال وصلنا، يتضمن نحو (٣٣٧٥) ترجمة من الرجال والنساء ممن يقتبس منهم[١].

من مميزات هذا الكتاب:

- يذكر أسماء تراجم لا نجدها في طبقات ابن سعد[٢].
- يروي بعض الأحاديث دون سند[٣].
- هو بمستوى كتابه في التاريخ من الأهمية لدراسة الأحكام الإسلامية والثقافة والمجتمع[٤].
- يقتصر خليفة في تراجمه على ذكر نسب الرجل لأبيه وأمه ويرجع بالأنساب إلى ما قبل الإسلام[٥].
- تأكيده على الأنساب في جيل الصحابة والتابعين ثم يتلاشى في الطبقات المتأخرة[٦].
- بعد اختلاط أنساب العرب بغيرهم بعد جيل الصحابة - خاصة - تبرز النسبة إلى المدن والمهن[٧].

تنظيم الكتاب أُسّس على:

أ- التنظيم على النسب.

ب- التنظيم على الطبقات.

ج- التنظيم على المدن[٨].

وكتابه في التاريخ: هو من أقدم كتب الحوليات في التاريخ الإسلامي.

---

(١) ينظر شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/٢٣٦، العمري: كتاب الطبقات ص ١٤٧ (الأطروحة).

(٢) ينظر فوزي: المصدر السابق ص ٢٣.

(٣) ينظر خليفة بن خياط: الطبقات ص ١٠٩.

(٤) ينظر فوزي: المصدر السابق ص ٣٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ٣٠.

(٦) ينظر خليفة: المصدر السابق ص ٦٤ (المقدمة).

(٧) ينظر: المصدر نفسه ص ٣٠.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ص ١١، ٣٢ (المقدمة).

يبدأ المؤلف بتعريف كلمة التاريخ، ثم يتناول الأحداث التاريخية من السنة الأولى للهجرة إلى السنة (٢٣٢هـ) [١] أي خلافة الواثق بالله العباسي [٢].

ويهتم خليفة بن خياط بالتاريخ الإسلامي فقط، فهو يختلف عن الطبري أو اليعقوبي في البدء بذكر بدأ الخليقة، أو بتاريخ العرب قبل الإسلام، وإنما يبدأ التاريخ عنده بالهجرة؛ أي بمعنى آخر: بالإسلام، وليس قبله، ويبدو أن هذا هو منهج عنده [٣].

يتوسع بالأخبار من عهد بني أمية ثم يزداد اختصارا كلما تقدم خاصة في العصر العباسي حتى نجده يلخص أخبار ثلاث سنوات أحياناً في الصفحة الواحدة [٤].

وفيما يتعلق بتطبيق منهج أهل الحديث في التاريخ، شدد في الإسناد والمتن في الفترة المتعلقة بحياة النبي ﷺ وكذلك اهتم بالإسناد فيما يتعلق بالأحداث المتعلقة بالخلافة الراشدة وفيما يتعلق أيضاً بالعهد الأموي بشكل عام وفترة عبد الملك بن مروان بشكل خاص [٥].

يقلل من استخدام الإسناد في أخبار العهد العباسي، بصورة ملحوظة حتى لا تعثر لرواية سنة واحدة أو عدة سنين على سند واحد [٦].

وقد أورد بعض الأخبار بدون إسناد، يشك في أمرها، ربما كانت يد الشعوبية وأتباع المجوس من المتشيّعة تغلغت فيها كما في إحداث سنة (٣٠هـ) [٧].

---

(١) ينظر فوزي: خليفة بن خياط مؤرخا ص ٢٨، ٢٩.

(٢) هارون بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، استخلف بعد أبيه المعتصم سنة ٢٢٧هـ (ت ٢٣٢هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/ ١٥ - ٢١ (٧٣٥١)، ابن كثير: التاريخ ١٠/ ٣٠٨ - ٣١٠.

(٣) ينظر فوزي: المصدر السابق ص ٣٠ - ٣١.

(٤) ينظر على سبيل المثال: تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٤٨٢، ٤٩١، ٤٩٢، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣.

(٥) ينظر شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٢٣٥، فوزي: فاروق عمر: طبيعة الدعوة العباسية، الطبعة الأولى، دار الإرشاد -بيروت ١٩٧٠م ص ٢٥، دكسن: عبد الأمير عبد، الخلافة الأموية - بيروت ١٩٧٣م ص ٩٢٨.

(٦) ينظر مثلا خليفة بن خياط: المصدر السابق ٢/ ٤٣٥ (إحداث سنة ١٣٣)، ٢/ ٤٤٤ - ٤٤٨ (إحداث سنة ١٣٨ - ١٤٤).

(٧) ينظر: المصدر نفسه ١ / ١٧٤ - ١٧٥ (فتح طبرستان) وفي رواية أخرى من أهل حيزان بلدة في (ديار بكر).

ويستخدم خليفة - أحياناً- الإسناد الجمعي في بعض الأحداث[١].

لم يستخدم عبارات الجرح والتعديل لا في التاريخ ولا في الطبقات عدا مرتين في تاريخه[٢].

ومما يمتاز به تاريخه:

- يختار الصالح من الأخبار ويترك ما سواها[٣].
- أورد معلومات لا نجدها في بقية المصادر مثل إعطائه قوائم بأسماء الشهداء وأسماء قتلى المشركين[٤].
- اهتم بذكر جداول بأسماء الولاة والقضاة ومن كان على الشُرَطِ وبيت المال والدواوين وخزائن الأموال؛ أي قضايا الإدارة العامة في الدولة الإسلامية[٥].
- يولي الاهتمام الأكبر بالأحداث الحاسمة مثل مقتل عثمان بن عفان والحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين وموقعة الحرة وحركات الخوارج[٦].
- يتحرى عن الروايات مع التروي في قبولها[٧].
- يدون أحياناً مجموعة من الروايات المتضاربة وذلك لمساعدة الباحث للتعرف على الصحيح منها[٨].

وممن له شان في هذا المجال هو الإمام: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) إمام الأئمة وشيخ المحدثين[٩].

---

(١) ينظر فوزي: خليفة بن خياط مؤرخا ص ١٧.

(٢) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٥، ١١، ١٦، ٢/ ٤٥٦.

(٣) ينظر فوزي: طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥، ٢٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٥، ٢٦، خليفة بن خياط مؤرخا ص ١٣.

(٥) ينظر فوزي: طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥، خليفة بن خياط مؤرخا ص ١٣، شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون ١/ ٢٣٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٣٥، فوزي: طبيعة الدعوة العباسية ص ٢٥ - ٢٦.

(٧) ينظر فوزي: خليفة بن خياط مؤرخا ص ٣٠.

(٨) ينظر مثلا: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٢٧ -٢٤٤.

(٩) ينظر ترجمته: ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) كتاب الثقات في الصحابة

ويمكننا من خلال نظرة سريعة في كتابه التاريخ الكبير [1] مدى عنايته واستخدامه مناهج المحدثين، لنقد الروايات التاريخية سندا ومتنا.

يخالف البخاري بقية المؤرخين في تصنيف المرويات التاريخية فهو لم ينتهج منهج الحوليات كما سار عليها؛ خليفة بن خياط، والطبري، ولم يستخدم الطريقة الموضوعية التي سار عليها المسعودي، كما لم ينتهج طريقة؛ خليفة بن خياط وابن سعد في مصنفيهما في الطبقات، وإنما اتبع تدوين الأحداث وفق منهج علم الرجال[2].

ألّف كتابه هذا مقابل قبر الرسول ﷺ في الليالي القمرية [3] ويبلغ عدد تراجمه (١٢٩٨٩) إضافة إلى (١٠٠١) ترجمة من الكنى، ويبلغ العدد الكلي (١٣٩٩٠) ترجمة[4].

هدف البخاري من تأليف هذا الكتاب:

- الاهتمام بتاريخ الصحابة وقضاياهم والتابعين ومروياتهم[5].
- تقرير مواطن الرواة والمحدثين في البلدان الإسلامية.
- البحث عن الثقات والضعفاء والاهتمام برجال السند[6].

والبخاري أول محدّث أراد أن يوجه الأنظار إلى أهمية المتون ونقدها [7].

نظم كتابه على طريقة المحدثين وعلى حروف المعجم[1].

==

والتابعين وأتباع التابعين، تصحيح عبد الخالق الأفغاني، الطبعة الأولى - حيدر آباد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ٩/ ١١٣، الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ٤ - ٣٤ (٤٤٤)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥ - ٥٥٧ (٥٧٨)، سير أعلام النبلاء، تحقيق حسين الأسد، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ١٢/ ٣٩١.

(١) ينظر البخاري: التاريخ الكبير، إشراف عبد الرحمن معلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ١٣٦١ - ١٣٦٢هـ.

(٢) ينظر أحمد صالح مهدي: البخاري مؤرخا (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٩٨م) ص ٢٢٣.

(٣) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ٧، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥.

(٤) ينظر أحمد صالح: المصدر السابق ص ١٦٣.

(٥) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٢/ ٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٠٠.

(٦) ينظر أحمد صالح: المصدر السابق ص ١٥٩.

(٧) ينظر سزكين: تاريخ التراث العربي م ١ ج ١/ ٢٢١.

ومما يمتاز به التاريخ الكبير:

- ذكر أحداث الخلافة الأموية.
- ذكر عددا كبيرا من ولاتها على الأمصار الإسلامية.
- ذكر باختصار بعض المهمات الإدارية والدينية [٢].
- ترجم للصحابة، والتابعين، وتابعيهم، ومن جاء بعدهم؛ من المحدثين، والفقهاء والقضاة وغيرهم [٣].
- اختار من المواد التاريخية ما يراه مناسبا مع اختصارها [٤].
- يذكر أحياناً أحداثا تاريخية متعددة في الترجمة الواحدة لا علاقة ببعضها البعض [٥].
- يذكر الروايات التاريخية على طريقة أهل الحديث فمثلا يقول: قال لي: فلان [٦]، حدثني فلان [٧]، وحدثنا [٨].
- يستخدم أحياناً الإسناد الجمعي لتأكيد صحة الخبر [٩].
- في حالات تأكّده من ثقة أسانيد بعض الأخبار أو لشهرتها لا يذكر أسماء مسندي الأخبار [١٠].

اهتمامه بنقد السند والمتن:

لاشك أن أئمة الحديث هم الرواد الأوائل لنقد الروايات التاريخية وذلك تمشيا وإكمالا وامتدادا لمنهجهم العلمي لنقد متون الأحاديث وأسانيدها.

---

(١) ينظر: التاريخ الكبير ج١ ق١/ ٥.
(٢) ينظر أحمد صالح: البخاري مؤرخا ص ٢٤٠.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٤٠.
(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٢/ ٧.
(٥) ينظر البخاري: المصدر السابق ج١ ق٢/ ٢٣٦ (ترجمة جارود بن المعلى).
(٦) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ١١، ١٩.
(٧) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ١٧، ٨٩.
(٨) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٢٣١.
(٩) ينظر: المصدر نفسه ج٢ ق١/ ١٥٩، وينظر كذلك: الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ ص ٢٤.
(١٠) ينظر: المصدر نفسه ج٢ ق٢/ ١٤٥، وج٢ ق١/ ٤٢٨.

إنّ اهتمام المحدثين بنقد الروايات التاريخية يختلف من شخص إلى آخر وكان نصيب الإمام البخاري في ذلك نصيباً كبيراً حيث شارك في النقد التاريخي وفق منهج أهل الحديث سنداً ومتناً[١].

فمن مظاهر اهتمامه بنقد السند: إبدائه جرحاً وتعديلا في عدد كبير من رجال الإسناد فمن ذلك على سبيل المثال يقول: حديث فلان ...مرسل[٢] وحديث فلان منقطع [٣] أو مضطرب الحديث[٤] أو ذاهب الحديث[٥] أو عنده مناكير[٦] أو في إسناده نظر[٧].

ومن مظاهر نقده للمتن: إيراده روايات مختلفة، بأسانيد متنوعة وهدفه إثبات صحة رواية معينة[٨].

مؤرخو ما بعد السيرة والمنهج:

إن الجهود التي بذلها أئمة السيرة والمغازي- وكذلك كتب الطبقات ومؤرخوا الفتوحات الإسلامية، وكتابات الإخباريين، والتي كانت بدايتها في عهد بني أمية آتت ثمارها بشكل واضح وجيد، وبشكل منهجي في عصر بني العباس حيث بدأ المؤرخون يكتبون في التاريخ العام وأحوال الأمم والبلاد[٩].

وقد بينا أن لأئمة السير والتاريخ منهجاً واضحاً وكاملاً وهو المنهج المتمثل بالإسناد.

---

(١) ينظر معروف: بشار عواد: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٧٦م ص ٤٤٥.
(٢) ينظر: التاريخ الكبير ج١ ق١/ ٣٠، وج١ ق٢/ ١٧٨.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق٢/ ٥٨، ج١ ق٢/ ٣٥٦.
(٤) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٢٤٥، ج١ ق٢/ ٨٤.
(٥) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٢١٨.
(٦) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٣١١.
(٧) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق١/ ٣١٧.
(٨) ينظر: المصدر نفسه ج١ ق٢/ ٤٣، وينظر كذلك، أمثلة أخرى لنقد المتن: المصدر نفسه ج٤ ق٢/ ١٤٠، وج٢ ق١/ ٣١٩.
(٩) ينظر عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٢٧٨، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٢، جب: علم التاريخ ص ٦٠-٦١. جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٤٣.

التاريخ ومنهج أهل الحديث:

إن المتتبع للتاريخ الإسلامي، وهو يدقق صفحاته، يجد أمامه ظاهرة بارزة وواضحة، وهي أن أغلب المؤرخين القدامى - إن لم يكن جميعهم على الإطلاق - كانوا من أصحاب الحديث، ويتبعون في منهجهم في تدوين الأخبار التاريخية ومعالجتها، أسلوب المحدثين، وهو: طريقة الإسناد، وظلت هذه الطريقة مرعية عندهم رعاية تامة إلى نهاية القرن الثالث[١].

بل إن هذه الطريقة ظلت مستمرة إلى عصر الخطيب البغدادي، أي القرن الخامس، حيث نجد أن تاريخ بغداد مكتوب بأسلوب المحدثين تماماً، وابن عساكر إلى نهاية القرن السادس الهجري[٢].

ومن المظاهر الواضحة التي نجدها في تاريخ تراث الإسلام، تأليف أغلب أئمة الحديث كتباً في التاريخ، سواء، تراجم، أو طبقات، أو تاريخ عام، ويظهر ذلك جلياً من إمام المحدثين، أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين والبخاري.... الخ من المتقدمين.

ومن المتأخرين: الذهبي، وابن حجر وغيرهم حيث قد ألف كل هؤلاء في التاريخ كتاباً أو أكثر[٣].

للمناهج التي كانت تدرس وتطبق في مدرسة المدينة، ومدرسة أهل العراق، تأثيراً واضحاً على أصحاب تلك المدرستين، فحينما نجد أن التدقيق والمحافظة والتشدّد في الرواية في مدرسة المدينة، نجد مقابلها شيئاً من التساهل والتسامح في الجانب العراقي، لذا كان التحذير مستمراً من قبل أهل المدينة لروايات العراقيين، لكن من المؤرخين من سلك مسلكاً وسطاً بين المنهجين مثل أبي الحسن المدائني، حيث أخذ الروايات العراقية وتناولها بأساليب أهل المدينة في النقد[٤].

إن هذا التشابه بين أهل الحديث والتاريخ، حدا ببعض المستشرقين المعنيين بكيفية نشوء علم التاريخ عند المسلمين، أن يقول: إن التاريخ وليد علم الحديث، وآخرين منهم القول: بأن التاريخ وليد علم السيرة والمغازي.

---

(١) ينظر جب: المصدر السابق ص ٦٤-٦٥، دراسات في حضارة الإسلام ص ١٤٧. جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٥٧.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد واستعماله للإسناد في كل رواية، وكذلك: تاريخ دمشق.

(٣) ينظر: ترجمة هؤلاء الأئمة، في كتب التراجم، ومعاجم المؤلفين لكي تقف بنفسك على ذلك.

(٤) ينظر جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥٤-١٥٧ (مصدر سابق).

وحجتهم في ذلك أن كتب الحديث قد دونت قبل كتب السير، كما أن كتب السير والمغازي قد دونت قبل التاريخ[١].

يحاول الدكتور جواد علي رد هذا التوجه، حيث يرى أن التاريخ كان قديماً، قدم الحديث، وأن كتباً ألفت في هذا الباب لكنها فقدت[٢].

سبق أن بيّنا ببعض الأدلة والبراهين بأن هذا التوجه - أي أن التاريخ وليد علم الحديث - هو التوجه الصحيح، وأن الأمة الإسلامية، قد أعطت الأولوية في تدوين علومها إلى الأهم، فالمهم، حيث: أولاً: القرآن ثمّ ثانياً: السنّة النبوية، وثالثاً: سيرة النبي ﷺ، ورابعا: التاريخ [٣].

متى اكتمل المنهج التاريخي عند المسلمين؟

ذهب بعض الباحثين من المستشرقين ومن المسلمين إلى أن المنهج لم يبدأ ولم يتكامل إلا على يدي البلاذري أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

"إن بداية التأليف بمعناه الأعم أي التوفيق بين المواد المستمدة من السيرة، والرسائل المتقدمة الذكر، ومصادر أخرى، بغية إدماجها في رواية تاريخية متماسكة، إنما يرجع إلى منتصف القرن الثالث، وأقدم مؤلف سار على هذا النهج القديم هو البلاذري، وكتاباه: أنساب الإشراف، وفتوح البلدان، يشفان عن مزاج النقد في عصره على أكمل وجه"[٤].

استخدم البلاذري منهج الإسناد الجمعي لرواية الأخبار حيث يوضح ذلك في مقدمة كتابه (فتوح البلدان) ويقول:

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٥٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٥٧.

(٣) ويتفق مع هذا الرأي عبد الحميد العبادي ينظر: هرنشو: علم التاريخ ص ٤٣ (التاريخ عند العرب).

(٤) مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ١٣١، جب: علم التاريخ ص٦٦-٦٧ وينظر: Lichtentader 1. , "Arabic and Islamic Historiography "the moslem world 1954, p. 130.

مرجليوث: د. س. دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، دار الثقافة - بيروت ص ١٣١ وقد أيد هذه الفكرة الدكتور عثمان موافي ينظر: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص٢١٦ وكذلك الدكتور عبد الله فياض ينظر: التاريخ فكرة ومنهجاً ص ٢٥.

"أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث، والسيرة، وفتوح البلدان، سقت حديثهم، واختصرته، ورددت من بعضه على بعض" [١].

وهذا المنهج هو بعين ذاته المنهج الذي استخدمه ابن شهاب الزهري في رواية الأخبار قبل قرن أو أكثر من هذا الزمن قبل البلاذري، وهذا يؤكّد لنا أن البلاذري قد أفاد من الطريقة والمنهج الذي كان يتبعه الزهري.

ومما يقال ومن الإنصاف؛ لم يكن البلاذري إمّعة في ذلك، إنما سلك نفس المنهج مع التطوير والتحديث فاستطاع أن يضيف إلى مصادر الحديث والسير عنصراً آخر وهو: الأمراء والجند، أي؛ أصحاب فتوح البلدان، الذين اشتركوا في فتح هذه البلاد، ويبدو أنه أخذ واقتبس من كتابات الزهري ورواياته، أخبار الفتوح، والبلدان المفتوحة، مما جعله يفوق على الزهري في جمع وتقييم الأخبار [٢].

إذا قلنا أن البلاذري هو بداية المنهج العلمي لدى مؤرخي المسلمين والتاريخ الإسلامي، فليس معناه هذا أنه أعتمد على ذكر مصادره حول حدث معين، وترك الإسناد (أي الفردي) جملة وتفصيلاً، حيث نجده يستعمل الإسناد، لكن درجة دقته في استعمال الإسناد تختلف باختلاف نوع الخبر الذي يرويه وأهميته، وباختلاف فترته الزمنية أيضاً.

فالأخبار تنقسم عنده إلى فترتين [٣]:

أ - أخبار الفتوح في عهد النبي ﷺ.

ب- أخبار الفتوح في عهد ما بعد النبي ﷺ.

وقد يتسم البلاذري بدقة أكثر فيما يتعلق بأخبار الفتوح في عصر النبي ﷺ ويستخدم الإسناد الذي ينتهي غالباً إما إلى الصحابي أو إلى التابعي.

يقول في (فدك) [٤]: "حدثنا سعيد بن سليمان [١]، عن الليث بن سعد [٢]، عن يحيى بن

---

(١) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ ص ١٧.

(٢) ينظر عثمان موافي: المصدر السابق ٢١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٢١٧.

(٤) قرية بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، ينظر الحموي: معجم البلدان ٤/ ٢٣٨ - ٢٤٠ (فدك).

سعيد[٣]، أن أهل فدك صالحوا رسول الله ﷺ على نصف أرضهم ونخلهم فلما أجلاهم عمر، بعث من أقام لهم حظهم من النخل والأرض... حدثني بكر بن الهيثم[٤] عن الزهري، أن عمر بن الخطاب أعطى أهل فدك قيمة نصف أرضهم ونخلهم[٥]".

أما ما يتعلق بأخبار الفتوح بعد عهد النبي ﷺ، فأننا نلحظ أيضاً استخدامه للإسناد كثيراً، ويسند الخبر إلى أحد رواة الفتوح كأبي مخنف، والهيثم بن عدي[٦].

يقول في فتح الأردن[٧]: "حدثني حفص بن عمر[٨] عن الهيثم بن عدي، افتتح شرحبيل بن حسنة[٩] الأردن ما خلا طبرية، فإن أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم".

---

(١) أبو عثمان، ثقة (ت ٢٢٥هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٩/ ٨٤ -٨٧ (٤٦٦٤)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٤٣ - ٤٤ (٦٩).

(٢) أبو الحارث الأصبهاني، شيخ الديار المصرية وعالمها، قيل كان افقه من مالك، ثقة ثبت (ت ١٦٨هـ)، ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢٤ -٢٢٦ (٢١٠)، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ١٣٨ (٨).

(٣) يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري المدني أبو سعيد القاضي ثقة ثبت من الخامسة مات سنة أربع وأربعين أو بعدها. ينظر: النووي: تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٧١٢ (٦٨٢) ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٥٩١ (٧٥٥٩).

(٤) ينظر شيء عنه البلاذري: فتوح البلدان ٢٢، ٣٥، ٣٩، ٤٣، القزويني: عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) التدوين في ذكر أخبار قزوين، تحقيق عزيز الله العطاردي، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧م ص ٦١، ٦٨، ٨٤، ١١٢.

(٥) فتوح البلدان ص٤٢ (فدك).

(٦) الطائي، إخباري علامة، متروك الحديث، ليس بثقة (ت ٢٠٧هـ) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٢٤ - ٣٢٥ (٩٣١١).

(٧) فتوح البلدان ص ١٢٣ (الأردن).

(٨) حفص بن عمر بن عبد العزيز، صدوق، إمام (ت ٢٤٦هـ) ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٤١ - ٤٤٣، ابن عماد: عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ٦٧٩م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الثانية، دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ١/ ٤٨ وقد وهم في تاريخ وفاته.

(٩) هو شرحبيل بن عبد الله بن مطيع، ينسب إلى أمه حسنة، من قادة الفتوح الإسلامية في عهدي أبي بكر وعمر، فتح الأردن، وهو من السابقين الأولين من الصحابة، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار العلوم الحديثة (مطبوع بهامش الإصابة) ٢/ ١٣٩-١٤١، العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ ٢/ ١٤٣ (٣٨٦٩).

مؤرخون معاصرون للبلاذري:

مما سبق يتبين أن البلاذري حاول أن يبقى على العهد مع المحدثين في رواية الأخبار ما وجد إلى ذلك سبيلا، ولكن هناك سؤال يفرض نفسه الآن وهو هل أن كل المؤرخين المعاصرين للبلاذري سلكوا هذه الطريقة في نقل الأخبار؟ أم أن هناك عددا من المؤرخين لم يلتزموا بهذا المنهج وهو: الإسناد؟

أهم المؤرخين الأوائل والمعاصرين للبلاذري هم:

ابن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ) وأبو حنيفة الدينوري (ت٢٨٢هـ) واليعقوبي توفي بحدود (٢٨٤هـ)[١].

على الرغم من أن ابن قتيبة أحد الأئمة المدافعين عن السنة، وقد ألّف في ذلك كتباً[٢]، لكنه لم يطبق منهج أهل الحديث تطبيقاً كاملاً في كتابه (المعارف) على الروايات، لكن بقي مع ذلك ملتزماً بالمنهج العلمي في نقل الأخبار.

فمثلاً إذا نقل خبراً عن فترة ما قبل الإسلام، ذكر على الغالب مصدره ولم يلتزم الإسناد، وربما لاعتقاده بأن الإسناد لا يُجدي في حق بعض الروايات التي أكل عليها الدهر وشرب، ولا يمكن جمع طرق السند بسهولة.

فمثلاً حينما يذكر خبراً عن بدأ الخليقة يقول [٣]:

"قرأت في أول سفر من التوراة، أول ما خلق الله تعالى من خليقة؛ السماء، والأرض".

وعند ذكر الأخبار النادرة والغريبة، حاول أن يستعمل الإسناد، وخاصة أخبار صدر الإسلام فمن ذلك يقول:

"حدثني زيد بن أخزم[٤] قال: حدثنا عبد الصمد[١]، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا

---

(١) ينظر جب: علم التاريخ ص ٦٩ - ٧٠.

(٢) ينظر مثلا: تأويل مختلف الحديث.

(٣) ينظر ابن قتيبة: المعارف ص٦، ينظر كذلك: الكتاب المقدس، الطبعة الأولى، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٣م (سفر التكوين) ١/ ١.

(٤) زيد بن أخزم أبو طالب الطائي من أهل البصرة يروى عن أبى عاصم وأهل العراق حدثنا عنه بن خزيمة وغيره مستقيم الحديث مات بعد الخمسين والمائتين. ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ١٧٩، ابن حبان: الثقات ٨/ ٢٥١ (١٣٢٨٤) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ٦١٣ (٣٨٣).

المغيرة[٢]، قال: سمعت سماك بن سلمة[٣] يقول: أول من سلم عليه بالإمرة، المغيرة بن شعبة[٤].

ويقول أيضاً[٥]: "حدثنا زيد بن أخزم قال: حدثنا كثير بن هشام[٦] عن فرات[٧] عن ميمون بن مهران[٨] قال: أول من مشت معه الرجال وهو راكب: الأشعب بن قيس[٩]".

وهكذا يتبين بأن ابن قتيبة لم يطبق قواعد أئمة الحديث على أخبار كتابه المعارف بصورة كاملة، إذ أهمل الإسناد في كثير منها، واستعاض عنه بالإشارة إلى مصادر أخباره[١٠].

---

(١) عبد الصمد بن النعمان البزاز النسائي، ثقة تكلم فيه (ت ٢١٦هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ١١/ ٣٩ -٤٠ (٥٧١٤)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٦٢١ (٥٠٧٩).

(٢) مغيرة بن مقسم، ثقة، إمام توفي بين (١٣٢-١٣٦هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٤/ ١٦٥-١٦٦ (٨٧٢٣)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٦٩ -٢٧١ (٤٨٢).

(٣) سماك بن سلمة الضبي، وثقه أحمد، روى عنه ابن مقسم فقط، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٢٣٤ (٣٥٤٩)، الخزرجي: صفي الدين أحمد بن عبد الله الأنصاري (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م (مصورة عن طبعة بولاق ١٣٠١هـ) ص ١٥٦.

(٤) ينظر المعارف ص ٢٩٤، وينظر كذلك: العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) الأوائل، دار أمل، طنجة - المغرب ١٩٦٦م ص ١٩٥، ومغيرة بن شعبة صحابي جليل شهد بيعة الرضوان، واليمامة، والفتوحات الإسلامية (ت ٥٠هـ) ينظر: ابن قتيبة: المصدر السابق ص ١٢٨، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٥٢ - ٤٥٣ (٨١٧٩).

(٥) ابن قتيبة: المصدر السابق ص ٢٤٠، وينظر كذلك: العسكري: المصدر السابق ص ٢١١ -٢١٢.

(٦) الكلابي أبو سهل، ثقة (ت ٢٠٨هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/ ٤٨٢ -٤٨٤ (٦٩٥٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٤٢٩ -٤٣٠ (٧٦٩).

(٧) فرات بن السائب، أبو سليمان الجزري، ضعيف، متروك الحديث، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: النسائي: أحمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) كتاب الضعفاء والمتروكين، تحقيق: بوران الضناوي وكمال الحوت، الطبعة الثانية، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص١٩٧-١٩٨ (٥١٢)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٣٤١ -٣٤٢ (٦٦٨٩).

(٨) الجزري، أبو أيوب، الإمام، العابد، الزاهد، ولي على خراج الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، ثقة (ت ١١٧هـ) ينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ١٠٦ -١٠٨ (٢٢٠)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٩٨ -٩٩ (٩١).

(٩) الأشعب بن قيس بن معد كرب، صحابي، نزيل الكوفة (ت ٤١هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ١٠٩ -١١١، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٨٠ (٦٠٨).

(١٠) عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢٢٢.

يصف ابن قتيبة منهجه في مقدمة كتابه المعارف:

"وكتابي هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف: أولها مبتدأ الخلق، وقصص الأنبياء، وأزمانهم إلى أن بلغت زمن المسيح، والفترة بعده، ثم أتبعته أخبار رسول الله ﷺ ثم الصحابة المشهورين، ثم الخلفاء من لدن معاوية بن أبي سفيان إلى أحمد بن المعتصم[1]...ثم التابعين، ومن بعدهم من حملة الحديث وأصحاب الرأي، ومن عرف منهم بالترفض، والتشيع، والأرجاء، والقدر، وأصحاب القراءات، والنسابين، وأصحاب الأخبار، ورواة الشعر، والغريب، وأصحاب النحو والمعلمين"[2].

مشاركة أبو حنيفة الدينوري، ابن قتيبة في هذا المنهج في كتابه: الأخبار الطوال.

ينقسم هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام زمنياً:

أ - بدأ الخليقة من آدم إلى أخبار بني إسرائيل، والعرب البائدة.

ب- خاص بتاريخ الفرس والأسكندر.

ج- يتعلق بحروب العرب مع العجم، والفتوحات الإسلامية من عهد عمر رضي الله عنه إلى عهد الخليفة المعتصم.

وهو كسابقه يشير إلى بعض المصادر التي أخذ منها الخبر، لكنه دون ابن قتيبة في الدّقة إلى الإشارة إلى المصدر، فمن أخبار بدأ الخليقة يقول - ولعله يشير إلى أهل الكتاب- [3]:

"وجدت فيما كتب أهل العلم بالأخبار الأولى، أن آدم عليه السلام كان مسكنه الحرم".

كما أنه لا يستعمل الإسناد في أكثر الأحيان، وإنما يعزو الخبر إلى قائله، خاصّة في الأخبار قريبة العهد به، أو قريبة العهد بمصادرها، مثال ذلك قوله [4]:

"قال الهيثم بن عدي: بويع لأبي العباس بالخلافة، ولأبي جعفر بولاية العهد من بعده في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة".

---

(١) الخليفة أحمد بن محمد بن المعتصم - المستعين بالله - (ت ٢٥٢هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٥/ ٨٤ - ٨٦ (٢٤٧٨)، الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، وفؤاد السيد - الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٦م ١/ ٣٦٠ -٣٦١.

(٢) ينظر: ص ٣.

(٣) الدينوري: أبو حنيفة، أحمد بن داود بن ونند (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر - القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م ١/ ٢.

(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٧٠.

اليعقوبي ومنهجه في تدوين الأخبار:

يأتي بعد المؤرخين السابقين من حيث التسلسل الزمني؛ اليعقوبي، والذي هو قريب في منهجه مع أبي حنيفة الدينوري، مادة وموضوعاً، ومنهجاً.

قيل: إن تاريخه أول مؤلف يتناول التاريخ بمعناه العام منذ خلق آدم، حتى عصر المؤلف، وهو خلافة المعتمد بن عبد الله العباسي [(١)]، لكنه أقل مرتبة من كتاب الأخبار الطوال، وذلك:

أولا: لعدم استخدامه الإسناد [(٢)].

ثانياً: إن إشارته إلى مصادره غير دقيقة، بل غامضة في كثير من الأحيان [(٣)]، فمثلاً حين يذكر ملك الصين يقول [(٤)]:

"ذكرت الرواة، وأهل العلم ومن سار إلى بلاد الصين، وأقام بها الدهر الطويل، حتى فهم أمرهم وقرأ كتبهم، وعرف أخبار المتقدمين، ورأوه في كتبهم وسمعوه في أخبارهم، ومكتوب على أبواب مدنهم، وبيوت أصنامهم ومنقوش في الحجارة، إن أول ملوك الصين، صاين".

فالرجل يوهمنا هنا أنه سمع من أناس ذهبوا إلى الصين ورأوا كذا وكذا ولكن من هؤلاء؟ وما أسماؤهم؟ وما درجة صلتهم به، وبالأخبار التي نقلت عنهم ؟.

إنّ هذا يعرف في عرف المحدثين: بالتدليس .

وهكذا نجد أن المنهج الذي رسمه أهل التاريخ الإسلامي قد مر في فترة زمنية إلى نوع من الابتلاء، وهو: الخروج عن منهج المحدّثين في نقل الأخبار، حيث أن طبيعة هذا التاريخ تختلف عن طبيعة بقية تواريخ الأمم الأخرى لأنها تاريخ مرتبط أولاً وأخيراً بالعقيدة والشريعة.

لكن هذه الحالة الأستثنائية لم تدم طويلاً، حيث جاء الطبري، وأعاد لهذا المنهج سيرته الأولى، ومكانته في التاريخ الإسلامي، والتزم الدقة في تطبيق منهج الإسناد على الأخبار.

---

(١) أحمد بن المتوكل على الله (ت ٢٧٩هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٤/ ٦٠ -٦٢ (١٦٧٧)، الذهبي: العبر ١ / ٤٠٠ -٤٠١.

(٢) لم يستخدم الإسناد حتى مع أحاديث النبي ﷺ ينظر مثلا: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢ - ٧٦.

(٣) ينظر عثمان موافي: المصدر السابق ص ٢٢٣ - ٢٢٥، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٣ - ٣٤، لكن الصحيح، أن أقدم كتاب في تاريخ الإسلام، وأوثقه هو تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ) وهو كتاب قريب على الحوليات، ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١١ (مقدمة الدكتور صالح أحمد العلي).

(٤) اليعقوبي: المصدر السابق ١/ ٢٠٥.

تاريخ الإمام ابن جرير الطبري:

إن كتاب الطبري (تاريخ الأمم والملوك)[١] أو (تاريخ الرسل والملوك)، أو (أخبار الرسل والملوك)[٢] وهو مشهور بين الناس بتاريخ[٣] الطبري، هو أول[٤] مؤلف تاريخي شامل يتناول تاريخ العالم بشكل عام، وتاريخ الإسلام بشكل خاص، ويُعبّر بذلك عن فكرة عالمية التاريخ ووحدته، متمثلة بتوالي الرسالات[٥].

يعدّ هذا الكتاب من خيرة المؤلفات التاريخية، وأثبتها وأصحها[٦] نسبياً، بل أوفى عمل تاريخي شهده تاريخ الإسلام في القرون الأولى[٧]، أقامه على منهج مرسوم وساقه في طريق استقرائي شامل، بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة والإتقان[٨].

---

(١) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ١٦٣، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٩٧، جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥٩، عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ص ١٩١.

(٢) ينظر الحموي: معجم الأدباء ١٨/ ٦٨ جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٥٩، عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩١، عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢٢٧ وقد طبع هذا الكتاب (تاريخ الطبري) عدة طبعات: الطبعة الأولى طبعة بريل ١٨٧٩م تحقيق M. J. DEGDEJE. وأعقبتها طبعة (المطبعة الحسينية) بمصر ١٩٢٠م، ثم تلت تلك طبعة دار المعارف، مصر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، وبين يدي الآن الطبعة الرابعة، ولعلها هي آخر طبعة وصلت إلى قطرنا، ينظر أيضاً عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩١.

(٣) ينظر الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٤.

(٤) ذهب بروكلمان، أن أول من كتب في مجالس التفسير والتاريخ هو الطبري، ينظر: تاريخ الأدب العربي ٣/ ٤٥ - ٤٦، تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ٣١، وينظر كذلك مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١١٥، ميلي: الدو ميلي: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرون، الطبعة الأولى، دار القلم ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م ص ٢٨١، سزكين: تاريخ التراث العربي ١/ ١٥٩، وقد اعترض سزكين، وجواد علي على ذلك، والخلاف بينهم خلاف لفظي، حيث أن قصد بروكلمان هو: أول من ألف كتابا شاملا في التاريخ والتفسير، وليس أول من ألف مطلقا. ينظر سزكين: المصدر السابق ١/ ١٥٩، جواد علي: المصدر السابق١/ ١٥٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٥٨، عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩١.

(٦) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ١٩١، الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ١٣٥، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٩٧، مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١٢٥، غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٤٥٣.

(٧) ينظر النصولي: أنيس زكريا، الدولة الأموية في الشام، الطبعة الأولى، دار السلام، بغداد ١٩٢٧م ص د.

(٨) ينظر الطبري: المصدر السابق ١/ ٢١ (مقدمة المحقق)، عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢٢٧، جرونيباوم: حضارة الإسلام ص ٣٥٦.

وقد تمكن هذا الكتاب من مجالدة الزمان، ووفِّقَ صاحبه لجمع عدد كبير من المواد المستمدة، من التفسير، والحديث، واللغة والسيرة، والأدب، وتاريخ الأحداث، وتواريخ الخلفاء، فجمعها في كتاب واحد[١].

كما أنه استطاع أن يحفظ لنا نماذج من الكتب التي قد ضاعت، ويكمّل ما قام به المؤرخون قبله، كالواقدي، وابن سعد، وخليفة بن خياط، ، والبلاذري، واليعقوبي، ويمهد الطريق لمن جاء بعده من المؤرخين كالمسعودي، وابن مسكويه، وابن الأثير، وأبو الفدا، والذهبي، وابن خلدون وغيرهم[٢].

منهج الإمام الطبري في كتابه:

ألزم الطبري نفسه بكل وضوح، بمنهج معين، وهو منهج المحدثين أي التمسك بالإسناد، لأن أساس صحة الرواية- عند أهل هذا المنهج- الثقة بالرواة، من حيث العدالة، والضبط، وصحة الإسناد[٣]، من أجل ذلك وضع المسؤولية التامة في أعناق الأجيال التي تأتي بعده فيما نقله عن السابقين.

"لهذا دون الأخبار على عهدة رواتها وعرضها عرضاً موضوعياً محايداً، وعزا كل رواية إلى صاحبها، ولم تقتصر على ما يوافق فكره أو رأيه، ولم يعلق بترجيح أو تفنيد أو إبطال، بل ترك للقارئ أن يميز ويحكم ويختار"[٤].

قال فتحي عثمان [٥]:

"إنما ينتفع بأخبار الطبري من يرجع إلى تراجم رواته في كتب الجرح والتعديل...ثم يقول: فشعار الطبري إذن: العهدة على الراوي".

ولنسمع الآن الطبري وهو يبين نظريته ومنهجه وفلسفته في طريقة تأليفه لتاريخه إذ

---

(١) ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٥٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه١/ ١٥٩.

(٣) ينظر عثمان موافي:منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ٢٢٧، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٥.

(٤) الحوفي: أحمد محمد، الطبري، طبعة المؤسسة المصرية - القاهرة ص ١٩٢، وينظر كذلك كمال: أحمد عادل: الطريق إلى دمشق، مطبعة دار النفائس، الطبعة الثانية - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٥٢.

(٥) عثمان: فتحي عثمان، أضواء على التاريخ الإسلامي، دار العروبة ١٩٥٦م ص ٧٢، ٧٤.

يقول[١]: "وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه، مما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه، والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس.

فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين فما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أُدّيَ إلينا ".

وهكذا يوضح الطبري، أن اهتمامه منصب على السند أي: الرواة، وهو ما يسمى بالنقد الخارجي.

أما اهتمامه بنقد المتن فهو نادر، وقليل، وهو ما يسمى بالنقد الداخلي[٢] وقد عد المستشرق شواله (Sehwally) طريقة الطبري في عرض التاريخ على طريقة أهل الحديث طريقة فريدة في بابها[٣].

أما المستشرقان (فلهوزن) و(نيكلسون) فيتهمان رواة الطبري بأنهم: لا يفرقون بين الأخضر واليابس، وهم يذكرون أتفه الأشياء فلا يدعون شيئاً مجهولاً[٤].

وهذا الكلام الصادر من المستشرقين ناتج عن سببين:

السبب الأول: عدم فهم المستشرقين لمنهج المسلمين في نقل الأخبار، وهو: الإعتماد الكلّي على الأمانة العلمية في النقل، سواء كان الخبر جيداً أو تافها، فعلى الراوي المسلم، نقل الخبر كما هو دون زيادة أو نقصان.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ١/ ٧-٨.

(٢) ينظر عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩٤.

(٣) ينظر جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٦٨.

(٤) ينظر فلهوزن: يوليوس فلهوزن، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة عبد الهادي أبو ريدة - القاهرة ١٩٥٨م ص٢.

السبب الثاني : قد يكون هو الدافع للمستشرقين في اتهام رواة الطبري بذلك وهو: الطعن في رواة الطبري، لإسقاط المرويات، لأن الناقل إذا لم يكن أمينا، فرواياته موضوعة وباطلة كما هو مقرّر في علم الحديث، ولا نستبعد أن يكون المستشرقان إمّعة للمتشيّعة من أتباع المجوس، لأن عددا كبيرا منهم، اطلع على كتاباتهم وأفكارهم وعقائدهم المباينة للإسلام والمسلمين، فلم يجد كلاما أو رأيا أو فكرة أقوى للطعن بالإسلام والمسلمين ولتاريخهم وتراثهم من آراء وعقائد وأفكار وكتابات هؤلاء الضالّين المنافقين المنحرفين عن طريق الإسلام.

تصدى لرد هؤلاء المستشرقين أحد الكتاب الفرنسيين المعاصرين، ودافع عن منهج الطبري، والمؤرخين المسلمين، دفاعاً جيداً، كما وضح الفروق الأساسية بين منهج المسلمين ومنهج الغربيين وهو: حيدر بامات فيقول [(١)]:

"وجد من لام مؤرخي المسلمين، ولا سيما العرب على فقدان روح النقد، في تقدير الوقائع، وعلى الطلاوة في سردها فهذه الملاحظ، وإن لم تخل من أساس يجب أن يحترز من تعميمها - ثم يعلل هذا بقوله - :

وما حمل العلم الغربي زمناً طويلاً من حكم غير ملائم ثم لأثر مؤلفي المسلمين التاريخي يوضح بالوجه الذي يدرك الشرقيون به التاريخ، والذي يختلف عن طراز الغربيين، ولا سيما طراز المدارس الحديثة، فتاريخهم يحمل صفة اليوميات التي تسجل بإخلاص، لا صفة التركيب الواسع الذي يفتن الذهن الأوروبي مقدار فمقدار، وأخص ما مال إليه مؤرخو الإسلام، هو قيد الوقائع وجمع الوثائق، فهم يعدون أنفسهم جامعي أخبار ووكلاء استعلام للأعقاب، لا مفسرين للحوادث الماضية، وحاكمين عليها".

ثم يعقّب على ذلك فيقول [(٢)]:

---

(١) بامات: حيدر بامات (ج. ريفوار): مجالي الإسلام، ترجمة عادل زعيتر، طبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٦م ص ١٥٩ -١٦٠، ومن الغريب إن جواد علي، يشاطر هؤلاء المستشرقين رأيهم لأسلوب الطبري في الاعتماد على الإسناد حيث يقول:

" أثبتت التجارب أن الاعتماد على الرواية في التاريخ أمر لا يليق بالمؤرخ القدير!". وجواد علي مهما يكن عالما وخبيرا فهو: أسير معتقده ودينه الذي يدين به، هو: الطعن بكل ما هو إسلامي، عقيدة وشريعة وحضارة وتاريخا وتراثا، لكنه في بعض الأحيان، فيه شيء من الإنصاف، فرضه عليه ذلك علمه، وتأثره بمنهج المؤرخين. ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٦٨.

(٢) ينظر بامات: المصدر السابق ص ١٦٠.

"فالمؤلف الذي يقوم عمله على نقل الأخبار بلا تفسير ولا نقد، يقدم لنا من ضمان الإخلاص والعدل، أكثر مما يقدم لنا الكاتب الذي، يعرض علينا الوثائق ممحصة أو مشوهة، وحق ما يعتقده عن حسن نية أو عن غرض عن صدق أو عن كذب".

إن الذي ذهب إليه المستشرقان من عدم استخدام المؤرخين المسلمين النقد تجاه الروايات التاريخية، والاعتماد على الرواة فقط، يمكن أن يقال في كل ما كتب من المعرفة التاريخية بصفة عامة في العصور الوسطى في أوروبا وفي غيرها[١]، ومع ذلك فإن هذا التعميم غير صحيح، وسوف تجد في الصفحات القادمة ما يدحض هذا التصور بالشواهد والأدلة الكثيرة في التاريخ الإسلامي.

ولعل السبب في ذلك، اتصال المعرفة التاريخية بالعقيدة الإسلامية اتصالاً مباشراً في الإسلام، واتصالها بفلسفة الأديان في العصور الوسطى (الأوربي) بصفة عامة[٢].

ما يمتاز به تاريخ الطبري:

هناك بعض المسائل التي يمكن أن يتميز بها تاريخ الطبري على غيره من التواريخ، ويمكن أن نجملها فيما يأتي:

أ- يعبر الطبري في تاريخه عن فكرة عالمية التاريخ، ووحدته متمثلة بتوالي الرسالات ويؤيد ذلك عنوان كتابه: (تاريخ الأمم والملوك) أو (تاريخ الرسل والأنبياء).

فهو إذن يريد أن يكتب تاريخاً عالمياً لجميع الأمم والملوك، وليس تاريخاً خاصاً بالإسلام، وبجميع الرسالات، وليس خاصاً برسالة الإسلام[٣].

لذا استهل تاريخه بعصر ما قبل التوراة، وفقاً للروايات الإسرائيلية المتأخرة، والتي جمعها من مفسري القرآن الكريم، أما ما يتعلق بملوك الفرس والدولة الساسانية، فقد اعتمد على كتاب (خداينامه) الفهلوي الذي ترجمه ابن المقفع[٤].

---

(١) ينظر لوبون: غوستاف لوبون: فلسفة التاريخ، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف - مصر ص ٥٣-٥٥.

(٢) ينظر كو لنجوود: فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل، القاهرة ١٩٦١م ص ٣٥.

(٣) ينظر عماد الدين: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩١، سيد قطب: في التاريخ الإسلامي فكرة ومنهاج ص ٤٨.

(٤) ينظر بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ٣/٨، تاريخ الشعوب الإسلامية (الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها)، ترجمة نبيه أمين فارس وآخرون، الطبعة الثالثة، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦١م ٢/٣١، وابن

ب- اتبع الطبري في تاريخه نظام الحوليات، الذي هو تنظيم الحوادث على السنين، والشهور والأيام، وهو ضابط انفرد به المسلمون عن غيرهم من شعوب وأمم العالم[١].

قال المؤرخ الإنكليزي (Backle) [٢]:

"إن التوقيت على هذا النحو لم يعرف في أوربا قبل عام ١٥٩٧م".

الطبري مؤرخ محايد:

إن مما يتميز به الطبري، بين المؤرخين هو: حياده التام تجاه الأحداث، يقول جواد علي[٣]:

"وهو مؤرخ محايد، اتبع طريقة جمع الأصول، وتكديسها بعضها على بعض، وتدوينها على صورة روايات المسؤول عنها رجال السند. فهو لم يكن طائفياً، ولا شعوبياً، ولم يتعصب كما تعصب بعض المؤرخين لطائفة، أو جهة معينة".

ويقول أحد المستشرقين[٤]:

"ويمثل الطبري نموذجاً جديداً من المؤرخين وهو، مؤرخ منصف، ولم يكن ميالاً، للشعوبية، ولم يتعصب للشيعة".

اتبع طريقة المحدثين في كتابة التاريخ وهي طريقة الإسناد.

يُعَدُّ تاريخ الطبري أُمّا وأصلا لمن جاء بعده من المدونات التاريخية.

يعدّ تاريخ الطبري؛ المرجع الأصل والأساس في التاريخ الإسلامي، وكل من جاء بعده فهو عيال عليه.

المقفع: هو عبد الله بن المقفع الزنديق الفارسي، قتله محمد بن سليمان والي البصرة، ابن عم المنصور، بأمر منه سنة (١٤٥هـ) ينظر: الجهشياري: محمد بن عبدوس بن عبد الله، ت ٣٣١هـ/ ٩٤٣م، الوزراء والكتاب، مؤسسة الحلبي ١٣٦٦هـ ص ١٠٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٥١ - ١٥٥.

(١) ينظر غربال: محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة - لبنان ١٩٨٠م ١/ ٤٨١، عماد الدين: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩٢، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٨٠.

(٢) ينظر غربال: المصدر السابق ١/ ٤٨١، فتحي عثمان: أضواء على التاريخ الإسلامي ص ١٣٧، أحمد عادل: الطريق إلى دمشق ص ٥١، هرنشو: علم التاريخ ص ٦٧.

(٣) مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٦٦.

(٤) عبد الله فياض: التاريخ فكرة ومنهجاً ص ٢٧.

يقول حاجي خليفة [١]:

"وإنّهُ هو العمدة في هذا الفن".

واعتمد المؤرخون ممن جاء بعده على تاريخه؛ كالخطيب البغدادي، وابن مسكويه، وابن الأثير، وابن خلدون، وأبو الفدا، وابن كثير، والذهبي [٢] وغيرهم.

إيراد كل الروايات المتعلقة بالحادثة الواحدة.

يمتاز الطبري عن بقية المؤرخين؛ بإيراد جميع الروايات المتعلقة بالحادثة من روايات تاريخية، أو إيراد أغلب الروايات عن الموضوع الواحد [٣].

بينما يمتاز تاريخ خليفة بن خياط باختيار المواضيع ويركز على المواضيع المهمة تاركا الروايات الأخرى [٤].

ويمكن أن نعتبر أسلوب الطبري هذا يشير إلى وجهة النقد لديه [٥].

اعتنى الطبري بأخبار المشرق الإسلامي بالتفصيل وتابع الحوادث من معارك، وثورات، وحركات، وأخبار الخلفاء بعناية بالغة.

لكنه لم يُوْلِ العناية الكافية بالحوادث المتعلقة بالأقاليم الغربية من العالم الإسلامي [٦].

تحليل منهج الطبري ومصادره:

يمكن أن نلخص منهج وطريقة الطبري في تاريخه في النقاط الآتية :

١- اتبع الطبري في كتابه في تاريخ ما قبل الإسلام التنظيم حسب توالي الأنبياء ثم الملوك الذين عاصروهم وما كان في عهدهم من أحداث، ثم ذكر الأمم التي أعقبت الأنبياء في الفترة التي

---

(١) ينظر كشف الظنون ١/ ٢٩٧.

(٢) ينظر الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص٣٤.

(٣) ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٦٦، عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩٩، فوزي: عمر فاروق، طبيعة الدعوة العباسية، مكتبة الفكر العربي - بغداد ص٢٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص٢٥، ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٨ (مقدمة الدكتور صالح أحمد علي).

(٥) ينظر: عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ١٩٩.

(٦) ينظر:خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٨ (مقدمة الدكتور صالح أحمد العلي).

تفصل بين عيسى ومحمد عليهما السلام [١].

قال الطبري [٢]:

"وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان من لدن ابتدأ ربنا جل جلاله إلى حال فنائهم، من انتهى إلينا خبره ممن، ابتدأه الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه، من رسول له مرسل، أو ملك مسلط، أو خليفة مستخلف ... بعد تقديمي إمام ذلك ما تقديمه بنا أولى، والابتداء به قبله أحجى، من البيان عن الزمان، ما هو كم قدر جميعه، وابتداء أوله، وانتهاء آخره ؟ ... ثم أنا متبع آخر ذلك كله - إن شاء الله وأيد منه بعون وقوة - ذكر صحابة نبينا محمد ﷺ وأسمائهم وكناهم ومبالغ أنسابهم، ومبالغ أعمارهم، ووقت وفاة كل إنسان منهم، والموضع الذي كانت به وفاته.

ثم متبعهم ذكر من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان، على نحو ما شرطنا من ذكرهم، ثم ملحق بهم ذكر من كان بعدهم من الخلف لهم كذلك، وزائد في أمورهم للإبانة عمن حمدت منهم روايته وتقبلت أخباره، ومن رفضت منهم روايته ونبذت أخباره، ومن وهن منهم نقله، وضعف خبره.

وما السبب الذي من اجله نبذ من نبذ منهم خبره، والعلة التي من أجلها وهن من وهن منهم نقله".

وفيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي، فإن الطبري يتبع - كما سبق - نظام الحوليات، وقد راعى ترتيب الحوادث ترتيبا ابتداء من سنة (١ - ٣٠٢هـ) [٣].

لكن يتبع منهجين مختلفين في التاريخ الإسلامي، فيتبع في أخبار عصر الراشدين على تنظيم مادتها على أساس أن الحوادث، حركات شعبية إسلامية وليست أوامر خليفة، ولذلك يقول عن أحداث سنة (١٦هـ) في عهد عمر رضي الله عنه [٤]:

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٨ (مقدمة الدكتور أحمد صالح العلي)، عماد الدين: المصدر السابق ص١٩٢، الطبري: المصدر السابق ١/ ٢٣ (مقدمة محمد أبو الفضل).

(٢) المصدر نفسه ١/ ٦ - ٧، ولكن من المؤسف أننا لم نجد ما وصف به كتابه بهذا الوصف إلا نادرا، وربما يعود سبب ذلك، إلى أنه أختصر كتابه هذا في الحجم الحالي، بعد أن كان كتابا مطولا كبيرا !!.

(٣) الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٥، عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩٢.

(٤) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ١٠ (مقدمة الدكتور صالح أحمد العلي).

"و في هذه السنة فتح المسلمون ... ولا يقول في عهد عمر أو فتح عمر ".

أما عند كلامه عن الدولة العباسية، فإنه يتبع التنظيم للسنين والخلفاء فيقول مثلا[(١)]: "في هذه السنة فتح الخليفة".

٢- الأخبار التي لا ترتبط بزمن:

منهجه في الأخبار التي لا ترتبط بزمن، كالسيّر مثلا، فإنه بعد أن يذكر الأحداث في عهد كل خليفة، يختتمها باستعراض سيرته دون التقيد بزمن [(٢)].

٣- الاعتماد على السند والرواية :

مثل: حدثني فلان، وإذا كانوا جماعة، حدثنا، ويعتمد أحياناً على المراسلات، فيقول مثلا: كتب الي السَدِّي[(٣)]، عن فلان، عن فلان [(٤)].

أما إذا لم يأخذ الخبر عن طريق الرواية، أي أخذها من الكتب، أو عن طريق الإجازة بالرواية من الكتب، فإنه يهمل اسم المحدث، مثل:

حُدِّثْتُ عن فلان، أو ذُكِر عن فلان أنه قال، وهي صيغ وعبارات لا تستحب عند المحدثين[(٥)].

٤- تساهله في السند في الدراسات الأخيرة:

استخدم في الأجزاء الأخيرة من كتابه صيغا تدل ولاشك على التساهل في السند، مثل: ذكر لي أصحابي.. أو ذكر لي جماعة من أصحابنا.. أو ذكر من رآه وشاهده.. أو حدثني جماعة من أهل.. أو أخبرني جماعة من أهل الخبرة.. الخ.

وهي أحداث وقعت قبيل أيامه أو في أيامه.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه١/ ١٠.

(٢) ينظر عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩٣.

(٣) هو محمد بن مروان، أبو عبد الرحمن، السدي، الأصغر، الكوفي، مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، من الثامنة، صاحب الكلبي متروك الحديث، اتهم بالكذب، ينظر ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٢٦٣، ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين ٣/ ٩٨، المناوي: فيض القدير ٤/ ٢٧٠.

(٤) ينظر: جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥٩، عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩٥.

(٥) ينظر: جواد علي وعماد الدين: المصدران نفسيهما ١/ ١٥٩، ص ١٩٥.

وقد يكون فعل ذلك خوفاً، من محدثيه الأحياء[١]، على أن السند يقلُّ في الأجزاء الأخيرة من الكتاب، حتى ليندر في صفحات متواليات، ربما لأن الطبري، اعتمد فيها على معلوماته الشخصية[٢].

٥- ومن المناهج المهمة التي راعاها الطبري في كتابه إلى حد كبير التوازن الجغرافي والموضوعي في المصادر التي نقل عنها فالروايات التي عالجها الطبري، فضل فيها المصادر القريبة من الحادثة أو على صلة بها[٣].

فعلى سبيل المثال: فيما كتبه ورواه عن ثورة الزكيتين[٤]، آخذ الروايات من أهل الحجاز، ومن أهل العراق، خاصة أهل الكوفة، فهو بهذا يعرض لنا روايات علوية، واخرى عباسية، وثالثة محايدة لكي يقف الناقد البصير على تلك الروايات ويستخدم معها مناهج المحدثين، ويقف على الرواية الصحيحة منها[٥].

٦- النقل من الكتب:

يستخدم أحياناً صيغا تدل على أنه ينقل عن الكتب مباشرة وبلا واسطة، مثل قوله[٦]:

قال ابن الكلبي، أو قال محمد بن إسحاق، أو ذكر الواقدي، وذكر أحياناً المراجع الكتابية لكنها قليلة جدا.

٧- مصادره:

إن من يتمعن بصورة دقيقة تاريخ الطبري يجده أنّ مصادره متعددة ومختلفة. فالروايات التي تتعلق بما قبل الإسلام رواها عن جماعة، والروايات التي تتعلق بالسيرة والمغازي أخذها عن جماعة آخرين.

---

(١) ينظر: نفسيهما١/ ١٦٥، ص ١٩٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ١٩٥، ٢١٥، وقد ذكر أهم الروايات التي سجلها الطبري بدون إسناد، ينظر التفصيل: المصدر نفسه ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٢٢.

(٤) وهي ثورة عبد الله بن حسن وأخيه؛ إبراهيم المشهورين بذي النفس الذكية، كانت سنة (١٤٥هـ) في عهد أبي جعفر المنصور، ثاني خلفاء بني العباس. ينظر الطبري: المصدر السابق ٧/ ٥٢٢ وما بعدها.

(٥) ينظر عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ٢٢٣.

(٦) ينظر جواد علي: المصدر السابق ١/ ١٦٥، عماد الدين: المصدر السابق ص ١٩٥.

وكذلك الروايات التي تتعلق بأخبار الراشدين، وبني أمية، وبني العباس، فإن مصادرها متعددة.

يقول محمد أبو الفضل[١]:

"وأخذ من كل متخصص في فنه، أخذ التفسير عن مجاهد[٢]، وعكرمة وغيرهما، ممن نقل عن ابن عباس. ونقل السيرة عن أبان بن عثمان، وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد[٣]، وموسى بن عقبة[٤]، وابن إسحاق.

وروى أخبار الردة، والفتح، عن سيف بن عمر التميمي.

وحوادث يومي الجمل[٥]، وصفين[٦]، عن أبي مخنف، والمدائني.

وتاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم.

وأخبار العباسيين من كتب؛ أحمد بن أبي خيثمة.

كما أخذ أخبارالعرب قبل الإسلام، من عبيد بن شريه الجرهمي[٧]، ومحمد بن كعب القرظي[٨]،

---

(١) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠.

(٢) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي، المفسر الإمام، ثقة توفي بين (١٠١ - ١٠٤هـ) ينظر الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٣٦٩، الداودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) طبقات المفسرين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ٢/ ٣٠٥ -٣٠٨ (٦١٧).

(٣) شرحبيل بن سعد الخطمي أحد رواة وكتاب السير، ضعيف (ت ١٢٣هـ) ينظر النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ١٣٣ (٣٠٥)، ابن حجر: لسان الميزان، الطبعة الثانية، مؤسسة الاعلمي - بيروت ١٣٩٠هـ/٧ /٢٤٢.

(٤) صاحب المغازي، ثقة، فقيه امام (ت ١٤١هـ) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ٢/ ٤٣٦، الذهبي: العبر ١/ ١٤٨، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٢٨٦ (١٤٨٦).

(٥) كانت وقعة الجمل سنة ٣٦هـ وكانت بين علي وعائشة ﷺ، ينظر الطبري: المصدر السابق ٤ / ٤٥٦ - ٥٥٥، العرموش: أحمد راتب، الفتنة ووقعة الجمل، الطبعة الرابعة، دار النفائس - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ١٥٥ -١٨٣.

(٦) كانت سنة ٣٧هـ وكانت بين علي ومعاوية ﷺ، ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ٥ -٧١.

(٧) راوية، إخباري (ت نحو ٦٧هـ) لم أقف له على جرح أو تعديل في حقه، ينظر ابن النديم: الفهرست ص ١٣٢، الحموي: معجم الأدباء ٥/ ١٠ -١٣.

(٨) الكوفي، كان تقيا عالما، روى عن كبار الصحابة، ثقة ورع توفي (بين ١١٧ - ١٢٠هـ) وقيل غير ذلك، ينظر الذهبي: العبر ١/ ١٠١ -١٠٢، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٣٥٧.

ووهب بن منبه، وأخبار الفرس من الترجمات العربية من كتب الفرس، ولا سيما كتب ابن المقفع وابن الكلبي وغيرها "[١].

وهؤلاء كما يقول الدوري [٢]:

"متباينون في الدقة والاتجاه والأسلوب وفي طريقة الرواية، وكل يحتاج إلى دراسة تاريخية خاصة".

مشاركته في نقد الروايات وعدمها:

الطبري محدث، وأصولي، وفقيه، ومفسر، ثم مؤرخ مسلم، ينصب اهتمامه على السند حيث يثبته في كل خبر أو رواية، مهما كانت صغيرة، أو تافهة، خاصة في أخبار المراحل الأولى من الفترة الإسلامية، أما فيما بعد ذلك، فنجد أنه يميل إلى الأخذ عن كتب شتى بدون إسناد، ربما لقرب عهده نسبيا بالأحداث من جانب، ومن جانب آخر لكثرة المدونات والوثائق عنها [٣].

من مظاهر النقد الخارجي عند الطبري، إيراده عدة روايات عن الموضوع الواحد، وهو بذلك يريد المقابلة بين الروايات وذلك كثير في كتابه[٤].

فهو يستعمل تعبير: (واختلفوا في ذلك)، ثم يعقبه بإيراد الروايات المختلفة حول الحادثة الواحدة، مثل[٥]: " اختلف في قدوم إبراهيم[٦] البصرة فقال بعضهم ...".

ومثل [٧]: "فذكر بعض أهل بغداد ...وذكر عمرو بن سعيد ...وذكر بعضهم".

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ١/ ٢٤ (المقدمة)، وينظر كذلك الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠، عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات ص ١٩٦ - ١٩٧، خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ١١ (مقدمة الدكتور صالح أحمد العلي).

(٢) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠.

(٣) ينظر عماد الدين: المصدر السابق ص ٢١٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢١٧.

(٥) تاريخ الأمم والملوك٧/ ٦٣٤.

(٦) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، خرج على المنصور مع أخيه محمد ذو النفس الزكية وقتل (سنة ١٤٥هـ) بباخمرى، ينظر الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة - بيروت ص ٣١٥ - ٣٨٦، الذهبي: تاريخ الإسلام ص ٣٦ -٤٤ (حوادث ١٤١ -١٦٠هـ).

(٧) الطبري المصدر السابق ٥/ ٥٠ - ٥١ (ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ).

ويستعمل الطبري تعابير أخرى تتضح خلالها وجهته النقدية هذه [١] مثل [٢]:

"وقد قيل في هلاك قحطبة[٣] قول غير الذي قاله، من ذكرنا قوله، من شيوخ علي بن محمد، والذي قيل من ذلك أن ...".

وهذه النماذج من عنصر النقد والمقابلة يتكرر في عدد من المواضيع.

ومثل آخر عن ولاة الأقاليم أو عزلهم[٤]، ومثال آخر في تاريخ وفاة المنصور[٥]:

" واختلف في تاريخ وفاته فقال أبو معشر[٦]: حدثني أحمد بن ثابت الرازي[٧] عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى[٨] ...و روى ابن بكار[٩] أنه قال: ... وقال الواقدي: كانت مدة ولايته ...و قال عمر بن شبه[١٠]: كانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ثلاثة ليال".

---

(١) ينظر: عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ٢١٨.

(٢) الطبري: المصدر السابق ٧/ ٤١٥.

(٣) قحطبة بن شبيب الطائي، أحد نقباء دعوة بني العباس الاثني عشر، قائد شجاع، غرق في الفرات (سنة ١٣٢هـ) في وقعة مع ابن هبيرة، ينظر الطبري: المصدر السابق ٧/ ٤١٥ - ٤١٧، ابن الأثير: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م) الكامل في التاريخ، دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ٤/ ٣٢٠-٣٢١.

(٤) ينظر: عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ٢١٨.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٨/ ٦٢.

(٦) نجيح بن عبد الرحمن السندي، صاحب المغازي، كان أميا، يتقى من حديثه المسند، ضعيف بالاتفاق، مع جواز كتابة حديثه (ت ١٧٠هـ) ينظر النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ٢٣٥ (٦١٨)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٢٤٦ -٢٤٨ (٩٠١٧).

(٧) فرخويه، كذبه ابن أبي حاتم، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٦٢، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٨٦ (٣١٤).

(٨) بن نجيح البغدادي، صدوق لا باس به (ت ٢١٤هـ) ينظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٢٤٥ (٤٥٩)، التقريب ١ / ٦٠ (٤٢٤).

(٩) زبير بن بكار بن عبد الله، قاضي المدينة ثقة (ت ٢٥٦هـ) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٨/ ٤٦٧ -٤٧١ (٤٥٨٥)، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٢٥٧ (١٦).

(١٠) عمر بن زيد بن عبيدة، اخباري، شاعر، ثقة (ت ٢٧٦هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ١١/ ٢٠٨ -٢١٠ (٥٩١٤)، ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٤٦٠ - ٤٦١ (٧٦٧)، وقد أخطأ ابن حجر في تاريخ وفاته حيث جعله ٢٠٢هـ!.

من ذلك استخدامه بعض التعابير التي تنّمُ عن ترجيح بعض الروايات على الأخرى، أو بعبارة أخرى، تقوية بعض الروايات وتضعيف أخرى.

مثل قوله: قال أبو جعفر:

والصحيح عندنا في ذلك، أو أنا أشك في ذلك، أو حينما يستخدم صيغ الشك والتضعيف، مثل وقد زعم[١] بعضهم، أو قيل، أو حدثت، أو في قول فلان أو وأما فلان فإنه ذكر، فإنه يبدي وجهته النقدية تجاه الحادثة[٢].

---

(١) ورد عن النبي ﷺ (بئس مطية الرجل زعموا)، قال الونشريسي: أي أن هذه الكلمة مطية الكذب كأنها مظنته، ينظر: الونشريسي: أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، دار المغرب الإسلامي - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ١٢/ ١٣٦، وينظر الحديث السجستاني: سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م) سنن أبي داود، دار الحديث - القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ٤/ ٢٩٥ (٤٩٧٢).

(٢) ينظر جواد علي: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٦٨، ولم يعتبر ذلك نقدا بالمعيار العلمي الصحيح، وينظر كذلك عماد الدين خليل: المصدر السابق ص ٢١٩.

المبحث الثاني

نقد السند

بدايته وظهوره:

١- السند لغة واصطلاحا:

السند لغة:

من سند الشيء يسند سنودا، واستند، وتساند، واسند غيره، وكل شيء أسندت إليه شيئاً، فهو مسند [١].

والإسناد في الحديث: رفعه إلى قائله[٢].

وفي الاصطلاح:

قال الحاكم[٣]:

"المسند من الحديث أن يرويه المحدث عن شيخ يظهر سماعه منه لسن يحتمله وكذلك سماع شيخه من شيخه إلى أن يصل الإسناد إلى صحابي مشهور إلى رسول الله ﷺ ".

وقال الخطيب [٤]:

"هو ما اتصل إلى منتهاه ".

وحكي عن ابن عبد البر[٥]:

"أنه المروي عن رسول الله ﷺ، سواء كان متصلا أو منقطعا ".

---

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٢١٥ (سند).

(٢) ينظر: الرازي: مختار الصحاح ص ٣١٦ (س ن د).

(٣) ينظر: الحاكم: معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسين، الطبعة الثالثة، دار الآفاق - بيروت ١٩٧٩م ص ١٧.

(٤) ينظر: الكفاية في علم الرواية، مراجعة عبد الحليم محمد، وعبد الرحمن حسن، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة - القاهرة ص ٥٦.

(٥) شاكر؛ أحمد محمد، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ٤٢.

وقد أشار الإمام ابن الصلاح الشهرزوري الكردي، بأن أقرب الأقوال إلى الصواب هو[١]: "القول الأول[٢]، ولا فرق بين الإسناد والسند عند الجمهور[٣] وقد لخصه بعضهم بأنه: الطريق الموصل إلى المتن".

والمسند من كتب الحديث:

يراد به جمع أحاديث كل الصحابة بالنسبة إلى مؤلفه (أي جعل حديث كل صحابي على حدة)، صحيحا كان أو حسنا أو ضعيفا، مرتبين على حروف الهجاء في أسماء الصحابة... أو على القبائل، أو السابقة في الإسلام، أو الشرافة النسبية[٤].

وأكبر مؤلف عرفناه في تاريخ الحديث هو مسند الإمام أحمد بن حنبل، لكن الكتاني يذكر أن هناك مسندان أكبر وأعظم من مسند الإمام أحمد وهما[٥]:

أ- مسند أبي علي الحسين بن محمد الماسرجسي[٦] يقع في (١٣٠٠) جزءا.

---

(١) السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٤١ (المطبعة الخيرية ١٣٠٧هـ)، التهانوي: ظفر أحمد بن لطيف، قواعد في علوم الحديث، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة، دار العلم - بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٢٦.

(٢) ينظر: ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص ٢١.

(٣) العمري: خليفة بن خياط، موارده وكتابه الطبقات (رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الاداب - جامعة بغداد)، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م ص ٢٣ (المقدمة).

(٤) ينظر: ابن حجر العسقلاني: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، المطبعة العصرية - الكويت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ص ٤، وموضوع هذا الكتاب هو: استعراض أحاديث ثمانية مسانيد كاملة هي: مسانيد الطيالسي، والحميدي، وابن أبي عمر، ومسدد، وابن منيع، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ، وابن أبي اسامة، وأضاف إليها من مسند أبي يعلى (بروايته المطولة) ومسند إسحاق بن راهويه (من نصفه الذي وقف عليه) فاستخرج الأحاديث الزوائد فيها على ما في الكتب الستة ومسند أحمد، ثم رتب تلك الأحاديث على ترتيب الأبواب الفقهية خلافا لترتيب المسانيد المستمد منها، ينظر: المطالب العالية ص ف. و هناك مؤلف آخر يشبه المطالب العالية وهو، اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت ٨٤٠هـ) وقد حقق من قبل طالب الدكتوراه سليمان بن عبد العزيز العريني، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، ينظر: المرتضى: الزين أحمد، مناهج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة والضعيفة، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد - الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م ص ٤٢٩، أما الكتب المؤلفة في ذلك فهي تربو على ثمانين مؤلفا، ينظر: الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ٦١ -٧٦.

(٥) ينظر الكتاني: المصدر السابق ص ٧٣ - ٧٤.

(٦) أحد كبار الحفاظ (ت ٣٦٥هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٥٥ -٩٥٦ (٩٠٠)، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٢٨٣.

ب- مسند أبي حفص عمر بن أحمد البغدادي، المعروف بابن شاهين[١] في (١٦٠٠) جزءا.

٢ـ عبارات نقد السند:

عبارات أئمة الحديث في التوثيق والتضعيف، وهي عبارات كثيرة ومختلفة، ولها مراتب، ولكل مرتبة من هذه المراتب ألفاظ يمكن للمحدث أن يحكم من خلالها على الرواة، بالتوثيق أو التجريح[٢].

ومن هذه العبارات التي يستعملها أهل الحديث، الدالة على قوة الإسناد قولهم مثلا: إسناده صالح، إسناده جيد، رواته ثقات، له علة غير مؤثرة.

ومن العبارات الدالة على ضعف الإسناد قولهم: إسناده ليس بقوي، في إسناده لين، فيه انقطاع، إسناده ضعيف، إسناده واه، إسناده مظلم ...الخ[٣].

وأحياناً يبينون سبب ضعف السند بتعيين ضعف أحد رواته مثل قولهم في داود بن عطاء[٤]: وداود ضعيف[٥]، وهذا النقد يؤدي في النهاية إلى إصدار أحكام دقيقة للغاية من قبل أئمة هذا الشأن تبين مرتبة الحديث، مثل قولهم: حديث صحيح، أو صحيح غريب، أو حسن، أو غريب، أو غريب جدا، أو منكر، أو موضوع ...الخ[٦].

٣ـ اختصاص الأمة بالإسناد:

إنّ الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الأمة، وسنة من سنن الدين وبه حفظ الله دينه وشريعته.

"إن الله تعالى أكرم هذه الأمة بالإسناد وليس لأحد من الأمم إسناد، إنما هو صحف في أيديهم وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل وبين ما

---

(١) من كبار الحفاظ في عصره ت ٣٨٥هـ، ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ١١/ ٢٦٥ -٢٦٧ (٦٠٢٨)، الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٨٧ - ٩٩٠ (٩٢٣).

(٢) ينظر ص ٣٣٩.

(٣) ينظر الذهبي: سير إعلام النبلاء ١/ ١٢٤.

(٤) أبو سليمان المزني المدني، ضعيف، من الطبقة الثامنة، ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ١٢ (٢٦٣١)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٣٣ (٢٨).

(٥) ينظر الذهبي: سير اعلام النبلاء ٢/ ١١.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٢٥.

ألحقوه بكتبهم من الأخبار التي أخذوها من غير الثقات، وهذه الأمة إنما تنص الحديث من الثقة المعروف في زمانه بأنه المشهور بالصدق والأمانة عن مثله حتى تتناهى أخبارهم، ثم يبحثون اشد البحث حتى يعرفوا الأحفظ فالأحفظ والأضبط فالأضبط والأطول مجالسة لمن كان فوقه ممن كان أقل مجالسة ثم يكتبون الحديث من عشرين وجها أو أكثر حتى يهذبوه من الغلط ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا، فهذا من أفضل نعم الله على هذه الأمة "[١].

قال الزرقاني[٢]:

"لم يكن في امة من الأمم منذ خلق الله ادم امة يحفظون أثار نبيهم وانساب خلفهم[٣] كهذه الأمة".

بل جعل أئمة المسلمين الإسناد عمود الدين، والوسيلة التي بها يمكن الوصول إلى الغاية فهو سلم لمن يرتقي السطح، وسلاح لمن يحارب.

قال ابن المبارك[٤]:

"الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[٥].

---

(١) القاري: علي بن سلطان بن محمد الهروي (ت ١٠١٤هـ/ ١٦٠٦م) شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الاثر، دار الكتب العلمية -بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص ١٩٤، وينظر كذلك الزرقاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م) شرح المواهب اللدنية للقسطلاني، طبعة بولاق ١٢٩١هـ ٥/ ٤٥٣، الصنعاني: محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م) توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار، مطبعة السعادة - مصر ١٣٦٦هـ ٢/ ٣٩٩.

(٢) شرح المواهب اللدنية ٥/ ٤٥٤، وينظر كذلك اللكنوي: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ص ٢٤.

(٣) لعله انساب سلفهم، وربما حصل هذا الوهم من أحد النساخ.

(٤) ينظر ترجمته ص ٣٢٢. قال عبد الله بن المبارك: (الإسناد عندي من الدين لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فإذا قيل له: من حدثك ؟ بقي) أي بقي ساكتا، أو بقي حيرانا كما قال المباركفوري، وقال أيضاً: وفي بعض النسخ يقي، أي يصون نفسه عن التحدث بلا إسناد، ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٥٤.

(٥) ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م، الجرح والتعديل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٧١هـ ١/ ١٦، الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٦، الخطيب: تاريخ بغداد ٦/ ١٦٦، ابن الصلاح: المقدمة ص ٢١٥، النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف، ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، شرح صحيح مسلم، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ١/ ٨٧، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، مطبعة الحسينية ١٣٢٤هـ ١/ ١٨٧.

وقال أيضاً [١]:

"مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم".

وعن إسحاق بن إبراهيم قال [٢]:

"كان عبد الله بن طاهر [٣] إذا سألني عن حديث فذكرته له بلا إسناد، سألني عن إسناده، ويقول: رواية الحديث بلا إسناد من عمل الزمني".

وقال سفيان الثوري [٤]:

"الإسناد سلاح المؤمن، فإذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل" [٥].

وقد أشاد بعض المستشرقين بعظمة هذا العلم وانفراد المسلمين به، ومنهم شبرنجر، ومرجليوث، وكولدتسهير، وغيرهم [٦] والفضل ما شهد به الأعادي.

حينما وضع المسلمون أسس النقد قبل مئات السنين وسبقوا أمم الأرض في ذلك [٧]، لم يعرف الغرب الإسناد إلاّ في أواخر القرن التاسع عشر، حيث ظهر النقد التاريخي على يدي (شارل لانجلو، وسنيوبوس) الفرنسيان، لذا كان اعتماد علماء المسلمين في كل أمر ديني أو خبر

---

(١) الخطيب: الكفاية ص ٣٩٣، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمد رأفت سعيد، مكتبة الفلاح - الكويت ١٩٨١م ٢/ ٢٧١.

(٢) الزرقاني: شرح المواهب اللدنية ٥/ ٤٥٣.

(٣) لعله: عبد الله السهمي الباهلي، أبو وهب المصري ت ٢٠٨هـ، ينظر ابن عماد: الشذرات ٢/ ٢٠.

(٤) ينظر ترجمته ص ٣٢١.

(٥) السخاوي: شرح الألفية ص ٣٣٥، السيوطي: تدريب الراوي ٢/ ١٦٠.

(٦) ينظر ص ٣١٩-٣٢٠.

(٧) إن القرآن الكريم هو أول مصدر من مصادر المسلمين، الذي تكلم عن نقد الروايات، يقول ابن تيمية في تفسير قوله تعالى:
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [الكهف: ٢٢]
(فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى اخبر عنهم، بثلاثة أقوال، ضعف القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدل على صحته، إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، مقدمة في أصول التفسير، مطبعة الترقي - دمشق ١٩٣٩م ص ٣٢، وينظر كذلك رستم: أسد رستم: مصطلح التاريخ، الطبعة الثالثة، المطبعة العصرية - لبنان - صيدا ص ٥٤.

مهم الإسناد[١].

"فهذه العبارة بصراحتها أو بإشارتها تدل على أنه لابد من الإسناد في كل أمر من أمور الدين، وعليه الاعتماد، أعم من أن يكون ذلك الأمر من قبيل الأخبار النبوية، أو الأحكام الشرعية، أو المناقب والفضائل، والمغازي، والسير، والفواضل، وغير ذلك من الأمور التي لها تعلق بالدين المتين والشرع المبين، فشيء من هذه الأمور لا ينبغي عليه الاعتماد، ما لم يتأكد بالإسناد، لاسيما بعد القرون المشهود لهم بالخير "[٢].

٤ـ الاهتمام والسؤال عن الإسناد:

لم يكن الكذب أمرا معهودا أو معروفا عند أصحاب رسول الله ﷺ، حيث كان دوي آيات القرآن الكريم مستمرا على مسامعهم ليل نهار وهو يلعن الكذابين على الله:

﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

كما كان تحذير رسول الله ﷺ لكل صحابي رضي الله عنه ما زال يرّن في أذنيه [٣]:

(مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

وقد ثبت أن أصحاب النبي ﷺ كلهم عدول[٤] وأن الله تعالى رضي عنهم ورضوا عنه، عن عبد الله بن مسلمة بن أسلم [٥] قال [٦]: "ما كنا نتهم أن أحدا يكذب على رسول الله ﷺ متعمدا

---

(١) نصر: الصديق بشير: ضوابط الرواية عند المحدثين، الطبعة الأولى، منشورات كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس (الغرب) ١٩٩٢م ص ٦٢.

(٢) الأجوبة الفاضلة ص ٢٧.

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأهل السنن ينظر الحميدي: محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: د. علي حسين البواب، ط٢، دار النشر/ دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ٣/ ٣١٨ (٢٩١٥) السيوطي: الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ٢/ ٦٤١ (٨٩٩٣)، قال ابن كثير ومن العلماء من كفر متعمدا الكذب على النبي ﷺ ومنهم من يحتم قتله، ينظر: أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٧.

(٤) ينظر ص٣٢٦ وما بعدها.

(٥) ضعفه بعض أهل العلم، ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣١ (٤٣٦٢).

(٦) ابن عدي: عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م) الكامل في ضعفاء الرجال، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت ١٤٠٤هـ ١/ ٥٠، العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة، الطبعة الثانية، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٤٥.

حتى جاءنا قوم من أهل المشرق فتحدثوا عن أصحاب النبي ﷺ والذين كانوا عندهم[١] بأحاديث لا نعرفها فالتقيت أنا ومالك بن أنس فقلت: يا أبا عبد الله، والله إنه لينبغي لنا أن نعرف حديث رسول الله ممن هو ؟ وعمن أخذنا ؟.

فقال: صدقت يا أبا سلمة، فكنت لا اقبل حديثاً حتى يسند لي، وتحفظ مالك بن أنس الحديث من ايامئذ فجئت عبد الله بن الحسن[٢] في السويقة، فقال لي: يا ابن سلمة بن أسلم ما بلغني أنك تحدث، تقول: حدثني فلان عن فلان ؟.

قلت: بلى خلط علينا شيعتكم من أهل العراق وجاؤونا بأحاديث عن بعض أصحاب النبي فحدثته بعض ما حفظت فتعجب له، وقال [٣]: "أصبت يا ابن أخي فزادني في ذلك رغبا".

لذلك كان الصحابة يروي بعضهم عن بعض دون أن يسأل ممن سمعه ومتى سمعه ؟.

يقول البراء[٤]:

"ما كل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ومنه ما حدثنا أصحابنا ونحن لا نكذب".

كان السؤال عن الإسناد في أغلب الأحيان في البداية مدعاة للسخرية أو الغضب وكان أنس بن مالك[٥] إذا سئل عن حديث اسمعه من رسول الله ﷺ يغضب ويقول[٦]:

"ما كان بعضنا يكذب على بعض".

---

(١) أي في بلادهم.

(٢) بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثقة جليل القدر قتل (سنة ١٤٥هـ) ينظر الأصبهاني: مقاتل الطالبيين ص ١٩٦، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤٠٩ (٢٥٤).

(٣) الكفاية في علم الرواية ص ٥٥٩.

(٤) هو براء بن عازب بن الحارث الأنصاري صحابي جليل (ت ٧٢هـ) ينظر ترجمته وقوله، ابن حجر: الإصابة ١/ ١٤٢ -١٤٣ (٦١٨)، تقريب التهذيب ١/ ٩٤ (١٦).

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم النبي وهو آخر من مات من الصحابة في البصرة (ت ٩١هـ) في أغلب الروايات، ينظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/ ٧٠١ - ٧١٤ (١٠٤)، ابن حجر: الإصابة ١/ ٧١ - ٧٢ (٢٧٧).

(٦) ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٨، السخاوي: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، طبعة أنوار محمدي، لكنو - الهند ١٣٠٣هـ ١/ ١٣٥، العمري: المصدر السابق ص ٤٥.

بل الكذب كان نادرا حتى في جيل التابعين لأن الغالب عليهم الصدق، والجمهور الأعظم منهم كانوا على سيرة الصحابة حيث وصفهم النبي ﷺ بقوله[١]: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ).

حين سئل الحسن البصري[٢] (ت١١٠هـ) عن إسناد مراسليه تعجب، قال رجل للحسن[٣]: " أنك تحدثنا فتقول: قال رسول الله ﷺ ولو كنت تسند إلى من حدثك ؟

فقال له: إنا والله ما كذبنا ولا كذبنا ولقد غزوت غزوة إلى خراسان ومعنا ثلثمائة من أصحاب محمد ".

فعلل عدم إسناده لحديثه بأنه تلقى ذلك من أصحاب محمد، وأنهم أصحاب صدق وورع لا يكذبون[٤].

إنّ الذي قلناه لا يؤخذ على إطلاقه فهناك حالات كان بعض الصحابة والخلفاء الراشدون يسألون عن الإسناد ويتثبتون منه[٥]، مما يدل على أن هناك سؤلا عن الإسناد في تلك الفترة وإن لم يكن على النحو الذي عرف متأخرا فهذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يشدد مع صحابي جليل ويريد أن يطمئن من حديث يرويه عن النبي ﷺ في الاستئذان ويطلب منه البينة والشهود على ذلك.

أن تحديد بداية السؤال عن الإسناد، لا يمكن الجزم به ولكن كما يبدو أن ذلك كان في أعقاب الفتنة الكبرى بعد استشهاد سيدنا عثمان رضي الله عنه حيث ظهرت الأهواء والتعصب والتحزب[٦] وكان

---

(١) ينظر الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ١/ ١٢٠ (٢٦١).

(٢) ينظر ترجمته ص ٤١٨.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٥١.

(٤) ينظر ص ٢٧٠.

(٥) الحديث: أن أبا موسى استأذن على عمر رضي الله عنه ثلاثا فلم يؤذن له فانصرف فأرسل إليه عمر: ما ردك ؟ قال: استأذنت الاستئذان الذي أمرنا به رسول الله ﷺ ثلاثا فإن أذن لنا دخلنا، وان لم يؤذن لنا رجعنا قال، فقال: لتأتيني على هذا ببينة أو لأفعلن فأتى مجلس قومه، فناشدهم فشهدوا له فخلى سبيله، ينظر ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر ٢/ ١٢٢١ (٣٧٠٦)، وينظر البخاري كتاب الاستئذان ومسلم الاستئذان أيضاً.

(٦) ينظر العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٤٣ -٤٤، خليفة بن خياط: الطبقات ص ٢٣ (الأطروحة)، البشير: ضوابط الرواية ص ٦٤.

ذلك إيذانا وبداية لظهور الوضع، والكذب على رسول الله ﷺ ومن هنا بدأ السؤال عن الإسناد، يقول محمد بن سيرين[(١)] (ت ١١٠هـ)[(٢)]:

" لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم".

لكن هذا كما يقول العلامة الدكتور أكرم العمري[(٣)]: لا يعني أن كل الأحاديث كانت تروى بأسانيد تامة.

أن الإلحاح على الإسناد زاد يوما بعد يوم خاصة بعد جيل الصحابة وكبار التابعين ومع ظهور الوضاعين والخوف على سنة رسول الله ﷺ وبذلك أصبح الإسناد ضرورة شرعية دينية لا مناص منها[(٤)].

وأصبح التابعون يسألون عن الإسناد بدقة، يقول يحيى بن سعيد القطان[(٥)]:

"أن أول من فتش عن الإسناد هو عامر الشعبي[(٦)] (١٧ - ١٠٣هـ)، سيد التابعين حينما قرأ الربيع بن خثيم[(٧)] عليه حديثاً قال الشعبي: فقلت من حدثك ؟ قال: عمرو بن ميمون[(٨)] وقلت

---

(١) أبو بكر محمد بن سيرين البصري أحد الفقهاء الزهاد ثقة ثبت (ت ١١٠هـ) ينظر ابن قتيبة: االمعارف ص ١٩٥ -١٩٦، الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، ت ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م، طبقات الفقهاء، تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت ١٩٧٠م ص ٦٧، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٧٧ -٧٨ (٧٤).

(٢) ابن عدي: المصدر السابق ١/ ٣٩، ابن حبان: كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الوعي - حلب ١٣٩٦هـ ٢/ ٢٧ - ٢٨، الرامهرمزي: حسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، الطبعة الأولى، دار الفكر - بيروت ١٣٩١هـ ١/ ١٢، النووي: شرح صحيح مسلم ١/ ٨٤.

(٣) ينظر: بحوث في السنة المشرفة ص ٤٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٤٤.

(٥) ينظر الرامهرمزي: المحدث الفاصل ١/ ١٢.

(٦) أختلف في وفاته على خمسة أقوال وكلها قريبة (بين ١٠٣ - ١٠٧) ينظر: ابن قتيبة: المعارف ص ١٩٨ - ١٩٩، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٢٤٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ١٢ - ١٦ (٣١٧)، ابن تيمية: منهاج السنة ١/ ٧.

(٧) الربيع بن خثيم توفي في ولاية عبد الله بن زياد على الكوفة (سنة ٦١هـ وقيل ٦٣هـ) ينظر ابن سعد: المصدر السابق ٦/ ١٩٣، خليفة بن خياط: الطبقات ص ١٤١.

(٨) هو عمر بن ميمون الأزدي كان صالحا قانتا تابعيا (ت ٧٤هـ وقيل ٧٥هـ) وقيل الاودي، ينظر ابن قتيبة: المعارف ص ١٨٨، الذهبي: العبر ١/ ٦٣.

له: من حدثك؟ فقال: أبو أيوب[١] صاحب رسول الله ﷺ. قال يحيى بن سعيد: وهذا أول ما فتش عن الإسناد".

وكان حرص التابعين وخاصة كبارهم شديداً على ذلك بحيث يعتبرون كل من لا يسند حديثه خاطئا وجريئا على الله، وعلى رسوله ﷺ.

عن عتبة بن أبي حكيم[٢] أنه كان عند إسحاق بن فروة[٣] وعنده الزهري قال: فجعل ابن أبي فروة يقول[٤]: "قال رسول الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ.

قال له الزهري: قاتلك الله يا ابن أبي فروة، ما أجرأك على الله لا تسند حديثك ؟ تحدثنا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة".

وكان الزهري[٥] وهو من صغار التابعين (ت ١٢٤هـ) مثل بعض سلفه من كبار التابعين يتشدد في السؤال عن الإسناد حتى ذهب بعض العلماء ومنهم مالك أنه: أول من فتش عن ذلك[٦].

يبدو إن القصد منهم أول من فتش في بلاد الشام، هو: الزهري.

ويتضح ذلك في تساهل أهل الشام في الإسناد حتى قال الزهري وهو يخاطب أهل الشام[٧]: "يا أهل الشام ما لي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم ؟ قال الوليد بن مسلم[٨]: وتمسك

---

(١) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري صحابي جليل (ت ٥١هـ وقيل ٥٢هـ) ينظر الذهبي: تاريخ الإسلام ص ١٤٧ (حوادث ٤١ -٦٠هـ)، ابن حجر: الإصابة ١/ ٤٠٥ - ٤٠٦ (٢١٦٣).

(٢) وهو عتبة بن أبي حكيم الهمداني، صدوق كثير الخطأ (توفي بحدود ١٤٠هـ) ينظر النسائي: كتاب الضعفاء والمتروكين ص ١٧٤ (٤٣٦)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٨ (٥٤٦٩).

(٣) هو إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة متروك (ت ١٤٤هـ) ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ١/ ٣٧٢، الضعفاء الصغير، تحقيق محمود زايد، نشر دار الوعي - حلب ١٣٩٦هـ ص ١٧.

(٤) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٦.

(٥) أحد كبار المحدثين والفقهاء، واحد أعلام التابعين، رأى عشرة من الصحابة ﷺ، ينظر: ابن قتيبة: المعرف ص ٢٠٨، أبو نعيم: حلية الأولياء ٣/ ٣٦٠ - ٣٨١ (٣٤٨)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ١٧٧ - ١٧٩ (٥٦٣).

(٦) ابن أبي حاتم: تقدمة المعرفة، الطبعة الأولى، دار المعارف العثمانية - حيدر اباد ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م ص ٢٠.

(٧) السباعي: مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٣٩٣، العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٤٦.

(٨) هو الوليد بن مسلم القرشي الدمشقي ثقة، يدليس (ت ٩٤هـ أو ٩٥هـ) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٤٧ - ٣٤٨ (٩٤٠٥)، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٣٣٦ (٨٩).

أصحابنا بالإسناد من يومئذ ".

وهكذا أصبح الإسناد فاشيا وطاغيا في أوائل القرن الثاني الهجري وأصبح منهجا يلتزم به المحدثون.

قال ابن سيرين [(١)]:

"إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ".

وقال أيضاً [(٢)]:

"بيننا وبين القوم القوائم، يعني الإسناد".

وقال شعبة [(٣)]:

"كل حديث ليس فيه: إنا، وثنا، فهو خل وبقل أي طعام غير نافع".

حاول بعض المستشرقين تفسير الفتنة التي ذكرناها بالفتنة التي هاجت سنة (١٢٦هـ) بعد مقتل الوليد بن يزيد[(٤)] كما ذهب إلى ذلك شاخت (shecht) وفرض حول ذلك افتراضات بعيدة عن الواقع[(٥)].

ويرى (ج. روبسون) (robsan) أن ما توصل إليه (هورفتس) هو الأقرب للصواب أي أن الفتنة المقصودة في كلام ابن سيرين هي فتنة ابن الزبير[(٦)] سنة (٧٢هـ) حينما أعلن نفسه خليفة، بحجة أن مولد ابن سيرين يتفق مع وصف الإمام مالك لخروج ابن الزبير بأنه فتنة [(٧)].

---

(١) شرح صحيح مسلم ١/ ٨٤.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٨٨.

(٣) الكفاية في علم الرواية ص ٢٨٣.

(٤) ابن عبد الملك (الخليفة) قتل (سنة ١٢٦هـ) ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٧/ ٢٥٢ - ٢٥٣، الذهبي: العبر ١/ ١٢٣ - ١٢٤.

(٥) Schacht, the origins of muhammadan juris prud ence, p. 36 -37 ، العمري: المصدر السابق ص ٤٤.

(٦) عبد الله بن الزبير بن العوام، صحابي جليل، أحد الشجعان الأبطال، أحد العبادلة الأربعة، بويع له بالخلافة بعد موت يزيد (قتل سنة ٧٣هـ) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٠٠ -٣٠٧، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٠٩ - ٣١١ (٤٦٨٢).

(٧) Robson, the isnad in muslim traiution, glasgow univ, or, soc, trans (1953 - 54), p. 15 - 26، هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها ص ٢٣، العمري: المصدر السابق ص ٤٧ -٤٨، خليفة بن خياط: الطبقات ص ٢٦ (الأطروحة)، البشير: ضوابط الرواية ص ٦٤.

وذهب المستشرق (كايتاني) أيضاً بأن الإسناد لم يكن له وجود قبل سنة (٧٥هـ) [١]. وقد تابع (سزكين) هورفتس، وكايتاني في ذلك [٢] !.

لعل كل هذه التفسيرات الخاطئة للفتنة الكبرى التي هي واضحة وهي فتنة استشهاد عثمان رضي الله عنه سنة (٣٥هـ) من قبل هؤلاء هي محاولة للنيل والطعن في السنة النبوية بتاخير ظهور الإسناد، وهذا رأي مردود وغير مقبول [٣].

٥ـ من مظاهر اهتمام المسلمين بالإسناد:

اهتم المسلمون بالإسناد اهتماما كبيراً وواضحاً فمن مظاهر ذلك بيان أهل الحديث مخارج أحاديثهم وتتبع طرقها، فعلى سبيل المثال: ألّف أبو نعيم الاصبهاني[٤] في طرق حديث: (إن الله تسعة وتسعين اسما) مؤلفا[٥] خاصا.

كما جمع ضياء المقدسي[٦] طرق حديث (الحوض) والاجري[٧]، طرق حديث (الافك) والطبراني[٨]، طرق حديث (من كذب علي ...) [١].

---

(١) shacht, the origins of muhammedan jurispru dnce p. 37, robson the isnad in muslim tradition

(٢) .fuad sezzingin buharinin kaynaklari, p. 20

(٣) البشير: المصدر السابق ص ٦٤.

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد، حافظ ثقة (ت ٤٣٠هـ) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٩١ -٩٢ (٣٣)، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ١١١ (٤٣٨)، والحديث رواه ابن ماجة والحاكم وسنده ضعيف، ينظر: المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٣ (٤٢) السيوطي: الجامع الصغير ١/ ٣٦٢ - ٣٦٣ (٢٣٦٩).

(٥) ينظر أبو نعيم الأصبهاني: جزء فيه طرق حديث إن الله تسعة وتسعين اسما، تحقيق مشهور بن حسن، الطبعة الأولى، مكتبة الغرباء الاثرية - المدينة المنورة ١٤١٣هـ (في حوالي ١٧٠ صفحة).

(٦) هو محمد بن عبد الواحد بن أحمد السعدي مؤرخ محدث من أهل الشام (ت ٦٤٣هـ) ينظر الكتبي: محمد بن شاكر، ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مصر ١٩٥١م ٢/ ٢٣٨، ابن عماد: الشذرات ٥/ ٢٢٤، وحديث الحوض رواه: عدد من أئمة الحديث منهم الإمام مسلم، ينظر: النووي: شرح صحيح مسلم ٣/ ١٣٧ - ١٤٠.

(٧) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله محدث (ت ٣٦٠هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٣٦ (٨٨٩)، ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ٣٥، والحديث رواه البخاري، ينظر ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٤٣١-٤٣٥ (٤١٤١).

(٨) هو سليمان بن أحمد بن ايوب صاحب كتب المعاجم الثلاثة في الحديث (ت ٣٦٠هـ) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٧ (٢٧٤٠)، ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م) تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق عبد القادر بدران، الطبعة الثانية، دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ٦/ ٢٤٠.

ومن ذلك أيضاً: بيان أصح الأسانيد فبينوا أصح أسانيد؛ أهل البيت[٢]، وأصح الأسانيد عن الصديق [٣]، وأصح الأسانيد عن عمر[٤]، وأصح الأسانيد عن المكثرين، وأصح أسانيد المكيين، والمدنيين وأصح أسانيد المصريين، والشاميين ...الخ [٥].

وكذلك تتبعوا أوهى الأسانيد وبينوها، فاوهى أسانيد أهل البيت: عمرو بن شمر[٦] عن جابر الجعفي[٧] عن الحارث الأعور[٨]، عن علي.

وأوهى أسانيد الصديق: صدقة بن موسى الدقيقي[٩] عن فرقد السبخي[١٠] عن مرة

---

(١) الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ١١٢.

(٢) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي إذا كان الراوي عن جعفر ثقة.

(٣) إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق.

(٤) الزهري عن سالم عن أبيه عن جده.

(٥) ينظر تفصيل ذلك الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٥٥ - ٥٦، الخطيب: الكفاية ص ٥٦٢ - ٥٦٥، الصنعاني: توضيح الأفكار ١ / ٢٨ -٣٦، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٢١ - ٢٢.

(٦) هو عمرو بن شمر الجعفي متروك الحديث شيعي لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر النسائي: كتاب الضعفاء والمتروكين ص ١٨٥ (٤٧٥)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٦٨ - ٢٦٩ (٦٣٨٤).

(٧) هو جابر بن يزيد بن الحارث متروك وثقه بعض العلماء في أول أمره ثم تراجعوا عن ذلك وهو شيعي اتهم بالقول بالرجعة اختلف في سنة وفاته (بين ١٢٧ - ١٣٢هـ لكن الذهبي يذكر أنه مات سنة ١٦٧هـ) وهو وهم منه أو من أحد النساخ ينظر النسائي: المصدر السابق ص ٧١ (١٠٠)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٧٩ - ٣٨٤ (١٤٢٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٤٦ -٥١ (٧٥)، قال الحاكم: سمعت علي بن عمر الحافظ يحكي عن بعض شيوخهم قال حضر نضله (في بعض النسخ بصلة وهو تحريف) مجلس أبي همام السكوني، فقال أبو همام: حدثنا أبي قال: ثنا عمرو بن جابر، فقام نضله فقال: أنت وأبوك وعمرو بن جابر ! الله الله إن صبرنا ! وخرج من المجلس، ينظر الحاكم: المصدر السابق ص ٥٦ - ٥٧.

(٨) هو الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور، ضعيف اتهم بالكذب (ت ٦٥هـ) ينظر النسائي: المصدر السابق ص ٧٧ (١١٦)، الذهبي: المغني في الضعفاء، دار المعارف - حلب ١/ ١٤١، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب العلمية - بيروت ١/ ١٣٨.

(٩) البصري أبو المغيرة، لم أقف على وفاته ضعيف لكن يكتب حديثه، ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٤/ ٢٩٧، ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ٣/ ٣٧٣.

(١٠) فرقد بن يعقوب البصري اختلف في تضعيفه وتوثيقه (ت ١٣١هـ) ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٧/ ١٣١، التاريخ الصغير ص ٩٤، النسائي: المصدر السابق ص ١٩٨ (٥١٤).

الطيب[١] عن أبي بكر الصديق. وأوهى أسانيد أبي هريرة السري بن إسماعيل[٢] عن داوود بن يزيد الأودي[٣] عن أبيه[٤] عن أبي هريرة ...الخ[٥].

من مظاهر عنايتهم بالإسناد:

المؤلفات الكثيرة والمتنوعة في علم الرجال ككتب معرفة الصحابة، وكتب الطبقات، وكتب الجرح والتعديل، وكتب الأسماء، والكنى، والألقاب، وكتب المؤتلف والمختلف، وكتب المتفق والمفترق والمتشابه، وكتب الوفيات وهي بمجموعها تدل على عظمة الجهد الذي بذله علماء الحديث في نقد الأخبار[٦].

---

(١) هو مرة بن شراحيل الهمداني، أبو إسماعيل المعروف بمرة الطيب ومرة الخير لقب بذلك لعبادته وثقه ابن معين (ت ٧٦هـ) ينظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٨٨ - ٨٩ (١٥٨).

(٢) هو السري بن إسماعيل الهمداني الكوفي ابن الشعبي، متروك الحديث لم أقف على وفاته، ينظر البخاري: المصدر السابق ص٥٦، الذهبي: الكاشف ١/ ٢٧٦، ابن حجر: لسان الميزان ٧/ ٢٢٥.

(٣) داود بن يزيد بن عبد الرحمن الاودي ضعيف، يكتب حديثه ت ١٥١هـ، ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٢١ - ٢٢ (٢٦٥٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٢٠٥ -٢٠٦ (٣٨٩).

(٤) هو يزيد بن عبد الرحمن بن الأسود الزعافري الاودي وثقه جميع أئمة الحديث لم أقف على وفاته، ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ٣٤٥ (٦٦١).

(٥) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٥٦ - ٥٧.

(٦) ينظر البشير: ضوابط الرواية ص ٧٢، ويضرب لذلك مثالا جيداً على اهتمام أئمة الحديث بالإسناد وهو كتاب (الكمال في أسماء الرجال للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٠٣م) وكيف توجهت إليه عناية العلماء بالتهذيب والتلخيص والاستدراك وهو أربع مجلدات، من هؤلاء العلماء:
- الحافظ أبو الحجاج المزي (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) تهذيب الكمال في أسماء الرجال.
- الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) التهذيب، ومختصره الكاشف عن الرجال الستة.
- الحافظ سراج الدين عمر بن الملقن (ت٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) تهذيب الكمال في أسماء الرجال.
- الحافظ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، تقريب التهذيب.
- الحافظ جلال الدين السيوطي: زوائد الرجال على تهذيب الكمال.
- الحافظ صفي الدين أحمد الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال. وهذه الكتب جميعها مطبوعة، ينظر البشير: المصدر نفسه ص ٧٢ -٧٣.

نقد السند وعلم التاريخ:

١ - ذكرنا في المبحث الأول[١] أن أهم كتب السيرة والمغازي والتاريخ قد كتبت على طريقة الإسناد، ومنها تاريخ الطبري وبالتالي فمن الممكن تطبيق المنهج النقدي لدى أئمة الحديث على الروايات التاريخية لكونها تشبه الأحاديث من حيث وجود الأسانيد التي تتقدم المتون مما يمكن للناقد من معرفة الرواة واستخدام هذا المنهج عليهم[٢].

لكن استخدام هذا المنهج على الروايات التاريخية ليس بالأمر الهيِّن والميسور بل هو أمر في غاية الصعوبة حيث يحتاج: "إلى استيعاب دقيق لمصطلح الحديث ومرونة في التعامل وفقه في الرواية التاريخية "[٣].

أن صعوبة ووعورة هذا المسلك قد أدى ببعض الباحثين إلى أن يستبعدوا إمكانية تطبيق منهج المحدثين على التاريخ.

"وأساليب المحدثين أن صلحت للحديث الذي هو موضوع ديني لا تصلح لكتابة التاريخ التي من أهم مقوماتها جمع الأخبار من مظانها المختلفة وتدقيقها ونقدها وتحليلها بمعزل عن الدين والقدسية التي تحيط بموضوعاته "[٤].

ويشكك أيضاً الدكتور عبد العزيز الدوري في ذلك حيث يقول[٥]: "ولن يجدينا في هذا المجال الاستفادة من مصطلح الحديث في التاريخ أو الاعتماد على السمعة التي يتمتع بها المؤرخون، فالطبري مثلا من مصادرنا الجليلة، ولكن نظرة إلى ما كتبه عن صدر الإسلام تكشف لنا أننا أمام مجموعة من المؤرخين وغير المؤرخين استند إليهم الطبري مثل: أبو مخنف، وسيف بن عمر، وابن الكلبي، وعوانة بن الحكم، ونصر بن مزاحم، والمدائني، وعروة بن الزبير، و الزهري،

---

(١) ونقد السند عند المحدثين يقابل النقد الخارجي عند المؤرخين وهو يتجه إلى تثبيت نص الوثيقة والتعرف على مؤلفها وزمنها، ينظر زريق: قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، ط بيروت ١٩٥٩م ص ٧١.

(٢) العمري: السيرة النبوية الصحيحة، نشر مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ١/ ١٢.

(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٥، يقول ريمون اردن: لم تعد المعرفة بالتاريخ قائمة في قص ما حدث نقلا عن وثائق مخطوطة حفظت لنا اتفاقا ولكنها قائمة في ما نريد أن نكتشفه مع المظاهر الأساسية لكل مشاركة تضعنا في حالة تفتيش عن وثائق تفتح أمامنا المدخل إلى الماضي، ينظر جوزيف هورس: قيمة التاريخ ص ٩١.

(٤) التاريخ فكرة ومنهجا ص ٤٤.

(٥) بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص ١٠.

وابن إسحاق، والواقدي، و وهب بن منبه، وكعب الأحبار ... الخ وهم يتباينون في الدقة والاتجاه والأسلوب وفي طريقة الرواية وكل منهم يحتاج إلى دراسة تاريخية خاصة ".

ثم يحلل رواة كتب السيرة والمغازي بنفس الطريقة ونفس الأسلوب ويشير بأن هذا النوع من الدراسة عسيرة حيث يقول(١):

"ولكن دراسة هذا الموضوع عسيرة وقلقة إذ أن المؤلفات التاريخية الأولى لم تصلنا كاملة وليست أمامنا منها إلا مقتطفات مبعثرة في تواريخ تالية ومعنى هذا أننا بحاجة لأن نجمع هذه المقتطفات وأن نصنفها لأجل أن نحصل على هيكل تقريبي للمؤلفات المذكورة. ومثل هذه المحاولة تعني إعادة تصنيف المواد التاريخية التي وصلتنا وخاصة للقرون الأولى الثلاثة للهجرة وبإرجاعها إلى أصولها وهو عمل شاق خطير وبطيء ".

غير أن الدوري يضيف عائقا آخر من العوائق في هذا السبيل حيث يقول(٢): "وهناك مشكلة ثانية وهي: أن هذه المقتطفات تنسب عادة إلى أصحابها دون الإشارة إلى الكتاب الذي اخذ عنه إلا في النادر وهذا يضعنا في موضع لا يخلو من كثير من الافتراض والتخمين حين نحاول معرفة المصدر ثم أننا قد لا نحصل بعد هذا الجهد إلا على خطوط عامة، وقد تكون مترابطة وغير مترابطة بالنسبة للمؤلفات التاريخية".

أدرك الأئمة السابقون ما أشار إليه الأستاذان الدكتور الدوري والعمري حيث أن البيروني (ت ٤٤٠هـ) يذكر بالتفصيل صعوبة هذا الطريق كما يبين الطريقة النقدية السليمة التي يسلكها المؤرخ للوصول إلى حقائق التاريخ والتخلص من زيفه. يقول البيروني (٣):

"على أن الأصل الذي أصلته والطريق الذي مهدته ليس بقريب المأخذ بل كأنه من بعده وصعوبته يشبه أن يكون غير موصول إليه لكثرة الأباطيل التي تدخل جمل الأخبار والأحاديث وليست كلها داخلة في حد الإقناع فتميز وتهذب ولكن ما كان منها في حد الإمكان جرى مجرى الخبر الحق إذا لم يشهد ببطلانه شواهد أخرى بل قد يشاهد من الأحوال الطبيعية ما لو حكي مثلها عن زمن بعيد عهدنا به لثبتنا الحكم على امتناعها. وعمر الإنسان لا يفي بعلم الأخبار

---

(١) المصدر نفسه ص ١١.

(٢) المصدر نفسه ص ١١.

(٣) البيروني: الاثار الباقية ص ٤ -٥.

جميعها وهذا غير ممكن وإذا كان الأمر جاريا على هذا السبيل فالواجب علينا أن نأخذ الأقرب من ذلك فالأقرب والأشهر فالأشهر ونحصلها من أربابها ونصلح منها ما يمكننا إصلاحه ونترك سائرها على وجهها ليكون ما نعمله معينا لطالب الحق ومحب الحكمة على التصرف في غيرها ومرشدا إلى نيل ما لم يتهيأ لنا...".

ويبدو أن الأمر الأوفق هو ما تقدم حيث أن القيام بهذا الأمر أمر شاق للغاية وهذا لا يعني ترك التاريخ الإسلامي وخاصة تاريخ القرون الثلاثة الأولى منها على ما فيه من الأباطيل دون التمحيص والغربلة فقد عرفنا بأن تاريخ هذه القرون قد دُوِّن على طريقة الإسناد فمن الممكن إعادته وفق منهج المحدثين، وما لا يدرك كله لا يترك كله، أما ما يتعلق بالفترات اللاحقة وتغطية التاريخ الإسلامي بأكمله وفق هذا المنهج فهو لا يقول به عاقل بل أن التفكير في ذلك ضرب من الوهم والخيال.

وما يتعلق بتاريخ الإسلام في العصور الأخيرة قد يكفي اشتراط الأمانة والثقة والدين في المؤرخ لقبول روايته (١).

لكن الأستاذ العمري يرجع بعد أن تكلم بكلامه السابق ويؤكد بأن الحاجة ماسة لتطبيق هذا المنهج على الروايات التاريخية لأن أصحاب هذه الروايات أخباريون ذووا اتجاهات سياسية ومذهبية مختلفة إذ يقول (٢):

" فإن الحاجة إلى تأثير الأهواء على الأخباريين واختلاط الحق بالباطل اختلاطا يصعب تميزه إلا على المتضلعين بالرجال ومعرفة جرحهم وتعديلهم وميولهم وعقائدهم. إن كتب التاريخ مزيج من مقتطفات أوردها إخباريون ذوو اتجاهات سياسية ومذهبية متباينة فلو أريد إعطاء صورة عن العصر الاموي مثلا من خلال مرويات أبي مخنف فقط فإنها تكون مغايرة كثيراً للصورة التي تكونها مرويات عوانة بن الحكم أو أبي اليقظان النسابة وحدها".

إن اهتمام المؤرخ المسلم ينبغي أن ينصب على إعادة البناء وفق الأسس والمنهج الذي ذكرناه، لا الاهتمام بأمور ثانوية، أو تناول الشبهات (٣).

---

(١) ينظر السبكي: قاعدة في المؤرخين ص ٣٢ -٣٣، العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٤٥ -٤٦.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٧٠، ومن المفرح أني وجدت خطوات جديدة لهذا الأستاذ العلامة بتطبيق هذا المنهج على الروايات التاريخية حيث صنف (جزاه الله خيراً) في السيرة النبوية وفق هذا المنهج مؤلفا قيما سماه (السيرة النبوية الصحيحة) في مجلدين وكذلك عصر الخلافة الراشدة في مجلد.

(٣) العمري: المصدر السابق ١/ ٨.

٢ - هناك سؤال يفرض نفسه هنا وهو لماذا لم ينتقد أو لم يهتم الرواد الأوائل من المؤرخين بهذا الجانب حيث كان بإمكانهم تطبيق هذا المنهج على الروايات التاريخية بل كان هؤلاء الأئمة ومنهم الإمام الطبري أولى الناس بل أقوي وأعلم الناس بتطبيق هذا المنهج ؟!.

لجواب هذا السؤال نقول:

أ- إن أئمة الحديث والتاريخ اتفقوا على التشدد في الإخبار عن النبي ﷺ كما اتفقوا على التساهل في الأخبار التي لا تتعلق بأمور العقيدة والشريعة.

ب- من المعلوم للمتتبع للتراث الإسلامي أن جهود أئمة التاريخ انصبّت في القرون الأولى على جمع الروايات وتدوينها وتصنيفها في الكتب ولم يكن لديهم فضل من الوقت كي يصرفوه في تمحيص الروايات لكنهم مع ذلك اهتموا بقدر من الانتقاء وذلك بالمقابلة بين المؤلفات ومصادرها الأقدم، حيث يسقط المتأخر مجموعة من روايات المتقدم وهذا واضح في فعل ابن هشام[١] مع ابن إسحاق، والطبري مع مصادره الأولية.

إن تاريخ الطبري كما بينا على سبيل المثال هو انتقاء لروايات وكتب ألّفت قبله ولم يكتف الطبري بذلك فحسب، بل اختصر تاريخه، إلى الحجم المعهود، حيث كان حجم تاريخه أكبر وأطول مما نراه اليوم، يذكر السبكي[٢] أن ابن جرير قال لأصحابه [٣]:

"هل تنشطون لتاريخ العالم من ادم إلى وقتنا هذا ؟. قالوا: كم قدره ؟ فذكر ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل إتمامه، فقال: إنا لله ماتت الهمم، فاختصره في نحو ما اختصر التفسير، وهو نحو عشر ذلك ".

وهذا الاختصار والانتقاء يمثل عملا نقديا " ورغم أن الانتقاء نفسه يمثل عملا نقديا إلا أن الجهد الضخم الذي بذل في تثبيت الروايات وحفظها في الكتب استنفد طاقة الأوائل من المؤرخين وقام المتأخرون منهم بدور التلخيص لأعمال الأوائل والتذييل عليهم "[٤].

---

(١) هو عبد الملك بن هشام بن ايوب الحميري أحد أئمة السير والمغازي صاحب كتاب السيرة المعروف توفي بين ٢١٣هـ- ٢١٨هـ، ينظر ابن خلكان: الوفيات ٣/ ١٧٧ (٣٨٠)، ابن كثير: التاريخ ١٠/ ٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ١٠٠، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٩٧ - ٢٩٨.

(٣) ينظر مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ١١٦، الكاشف: مصادر التاريخ الإسلامي ص ٣٥.

(٤) العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١٦.

ج- إن الذي ذكرناه قد يوهم كثيراً من الناس بأن أئمة التاريخ لم يستخدموا هذا المنهج نهائيا على الروايات التاريخية وهذا أمر غير صحيح حيث سبق أن ذكرنا أن الطبري وهو أحد كبار المؤرخين قد استخدم هذا المنهج ولكن ليس بالمستوى الكافي والمطلوب.

وشارك أغلب مؤرخي المسلمين الطبري في نقد الروايات التاريخية سندا ومتنا وذلك واضح لمن يتابع على سبيل المثال: تاريخ خليفة بن خياط [١]، تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء للذهبي، الكامل في التاريخ لابن الأثير، البداية والنهاية لابن كثير، أو فتح الباري لابن حجر في شرحه لقسم المغازي من صحيح البخاري [٢].. إلخ.

فالذهبي شارك في نقد كثير من الروايات سندا ومتنا في كتبه الكثيرة وقد تبلغ مئات من الشواهد.

مشاركة الذهبي لنقد السند والمتن:

يقول الذهبي في ترجمة أم المؤمنين عائشة: يروي أبو الحسن المدائني عن يزيد بن عياض [٣]، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال [٤]:

" دخل عيينة بن حصن [٥] على رسول الله ﷺ، وعنده عائشة وذلك قبل أن يضرب الحجاب فقال: من هذه الحميراء يا رسول الله ".

انتقد الإمام الذهبي هذه الرواية قائلاً [٦]:

"هذا حديث مرسل، ويزيد متروك، وما أسلم عيينة إلا بعد نزول الحجاب ...".

---

(١) ينظر ١/ ٢٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٦، وينظر كذلك ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٧٨ (ترجمة عمرو بن عبيد).

(٣) هو يزيد بن عياض بن يزيد بن جعدبة الليثي، حجازي، متروك الحديث توفي زمن المهدي، ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٨/ ٣٥١، التاريخ الصغير ص ١٢٢، ابن حجر: لسان الميزان ٧ / ٤٤٧.

(٤) الحديث موضوع، ينظر القاري: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، تحقيق، عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ص ١٧٤.

(٥) بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو مالك، صحابي وقد ذكر ابن حجر نقلا عن الشافعي ما يبطل صحبته إن صحت تلك الرواية، مات في زمن عثمان ﷺ، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٣ / ١٦٧ -١٦٨، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٥٤ -٥٥ (٦١٥١).

(٦) سير أعلام النبلاء ٢/ ١٦٧.

أن ابن خلدون الذي وضع في مقدمته في (طبائع العمران)[١] قواعد علمية محكمة لنقد الأخبار التاريخية وتمحيصها فسجل بذلك فوزا كبيرا[٢].

لكن مع كل هذه المحاولات - ورغم وجود منهج متكامل لدى المسلمين لتمحيص الروايات - لم نسمع أحدا في حدود علمنا طبق هذه المناهج على الروايات التاريخية ولو لفترة زمنية محددة بشكل تام.

مع ذلك يظل علماؤنا هم، أول من أسس قواعد النقد التاريخي وعلموا العالم ذلك " وأول من نظم نقد الروايات التاريخية ووضع القواعد لذلك علماء الدين الإسلامي ...فاتحفوا علم التاريخ بقواعد لا تزال أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا "[٣].

التساهل في غير حديث رسول الله ﷺ:

من المعلوم أن أئمة الحديث - وكافة علماء المسلمين، قد شددوا فيما يخص حديث رسول الله ﷺ لأن الإخبار عنه ﷺ ليس كالإخبار عن غيره، وذلك لأن الخبر عنه ﷺ يتعلق بالحلال والحرام، والعقيدة والشريعة، التي تتعلق بمصالح العباد، في دنياهم وأخراهم.

وهذا مما ينبغي الحذر والاحتياط منه.

وقد حذر الرسول ﷺ من الكذب عليه فقال ﷺ[٤]: (بَلِّغُوا عَنِّى وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِى

---

(١) ينظر ص ٢٧، يقول الدكتور العمري: أن أحدا من مؤرخي الإسلام لم يحاول اعادة صياغة النظرة القرآنية للتاريخ وتقديم الوقائع والتطبيقات والشواهد التاريخية عليها بشكل نظريات كلية حتى وقت متأخر عندما كتب ابن خلدون مقدمته، ينظر: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١٤.

(٢) ينظر مصطلح التاريخ ص ب، غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٤٥٣، يقول رستم: وعاصر ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦م) فلافيوس بلوندوس الايطالي(١٣٨٨ - ١٤٦٣م) الذي كتب في تاريخ رومة، وحكم عقله وطبق منطقه الفطري فقذف بأساطير زملائه السابقين إلى حيث يطرح سقط المتاع، فكان خير زميل لجاره التونسي الكبير، ينظر رستم: المصدر نفسه ص ب.

(٣) المصدر نفسه ص أ، وينظر كذلك: ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي ص ٨٧.

(٤) صحيح البخاري ١٢/ ١٧٤ (٣٤٦١)، (فتح الباري ٦/ ٤٩٦)، هذا الحديث يقول عنه الأسفرائيني (ت ٤٠٦هـ) ليس في الدنيا حديثاً أجتمع عليه العشرة (أي المبشرة) المشهود لهم بالجنة إلا هذا الحديث، ينظر العراقي: زين الدين عبد الرحيم بن حسين الكردي (ت ٨٠٦هـ/ ١٤٠٤م) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ١٩٦٩م ص ٢٠٨، السيوطي: تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ص ٥٨، وذكر السيوطي لهذا الحديث (٩٧) طريقاً، ينظر: المصدر نفسه ص ٩٧.

إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

ومعنى ذلك أن الحديث عن بني إسرائيل إذا حدثت به فأديته على ما سمعته حقاً كان أو غير حق، لم يكن عليك حرج، والحديث عن رسول الله ﷺ لا ينبغي أن يحدث به إلا عن ثقة[١].

يقول الإمام أحمد [٢]:

"إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام، والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد، وإذا روينا عن النبي ﷺ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد".

ويذكر الخطيب عن بعض أهل العلم[٣]: "الخبر إذا ورد لم يحرم حلالاً ولم يحل حراماً، ولم يوجب حكماً، وكان في ترغيب أو ترهيب أو تشديد أو ترخيص، وجب الإغماض عنه والتساهل في روايته".

وهذا الأمر يكاد يكون موضع إجماع من لدن جميع أهل العلم. وبما أن الروايات والأخبار التاريخية في غالبها، لا تتعلق بالعقيدة أو الشريعة، نرى أن أئمة الحديث والتاريخ تساهلوا في أسانيدها فرووا منها ما كان في إسنادها انقطاع أو إرسال، كما رووا عن بعض المتهمين عند أئمة الحديث[٤].

فالأئمة الثقات والكبار من المؤرخين، كمحمد بن إسحاق، وخليفة بن خياط، وابن سعد، والطبري، وابن كثير نجدهم يروون كثيراً من الأخبار المرسلة والمنقطعة، كما أن الطبري يكثر النقل عن رواة في غاية الضعف مثل: هشام الكلبي[٥]، وسيف بن عمر التميمي، ونصر بن مزاحم وغيرهم[١].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص ٧٢-٧٣.

(٢) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٢١٣، وينظر كذلك: ابن تيميه، علم الحديث، تحقيق موسى محمد علي، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ص ١٥١.

(٣) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٢١٣ وينظر أيضاً ابن خلدون: المقدمة ص ٧.

(٤) ينظر ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٥، الطبقات ص ٣٢ (الأطروحة) العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٥٦، أحمد عادل: الطريق إلى دمشق ص ٥٨.

(٥) فقد روى الطبري عنه ما يقرب (ثلاثمائة) رواية، شملت تاريخ الأنبياء والسيرة وتاريخ الخلفاء، وطرفاً من أخبار الدولة الأموية، وكان غالياً في التشيع وهو ساقط وتالف عند أئمة الحديث، قال عنه أحمد والعقيلي: ما ظننت أن أحداً يحدث عنه، وقال ابن حبان: يأتي عن أبيه ومعروف مولى سليمان والعراقيين بالعجائب والأخبار التي لا أصول لها. وقال عنه الذهبي: هشام لا يوثق به ينظر العقيلي: الضعفاء الكبير ٤/ ٣٣٩ ابن حبان: المجروحين والمتروكين ٣/ ٩١، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٤-٣٠٥. ، وينظر كذلك، العودة: سليمان بن حمد العودة، نزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية، الطبعة الثانية - الرياض ١٤١٥هـ ص ٤٢.

كما أنهم تساهلوا مع أبي معشر السندي في رواياته التاريخية، مع رفضهم لرواياته الحديثة.

يَعُدُّ المؤرخ رشيد الدين فضل الدين الهمذاني (ت٧١٨هـ- ١٣١٨م) أن التساهل لا بد منه في الرواية التاريخية، وإلا لا يمكن لأي مؤرخ كتابة تاريخ أي أمة مهما كان هذا التاريخ .

يقول عن ذلك[٢]:

"لو ذهب المؤرخ إلى وجوب أن يكون كل ما يكتبه مقطوعاً بصحته. فإنه لا يستطيع أن يكتب تاريخ أمة، لأن أكثر ما ينقل إليه إنما يكون لغير المتواتر من الأخبار".

ويحذر رشيد الدين اشتراط يقينية الروايات التاريخية، لأن هذا يؤدي إلى حرمان الناس من مزايا معرفة التاريخ[٣].

إن التساهل الذي ذكرناه يجب أن لا يكون متعلقاً بالجانب العقائدي أو الأحكام، كما أنه يجب أن لا يكون متعلقاً بأخبار سلف الأمة من الخلفاء والعلماء، والفضلاء، الذين ذكرهم الصادق المصدوق ﷺ بقوله: (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم....) وإنما التساهل يكون في جوانب، الترغيب والترهيب، والعمران والتخطيط وقصص بطولات المجاهدين، وتضحيتهم.

"أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى أو تعتضد فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة على أن لا تتعلق بجانب عقيدي أو شرعي... أما الروايات التاريخية المتعلقة بالعمران، كتخطيط المدن، وريازة الابنية، وشق الترع، أو المتعلقة بوصف ميادين القتال، وأخبار المجاهدين الدالة على شجاعتهم وتضحيتهم، فلا بأس من التساهل بها"[٤].

أقسام الخبر عند المسلمين:

الخبر في اللغة: واحد الأخبار[٥].

وفي الاصطلاح: ما أضيف إلى النبي ﷺ أو أضيف إلى أصحابه أو أضيف إلى من دونهم، ،

==

(١) ينظر العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٣٩.

(٢) جامع التواريخ، وزارة الثقافة – مصر ١٩٦٠م. مجلد ٢ جزء ١/ ل.

(٣) ينظر: المصدر نفسه مجلد ٢ جزء ١/ل، وينظر كذلك أحمد عادل: الطريق إلى دمشق ص ٥٩.

(٤) السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٤١.

(٥) ينظر الرازي: مختار الصحاح ص١٦٨ (خ ب ر).

فالخبر أعم من الحديث[١].

وهو القول الذي يتطرق إليه التصديق والتكذيب[٢] لكنه قد يقطع بصدقه أو كذبه، لأمور خارجية، وقد لا يقطع بواحد منها إذا لم يعرض موجب للقطع[٣]. قسم العلماء الخبر إلى ثلاثة أقسام[٤].

القسم الأول: ما يحيط العلم بصدقه وهو سبعة.

أ- ما علم وجود مخبره بالضرورة[٥] والاستدلال، كالعلم باستحالة كون الشيء متحركاً ساكناً، أو قائماً قاعداً، ومن الضروري أيضاً وجه آخر يحصل بسبب من جهة الحواس الخمس: كرؤية الشيء يعلم بها الألوان والأجسام[٦].

ب- ما أخبر الله تعالى به، لاستحالة الكذب عليه.

ج- خبر الرسول ﷺ لدلالة المعجزة على صدقه، مع استحالة ظهور المعجزة على أيدي الكاذبين.

د- إجماع الأمة على خبر في عصر من العصور، لعصمتها عن الكذب بأخبار الرسول ﷺ.

---

(١) ينظر ابن تيمية: علم الحديث ص١٠٦، هامش٤، القاري: شرح نخبة الفكر ص١٩٠، الأنصاري: زكريا بن محمد بن زكريا (ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق مازن المبارك، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر - بيروت ١٤١١هـ ص ٨٥.

(٢) ينظر ابن تيمية: المصدر السابق ص١٠٦، القاري: المصدر السابق ص١٢٤.

(٣) ينظر خضري بك:محمد بن عفيفي (ت ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م) أصول الفقه، الطبعة السادسة، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ص٢٢٨، البشير: ضوابط الرواية ص٧٦.

(٤) لكن السرخسي قسمه إلى أربعة أقسام: ١- ما علم صدقه ٢- ما علم كذبه ٣- خبر يحتملهما على السواء، مثل خبر الفاسق في أمر الدين، ففيه احتمال الصدق باعتبار دينه وعقله، واحتمال الكذب باعتبار تعاطيه واستوى الجانبان في الاحتمال، فالحكم فيه التوقف إلى أن يظهر ما يترجح به أحد الجانبين عملاً بقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ الآية [الحجرات: ٦]، خبر يترجح فيه أحد الجانبين، مثل شهادة الفاسق إذا ردها القاضي، فإن بقضائه يترجح جانب الكذب فيه، ينظر السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد (ت ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م) أصول السرخسي، تحقيق أبو الوفا الافغاني، دار المعرفة - بيروت ١/ ٣٧٤-٣٧٥.

(٥) قال ابن عبد البر، الضرورة ما لا يمكن العالم أن يشكك فيه، ولا يدخل على نفسه شبهة ويدرك ذلك بواسطة الحس والعقل، ينظر:جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٤٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٤٦.

هـ- خبر التواتر، وهو خبر بلغت رواته في الكثرة مبلغاً أحالت تواطؤهم على الكذب.

و- ما ذكره المخبر بسمع من النبي ﷺ، ولم يكن غافلاً عنه، فسكت عنه.

ز- ما ذكر بين يدي جماعة أمسكوا عن تكذيبه، والعادة تقضي بالتكذيب وامتناع السكوت لو كان كذباً[١].

القسم الثاني: ما يحيط العلم بكذبه وهو خمسة:

أ- المعلوم خلافه بضرورة العقل أو نظره، أو الحس، أو أخبار التواتر كالأخبار باجتماع النقيضين أو ارتفاعهما. وكذلك المعلوم خلافه بالاستدلال، كالأخبار بقدم العالم.

ب- ما خالف النص القاطع من الكتاب، والسنة المتواترة، أو الأجماع.

ج- الخبر الذي لو كان صحيحاً لتوفرت الدواعي على نقله متواتراً إما لكونه من أصول الشريعة، وأما لكونه أمراً غريباً. مثل، نص الرسول ﷺ على خلافة إمام معين، وكسقوط الخطيب عن المنبر وقت الخطبة.

د- خبر مدعي الرسالة من غير معجزة.

هـ- ما صرح بتكذيبه جمع كثير استحال تواطئهم على الكذب، كأن قالوا: حضرنا معه في ذلك الوقت فلم نجد ما حكاه من الواقعة[٢].

القسم الثالث: ما لا يقطع بصدقه ولا كذبه:

وذلك كخبر المجهول، فإنه لا يترجح صدقه ولا كذبه، وقد يترجح صدقه ولا يقطع به كخبر العدل، وقد يترجح كذبه ولا يقطع به كخبر الفاسق[٣].

---

(١) ينظر الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر(ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) مجموعة رسائل الجاحظ ص ٢٤ - ٢٦، الاسنوي: جمال الدين: عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) نهاية السول شرح منهاج الأصول، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٥٤هـ ٣/ ٦٧١ - ٧٠١، الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) إرشاد الفحول، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٥٦هـ ص٤٥، المدرس: عبد الكريم محمد، صفوة اللآلي من مستصفى الإمام الغزالي، الطبعة الأولى، مطبعة العاني - بغداد ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ص ٩٤ - ٩٥، ابن تيمية: علم الحديث ص ١٠٦ - ١١٠، ١١٧.

(٢) ينظر الأسنوي: المصدر السابق ٣/ ٧٠٢ - ٧١٠، الشوكاني: المصدر السابق ص ٤٥، المدرس: المصدر السابق ص ٩٥ - ٩٦.

(٣) ينظر السرخسي: الأصول ١/ ٣٧٤-٣٧٥، الشوكاني: المصدر السابق ٤٦.

الخبر ينقسم إلى متواتر وآحاد:

أولا المتواتر:

هو خبر بلغت روايته في الكثرة مبلغاً أحالت العادة تواطؤهم على الكذب[١].

وقد أشترط العلماء لذلك شرطين:

أ- أن يكون علمهم ضرورياً مستنداً إلى محسوس، إذ لو أخبرنا عن حدوث العالم أو عن ظن لم يحصل لنا العلم.

ب- أن يستوي طرفاه والوسط في عدم تواطئهم على الكذب، لكثرتهم ويدوم هذا الحد فيكون أوله كآخره، ووسطه كطرفيه، نحو: تواتر القرآن الكريم، والصلوات وعدد الركعات، ومقادير الزكوات وما أشبه ذلك[٢] وهو يفيد العلم الضروري[٣].

يقول بن عبد البر[٤]:

"فهذا (أي التواتر) من الحجج القاطعة للاعتذار إذا لم يوجد هناك خلاف، ومن رد إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله يجب استتابته عليه وإراقة دمه أن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون".

---

(١) ابن الأثير: مجد الدين، المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م) جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق، عبد المجيد سليم، وحامد الفقي - القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م ١/ ١٢٢، ابن الحنبلي: رضي الدين الحنبلي، قفو الأثر، مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ، ص ٥، الجزائري:طاهر بن صالح (ت ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) توجيه النظر إلى أصول الأثر، الطبعة الأولى، مطبعة الجمالية ١٣٢٨هـ ص ٣٣.

(٢) ينظر ابن الأثير: المصدر السابق ١/ ١٢٢، المدرس: صفوة اللآلي ص ٨٩-٩٠، ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية شروط التواتر، والعدد المطلوب فيه وأطنب في ذلك حيث ذكر أقوال العلماء ثم قال: (وهذه الأقوال باطلة لتكافئها في الدعوى والصحيح الذي عليه الجمهور: أن التواتر ليس له عدد محصور، والعلم الحاصل بخبر من الأخبار يحصل في القلب ضرورة، كما يحصل الشبع عقيب الأكل والري عند الشرب، وليس لما يشبع كل واحد ويرويه قدر معين، بل قد يكون الشبع اكثرة الطعام، وقد يكون لجودته كاللحم وقد يكون لاستغناء الأكل بقليله...كذلك العلم الحاصل عقيب الخبر. تارة يكون بكثرة المخبرين، وإذا كثروا فقد يفيد خبرهم العلم، وأن كانوا كفاراً وتارة يكون لدينهم وضبطهم، فرب رجلين أو ثلاثة يحصل من العلم بخبرهم ما لا يحصل بعشرة وعشرين ما لا يوثق بدينهم وضبطهم...). ينظر التفصيل: علم الحديث ص١١٧-١٢٠، رفع الملام عن الأئمة الاعلام، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٢هـ ص٦٨-٧١.

(٣) ينظر ابن تيمية: علم الحديث ص ١١٥، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٣١.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، تحقيق عبد الرحمن عثمان، الطبعة الثانية، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ١٩٦٨م ٢/ ٤١-٤٢.

والمتواتر ينقسم إلى:

١ - التواتر اللفظي:

كحديث: (من كذب علي متعمداً....) فقد ذكر الأمام العراقي أنه: رواه من الصحابة خمس وسبعون صحابياً[(١)]، وعدهم علي القاري عن طريق: مائة وأثنين من الصحابة[(٢)].

ونقل الأمام النووي: أنه جاء عن مائتين من الصحابة[(٣)].

٢ - التواتر المعنوي:

كأحاديث رفع اليدين في الدعاء، اختلفت ألفاظها ولم تتواتر، ولكن القدر المشترك فيها وهو: الرفع عند الدعاء، تواتر باعتبار المجموع.

روي فيه مائة حديث[(٤)].

أما إدعاء النصارى بأن أخبار الصلب متواترة، فإن العلماء قد ردوا ذلك وقالوا: بأنها لم تبلغ التواتر في أصلها وإنما طرأ التواتر عليها بعد زمن[(٥)] كما أنهم شاهدوا شخصاً مصلوباً قتيلاً شبه عيسى عليه السلام، وليس هو عيسى[(٦)].

ثانيا الآحاد:

وهو ما لم يجمع شروط المتواتر، سواء نقله واحد أو نقله أربعة أو ستة على سبيل المثال[(٧)].

---

(١) ابن حجر العسقلاني: النكت على ابن الصلاح، تحقيق بسيع بن هادي عمير، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ٢ / ٨٥٣ - ٨٥٧، وينظر كذلك البشير: ضوابط الرواية ص ٨٥.

(٢) علي القاري: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، تحقيق، محمد الصباغ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧١م.

(٣) ينظر النووي: شرح صحيح مسلم ١/ ٦٨.

(٤) ينظر ابن تيمية: علم الحديث ص ١١٦، السيوطي: تدريب الراوي ٢/ ١٨٠.

(٥) ينظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، الطبعة الأولى، المطبعة الأدبية - مصر ١٣٢٠هـ ١/ ١٥٣، ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق، علي حسن ناصر مع آخرين، الطبعة الأولى، دار العاصمة - الرياض ١٤١٤هـ ٢/ ٣٠٣، ٤/ ٣٤، ابن القيم: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار الكتب العلمية - بيروت ص ١٧٢ - ١٧٤.

(٦) ينظر المدرس: صفوة اللآلي ص ٩٢

(٧) ينظر القاري: شرح نخبة الفكر ص ٥١، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٣٣، المدرس: المصدر السابق ص ٥٨.

وكلها سوى المتواتر آحاد[١].

لكن هل الخبر الواحد الصحيح يفيد القطع أم الظن؟!.

أختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:

أ- أنه لا يفيد القطع، بل هو ظني الثبوت، وهو الذي رجحه النووي في التقريب[٢].

ب- يفيد القطع، وهو مذهب داود الظاهري، والحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي، وحكي عن مالك، وهو الذي ذهب إليه ابن حزم واختاره[٣]، كما أيد هذا المذهب من المعاصرين، العلامة: أحمد شاكر ودافع عنه بقوة[٤].

ج- أما المذهب الثالث فهو التفصيل وهو: أن ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما، أو رواه أحدهما أو كان على شرطيهما أو شرط أحدهما أو صحيح عند غيرهما، وليس على شرط واحد منهما، هذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به، ولأنه تلقته الأمة بالقبول، والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ.

وهذا مذهب الإمامين: ابن الصلاح الشهرزوري، وابن تيمية الكردييان، والإمام ابن القيم[٥].

---

(١) ينظر القاري: المصدر السابق ص ٥١، التهانوي: المصدر السابق ص ٣٣.

(٢) ينظر النووي: تقريب النواوي، تعليق صلاح بن محمد الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م (مطبوع مع تدريب الراوي) ١/ ٦٥، وينظر كذلك أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٣٣ هامش ٢.

(٣) ينظر الأحكام ١/ ١١٩-١٣٧ حيث أطال في ذلك ورد على مخالفيه، وقد ألف عبد الغني عبد الخالق كتاباً قيماً في حجية السنة وسماه (حجية السنة) وعالج كل ما يتعلق بهذا الموضوع بدقة، ينظر عبدالغني عبد الخالق: حجية السنة، مطبعة منير - بغداد من الصفحة ٢٤٥ إلى نهاية الكتاب.

(٤) ينظر الباعث الحثيث ص ٣٤، وأنتصر لهذا الرأي الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، ينظر: ظلمات أبي ريه أمام أضواء السنة المحمدية، الطبعة السلفية ١٣٧٩هـ ص ٢٨٤.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ١٤، ابن تيمية: علم الحديث ص ١١٧، ابن القيم: الصواعق المرسلة ٢/ ٣٤٢-٤٣٣، الموصلي: محمد، مختصر الصواعق المرسلة، مكتبة الرياض الحديثة ٢/ ٣٧٢-٣٧٤، ابن تيمية: رفع الملام ص ٦٨-٦٩ قال ابن تيمية: (فأكثر متون الصحيحين متقنة، تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق، وأجمعوا على صحتها، وإجماعهم معصوم من الخطأ، كما أن إجماع الفقهاء على الأحكام معصوم من الخطأ ولو أجمع الفقهاء على حكم كان أجماعهم حجة، وأن كان مستند أحدهم خبر واحد أو قياس، أو عموم. فكذلك أهل العلم بالحديث إذا أجمعوا على صحة خبر أفاد العلم، وأن كان الواحد منهم يجوز عليه الخطأ. ، لكن أجماعهم معصوم عن الخطأ) علم الحديث ص ١١٧.

وكذلك كل خبر - بلغ مرتبة الصحيح أو لم يبلغ - تلقته الأمة بالقبول يفيد العلم اليقيني.

يقول ابن تيمية فيما نقله عنه بن القيم [١]:

"وأما القسم الثاني من الأخبار فهو: ما لا يرويه إلا الواحد العدل ونحوه ولم يتواتر لفظه ولا معناه، ولكن تلقته الأمة بالقبول عملاً به أو تصديقاً له كقوله ﷺ: (يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ)[٢] فهذا يفيد العلم اليقيني[٣].

وكذلك حديث: (لا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ)[٤] وهو حديث لم يبلغ درجة الصحيح، وفي سنده مقال، لكن تلقته الأمة بالقبول، فيجب القطع والعمل به، وهذا مذهب جماهير أمة محمد من الأولين والآخرين".

---

(١) ابن القيم: الصواعق المرسلة ٢/ ٤٣٢-٤٣٣، الموصلي: مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٧٢-٣٧٤، ابن تيمية: علم الحديث ص١١٧-١١٨، ومن الأئمة الذين قالوا بذلك: القاضي عبد الوهاب المالكي، والشيخ أبو حامد الأسفرائيني، والقاضي أبو الطيب الطبري، والشيخ أبو إسحاق الشيرازي من الشافعية. وابن حامد، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو الخطاب، وابن الزاغوني، وأمثالهم من الحنابلة. شمس الأئمة السرخسي من الحنفية، قال: وهو قول أكثر أهل الكلام من الأشعرية وغيرهم، كأبي إسحاق الأسفرائيني، وأبن فورك، قال: وهو مذهب أهل الحديث قاطبة، ومذهب السلف عامة، نقل ذلك ابن كثير عن العلامة ابن تيمية، ينظر أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص٣٤.

(٢) صحيح البخاري ٩/ ٤٣٣ (٢٦٤٥) سنن النسائي ٣/ ٢٩٥ (٥٤٣٥) ابن ماجة: السنن ١/ ٦٢٣ (١٩٣٧، ١٩٣٨)، ابن تيمية: مجد الدين عبد السلام ابن تيمية (ت ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م) المنتقى من أخبار المصطفى، الطبعة الثانية، دار الفكر ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م ٢/ ٦٦٣ (٣٨٥٨، ٣٨٥٩، ٣٨٦٣).

(٣) ينظر الصواعق المرسلة ٢/ ٤٣٢-٤٣٣، وينظر كذلك: الموصلي: مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٧٢-٣٧٤، ابن تيمية: رفع الملام ص٦٨-٦٩،

(٤) الدار قطني: علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٨م) سنن الدار قطني، عالم الكتب - بيروت ٤/ ١٥٢، رواه عن سهل بن عمار بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وسهل، كذبه الحاكم، وروي بطرق أخرى، كلها لا تخلو من مقال: ينظر: الزيلعي:جمال الدين، عبد الله بن يوسف (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق، محمد يوسف البنوري، دار الحديث - مصر ١٣٥٧هـ ٤/ ١١١، ابن حجر العسقلاني: الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق، السيد عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة - بيروت ٢/ ١٨٠ (٨٤٦)، وينظر كذلك: ابن تيمية: علم الحديث ص١١٨.

وينقسم الحديث حسب أنواعه صحة وضعفا إلى ثلاثة أقسام:

أ- الحديث الصحيح:

فهو الحديث الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون، شاذاً، ولا معلاً[١].

وذِكْرُ العلماء لهذه الصفات إحترازٌ، عن المرسل، والمنقطع، والمعضل، والشاذ وما فيه علة قادحة، وما في روايته نوع جرح. وقد حكم بصحة هذا النوع أئمة الحديث بلا خلاف[٢].

والصحيح أيضاً ينقسم إلى قسمين:

- صحيح لذاته: هو ما أشتمل من صفات القبول على أعلاها[٣].
- صحيح لغيره: لا يشتمل على صفات القبول أعلاها، بل يصحح لأمر خارجي عنه، كالحديث الحسن، فإنه إذا روي من غير وجه أرتقى بما عضده من درجة الحسن إلى درجة الصحة[٤].

ب- الحديث الحسن وهو:

ما اتصل سنده بنقل، عدل خفيف الضبط وسلم من الشذوذ والعلة.

والفرق بينه وبين الصحيح، أن العدل في الحسن خفيف الضبط بينما في الصحيح تام الضبط. وهو كالصحيح في الحكم به، والاستشهاد بمضمونه[٥].

وينقسم أيضاً إلى قسمين:

- الحسن لنفسه: هو الذي بلغ بنفسه - درجة الصحيح في شروطه، لكن أخف منه بضبط رجاله[٦].

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٧ -٨، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٩ - ٢٠.

(٢) ينظر المصدران السابقان بصفحاتها نفسها.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧ -٨، القاسمي: جمال الدين بن محمد سعيد (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، مطبعة ابن زيدون -دمشق ١٣٥٣-١٩٢٥م ص٥٦، الصالح: صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م ص ١٤٦.

(٤) ينظر المصدران السابقان بصفحاتها نفسها.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٣ - ١٤، ابن تيمية: علم الحديث ص ٨٢، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٣٧، ٣٨.

(٦) ينظر الصالح: المصدر السابق ص ١٥٦.

• الحسن لغيره: هو ما في إسناده مستور لم تتحقق أهليته ولا عدم أهليته غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ ولا متهماً بالكذب، ويكون متنه معضداً بمتابع أو شاهد[١].

وأول من قسم الحديث هذا التقسيم هو (الترمذي) وكتابه (الجامع الصحيح) أصل في معرفة ذلك[٢].

ومن مظان الحديث الحسن، (سنن أبي داود) و(كتاب المصابيح للبغوي) (وسنن الدار قطني)[٣].

وقول الترمذي: حديث حسن صحيح، قال ابن الصلاح[٤]: " أي حسن بالنسبة إلى إسناد صحيح بالنسبة إلى إسناد آخر ".

أما قوله: حسن غريب[٥] قال بن تيمية[٦]:

"والحديث قد يكون صحيحاً غريباً كحديث (إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)[٧]... فإن هذه صحيحة متلقاة بالقبول، ثم يقول: فهذا الحديث لا يعرف ثابتاً عن غير عمر".

ويستمر ابن تيمية في تعليل قول الترمذي ويقول[٨]:

---

(١) ينظر الصنعاني: توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ١/ ١٨٨

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٧-١٨، ابن يتمية: المصدر السابق ص ٨٢، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٣٩-٤٠.

(٣) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٨، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٣٩-٤٠.

(٤) المقدمة ص ١٩، ذهب بن كثير بأن المقصود بـ (حسن صحيح) أعلى رتبة عنده من الحسن، ودون الصحيح، ويكون حكمه على الحديث بالصحة المحضة أقوى من حكمه عليه بالصحة مع الحسن. ينظر أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٤١، لكن الأمام العراقي رده وقال: الذي ظهر له تحكم لا دليل عليه، وهو بعيد عن فهم معنى كلام الترمذي. ينظر العراقي: التقييد والإيضاح لما أطلق واغلق من مقدمة ابن الصلاح، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م ص ٤٠.

(٥) الغريب: الذي أنفرد به الواحد، ينظر ابن تيمية: المصدر السابق ص ٨٢.

(٦) المصدر نفسه ص ٨٢.

(٧) تكملة الحديث: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) حديث متفق عليه، ينظر: صحيح البخاري ٢/ ٢٣٠ (٢٢٠٣)، (فتح الباري ١/ ٩ (١).

(٨) علم الحديث ص ٨٢-٨٣.

"الذين طعنوا الترمذي لم يفهموا مراده في كثير مما قاله فإن أهل الحديث قد يقولون: هذا الحديث غريب أي: من هذا الوجه وقد يصرحون بذلك فيقولون: غريب من هذا الوجه. فيكون الحديث عندهم صحيحاً معروفاً من طريق واحد، فإذا روي من طريق آخر كان غريباً من ذلك الوجه، وإن كان المتن صحيحاً معروفاً، فالترمذي إذا قال: حسن غريب، قد يعني أنه غريب من ذلك الطريق، ولكن المتن له شواهد صار بها من جملةالحسن".

ج- الحديث الضعيف وهو:

ما لم يجتمع فيه صفات الصحيح، ولا صفات الحسن(١).

قد حاول بعضهم أن يجمع الصور العقلية لأقسام الضعيف من خلال فقده شروط الصحة والحسن فخرج بإحدى وثمانين وثلاثمائة صورة، يقول ابن حجر في ذلك(٢): "تعب ليس وراءه أرب".

أما أبو حاتم بن حبان البستي فقد بلغ به خمسين قسماً إلا واحداً(٣).

والأقسام المعروفة هي: الموضوع، المقلوب، الشاذ، المعلل، المضطرب، المرسل، المنقطع، المعضل(٤).

ذكر الأمام ابن الصلاح الشهرزوري الكردي(٥) قاعدة دقيقة في تصنيف الحديث الضعيف وجاء الأمام زين الدين العراقي الكردي أيضاً، وطبق تلك القاعدة على أنواع الحديث الضعيف بشكل جدول دقيق متناه في الدقة، وذلك إن دل على شيء فإنه يدل على ما امتاز به عقلية أئمة الحديث وتفوقهم في وضع مثل هذا المنهج واتسامه بالدقة في نقد الخبر.

من المعروف لدى أئمة الحديث كما سبق في شروط الحديث المقبول:

١ - الاتصال.

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٢٠، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٤٢.

(٢) السيوطي: ألفية السيوطي في علم الحديث، تصحيح وشرح أحمد شاكر، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٤م ص ٥٨، وينظر كذلك صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ١٦٥.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٢٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٠، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٤٢.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٢٠.

٢- العدالة.

٣- السلامة من كثرة الخطأ أو الغفلة.

٤- مجيئه من وجه آخر حيث كان في الإسناد مستور لم تعرف أهليته وليس متهماً بالكذب.

٥- عدم الشذوذ.

٦- عدم العلة.

فإن بفقدان أحد هذه الشروط يصبح الحديث ضعيفاً، وعد العراقي[١] الحديث الضعيف باعتبار فقدان هذه الشروط إلى أثنين وأربعين قسماً واليك ذلك بشكل جدول[٢].

---

(١) ينظر شرح العراقي على الألفية ص، وينظر كذلك الصنعاني: توضيح الأفكار ١/ ٢٤٩-٢٥٢.

(٢) ينظر الملحق رقم (١).

المبحث الثالث

نقد المتن

المتن لغة: ما صلب ظهره، والجمع متون ومتان، والمتن ما ارتفع من الأرض واستوى[١].

وقال الطيبي[٢]:

"هو ما اكتنف الصلب من الحيوان، وبه شبه المتن من الأرض، ... فمتن كل شيء ما يتقوم به ذلك الشيء كما أن الإنسان يتقوم بالظهر ويتقوى به ".

وفي الاصطلاح: متن الحديث ألفاظه التي تتقوم بها المعاني، واختلف في متن الحديث أهو قول الصحابي عن رسول الله ﷺ كذا وكذا أم هو مقول الرسول ﷺ فحسب؟ والأول أظهر[٣].

المتن عند المؤرخين:

وعند المؤرخين: هو الذي يقوم على نقد متن الرواية وتحليلها وعرضها على الوقائع التي هي أقوى منها، ومعارضتها بها، ودراسة لغة الخبر وغيرها واستخدام جميع الوسائل المتاحة للناقد التي تثبت دعواه[٤].

ونقد المتن عن المحدثين يقابل، النقد الداخلي (أو الباطني) عند المؤرخين[٥]، وأهم ما في النقد الداخلي:

---

(١) ينظر الجوهري: الصحاح ٢/ ٤٧٥، الازهري: محمد بن أحمد بن الازهر، ت ٣٧٠هـ/ ٩٨١م، تهذيب اللغة (تحقيق مجموعة من الاساتذة - القاهرة ١٩٦٤م) ١٤/ ٣٠٢، ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٤٣٤ (متن).

(٢) الطيبي: الحسين بن محمد بن عبد الله ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م، الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق صبحي السامرائي، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٧١م ص ٣٠.

(٣) الطيبي: المصدر السابق ص٣٠، وينظر كذلك السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٣٨، الأدلبي: صلاح الدين أحمد، منهج نقد المتن عند علماء الحديث، الطبعة الأولى، دار الافاق الجديدة - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ٣٠.

(٤) ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٦ (تقديم الدكتور بشار).

(٥) النقد الداخلي يتناول روايات النص لفهم معناها، وقدر اتجاهات مؤلفها ومدى تسرب الخطأ إليها أو تأثير التشيع فيها. ينظر قسطنطين زريق: نحن والتاريخ ص ٧١، اسد رستم: مصطلح التاريخ ص ٤٩.

- النقد السلبي للنزاهة، ويقابله البحث في ظاهرة الوضع عند الرواة.
- النقد السلبي للدقة، ويقابله البحث في ظاهرة الوهم عند الرواة[١].

بين نقد السند والمتن:

١ـ اتهام المستشرقين، علماء المسلمين بإهمال نقد المتن:

على الرغم من إشادة أغلب المستشرقين بعلم الحديث، ونقد السند، فإن أغلبهم وجماهيرهم العظمى، دأبوا في انتقاد علماء المسلمين بإهمال نقد المتن، وسار على درب هؤلاء ناس ينتمون إلى الإسلام، وأخذوا يرددون ما يقوله أعداء الإسلام دون إمعان النظر فيما كتبه لنا أسلافنا من أئمة الحديث والفقه والأصول، والتاريخ في نقد المتن، حتى أصبحت تلك المقولة - إهمال نقد المتن - كأنها مسألة بديهية عند المسلمين.

وأهم وأكبر المستشرقين الذين أشاعوا تلك المقولة هم:

الأمير كاتياني في كتابه (حوليات الإسلام) حيث يقول[٢]: "كل قصد المحدثين ينحصر ويتركز في واد جدب ممحل في سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي، ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة والمتن نفسه".

ويقول جوزيف شاخت (Joseph Schacht) [٣]: "ومن المهم أن نلاحظ أنهم أخفوا نقدهم لمادة الحديث، وراء نقدهم للإسناد نفسه".

أما جولد تسهير فيقول[٤]: "ومن السهل أن تفهم وجهات نظرهم في النقد ليست كوجهات النظر عندنا تلك التي تجد لها مجالاً كبيراً في النظر، في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها".

---

(١) ينظر الادلبي: المصدر السابق ص ٣٤.

(٢) ينظر ANALEED'LL ISLAM, L. CAIETANI. P، وينظر كذلك مجموعة من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية، ٣/ ٤٩٥ (مادة أصول).

(٣) المصدر نفسه ٣/ ٤٩٥ (مادة أصول).

(٤) جولد تسهير: العقيدة والشريعة، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين، الطبعة الثانية، مطابع دار الكتاب العربي - مصر ص ٥٠.

ويحاول المستشرق: جون بول، أيضاً الطعن بالمسلمين في إهمال نقد المتن حيث يشير ويشيد باهتمام المسلمين بنقد السند، ويسكت عن نقدهم المتن، لكي يظهر للباحثين أن المستشرقين هم الذين أحدثوا نقد المتن.

يقول[١]: "لا يعد الحديث صحيحاً في نظر المسلمين إلا إذا تتابعت سلسلة الإسناد من غير انقطاع، وكانت تتألف من أفراد يوثق برواياتهم".

ويسلك (غاستون ويت) مسلك (بول) حيث يمدح المسلمين في نقدهم السند، لكنه يقول[٢]: " إلا أن هؤلاء لم ينقدوا المتن ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد وصلنا كما هو عن رسول الله ﷺ من غير أن يضيف إليه الرواة شيئاً...... الخ".

ومن التلامذة المقلدين للمستشرقين، محمود أبو رية الضآل يقول في ذلك[٣]: "والمحدثون قلما يحكمون على الحديث بالاضطراب، إذا كان الاختلاف فيه واقعاً في نفس المتن، لأن ذلك ليس من شانهم من جهة كونهم محدثين... الخ".

ومنهم أيضاً: أحمد أمين، حيث كرر انتقاده لأئمة الحديث في ثلاثة من كتبه[٤] ومما جاء في ضحى الإسلام[٥]: "أنهم لم يتعرضوا كثيراً لبحث الأسباب السياسية التي قد تحمل على الوضع... لواتجهوا كثيراً إلى نقد المتن وأوغلوا فيه إيغالهم في النوع لأول (نقد السند) لا نكشفت أحاديث كثيرة وتبين وضعها مثل كثير من أحاديث الفضائل، وهي أحاديث رويت في مدح الأشخاص، القبائل، والأمم، والأماكن تسابق المنتسبون لها إلى الوضع فيها ".

وممن ردد ذلك من الباحثين أيضاً، عبد الحميد العبادي[٦] والدكتور عبد الله فياض[٧].

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٧/ ٣٣٥-٣٣٧.

(٢) Historie Generale Des Religions Islam P. 365-366، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٣) أبو ريه: محمود، أضواء على السنة المحمدية، الطبعة الأولى، مطبعة دار التاليف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م ص ٣٠٠، الأدلبي: منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص ١٣.

(٤) ينظر فجر الإسلام، الطبعة الثانية، لجنة التأليف - القاهرة ١٣٥٤هـ ٢/ ٢١٧-٢١٨، ضحى الإسلام ٢/ ١٣٠-١٣٢، ظهرالإسلام ٢/ ٤٨.

(٥) ٢/ ١٣٠-١٣٢.

(٦) ينظر هرنشو: علم التاريخ ص ٤٣ (مقالة العبادي في المقدمة).

(٧) ينظر: التاريخ فكرة ومنهجاً ص ٤٤.

تصدى لرد هؤلاء عدد من علماء المسلمين المعاصرين، وعلى رأسهم الدكتور مصطفى السباعي[١]، والدكتور صبحي الصالح[٢]، وبينوا زيف ومزاعم وادعاء هؤلاء، ونحن سنبين إن شاء الله في ما يأتي بالتفصيل بطلان مزاعم هؤلاء ومذهبهم.

٢ـ الفرق بين نقد السند ونقد المتن:

نقد الإسناد، يحتاج إلى جمع طرق الحديثين، شواهدها، والنظر في أسانيدها، حسب منهج الجرح والتعديل (النقد الإسنادي)، أو استعمال قاعدة التعارض والترجح، وقد يصل بعد ذلك إلى حل التعارض أو لا يصل[٣].

أما الجامع بين نقد السند، ونقد المتن، فإنه يستعين بنقد متن الحديث. إدراك التعارض بين أوله وآخره، على تضعيف تلك الرواية وترجيح أنها من الحديث المقلوب[٤].

٣ـ عدم التلازم بين صحة السند وصحة المتن:

بين أئمة الحديث بأن لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن، وضربوا أمثلة كثيرة لبيان ذلك.

قال الأمام العراقي[٥]:

"والحكم بالصحة أو الحسن على الإسناد لا يلزم منه الحكم بذلك على المتن، إذ قد يكون شاذاً أو معللاً".

وسنبين ببعض الأمثلة عدم التلازم بين صحة السند وصحة المتن، على وجه العموم، وإلا فإن بإلقاء نظرة فاحصة على كتب الموضوعات والعلل نجد في كثير من الأحيان أن ما كان باطلاً متنه يكون في سنده مقال[٦].

الأمثلة:

أ- قد يكون السند والمتن صحيحين مثل قوله ﷺ:

---

(١) ينظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ٢٣٦ - ٣٧٤.

(٢) ينظر: علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٨٣-٢٨٨.

(٣) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص ٢٠٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٠٤.

(٥) التقييد والإيضاح ص ٥٨.

(٦) ينظر البشير: ضوابط الرواية عند المحدثين ص٣٩.

(مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

ب- أن يكون السند والمتن باطلين، مثل حديث جابر[1]:

" رأيت رسول الله ﷺ وهو يفحج ما بين فخذي الحسين ويقبل زبيبته ويقول: لعن الله قاتلك، قال جابر فقلت: يا رسول الله ﷺ ومن قاتله، قال: رجل من أمتي يبغض عترتي ولا تناله شفاعتي، كأني بنفسه بين أطباق النيران، ترسب تارة وتطفو تارة وأن جوفه ليقول غق غق).

ج- أن يكون السند ضعيفاً والمتن صحيحاً مثل قوله ﷺ[2]: (مَنْ لا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ..) الحديث.

د- أن يكون المتن باطلاً والسند صحيحاً:

وهذا القسم نادر جداً، وهو الخبر الذي كان بمحضر عدد كبير من الناس فيتفقون على إخفائه، فلا ينفرد به إلا واحد مثل حديث أسماء بنت قيس[3]:

---

(١) ابن عراق:علي بن محمد الكناني (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ١/ ٤٠٨، ومعنى يفحج: يباعد، وزبيبته: أي ريقه قال بن منظور: وقد زبد شدقاه: اجتمع الريق في صامغيها: واسم ذلك الريق الزبيبتان. وغق غق: حكاية صوت الغليان. ينظر ابن منظور: اللسان ٢/ ٥ (زبب) ' ١٠٠٣ (غقق)، ١٠٥٦(فحج).

(٢) الطبراني: المعجم الصغير ٢/ ١٣١ (٩٠٧) الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠١م، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الطبعة الثانية، دار الكتاب -بيروت ١٩٦٧م ١/ ٨٧.

(٣) تنزيه الشريعة ١/ ٣٧٨، هذا الحديث تكلم العلماء في سنده طويلاً، لكن لو فرضنا أن الحديث صحيح السند فإن متنه باطل لوجوه:

أ- أن هذه الحادثة حادثة كونية وعالمية عظيمة والشمس ليست ملكا للمسلمين وحدهم، فلو كانت هذه الحادثة صحيحة، لعلم بها:

أولاً: كل المسلمين ولنقلوها ولأشتهرت، لأن الهمم والدواعي متوفرة على نقلها.

ثانياً: أن الأمم المجاورة كالروم، وغيرهم ذكرت ذلك في تواريخها أو تناقلتها شفاهاً، كما ذكر طوفان نوح بين الأمم جميعاً.

ب- ولما غابت الشمس خرج وقت العصر ودخل وقت المغرب وأفطر الصائمون وصلى المسلمون المغرب فلو ردت الشمس للزم تخبيط الأمة في صلاتها وصومها، ولم يكن في ردها فائدة لعلي إذ رجوعها لا يعيد العصر أداء.

ج-من المشهور والصحيح أن رسول الله فاتته صلاة العصر يوم الخندق، وحزن في ذلك وتألم ودعا على

(كان رسول الله ﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي ولم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله ﷺ لعلي: أصليت؟ قال: لا، قال رسول الله: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت).

هذا المثال الأخير قد بين لنا بوضوح ما ذهب إليه علماء الحديث بإمكان، جواز الخطأ والنسيان والوهم على الثقة.

كما ذهبوا إلى جواز الصدق من الكاذب.

أما ما ذهب إليه الأستاذ محمد عبد الرزاق حمزة [١] وهو: عدم إمكان تصور النسيان والخطأ في حق الثقات، فهو غير صحيح، لأنهم بشر وقد استدركت السيدة عائشة رضي الله عنها وكثير من الصحابة الآخرين، أوهاماً وقع فيها الثقة من الصحابة فما بالك بمن جاء بعدهم [٢].

وهذا الاحتياط واجب، يقول العلاقة بن القيم [٣]: "خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه فتارة يجزم بكذبه لقيام دليل كذبه، وتارة يظن كذبه إذا كان دليل كذبه ظنياً، وتارة يتوقف فيه فلا يترجح صدقه ولا كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح صدقه ولا يجزم به، وتارة يجزم بصدقه جزماً لا يبقى معه شك، فليس كل خبر واحد يفيد العلم ولا الظن... الخ".

وبعد أن تبين أن العلاقة بين صحة السند وصحة المتن مشروط، فيلزم لصحة المتن صحة السند، لكن لا يلزم من صحة السند صحة المتن [٤].

٤ـ الكلام على السند هو الكلام على المتن:

إن من المعلوم لدى المتتبعين، لعلم الحديث، أن جهود أئمة الحديث كانت منصبة على السند والمتن معاً، من حيث القبول والرد، ففي حالة القبول يدرسون الصحيح والحسن.

==

المشركين، فلو ردت لعلي لكان ردها يوم الخندق للنبي ﷺ أولى، وهذا لم يحدث. ينظر: ابن عراق المصدر نفسه ١/ ٣٧٩-٣٨٠.

(١) ينظر: ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية ص ٢٨٤.

(٢) ينظر الزركشي: بدر الدين، محمد بن بهادر(ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م) الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

(٣) مختصر الصواعق المرسلة ٢/ ٣٥٩-٣٦٠ وينظر كذلك الأدلبي: منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص ٣٥٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٣٥٥.

وفي حالة الرد يدرسون التضعيف والموضوع.

ربما كان البحث في نقد المتن عسيراً، لكون مسائله مفرقة غير مبوبة، وهذا بعكس نقد السند حيث أن أبوابه مجموعة ومبوبة في كتب الرجال، والجرح والتعديل، والتاريخ، والطبقات وغيرها، ولذا توهم بعض الناس بأن أئمة الحديث لم يعنوا بالمتن عنايتهم بالسند[(١)].

بإمكاننا أن نقول وبملء فينا، أن كل أقسام الحديث، من صحيح، أو حسن، أو ضعيف- معرض - عدا المتواتر لا ينظر فيه إلى إسناده فهو فوق ذلك لذا هو ليس من مباحث الإسناد - إلى نقد السند ونقد المتن، كما أن أئمة الحديث عنوا بذلك عناية بالغة، فمن المعلوم لدى الباحثين بهذا الشأن، أن قسمي الصحيح والحسن، قضية مشتركة، تتناول السند والمتن معاً، أو السند دون المتن، أو المتن دون السند.

أما المتواتر فإنه ينظر فيه إلى متنه، لأنه ليس من مسائل الإسناد.

وتجرد الصحيح لذاته من العلة والشذوذ كما يكونان في السند، كثيراً ما يكونان في المتن[(٢)].

وما قيل في الصحيح لذاته، يقال في العلة[(٣)]، وكذلك في أكثر أنواع الضعيف تتضح مسألة المتن[(٤)].

إن من تدبر (شروط الراوي) وتعمق في فهمها، ليرى بأم عينه أن تشدد النقاد في شروط الراوي ليس إلا وسيلة لتزكية الخبر المروي (المتن).

وقبل بيان التفصيل للأبواب المشتملة على السند والمتن معاً، ننقل كلاماً طيباً للدكتور صبحي الصالح حيث يقول في رده على المستشرقين[(٥)]: "على أننا لن نرتكب الحماقة التي لا يزال المستشرقون وتلامذتهم المخدوعون بعلمهم (الغزير) يرتكبونها كلما تعرضوا للحديث النبوي، إذ يفصلون بين السند والمتن مثلما يفصلون بين خصمين لا يلتقيان أو ضرتين لا تجتمعان فمقاييس المحدثين في السند لا تفصل عن مقاييسهم في المتن إلا على سبيل التوضيح والتبويب، والتقسيم

---

(١) ينظر صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٧٨، الأدلبي: المصدر السابق ٣٥٥.

(٢) ينظر المصدران السابقان: ص ٢٧٨-٢٧٩، ص ١٩١-١٩٢.

(٣) ينظر فصل العلل حيث تجد أن البحث يتناول السند والمتن معاً.

(٤) ينظر صبحي الصالح: المصدر السابق ٢٧٩.

(٥) صبحي الصالح: المصدر نفسه ص ٢٨٣.

وإلا فالغالب على السند الصحيح أن ينتهي بالمتن الصحيح، والغالب على المتن المعقول المنطقي الذي لا يخالف الحسن أن يرد عن طريق سند صحيح ".

الأدلة على أن المحدثين عندهم المتن والسند متداخل، ولم يعرفوا التفريق بينهما:

أ- الشاذ: وهو ما رواه مخالفاً لرواية من هو أولى منه، لا أن يروي ما لا يروي غيره[١] ويسمى مقابله في علم الحديث بالحديث المحفوظ.

وبمجيء الحديث من طريق آخر أصح، يتبين أن الرواية الشاذة قد وهم فيها أحد الرواة، وما انفرد به هذا الراوي يعتبر شاذاً ومردوداً وهذه مسألة تتعلق بالمتن[٢].

مثال لذلك ما رواه الحاكم عن بن عباس قال [٣]: (في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كآدم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى وقال صحيح الإسناد).

قال السيوطي[٤]: "ولم أزل أتعجب من تصحيح الحاكم له، حتى رأيت البيهقي قال: إسناده صحيح، ولكنه شاذ بمرة".

ب- **المنكر**: هو ما انفرد به من ليس بثقة ولا ضابط، ويسمى مقابله (المعروف)[٥]، أو كما يقول العلامة جمال الدين القاسمي [٦] : "الحديث الفرد الذي لا يعرف متنه من غير راويه، وكان راويه بعيداً عن درجة الضابط ".

مثاله: ما رواه النسائي وابن ماجه عن عائشة مرفوعا[٧]: (كُلُوا الْبَلَحَ بِالتَّمْرِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ عَاشَ ابن آدَمَ حَتَّى أَكَلَ الْجَدِيدَ بِالْخَلِقِ).

---

(١) ينظر الهروي: محمد بن محمد الحنفي - فصيح الهروي - (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م) جواهر الأصول في علم حديث الأصول، تحقيق أبو المعالي أطهر المباركفوري، طبعة بومباي - الهند ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ص ١٠٢.

(٢) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١٩٢-١٩٣، البشير: ضوابط الرواية عند المحدثين ص ٤٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ٢/ ٥٣٥ (٣٨٢٢).

(٤) تدريب الراوي ١/ ٢٣٣.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٧-٣٨، الهروي: جواهر الأصول ص ٤٧.

(٦) قواعد التحديث ص ١٣١.

(٧) النسائي: السنن ٤/ ١٦٦ (٦٧٢٤) ابن ماجه: السنن ٢ / ١١٠٥ (٣٣٣٠).

قال القاضي زكريا الأنصاري[١]: "فهذا الحديث منكر كما قاله النسائي وابن الصلاح وغيرهما، وراويه أبو زكير[٢] تفرد به وهو لم يبلغ رتبة من يحتمل تفرده، ولأن معناه ركيك لا ينطبق على محاسن الشريعة، لأن الشيطان لا يغضب من مجرد حياة بن آدم، بل من حياته، مسلماً مطيعاً لله ".

ج- المُعَلّ[٣].

د- **المضطرب**: هو الذي يختلف الرواة فيه، فيرويه بعضهم على وجه وبعضهم على وجه مخالف له، ويقع الاضطراب تارة في الإسناد، وفي المتن أخرى، وفيهما، من راو واحد أو أكثر[٤].

مثاله: حديث فاطمة بنت قيس قالت: سألت أو سئل رسول الله عن الزكاة فقال[٥]: (إِنَّ فِي الْمَالِ لَحَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ).

وعنها أنها سمعته تعني النبي يقول[٦]: (لَيْسَ فِي الْمَالِ حَقٌّ سِوَى الزَّكَاةِ).

هـ- المدرج[٧].

و- **المصحّف**: وهو تغيير لفظ أو معنى، والتصحيف نوعان:

إما تصحيف سمع أو بصر ويكون في المتن والسند فهذه ستة أقسام[٨].

ونكتفي هنا بمثالين فقط:

مثال: تصحيف لفظي، بصراً، في السند حديث شعبة، عن العوام بن مراجم[١] عن أبي

---

(١) الأنصاري:زكريا بن محمد بن زكريا ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م، فتح الباقي على ألفية العراقي، طبعة فاس ١٣٥٤هـ - ١/ ١٩٨.

(٢) يحيى بن محمد بن قيس، ضعيف يكتب حديثه توفي (بحدود ٢٠٠هـ) ينظر مسلم بن الحجاج: الكنى والأسماء، تحقيق عبد الرحيم محمد، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٢هـ ١/ ٣٥١ (١٢٦٣)، الذهبي: المقتنى في سرد الكنى، تحقيق محمد صالح المراد، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٤هـ ١/ ٢٤٩ (٢٣٦٣)، سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٩٦ - ٢٩٩.

(٣) ينظر: فصل العلل وقد تكلمنا بالتفصيل عن ذلك.

(٤) ينظر الهروي: المصدر السابق ص ٥٠.

(٥) الترمذي: السنن ٣/ ٤٨ (تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث - بيروت).

(٦) ابن ماجه: السنن ١/ ٥٧٠، البيهقي: السنن الكبرى ٤/ ٨٤ (٧٠٣٤).

(٧) ينظر التفصيل ص ٤٠١.

(٨) الهروي: جواهر الأصول ص ٣٥.

عثمان النهدي[٢]، عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ[٣]: (لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إلى أَهْلِهَا) الحديث.

صحّف فيه ابن معين فقال: ابن مزاحم[٤].

مثال: تصحيف لفظي بصراً في المتن، حديث ابن لهيعة عن كتاب موسى بن عقبة[٥] إليه بإسناده عن زيد بن ثابت[٦] أن رسول الله ﷺ: (احْتَجَمَ فِي الْمَسْجِدِ)[٧].

والصحيح إنما هو بالراء (احْتَجَرَ رسولُ الله ﷺ حُجَيْرَة بِخَصَفَة أو حَصير في المسجد)[٨]،

==

(١) من بني قيس لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر ابن حبان: الثقات ٧/ ٢٩٨ - ٢٩٩ (١٠١٦٢)، الحسيني: محمد بن علي بن الحسن (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م) الإكمال للحسيني، تحقيق عبد المعطي أمين قلعه جي، جامعة الدراسات الإسلامية - كراتشي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م ١/ ٣٢٦ (٦٧٦).

(٢) عبد الرحمن بن مل البصري، تابعي كبير، أدرك عهد النبي ﷺ، كان صواما قواما، يصلي حتى يغشى عليه، ثقة ثبت توفي (بين ٩٥ -١٠٠هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٦٥ -٦٦ (٥٦)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٢٣٥.

(٣) تكملة الحديث (يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء تنطحها)، رواه مسلم، ينظر (شرح صحيح مسلم ١٦/ ١٣٦)، الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الحافظ (ت ٢٩٧هـ/ ٩١٠م، الجامع الصحيح) تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م ٤/ ٥٣٠ (٢٤٢٠).

(٤) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ١٤٠-١٤١، وينظر تصحيفين كان سببهما البصر، الصولي: إبراهيم بن العباس بن محمد (ت ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م) أدب الكتاب - تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبعة المكتبة السلفية - القاهرة ١٣٤١م ص ٥٩.

(٥) موسى بن عقبة بن أبي عياش مولى الزبير، صاحب المغازي (ت ١٤١هـ) ينظر ترجمته ابن حبان: الثقات ٥/ ٤٠٤-٤٠٥، الربعي: محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق عبد الله أحمد، الطبعة الأولى، دار العاصمة - الرياض ١٤١٠هـ ١/ ٣٣١، الذهبي: طبقات المحدثين، تحقيق همام عبد الرحيم، الطبعة الأولى، دار الفرقان -عمان ١٤٠٤هـ ١/ ٥٧ (٥٤٥).

(٦) زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، صحابي جليل، جمع القرآن في عهد الصديق (ت ٤٥هـ) على الأكثر، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٥٥١ - ٥٥٤، ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٦١ - ٥٦٢ (٢٨٨٠).

(٧) مسند أحمد ٣٥/ ٤٨٤ (٢١٦٠٨).

(٨) رواه البخاري ينظر الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ١/ ٢٦٢ (٦٩١)، (فتح الباري ٢/ ٢١٤ (٧٣١).

فصحفه بن لهيعة لكونه أخذه من كتاب بغير سماع[١].

ز- **المقلوب**: هو الحديث الذي أنقلب فيه على أحد الرواة لفظ المتن، أو اسم رجل أو نسبه في الإسناد، فقدم ما حقه التأخير، أو أخر ما حقه التقديم، أو وضع شيئاً مكان شيء[٢] وقد يكون في السند، كما يكون في المتن[٣].

مثال المقلوب في السند كحديث مشهور عن (سالم)[٤] جعل عن (نافع)[٥] ليصير بذلك مرغوباً فيه.

مثال المقلوب في المتن: مثل حديث[٦] السبعة الذين يظلهم الله في ظله.

ورد في رواية مسلم[٧]:

(وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ).

وإنما هو[٨]: (حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ) فقد تم القلب في رواية مسلم[٩].

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٤١.

(٢) ينظر صبحي الصالح:علوم الحديث ومصطلحه ص ١٩١، وقد أخذت التعريف منه، لأنه تعريف جامع.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٩١، البشير: ضوابط الرواية ص ٤٦.

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ، أحد الفقهاء السبعة، ثقة (ت ١٠٦هـ) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٨٠ (١١)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ١٣١.

(٥) نافع بن جبير بن مطعم النوفلي، ثقة فاضل (ت ٩٩هـ) ينظر المصدران السابقان: ٢/ ٢٩٥ (١٥)، ص ٣٩٩.

(٦) نص رواية البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، أمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، و رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: أني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)، (فتح الباري ٣/ ٢٩٢ - ٢٩٣ (١٤٢٣)).

(٧) صحيح مسلم ٦/ ٣٨١ (٢٤٢٧)، (شرح صحيح مسلم ٧/ ١٢٠-١٢٢).

(٨) صحيح البخاري ٥/ ٣٨٢ (١٣).

(٩) ابن الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) تنقيح الأنظار في علوم الآثار، مطبعة السعادة، ١٣٦٦هـ ٢/ ١٠٦.

نقد المتن عند أئمة الحديث:

١- صعوبة البحث في الموضوع:

الكلام في مسألة النقد هي من أخطر وأصعب المسائل التي تواجه المحدث[١]، وخاصة نقد المتن، حيث لا يجوز لكل أحد أن يتكلم في هذا المجال الدقيق إلا الناقد البصير، والمتمرس الخبير.

من أفضل نعم الله تعالى على البشر هو تكريمه إياهم بالعقل، وتمييزهم على سائر المخلوقات بتلك الخصيصة، بل إنه جل وعلا جعل مدار التكليف الشرعي في الإنسان على العقل، وأن المجنون غير مخاطب بالحكم الشرعي[٢].

لكن هذا ليس معناه إطلاق العنان للعقل، بأن يَرُدّ الحديث لأدنى تعارض، أو استبعاد، أو عدم موافقة للعقل بوجه من الوجوه، لأنه لا يمكن في الحقيقة أن يكون ثمة تعارض بين صريح المعقول، وصحيح المنقول[٣]، ومنهج المسلم في ذلك هو كبح جماح العقل، حتى يكون تابعاً لما جاء به[٤] النبي ﷺ، لا أن يكون ما جاء به تابعاً لهواه، كما ينبغي على المسلم أيضاً عدم إلغاء العقل وعدم تعطيله، كي لا ينتقد حديثاً إلا على هدى من الله وبصيرة من العقل[٥].

إن أئمة الحديث تكلموا في نقد المتن[٦]، ولكن قلما يتكلمون في أصولها ومناهجها بخلاف النقد الإسنادي، بل يكتفون بالجانب العلمي، وهذا دليل على صعوبة التعبير عن هذا الموضوع ومنهجه[٧].

---

(١) ذهب الأمام بن الصلاح الشهرزوري، إلى التوقف في مسألة التصحيح والتضعيف في عصره، ينظر السيوطي: تدريب الراوي ١/ ١٤٩.

(٢) ينظر الزيدان: عبد الكريم الزيدان: الوجيز في أصول الفقه، الطبعة السادسة، الدار العربية للطباعة - بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ص ٦٧، ٧١.

(٣) ينظر ابن تيمية: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، المطبعة الأميرية، بولاق - مصر ١٣٢١هـ (مطبوع بهامش منهاج السنة).

(٤) ينظر ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٢٨٩.

(٥) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١٦.

(٦) روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة - بيروت ١٩٦١ ص٩٤، وأن أئمة الفقه وأصوله تكلموا في ذلك بشكل جيد ينظر الفصل السابع منه.

(٧) ينظر الأدلبي: المصدر السابق ص ٢٠.

روى الرامهرمزي: بإسناده أن عبد الرحمن بن مهدي تكلم على حديث، فقام إليه خراساني فقال له[١]:

من أين قلت؟ قال: إذا أتيت الصراف بدينار فقال لك: هو بهرج[٢]، تقدر أن تقول له من أين قلت؟[٣].

وروى بإسناده عن الربيع بن خيثم قال[٤]:

"إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار، وأن من الحديث، حديثاً له ظلمه كظلمة الليل".

وقيل لشعبة[٥]: من أين تعلم أن الشيخ يكذب؟ قال: إذا روى عن النبي ﷺ (لا تأكلوا القرعة حتى تذبحوها) علمت أنه يكذب.

من صعوبة هذا البحث هو أنه لا ينحصر في باب أو أبواب معينة من كتب الحديث، ولا في نوع من أنواعها، كالبحث في الحديث المرسل أو الحديث الحسن مثلاً، وإنما يحتاج إلى تتبع الإشارات عنه من جميع الأبواب، والكتب المصنفة في الحديث والمصطلح، والرجال وغيرها، بل يمكن القول بأن هذا البحث بحث مقارن متشعب، يحتاج إلى طول وقت، وتمرس بكتب الحديث، وأن يعيش الباحث مع هذا البحث سنوات وسنوات[٦].

لعل أن أول من أفرد بالتأليف في هذا الباب هو الأمام ابن القيم، قي رسالته المسماة (المنار المنيف)[٧].

---

(١) هو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد، أحد الأئمة الحفاظ الأعلام صاحب كتاب - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي - (ت ٣٦٠هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٠٥ -٩٠٧ (٨٧٠)، ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ٣٧.

(٢) بهرج: يقال درهم بهرج أي رديء، ينظر الرازي: مختار الصحاح ص٦٧ (ب هـ ر ج).

(٣) المحدث الفاصل ص ٣١٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٣١٦، الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٦٤، الخطيب: الكفاية ص ٦٠٥.

(٥) ينظر الرامهرمزي: المصدر السابق ص ٣١٦.

(٦) ينظر الادلبي: المصدر السابق ص ٢١ -٢٢.

(٧) ينظر الادلبي: منهج نقد المتن ص ٢٢، وينظر كذلك ابن القيم: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص ٤٣ - ١١٥.

اشترط العلماء شرطين لصحة المتن:

أ - أن لا يكون الحديث شاذاً.

ب- أن لا يكون الحديث معلاً.

٢ـ نقد المتن عند الصحابة:

إن الصحابة ﷺ هم النقلة المباشرون للروايات عن النبي ﷺ فمنهم من يسمع الحديث من فمه الشريف ﷺ، ومنهم من يأخذه بواسطة غيره من الصحابة، وقد يروي بعضهم عن بعض، ثم ينسبه إلى رسول الله ﷺ بلا تحرج، وذلك كما بينا أن الصحابة كلهم عدول لا يتهمهم في الكذب على رسول الله ﷺ إلا زنديق.

وهذا النوع يسمى بمصطلح أهل الحديث (مراسيل الصحابة)، وهي مقبولة.

لكن الصحابي كما ذكرنا سابقاً بشر، قد يخطيء ويتوهم لذا قد يقع للصحابي أن يسمع من صحابي آخر عن النبي ﷺ حديثاً، فيراه لا ينسجم مع ما فهمه من القرآن الكريم، أو ما سمعه من النبي ﷺ، وحينئذٍ يتوقف هذا الصحابي في هذا الحديث، أو ينكره، توقعاً منه على سهو الناقل وخطئه ووهمه[١].

ويمكن أن نجمل أسباب الوهم التي تقع للصحابة بما يلي:

أ - أن يحدث بما سمعه من النبي ﷺ ولا يدري أنه منسوخ.

ب- أن يقع له قلب بين لفظين، فيجعل كل واحد منهما، مكان الآخر وهو (المقلوب).

ج- أن يزيد مع الحديث قولاً من عنده، متصلاً بالحديث، فيظنه السامع أنه مرفوع وهو (المدرج).

د- أن يحمل الحديث من المعنى أكثر مما يتحمله.

هـ- أن لا يضبط لفظ الحديث بحيث يختلف المعنى.

و- أن يروي الحديث على غير وجه لغفلته عن سبب الورود.

ز- أن يقع له غلط، فيروي واهماً عن النبي ﷺ ما لم يسمعه منه[٢].

---

(١) ينظر الادلبي: المصدر السابق ص ١٠٥.

(٢) ينظر البشير: ضوابط الرواية ص ٤١ وما بعدها، الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١٠٦ وما بعدها.

ونورد في هذا المبحث بعضاً من ردود الصحابة بعضهم على البعض، فيما يتعلق بنقد المتن، وليس مجرد تصحيح كلمة، أو تذكير بمنسي، لأن هذا باب واسع لا نستطيع استيعابه هنا.

والذي نورده هنا اجتهاد صحابي، قد يكون محقاً في رده لذلك المتن، أو لا، لأن ما يراه أحد المجتهدين مخالفاً، للقرآن، أو العقل أو السنة، قد لا يراه مجتهد آخر كذلك، وقد يسمع أحدهم نقد غيره لروايته فيرجع عما روى، ويعتبر نفسه مخطئاً، وقد لا يرجع عن ذلك إذا غلب على ظنه أو تأكد له، بأنه غير واهم.

ونحن نذكر هنا (نقد المتن) لبعض كبار الصحابة فقط ﷺ لكونه بداية أولية لنقد المتن وإلا لطال بنا المقام وهذا ليس مجاله.

نقد المتن عند أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

السيدة عائشة رضي الله عنها معروفة بذكائها وفهمها، وكثرة رواياتها عن النبي ﷺ وكيف لا، وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ورأسه في حجرها، وكيف لا وقال عنها ﷺ (خُذُوا شَطْرَ دِينِكُمْ عَنِ الْحُمَيْرَاءِ)[١].

من ذلك نقدها للحديث (إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ)[٢].

انتقدت السيدة عائشة، أبا هريرة رضي الله عنهما في هذا الحديث وقالت: إن الحديث لم يكن هكذا، ولكن رسول الله ﷺ مر بدار رجل من اليهود، قد مات، وأهله يبكون عليه، وأنه قال[٣]: (أنهم لَيَبْكُونَ

---

(١) الزركشي: الإجابة لا يراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص٦١-٦٢. وينظر كذلك ابن القيم: المنار المنيف ص٦٠ هامش٢، قال أئمة الحديث كل حديث ورد فيه الحميراء ضعيف أو موضوع، لكن هناك حديثان صحيحان جزم بعض أئمة الحديث بصحة إسنادهما، ينظر الحاكم: المستدرك ٣/ ١٢٦، الكناني: أحمد بن أبى بكر (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٣م) مصباح الزجاجة، الطبعة الثانية، دار العربية - بيروت ٣/ ٨٢، ابن حجر: فتح الباري ٢/ ٤٤٤، والحديثان هما (خروج بعض نساء النبي ...وحديث لعب الحبشة) كما أن الحافظ ابن حجر صحح معنى الحديث: خذوا ثلث دينكم من بيت حميراء، ينظر العجلوني: كشف الخفا ١/ ٤٥٠، وينظر أقوال العلماء في تضعيف كل حديث ورد فيه الحميراء، ابن الجوزي: المصنوع ١/ ٢١١ - ٢١٢، ابن القيم: محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) نقد المنقول، تحقيق حسن السماعي، الطبعة الأولى، دار القادري - بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م ١/ ٥٠ -٥١، السيوطي: شرح سنن ابن ماجه، قديمي كتب خانه - كراتشي ١/ ١٧٨.

(٢) ابن ماجه: السنن ١/ ٥٠٨ (١٥٩٣-١٥٩٤)، الترمذي: السنن ٣/ ٣٢٨ - ٣٢٩ (١٠٠٦).

(٣) مسند أحمد ٤٣/ ٤١٢ (٢٦٤٠٨) ابن ماجه: المصدر السابق ١/ ٥٠٨ - ٥٠٩ (١٥٩٥)، الترمذي: المصدر السابق ٣/ ٣٢٨ - ٣٢٩ (١٠٠٦).

عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَيُعَذَّبُ) واستدلت بقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

إن أبا هريرة لم ينفرد بهذه الرواية، بل شاركه فيها كل من أمير المؤمنين عمر ﷺ، وعبد الله ابنه[(١)]، والمغيرة بن شعبة، وأبو موسى الأشعري[(٢)] ﷺ بلفظ (إِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أهله عَلَيْهِ)[(٣)].

وكذلك ردت على عمر ﷺ وقالت: رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ: (أن الله ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه)، ولكن رسول الله ﷺ قال[(٤)]: (إِنَّ الله لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أهله عَلَيْهِ وَقَالَتْ: حَسْبُكُمُ الْقُرْآنُ ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء: ١٥].

وهي ﷺ لم تتهم الصحابة لذلك قالت: واعتذرت لهم: أنكم لتحدثونني عن غير كاذبين، ولا مكذبين، ولكن السمع يخطيء[(٥)].

وقالت أيضاً في حق عبد الله بن عمر: غفر الله لأبي عبد الرحمن، أما أنه لم يكذب ولكن نسي أو أخطأ، وصرحت بنسبته للوهم والوهل[(٦)].

---

(١) عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، أسلم مع أبيه صغيرا، من خيرة الصحابة وفقهائها (ت ٨٤هـ) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٤١-٣٤٦، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٤٧ - ٣٥٠ (٤٨٣٤).

(٢) عبد الله بن قيس بن سليم، من كبار الصحابة، اختلف في وفاته بين (سنة ٤٢ - ٥٣هـ)، ينظر المصدران نفسيهما: ٢/ ٣٧١ - ٣٧٣، ٢/ ٣٥٩ - ٣٦٠ (٤٨٩٨).

(٣) رواه البخاري ومسلم ينظر: صحيح مسلم ٦/ ٧٥ (٢١٨١)، (فتح الباري ٣/ ١٥١ (١٢٨٦ - ١٢٨٧)، (شرح صحيح مسلم ٦/ ٢٣٢ - ٢٣٥).

(٤) الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١١٣-١١٤، واستدلت السيدة عائشة ﷺ بأن النبي ﷺ قد بكى على جماعة من الموتى وأقر الصحابة على ذلك، وكان ﷺ رحمة للعالمين، فمحال أن يفعل ما يكون سبباً لعذابهم أو يقر عليه، وهو مذهب طائفة كبيرة من السلف والخلف وتنوعت طرقهم في تلك الأحاديث الصحيحة فمنهم من غلط رواة الحديث مثل: عائشة والشافعي، ومنهم من حمل ذلك على ما إذا أوصى به كالمزنى وغيره، ومنهم من حمل ذلك على ما إذا كانت عادتهم، لكن لشيخ الإسلام رأياً مغايراً لهذه الآراء وملخصه: أن الحديث لم يقل يعاقب، بل يعذب، والعذاب أعم من العقاب فإن العذاب هو الألم وليس كل من تألم بسبب كان ذلك عقاباً له على ذلك السبب، ينظر الزركشي: الاجابة ص ١٠٢-١٠٣، ابن تيمية: مجموع الفتاوي، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف - الرباط ٢٤/ ٣٦٩-٣٧٤.

(٥) ينظر النووي: المصدر السابق ٦/ ٢٣٢، ٢٣٤، النسائي: سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ٤/ ١٨-١٩ (١٠٠٢-١٠٠٦).

(٦) رواه البخاري ومسلم (فتح الباري ٣/ ١٥٠ -١٦٠)، (المصدر السابق ٦/ ٢٣٢ - ٢٣٤، أبو داود: السنن ٣/ ١٩٠ (٣١٢٩).

نقد المتن عند أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.

روت فاطمة بنت قيس[١]، أن زوجها أبا عمرو بن حفص[٢] خرج مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن، فأرسل إليها بآخر تطليقة كانت قد بقيت من طلاقها، وأمر بعض أقاربه بأداء شيء من النفقة إليها فقالوا لها: مالك نفقة إلا أن تكوني حاملاً، فأتت النبي ﷺ فذكرت لهم قولهم، فقال لها[٣]: (لاَ نَفَقَةَ لَكِ وَلاَ سُكْنَى)

وقد ردّ سيدنا عمر رضي الله عنه هذه الرواية وكان يقول: لا ندع كتاب الله وسنة نبينا بقول امرأة لا ندري أحفظت أم نسيت؟. وقد كان عمر رضي الله عنه يجعل للمطلقات ثلاثاً السكنى والنفقة[٤].

أما قوله عمر لا ندع كتاب الله، فإنه كان يشير إلى قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١].

وهي في الرجعية أما الآية الثانية فإنها تعم الرجعية وغيرها وهي قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٦].

و أما قوله (وسنة نبينا) هو أنه رضي الله عنه سمع النبي ﷺ يقول[٥]: (لها السكن والنفقة).

---

(١) فاطمة بنت قيس بن خالد القرشية، وهي من المهاجرات الأوائل وفي بيتها اجتمع أهل الشورى، لما استشهد عمر رضي الله عنه، لم أقف على تاريخ وفاتها، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٣٨٣، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٣٨٤ (٨٥١).

(٢) أبو عمرو بن حفص بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، اختلف في اسمه قيل أحمد، وقيل عبد الحميد، وقيل اسمه كنيته، صحابي شهد فتوح الشام لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر المصدران السابقان: ٤/ ١٢٣ - ١٢٤، ٤/ ١٣٩ (٨٠١).

(٣) رواه مسلم ٩/ ٤٤٦ (٣٧٧٧١١١)، (شرح صحيح مسلم ١٠/ ٩٤ - ١٠٧)، أبو داود: المصدر السابق ٢/ ٢٩٤ -٢٩٨ (٢٢٨٤ - ٢٢٩٦)، الترمذي: السنن ٣/ ٤٨٤ -٤٨٥ (١١٨٠).

(٤) رواه مسلم ينظر النووي: (المصدر السابق ١٠/ ٩٤ -١٠٧)، أبو داود: المصدر السابق ٢/ ٢٩٤ -٢٩٨، لكن الإمام مسلم جعل (لا نترك كتاب الله وسنة نبينا) من قول الأسود بن يزيد، وهو التابعي الراوي لهذا الأثر، كما بينته رواية أبي داود، ينظر النووي: المصدر نفسه ١٠/ ١٠٤، أبو داود: المصدر السابق ٢/ ٢٩٧ (٢٢٩١).

(٥) ابن التركماني: علاء الدين، علي بن عثمان بن إبراهيم (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) الجوهر النقي، دار الفكر - بيروت (مطبوع بذيل السنن الكبرى للبيهقي) ٧/ ٤٧٦.

وأن السيدة عائشة رضي الله عنها أيضاً انتقدت فاطمة على ذلك [١].

ولعل سببه وهمها في نفيها السكنى، هو أنها استأذنت النبي ﷺ في الخروج من بيت الزوجية، لعذر، فأذن لها. سألته أين تنتقل، فأشار عليها بالانتقال إلى بيت ابن أم مكتوم [٢] وكان أعمى، فلا يراها إذا وضعت ثيابها [٣].

ولعلها لما فهمت ظناً أو نسيانا أنه لا حق لها في السكنى، قرنت بذلك أنه لا حق لها في النفقة [٤].

نقد المتن عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه

سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن رجل تزوج امرأة، فمات عنها قبل أن يدخل بها، وإن يفرض لها صداقا، فقال:

(مثل صداق نسائها لا وكس ولا شطط [٥] وعليها العدة، ولها الميراث) فقام معقل بن سنان الأشجعي [٦]، فقال: قضى رسول الله ﷺ في بَرْوَعَ بِنْتِ وَاشِقٍ [٧]، امرأة منا مثل الذي قضيت، ففرح بذلك ابن مسعود، لأنه أخبر أن فتواه وافقت فتوى رسول الله ﷺ [٨].

---

(١) ينظر النووي: (شرح صحيح مسلم ١٠/ ١٠٦ - ١٠٧)، أبو داود: السنن ٢/ ٢٩٧ (٢٢٩٣).

(٢) عمرو بن قيس وقيل عبد الله، واسم أمه عاتكة وتكنى أم مكتوم، من أوائل الصحابة، وكان ضريرا، وقد خلفه رسول الله ﷺ على المدينة في عامة غزواته توفي في عهد عمر رضي الله عنه، ينظر: ابن الجوزي: صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م ١/ ٥٨٢ - ٥٨٤ (٦٣)، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٥٢٣ -٥٢٤ (٥٧٦٤).

(٣) ينظر النووي: (المصدر السابق ١٠/ ١٠١).

(٤) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١٣٥، هناك تحقيق جيد حول نفقة المعتدة، ينظر: الصابوني: الدكتور عبد الرحمن: مدى حرية الزوجين في الطلاق في الشريعة الإسلامية، الطبعة الثانية، دار الفكر ١٩٦٨ م ١/ ٢٧٣ هامش ١.

(٥) الوكس: النقص، والشطط: الجور، ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، الطبعة الثانية، دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م ٤/ ٢٤١.

(٦) معقل بن سنان بن مظهر الأشجعي، روى عنه جماعة من التابعين (ت ٦٣هـ) ينظر ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٤٦ (٨١٣٦)، تقريب التهذيب ٢/ ٢٦٤ (١٢٧١).

(٧) الرواسية، زوج هلال بن مرة، لم أقف على وفاتها، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٢٥٥، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٢٥١ (١٧٤).

(٨) ينظر أبو داود: السنن ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤ (٢١١٤ - ٢١١٦)، الترمذي: السنن٣ / ٤٥٠ -٤٥١ (١١٤٥)، النسائي: السنن٦ / ١٢١ -١٢٣.

لا خلاف بين العلماء، أن عليها العدة، ولها الميراث، لكن الخلاف هو هل أن لها صداق المثل أم لا ؟[١].

ذهب إلى الأول ابن مسعود، وإلى الثاني علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت[٢].

ورد سيدنا علي خبر معقل وقال:

(لا يقبل قول أعرابي من أشجع على كتاب الله[٣] واستند علي ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَـٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٦].

ففي هذه الآية، أن المطلقة قبل الدخول وقبل الفرض لها لا تستحق الصداق، وهذا بالإجماع، فالظاهر أن المتوفي عنها كالمطلقة، بل ربما كان حكمها كذلك من باب أولى، لأن المطلق قد رجح مفارقتها باختياره، وليس كذلك المتوفي، وأقل ما في الأمر، أن كلاً منها فراق في نكاح، قبل الفرض، وقبل الدخول، فالواجب والمأمور به هو الإمتاع، وليس استحقاق المهر[٤].

نقد المتن عند علماء الحديث.

بينا فيما مضى أن أئمة الحديث عنوا بنقد المتن، ولم يغفلوا ذلك، ولكن لاشك أن اهتمامهم بالإسناد كان أكثر، للأمور التي ذكرناها ونريد أن نبين هنا القواعد التي استخدمها أئمة الحديث لنقد المتن، وشيئا من الممارسة والتطبيق العلمي لذلك، كي نبرهن بالأدلة القاطعة ممارستهم لنقد المتن على مستوى عام لجميع كتب الحديث بدون استثناء[٥].

---

(١) ينظر الصابوني عبد الرحمن: المصدر السابق ١/ ٢٣٧.

(٢) الساعاتي: أحمد عبد الرحمن البنا، بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن

(٣) هذا الأثر ضعفه جمع من أئمة الحديث، ينظر الصنعاني: عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت ٢١١هـ/ ٨٢٧م) مصنف عبد الرزاق، طبعة المكتب الإسلامي ٦/ ٢٩٣، البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) السنن الكبرى، دار الفكر -بيروت ٧/ ٢٤٧.

(٤) ينظر ابن العربي: أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨هـ ١/ ٢١٩، القرطبي: أبو عبد محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م) الجامع لاحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٦ م ٣/ ١٩٧.

(٥) ينظر عن نقد علماء المسلمين عامة للروايات، روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص١٣٩، ١٥٥ - ١٦٢.

فمن الخطوات التي وضعها أئمة الحديث لنقد المتن:

أ- نقد التصحيح:

وهو: تصحيح النص، حذر أئمة الحديث من الأخطاء التي تنجم عن النقل، وردوا ذلك إلى مصدرين، إما السمع، وإما البصر[١].

فالأخطاء الناشئة عن ضعف في السمع: تكون غالباً، في المتون ذات المصادر الشفهية.

أما الأخطاء الناشئة عن ضعف في البصر: فغالبا ما تكون في مصادر مكتوبة[٢].

وسمى أئمة الحديث ذلك بالتصحيف والتحريف[٣].

ب- تفسير النص:

وهو إما تحديد المعنى الحرفي، وبتعبير المحدثين (شرح الغريب) أو معرفته[٤].

كان أئمة المسلمين، يهتمون بذلك، ويتحرون معاني الألفاظ.

سئل الإمام أحمد عن حرف من غريب الحديث، فقال[٥]:

"اسألوا أصحاب الغريب، فاني أكره أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطئ".

وأما تحديد المعنى الحقيقي أو الإجمالي: ويسمى ذلك بالاستنباط، فإذا كان القصد من ذلك معرفة الأحكام الشرعية الواردة في المتن سمي الاستنباط استنباطاً شرعياً[٦].

وإذا كان لفهم لغة النص سمي الاستنباط لغوياً، أو هو تحليل لمضمون المتن من الناحية الفقهية واللغوية[٧].

---

(١) ينظر عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ١٤٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ١٤٣.

(٣) التصحيف: تغيير بعض الحروف في السياق نتيجة للفظ مع بقاء صورة الخط، والتحريف: تغيير بعض الحروف في السياق نتيجة للشكل، ينظر القاري: شرح نخبة الفكر ص ٧٥.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ١٣٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٣٧، السيوطي: تدريب الراوي ٢/ ١٨٥ ووقف الأصمعي نفس الموقف حينما سئل عن حرف غريب في حديث رسول الله ﷺ ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٣٧.

(٦) ينظر عبد الكريم الزيدان: الوجيز في أصول الفقه ص ١٦.

(٧) ينظر عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي ص ١٤٦.

اهتم بهذين الجانبين - وبالأخص الجانب الفقهي - مئات من أئمة المسلمين، وعلى رأسهم إبراهيم النخعي، والليث، والأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، واحمد.

قيل: أن الإمام الشافعي عكف على دراسة الشعر عشرين سنة، لكي يستعين به على فهم اللغة، ويتخذ ذلك وسيلة لفهم المتن واستنباط الحكم الشرعي(١).

ومن القواعد الكلية التي وضعوها لنقد المتن:

أ- عدم مخالفة القرآن الكريم.

ب- عدم مخالفة الثابت من الحديث والسيرة النبوية.

ج- عدم مخالفة العقل والحس والتاريخ(٢).

وقواعد أخرى سنأتي إلى تفصيلها في فصل الوضع(٣).

نماذج من نقد أئمة الحديث للمتن:

أ- كتابة النبي ﷺ(٤):

ورد في صحيح البخاري عن البراء رضي الله عنه في صلح الحديبية عبارة يفيد ظاهرها أنه ﷺ كتب، عندما كان علي رضي الله عنه يكتب شروط الصلح فلما كتب(٥):

(هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ. فَقَالُوا لاَ نُقِرُّ بِهَا، فَلَوْ نَعْلَمُ أنك رَسُولُ الله مَا مَنَعْنَاكَ، لَكِنْ أنت مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله. قَالَ «أَنَا رَسُولُ الله وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله». ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ «امْحُ رَسُولُ الله». قَالَ لاَ، والله لاَ أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ الْكِتَابَ، فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ

---

(١) ينظر عثمان موافي: المصدر السابق ص ١٤٦.

(٢) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٦٣، ابن الجوزي: الموضوعات، مطبعة المجد ١٣٨٦ -١٣٨٨هـ ١/ ١٠٣، ابن القيم: المنار المنيف ص ٤٣ -٤٤.

(٣) ينظر ص ٢٤٠.

(٤) هناك حديث آخر حول هذا الموضوع وهو حديث الطبراني من طريق ابن عقيل الثقفي (ما مات رسول الله ﷺ حتى قرأ وكتب) ثم قال: هذا حديث منكر، وأبو عقيل ضعيف الحديث وهذا معارض لكتاب الله عز وجل، أي قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، ينظر: الفتني: محمد طاهر الصديقي الهندي (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) تذكرة الموضوعات، مطبعة السعادة ١٣٢٣هـ ص ١٦، الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٢٥٣.

(٥) صحيح البخاري ١٠/ ٢٠ (٢٦٩٩) فتح الباري ٥/ ٣٠٣ - ٣٠٤ (٢٦٩٩).

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله، لاَ يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلاَحٌ إِلاَّ فِي الْقِرَابِ، وَأَنْ لاَ يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ، إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَأَنْ لاَ يَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا. فَلَمَّا دَخَلَهَا، وَمَضَى الأَجَلُ أَتَوْا عَلِيًّا..).

تمسك الإمام الباجي بظاهر النص الذي أوردناه في البخاري فادعى أن النبي ﷺ كتبه بيده[١].

رد جمهور العلماء على ذلك بطريقتين:

١- أن هناك أحاديث في الصحيحين توضح ذلك الإشكال فمنها حديث المسور بن مخرمة[٢] في البخاري في حكاية هذه القصة حيث جاء فيها[٣]:

(ثُمَّ قَالَ : « هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ». فَقَالَ سُهَيْلٌ [٤] :

واللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أنك رَسُولُ الله مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلاَ قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «والله إِنِّى لَرَسُولُ الله وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِى. اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله ».

ومنها: ما رواه مسلم عن أنس بن مالك فقد جاء فيها [٥]:

(هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ». فَقَالَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ لَوْ نَعْلَمُ أنك رَسُولُ الله تَابَعْنَاكَ وَلَكِنِ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله. فأمر عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاهَا فَقَالَ عَلِيٌّ لاَ والله لاَ أَمْحَاهَا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ « أَرِنِى مَكَانَهَا ». فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا وَكَتَبَ « ابن عَبْدِ الله ».

فهذان النصان صريحان في أنه ﷺ لم يكتب، ولكنه قال للكاتب اكتب.

٢- حمل الجمهور رواية (براء)على المجاز، وهي قوله: فكتب أي أمر بالكتابة، كما يقال:

---

(١) ينظر الأدلبي: المصدر السابق ص ٢٥٤، والباجي هو: سليمان بن خلف بن سعد القرطبي، أحد أئمة المالكية (ت ٤٧٤هـ) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ٤٠٨ -٤٠٩ (٢٧٥)، ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ٣٤٤ - ٣٤٥، هكذا يقع مثل هذا الإمام الجليل في الإشكال في التعامل مع أحاديث رسول الله ﷺ فما بالك بالصحفيين والأميين الذين لا يقرأون الكتاب إلا أماني !.

(٢) هو مسور بن مخرمة بن نوفل الزهري، ثقة (ت ٦٤هـ) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٢٤٩ (١١٣٦)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٣٧٧.

(٣) صحيح البخاري ١٠/ ٧٧ (٢٧٣١) فتح الباري ٥/ ٣٢٩ -٣٣٣ (٢٧٣٢) وهو حديث طويل جدا.

(٤) سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي، أحد الصحابة الاجلاء، مدحه الرسول ﷺ توفي باليرموك، وقيل بطاعون عمواس، ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ١٠٨-١١٢، ابن حجر الإصابة ٢/ ٩٣ -٩٤ (٣٥٧٣).

(٥) رواه مسلم ١٢/ ٨٩ (٤٧٣١)، (شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣٩).

كتب إلى قيصر وإلى كسرى، أما قوله (فأخذ الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب) ففيه حذف، إذ أنه اخذ الكتاب وليس يحسن أن يكتب ليريه على كلمة (محمد رسول الله) ليمحوها بنفسه ﷺ بعد أن حلف علي أن لا يمحوها وبعد أن محاها النبي ﷺ أمره أن يكتب (محمد بن عبد الله)[١].

بـ قيام الساعة قبل نهاية القرن الأول:

روى البخاري عن أنس أن غُلاَمًا لِلْمُغِيرَةِ وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِه مَرَّ فَقَالَ[٢]: (إِنْ آخر هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ).

هذا الحديث مشكل في ظاهره، وهو يدل على قيام الساعة بعد موت هذا الصبي مباشرة.

وقد فسر أئمة الحديث ذلك وبينوه، بما وقع لبعضهم من وهم لنص الحديث من النبي ﷺ، وكذلك معنى قول النبي بالساعة.

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً من الأعراب جفاة، كانوا يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول[٣]: (إِنْ يَعِشْ هَذَا لاَ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ).

وفسر هشام بن عروة، راوي الحديث عن أبيه عن عائشة، بقوله: يعني موتهم، وهذا يعني أنهم يسألون رسول الله ﷺ عن الساعة، لكنه ﷺ يصرفهم عن سؤالهم هذا، لأن علم الساعة لا يعلمها إلا الله وإنما صرفهم إلى التفكير في ساعتهم أي موتهم.

فمهما عمّروا فإن المنّية تلاقيهم، قبل أن يصل هذا الصبي إلى سن الهرم.

وهناك سبب آخر قد أوهم الصحابة رضي الله عنهم في ذلك، وهو ما استقر في ذهن الصحابة من قرب الساعة، حيث أنهم سمعوا من رسول الله ﷺ أحاديث تؤكد قرب القيامة، منها: حديث مسلم عن أنس بن مالك[٤]: (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَكَذَا) ويشير بإصبعه الإبهام والوسطى. ومعنى الحديث هو: قرب قيامها بالنسبة لما مضى من الدنيا[٥].

---

(١) ينظر: منهج نقد المتن ص ٢٥٤.

(٢) صحيح البخاري ٢٠/ ٣٥٠ (٦١٦٧).

(٣) صحيح ٢١/ ٤٠٥ (٦٥١١).

(٤) صحيح مسلم ١٨/ ٤٧٥ (٧٥٩٢)، (النووي: المصدر السابق ١٨/ ٨٩).

(٥) ينظر تفصيل ذلك ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٥٥٦ -٥٥٧، النووي: المصدر السابق ١٨/ ٨٩.

ومنها ما رواه مسلم والترمذي عن عبد الله بن عمرﷺ أن رسول الله ﷺ صلى بهم ذات ليلة صلاة العشاء، في آخر حياته، فلما سلم قام فقال [١]:

(أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأرض أحد).

قال ابن عمر: فوهل [٢] الناس في مقالة رسول اللهﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول اللهﷺ [٣]:

(لا يَبْقَى مَنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأرض أحد يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّهُ يَنْخَرِمُ ذَلِكَ الْقَوْمُ).

وقصد رسول الله ﷺ - أنه لا يبقى على ظهر الأرض - ممن هو كائن ليلتئذ على رأس مائة سنة.

بينما فهم الناس أنه لا يبقى بعد مائة سنة أحد مطلقاً.

وهذا الوهم يشبه الوهم الذي وقع فيه حديث هرم الصبي [٤].

جـ ولد الزنا شر الثلاثة:

روى أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ [٥]: (وَلَدُ الزِّنَا شَرُّ الثَّلاَثَةِ).

وقال أبو هريرة [٦]: لأن امتع بسوط في سبيل الله احب الي من اعتق ولد زنية.

وقد طعن أئمة الحديث وغيرهم على متن هذا الحديث بعدة طرق منها:

منافاته لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

ومنها أن السيدة عائشة لما بلغها ذلك قالت: كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح مسلم ١٦/ ٣٣٧ (٦٦٤٢) (النووي: المصدر نفسه ١٦/ ٨٩ -٩٠، الترمذي: السنن ٤/ ٤٥٠ - ٤٥١ (٢٢٥٠)، الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م) مشكل الآثار، دار المعارف، حيدر آباد - الدكن ١٣٣٣هـ ١/ ١٦١ - ١٦٢.

(٢) الوهل: الفزع والخوف، ينظر: لسان العرب ٣/ ٩٩٣ (وهل).

(٣) الطبراني: مسند الشاميين، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ٤/ ٢٢٧ (٣١٤٧).

(٤) ينظر الأدلبي: المصدر السابق ص ٢٨٢.

(٥) أبو داود: السنن ٤/ ٢٨ (٣٩٦٩).

(٦) أبو داود: السنن ٤/ ٢٨ (٣٩٦٩).

فقال: من يعذرني من فلان ؟ فقيل يا رسول الله ﷺ أنه مع ما به ولد زنا. فقال: (هو شر الثلاثة). قالت عائشة والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

فقد بينت السيدة عائشة أن لهذا الحديث سببا خاصا، ولا يجوز تعميم هذا الحكم على حالات أخرى.

ومنها أن البيهقي روى مرسلا أن أبوي، ولد الزنا، اسلما ولم يسلم هو، فلذلك، قال رسول الله ﷺ ذلك [١].

ومنها عن أبي هريرة أيضاً، فيما روى عنه مالك، سئل عن عتق ولد الزنا فقال: نعم ذلك يجزيء.

قال الزرقاني في شرحه [٢]:

"لأن المدار على الإيمان من غير نظر لنسب".

ومنها علل في أسانيدها ذكرها الإمام ابن الجوزي ثم علق عليها.

ثم أي ذنب لولد الزنا حتى يمنعه من دخول الجنة؟ فهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظم ذلك ما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وقد استشكلت هذه الأحاديث [٣] على العلامة ابن القيم، وأراد أن يقوي الحديث، ويثبت بأن ولد الزنا شر الثلاثة حيث يقول [٤]:

"ليست معارضة بها أن صحت، فإنه لم يحرم الجنة بفعل والديه، بل لأن النطفة الخبيثة، لا يتخلق منها طيب في الغالب، ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة، فإن كانت في هذا الجنس طيبة دخلت الجنة، وكان الحديث من العام المخصوص، وقد ورد في ذمه أنه شر الثلاثة، وهو حديث

---

(١) السنن الكبرى ٣/ ٩١(٤٩١٥)، وينظر كذلك الخطابي: أبو سليمان، حمد بن محمد بن إبراهيم(ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) معالم السنن، تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة - القاهرة ٥/ ٤٢١ - ٤٢٣.

(٢) شرح الموطأ، طبعة القاهرة ١٣١٠هـ ٤/ ٨٦، وينظر كذلك الطحاوي: المصدر السابق ١/ ٣٩١ - ٣٩٣.

(٣) ابن الجوزي: الموضوعات ٣/ ١٠٩ - ١١١، ومن تلك الروايات:
- لا يدخل الجنة ولد زنا، ولا ولده، ولا ولد ولده.
- فرخ الزنا لا يدخل الجنة، وروايات أخرى، ينظر: المصدر نفسه ٣/ ١٠٩ - ١١١.

(٤) المنار المنيف ص ١٣٣.

حسن ومعناه صحيح بهذا الاعتبار، فإن شر الأبوين عارض، وهذا نطفة خبيثة فشره في أصله، وشر الأبوين من فعلهما".

ومن يدقق النظر في قوله (لأن النطفة الخبيثة ...الخ) يرى أنه رحمه الله قد تكلّف في تأويل الحديث تكلفا لا مبرر له(١).

إضافة إلى ما ذكرنا فقد تكون هذه الروايات دخلت إلى صفوف المسلمين عن طريق مسلمة أهل الكتاب، لأن في التوراة عدة روايات متشابه، تقول بعدم دخول ولد الزنا الجنة ولا ولده، ولا ولد ولده، وفي رواية إلى سبعة آباء وفي أخرى الجيل العاشر(٢).

أئمة التاريخ ونقد المتن:

بينا فيما مضى أن أئمة التاريخ كان لهم مشاركة فعلية في نقد الإسناد، ولكن لم تكن تلك المشاركة بالمستوى المطلوب وقد حللنا سبب ذلك.

ونريد أن نضيف هنا شيئاً آخر من تلك الأسباب لكي نرفع بعض الملام عنهم.

١ - عدم تصورهم أن تتخذ الروايات التاريخية من بعدهم دينا أو عقيدة يحتكم إليها، دون الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله وكان ذلك سببا في تساهلهم في تلك الروايات(٣).

٢- أن بعضا من تلك الروايات، قد أدخلت في كتب هؤلاء المؤرخين وغيرهم بعد وفاتهم عن طريق أصحاب الأهواء، والنحل، والفرق، والمذاهب الباطلة، بزعامة الفرقة الضالّة التابعة للمجوس، لإدخال الباطل إلى هذا الدين، وتلويث الروايات التاريخية، وتشويه صور رجال الإسلام.

٣- عن طريق النساخ والوراقين من أعداء الإسلام، ممن كانوا يُزيِّدون، وينقِّصون، من أجل مكسب دنيوي زهيد، ويبيعون ضمائرهم مقابل ذلك.

---

(١) نقول متى كان شره أصيلا وشر والديه عارضا، إذ لو لم يكن الوالدان الفاجران لما كانت النطفة، فهما الأصل والسبب في وجوده، !! وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ [الطارق: ٥ - ٧].

(٢) ينظر: الكتاب المقدس ص ٩٣، سفر الخروج ٢٠ / ٥، وص ١٨٠، سفر العدد ١٤/ ١٨، وص ٢٤٢، سفر التثنية ٢٣/ ٣ -٤.

(٣) وقد اتخذ بعض الفرق الضالة والغالية من تلك الروايات الباطلة عقائد وأحكاماً يرجعون إليها ويؤمنون بها، ولا يؤمنون بغيرها، ينظر ص ٢٤٧ وما بعدها.

لكن مع وجود هذه الأسباب وغيرها، قد لا يعذرون أمام الله تعالى تجاه ما ملؤا به كتبهم من الدسائس والموضوعات والخزعبلات.

ومن أجل ذلك نرى أن بعض أئمة التاريخ كابن خلدون - مع ما ذكرنا من قواعد أئمة الحديث لنقد المتن - يضع مباديء رائعة لنقد المتن، بل ربما هو ثاني اثنين كما ذكرنا في عالم التاريخ يبين تلك الأسس ويحاكم الرواية التاريخية بطرق متعددة ومعارف متنوعة.

يقول ابن خلدون عن الروايات التاريخية والتاريخ[١]:

"فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق.

وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغاليط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الطريق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد ...الخ ".

ونذكر هنا عددا من أئمة التاريخ - كنماذج - الذين لهم دور في نقد بعض الروايات التاريخية، ولكن احدهم ربما لا ينتقد أكثر من بضع روايات أو أكثر من بين مئات الروايات.

١ـ الخطيب البغدادي.

ونختار من محاكمات الخطيب لنقد المتن محاكمتين:

أ- الخبر الموضوع على ابن المديني في مسألة خلق القرآن.

قال الخطيب [٢]: أخبرنا الحسين بن علي الصيمري[١]، حدثنا محمد بن عمران المرزباني[٢]،

---

(١) المقدمة ص ٧.

(٢) تاريخ بغداد ١١/٤٦٦ - ٤٦٧، وينظر أيضاً المديني: علي بن عبد الله بن جعفر (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م) العلل، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م ص ١٦ - ١٨ غير أنه سمى الحسين بن فهم حسنا، وهو إمام الأئمة وشيخ البخاري، حتى قال: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند

اخبرني محمد بن يحيى[٣]، حدثنا الحسين بن فهم[٤]، حدثني أبي[٥] قال: قال ابن أبي دؤاد[٦] للمعتصم: يا أمير المؤمنين هذا يزعم - يعني أحمد بن حنبل - أن الله تعالى يرى في الآخرة والعين لا تقع إلا على محدود، والله تعالى لا يحد.

فقال له المعتصم: ما عندك في هذا ؟ فقال: يا أمير المؤمنين عندي ما قاله رسول الله ﷺ. قال: وما قال عليه السلام؟ قال: حدثني محمد بن جعفر غندر[٧]، حدثنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد[٨]، عن قيس بن أبي حازم[٩] عن جرير بن عبد الله البجلي[١] قال: كنا مع النبي ﷺ في ليلة أربع عشرة من

= علي ابن المديني، ينظر: المصدر نفسه ١١/ ٤٥٨ - ٤٧٣ (٦٣٤٩)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٨ - ٤٢٩ (٤٣٦).

(١) حسين بن علي بن محمد بن جعفر القاضي، فقيه، صدوق(ت ٤٣٦هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٨/ ٧٨ -٧٩ (٤١٦٣)، ابن عماد: المصدر السابق ٣/ ٢٥٦.

(٢) مؤرخ أديب، يدلس، صدوق فيه تشيع واعتزال (ت ٣٨٤هـ) ينظر المصدران السابقان: ٣/ ١٣٥ -١٣٦ (١١٥٩)، ٣/ ١١١ -١١٢.

(٣) المعروف بأبي بكر الصولي، أحد أئمة الأدب في عصره، مقبول (ت ٣٣٦هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٣/ ٤٢٧ - ٤٣٢ (١٥٦٦)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٣٥٦ - ٣٦١ (٦٤٨).

(٤) حسين بن محمد بن عبد الرحمن بن فهم، ليس بالقوي (ت ٢٨٩هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٨/ ٩٢ - ٩٣ (٤١٩٠)، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٥٤٥ -٥٤٦ (٢٠٤١).

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن فهم بن محرز (والد السابق) لم أقف على تاريخ وفاته، ولا على توثيقه أو تجريحه، وهو من تلاميذ؛ يحيى ابن معين، ينظر الخطيب: المصدر السابق ٢/ ٣١١ (٧٩٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٤٩.

(٦) أحمد بن أبي دؤاد، فرج بن جرير القاضي المعتزلي (رأس فتنة خلق القرآن)، كان من أكرم الناس، حسن الخلق، ولولا ما وضع نفسه في الفتنة، لاجتمعت عليه الألسن (ت ٢٤٠هـ) ينظر وكيع: محمد بن خلف (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م) أخبار القضاة، طبع الاستقامة ١٣٦٩هـ ٢/ ٢٩٤ - ٣٠٣، الخطيب: المصدر السابق ٤/ ١٤١ - ١٥٦ (١٨٢٥)، ابن المرتضى: أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م) طبقات المعتزلة، تحقيق السيدة سوسنة ديفلد - بيروت ١٩٦١ م ص ٦٢.

(٧) ينظر ترجمته ص ٤٠٦.

(٨) البجلي مولاهم الكوفي الحافظ، حجة متفق عليه (ت ١٤٥هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٣ - ١٥٤ (١٤٨)، ابن عماد: المصدر السابق ١/ ٢١٦.

(٩) ثقة حجة كاد أن يكون صحابيا ت٩٨هـ ينظر الخطيب: المصدر السابق ١٢/ ٤٥٢ - ٤٥٥ (٦٩٣٦)، الذهبي: الميزان ٣/ ٣٩٢ - ٣٩٣ (٦٩٠٨).

الشهر، فنظر إلى البدر، فقال:

(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ)[٢].

فقال لأحمد بن أبي دؤاد: ما عندك في هذا ؟ قال: انظر في إسناد هذا الحديث، وكان هذا في أول يوم ثم انصرف، فوجه ابن أبي دؤاد إلى علي بن المديني - وهو ببغداد مملق[٣] ما يقدر على درهم - فأحضره فما كلمه بشيء حتى وصله بعشرة آلاف درهم، وقال له: هذه وصلك بها أمير المؤمنين، وأمر أن يدفع إليه جميع ما استحق من أرزاقه وكان له رزق سنتين، ثم قال له: يا أبا الحسن حديث جرير بن عبد الله في الرؤية ما هو ؟ قال صحيح، قال: فهل عندك فيه شيء ؟ قال: يعفيني القاضي من هذا.

فقال: يا أبا الحسن هذه حاجة الدهر ثم أمر له بثياب وطيب ومركب بسرجه ولجامه، ولم يزل حتى قال له: في هذا الإسناد من لا يعمل عليه ولا على ما يرويه، وهو قيس بن أبي حازم، وإنما كان أعرابيا بوالا على عقبيه، فقبل ابن أبي دؤاد ابن المديني واعتنقه، فلما كان من الغد حضروا، قال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين يحتج في الرؤية بحديث جرير، وإنما رواه عنه قيس بن أبي حازم، وهو أعرابي بوال على عقبيه، قال: فقال أحمد بن حنبل بعد ذلك: فحين أطلع لي هذا، علمت أنه من عمل علي بن المديني).

وقد ناقش مضمون هذا الخبر وانتقده الخطيب بطريقتين:

---

(١) أسلم قبل موت رسول الله ﷺ بأربعين يوما (ت ٥١هـ) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٢٣٢ -٢٣٣، ابن حجر: الإصابة ١/ ٢٣٢ (١١٣٦).

(٢) صحيح البخاري ٢٤/ ٢٨٥ (٧٤٣٤)، (فتح الباري ٢/ ٥٢ (٥٧٣). تضامُّون: تزدحمون. وَالتَّضَامُّ مِنَ النَّاسِ يَكُونُ فِي أول الشَّهْرِ عِنْدَ طَلَبِهِمُ الْهِلَالَ، فَيَجْتَمِعُونَ وَيَنْضَمُّ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ، وَيَقُولُ وَاحِدٌ: هُوَ ذَاكَ، وَيَقُولُ آخر: لَيْسَ بِهِ، وَلَيْسَ يَحْتَاجُ أَنْ يَنْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ لِطَلَبِهِمُ الْهِلَالَ؛ لأنهم كُلُّهُمْ يَرَوْنَهُ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ الْمَثَلَ بِالشُّهْرَةِ فِي الْقَمَرِ وَالظُّهُورِ؛ تَقُولُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنَ الشَّمْسِ وَمِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَأَشْهَرُ مِنَ الْقَمَرِ. وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ: وَقَدْ بَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أحد إِلَّا عَلَى أحد لَايعرِفُ الْقَمَرَا

ينظر الدينوري المالكي: أبو بكر أحمد بن مروان (ت ٣٣٣هـ) المجالسة وجواهر العلم، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت - لبنان) تاريخ النشر: ١٤١٩هـ ٣/ ٢٨٧ (٩٢٩).

(٣) أي فقير الحال، ينظر الرازي: مختار الصحاح ص ٦٣٣ (م ل ق).

١- ابن المديني يوثق قيس بن أبي حازم.

٢- لم يحك عن أحد ممن ذكر محنة أحمد، أنه نوظر في مسألة الرؤية، وهذان الدليلان كافيان للطعن في الخبر[١].

يقول الخطيب [٢]:

"قلت: أما ما يحكى عن علي بن المديني في هذا الخبر من أن قيس بن أبي حازم لا يعمل على ما يرويه لكونه أعرابيا بوالا على عقبيه فهو باطل.

وقد نزه الله عليا من قول ذلك، لأن أهل الأثر - وفيهم علي - مجمعون على الاحتجاج برواية قيس بن أبي حازم وتصحيحها، إذ كان من كبراء تابعي أهل الكوفة، وليس في التابعين من أدرك العشرة المقدمين، ولم يحك أحد غير قيس، مع روايته عن خلق من الصحابة سوى العشرة، ولم يحك أحد ممن ساق خبر محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل أنه نوظر في حديث الرؤية ...الخ ".

ب- وضع الجزية عن أهل خيبر.

أظهر بعض اليهود في عصر الخطيب، كتاباً وادعى فيه أن معه كتابا نبويا بإسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادات بعض الصحابة فأوقف الوزير بن مسلمة[٣] الخطيب على هذا الكتاب، فقال الخطيب [٤]:

---

(١) ساق ابن الجوزي هذه القصة في مناقب الأمام أحمد، ينظر ابن الجوزي: المحنة، مطبعة الخانجي ص ٣٩١.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦٧.

(٣) علي بن الحسن بن أحمد، لقبه القائم بأمر الله رئيس الرؤساء، واستوزره، ثقة (قتل ٤٥٠هـ) ينظر: الخطيب: المصدر نفسه ١١/ ٣٩١ - ٣٩٢ (٦٢٦٨)، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٨٠.

(٤) الكفاية في علم الرواية ص ١٩، يبدو أن محاولة خداع المسلمين بهذا الكتاب قد تكررت ثلاث مرات، في فترات زمنية متباعدة:

أ- في زمن ابن جرير الطبري - المؤرخ - (ت ٣١٠هـ).

ب- في زمن الخطيب - كما ذكرنا - سنة (٤٤٧هـ ت ٤٦٣هـ).

ج- أخيراً في زمن ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) ينظر ياقوت الحموي:معجم الأدباء، مطبعة دار المامون ١٣٥٥هـ ٤/ ١٨، ابن القيم: أحكام أهل الذمة، مطبعة جامعة دمشق ١/ ٧ -٩، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٤، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ص ١٠، وقد أطال وأفاد ابن القيم في نقد مضمون هذا الكتاب من حوالي عشرة أوجه، وكلها قيمة، ينظر: أحكام أهل الذمة ١/ ٧ -٩، المنار المنيف ص ١٠٢ - ١٠٥.

"هذا كذب، فقال له ابن مسلمة: ما الدليل على كذبه ؟ قال الخطيب: لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر. وقد كانت خيبر في سنة سبعة من الهجرة، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح، وفيه أيضاً شهادة سعد بن معاذ[١] وقد مات سعد قبل خيبر، عام الخندق، سنة خمس فأعجب الناس ذلك ".

٢ـ الإمام شمس الدين الذهبي ونقد المتن.

لا شك أن الإمام الذهبي هو أكبر مؤرخي الإسلام وأوسعهم استخداما للنقد بطريقتيه، السند، والمتن. وإن من يقرأ كتبه، كسير أعلام النبلاء، ميزان الاعتدال، تذكرة الحفاظ، تاريخ الإسلام، العبر ...الخ، يجد مئات من الشواهد على ذلك.

ونذكر هنا مثالين فقط لاستخدامه نقد المتن للروايات التاريخية.

أولاً: إسلام العباس بن عبد المطلب[٢] قبل معركة بدر[٣]: أشار الإمام الذهبي إلى بعض الروايات التي تفيد أن العباس قد أسلم قبل - غزوة بدر- ثم علق عليها مفنداً ذلك بقوله[٤]: "ولو جرى هذا لما طلب من العباس فداء يوم بدر! ".

ثانياً: ما روي عن عائشة: فخرت بمال أبي في الجاهلية وكان ألف ألف أوقية ...الخ، قال: وإسنادها فيه لين، واعتقد لفظة ألف الواحدة باطلة، فإنه يكون أربعين ألف درهم، وفي ذلك مفخر لرجل تاجر، وقد أنفق ماله في ذات الله، ولما هاجر كان قد بقي معه ستة آلاف درهم فأخذها صحبته، أما ألف ألف أوقية فلا تجتمع إلا لسلطان كبير[٥].

---

(١) بن النعمان بن امرء القيس، صحابي جليل القدر، كان يحبه رسول الله ﷺ (ت ٥هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٢٧ - ٢٨، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٨ (٣٢٠٥).

(٢) بن هاشم عم النبي ﷺ قيل أنه أسلم بعد غزوة بدر، وكتم إسلامه إلى أن فتح النبي مكة (ت ٣٢هـ) ينظر ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٧١ (٤٥٠٧)، تهذيب التهذيب ٥/ ١٢٢ - ١٢٣ (٢١٤).

(٣) وقعت بين النبي وبين قريش في السنة الثانية من الهجرة في مياه بدر، ينظر: ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت ٢/ ٢٥٧.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢/ ٩٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ١٨٥ - ١٨٦.

٣ـ ابن كثير ونقد المتن.

شارك ابن كثير في نقد المتن في عدد لا بأس به من الروايات ومما انتقده من الأخبار وجعل له عنوانا تحت: غريبة من الغرائب وآبدة الأوابد:

ملخص هذه الغريبة أن أحد كبار أئمة الحديث وهو - معمر[١] - يروي رواية مخالفة لما تواتر عن أهل الكوفة من الصحابة والتابعين ومنهم علي ﷺ من تفضيل علي على الشيخين. وإليك نص الرواية:

قال ابن كثير[٢]:

" قال ابن أبي خيثمة[٣]: ثنا أحمد بن منصور[٤]، ثنا سيار[٥]، ثنا عبد الرزاق[٦] قال: قال معمر مرة وأنا مستقبله وتبسم وليس معنا أحد ! فقلت له: ما شأنك. قال: عجبت من أهل الكوفة، كأن الكوفة إنما بنيت على حب علي، ما كلمت أحداً منهم إلا وجدت المقتصد منهم الذي يفضل علياً على أبي بكر وعمر، منهم سفيان الثوري. قال: فقلت لمعمر ورأيته؟ - كأني أعظمت ذاك - فقال معمر: وما ذاك ؟ لو أن رجلاً قال: عمر عندي أفضل من علي وأبي بكر ما عنفته، قال عبد الرزاق: فذكرت ذلك لوكيع بن الجراح[٧] ونحن خاليين فاستهالها من سفيان وضحك وقال: لم

---

(١) معمر بن المثنى، أبو عبيدة، صاحب العربية، أتهم بشيء من رأي الخوارج، اختلف في توثيقه (توفي بين ٢٠٨ - ٢١١هـ) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ١٥٥ (٨٦٩٠)، ابن حجر المصدر السابق: ١٠/ ٢٤٦ -٢٤٨ (٤٤٢).

(٢) البداية والنهاية ٨/ ١٢.

(٣) أحمد ابن أبي خيثمة، زهير بن حرب بن شداد، الأمام الحافظ، الحجة (ت٢٧٩هـ) ينظر الخطيب:تاريخ بغداد ٤/ ١٦٢ -١٦٤ (١٨٤٠)، الذهبي:تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٩٦ (٦١٩).

(٤) ينظر ترجمته ص ٤٠٦.

(٥) سيار أبو حمزة الكوفي، صدوق مقبول من الخامسة، لم أعثر على تاريخ وفاته ينظر ابن رجب: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) شرح علل الترمذي، تحقيق الدكتور همام عبد الرحيم، الطبعة الأولى، مكتبة المنار -الزرقاء - الأردن ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م ٢/ ٧٧١، تهذيب الكمال ١٢/ ٣١٥ (٢٦٧١) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٢٥٧ (٥١٣).

(٦) هو الصنعاني صاحب المصنف ثقة (ت ٢١١هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٦٤ (٣٥٧)، ابن حجر: المصدر السابق ٦/ ٣١٠ -٣١٥ (٦٠٨).

(٧) بن مليح الإمام الحافظ، الثبت، محدث العراق، شيخ الشافعي، كان يفتي على مذهب أبي حنيفة (ت ١٩٧هـ) ينظر المصدران السابقان: ١/ ٣٠٦ - ٣٠٩ (٢٨٤)، ١١/ ١٢٣ -١٣١ (٢١١).

يكن سفيان يبلغ بنا هذا الحد، ولكنه أفضى إلى معمر بها لم يفض إلينا، وكنت أقول لسفيان: يا أبا عبد الله أرأيت أن فضلنا علياً على أبي بكر وعمر، ما تقول في ذلك ؟ فيسكت ساعة ثم يقول: اخشي أن يكون ذلك طعناً على أبي بكر وعمر ولكنا نقف".

يعلق الأمام ابن كثير على هذا الخبر فيقول(١): "وهذا الكلام فيه تخبيط كثير ولعله اشتبه على معمر فإن المشهور عن بعض الكوفيين تقديم علي على عثمان، فأما على الشيخين فلا، ولا يخفى فضل الشيخين على سائر الصحابة إلاّ على غبيٍّ؛ فكيف يخفى على هؤلاء الأئمة ؟بل قد قال غير واحد من العلماء - كأيوب(٢) والدارقطني(٣) - : من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وهذا الكلام حق وصدق وصحيح ومليح".

ثم يضيف أن علياً ﷺ فيما نقل عنه متواتراً أنه أعلن في أكثر من مناسبة أن أفضل الناس بعد رسول الله أبو بكر وعمر ثم عثمان.

يقول ابن كثير، وهو ينقل عن علي قبيل وفاته بساعات(٤): "ألا تستخلف؟فقال: لا ولكن أترككم كما ترككم رسول الله، فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله، فهذا اعتراف منه في آخر وقت الدنيا بفضل الصديق. وقد ثبت عنه بالتواتر أنه خطب بالكوفة في أيام خلافته ودار إمارته فقال:

أيها الناس أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر ولو شئت أن أسمي الثالث لسميت. وعنه أنه قال وهو نازل من المنبر: ثم عثمان ثم عثمان ".

٤ـ ابن خلدون وإيقاع الرشيد بالبرامكة:

أن من الحكايات المشهورة في التاريخ الإسلامي، حكاية البرامكة، والتي حشيت بها كتب التاريخ، وقد ذكر المؤرخون عدة أسباب(٥) لإيقاع الرشيد بالبرامكة، وأعداء الإسلام أبوا إلا أن

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١٣.

(٢) أيوب بن أبي تميمة، كيسان، السختياني، البصري، الحافظ، العلم (ت ١٣١هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٣٠ - ١٣٢ (١١٧)، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٣٩٧ - ٣٩٩ (٧٣٣).

(٣) ينظر الملحق رقم (٣).

(٤) المصدر نفسه ٨/ ١٣.

(٥) ينظر مثلا ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٣٢٨ -٣٤٦ (رقم الترجمة ١٣٢/ ١٣٢ ب)، وقد ألّفنا كتاباً

يبرزوا سببا من تلك الأسباب بوضوح في رواياتهم لما لذلك السبب من النيل في شرف أبناء عم الرسول ﷺ وشرف المسلمين قاطبة.

يتصدى ابن خلدون كعالم نقاد محلل لتلك الخرافة والبدعة التاريخية، حيث يأتي إلى تحليل القضاء على البرامكة بتعاليل عقلية ومنطقية، واجتماعية وعمرانية لكي يبرهن بالنقد البناء لذلك النص الذي طالما تناوله الناس جيلاً بعد جيل، أنه نص باطل ودخيل على التاريخ الإسلامي.

يقول ابن خلدون(١):

"ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين، ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وأنه لكلفه بمكانهما من معاقرته إياهما الخمر إذن لهما في عقد نكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعهما في مجلسه وأن العباسة تحيلت(٢) عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها زعموا في حالة سكر فحملت ووشي بذلك إلى الرشيد فاستغضب !.

وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وأبويها وجلالها وأنها بنت عبد الله بن عباس ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال، هم أشراف الدين، وعظماء الملة من بعده، والعباسة بنت محمد المهدي بن عبد الله - أبي جعفر المنصور - بن محمد السجاد بن علي أبي الخلفاء ابن عبد الله ترجمان القرآن ابن العباس عم النبي ﷺ، ابنة خليفة، أخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول وعمومته، وإمامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها، قريبة عهد ببداوة العروبية وسذاجة(٣) الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش، فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها ؟! وأين توجد الطهارة والزكاء إذا فقد من بينها ؟ أو كيف تلحم

خاصًا في هذا الموضوع وسميناه: أسطورة العباسة بنت المهدي وقصص أخواتها في التاريخ الإسلامي، أمام منهج المحدّثين ونقّاد المؤرخين، وهو معدّ للطبع.

(١) المقدمة ص ١١ -١٣.

(٢) الزركلي:خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) الأعلام، الطبعة الثانية، مطبعة كوستاتوماس وشركاه ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧ م ٥/ ١٨٩ يروي شيئاً جيداً عن نفيه لذلك ويرى ذلك أيضاً من الموضوعات التي أدخلت في تاريخنا.

(٣) لعل قصده - الفطرة السليمة.

نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم[(١)] بملكة جده من الفرس أو بولاء جدها من عمومة الرسول وأشراف قريش وغايته أن جذبت دولتهم بضبع[(٢)] وضبع أبيه واستخلصهم ورقتهم إلى منازل الأشراف، وكيف يسوغ من الرشيد أن يصهر إلى موالي الأعاجم على بعد همته وعظم آبائه ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، وقاس العباسة بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه، لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها وفي سلطان قومها واستنكره ولج في تكذيبه، وأين قدر العباسة والرشيد من الناس ؟.

وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال، فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره، وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه فعظمت آثارهم وبعد صيتهم ...إنما قتلتهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر احتيالا على إسماعه للخليفة وتحريك حفائظه لهم وهو قوله:

ليت هندا أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما نجـــد

واستبدت مرة واحـــدة ... إنما العاجز من لا يستبد[(٣)]

---

(١) هذا الكلام فيه إعتداء، صارخ، لقواعد الدين وأصول الشريعة الغراء، ومما جاء به سيد المرسلين، حيث أن الإسلام، أذهب عن المسلمين هذه الشعارات الجوفاء، والنفخيات الباطلة، فرسول الله ﷺ نفسه، لم يكن إلا من العرب المستعربة، ولم يكن من العرب العاربة، باتفاق جميع أهل الأنساب، وأهل التاريخ، والتراجم وغيرها، ثم أليس هو القائل لمثل هؤلاء: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَالٍ أو لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنْ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ).

والعُبِّيَّةَ: الكبر. سنن أبي داود ٢/ ٧٥٢ (٥١١٦)، سنن الترمذي: ٥/ ٣٨٩ (٣٢٧٠)، ٧٣٤ (٣٩٥٥)، مسد أحمد ٢/ ٣٦١ (٨٧٢١) ، بأسانيد حسنة، صحيح بن حبان ٩/ ١٣٧ (٣٨٢٨) بإسناد صحيح. ونرجو أن يكون هذا الكلام، زلّة من الزلات التي لا يخلو منها، بشر من الناس، في ساعة من ساعات الغفلة، أو يؤول كلامه بأنه يقصد، عدم التكافئ، بين آباء عباسة، سادة المسلمين، وآباء البرامكة سادة المجوس، للاختلاف في الدين وهذا حق، أما غير ذلك، فهو من نعرات وحمية الجاهلية، التي جاء الإسلام، لإنقاذ البشرية منها.

(٢) ضبعه: أي كانوا تحت إبطه، وإبط أبيه (وصلوا إلى المناصب بفضلهم) ينظر: الرازي: مختار الصحاح ص ٣٧٦ (ض ب ع).

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ م ص ٥٣.

وأن الرشيد لما سمعها قال: "أي والله إني عاجز حتى بعثوا بأمثال هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم باس انتقامه".

٥ـ مشاركة العلماء عامة لنقد المتن:

بعد أن بينا مشاركة بعض المؤرخين لنقد المتن بشكل خاص نحب أن نشير هنا بأن أغلب علماء المسلمين - محدثين ومؤرخين وأصوليين وفقهاء - قد شاركوا في نقد المتون، ولكن تتبع هذا الأمر يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، وإليك بعض الأمثلة على ذلك.

خروج النبي ﷺ إلى الشام:

روى الترمذي في قصة خروج أبي طالب إلى بلاد الشام ومعه النبي ﷺ (وهو صغير يومئذ) في صحبة شيوخ من قريش. وفي هذه القصة، ذكر الراهب الذي نصح بعودة محمدﷺ، وفيها: أن أبا طالب رده، وبعث أبو بكر معه بلالاً، وزوده الراهب من الكعك والزبيب[١].

من السير والتاريخ وذلك لأن بلالاً إنما اشتراه أبو بكر بعد مبعث النبي ﷺ، وبعد أن أسلم بلال وعذبه قومه، ولما خرج النبي ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب، كان له من العمر اثنتا عشرة سنة، ولعل بلالاً لم يكن ولد بعد، ولما خرج المرة الثانية، كان له قريب من خمس وعشرين سنة، ولم يكن مع أبي طالب وإنما كان مع ميسرة[٢].

توقيت الإسراء:

روى البخاري عن شريك بن عبد الله[٣] أنه سمع ابن مالك[٤] يحدث عن الليلة التي أسرى فيها برسول الله ﷺ، فقال[٥]: (أَنَّهُ جَاءَهُ ثَلاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ.. الخ) الحديث.

اختلف رواة السير والتاريخ في مسألة توقيت هذه الحادثة فمن قائل: أنها في العام العاشر من البعثة.

---

(١) السنن ٥/ ٥٥٠ - ٥٥١ (٣٦٢٠).

(٢) ينظر: الاجابة ص ٤٨، وميسرة هو: غلام خديجة بنت خويلد ﵂، له ذكر في الطبري: ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٢٨٠.

(٣) ينظر ترجمته ص ٣٨٤.

(٤) أي أنس بن مالك الصحابي.

(٥) صحيح البخاري ٢٤/ ٣٨٥ (٧٥١٧)، فتح الباري ١٣/ ٤٧٨ (٧٥١٧).

ومن قائل: أنها كانت قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، كما نقله ابن سعد[١].

من المتفق عليه بين العلماء أن حادثة الإسراء كانت بعد البعثة وبنحو عشر سنين، وبذلك لا تتفق مع رواية البخاري أنها قبل البعثة.

هذا من جانب، ومن جانب آخر أن من المتفق عليه بين جميع علماء المسلمين أن الصلاة قد فرضت ليلة الإسراء، فهل يكون فرض الصلاة قبل نزول الوحي، وقبل النبوة ؟.

إذن فحديث شريك قد وقع فيه وهم، وقد أشار مسلم في صحيحه إليه، وقال: أنه قدم وأخر، وزاد ونقص، مشيراً إلى أن فيه عددا من الأوهام[٢]، وأقر بذلك الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث[٣].

قتل عمر أباه:

يروى في بعض الأخبار، أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه قتل أباه، في الجهاد في أحدى الغزوات - أي بعد الإسلام - فيعلق شيخ الإسلام على متن هذه الرواية ويقول[٤]: "هذا كذب، فإن أبا عمر مات في الجاهلية قبل مبعث الرسول".

ملك يحتال على النبي ﷺ:

يروي بعض القصاص: أن ملكاً يقال له بشير بن غنام، أتى النبي ﷺ وعمل عليه حيلة، واخذ منه تسع أنفس، علقهم على النخل، فبعث النبي ﷺ علياً فخلصهم، وكان من جملتهم خالد[٥].

قال ابن تيمية[٦]:

"الحديث المذكور عن بشير بن غنام كذب، وهذا الاسم غير معروف، وخالد بن الوليد لم يؤسر أصلاً، بل أسلم بعد الحديبية، وما زال منصوراً في حروبه".

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ١/ ٢١٣.

(٢) ينظر النووي: شرح صحيح مسلم ٢/ ٢٠٩ - ٢١٠.

(٣) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١٣/ ٤٨٠.

(٤) ابن تيمية: أحاديث القصاص، تحقيق محمد الصباغ، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٨٧.

(٥) ينظر السيوطي: تحذير الخواص ص ١٦.

(٦) مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٥٨.

وقوع النجم في دار علي رضي الله عنه:

يروي ابن الجوزي، عن ابن عباس أنه، انقض نجم من السماء صبيحة المعراج، وبعد أن حدث النبي ﷺ ببعض ما رأى من العجائب، وانقسم الناس - من أهل مكة - بين مكذب ومصدق قال النبي ﷺ:

(في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي).

فبحثوا عن النجم فوجدوه في دار علي، فقال أهل مكة: ضل محمد وغوى، وهوى إلى أهل بيته، ومال إلى ابن عمه علي بن أبي طالب فعند ذلك نزلت: ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ [النجم: ١ - ٤].

قال ابن الجوزي منتقدا مضمون هذه الرواية[١]:

"والعجب عن تغفيل من وضع هذا الحديث[٢]، كيف رتب ما لا يصح في العقول، من أن النجم يقع في دار، ويثبت حتى يرى؟!".

تقدم إسلام علي رضي الله عنه:

روى الحاكم في المستدرك عن علي رضي الله عنه، قال[٣]:

(عَبَدْتُ الله مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سَبْعَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَعْبُدَهُ أحد مِنْ هَذِهِ الأمة).

وممن حاكم هذه الرواية من حيث المضمون، الإمامان الذهبي، وابن الجوزي.

حكم عليها الذهبي بالبطلان، لأن هناك عددا ممن آمن بالنبي ﷺ بعد الوحي مباشرة مثل خديجة، وأبو بكر، وبلال، وزيد بن حارثة[٤]، وكذلك علي، وإسلام هؤلاء كان في أوقات متقاربة، بالأيام، والساعات، وهؤلاء كلهم عبدوا الله مع نبيه، فكيف انفرد علي رضي الله عنه بالسبع سنين معه بعبادة الله ؟.

لكن الذهبي يحاول أن يبين سر هذا الخطأ، وذلك بأن الراوي قد سمع ذلك خطأ، وأنه رضي الله عنه

---

(١) الموضوعات ١/ ٣٧٢ - ٣٧٤.

(٢) نعم كان من قصر نظره، وصغر عقله، كان يعتقد أن جرماً من الأجرام السماوية ربما بقدر كرة القدم !!.

(٣) المستدرك ٣/ ١١٢.

(٤) بن شراحيل الكعبي، وكان يسمى بزيد بن محمد قبل نزول آية سورة الأحزاب: آية / ٥، استشهد في غزوة مؤتة، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٥٤٤ - ٥٤٩، ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٦٣ - ٥٦٤ (٢٨٩٠).

قال: عبدت الله ولي سبع سنين[١].

أما الإمام ابن الجوزي فرد الرواية سنداً ومتناً. فبعد أن تكلم في أسانيد هذه الرواية، وضعفها، أبطلها من حيث مخالفتها لتقدم إسلام خديجة، وزيد، وأبي بكر، ولأن عمر أسلم بعد البعثة بست سنوات، وكان المسلمون أربعين فكيف يصح أنه عبد الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة بسبع سنين[٢].

---

(١) ينظر الحاكم: المصدر السابق ٣/ ١١٢، ومع ذلك هناك من خطأ الذهبي حيث أن بعض أهل السير حددوا عمر علي حينما أسلم بعشر سنين، أو إحدى عشرة سنة، ينظر: الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٣٢٣.

(٢) ينظر ابن الجوزي: المصدر السابق ١/ ٣٤١ - ٣٤٢.

الفصل الثاني

أحوال الراوي والرواية

يتطرق هذا الفصل إلى المباحث الآتية:

- المبحث الأول: الحفظ والكتابة عند المسلمين.
- المبحث الثاني: أحوال الرواة.
- المبحث الثالث: أحوال الرواية.



الفصل الثاني

أحوال الراوي والرواية

المبحث الأول

الحفظ والكتابة عند المسلمين

تمهيد:

قبل الدخول في الموضوع هناك بعض المصطلحات ذات الصلة بهذا الشأن تحتاج إلى البيان والتوضيح مثل الرواية، الحفظ، فما معنى هذه المصطلحات ؟

١ـ الرواية لغة واصطلاحا:

الرواية لغة تأتي بعدة معان منها:

حمل الحديث والشعر ومنه قولهم : هو راوية الحديث، وروى الحديث: حمله.

وكذا روى فلان حديثاً وشعراً يرويه رواية فهو راو فإذا كثرت روايته: قيل هو راوية والهاء للمبالغة.

وبمعنى الاستقاء، تقول: رويت على أهلي ورويت لهم ورويتهم: استقيت لهم.

ومنه يوم التروية لليوم الذي قبل عرفة لأن الناس يتزودون فيه الماء.

وبمعنى: المزادة فيها الماء والبعير، والبغل، والحمار يستقى عليه.

ونفهم من جملة ذلك بعد إخراجه من المعنى العام إلى المعنى الخاص بأنه: حمل الحديث والعناية به[(١)].

---

(١) ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨هـ ١٠٦٦م) المخصص، دار الفكر، مجلد ٢ جزء ٩ ص ١١٢.
الأزهري: تهذيب اللغة ١٥/ ٣١٣ - روي - (تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي -١٩٦٧م)
الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ ١٤١٥م) القاموس المحيط، ترتيب الشيخ طاهر النزاوي الطبعة الثالثة، الدار العربية للكتاب - ليبيا تونس ١٩٨٠م ٢/ ٣٨٩ (روي)، الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٤ م ١/ ٣٨٣ - ٣٨٤ (مادة روي)

وفي الاصطلاح: حمل الخبر والعناية به وبهذا يلتقي المعنى اللغوي والاصطلاحي في هذا المصطلح. [١]

٢ـ الراوي: هو الحامل للخبر وناقله مطلقاً، سواء أكان صادقاً أم كاذباً[٢].

٣ـ معنى الحفظ: هو العلم بالشيء حالا بعد حال من غير أن يتخلله جهل أو نسيان، ولهذا سمي حفاظ القرآن حفاظاً[٣].

ظاهرة الحفظ عند المسلمين:

١ـ الحفظ خاصية أمة الإسلام:

إن المتتبع لتاريخ الإسلام - من غير المسلمين - حينما ينظر إلى كتب: التاريخ، والتراجم، والطبقات، والفقه، والحديث، والأدب، والشعر، وما يجد فيها من الروايات حول حفظ المسلمين للأعداد الهائلة لأحاديث النبي ﷺ، أو الأبيات الشعرية، أو المسائل اللغوية، أو غيرها، قد يَعدُّ المسلمين مبالغين في هذا الأمر، وذلك حقهم، لأنهم أمم لم يهتموا بالحفظ ولم يختصوا بذلك.

وربما لو رأى أحد منهم أحد المسلمين يَعُدُّ من نسبه؛ عشرة من آبائه وأجداده، لاستكثر وعظم ذلك في عينه، لأنه - غالباً - لا يستطيع مثله، أن يذكر أربعة من آبائه !.

اهتمت أمة الإسلام بعقيدتها، وحضارتها، وأنسابها، اهتماماً عظيماً، لم يسبق لأي أمة قبل، ولا يمكن لها بعده، أن يشابهها، أو يقاربها.

بل المسلمون هم الذين دونوا تاريخ الحضارات القديمة كالرومان والفرس[٤] ولم يستطع هؤلاء تدوين تاريخهم وحضارتهم بأنفسهم، رغم امتلاكهم ناصية الحضارة لعشرات القرون من الزمن.

ولهذا فإن الله خص هذه الأمة لأنها أمة خاتم النبيين محمد ﷺ بحفظ شريعته وهيأهم لذلك، لكي يبقى دينه أبد الدهر محفوظاً.

---

(١) ينظر البشير: ضوابط الرواية ص٣١.

(٢) ينظر: لسان العرب١/ ١٢٦٣.

(٣) ينظر أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة - بيروت ص٨٥.

(٤) ينظر جواد علي: موارد تاريخ الطبري ١/ ٥، ناجي معروف: المدخل في تاريخ الحضارة العربية، الطبعة الأولى، مطبعة العاني - بغداد ١٣٧٩هـ ١٩٦٠م ص١٤٤، غربال: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٤٨١.

وللبرهان على صدق ما نذهب إليه، نسأل كم من اليهود والنصارى حفظوا أو يحفظون التوراة والإنجيل؟ أو بعبارة أخرى هل هناك من حفظ التوراة أو الإنجيل على مدى عشرات القرون من أهل الكتاب ؟ (١).

الجواب لا شك معروف، أنه لم يكن أحد من أهل الكتاب اهتم بهذا الشأن، أو فكر فيه أصلاً !.

لكن لو سألنا، كم حفظ من المسلمين القرآن الكريم، أو كم حفظ منهم من أحاديث الرسول؟

لتجد الجواب، مما يذهلك ويدهشك، بأنهم ملايين قديماً وحديثاً(٢)، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لأنهم أمة هيأهم الله تعالى وخصهم وميزهم في هذا الشأن دون غيرهم من الأمم، وأنهم أمّة خاتم النبيين.

---

(١) يذكر ابن عساكر رواية عن حمزة الزيات أحد القرّاء المشهورين ما يلي قال:

"خرجت إلى الجبانة (أي المقبرة) فإذا براهب قد أقبل من نحو الحيرة فسلم ثم قال أنت حمزة الذي تقرئ الناس غدوة وعشية قلت نعم قال ما أثر فيك القرآن والله إن الله ليعلم أني أريد أن أقرأ سفراً من الإنجيل منذ عشرين سنة فإذا علمت أنه نزل من عند الله يكاد قلبي يتصدع فلا أقدر أن أقرأه يا حمزة لقد فضلتم على جميع الأمم بحفظكم كتابكم فلا تطفئ المصباح فتدخل بيتك اللص قال لا تقطع الذكر فإنه نور القلب وكفاك بكلام الله واعظاً".

تاريخ دمشق ٥٧/ ١٢٧.

(٢) أحدث الأخبار تتحدّث أن في ليبيا الطاغية: معمر القذافي وفي عهده الظالم الذي ولّى ولا يعقّب هناك ما يقرب من مليون من الليبيين يحفظون القرآن ! وهذا في دولة واحدة لا يتجاوز سكانها خمسة ملايين من النسمة ! فما بالك ببعض بلاد المسلمين الذي يبلغ تعداده أكثر من ثلثمائة مليون نسمة ؟.

وكنت والحمد لله حفظت هذا الكتاب العظيم في السبعينيات هذا القرن، حين كان الإلحاد والظلم والكفر والشرك والإباحية، متفشياً ومنتشراً في بلاد العرب، بل وجميع بلاد المسلمين إلاّ من رحم ربك، وكان الشباب من أقراني ملتهين أما بالمتاهات والترهات أو الفسق والفجور، أو الإلحاد والانحراف، هداني الله بفضله ومنّه وكرمه، وسخّرني لحفظ كتابه، وحفظ أحاديث نبيّه، وفتون الفقة والعقائد والنحو والصرف، فكنت أرى نفسي بين الأنام غريباً في ذلك العهد المظلم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وقد تغيرت الأحوال والحمد لله، تغيّراً جذراً في التسعينيات القرن الماضي، وبدأ الناس يرجعون إلى دينهم وحفظ كتاب ربهم وسنّة نبيّهم، ولم ينقض القرن حتى كثر الحفاظ في جميع الآفاق في بلاد المسلمين، ولا زال الأمر بفضل الله في نماء وزيادة وخير.

إن الأبحاث العلمية والطبية الحديثة تؤكد أن باستطاعة المخ أن يخزن ويحفظ مئات من الكتب[١] والمجلدات.

ولا غَرْوَ في ذلك لأنه صنع الله، وإنما يختلف هذا الأمر من شخص إلى آخر، أومن أمة إلى أمة، وحيث أن أمة الإسلام وأهل العلم منهم خاصة، قد نموا هذه القابلية العقلية[٢] وغذوها بالمذاكرة والحفظ المستمر، وتقوى الله تعالى والحرص على العلم.

بينما الأمم الأخرى لم تهتم بهذا الجانب أبداً ولم نسمع أن أمة غير أمة الإسلام قد اهتمت بالحفظ.

لقد اهتم المسلمون بكتاب ربهم وسنة نبيهم، وبما يخدم هذين المصدرين بالحفظ والعناية والرعاية، عناية بالغة وحفظوا كتاب ربهم جيلاً بعد جيل كما أنهم حفظوا سنة نبيهم كذلك.

يروي لنا كتب التاريخ والسنة أن الأمام أحمد بن حنبل:

كان يحفظ ألف ألف حديث، وكذلك يحيى بن معين [٣].

وذُكِرَ عن صاحب كتاب (العوالي) [٤] أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني الطبري الشافعي[٥] أنه قال [٦]: "لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي".

---

(١) ينظر كنجو: خالص جلبي، الطب محراب الإيمان، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧ م ١/ ١٣٢ - ١٤٢.

(٢) ينظر: آن كريسي موريسون: العلم يدعو إلى الإيمان، ترجمة محمود صالح الفلكي، الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٥ م ص١٣٢-١٣٤، الكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق اسعد، الطبعة الرابعة، مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص١٤٤ -١٤٥.

(٣) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣١، الكتاني: الرسالة المستطرفة ص١٨، ١٢٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص١٦٥.

(٥) من فقهاء الشافعية (ت ٥٠٢هـ) ينظر ترجمته: جمال الدين، يوسف بن فرغل البغدادي. سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ ١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، طبعة حيدر آباد - الدكن ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م ٨ قسم ١/ ٢٩، ابن قاضي شهبة: أحمد بن محمد بن عمر الدمشقي (ت ٨٥١هـ - ١٤٤٨م) طبقات الشافعية تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، دار الندوة الجديدة - بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ٢/ ٢٩٤-٢٩٥ (٢٥٦).

(٦) سبط ابن الجوزي: المصدر السابق ٨ قسم ١/ ٢٩.

وذكر أبو علي القالي[١]: عن أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري[٢] النحوي اللغوي، شيخه قال[٣]: "كان شيخنا أبو بكر يحفظ فيما قيل ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن".

ومن أجل ذلك نجد أن جمهور الصحابة والتابعين كانوا يشجعون الحفظ على الكتابة، وقد رويت روايات كثيرة في ذلك.

منها: أن أبا نضرة[٤] قال: قالوا لأبي سعيد الخدري[٥]: ألا نكتب ما نسمع منك ؟.

قال: أتريدون أن تجعلوها مصاحف ؟ إن نبيكم ﷺ كان يحدثنا فنحفظ، فاحفظوا كما كنا نحفظ[٦].

وقال مالك[٧]: "ولم يكن القوم يكتبون، إنما كانوا يحفظون، فمن كتب منهم الشيء فإنما كان يكتبه ليحفظه فإذا حفظه محاه".

يروي حميد بن هلال[٨]: عن أبي بردة[٩]، قال[١٠]: "كان أبو موسى يحدثنا بأحاديث فقمنا

---

(١) إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون كردي (من قالي قلا)، قرب بحيرة وان في تركيا الحالية، أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب صاحب كتاب الأمالي (ت ٣٥٦هـ) ينظر الضبي: ابن عمير أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٤م) بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، مطبعة روحس - مجريط ١٨٨٤ م ص٢١٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦ - ٢٢٨ (٩٥).

(٢) (ت ٣٢٨هـ) ينظر: الأنباري: نزهةالألباء في طبقات الأدباء ص٣٣٠، ابن أبي يعلى: محمد بن محمد بن الحسين (ت ٥٢٦هـ - ١١٣١م) طبقات الحنابلة، طبعة الفقى - مصر ١٣٧١هـ١٩٥٢م ٢/ ٦٩

(٣) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٨٤٢، ابن عماد: المصدرالسابق ٢/ ٣١٥.

(٤) هو: المنذر بن مالك بن قطعة العبدي البصري، ثقة (ت ١٠٩هـ) ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٠٢ - ٣٠٤ (٥٢٧)، ابن عماد: المصدر السابق ١/ ١٣٥.

(٥) هو: سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري من علماء الصحابة، ومن الحفاظ المكثرين (ت ٧٤هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٨٩، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٥ (٣١٩٦).

(٦) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٦.

(٧) المصدر نفسه ١/ ٧٧.

(٨) حميد بن هلال العدوي، أبو نصر البصري من جلة التابعين، ثقة عالم من الطبقة الثالثة لم أقف على تاريخ وفاته. يتظر الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٦١٦(٢٣٤٥)، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٢٠٤ (٦١٥).

(٩) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري، قيل اسمه الحارث وقيل عامر، وقيل اسمه كنيته (ت ١٠٣هـ) على خلاف في ذلك، ينظر ابن حجر: الإصابة ٤/ ٨/ (١١٦) تهذيب التهذيب ١٢/ ١٨ - ١٩ (٩٥).

(١٠) ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ٧٩.

لنكتبها فقال: أتكتبون ما سمعتم ؟ قلنا نعم، قال: فجيئوني به، فدعا بماء فغسله وقال: احفظوا عنا كما حفظنا".

٢ـ أسباب الحفظ عند العرب قبل الإسلام:

هناك عدة أمور قد ساعدت العرب وساهمت في تنشيط ذاكرتهم واعتمادهم على الحفظ .

وقد حفظت ذاكرتهم القوية أشعارهم وأنسابهم التي بمثابة سجل تاريخي لهم[١] ومن هذه الأمور:

أ- بعد بلاد العرب عن مراكز الحضارة، وعدم انهماكهم في مشاغل وشؤون الحياة والحضارة، كما كان أهل الحضارات الفارسية والرومية والهندية وغيرها كانوا منهمكين في معترك الحياة [٢].

"أما الجزيرة العربية فقد كانت هادئة، بعيدة بل منعزلة عن مظاهر هذه الاضطرابات كلها، فلم يكن لدى أهلها من الترف والمدنية الفارسية ما يجعلهم يفتنون في خلق ومسائل الانحلال وفلسفة مظاهر الإباحية والانحطاط الخلقي ووضعها في قوالب من الدين.

ولم يكن لديهم من الطغيان العسكري الروماني ما يبسطون به أيديهم بالتسلط على أي رقعة من حولهم.

ولم يؤتوا من ترف الفلسفة والجدل اليوناني ما يصبحون به فريسة للأساطير والخرافات.

كانت طبائعهم أشبه ما تكون بالمادة الخام التي لم تنصهر بعد في أي بوتقة محولة، فكانت تترائى فيها الفطرة الإنسانية السليمة "[٣].

فكانت لهذه البساطة والبداوة والبعد عن الحضارة وتعقيدات الحياة أثر كبير في أسباب حفظهم [٤].

---

(١) ينظر عجاج الخطيب: المصدر السابق ص١١.

(٢) ينظر الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) الملل والنحل، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥ م ٢/ ٨٦- ٨٧، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة السادسة الناشر دار الكتاب العربي - بيروت ١٢٨٥هـ - ١٩٦٥ م ص ٢٨. البوطي: محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، الطبعة السابعة، دار الفكر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م ص ٣٣-٣٥.

(٣) البوطي: المصدر السابق. ص ٣٣ - ٣٤

(٤) ينظر البشير: المصدر السابق ص١٢٦.

ب- طبيعة العقلية العربية: أنها أُمَّةٌ أمية كما ذكر القرآن الكريم ذلك: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الجمعة: ٢]، ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكما عبر عنه الرسول الأكرم ﷺ بقوله[١]: (إِنَّا أُمَّةٌ أمية، لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ..) الحديث.

فأمة العرب أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، ولم يكن في الجزيرة العربية قبل الإسلام إلا عدد يسير ممن كانوا[٢] يقرؤون ويكتبون وهذه الصفة أيضاً غلبت حفظهم، وشجعتهم على حفظ الأيام، والشعر وروايتهم له حتى لا يكاد بطن من بطون العرب، ولا فخذ من أفخاذها يخلو من شاعر أو راو [٣].

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ٢٠٠ (١٩١٣)، صحيح مسلم ٧/ ٤٥ (٢٥٦٣) وينظر أيضاً: (فتح الباري: ٤/ ١٢٦ (١٩١٣)، (شرح صحيح مسلم ٧/ ١٩٢)

(٢) ينظر: ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ٣١٥ - ٣١٦، المقريزي: إمتاع الأسماع، تحقيق محمود شاكر، لجنة التأليف، القاهرة، ١٩٤١ م ١/ ١٠١.

زعم بعض المستشرقين أن وصف العرب (بالأميين) في القرآن الكريم يقصد به الجهل بالشريعة الإلهية، لا الجهل بالكتابة، والقراءة وسبب هذا الوهم هو خطأ بعض المفسرين لذكر رأي مرجوح ضعيف، حيث فرقوا بين أمية النبي ﷺ (بمعنى لا يقرأ ولا يكتب) وأمية العرب (بمعتى الجهل بالشريعة) وهذا أمر غير منطقي لا مسوغ له لغة ولا شرعاً، وهو تصور فارغ، أن يكون العرب أميون لجهلهم الشريعة الإلهية، وأما النبي فأمي نسبة إلى هؤلاء الجاهلين، لتعليمه إياهم شريعة الله، فهو نبي هؤلاء الجاهليين أو نبي هؤلاء الأميين!

فهل بعد هذين التفسيرين من تناقض؟

والقرآن والسنة قد بينا ذلك - كما مر - وهو فهم جمهور علماء المسلمين سلفاً وخلفاً ولكن هناك مسالة وهي:

هل أن العرب جميعهم كانوا أميين؟! أم القصد من هذا الوصف هو من باب التغليب، والذي نرجحه هو الرأي الثاني، والدليل على ذلك وجود الكتابة قبل الإسلام في قريش وفي الأطراف الشمالية للجزيرة العربية.

ينظر: الطبري: جامع البيان لأحكام القرآن ١/ ١٩٦، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤٢، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ قسم ١ ص ١٤، السهيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) الروض الآنف، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة ٢/ ٩٢ -١٠٠. الأسد: ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف - القاهرة ١٩٥٦ م ص ٢٤-٣٢، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٢٩٥ - ٢٩٧، العدوي: التاريخ الإسلامي آفاقه السياسية، وأبعاده الحضارية ص ٢٣ (لكنه ذهب إلى رأي المستشرقين)، صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ١٥- ١٦.

(٣) ينظر البشير: المصدر السابق ص١٢٦، هارون: عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، الطبعة الثانية، مطبعة المدني - القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥ م ص٩.

ج- ومن تلك الأسباب الصفة المعنوية عند العرب.

يقول مصطفى صادق الرافعي[(١)]:

"إن العرب قوم معنويون ...ولهذا كان لا بد لهم في أصل الخلقة من الحوافظ القوية التي ترتبط بمآثر تلك النفوس ارتباطا" [(٢)].

وفي الحقيقة، لم يكن العرب وحدهم، هم المخصوصون، بهذا الوصف، بل إن جل المسلمين، بجميع شعوبهم وقومياتهم، قد شاركوا إخوانهم العرب المسلمين في ذلك، ولا يعبر ذلك إلا عن جاهل، أو متجاهل بتاريخ الإسلام !.

٣- نوادر الحفظ وعجائب الحفاظ:

إن من يتابع قراءة كتب التراجم، والتاريخ ليرى عجائب أهل الإسلام في الحفظ والإتقان، واعتناءهم بحفظ الآثار، ومحبتهم لنبيهم ﷺ واهتمامهم بشريعتهم، كما أن هذا الحفظ النادر الوجود يعكس صورة واضحة لاهتمام المسلمين بالأخبار ودقة نقلها وتحمل المشاق من أجلها.

يقول الزهري[(٣)]:

"ما استودعت قلبي علما فنسيته ".

وذكر الذهبي [(٤)]:

"أن هشام بن عبد الملك[(٥)] سأل الزهري أن يملي على بعض ولده شيئاً فأملى عليه أربعمائة حديث. وخرج الزهري فقال:

أين أنتم يا أصحاب الحديث فحدثهم بتلك الأربعمائة، ثم لقي هشاماً بعد شهر أو نحوه فقال للزهري:

---

(١) هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق، شاعر، ، من أحسن كتاب هذا العصر (ت ١٣٥٦هـ) ينظر الزركلي: الأعلام ٨/ ١٣٧

(٢) الرافعي: تاريخ آداب العرب، طبعة - مصر ١٣٣٠ - ١٣٣٢هـ ١/ ٢٧١

(٣) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٦٤، ويظهر كذلك الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٩.

(٤) الذهبي المصدر السابق ١/ ١١٠.

(٥) هشام بن عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بني أمية (ت ١٢٥هـ) ينظر: تاريخ اليعقوبي ٨/ ٢٨٣، الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٨٣

إن ذلك الكتاب ضاع، فدعا بكاتب فأملاها عليه، ثم قابل بالكتاب الأول، فما غادر حرفا واحداً".

ومن عجائب حفظه أنه [1]: "حفظ القرآن في ثمانين ليلة".

و مما روي عن إسحاق بن راهويه يقول[2]:

"كأني أنظر إلى مائة ألف حديث في كتبي، وثلاثين ألفا أسردها، قال: وأملى علينا إسحاق من حفظه أحد عشر ألف حديث ثم قرأها علينا فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً".

ذكر الذهبي عن البخاري[3]:

"أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح".

وذكر أيضاً عنه أنه [4]:

"كان يختلف مع حاشد بن إسماعيل[5] وآخر إلى السماع وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أياماً فكنا نقول له فقال: إنكما قد أكثرتما علي فأعرضا علي ما كتبتما، فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر قلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه، ثم قال: أترون أني أختلف هدراً وأضيع أيامي؟ فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد".

ومنهم قتادة بن دعامة[6] يقول قتادة[7]:

"ما قلت لمحدث قط: أعد علي، وما سمعت أذناي قط شيئاً إلا وعاه قلبي.

---

(1) المصدر نفسه ١/ ١١٠.

(2) المصدر نفسه ٢/ ٤٣٤.

(3) أبو يعلى: الخليل بن عبد الله (ت ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م) الإرشاد، تحقيق محمد سعيد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد - الرياض ١٤٠٩هـ ٣/ ٩٦٢، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٥٦.

(4) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٦، وينظر كذلك ابن حجر: مقدمة فتح الباري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ ص ٤٧٨.

(5) حاشد بن إسماعيل البخاري، إمام ثبت (ت ٢٦١هـ): ينظر الذهبي: العبر في خبر من غبر ١/ ٣٧٤ - ٣٧٥.

(6) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، الحافظ المفسر (ت ١١٨هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٢ - ١٢٤ (١٠٧) الداودي: طبقات المفسرين ٢/ ٤٧ - ٤٨ (٤١٥)

(7) المصدر نفسه ١/ ١٢٣، وجابر هو: ابن عبد الله بن عمرو بن خزام الأنصاري، صحابي جليل من أصحاب العقبة الثانية (ت ٧٤ - ٧٨هـ) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٢٢١ - ٢٢٢، ابن حجر: الإصابة ١/ ٢١٢ (١٠٢٦)

وقال الإمام أحمد: قرأت عليه صحيفة جابر مرة فحفظها "[١].

وقال شعبة [٢]:

"قصصت على قتادة سبعين حديثاً كلها يقول فيها: سمعت أنس بن مالك إلا أربعة".

ومن هؤلاء الحفاظ ابن الجعابي أبو بكر التميمي [٣] يقول[٤]:

"دخلت الرقة وكان لي ثم قمطر [٥] من كتب فجاء غلامي مغموماً وقال: ضاعت الكتب قلت يا بني لا تغتم، فإن فيها مائتي ألف حديث لا يشكل علي حديث منها لا إسناده ولا متنه ".

ويقول أيضاً [٦]:

"أحفظ أربعمائة ألف حديث، وأذاكر لست مائة ألف حديث ".

ومنهم أبو زرعة يقول [٧]:

"إن رجلاً استفتاه أنه حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث، فقال تمسك بامرأتك. ويقول أحفظ في القراءات عشرة آلاف حديث ".

الرحلة في طلب الحديث:

تمهيد:

الرحلة لغة: من رحل الرحل وجمعه أرحل ورحال، وهو مركب للبعير والناقة. وقال الأزهري: فقد صح أن الرحل والرحالة من مراكب الرجال دون النساء.

والرحلة اسم للإرتحال للمسير.

---

(١) الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٢٢.

(٢) الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٢٣.

(٣) هو: محمد بن عمر بن محمد، من كبار الحفاظ، رافضي، فاسق، رقيق الدين، اختلط بآخره، أحرق كتبه قبل موته (ت ٣٥٥هـ) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد: ٣/ ٢٦ - ٣١ (٩٥٣)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٦٧٠ - ٦٧١ (٨٠٠٦)، تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٢٥ - ٩٢٩ (٨٨١)

(٤) الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٢٦.

(٥) القمطرة: ما يصان فيه الكتب. ينظر الرازي: مختار الصحاح ص ٥٥١ (ق م ط ر).

(٦) المصدر نفسه ٣/ ٩٢٦، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٧٠.

(٧) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٧.

والراحلة من البعير القوي على الأسفار بالأحمال، وهي التي يختارها الرجل لمركبه[١].

فهذه المعاني كلها تدل على السفر والانتقال من مكان إلى مكان.

وفي الاصطلاح: هو الرحلة في طلب العلم عامة، وعلم الحديث خاصة، سواء من أجل حديث واحد أو أكثر[٢].

١ـ الرحلة في طلب الحديث وتاريخه[٣].

لم يعرف تاريخ البشرية أمة من الأمم اعتنت بقول نبيها أو عظيماً من عظمائها اعتناء المسلمين بقول نبيهم ﷺ، حفظاً، وكتابة، وشرحاً، وتفسيراً، ورحلة من أجله، وبيان الصحيح والحسن والضعيف والموضوع منه.

فمن العلماء: من عمل إلى نقل ما استطاع مما تلقاه، مسنداً إلى رسول الله ﷺ.

ومنهم: من جمع الصحيح من أحاديثه ﷺ دون غيرها، كالصحيحين وصحيح ابن خزيمة[٤] وصحيح ابن حبان وغيرها.

ومنهم: من جمع كل حديث صحابي على حدة فجمع ما رواه أبو بكر الصديق وجعله وحده، وهكذا ما رواه كل صحابي، من غير نظر إلى ترتيبه حسب الأبواب الفقهية.

---

(١) ينظر ابن منظور: اللسان ١/ ١١٤٠ - ١١٤٢.

(٢) ينظر الخطيب: الكفاية ص١٥ (مقدمة المحقق)، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق الدكتور نور الدين عتر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٥هـ ١٩٧٥ م ص ٣١، ٣٨. وينظر ابن عبد البر: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، طبعة دار الجيل - مصر ١/ ٣٧.

(٣) للرحلة فوائد جليلة وقد لخصها الإمام الشافعي في قوله:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى ... وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هـم واكتسـاب معيشـة ... وعلـم وآداب وصحبة ماجـد

اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الاعلمي- بيروت ١٩٧٠ م ٢/ ٢٦، الزعبي: محمد عفيف، ديوان الإمام الشافعي، دار النور - بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١ م ص ٤١، بهجت: مجاهد مصطفى شعر الشافعي، مطبعة جامعة الموصل ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ص٢٦٥.

(٤) محمد بن أسحق بن خزيمة السلمي، إمام الأئمة، العلامة الفقيه (ت ٣١١هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٢٠ - ٧٣١ (٧٣٤)، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ١٣٠.

وهي طريقة أصحاب المسانيد، كمسند أحمد، وأبي داود والطيالسي[١].

ومنهم: رتب كتبه على الكتب والأبواب والأبواب الفقهية وهي كتب أصحاب السنن[٢] وغير ذلك من الطرق التي استخدمها أئمة الحديث لخدمة السنة النبوية مما يطول ذكره.

وأكبر دليل على اهتمامهم بذلك هو بذلهم الجهد الجهيد من أجل الحديث وإسناده والرحلة في طلب ذلك، وقطع المسافات الشاسعة من أجل الحديث الواحد. أو علو إسناده في بعض الأحيان " والرحلة من لوازم طلبة الحديث ومنهج المحدثين[٣] يقول ابن الصلاح[٤]: "وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره".

قال ابن معين [٥]:

"أربعة لا تؤنس منهم رشداً: حارس الدرب، منادي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده، ولا يرحل في طلب الحديث".

وقد فهم أئمة الحديث ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ومن قول النبي ﷺ[١]:

---

(١) سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش من كبار حفاظ الحديث (ت ٢٠٤هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٩/ ٢٤ - ٢٩ (٤٦١٧)، ابن الأثير: عز الدين، اللباب في تهذيب الأنساب، طبعة مصر ١٣٥٦ -١٣٦٩هـ ٢/ ٩٦.

(٢) ينظر تفصيل ذلك، الخطيب: الكفاية ص ١٥ -١٦ الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ٢٣، ٣١، ٣٢، ٧٣.

(٣) وهؤلاء الرحالة يذكرون المسلمين على ما كانوا عليه من وحدة المسلمين، ووحدة الوطن الإسلامي، فكانت كمدينة واحدة، لا جنسية تحددها، ولا قوم يغتصب بلداً منها، أو يفرض رأيه عليها، والمحدثون وأهل العلم عامة يطوفون ويجوبون أنحاء البلاد شرقها وغربها، دون السؤال عن الجنسية، ودون التفتيش من قبل جهاز الأمن والشرطة، ودون طلب تأشيرات، أو إقامة من قبل أحد، ودون أي إزعاج، أو متابعة أو مراقبة ! فالله واحد، والوطن واحد، والحكم واحد، والمسلمون واحد، وعلى قلب رجل واحد، جمعهم إيمانهم بالله عز وجل، وتوحيدهم له، وتطبيقهم لشرعه الشريف، فحقاً جنسية المسلم كانت عقيدته، يالها من سعادة !! ينظر صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٥٧.

(٤) المقدمة ص١٢٤

(٥) المصدر نفسه ص ١٢٤.

(وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ).

وتاريخ الرحلة يعود إلى عصر النبي ﷺ والصحابة ﷺ والسلف الصالح[٢] وكتاب (الرحلة في طلب الحديث) للخطيب البغدادي خير وثيقة في هذا الباب، يؤكد ويؤيد صحة هذا الأمر.

فالصحابة كانوا يرحلون إلى النبي ﷺ من أجل خبر سمعوه، أو أمر ذي بال لم يعرفوا حكمه فمن ذلك ما رواه الشيخان[٣]:

(جَاءَ رَجُلٌ إلى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أهل نَجْدٍ، ثَائِرُ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ، وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ حَتَّى دَنَا، فإذا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإسلام فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ « خَمْسُ صَلَوَاتٍ في الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ « لاَ، إلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ ». قَالَ رَسُولُ الله ﷺ « وَصِيَامُ رَمَضَانَ ». قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ قَالَ « لاَ، إلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ ». قَالَ وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ الزَّكَاةَ. قَالَ هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ « لاَ، إلاَّ أَنْ تَطَوَّعَ ». قَالَ فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ واللهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ » (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام ؟ قال رسول الله ﷺ خمس صلوات في اليوم والليلة: فقال: هل علي غيرها ؟ قال: لا، إلا أن تطوع. قال رسول الله ﷺ: وصيام رمضان، قال هل علي غيره؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال: وذكر رسول الله ﷺ الزكاة. قال: هل علي غيرها ؟ قال: لا إلا أن تطوع. قال فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ أفلح إن صدق).

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة وزيد بن خالد[٤] الجهني رضي الله عنهما أنهما قالا[٥]:

---

(١) صحيح مسلم ١٧/ ٣١٠ (٧٠٢٨) وأبو داود والترمذي وغيرهم أبو داود: السنن ٣/ ٣١٦ (٣٦٤١)، النووي: شرح الأربعين النووية، مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٧٥هـ ١٩٥٥ م ص ٩٥.

(٢) ينظر الروايات عن السلف من الصحابة وغيرهم في الرحلة في طلب الحديث: الكفاية ص ٥٦٦ - ٥٦٨.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٩٠ (٤٦)، صحيح مسلم ١/ ١٢٤ (١٠٩) وينظر كذلك شرحي الكتابين: (فتح الباري ١/ ١٠٦ (٤٦)، شرح صحيح مسلم١/ ١٦٦-١٦٧.

(٤) زيد بن خالد الجهني، مختلف في كنيته قيل أبو زرعة وأبو عبد الرحمن، وأبو طلحة، صحابي من المهاجرين الأولين اختلف في وفاته ورجح ابن حجر (سنة ٧٨هـ) ينظر: الإصابة ١/ ٥٦٥ (٢٨٩٥)، تهذيب التهذيب ٣/ ٤١٠- ٤١١ (٧٤٨).

(٥) صحيح البخاري ومسلم (فتح الباري ١٢/ ١٣٦ - ١٣٧ (٦٨٢٧ - ٦٨٢٨) (شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٠٦ - ٢٠٧) ابن الصلاح: المقدمة ص ١٢٤ - ١٢٥.

(إِنَّ رجلاً مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ رَسُولَ الله أَنْشُدُكَ الله إلاَّ قَضَيْتَ لي بِكِتَابِ الله. فَقَالَ الْخَصْمُ الآخَرُ وَهْوَ أَفْقَهُ مِنْهُ نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله، وَائْذَنْ لِي. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ « قُلْ ». قَالَ إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا [(١)]، فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ [(٢)]، فَسَأَلْتُ أهل الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي إنما عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ الله، الْوَلِيدَةُ وَالْغَنَمُ رَدٌّ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، اغْدُ يَا أنيس [(٣)] إلى امْرَأَةِ هَذَا فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا » قَالَ فَغَدَا عَلَيْهَا فَاعْتَرَفَتْ، فأمر بِهَا رَسُولُ الله ﷺ فَرُجِمَتْ).

والأمثلة على ذلك كثيرة في عهد النبي ﷺ.

أما عهد الصحابة ﷺ فمنها ما رواه ابن الصلاح يقول[(٤)]:

"لقد كان علقمة[(٥)] والأسود[(٦)] يبلغهما الحديث عن عمر ﷺ فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه".

وقال أبو الدرداء [(٧)]:

"لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجل ببرك الغماد لوصلت إليه وهو أقصى حجر باليمن" [(٨)].

---

(١) العسيف: الأجير ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٣٦.

(٢) الوليدة هي الجارية والأمة وإن كانت كبيرة، ينظر: المصدر نفسه ٥/ ٢٢٥.

(٣) أنيس بن مرثد بن أبي مرثد الغنوي الصحابي شهد فتح مكة (ت ٢٠هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٦١ -٦٢ الذهبي: تاريخ الإسلام ص ٢٠٨ (عهد الراشدين).

(٤) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٥) علقمة بن قيس بن عبد الله فقيه العراق الكوفي ولد في حياة رسول الله ﷺ ولم ير النبي ﷺ (ت ٦٢)، ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٤٨ (٢٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٧٦ - ٢٧٨ (٤٨٤).

(٦) الأسود بن يزيد بن قيس الإمام، أبو عمرو النخعي الكوفي الفقيه الزاهد سمع عدد من الصحابة (ت ٧٥هـ) ينظر المصدران السابقان: ١/ ٥٠- ٥١ (٢٩)، ١/ ٣٤٢-٣٤٣ (٦٢٥).

(٧) هو: عويمر بن زيد بن خالد اشتهر بأسمه وكنيته جميعاً أسلم يوم بدر (ت ٣٢هـ) ينظر ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٥ - ٤٦ (٦١١٧)، تقريب التهذيب ٢/ ٩١ (٨٠٦).

(٨) معجم البلدان ١/ ٣٩٩ - ٤٠٠ وبرك الغماد بلد باليمن، وينظر المزيد عن رحلات الصحابة إلى النبي - فتح الباري ١/ ١٧٣، ١٨٤، لبن ماجة: السنن١/ ٨١، ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت

ذهب بعض المستشرقين[١] مثل: جولد تسهير، وليون بورشية، تبعاً، لتسهير، أن تاريخ الرحلة في طلب الحديث وغيره، يعود إلى عهد بني أمية، معللاً ذلك بأن الأتقياء والزهاد في عصر بني أمية قد عزلوا أنفسهم عن الحياة العامة، من الخلفاء والأمراء، ومن أجل ذلك سدوا فراغهم، بدراسة الشريعة والتفتيش عن الإسناد والرحلة في طلب الحديث !!!.

وهذا الزعم باطل من أساسه كما بينا طرفاً منه وقد ضربنا بعض الأمثلة على بطلانه.

لأن المستشرقين بشكل عام، لا يأخذون الأمور من مظانها ومصادرها لذلك، يلجؤون في كثير من الأحيان إلى المصادر الغير مختصة، أو إلى التخمينات والتأويلات لتبرير آرائهم وأفكارهم[٢].

٢٤١هـ/ ٨٥٥م) مسند أحمد، مطبعة الميمنية ١٣١٣هـ ١٣/ ١٦١، الهيثمي: مجمع الزوائد ١/ ١٢٢، الدارمي عثمان بن سعيد بن خالد (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٤م) سنن الدارمي، طبعة كانفور ص ١٤٨، السندي:أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي (ت ١١٣٨هـ ١٧٢٦م) حاشية السندي على البخاري، المطبعة الميمنية - القاهرة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤ م ٤/ ٥٢.

(١) دراسات في السنة الإسلامية، ليون بورشية (بالفرنسي) تاريخ العصر الأموي الفقرة (٣) عن الخطيب: الرحلة في طلب الحديث ص ٣١.

(٢) ينظر السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٨٨، البشير: ضوابط الرواية ص ٢٨٦ - ٢٨٧، وقد قيم السباعي رحمه الله بحوث وعمل المستشرقين بالملامح التالية:

- سوء الظن والفهم لكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.
- سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم.
- تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور، وخاصة في العصر الأول بجمع متفكك، تقتل الأنانية رجاله وعظماءه.
- تصوير الحضارة الإسلامية تصويراً دون الواقع بكثير تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها.
- الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون من أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم.
- إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص.
- تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً وإساءتهم في فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف.
- تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ينظر: السباعي: الإستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان - الكويت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨ م ص ٢٥- ٣٢.

٢ـ ما هي أهداف الرحلة؟:

إن للرحلة في طلب العلم عند المسلمين أهدافا جليلة وسامية وهامة، حيث أن قطع المسافات القريبة والبعيدة، وقطع المفاوز[١] والبعد عن الأهل والأوطان، ليست مسألة سهلة إن لم يكن وراءها هدف أو مقصد جليل، فما هي إذا أهداف الرحالة في رحلتهم في طلب العلوم الشرعية؟!

أـ الحصول على الحديث:

وهو أول أسباب الرحلة، حيث أن بعض أصحاب النبي ﷺ رحل إلى النبي ﷺ من أجل حديث معين، أو سافر بعض الصحابة إلى البعض من بلد إلى بلد من أجل ذلك أيضاً.

من المعلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلاد، من أجل الجهاد في سبيل الله تعالى كما وأن بعضهم أرسلهم النبي ﷺ، والخلفاء الراشدون، والخلفاء من بني أمية، إلى بعض البلدان، في سبيل نشر الإسلام والعلم في تلك البلاد، أو نُصِبوا ولاة وقضاة فيها [٢].

ابتاع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله، بعيراً، فشد عليه رحله وسار شهراً حتى قدم الشام، ليسأل عبد الله بن أنيس[٣]، عن حديث في القصاص[٤].

يقول ابن المديني [٥]:

"حججت حجة وليس لي همة إلا أن اسمع ".

قال مكحول[٦]:

---

(١) المفاوز: جمع المفازة وهي الصحراء وسميت بذلك لأنها مهلكة من فوز أي هلك. قال ابن الأعرابي: سميت الصحراء مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز، ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث٣/ ٤٧٨، ابن منظور: لسان العرب ٢/ ١١٤٣ - ١١٤٤

(٢) ينظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٥٤٩ - ٥٥٠.

(٣) عبد الله بن أنيس أبو يحيى الجهني، شهد العقبة (ت ٥٤هـ) على الصحيح ينظر: ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٧٨ - ٢٧٩ (٤٥٥٠)، تقريب التهذيب ١/ ٤٠٢ (١٩٠).

(٤) ينظر الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ٢٢٥.

(٥) الترمذي: السنن ٥/ ٣٠٩ (٣١٤٩) وينظر كذلك الخطيب: الرحلة في طلب الحديث ص ٢٠٠.

(٦) مكحول ابن أبي مسلم شهراب بن شاذل أبو عبد الله الرحالة " الحافظ (ت ١١٢هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٠٧ (٩٦)، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٢٨٩ - ٢٩٣ (٥٠٩).

"كنت عبداً بمصر لامرأة، من بني هذيل، فأعتقتني، فما خرجت من مصر وبها علم إلا حويت عليه، فيما أرى، ثم أتيت الحجاز فما خرجت منها وبها علم إلا حويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق فما خرجت منه وبه علم إلا حويت عليه فيما أرى ثم أتيت الشام فغربلتها كل ذلك أسأل عن النفل فلم أجد أحداً يخبرني فيه بشيء حتى أتيت شيخاً يقال له زياد[1] بن جارية التميمي، فقلت له هل سمعت في النفل شيئاً ؟

قال: نعم، سمعت حبيب بن مسلمة الفهري[2] يقول: شهدت النبي ﷺ (نَفَّلَ الرُّبُعَ في الْبَدْأَةِ وَالثُّلُثَ في الرَّجْعَةِ)[3].

ب ـ التثبت من الحديث:

والهدف الآخر هو التثبت من الحديث وقد ذكرنا أن علقمة والأسود يبلغهما الحديث عن عمر رضي الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجا إلى عمر فيسمعانه منه.

ومن ذلك ما رواه الخطيب عن أبي أيوب[4] قال[5]: "خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر[6]

---

(١) زياد بن جارية التميمي أدخله بعضهم في الصحابة لم أقف على تاريخ وفاته ينظر ترجمته: ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٨٦ (٣٠١٢)، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٥٦ - ٣٥٧ (٦٥٧).

(٢) حبيب بن مسلمة بن مالك، يقال له حبيب الروم، لكثرة دخوله عليهم صحابي جليل (ت ٤٢هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ١/ ٣٠٩ (١٦٠٠)، ٢/ ١٩٠ - ١٩١ (٣٤٩)

(٣) أراد بالبداءة ابتداء الغزو، وبالرجعة القفول منه، والمعنى كان إذا نهضت سرية من جملة العسكر المقبل على العدو فأوقعت بهم نفلها الربع، مما غنمت، وإذا فعلت ذلك عند عود العسكر، نفلها الثلث، لأن الكرة الثانية أشق عليهم، والخطر فيها أعظم، ينظر ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١/ ١٠٣، والحديث رواه أبو داود ومعناه ابن ماجه: أبو داود: السنن ٣/ ٨٠ (٢٧٥٠) ابن ماجه: السنن ٢/ ٩٥١ (٢٨٥١ - ٢٨٥٤).

(٤) خالد بن زيد بن كليب الأنصاري.

(٥) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٧ -٨، الخطيب: الرحلة في طلب الحديث ص ١١٨ - ١٢٠ غير أن الحافظ ابن حجر، ذكر أن الراحل إلى مسلمة هو عقبة بن عامر وليس أبا أيوب، ينظر: الإصابة ٣/ ٤١٨، وعريش مصر مدينة قريبة من الساحل كثيرة الثمار والطيور ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ١١٣ - ١١٤ (عريش) وقد ذكر هذه القصة أيضاً ابن القيم وذكر أن أبا أيوب هو الذي رحل إلى عقبة بن عامر ينظر ابن القيم: الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة، تحقيق أحمد عطية الغامدي، وعلي ناصر الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١/ ٣٣١-٣٣٢.

(٦) عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني أحد من جمع القرآن بمصر من أوائل الصحابة توفي في آخر خلافة معاوية على الصحيح: ينظر: ابن حجر: الإصابة ٣/ ٢/ ٤٨٩ (٥٦٠١)، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٢ - ٢٤٤ (٤٣٩).

وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري[١]، وهو، أمير مصر فأخبر به فعجل فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟

قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله!.

قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة به فعجل فخرج إليه فعانقه وقال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من ستر مؤمنا على خربة[٢] ستره الله يوم القيامة)[٣].

فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر ".

ومن التثبت من الحديث أن يكون عند المحدث أحاديث يرويها فيسمع في رحلته بعض هذه الأحاديث بإسناد يلتقي مع إسناده ويتفق في صيغة المتن المروي أو معناه[٤] أو يسمع أحاديث أخرى في معنى ما يرويه[٥] فيطمئن المحدث ويتقوى الحديث حتى يحتج به إن كان فيه ضعف من قبل[٦]، أو يزداد صحة إن كان من قبل صحيحاً[٧]. كما أن تتبع الروايات والأسانيد قد يسفر عن خلل يسقط حديثاً كان يظنه من قبل صحيحاً[٨].

---

(١) مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصاري الخزرجي أحد أصحاب النبي ﷺ وهو أمير علي رضي الله عنه على مصر (ت ٦٢) ينظر ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤١٨ (٧٩٨٩) تقريب التهذيب ٢/ ٢٤٩ (١١٢٩).

(٢) خربة: الشيء الذي يستحيا منه، أو الفضيحة. ينظر ابن الأثير: المصدر السابق ٢/ ١٧.

(٣) مسند أحمد ٤/ ١٥٣، ١٥٩ الهيثمي: مجمع الزوائد ١/ ١٣٤، الحميدي عبد الله بن الزبير الأزدي (ت ٢١٩هـ- ٨٣٤م) المسند، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت ١/ ١٨٩ (٣٨٤) بلفظ (خزبة).

(٤) ويسمى المتابعة يُنظر الفصل السادس ص ٣٤١.

(٥) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ١٩.

(٦) هو: الحديث الحسن لغيره، ينظر: عتر نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، الطبعة الثالثة، دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م ص ٢٤٩-٢٥٢.

(٧) ينظر عتر: نور الدين: الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين، الطبعة الأولى، لجنة التأليف ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م ص ١٢٦ - ١٣٢.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ص ١٢٦ - ١٣٢ الأدلبي: منهج النقد ص٣٩٩ وما بعدها.

ج- طلب علو الإسناد: [١].

قال ابن الصلاح [٢]:

"وطلب العلو سنة، ولذلك استحبت الرحلة فيه، وقال أحمد بن حنبل: طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف، وقيل ليحيى بن معين في مرضه الذي مات فيه: ما تشتهي؟ قال: بيت خالي، وإسناد عالي".

وفائدة العلو؛ إبعاد الإسناد من الخلل لأن كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهواً أو عمداً، ففي قلتهم قلة جهات الخلل، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل [٣].

من أجل ذلك نجد عند كل أئمة المصطلح، قد خصصوا نوعاً خاصاً وباباً خاصاً بمعرفة الإسناد العالي والنازل [٤].

كما أن الصحابة والتابعين وأتباعهم وأئمة الحديث تجشموا لتحصيل عالي الإسناد كل صعب وشاق، وضربوا أكباد الإبل من أجله الآفاق. روى الخطيب عن أبي العالية[٥] قال [٦]: "كنا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة، بالبصرة فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم".

---

(١) الإسناد العالي: هو قلة عدد الرجال في السند مع اتصاله وهو خمسة أقسام وهي: ١- القرب من رسول الله ﷺ ٢- الموافقة: وهي انتهاء الإسناد إلى شيخ مسلم مثلاً ٣- البدل وهو: انتهاؤه إلى شيخ شيخه أو مثل شيخه ٤- المساواة وهو: أن تساوي في إسنادك الحديث المصنف ٥- المصافحة وهي: عبارة عن نزولك عنه بدرجة، حتى كأنه صافحك به وسمعته منه، وأما النزول فهو عكس السابق، وهو أيضاً على خمسة أقسام ينظر: الحاكم: معرفة علوم الحديث ص٩-١١، ابن الصلاح: المقدمة ص ١٣٠ -١٣٤، شاكر: الباعث الحثيث ص ١٥٤ - ١٥٩.

(٢) المقدمة ص ١٣٠، وينظر كذلك الهروي: جواهر الأصول ص ٦٢.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص١٣٠.

(٤) ينظر مثلاً الحاكم: معرفة علوم الحديث ٥- ١٢، ابن الصلاح: المصدر السابق ص١٣٠ - ١٣٤، شاكر: المصدر السابق ص١٥٤ - ١٥٩، الهروي: المصدر السابق ص٦١- ٦٧.

(٥) رفيع بن مهران الرياحي الفقيه البصري المقرئ (ت ٩٣هـ)على الصحيح ينظر أبو نعيم:حلية الأولياء ٢/ ٢١٧-٢٢٤ (١٨٠)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٦١ - ٦٢ (٥٠)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤- ٢٨٦ (٥٣٩).

(٦) الرحلة في طلب الحديث ص٩٣، الكفاية في علم الرواية ص ٥٦٣.

وروى الحاكم عن صالح بن صالح[١] قال: "سأل رجل من أهل خراسان عامراً[٢] فقال: يا أبا عمرو، كيف تقول في رجل كانت له وليدة [٣] فأعتقها فتزوجها ؟ فإنا نقول عندنا هو كالراكب بدنة[٤].

فقال: حدثنا أبو بردة بن أبي موسى الأشعري عن أبيه قال[٥]:

قال: رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ أَدَّى حَقَّ الله وَحَقَّ مَوَالِيهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ». فلقد كان الراكب يركب فيما هو أدنى من هذا إلى المدينة.

قال: أبو عبد الله[٦]. فهذا الراكب إنما كان يركب في طلب عالي الإسناد، فلو أقتصر على النازل لوجد بحضرته من يحدث به[٧].

د- البحث عن أحوال الرواة:

بذل رحالة الحديث جهداً عظيماً في هذا الشأن وتقصوا في رحلاتهم حال الرواة.

"لو لا ما بذله الأئمة النقاد في هذا الشأن من الجهود في البحث عن عدالة الرواة، واختبار حفظهم وتيقظهم حتى رحلوا في سبيل ذلك وتكبدوا المشاق ثم قاموا في الناس بالتحذير من الكذابين والضعفاء والمخلطين، لاشتبه أمر الإسلام واستولت الزنادقة ولخرج الدجالون"[٨].

قال أحمد بن منصور الرمادي[٩]: "خرجت مع أحمد (أي ابن حنبل) ويحيى (أي ابن معين)

---

(١) صالح بن صالح بن حي أبو حيان الثوري الكوفي، ثقة ليس بالقوي (ت ١٥٣هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٢٩٥ (٣٨٠٠)، ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٣٩٣ (٦٦٣).

(٢) هو الإمام الشعبي.

(٣) أي جارية.

(٤) والبدنة: الناقة، ينظر الرازي: مختار الصحاح ص ٤٤ (ب د ن)

(٥) صحيح البخاري ٩/ ٢٧٧ (٢٥٤٧)، (فتح الباري ٧/ ١٢٦ (٥٠٨٣).

(٦) يعني الإمام الحاكم النيسابوري.

(٧) معرفة علوم الحديث ص ٧.

(٨) الرحلة في طلب الحديث ص ٢١ (المقدمة)، وينظر كذلك الخطيب البغدادي نفسه: الاحتجاج بالشافعي، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر، المكتبة الأثرية - باكستان ص ٣٦.

(٩) أحمد بن منصور بن سيار البغدادي الرحالة، وله كتاب المسند ثقة (ت ٢٦٥هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٥/ ١٥١ - ١٥٣ (٢٥٨٦)، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٤ - ٥٦٥ (٥٨٩).

إلى عبد الرزاق (أي الصنعاني المحدّث) أخدمهما فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى لأحمد: أريد أن اختبر أبا نعيم [١]، فقال له أحمد: لا تزيد الرجل إلا ثقة.

فقال يحيى: لا بد لي، فأخذ ورقة وكتب فيها ثلاثين حديثاً من حديث أبي نعيم، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثاً ليس من حديثه ثم جاؤا إلى أبي نعيم فخرج فجلس على دكان فأخرج يحيى الطبق فقرأ عليه عشرة ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم ساكت فقرأ الحديث الثاني فقال:

ليس من حديثي اضرب عليه ثم قرأ العشر الثالث وقرأ الحديث الثالث، فانقلبت عيناه وأقبل على يحيى فقال: أما هذا - وذراع أحمد في يده - فأورع من أن يعمل هذا وأما هذا يريدني فأقل من أن يعمل هذا، ولكن هذا من فعلك يا فاعل ثم أخرج رجله فرفسه، فرمى به وقام فدخل داره. فقال أحمد ليحيى:

ألم أقل لك أنه ثبت. قال: والله لرفسته[٢] أحب إلي من سفرتي [٣] " !.

هـ- مذاكرة العلماء في نقد الأحاديث وعللها:

وهو فن دقيق يحتاج إلى خبرة طويلة ودراية واسعة بطرق الحديث وتقصيها.

قال الخطيب [٤]:

"لو كان حكم المتصل والمرسل واحداً لما ارتحل كتبة الحديث وتكلفوا مشاق الأسفار إلى ما بعد من الأقطار للقاء العلماء والسماع منهم في سائر الآفاق ".

كان ابن المديني وهو في العراق يزور سفيان بن عيينة[٥] بمكة من أجل المذاكرة.

---

(١) هو: الفضل بن دكين، أبو نعيم التيمي الحافظ الكبير، شيخ الإسلام، ثقة، وكان يقظاً، عارفاً بالحديث، ثم قام في أمر الفتنة بما لم يقم غيره، عافاه الله. مات يوم الشك من رمضان سنة تسع عشرة ومئتين.

وقال يعقوب بن شيبة عمن حدثه: إن أبا نعيم مات بالكوفة ليلة الثلاثاء لانسلاخ شعبان سنة تسع عشرة، وشذ محمد بن المثنى الزمن، فقال: مات في آخر سنة ثمان.

ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٤٢ (٢١) بحر الدم ص ١٢٥ (٨٢٧).

(٢) رفس: ضرب برجله. ينظر: الرازي: المصدر السابق ص ٢٥٠ (ر ف س).

(٣) تهذيب التهذيب ٨/ ٢٧٤، وينظر النص أيضاً: مصادر ترجمة أبي نعيم.

(٤) الكفاية في علم الرواية ص٥٦٩.

(٥) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، الإمام الحجة، ثقة ثبت من حكماء أصحاب الحديث (ت ١٩٨هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٦٢ - ٢٦٥ (٢٤٩)، ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ١١٧ - ١٢٢ (٢٠٥).

قال ابن عيينة[1]:

"يلومونني على حب علي بن المديني، والله لما أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني".

وقال يحيى بن سعيد[2]:

"نستفيد من علي أكثر مما يستفيد منا".

وكان الإمام أحمد يصلي من الليل مائة ركعة وأكثر، فإذا زاره يحيى بن معين اكتفى بالليل من النافلة، وجلس للمذاكرة مع يحيى فقال له ابنه في ذلك: فقال[3]:

"يا بني إن ما يفوت من النافلة يدرك لكن إذا فات ما عند هذا الفتى لا يدرك".

٣ـ لطائف وطرائف المحدثين في الرحلات:

إن من يقلب صفحات تاريخ رجال الحديث والعلوم الشرعية بشكل عام ليرى عجب العجاب من النوادر والغرائب والمضحكات المبكيات ويرى بأم عينيه أن أمته كانت فعلا خير أمة أخرجت للناس حينما كانت متمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها، كما يرى بعينيه عبقرية هذه الأمة المسلمة التي ضحّت بنفسها من أجل دين الله ومن أجل شرعه، والإنسانية جمعاء.

فهؤلاء طائفة كبيرة من علماء وأئمة المسلمين يذوقون الأمرين الجوع والعطش والفقر والبعد عن الأهل والوطن بل ربما يموت أحدهم وهو في رحلته، أو يزوع ويتقيّأ دما أو يفقد بصره أو يتعرض للأذى ولكنه يتحمل ذلك كله من أجل حديث رسول الله ﷺ.

يقول الإمام الحاكم[4]:

"إن أصحاب الحديث خير الناس وكيف لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها ورائهم وجعلوا غذائهم الكتابة وسمرهم المعارضة، واسترواحهم المذاكرة وخلوقهم المداد ونومهم السهاد، واصطلائهم الضياء، وتوسدهم الحصى، فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس، فعقولهم بلذاذة السنة عامرة، قلوبهم بالرضاء في الأحوال عامرة، تعلم السنن عندهم سرورهم، ومجالس العلم حبورهم، وأهل السنة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم".

---

(١) تهذيب التهذيب ٧/ ٣٥١.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٤٦١، تهذيب الكمال ٢١/ ١٣، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٠٧.

(٣) ينظر الخطيب: الرحلة في طلب الحديث. ص٢٣.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ٣، وينظر كذلك: الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص ٢٢٠ -٢٢١.

ومن هذه النوادر: قصة يعقوب بن سفيان بن جوان الفسوي[١].

قال محمد بن يزيد العطار[٢]: سمعت يعقوب بن سفيان يقول[٣]:

"كنت في رحلتي فَقَلَّتْ نفقتي، فكنت أدمن الكتابة ليلاً وأقرأ نهاراً فلما كان ذات ليلة كنت جالساً أنسخ في السراج وكان شتاء فنزل الماء في عيني، فلم أبصر شيئاً فبكيت على نفسي لانقطاعي عن بلدي، وعلى ما فاتني من العلم فغلبتني عيناي فنمت، فرأيت النبي ﷺ في النوم فناداني: يا يعقوب لما أنت بكيت ؟

فقلت: يا رسول الله ذهب بصري، فتحسرت ما فاتني !.

فقال لي: ادن مني، فدنوت منه فأمرَّ يده على عينيّ كأنه يقرأ عليهما ثم استيقظت فأبصرت فأخذت نسخي وقعدت أكتب".

ومنهم ابن أبي حاتم: روى عبد الرحمن بن أبي حاتم[٤] قال: سمعت أبي يقول[٥]: "بقيت في البصرة في سنة أربعة عشرة ومائتين ثمانية أشهر وكان في نفسي أن أُقيم سنة ! فانقطع نفقتي فجعلت أبيع ثياب بدني شيئاً بعد شيء، حتى بقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع منهم إلى المساء، فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خال، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت من الغد، وغدا علي رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، فانصرف عني وانصرفت جائعاً.

فلما كان من الغد غدا علي. فقال: مر بنا على المشايخ.

قلت: أنا ضعيف لا يمكنني قال: ما ضعفك؟

قلت: لا أكتمك أمري، قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئاً.

---

(١) أبو يوسف: الإمام الحافظ الحجة (ت ٢٧٧هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٨٢- ٥٨٣ (٦٠٧) ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٣٧٥ (٣٧٧).

(٢) محمد بن يزيد، أبو جعفر العطار الحربي (ت ٢٧٢هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠ (١٤٩٧)، شذرات الذهب ٢/ ١٦٣ وسماه محمد بن عبيد الله بن يزيد المحدث المنادي.

(٣) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٤) ينظر ترجمته الملحق رقم (٣).

(٥) مقدمة الجرح والتعديل ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

فقال: قد بقي معي دينار، فأنا أواسيك بنصفه، ونجعل النصف الآخر في الكراء. فخرجنا من البصرة، وقبضت منه النصف دينار ".

وفي رواية أخرى للذهبي عنه قال [١]:

"بقيت بالبصرة سنة أربع عشرة فبعت ثيابي حتى نفدت وجعت يومين، فأعلمت رفيقي فقال: معي دينار، فأعطاني نصفه، وطلعنا مرة من البحر وقد فرغ زادنا فمشينا ثلاثة أيام لا نأكل شيئاً، فألفينا بأنفسنا وفينا شيخ فسقط مغشياً عليه فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه ومشينا فرسخاً فسقطت مغشياً علي، ومضى صاحبي فرأى على بعد سفينة، فنزلوا الساحل فلوح بثوبه فجاؤه فسقوه، فقال: أدركوا رفيقين لي، فما شعرت إلا برجل يرش على وجهي، ثم سقاني ثم أتوا بالشيخ، فبقينا أياما حتى رجعت إلينا أنفسنا ".

ويروي لنا الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي رحلة من رحلاته فيقول[٢]: " أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ[٣]، لم أزل أحصي حتى زاد على ألف فرسخ تركته[٤].

أما ما كنت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فما لا أحصي كم مرة، ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلاصل[٥] إلى مصر ماشياً، ومن مصر إلى الرملة[٦] ماشياً، ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان[٧]، ومن الرملة إلى طبرية[٨]، ومن طبرية إلى دمشق، ومن دمشق إلى حمص[٩]، ومن حمص إلى أنطاكية[١٠]، ومن أنطاكية إلى طرسوس[١]، ثم رجعت

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٦٨. وهذه القصة لعلها بعد خروجهم من البصرة، وهي مغايرة للقصة الأولى.

(٢) ينظر: تقدمه الجرح والتعديل ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٣) الفرسخ في اللغة السكون، والفرسخ ثلاثة أميال أو ستة ينظر: لسان العرب ٢/ ١٠٧٣ (فرسخ).

(٤) أي تركت إحصاء ما زاد على الألف فرسخ.

(٥) هو ماء لعامر في واد يقال له الجوف به نخيل كثيرة ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٣/ ٤١٩ (صلاصل).

(٦) مدينة من مدن فلسطين ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٦٩-٧٠ (الرملة).

(٧) مدينة من مدن فلسطين ينظر: المصدر نفسه ٤/ ١٢٢ (عسقلان).

(٨) بلدة مطلة على بحيرة طبرية في الأردن، ينظر: المصدر نفسه ٤/ ١٧ - ٢٠ (طبرية).

(٩) بلدة بين دمشق وحلب، ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٣٠٢ - ٣٠٥ (حمص)

(١٠) بينها وبين حلب يوم وليلة، ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٦٦ - ٢٧٠ (انطاكية)

رجعت من طرسوس إلى حمص، وكان بقي علي شيء من حديث أبي اليمان[٢] فسمعت ثم خرجت إلى بيسان[٣]، ومن بيسان إلى الرقة[٤] ومن الرقة ركبت إلى الفرات إلى بغداد، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط[٥] إلى النيل ومن النيل إلى الكوفة[٦] كل ذلك ماشياً كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة، أجول سبع سنين، خرجت من الري[٧] سنة ثلاث عشرة ومائتين.. في شهر رمضان ورجعت: سنة إحدى وعشرين ومائتين".

ويصف الإمام ابن الجوزي نفسه فيقول [٨]:

"ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة. فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى[٩] فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء. فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول ﷺ وأحواله وآدابه وأحوال أصحابه وتابعيهم فصرت في معرفة طريقه كابن أجود ".

ومنهم المحدث الجوال: محمد بن طاهر المقدسي[١٠]، وهو يروي لنا رحلة طويلة شاقة

---

(١) مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب، ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٢٨- ٢٩ (طرسوس).

(٢) هو: عامر بن عبد الله بن لحى (وسماه الذهبي بن يحيى) الحمصي وثقه ابن حبان، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٦١ (٤٠٨٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٧٥ (١٢٠)

(٣) مدينة بالأردن، ينظر الحموي: المصدر السابق ١/ ٥٢٧ - ٥٢٨ (بيسان).

(٤) مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٥٨-٦٠ (الرقة).

(٥) مدينة بين البصرة والكوفة في العراق، ينظر: المصدر نفسه ٥/ ٣٤٧ - ٣٥٣ (واسط)

(٦) ينظر عن الكوفة: ص ٢٥٣.

(٧) مدينة مشهورة خرج منها كثير من أعلام المسلمين، ينظر الحموي: المصدر السابق ٣/ ١١٦-١٢٢ (الري).

(٨) ابن الجوزي: صيد الخاطر، تحقيق آدم أبو سنينة، دار الفكر - عمان ١٩٨٧ م ص ٢٣٥. ولم أجد المثل، فيما رجعت إليه من كتب الأمثال.

(٩) سمي بإسم حافره عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي عم المنصور وهي قرى كثيرة غربي بغداد، ينظر الحموي: المصدر السابق ٥/ ٣٢١- ٣٢٢ (نهر عيسى).

(١٠) محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، رحالة محدث، مؤرخ (ت ٥٠٧هـ) ينظر ابن الجوزي: المنتظم ٩/ ١٧٧ - ١٧٩ (٢٩٣)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨ (٦١٩).

جاب فيها أغلب بلاد الإسلام المشهورة في زمنه، ثم يقول [١]:

"بلت الدم في طلب الحديث مرتين مرة ببغداد ومرة بمكة، وذلك كنت أمشي حافياً في حر الهواجر بهما فلحقني ذلك ! وما ركبت دابة قط في طلب الحديث إلا مرة وكنت أحمل كتبي على ظهري إلى أن استوطنت البلاد. ورحلت من طوس [٢] إلى أصبهان [٣]... الخ".

الرواية بين الحفظ والكتابة:

١- الكتابة بين الأمر والنهي في عهدي الصحابة والتابعين:

إن المتتبع لتاريخ التشريع الإسلامي - غير المتعمق والمحقق - حينما ينظر إلى تلك النصوص الواردة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين في النهي عن الكتابة، والأمر بها، يجد نفسه في وسط أزمة كبيرة حيث يجد الأخبار والآثار متضاربة في شأن الكتابة ولكن في نظر، الباحث المحقق أمر ميسور، وسهل تفسيره وتحليله وفهمه.

فمن الآثار الواردة في النهي عن الكتابة قوله ﷺ [٤]:

«لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ - قَالَ هَمَّامٌ أَحْسِبُهُ قَالَ - مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

ومنها ما روي عن عبد الله بن حنطب [١] قال:

---

(١) أبو غدة: عبد الفتاح: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، الطبعة الثانية، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب ١٩٧٤ م ص ١١٤.

(٢) مدينة بخراسان ينظر الحموي: المصدر السابق ٤/ ٤٩ - ٥٠ (طوس)

(٣) وهي مدينة مشهورة في إيران، ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٠٦ - ٢١٠ (اصبهان).

(٤) خرج عدة مرات وهو في الصحيحين، من رواية أبي سعيد الخدري، وقد أعل بعضهم هذا الحديث بالوقف على أبي سعيد الخدري كما ذهب إلى ذلك البخاري، وهو غير صحيح كما يقول العلامة أحمد شاكر ويؤيد ذلك حديث آخر لأبي سعيد حيث يقول (استأذنت النبي أن أكتب الحديث فأبى أن يأذن لي) ينظر الخطيب: تقييد العلم تحقيق الدكتور: يوسف العش - دمشق ٩٤٩ م ص ٢٩-٣٢، صبحي الصالح: علوم الحديث، ومصطلحه ص ٢٠ الهامش (٢) وحديث استاذنت السابق ينظر الترمذي: السنن ٥/ ٣٧ - ٣٨ (٢٦٦٥) والدارمي: السنن ١/ ١١٩، الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص ٧٧، السخاوي: فتح المغيث ص ٢٣٧، الصنعاني: توضيح الأفكار ٢/ ٣٦٣،

دخل زيد بن ثابت على معاوية، فسأله عن حديث فأمر إنسانا بكتبه فقال له زيد [٢]: (إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَنَا أَنْ لاَ نَكْتُبَ شيئاً مِنْ حَدِيثِهِ فَمَحَاهُ).

ومن تلك الأحاديث: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ، ونحن نكتب الأحاديث، فقال [٣]:

---

(١) عبد الله بن حنطب بن الحارث بن عبيد الله أختلف في صحبته، فذهب ابن عبد البر إلى أن له صحبة. لم أقف على تاريخ وفاته: ينظر: الاستيعاب ٢/ ٢٩١، ابن حجر الإصابة ٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩ (٤٦٣٦)

(٢) الحديث رواه عدد من أئمة الحديث ينظر: مسند أحمد ٥/ ١٨٢ (٢١٥٧٩)، أبو داود: السنن ٣/ ٣١٨ (٣٦٤٧) واللفظ له، جامع بيان العلم ١/ ٦٣، تقييد العلم ص ٣٥، الفقيه والمتفقه: تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، دار إحياء السنة النبوية ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م ص ٢٠٣، اليحصبي: عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى مطبعة السنة النبوية - القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠ م ص ١٤٨.

(٣) الحديث رواه الهيثمي والخطيب والقاضي عياض. ينظر: مجمع الزوائد ١/ ١٥٠، تقييد العلم ص ٣٤، الإلماع ص ٢٨، وتحققت نبوة النبي ﷺ في ذلك حيث أن بعض الصحابة قد توهموا في بعض الأحاديث وتصوروها من كتاب الله، وقد أوقع هذا الأمر بعض الذين في قلوبهم مرض من الزنادقة بالتشكيك في كتاب الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]، وأثاروا قديما وحديثا، وخاصة في هذه الأيام، زوبعة من الطعن في الصحابة والتابعين وسلف الأمة وبالتالي الطعن بالقرآن الكريم الدستور الخالد للمسلمين بأن القرآن قد حصل فيه التحريف والزيادة والنقصان ! والذي أثاره هؤلاء حول هذه الروايات كان سببه:

١ - إما الوهم من الراوي (سواء كان من الصحابة أم من التابعين ولذا حذر النبي من تدوين شيء غير القرآن - في بادئ الأمر - خوفاً من الوهم واختلاط القرآن بالحديث النبوي. كما توهم زر بن حبيش (وفي رواية أبي موسى الأشعري) قال: في قراءة أبي بن كعب (ابن آدم لو أعطي وادياً من مال لالتمس ثانياً، ولو أعطي واديين من مال لالتمس ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب)، قال عكرمة: قرأ علي عاصم (لم يكن) ثلاثين آية هذه فيها !.

لقد أجاب القرطبي عن هذا الوهم:

أ - أنه معروف من كلام الرسول ﷺ، ولا يمكن أن يحكيه عن رب العالمين في القرآن. (ويمكن الرجوع إلى كتب الحديث حيث ذكره عدد كبير من أئمة الحديث في باب التوبة).

ب- إن قرائتي: ابن كثير وأبي عمرو متصلتان بأبي بن كعب، لا يقرأ فيهما هذا المذكور في (لم يكن).

ج- وما رواه اثنان معهما الإجماع، أثبت مما يحكيه واحد مخالف لمذهب الجماعة.

ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٩، وسند هذا الحديث: أبو بكر الأنباري قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: حدثنا عكرمة عن عاصم عن زر بن حبيش، ويمكن

للباحث أيضاً أن ينظر في هذا السند لزيادة الاطمئنان.

٢- ما كان سببه الوضع: ومن هذه الروايات ما كان منها موضوعاً وباطلاً، ساقط الإسناد، وضعها الزنادقة للنيل من كتاب الله، كما يقول ابن حزم: وقد غلط قوم غلطاً شديداً وأتوا بأخبار ولدها الكاذبون والملحدون، منها حديث: إن الداجن أكل صحيفة فيها آية متلوة فذهبت البتة.

ومنها: أن قرآنا أخذه عثمان بشهادة رجلين وشهادة واحدة منها:

أن قراءات كانت على عهد رسول الله ﷺ أسقطها عثمان وجمع الناس على قراءة واحدة.

قال ابن حزم: وهذا كله ضلال نعوذ بالله منه ومن إعتقاده وأما الذي لا يحل اعتقاد سواه فهو قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

فمن شك في هذا كفر، ولقد أساء الثناء على أمهات المؤمنين، ووصفهن بتضييع بما يتلى في بيوتهن حتى تأكله الشاة، فيتلف، مع أن هذا كذب ظاهر ومحال ممتنع لأن الذي أكل الداجن، لا يخلو من أحد الوجهين:

إما أن يكون رسول الله ﷺ حافظاً له أو كان قد أنسيه، فإن كان في حفظه فسواء أكل الداجن الصحيفة أو تركها.

وإن كان رسول الله قد أنسيه فسواء أكله الداجن أو تركه قد رفع من القرآن، فلا يحل إثباته فيه كما قال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ [الأعلى: ٦-٧].

فنص تعالى على أنه: لا ينسى أصلاً شيئاً من القرآن إلا ما أراد الله تعالى رفعه، بإنسائه، فصح أن حديث الداجن إفك وكذب وفرية ولعن الله من جوز هذا أو صدق به، بل كل ما رفعه الله تعالى من القرآن فإنما رفعه في حياة النبي ﷺ، قاصداً إلى رفعه ناهياً عن تلاوته إن كان غير منسي: أو ممحوا من الصدور كلها ولا سبيل إلى كون شئ من ذلك بعد موت رسول الله ﷺ و لا يجيز هذا مسلم، لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾. ولكان أيضاً تكذيبا لقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣].

ولكان ما يرفع منه بعد موت رسول الله ﷺ خرماً في الدين ونقصاً منه، وإبطالاً للكمال المضمون ولكان ذلك مبطلاً لهذه الفضيلة التي خصصنا بها والفضائل لا تنسخ والحمد لله رب العالمين.

وأما فعل عثمان رضي الله عنه: فلم يمت رسول الله ﷺ إلا والقرآن مجموع كما هو مرتب لا مزيد فيه ولا نقص ولا تبديل، والقراءات التي كانت على عهد رسول الله ﷺ باقية كلها كما كانت لم يسقط منها شيء، ولا يحل حظر شئ منها قل أو كثر.

ينظر: الأحكام في أصول الأحكام مجلد ١ جزء ٤/ ٤٧٩ - ٤٨٠.

أوردت هذا النص الطويل: لما رأيت من مناقشة ابن حزم رحمه الله ومحاكمته لمتن هذه الرواية التاريخية الباطلة، والطرق المتعددة التي استخدمها لنقد الرواية.

٣- ومنها (كما يقول ابن حزم أيضاً): ما كانت وحياً أوحاه الله إلى نبيه مع ما أوحى إليه من القرآن، فقرأ المتلو مثبوتاً في المصاحف والصلوات، وقرأ سائر الوحي منقولاً محفوظاً، معمولاً به، كسائر كلامه الذي هو وحي فقط، مثل: آية الرجم وآية الرضعات، فإنها لم تكن قرآنا ولا نابى هذا، ولا نقطع أنها كانت قرآنا متلواً في الصلوات.

ينظر: المصدر نفسه. جزء ٤/ ٨٤.

(ما هذا الذي تكتبون ؟ قلنا: أحاديث نسمعها منك قال: كتاب غير كتاب الله !؟ أتدرون ما ضل الأمم قبلكم إلا بما أكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى).

ومن كره الكتابة من الصحابة والتابعين ﷺ: عمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبو موسى، وأبو سعيد الخدري في جماعة آخرين من الصحابة والتابعين مخافة الاتكال على الكتاب وترك الحفظ، ولئلا يكتب شيء مع القرآن.

ومنهم من كان يكتب فإذا حفظ محا [١].

الأحاديث والآثار الواردة في النهي:

منها (إن أبا شاة[٢] اليمني إلتمس من رسول الله ﷺ أن يكتب له شيئاً سمعه من خطبته عام فتح مكة، فقال[٣]: « اكْتُبُوا لأَبِي شَاهٍ ».

وروى أحمد وأبو داود وغيرهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٤] قال[٥]:

(قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ أَشْيَاءَ، أَفَأَكْتُبُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنِّي لاَ أقول فِيهِمَا إِلاَّ حَقًّا.

وروى البخاري عن أبي هريرة قال[٦]:

"ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه كان يكتب ولا أكتب".

---

(١) ينظر القاضي عياض: الإلماع ص ١٤٩، ابن الصلاح: المقدمة ص ٨٨، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ١٢٧.

(٢) أبو شاة اليماني، يقال أنه فارسي، ومن ظن أنه باسم أحد الشياه فقد وهم، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ١٠٦/ ابن حجر: الإصابة ٤/ ١٠٠ (٦٠٦).

(٣) صحيح البخاري ٩/ ٧٩ (٢٤٣٤)، (فتح الباري ١/ ٢٠٥ (١١٢) ولم يصرح باسمه، وأبو داود: السنن ٣/ ٣١٨ (٣٦٤٩) وقد صرح باسمه.

(٤) السهمي: أبو عبد الرحمن وقيل أبو محمد وكان اسمه العاص فغيره رسول الله ﷺ وهو أحد الصوام القوام الزهاد من الصحابة (ت ٦٩هـ وقيل ٦٨هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٢/ ٣٤٦، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٥١ - ٣٥٢ (٤٨٤٧)

(٥) مسند أحمد ١١/ ٥٩٣ (٧٠٢٠) أبو داود: السنن ٣/ ٣١٧ (٣٦٤٦).

(٦) فتح الباري ١/ ٢٠٦ (١١٣)، الترمذي: السنن ٥/ ٣٩ (٢٦٦٨)، الدارمي: السنن ١/ ١٢٥. الحاكم: المستدرك ١/ ١٠٥-١٠٦، ابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/ ٧١، الخطيب: تقييد العلم ص ٧٤، السخاوي: فتح المغيث ص ٢٣٧، الصنعاني: توضيح الأفكار ٢/ ٣٦٤.

وممن أجاز ذلك وفعله عمر، وعلي، وأنس، وجابر، وابن عباس وعبد الله بن عمر، والحسن، وعطاء، وقتادة وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير(١)، في أمثالهم، ومن بعد هؤلاء ممن لا يعد كثرة (٢).

لقد سلك العلماء في التوفيق بين هذه الروايات مسلكين:

أ- مسلك النسخ:

ب- مسلك التوفيق:

هناك فريق من العلماء ذهب إلى المسلك الأول، وقال بأن الأحاديث المتأخرة نسخت الأحاديث المتقدمة التي نهت عن الكتابة، وكان ذلك في عهد النبي ﷺ(٣).

والمسلك الآخر: أنه أذن لبعضهم (وهم قلة) مثل عبد الله بن عمرو بن العاص لأنه كان قارئا، للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعربية، ومثله لا يخشى عليه الغلط والخلط بين الكتاب والسنة(٤).

والذي نراه والله أعلم للتوفيق بين تلك الأحاديث:

- ندرة وسائل الكتابة وندرة الكتاب في بادئ الأمر ثم زادت وسائل الكتابة، وزاد عدد الكتاب بفضل الإسلام الذي شجع هذا الجانب (٥).

- خوف التباس القرآن الكريم بقوله ﷺ، وهو من أهم الأسباب فلما زال ذلك الخوف أقر

---

(١) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي (مولاهم) جهبذ العلماء، من سادات التابعين قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٩٥هـ) ينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ٢٧٢ - ٣٠٩ (٢٧٥)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٧٦ - ٧٧ (٧٣)، الداودي: طبقات المفسرين ١/ ١٨٨ - ١٨٩ (١٨١) - وذكر خطأ أو أحد النساخ أخطأ-، وجعل سنة وفاته ١٧٥هـ!

(٢) ينظر: الإلماع ص ١٤٧، ابن الصلاح: المقدمة ص ٨٨، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ١٢٧.

(٣) ينظر ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، تصحيح محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ص ٢٨٦، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٢٧ - ١٢٨، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٠٦ - ٣٠٩.

(٤) ينظر ابن قتيبة: المصدر السابق ص ٢٨٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٨٧ ومن ذلك أن الرسول ﷺ أجاز في فتح مكة لأبي شاة وكذلك أراد النبي ﷺ أن يكتب كتابا قبل موته، حتى لا تضل الأمة بعده، ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٨٨، ابن حجر: فتح الباري ٨/ ١٣٢ (٤٤٣١).

النبي ﷺ لهم بالكتابة، وهذا كما يقول الدكتور صبحي الصالح [(١)]:

"توجيه متدرج مع الحياة، والأحياء، متطور مع الأحداث التي تعاقبت على المجتمع الإسلامي، فما كان لهذا التوجيه أن يجمد على صورة واحدة بل روعي فيه الزمان وروعيت فيه الأشخاص فنهى الرسول ﷺ عن كتابة الأحاديث أول نزول الوحي مخافة التباس أقواله وشروحه وسيرته بالقرآن ولا سيما إذا كتب هذا كله في صحيفة واحدة مع القرآن... ثم أذن بذلك إذناً عاماً حين نزل أكثر الوحي وحفظه الكثيرون، وأمن اختلاطه بسواه".

ونرى أن هذا الرأي أولى وأوجه من اللجوء إلى النسخ والله أعلم.

ثم زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على جواز ذلك بدون خلاف ولولا ذلك لدرس حديث رسول الله ﷺ في الأعصر الأخيرة [(٢)].

٢ـ متى بدأ التدوين ؟:

لعل مسألة التدوين مرت بمراحل متعددة ولذلك نجد اضطراباً كبيراً في آراء العلماء في هذا المجال والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل كان التدوين في عهد النبي ﷺ ؟ أم كان في عهد الصحابة ؟ أم كان في عهد التابعين ؟ !.

لا أعتقد أننا نذهب بعيداً إذا قلنا أن التدوين، إنما بدأ في عهد النبوة للأدلة الكثيرة والمستفيضة على ذلك.

منها: إرادة النبي ﷺ الكتابة والتدوين فيما يتعلق بمستقبل المسلمين بعد وفاته ﷺ حيث روى ابن عباس أنه قال: لما أشتد بالنبي ﷺ وجعه قال [(٣)]:

«ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». قَالَ عُمَرُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ الله حَسْبُنَا فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللَّغَطُ. قَالَ:

« قُومُوا عَنِّى، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ ».

---

(١) علوم الحديث، ومصطلحه ص ١٩ - ٢١، وينظر كذلك: الرامهرمزي: المحدث الفاصل ١/ ٣٨٦، شاكر: الباعث الحثيث ص ١٢٧ الهامش (١).

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٨ شاكر: المصدر السابق ص ١٢٧.

(٣) رواه البخاري: (فتح الباري ٨/ ١٣٢ (٤٤٣١).

فَخَرَجَ ابن عَبَّاسٍ يَقُولُ إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ.

كما أن من المؤكد - كما سبق - أن بعض الصحابة كانت لهم كتب يكتبونها ويجمعون فيها أحاديث النبي ﷺ وفي حضوره.

ومنها الوثيقة المشهورة التي كتبها النبي ﷺ بين المسلمين واليهود [١].

وكتب رسول الله ﷺ كتابا لوائل بن حجر [٢] (ت٥٠هـ) لقومه في حضرموت[٣]، فيه الخطوط الكبرى للإسلام، وبعض أنصبة الزكاة، وحدّ الزنا، وتحريم الخمر، وكل مسكر حرام[٤].

وكتب أبو بكر لأنس بن مالك كتابا فيه الصدقات التي فرضها رسول الله ﷺ وفي رواية أن الكتاب كان ممهورا بخاتم رسول الله ﷺ[٥].

ومن ذلك الصحف المشهورة بين الصحابة رضي الله عنهم: ومنها الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ) وقد أذن له ﷺ كما مر بكتابة الحديث، وكانت هذه الصحيفة تضم ألف حديث، وكانت عزيزة على عبد الله، حتى كان يقول: ما يرغبني في الحياة إلا الصادقة والوهط[٦]، وربما كان يحفظها في صندوق له حلق [٧].

---

(١) ينظر ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ١٤٧ - ١٥٠. محمد حميد الله الحيدر آبادي: مجموعة الوثائق السياسية، الطبعة الثانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة عام ١٩٥٨ م ص ١٥، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٤٤.

(٢) وائل بن حجر بن ربيعة الحضرمي ينظر ترجمته: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٦٤٢، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٦٢٨ - ٦٢٩ (٩١٠٠).

(٣) ناحية واسعة شرقي عدن بقرب البحر، ينظر الحموي: المصدر السابق ٢/ ٢٦٩ - ٢٧٠ (حضرموت)

(٤) الأنصاري: محمد بن علي بن أحمد بن حديدة (ت بعد ٧٧٩هـ) المصباح المضيء(كتاب النبي الامي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي)، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد -الدكن ١٩٧٦م ص ١١٢.

(٥) ينظر: مسند أحمد ٢/ ١٨٣ - ١٨٤.

(٦) الوهط: الموضع المطمئن، وهو مال لعبد الله بن عمرو بالطائف. ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٣٢، ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٩٩٢ - ٩٩٣ (وهط)

(٧) ينظر: مسند أحمد ١٠/ ١٧١ (٦٦٤٥)، الدارمي: السنن ١/ ١٢٧، ابن الأثير عز الدين: أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبع القاهرة ١٣٨٦هـ ٣/ ٢٣٣. والذي عليه المحققون أن عدد هذه الصحيفة لا يبلغ خمسمائة حديث، ينظر: عليش، محمد سيف الدين، مسند عبد الله بن عمرو وصحيفته الصادقة (رسالة ماجستير) ص ٦٧١، ولقد طعن بعض أهل العلم في هذه الصحيفة وربما لكونها انتقلت (وجادة) وهي أضعف طرق التحمل، لكن ابن تيمية دافع عن هذه الصحيفة دفاعاً جيداً ينظر: مجموع الفتاوى الكبرى ١٨/ ٨ - ٩.

أما في عهد الصحابة فإن الآثار كثيرة جدا قد تبلغ حد التواتر منها صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٨هـ).

وكان قتادة بن دعامة يرفع من شأن هذه الصحيفة ويقول [١]: "لأنا بصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ مني لسورة البقرة". ومنها: الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه (ت ١٣١هـ) [٢]، وقد نقل الإمام أحمد والبخاري عنه عدد من الأحاديث في كتابيهما، وقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة كما رواه ابن منبه [٣] عن أبي هريرة ﷺ.

وكان لسعد بن عبادة الأنصاري [٤] صحيفة جمع فيها طائفة من أحاديث الرسول وسننه [٥].

رسالة سمرة بن جندب (ت٦٠هـ) [٦]:

كان قد جمع أحاديث كثيرة في نسخة كبيرة ورثها إبنه سليمان [٧] رواها عنه، يقول عنها ابن سيرين [٨]:

"في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير".

---

(١) ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ٢٢٩، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٣، وينظر كذلك، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٣.

(٢) هو همام بن منبه اليماني أخو وهب (ت ١٣١هـ) ينظرترجمته: الذهبي: العبر ١/ ١٣٤. ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ١٨٢.

(٣) همام بن منبه (ت ١٣١هـ ٧٤٩م) الصحيفة الصحيحة: تحقيق الدكتور محمد حميد الله، الطبعة الثانية، مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق - ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م ص٢١-٢٣، ينظر عن الصحيفة وصاحبها: عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٥٥-٣٥٧، صبحي الصالح: علوم الحديث، ومصطلحه ص ٣١- ٣٢.

(٤) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري، سيد الخزرج شهد العقبة، أحد النقباء اختلف في وفاته من (١١ - ١٥هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٥ - ٤١ ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٠ (٣١٧٣).

(٥) ينظر الترمذي: السنن: ٣/ ٦٢٧ (١٣٤٣).

(٦) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري أبو سليمان صحابي جليل، كان شديداً على الخوارج توفي على الصحيح قبل الستين ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٢/ ٧٧- ٧٩، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٧٨- ٧٩ (٣٤٥٧).

(٧) سليمان بن سمرة (ابن صاحب الترجمة السابقة) ثقة ذكره ابن حبان في الثقات ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ١٩٨ (٣٣٥)، الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص ١٥٢.

(٨) ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ١٩٨ و٩/ ٢١٤.

وروى نافع عن ابن عمر أنه وجد في قائم سيف عمر بن الخطاب صحيفة فيها صدقة السوائم[(١)].

وقد اشتهرت صحيفة علي بن أبي طالب التي كان يعلقها في سيفه فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات، وحرم المدينة، ولا يقتل مسلم بكافر[(٢)].

وروي عن مسعر بن كدام[(٣)] عن معن[(٤)] قال:

أخرج لي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً، وحلف أنه بخط أبيه[(٥)] بيده[(٦)].

وكان عند سعد بن عبادة الانصاري (ت ١٥هـ) كتاباً أو كتب فيها طائفة من أحاديث رسول الله ﷺ وقد روى ابن هذا الصحابي من كتب أبيه بعض أعمال الرسول ﷺ[(٧)].

وإذا أردنا استعراض تلك المدونات في عهد الصحابة ﷺ يطول بنا المقام وهذا القدر يكفي للاستدلال بأن التدوين قد بدأ في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة.

وبذا يرفع الخطأ الشائع، والإشكال المعروف، أن الحديث لم يدون إلا في أوائل القرن الهجري الثاني[(٨)].

---

(١) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٣٥٤، الجزائري: توجيه النظر: ص ٣٤٨.

(٢) ينظر: مسند أحمد:/ ١/ ٨١، (فتح الباري ٤١ - ٤٢ (٦٧٥٥)

(٣) هو: مسعر بن كدام بن ظهير الهلالي، أحد الأعلام كوفي كان من خيار الثقات ويسمى المصحف من إتقانه وكان مرجئيا (ت ١٥٢هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٨٨ - ١٩٠ (١٨٣)، تهذيب التهذيب ١٠ / ١١٣ - ١١٥ (٢٠٩).

(٤) معن بن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي الكوفي، ثقة قليل الحديث لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٢٥٢ (٤٥١)، الخزرجي: المصدر السابق ص ٣٨٤.

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٧٧ - ٧٩هـ) ينظر المصدران السابقان: ٦/ ٢١٥ - ٢١٦ (٤٣٣)، ص ٢٣٠.

(٦) ينظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٢، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٤٥.

(٧) ينظر ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ٧٢، عبد القادر: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١١٨.

(٨) لقد ضل فريق من المستشرقين، وعدد من أنصارهم وتلامذتهم الذين يضاهون قولهم بأن السنة لم تدون إلا في أول القرن الثاني الهجري، أو في رأس المائتين وذلك للأمور الآتية:

أ- إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها في الصدور، لتعويل الناس في القرن الثاني الهجري على الكتابة.

ب- وصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين لها. كما فهموا مسألة النهي عن الكتابة

وهذا الذي ذكرناه كان جهداً فردياً أو- ربما - جماعياً، ولكنه لم يرق إلى حد الكمال إلا بعد التدوين الرسمي.

٣ـ التدوين الرسمي:

إن فكرة التدوين كما ذكرنا فكرة قديمة تعود إلى عهد النبي ﷺ لكن التدوين الرسمي قد يعود - التفكير فيه - إلى عهد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حين عرضت عليه فكرة التدوين، فاستشار أصحاب رسول الله ﷺ في كتابة السنن، فأشار عليه عامتهم بذلك، لكن عمر رضي الله عنه - خوفاً على كتاب الله - لبث شهراً يستخير الله في ذلك حتى عزم أن لا يفعل[١].

إن المحاولة الثانية بعد محاولة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه - حسب اطلاعنا - هي محاولة عبد العزيز بن مروان[٢] (ت ٨٥هـ) وكان أميرا لمصر في عهد عبد الملك بن مروان، حيث طلب رسمياً من إمام حمص وعاملها كثير بن مرة الحضرمي[٣] تدوين الحديث الشريف، وكان طلاباً للعلم حافظاً.

والأمر بها أنها تمثل وجهتي نظر لحزبين مختلفين وهما أهل الرأي (الفقهاء)، وأهل الأثر (أهل الحديث) فالحزب الأول لم يجوزوا كتابة الحديث، أما الحزب الثاني جوزوا ذلك ؟!، ينظر: صبحي الصالح: المصدر السابق ص ٣٣ -٣٨، (مقال) حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ) تأسيس علوم الشيعة، مجلة المنار العدد ١٠ ص ٧٥٤، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٦٤ - ٣٦٨، (مقال) الدكتور يوسف العش: نشأة تدوين العلم في الإسلام: مجلة الثقافة المصرية العدد ٣٥١، السنة السابعة ص ٩-١٠ و ٢٢- ٢٣، الأعظمي محمد مصطفى: المستشرق - شاخت، والسنة النبوية، مناهج المستشرقين ١/ ٨١- ٨٧.

(١) ينظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم ١/ ٧٦، السيوطي: تنوير الحوالك، شرح مؤطأ مالك المكتبة الثقافية - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م ١/ ٤، السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٠٣، الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٤٧.

(٢) عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو الأصبغ والد عمر - والي مصر، ثقة قليل الحديث ينظر الكندي: محمد بن يوسف بن يعقوب، توفي حوالي (٣٥٠هـ/ ٩٦٤م) كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨ م ص ٤٨ - ٥٥، الذهبي: العبر ١/ ٧٣، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٥١٢ (١٢٥٠).

(٣) أدرك سبعين بدرياً، لا بأس به، ثقة، ومن عده من الصحابة فهو وهم (ت ٧٠-٨٠هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٥١ - ٥٢ (٣١) ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٣٣ (٣٢).

قال الليث بن سعد[١]: عن يزيد بن أبي حبيب[٢] أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى كثير بن مرة الحضرمي، وكان قد أدرك سبعين بدرياً، من أصحاب رسول الله ﷺ قال الليث:

وكان يسمى الجندي المقدام، قال:

فكتب إليه أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ من أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة، فإنه عندنا.

وكانت إمارة عبد العزيز لمصر بين سنة (٦٥-٨٥هـ)[٣]، وقد بينا أن كثير مات بين سنة (٧٠-٨٠هـ) فلو فرضنا أنه توفي سنة (٧٥) لكان يفترض أن يكون طلب الأمير منه قبل هذا التاريخ ولو بزمن يسير.

المصادر لم تخبرنا عن امتثال وطاعة هذا العالم للأمير عبد العزيز، أو رفض طلبه، ولكن من المؤكد أن الأمير لا يطلب من شخص يعلم أنه يرفض طلبه أو لا يستجيب له، وإذا قلنا باستجابته للأمير فكم مقدار ما كتبه؟ وعن أي الصحابة كتب إليه؟ ثم أين ذهبت تلك الصحف والمدونات؟ ![٤]

ثم استقر الأمر في زمن ابنه عمر بن عبد العزيز واستطاع رضي الله عنه أن يجمع لأول مرة في تاريخ المسلمين بشكل رسمي أحاديث رسول الله ﷺ وذلك بعد ظهور الوضع، وخوفه على خلط أحاديث الكذابين، بحديث رسول الله ﷺ، فكتب إلى الآفاق أن انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه، وفي رواية أخرى كتب إلى عامله أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[٥] (ت ١١٧هـ) على المدينة يقول[٦]: "انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب

---

(١) ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/ ١١٧.

(٢) يزيد بن سويد أبو رجاء المصري، الإمام الكبير، ثقة فقيه (ت ١٢٨هـ) ينظر المصدران السابقان: ١/ ١٢٩ - ١٣٠ (١١٦)، ٢/ ٣٦٣ (٢٣٧).

(٣) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٩٠، تاريخ الأمم والملوك ٦/ ٣٩١، ٤١٢ - ٤١٦.

(٤) ينظر ابن سعد: المصدر السابق ٧/ ١١٧، الذهبي: سير إعلام النبلاء ٤/ ٤٦ - ٤٧. وينظر كذلك عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٧٤.

(٥) ينظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٨٠ (١٠٠)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٣٢٩.

(٦) فتح الباري ١/ ١٩٤، البخاري: التاريخ الصغير ص ١٧٥. وينظر قريب من هذا الخبر: الدارمي: السنن ١/ ١٢٦، الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص ٦٠٣.

العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، وليفشوا العلم حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً".

سلك عمر بن عبد العزيز مسلكين في الموضوع.

المسلك الأول: مع ولاته وعماله كما بينا، **المسلك الآخر**: مع العلماء، حيث ناشدهم وكلفهم أيضاً بتدوين سنة رسول الله ﷺ، فأمر ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) وغيره بجمع السنن[(١)].

والذي يتبين أن أمير المؤمنين عاجلته المنية قبل أن يرى الكتب[(٢)]، وقبل أن ير - كما يبدو- ثمار جهوده[(٣)].

حقق ابن شهاب الزهري هدف أمير المؤمنين عمر وأمنيته في الحياة، وفي ذلك يقول [(٤)]: "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن - فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له سلطان عليها دفتر".

ولهذا يُعدُّ هذا العمل أول عمل رسمي من قبل المسلمين بتدوين السنة، وهو على رأس المائة، فدونت السنة في صحف وكراريس ودفاتر وكثرت الصحف في أيدي طلاب الحديث[(٥)].

ثم توالت المصنفات والمجاميع في جمع أحاديث رسول الله ﷺ وفتاوى الصحابة والتابعين، وبدأ العلماء بتأليف أنواع من الكتب في البصرة والكوفة، والمدينة والشام وغيرها [(٦)].

ضوابط في الرواية من الحفظ والرواية من الكتب:

استخدم أئمة الحديث منهجاً دقيقاً لمن يروي الخبر، سواء من حفظه أو من الكتب، ومن ذلك المنهج:

---

(١) ينظر ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١/ ٧٦، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٢) ينظر أحمد أمين: ضحى الإسلام ١/ ٢٢١ وقال: ولم نجد لأمره هذا أثراً فلعله عولج عنه ولم يأبه له من بعده، وينظر كذلك: الأدلبي: المصدر السابق ص ٤٨.

(٣) ينظر التهانوي: قواعد التحديث ص ٤٧، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٣١.

(٤) ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ٧٦.

(٥) ينظر السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٩٠، القسطلاني: أحمد بن محمد بن أبي بكر المصري (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) إرشاد الساري، المطبعة الأميرية ١٣٢٥هـ ١/ ١٤، الجزائري: توجيه النظر ص ٦، التهانوي: المصدر السابق ص ٤٦، ومراد هؤلاء العلماء يختلف عن مراد المستشرقين الذين ذكرناهم ص ١٨٣.

(٦) ينظر تفصيل ذلك: السباعي: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص ١٠٥ - ١٠٧، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

أنهم عرفوا بالتتبع والبحث والخبرة الطويلة عن الشخص الواحد، متى يقبل حديثه حفظاً، ومتى يكتب حديثه كتابة، وقد صنفوا الناس إلى أصناف عديدة في نقل الأخبار وعلى درجات.

أ ـ الرواية اعتمادا على الحفظ:

اشترط العلماء في قبول من يروي الخبر من حفظه شروطا دقيقة، ومن خلال تلك الشروط يمكن الأخذ بروايته أو ردها.

اعتبر عبد الرحمن بن مهدي، والإمام الشافعي، أنَّ مَنْ كَثُرَ غَلَطُه وكان الوَهْم غالباً على روايته ولم يكن له أصل كتاب صحيح لم يقبل حديثه.

يقول عبد الرحمن بن مهدي[١]:

"الناس ثلاثة: رجل حافظ، متقن، فهذا لا يختلف فيه، وآخر يهم، الغالب على حديثه الصحة، فهذا لا يترك حديثه، والآخر يهم والغالب على حديثه الوهم هذا يترك حديثه.

وسئل أيضاً هل يكتب عمن غلط في عشرة ؟ قال: نعم. قيل: يغلط في عشرين ؟ قال: نعم، قلت: ثلاثين ؟ قال نعم، قلت: فخمسين ؟ قال: نعم ".

ويبدو أن الذي يرفض حديثه كما يقرر الشافعي: من كثر غلطه[٢].

وكثرة الغلط يمكن اعتباره على القدر الذي يحمله من الحديث. فالذي يحفظ مثلا مائة ألف حديث، إذا غلط في مائة حديث فلا يعتبر سيئ الحفظ ولا ترد روايته مادام الغالب على حديثه الصحة كما ذكرنا.

ومن ذلك: التثبت في الرواية فقد قال محمد بن سيرين: التثبت نصف العلم[٣].

"ويجب أن يتثبت في الرواية حال الأداء، ويروي ما لا يرتاب في حفظه، ويتوقف عما عارضه الشك فيه"[٤].

---

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٢٢٧ - ٢٣٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٢٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٥٧.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٤، المصدر السابق ص ٢٥٦.

ومن مميزات الحفظ الجيد، على الكتابة، أن الحافظ المتقن قد يصحح عما يقع فيه صاحب الكتب من الغلط والإوهام.

عن يحيى بن معين قال[١]:

"حضرت نعيم بن حماد بمصر[٢]، فجعل يقرأ كتاباً من تصنيفه، قال قرأ منه ساعة ثم قال: ثنا ابن المبارك عن ابن عون[٣]، قال يحيى: فقلت له: ليس هذا عن ابن المبارك، فغضب وقال: ترد علي ؟

قال: قلت: إي والله أريد زينك، فأبى أن يرجع، قال: فلما رأيته هكذا لا يرجع، قلت: لا والله ما سمعت أنت هذا عن ابن المبارك، ولا سمعها ابن المبارك من حديث ابن عون قط، فغضب وغضب كل من كان عنده من أصحاب الحديث وقام نعيم فدخل البيت فأخرج صحائف، وجعل يقول: وهي بيده أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمير المؤمنين بالحديث؟

نعم يا أبا زكريا، غلطت، وكانت صحائف فغلطت، فجعلت أكتب من حديث ابن المبارك عن ابن عون، وإنما روى هذه الأحاديث عن ابن عون غير ابن المبارك فرجع عنها".

وقد يقع الأمر عكس ذلك: حيث يقع الراوي في خطأ في حفظه ثم يراجع كتابه فيصحح ذلك.

عن يحيى بن سعيد، عن عبيد الله[٤]، عن نافع، عن ابن عمر[٥]:

"أنه كان يجمع بين العشاء والمغرب إذا جد السير بعدما يغيب الشفق ".

ويزعم أن النبي ﷺ (كان يجمع بينهما) قال: يحيى: حدثت بهذا الحديث ست عشرة سنة

---

(١) الكفاية ص ٢٣١.

(٢) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي، الإمام الشهير، لكن ضعف مع إمامته (ت ٢٢٨هـ) ينظر: النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ٢٣٤/ الذهبي: الكاشف ٣/ ١٨٢ ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٤١٨ - ٤٢٠ (٤٢٤).

(٣) عبد الله بن عون بن أرطبان المزني الإمام الحافظ الثقة (ت ١٥١هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١: ١٥٦ - ١٥٧ (١٥٢) ابن حجر: المصدر السابق ٥ / ٣٤٦ - ٣٤٩ (٦٠٠).

(٤) عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم، أحد الفقهاء السبعة ثقة ثبت (ت ١٤٧هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٣٨ - ٤٠ (٧١) الخزرجي: المصدر السابق ص ٢٥٢.

(٥) الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما: (فتح الباري ٦/ ٣٩ (٣٠٠٠)، (شرح صحيح مسلم ٥/ ٢١٣).

بمكة فكنت أقول: قبل أن يغيب الشفق ثم نظرت في كتابي، فإذا: وبعدما يغيب الشفق[١].

وعن أبي الشعثاء[٢] قال:

الرجل أحق أن يغسل المرأة من أخيها قال سفيان: كنت قد نسيت هذا، حتى وجدته مكتوبا عندي بخطي[٣].

واشترطوا أيضاً فيمن يروى عن حفظه أن يكون أخذ علمه من المشتهرين.

قال عبد الرحمن[٤] بن يزيد بن جابر:

لا يؤخذ العلم إلا عمن شهد له بطلب الحديث. ويقول شعبة: خذوا العلم من المشتهرين[٥].

ب- الرواية من الكتاب:

لم ير العلماء بأسا من الرواية من الكتب، حيث أن رأس مال الراوي كما قالوا: الصدق، فإذا نقل الراوي الصادق عن كتاب صحيح، فروايته مقبولة، عند جميع المسلمين[٦].

روى الخطيب عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه قال لبنيه وبني أخيه[٧]:

"تعلموا فإنكم صغار قوم اليوم، تكونوا كبارهم غداً فمن لم يحفظ منكم فليكتب".

وروى أيضاً عن مروان بن محمد[٨] يقول[١]:

---

(١) ينظر الرامهرمزي: المحدث الفاصل ١/ ٣٨٨، الخطيب: المصدر السابق ص ٣٢٩.

(٢) جابر بن زيد الأزدي البصري أعلم الناس بالفتيا ثقة روى عن ابن عباس (ت ٩٣هـ) على ما ذهب إليه بعض أهل العلم ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٧٢-٧٣ (٦٧)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٣٨ (٦١).

(٣) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٣٤٣.

(٤) ينظر ترجمته الفصل السادس ص ٤٠٨.

(٥) ينظر ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ٢٨.

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٣٤٢.

(٧) المصدر نفسه ص ٣٤٥.

(٨) مروان بن محمد أبو بكر الطاطري: الزاهد العابد وثقه أبو حاتم (ت ٢١٠هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٤٨ - ٣٤٩ (٣٣٥)، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٩٥ - ٩٦ (١٧٥)

"لا غنى لصاحب حديث عن ثلاثة: صدق، وحفظ، وصحة كتب، فإن كانت منه اثنتان، وأخطأته واحدة، لم يضره، إن كان صدوق وصحة كتب، ولم يحفظ، ورجع إلى كتب صحيحة لم يضره".

وروى أيضاً عن يحيى بن معين يقول: ينبغي للمحدث أن يتزر بالصدق ويرتدي بالكتب[٢].

قال ابن عمار[٣]:

"شريك، كُتُبُه صِحاحٌ، من سمع منه ومن كتبه فهو صحيح. وعن سفيان الراس[٤]: يسأل يزيد بن زريع[٥]، ما تقول في همام؟ فقال: كتابه صالح، وحفظه لا يساوي شيئاً"[٦].

ومن شرط صحة الرواية من الكتاب: أن يكون سماع الراوي ثابتاً وكتابه متقناً[٧].

قال الحميدي[٨]:

"فأما من اقتصر على ما في كتابه فحدث به، ولم يزد ولم ينقص منه ما يغير معناه، ورجع عما يخالف فيه، بوقوف منه عن ذلك الحديث أو عن الأسم الذي خولف فيه من الإسناد ولم يغيره، فلا يطرح حديثه فلا يكون ذلك ضاراً في حديثه إذا لم يرزق من الحفظ والمعرفة بالحديث ما رزق غيره إذا اقتصر على ما في كتابه ولم يقبل من التلقين".

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٤٠٥.

(٢) ينظر السمعاني: أدب الأملاء والاستملاء، تحقيق ماكس فايسفايلر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م ص ٤٧.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عمار أبو جعفر الموصلي الحجة الإمام الثقة (ت ٢٤٢هـ) ينظر: الذهبي المصدر السابق ٢/ ٤٩٤- ٤٩٥ (٥١٠)، ابن حجر: المصدر السابق ٩/ ٢٦٥ - ٢٦٦ (٤٤٢).

(٤) هو سفيان الثوري: ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٠٤.

(٥) يزيد بن زريع أبو معاوية البصري، محدث البصرة ثقة (ت ١٨٢هـ) ينظر: الذهبي: المصدر نفسه ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧ (٢٤٢)، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ٣٢٥ - ٣٢٨ (٦٢٦).

(٦) ينظر ابن القيم: حاشية ابن القيم، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م ١/ ٢٦.

(٧) ينظر الخطيب: الكفاية في علم الرواية ص ٣٤٤.

(٨) المصدر نفسه ص ٣٤١.

وعن يحيى بن معين[١]:

"إذا صح عنده سماع ما تضمن كتابه في الجملة جاز له التحديث منه فلا يحتاج إلى أن يعتبر سماعه لكل حديث بانفراده على التفصيل والتعيين ".

كتابة الحديث والحفظ منه:

هناك فريق من الناس يسمعون الحديث ثم يحفظونه، ثم يروونه بين الناس هل يجوز لهم ذلك؟ نعم، إن ذلك جائز بشرط إتقان الكتابة.

"ومن سمع الحديث وكتبه وأتقن كتابته ثم حفظ من كتابته فلا بأس بروايته "[٢].

وعن أبي عمارة المروزي[٣] قال:

سمعت وكيعا يقول[٤]:

"وجدت في كتابي، وأما سفيان فكان يحفظ من كتابه ثم يجيء فيحدثنا ".

وقال علي بن المديني[٥]:

"ما رأيت أحدا أحفظ من يزيد بن هارون[٦]، قال: كان يزيد بن هارون يحفظ من كتاب، كانت له جارية تحفظه من كتاب. قلت: أي الخطيب، كان بصر يزيد بن هارون قد كف، فلذلك كان يأمر جاريه بتلقينه ويحفظ عنها ".

الرواية عن الكتاب إذا ضاع أو خرج عن يده:

يجب على المحدث أن يحتفظ بكتابه، ويحرص عليه ولا يجعله في متناول الأيدي، خوفاً من أن يزاد فيه أو ينقص منه أو خوف ضياعه، فإذا خرج أو ضاع الكتاب من يده ثم رجع هل يحق له الرواية منه؟

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٤٢

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٤.

(٣) لعله قيس أبو عمارة الفارسي، مولى الأنصار، وثقه ابن حبان وضعفه العقيلي. توفي بين(١٥٠ - ١٦٠هـ). ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٣٩٨ (٦٩٢٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٤٠٦ (٧٢٨).

(٤) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٥٥.

(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠٩، الكفاية ص ٣٧٩، تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٨، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٤٨.

(٦) يزيد بن هارون بن زاذي الواسطي الحافظ القدوة ثقة ثبت (ت ٢٠٦هـ) ينظر الذهبي:تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٧ - ٣٢٠ (٢٩٨)، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ٣٦٦ - ٣٦٩ (٧١١).

اختلف أهل العلم في ذلك، فمنهم من توقف عن جواز الحديث منه، لكن الخطيب ذهب إلى أنه:

إن لم ير فيه أثر تغيير حادث من زيادة أو نقصان، أو تبديل وسكنت نفسه إلى سلامته جاز له أن يروي عنه، وقد أيّد رأيه بذلك، لإقرار يحيى بن سعيد، بعض المحدثين ضاع عنه كتبه، ثم وجدها بعد أربعين سنة فقال: وما بأس في بذلك؟[١].

إذا وجد الراوي في كتابه بخطه حديثاً فشك: هل سمعه أم لا ؟.

إذا شك في كتبه في حديث معين أنه ليس من خطه، أو لا يعرفه يجب حينئذ طرح ذلك الحديث، إذا عرفه، وإلا يجب التوقف وعدم التحديث بشيء مما في ذلك الكتاب.

قال عبد الرحمن بن مهدي[٢]:

"وجدت في كتبي بخط يدي عن شعبة ما لم أعرفه وطرحته".

وقال هيثم بن جميل[٣]:

"سمعت من شعبة سبعمائة حديث فشككت في واحد منها، تركتها كلها"[٤].

وقال الخطيب[٥]:

"إذا شك في حديث واحد بعينه أنه سمعه وجب عليه إطراحه، وجاز له رواية ما في الكتاب سواه، وإن كان الحديث الذي شك فيه لا يعرفه بعينه لم يجز له التحديث بشيء مما في ذلك الكتاب".

---

(١) ينظر ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٣٤٦، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ١٦٨، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٣٨٣، وينظر تفصيل ذلك الخطيب: الكفاية ص ٣٤٧ - ٣٥٠. وهذا كلام يؤخذ به، فيما إذا كان الزمان والمكان اللذان عثر فيهما على الكتب آمنان من أيدي الوضاعين، كما يشترط أن يعرف الشخص خط نسخة كتابة، وإلا لا يجوز ذلك.

(٢) الباجي: سليمان بن خلف بن سعد (ت ٤٧٤هـ / ١٠٨١م) التعديل والجرح، تحقيق أبو لبابة حسين، الطبعة الأولى، دار اللواء - الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م ٢/ ٨٦٥.

(٣) الهيثم بن جميل البغدادي، الحافظ الكبير، ثقة (ت ٢١٣هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٤/ ٥٦ - ٥٧ (٧٣٩٥)، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٣ (٣٥٥).

(٤) ينظر ابن أبي حاتم: العلل ١/ ٩٠.

(٥) الكفاية في علم الرواية ص ٢٤٦.

هذا هو حال الحديث الواحد، عند أئمة الحديث، إذا شُكَّ فيه، بين عدد كبير من الأحاديث، أو في كتاب كامل! فما بال أكثر من الحديث الواحد إن وجد بين مئات من الأحاديث، أو في كتاب؟ .

لا شك أن التشدد فيه أقوى وأكثر، والاحتياط فيه أوجب، وإن دَلَّ هذا الأمر على شيء، فإنما يدل على مدى الأمانة العلمية التي وصل إليها أئمة الحديث، ودقة صنعتهم وكمال عملهم، مما لا يوجد عند غيرهم من البشر[١].

وما يقال في كتب الحديث وروايته، يقال في كتب التاريخ وأشباهه من كتب التراث الإسلامي.

---

(١) ينظر روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص٩٢، ١٢١.

المبحث الثاني
أحوال الرواة

تمهيد:

إن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم اهتموا بمعرفة رواة الحديث، وهذا الأمر كما سنذكر طرفاً منه، في الجرح والتعديل، كان من واجبهم الشرعي تجاه شرع الله، بمعرفة ما يستطيعون من خلاله التمييز بين الصادق منهم والكاذب، ومن أجل ذلك، درسوا حياة كل راوٍ بمفرده، منذ نشأته إلى وفاته، وتتبعوهم في مختلف حياتهم، وعرفوا جميع أحوالهم، من أصل ونسب وقبيلة، وولاء وكنية ولقب وعرفوا شيوخهم، وتلاميذهم وأماكن سكنهم، وبلدانهم ورحلاتهم، وانتقالاتهم من بلد إلى بلد، وعرفوا الأحفظ فالأحفظ والأضبط فالأضبط(١).

وهذا النوع من علم الحديث هو قريب جداً من بعض القواعد التي تدخل في النقد الداخلي في علم التاريخ(٢).

"ولا يكتب الخبر عن النبي ﷺ حتى يرويه ثقة عن ثقة حتى يتناهى الخبر إلى النبي ﷺ بهذه الصفة، ولا يكون فيهم رجل مجهول أو رجل مجروح، فإذا ثبت الخبر عن النبي ﷺ بهذه الصفة وجب قبوله والعمل به، وترك مخالفته"(٣).

وجميع ما سنذكره في هذا المبحث عن أحوال الرواة، يمكن تطبيقه على الروايات التاريخية ورواتها، وعلى المؤرخين أيضاً، مع شيء من التساهل معهم، في رواياتهم التي لا تتعلق بقضيّة مهمّة من قضايا الدين؛ كالعقيدة والشريعة، ورجال السلف الصالح.

١ـ من تقبل روايته ومن ترد:

اشترط أئمة الحديث أربعة شروط لقبول رواية الراوي، وهي الشروط الرئيسية عندهم، وهي: الصدق، العدل، الضبط، واتصال السند.

---

(١) ينظر الخطيب: شرف أصحاب الحديث، تحقيق: محمد سعيد خطيب أوغلي، نشر كلية الألهيات – جامعة أنقرة ص ٣٨

(٢) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٢٢١.

(٣) الكفاية ص ٥٧.

أ- **الصدق**: وهو أعظم ركن من أركان قبول الرواية، وركنه الركين، يقول الإمام مالك[١]: "لا يؤخذ العلم من أربعة، ويؤخذ ممن سوى ذلك:

لا يؤخذ من سفيه، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعوا الناس إلى هواه، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كان لا يتهم على أحاديث رسول الله ﷺ ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به".

ب- **العدل**: وهو: من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به وتوقي ما نهي عنه، وتجنب الفواحش المسقطة، وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته، والتوقي في لفظه مما يثلم الدين والمروءة، فمن كانت هذه حاله فهو الموصوف بأنه عدل في دينه، ومعروف بالصدق في حديثه[٢].

ذكر أئمة الإسلام أن المعيار في شأن العدالة هو رجحان كفة الطاعة على المعصية[٣]، وإلا فليس هنالك عالم ولا شريف إلا وفيه عيب.

يقول سعيد بن المسيب[٤]:

"ليس من شريف، ولا عالم، ولا ذي سلطان، إلا وفيه عيب، لا بد، لكن من الناس من لا تذكر عيوبه، من كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله "[٥].

وورد معنى ذلك، عن الصادق المصدوق ﷺ[٦]:

(أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلاَّ الْحُدُودَ).

وملخص **العدل** هو: المسلم البالغ العاقل، الذي سلم من أسباب الفسق وخوارم المروءة[٧].

ج- **الضبط**: وهو: إتقان ما يرويه الراوي بأن يكون متيقظا لما يروي.

---

(١) الغزالي: محمد بن محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) المستصفى من علم الأصول، طبعة مصر ١/ ١٠٠، وينظر كذلك الجزائري: توجيه النظر ص ٣٦، وينظر كذلك أسد رستم: مصطلح التاريخ ص ٦٩.

(٢) ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٦٨، السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٦٤.

(٣) وهو قول الإمام الشافعي، وسعيد بن المسيب، وابن المبارك، ينظر: الكفاية ص ١٣٧ - ١٣٨

(٤) سعيد بن المسيب (بالفتح والكسر) أبو محمد المخزومي - من أجلة التابعين، الإمام الفقيه الحجة (ت ٩٤هـ) على الصحيح ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٥٤ - ٥٦ (٣٨)، تهذيب التهذيب ٤/ ٨٤ - ٨٨ (١٤٥).

(٥) صفة الصفوة ٢/ ٨١.

(٦) مسند أحمد ٥٥/ ٣٢٦ (٢٦٢١٧) أبو داود: السنن ٤/ ١٣١ (٤٣٧٥) صحيح ابن حبان ١/ ٢٩٦ (٩٤).

(٧) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٤٩، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٨٧.

ومن علامات الضبط أن لا توجد فيه خمس خصال، فإذا كان فيه خصلة من هذه الخصال يعتبر مختل الضبط كما ذكرها العلماء.

قال ابن الصلاح [١]:

"لا تقبل رواية من عرف بالتساهل في سماعه، أو في إسماعه كما لا يبالي به في السماع، أو يحدث لا من أصل مصحح، أو عرف بقول التلقين في الحديث، أو كثر السهو في روايته إذا لم يحدث من أصل، أو كثر الشواذ والمناكير في حديثه".

ووضع أئمة الحديث قاعدة مهمة في معرفة الضابط من غير الضابط وفي ذلك أيضاً يقول ابن صلاح أيضاً [٢]:

"يعرف كون الراوي ضابطاً بأن نعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة ولو من حيث المعنى لرواياتهم أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة عرفنا حينئذ كونه ضابطاً ثبتاً وأن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ولم نحتج بحديثه".

ومن الممكن تطبيق هذه القاعدة على الروايات التاريخية وكتابات المؤرخين أيضاً، في حال وجود الإسناد لديهم، بهذه الشروط، أو موافقة أخبارهم ونقولهم لنقول وأخبار المؤرخين الثقات وكتبهم، في حال عدم وجود رواية مسندة، وإذا كان نقولهم وأخبارهم الغالب عليها موافقة روايات ونقول غير الثقات، كالمتهمين، والضعفاء والمتروكين فلا يمكن الركون إلى نقولهم أو قبولها، إلاّ في حالات استثنائية ذكرنا بعضها في الصفحات الماضية، شرط أن لا تتعلق هذه الروايات والنقول بقضيّة عقدية أو تشريعية أو بأحد رجال السلف الصالح من هذه الأمة، خاصّة إذا كانت الرواية يشتم منها رائحة الزندقة والشعوبية والحقد على الأمة.

د- **اتصال السند**: واتصال السند أيضاً شرط من شروط قبول الرواية فالحديث المنقطع ومجهول السند مردود.

"ولا يجوز الاحتجاج إلا بالحديث الموصول غير المنقطع الذي ليس فيه رجل مجهول ولا رجل مجروح" [٣].

---

(١) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٥٧، وينظر كذلك السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٣٣٩.

(٢) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٥٠.

(٣) الخطيب: الكفاية ص ٥٦.

٢ـ من كره العلماء الرواية عنهم:

أ ـ يكره الرواية عمن لم يكن من المشتهرين:

وهو مذهب أهل الحديث إجماعاً كما ذكره الشافعي لكل علم له أصول وقواعد، وله أسس، كما أن لكل علم أهل فمن لم يأخذ العلم من أهله ضل نفسه وأضل الناس عن طريق الله، ولذا كان السلف كثيراً ما يحذرون من هذا الأمر يقول عبد الرحمن يزيد بن جابر [(١)]: "لا يؤخذ العلم إلا عمن شهد له بطلب الحديث".

ويقول شعبة[(٢)]:

"خذوا العلم من المشتهرين".

وحذر الإمام مالك أن يؤخذ العلم من كل محدث أو كل قائل يقول(رحمه الله)في رسالة إلى أحد أصحابه[(٣)]:

"فإني أوصيك بتقوى الله ... ثم أخذه - يعني العلم - من أهله ورثوه ممن كان قبلهم يقيناً بذلك، ولا تأخذ كلما تسمع قائلاً يقوله، فإنه ليس ينبغي أن يؤخذ من كل محدث، ولا من كل من قال، وقد كان بعض من يرضى من أهل العلم يقول: إن هذا الأمر دين فانظروا عمن تأخذون عنه دينكم ".

وما يقال هنا للمحدّث يقال للمؤرخ سواء بسواء، فإذا وجدنا اعتماد المؤرخ في نقله للأخبار على غير المشتهرين بالتاريخ، والروايات التاريخية، كاعتماده في أخباره على أهل المجون، والأغاني، والخصيان، والخدم، أو الزنادقة، والشعوبيين، والمتشيّعين التابعين للمجوس، أو روى ونقل أخباره من أهل الأدب، أو الأسمار وأمثالهم فلا يمكن قبول روايته والاطمئنان إليه.

ب ـ كراهة الرواية عن الضعفاء:

اختيار الثقات الأمناء هو دين المسلم، ومن أجل ذلك فإن أئمة الحديث تركوا روايات كثيرة من الناس، وفيهم العلماء، والفضلاء، والعباد لا لشيء إلا لضعفهم.

---

(١) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ٢٨.

(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٨.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٥.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال [١]:

"إني لأسمع الحديث أستحسنه، فما يمنعني من ذكره إلا كراهية أن يسمعه سامع فيقتدى به، وذاك أني أسمعه من الرجل لا أثق به، وقد حدث به عمن أثق به، أو أسمعه من رجل أثق به عمن لا أثق به، فأدعه لا أحدث به".

وقال مالك [٢]:

"دخلت على عائشة بنت سعد بن أبي وقاص [٣]، فسألتها عن بعض الحديث فلم أرض أن آخذ عنها شيئاً لضعفها".

ويجب على المؤرخ المسلم أن لا يكتب خبراً سمعه أو نقلاً رآه ممن الغالب عليهم، الضعف وقلّة الدين والمروءة، أو ينقلون ذلك من مثل هؤلاء ولو كانوا ثقاتاً أو جيدين.

جـ كراهة الرواية عن أهل المجون:

ومن مناهجهم أنهم إذا أرادوا الرواية عن رجل، نظروا إلى صلاته وعبادته، وإلى سمته وهيئته [٤].

ويدخل من ضمن هؤلاء، الثرثارون، المتشبهون بالنساء، والذين يكثرون المزاح وكذلك من يعمل عملاً من أجل أن يضحك الناس وغيرها قال يحيى بن معين: عن شخص يقال له ابن مناذر [٥]:

---

(١) الخطيب: المصدر السابق ص ٢١٠.

(٢) الخطيب: المصدر السابق ص ٢١١.

(٣) الزهرية المدنية (ت ١١٧هـ) وهي ثقة وثقها غير واحد من أئمة الحديث ولعل رواية تضعيف مالك لها، شيء انفرد به هو - وأما أنها وهم من النساخ وإلا لم أجد بعد شيء من التحري من يضعفها. ينظر الذهبي: تاريخ الإسلام. ص ٣٩٢ (حوادث ١٠١ - ١٢٠هـ)، العبرفي خبر من غبر ١/ ١١٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب: ١٢/ ٤٣٦ (٢٧٤٢).

(٤) ينظر ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ١٦.

(٥) محمد بن مناذر اليربوعي (ولاء) أبو جعفر شاعر من أهل اللهو والمجون (ت ١٩٨هـ) ينظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، طبعة مصر ١٣٦٤هـ ص ٣٦٤، ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٧/ ١٠٧ -١١٠، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤ / ٤٧ (٨٢٠٥)، ابن حجر: لسان الميزان ٥/ ٣٩٠.

"أعرفه كان صاحب حديث، وكان يتعشق ابن عبد الوهاب الثقفي[١]، ويقول فيه الأشعار ويشبب بالنساء، وطردوه من البصرة.

وكان يرسل العقارب في المسجد الحرام حتى تلسع الناس وكان يصب المداد بالليل في المواضع التي يتوضأ منها حتى تسود وجوه الناس ليس يروي عنه رجل فيه خير "[٢].

قال يحيى القطان: سمعت النضر بن مطرف[٣] يقول[٤]:

"إن لم أحدثكم فأمي زانية، قال يحيى: تركت حديثه لهذا".

٣ـ من ترك العلماء الرواية عنهم:

أـ ترك رواية الكذاب ولو بعد التوبة:

أن الكذب في حديث رسول الله ﷺ ليس كالكذب في حديث غيره.

وردت أحاديث كثيرة في تشدد الكذب على رسول الله ﷺ، ومن أجل ذلك شدد أئمة المسلمين في ذلك تشديداً كبيراً، إلى حد أنهم ردوا رواية الكذاب حتى بعد التوبة.

"فقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنه يوجب، رد الحديث أبداً، وإن تاب فاعله "[١].

---

(١) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد الله بن همام بن أبان بن يسار بن مالك أبو محمد الثقفي، ثقة من رواة البخاري اختلط بآخر (ت ١٩٤هـ) ينظر ابن حبان: الثقات ٦/ ٧١ (٣٦٩) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٤ (٣٠١) أبو الوليد الباجي: التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ٢/ ٩١٩ (٩٩٧)

(٢) الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٤٧، ومن ذلك أن أبا داود السجستاني كان لا يروي عن أحمد بن المقدام (أبو الأشعث)، فقيل له في ذلك فقال: لأنه يعلم المجان المجون، كان مجان البصرة يصرون صرر الدراهم، يطرحونها على الطريق، ويجلسون ناحية فإذا مر - يعني رجل - بصره، أراد أن يأخذها، صاحوا: ضعها ليخجل الرجل فعلم أبو الأشعث المارة بالبصرة: هيئوا صرر الزجاج كدرهم، فإذا مررتم بصررهم فإردتم أخذها فصاحوا بكم فاطرحوا صرر الزجاج التي معكم وأخذوا صرر الدراهم ففعلوا ذلك، فأنا لا أحدث عنه لهذا، ينظر: الكفاية ص ٢٤٦.

(٣) النضر بن مطرق (وهو الصحيح) أبو لينة كوفي ليس بثقة، تركوا حديثه ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٨/ ٩١، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ٢٣٧، الذهبي: المغني ٢/ ٦٩٨، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٣، (٩٠٨٦)، ابن حجر: لسان الميزان ٦/ ١٦٥.

(٤) البخاري: المصدر السابق ٨/ ٩١، الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٢٦٣.

وسئل الإمام أحمد عن محدث كذب في حديث واحد، ثم تاب ورجع، قال[٢]:

"توبته فيما بينه وبين الله سبحانه وتعالى، ولا يكتب حديثه أبداً".

وقال ابن المبارك [٣]:

"من عقوبة الكذب أن يرد عليه صدقه".

ويبدوا أن هذا الحكم يخص من تعمد الكذب أما من لم يكن كذلك فتقبل توبته.

"قلت هذا هو الحكم فيه، إذا تعمد الكذب وأقر به"[٤]، أما إذا روى المحدث خبراً ثم رجع عنه وقال: كنت أخطئ فيه، وجب قبوله: لأن الظاهر من حال العدل الثقة الصدق في خبره فوجب أن يقبل رجوعه عنه كما تقبل روايته، وإن قال: كنت تعمدت الكذب فيه، لا يعمل بذلك الخبر ولا بغيره من روايته[٥].

ب- ترك الرواية عمن اختلط وتغير[٦].

ج- ترك الاحتجاج بمن غلب على حديثه الشواذ، والمناكير، والغرائب من الأحاديث.

استدل أئمة الحديث بأن من يغلب على حديثه الأنواع المذكورة من الأحاديث، أنه رجل شاذ، يأتي بغرائب، و شذوذ الروايات والأخبار، ومن كانت هذه مهنته فالأولى ترك الرواية عنه.

قال شعبة [٧]:

"لا يجيئك الحديث الشاذ إلا من الرجل الشاذ".

وقال إبراهيم بن أبي عبلة [١]:

==

(١) الكفاية ص ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه ص١٩٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٤، وينظر: أقوال أخرى لأئمة الحديث في هذا الموضوع الخطيب: المصدر السابق ص ١٩٠- ١٩١.

(٤) المصدر نفسه ص ١٩١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٩١.

(٦) ينظر ص ٣٦١، ٣٩٠.

(٧) تدريب الراوي ١/ ٣٣٩.

"من حمل شاذ العلماء حمل شراً كثيراً" [٢].

ويقول أبو نعيم [٣]:

"كان عندنا رجل يصلي كل يوم خمسمائة مرة، سقط حديثه في الغرائب".

وقال الإمام أحمد [٤]:

"شر الحديث الغرائب التي لا يعمل بها ولا يعتمد عليها".

د ـ ترك الرواية عمن كان الوهم غالبا على روايته:

يقول عبد الرحمن بن مهدي [٥]:

"لا يترك حديث رجل إلا رجلاً متهماً بالكذب، أو رجلاً الغالب عليه الغلط".

ويشمل ذلك من كان سيء الحفظ ويروي عن حفظه.

قال الشافعي [٦]:

"ومن كثر غلطه من المحدثين، ولم يكن له أصل كتاب صحيح لم يقبل حديثه، كما يكون من أكثر الغلط في الشهادة لم تقبل شهادته ".

هـ ـ ترك الرواية عمن لم يكن من أهل الضبط والرواية:

وهذه قاعدة أخرى من القواعد المهمة التي سلكها أئمة نقد الحديث حيث أن الزهد والتقوى والصلاح والعبادة، تعتبر كلها شأناً خارجاً عن الرواية، إن لم يكن معها الضبط والدراية

==

(١) إبراهيم بن أبي عبلة، شمر بن أبي يقظان العقيلي أبو إسماعيل، وثقه جمع من أئمة الحديث (ت ١٥٢هـ) ينظر الذهبي: تاريخ الإسلام ص ٣٥٤ (حوادث ١٤١ -١٦٠)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ١٩ -٢٠.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٥٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٤.

(٣) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٢٦.

(٤) ابن مفلح: برهان الدين، إبراهيم بن محمد (ت ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد - الرياض ١٩٩٠ م ٢/ ٢٣٩.

(٥) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/ ٦، ١٠، الخطيب: المصدر السابق ص ٢٢٧، ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦هـ ١/ ٢٨٤.

(٦) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٢٨.

بل قد يأتي عن طريق هؤلاء بعض المفاسد، قد لا يأتي عن طريق غيرهم[١]، لذا حذر أئمة الحديث من ذلك.

قال يحيى القطان [٢]:

"ما رأيت الصالحين في شيء أشد فتنة منهم في الحديث، وقال أيضاً: أئتمن الرجل على مائة ألف، ولا ائتمنه على حديث".

وقال ابن أبي الزناد عن أبيه[٣]:

"أدركت بالمدينة مائة، كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم شيء من الحديث يقال: ليس من أهله"[٤].

قال سفيان بن عيينة [٥]:

"كان بالكوفة شيخ صالح عنده أربعة عشر حديثاً يعرف بها، على أنه لم يكن عنده غيرها، فلما كان بعد زادت آخر، فقيل له: من أين هذا ؟ فقال: من رزق الله عز وجل".

و- ترك الرواية عمن عرف عنه بالتساهل في الرواية:

لعل العلة في ذلك من أن المتساهل يخلط الغث بالسمين، كما أن الناس إذا رأوا المتساهل يدسون في حفظه وفي كتبه إن كان من أهل الكتب.

ولذا اتهم ابن لهيعة - بعد أن احترقت كتبه - وكان سيئ الحفظ، بكثرة المناكير.

"كان عبد الله بن لهيعة سيئ الحفظ، واحترقت كتبه وكان يتساهل في الأخذ وأي كتاب

---

(١) ينظر ص ٢٩٩.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٢٠٢، الكفاية ص ٢٤٧.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان ابن أبي الزناد المدني، الحافظ الإمام، المفتي الفقيه أختلف في توثيقه وتضعيفه (ت ١٧٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٨ - ٢٣٠ (٥٣٥٩)، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٧ - ٢٤٨ (٢٣٤)، وابوه عبد الله بن ذكوان المدني: أمير المؤمنين في الحديث وثقه جماعة (ت ١٣١هـ) على أصح القولين ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٣٤ - ١٣٥ (١٢١)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ٢٠٣ - ٢٠٥ (٣٥١).

(٤) المحدث الفاصل ١/ ٤٠٧، السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٦٩.

(٥) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٥٠.

جاءوا به حدث منه، فمن هناك كثرت المناكير في حديثه "[١].

ز- ترك حديث أهل الغفلة:

حذر كثير من أهل العلم من أحاديث أهل الغفلة وذلك لعدم قدرته على تمييز الصحيح من الضعيف أو من الموضوع، فيختلط عليه ذلك.

قال ابن عباس[٢]:

"لا يكتب عن الشيخ المغفل".

يقول الخطيب [٣] عن محمد بن خالد بن عبد الله الطحان[٤]:

"(صدوق غير أنه مغفل. سئل عنه يحيى بن معين فقال: صدوق، قال: أبو علي[٥]: كان أبوه خالد[٦] كتب الأحاديث يسمعها فلم يسمعها، فجعل ابنه هذا يحدث بتلك الأحاديث حتى قيل له: إن هذه الأحاديث لم يسمعها أبوك ".

وسئل عبد الله بن الزبير الحميدي عن الغفلة التي يروى بها حديث الرضا الذي لا يعرف بكذب فقال[٧]:

"هو أن يكون في كتابه غلط، فيقال له في ذلك، فيترك ما في كتابه ويحدث بما قالوا أو يغيره في كتابه بقولهم لا يعقل فرق ما بين ذلك، أو يصحف ذلك تصحيفاً فاحشاً يقلب المعنى، لا يعقل ذلك، فكيف عنه".

---

(١) ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٧. وسنذكر ذلك في فصل العلل بالتفصيل.

(٢) الكفاية ص ٢٣٣.

(٣) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٣٣.

(٤) الواسطي ضعيف له مناكير، وقد اتهم بالكذب (ت ٢٤٠هـ) ينظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٣٣ (٧٤٦٧)، الخزرجي: المصدر السابق ص ٣٣٤ ولعل قول ابن معين هذا (صدوق) كان قبل أن يطلع على كذبه، وإلا فقد كذبه في مكان آخر، ينظر الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٥٣٣.

(٥) صالح بن محمد بن عمرو أبو علي الأسدي خرزة، الحافظ الكبير مرجع أهل الأثر، الثبت (ت ٢٩٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٢ - ٣٢٨ (٤٨٦٢)، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٤١ - ٦٤٣ (٦٦٤)، العبر ١/ ٤٢٥، وقد قلب بعضهم خرزة وجعلها جزرة.

(٦) خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد، الحافظ، الواسطي الطحان، كان عالماً صالحاً، قانتاً لله، ثقة (ت ١٧٩ - ١٨٢هـ)- ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٩-٢٦٠ (٢٤٦)، ابن حجر: ربما تهذيب التهذيب ٣/ ١٠٠-١٠١ (١٨٧).

(٧) المصدر نفسه ص ٢٣٣.

ح- ترك الرواية عمن عرف بالتلقين:

قال يحيى القطان[(١)]:

" إذا كان الشيخ إذا لقنته، قبل فذلك بلاء ".

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول[(٢)]:

"دخلت الكوفة فحضرني أصحاب الحديث وقد تعلقوا بوراق سفيان بن وكيع[(٣)]، فقالوا: أفسدت علينا شيخنا وابن شيخنا، قال: فبعثت إلى سفيان، بتلك الأحاديث التي أدخلها عليه وراقه، يرجع عنها، فتركته".

وقال الأعمش:

"كان بالكوفة شيخ يقول: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول:

إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، يرد إلى واحدة، والناس عنقاً واحداً في ذلك يأتونه ويسمعون منه، قال: فأتيته فقرعت عليه الباب، فخرج إلي شيخ فقلت له: كيف سمعت من علي بن أبي طالب يقول: إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً في مجلس واحد ؟.

قال سمعت علي بن أبي طالب:

فإنه يرد إلى واحد قال: فقلت له: أنّى[(٤)] سمعت هذا من علي؟

فأخرج إليّ كتاباً فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما سمعت من علي بن أبي طالب يقول: (إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فقد بانت منه، ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره).

قال: قلت: ويحك هذا غير الذي تقول ؟ قال: الصحيح هو هذا لكن هؤلاء أرادوني على ذلك "[(٥)].

---

(١) العقيلي: الضعفاء ١/ ١٧٤.

(٢) الكفاية في علم الرواية ص ٢٣٧.

(٣) سفيان بن وكيع بن الجراح أبو محمد الرواسي ليس بشيء، وراقه أفسد عليه حديثه (ت ٢٤٧هـ)، ينظر: ابن حبان: المجروحين ١/ ٣٥٩، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/ ٢٣١، الذهبي: المغني ١/ ٢٦٩.

(٤) لعله أنا سمعت هذا من علي، حتى يستقيم المعنى.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

٤ـ رواية المبتدع:

البدعة في اللغة: ما أحدث على غير مثال سابق[(١)].

وفي الاصطلاح: كل عمل لم يدل عليه دليل شرعي فإذا دل عليه دليل شرعي، فليس ببدعة وإن سمي بدعة في اللغة[(٢)].

والبدعة أنواع:

أـ البدعة الكبرى والتي توجب الكفر:

وهذا النوع من البدعة لابد أن يكون متفقا عليه من قواعد جميع الأئمة[(٣)]، وذلك كغلاة الروافض، ممن يؤمن بالرجعة، أي رجوع علي رضي الله عنه إلى الدنيا قبل يوم القيامة، أو دعوى حلول أو تجسيم الألوهية في علي وأولاده رضي الله عنهم، أو وقوع التحريف في القرآن أو نسبة التهمة إلى السيدة عائشة رضي الله عنها فهؤلاء باتفاق المسلمين دون استثناء روايتهم مردودة قطعاً، لأن بدعتهم توجب الكفر[(٤)].

يقول الإمام الذهبي[(٥)]:

"ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتج بهم ولاكرامة وأيضاً فما استحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً ولا مأموناً بل الكذب شعارهم والتقية دثارهم فكيف يقبل نقل من هذا حاله!. حاشا وكلا ؟!".

ثم يشرح الذهبي معنى الغلاة، والغالي، من هذه الفرقة في زمن الصحابة، والتابعين، والسلف،

---

(١) ينظر ابن منظور: اللسان ١/ ١٧٤ - ١٧٥، الشوكاني: نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، دار الحديث القاهرة - ٣/ ٥٢ - ٥٣.

(٢) ينظر ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت ص ٢٧٦ - ٢٧٧، الشوكاني: نيل الاوطار ٣/ ٥٣.

(٣) ينظر: تدريب الراوي ١/ ٣٢٧، قال الحافظ ابن حجر: ذلك لأن كل طائفة تدعي أن مخالفها مبتدعة وقد تبالغ فتكفر مخالفيها، فلو أخذ ذلك على الأطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف، والمعتمد أن الذي ترد بدعته روايته: من أنكر أمراً متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة، أو اعتقد عكسه، ينظر: التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ١٢٧.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٤، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٥ الهامش٥، التهانوي: المصدر السابق ص ٢٢٧، ٢٣١.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ٦، وينظر كذلك ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/ ٢٨.

وفي زمنه - رحمه الله - فيقول[١]:

"الشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير[٢] وطلحة[٣] ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً وتعرض لسبهم، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضاً، فهذا ضال معثر".

وكيف لو رأي الإمام الذهبي شيعة الأعصر التي تلا عصره، وعصرنا هذا، فماذا كان يكون حكمه فيهم وفي سماع روايتهم أو النقل منهم، ومن كتبهم ؟.

ب- البدعة الصغرى وهي التي لا توجب الكفر:

- المنع مطلقاً:

ذهب جماعة من أهل العلم[٤] بأن رواية المبتدع ترد في كل الأحوال لأنه فاسق ببدعته، وكما استوي في الكفر، المتأول، وغير المتأول، يستوي كذلك في الفسق المتأول وغير المتأول. وهذا كما ذهب إليه المحققون من أئمة الحديث مجانب للحق ومباعد للشرائع، ولو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة واضحة، كما أن كتب الحديث - ومنها الصحيحين- طافحة من روايات هؤلاء في الشواهد والأصول[٥].

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٦ وفي لسان الميزان، ضال مفتر، ينظر ١/ ١٠.

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد القرشي، أبو عبد الله حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته، أحد العشرة المبشرين بالجنة قتله عمرو بن جرموز سنة (٣٦هـ) يوم الجمل ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٥٨٠ - ٥٨٤، ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٤٥ - ٥٤٦ (٢٧٨٩)

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي أحد العشرة المبشرة وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام قتل سنة (٣٦هـ) يوم الجمل ينظر: المصدران السابقان ٢/ ٢١٩ - ٢٢٥، ٢/ ٢٢٩ - ٢٣٠ (٤٢٦٦).

(٤) ومن هؤلاء ابن سيرين، ومالك، وابن عيينة، الحميدي، يونس بن أبي إسحاق، علي بن حرب، الحسن وغيرهم وحجتهم:

أ - لكفر أهل الأهواء، وفسقهم، وفيه خلاف مشهور.

ب- الإهانة لهم والهجران والعقوبة وترك الرواية عنهم، وإن لم نحكم بكفرهم أو فسقهم.

ج- إن الهوى والبدعة لا يؤمن معه الكذب لا سيما إذا كانت الرواية مما تعضد هوى الراوي. ينظر: ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٤-٥٥، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٥، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٤.

ومن ذلك التشيع بلا غلو ولا تحريف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق[١].

مبتدع داعية إلى بدعته:

ذهب كثير من أهل العلم، بل قد ادعى ابن حبان إجماع أهل العلم النقل عليه، أن رواية الداعية لا تقبل[٢]، وذكر ابن الصلاح وغيره أن هذا أعدل الآراء وأولاها وأصوبها[٣].

لكن يبدو أن هذا ليس إجماع الجميع، بل هناك من فصل في الداعية إلى بدعته وقال: أن اشتملت رواية الداعية على ما يشيد بدعته ويزينه ويحسنه ظاهراً فلا تقبل وإن لم تشتمل فتقبل[٤].

وذكر السيوطي عن الحافظ العراقي أنه: اعترض على اشتراط أن لا يكون داعية بأن الشيخين احتجا بالدعاة مثل عمران بن حطان[٥] وغيره[٦].

والذي يظهر أن سبب قبول أئمة الحديث لروايات مثل: عمران.

---

(١) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٥.

(٢) وممن فرق بين الداعية وغيره، ابن المبارك، وابن مهدي، أحمد بن حنبل، يحيى بن معين، وروي عن مالك، ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٥٥، شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٤، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٢٣٠.

(٤) ينظر ابن حجر: هدي الساري مقدمة فتح الباري، المطبعة المنيرية ١٣٤٧هـ ٢/ ١١١.

(٥) عمران بن حطان السدوسي، صدوق، كان على مذهب الخوارج، ويقال رجع عن ذلك (ت ٨٤هـ) ينظر: ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٨٢-٨٣ الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٢٩٥.

(٦) ينظر: تدريب الراوي ١/ ٣٢٦، والذي يبدو أن هناك فرقاً شاسعاً بين الروافض وبين الخوارج وغيرهم من أهل البدع لأن الروافض باتفاق الأئمة أكذب الملل والفرق المبتدعة، ولذا اعتبروا الداعية منهم في كل الأحوال كذاباً لا تقبل منه الرواية.

قال الذهبي: وترد رواية الرافضي الداعية ولو كان صدوقاً، وقال أيضاً: قال أشهب: سئل مالك عن الرافضة، فقال: لا تكلمهم ولاترو عنهم فإنهم يكذبون، وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: لم أر أشهد بالزور من الرافضة، وقال مؤمل بن أهاب: سمعت يزيد بن هارون يقول: يكتب عن كل صاحب بدعة، إذا لم يكن داعية إلا الرافضة، فإنهم يكذبون. وقال محمد بن سعيد إلا صبهاني: سمعت شريكاً يقول: أحمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث فيتخذونه ديناً. ينظر: الكفاية ص ٢٠٣ - ٢٠٥، ابن الصلاح: المقدمة: ص ٥٤، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٢٧ -٢٨، شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٤، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص٢٣٠.

أولا: أن الروايات التي نقلوها عنهم ليست من الروايات التي تؤيد أو تزين مذهبهم - كما سبق- .

ثانيا: أن الخوارج بالأخص لا يستحلون الكذب، بل يعدونه من الكبائر، وصاحب الكبيرة، مخلد في النار على معتقدهم، فكيف يستحلون أو يجوزون الكذب ؟.

وقد نقل أئمة الحديث بأنهم أصدق الناس في الروايات، لذا قبلوا رواياتهم دون روايات غيرهم [(١)].

يقول الخطيب [(٢)]:

"والذي يعتمد عليه في تجويز الاحتجاج بأخبارهم اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج وشهاداتهم، ومن جرى مجراهم من الفساق بالتأويل، ثم استمرار عمل التابعين، والخالفين، بعدهم على ذلك، لما رأوا من تحريهم الصدق وتعظيمهم الكذب وحفظهم أنفسهم عن المحظورات من الأفعال وإنكارهم على أهل الريب والطرائق المذمومة، ورواياتهم الأحاديث التي تخالف آراءهم ويتعلق بها مخالفوهم في الاحتجاج عليهم".

مبتدع غير داعية إلى بدعته:

ذهب كثير أو أكثر العلماء إلى قبول رواياتهم، وقد طفحت كتب الأوائل بذكر أحاديثهم [(٣)].

---

(١) يقول الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث، ليس في أصحاب الأهواء أصح حديث من الخوارج، ثم ذكر عمران بن حطان، وأبي حسان الأعرج، ينظر: الخطيب: المصدر السابق ص ٢٠٧، ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٣٥٧.

(٢) الكفاية ص ٢٠١، ثم ذكر الخطيب، طائفة ممن اخذ السلف والخلف من رواياتهم من أهل البدع فاحتجوا برواية عمران بن حطان وهو من الخوارج وعمرو بن دينار وكان يذهب إلى القدر والتشيع، وكان عكرمة اباضيا، وابن أبي نجيح كان معتزليا وعبد الوراث بن سعيد، وشبل بن عباد، وسيف بن سليمان، وهشام الدستوائي، وسعيد بن أبي عروبة، وسلام بن مسكين، وكانوا قدرية، وعلقمة بن مرثد، وعمرو بن مرة، ومسعر بن كدام، وكانوا مرجئة، وعبيد الله بن موسى، وخالد بن مخلد وعبد الرزاق بن همام، وكانوا يذهبون إلى التشيع في خلق كثير يتسع ذكرهم دون أهل العلم - قديما وحديثا - رواياتهم، واحتجوا باخبارهم، فصار ذلك كالاجماع منهم وهو أكبر الحجج في هذا الباب، وبه يقوى الظن في مقاربة الصواب. ينظر: المصدر نفسه ص ٢٠١.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٤ - ٥٥، شاكر: الباعث الحثيث ص ٩٢ -٩٥، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٢٣٠.

وما أحسن قول الإمام محمد بن جرير الطبري[(١)]:

"لو كان كل من ادعي عليه مذهب من المذاهب الرديئة، ثبت عليه ما ادعي به وسقطت عدالته، وبطلت شهادته بذلك، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار، لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنهم".

وهو مذهب معتدل بين المذاهب المختلفة.

ذكر ابن حجر:

أن عدد من رمي من رجال البخاري بطعن في الاعتقاد بلغوا (٦٩) راوي[(٢)].

وذكر السيوطي إحصائية بأسماء من رمي ببدعة ممن أخرج لهم البخاري ومسلم أو أحدهما فبلغ عدد من رمي بالإرجاء (١٤) ومن رمي بالنصب[(٣)] (٧)، ومن رمي بالتشيع (٢٥)، ومن رمي بالقدر[(٤)] (٣٠)، ومن رمي برأي جهم[(٥)] (١)، ومن رمي بالحرورية[(٦)] وهم الخوارج (٢)

---

(١) ابن حجر: هدي الساري ٢/ ١٥١ (ترجمة عكرمة)، اللكنوي: محمد عبد الحي الهندي (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م ص ٢٣٥.

(٢) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٧٩.

(٣) الناصبة: هم الذين يناصبون علياً وآله بالبغض، وقد انقرض هؤلاء في العالم الإسلامي، ولم يبق لهم وجود. ينظر: الرازي: أبو حاتم أحمد بن حمدان، توفي بعد القرن الثالث، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية (القسم الثالث)، تحقيق الدكتور عبد الله سلوم السامرائي، الطبعة الثانية، الدار العربية - بغداد ١٩٨٢م (مطبوع مع كتاب الغلو والفرق الغالية) ص ٢٥٦ - ٢٥٨.

(٤) سموا بذلك لأنهم قالوا أن العباد يفعلون ما لا يريده الله، ولم يقدره من أفعال الشر، مثل القتل والزنا وغير ذلك، وقالوا: هذا ليس بقدر الله، وقد قدر العباد على ما لا يريده الله من هذه الأعمال، أي إنما تجري أعمالنا على قدر الله. ينظر: المصدر نفسه ص ٢٧٢. فتاح: عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مطبعة أسعد - بغداد ص ٢٧٤.

(٥) هم أصحاب جهم بن صفوان وهم من الجبرية الخالصة، وكان يكفر أهل التشبيه، ويظهر القول بخلق القرآن، ويعتقد أن الإيمان لا يتبعض وأن إيمان الأنبياء وإيمان الأمة على نمط واحد. ينظر الرزاي: المصدر السابق ص ٢٦٨، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ٨٦ - ٨٨. وينظر بحثا مفصلا حول جهم والجهمية: العسلي: خالد، جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٦٥م.

(٦) وسموا أيضاً، بالمارقة والشراة والمحكمة، ويقال لهم الحرورية، لأنهم نزلوا بحروراء، موضع بالنهروان، وسموا الخوارج إما لخروجهم عن الدين أو لخروجهم عن الإمام الحق، لكن الخوارج يرون أنهم خرجوا في سبيل الله. ينظر الرازي:كتاب الزينة ص ٢٧٦ - ٢٨٥، الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت

ومن رمي بالوقف[١] (١)، ومن رمي بالحرورية من الخوارج القعدية[٢] (١)، ومجموعهم (٨١) رجلاً[٣].

لكن الشرط الذي اشترط عليهم العلماء هو: إذا لم يستحلوا الكذب أو يتهموا به[٤].

دقة المحدثين في تتبع أحوال الرواة:

دقق أئمة الحديث في أحوال الرواة من نواحي عديدة وقد بينا بعضها في مواضع أخرى، وتكملة لذلك نبين أهم المواطن التي سلط العلماء فيها الضوء على أحوال الرواة.

١ـ سن التحمل وسن الأداء:

إن السماع والأداء من المسلم البالغ العاقل الضابط لما سمعه به وأدائه، صحيح متفق عليه[٥]. لكن ما هو السن المستحب والمحبذ لدى العلماء وقت السماع والتحمل، وما هو السن المستحب وقت الأداء؟

أ ـ سن التحمل:

استحب أكثر علماء الحديث، سماع الحديث بعد العشرين، أما قبل هذا الوقت فاستحبوا له

٣٢٤هـ/ ٩٣٦م) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٤ م ص ١٩١، عرفان عبد الحميد: المصدر السابق ص ٨٤ - ٩٩.

(١) وهم فرقة من الإسماعيلية، ويقال لهم الممطورة، وسموا بذلك لأنهم وقفوا على القول بإمامة محمد بن إسماعيل، وأنكروا إمامة علي بن موسى بعده. ينظر الرازي: المصدر السابق ص ٢٨٩ - ٢٩٠، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) ويسمون النجدات أيضاً وهم أصحاب نجدة بن عامر، وسموا بالقعدية إما لأن نافع بن الأزرق (وهو أحد رؤوسائهم) كفر مجموعة منهم لقعودهم عن الجهاد أو لأنهم كانو يعتقدون أن الجهاد غير واجب بل جائز. ينظر المصدران السابقان: ص ٢٨٥، ١/ ١٢٢ - ١٢٥.

(٣) ينظر السيوطي: المصدر السابق ١/ ٣٢٨، التهانوي: المصدر السابق ص ٢٣٠.

(٤) ومن هؤلاء: أبو حنيفة، والشافعي، ويحيى القطان، وعلي بن المديني، وقال ابن المديني: لو تركت أهل البصرة للقدر، وتركت أهل الكوفة للتشيع لخربت الكتب. ينظر ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٣٥٦، وينظر كذلك: ابن الصلاح: المقدمة ص٥٤.

(٥) ينظر القاضي عياض: الإلماع ص ١٩٩.

تعلم الأخلاق، والعبادة وذلك من أجل التدريب على الصبر، والتقوى، والتهيؤ النفسي والعقلي، للتعامل، وتحمل سنة رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ [المزمل: ٥].

وتحمل سنة رسول الله ﷺ أيضاً، يحتاج إلى أناس صحيحي العقيدة، عظيمي الأخلاق، ملئى قلوبهم بتقوى الله، والزهد في الدنيا، رهباناً بالليل، وفرساناً بالنهار، نسّاكاً متعبدين ومن أجل ذلك كان يقول السلف:

أن هذا العلم ذكر لا يحبه إلا ذكور الرجال[(١)].

نعم، إنه علم عظيم لا يحبه إلا عظماء الرجال.

يقول أبو الأحوص[(٢)]:

"كان الشباب يتعبد عشرين سنة ثم يطلب الشيء من الحديث. وقال الثوري: كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث تعبد قبل ذلك عشرين سنة. وقال ابن جريج[(٣)] لوكيع: باكرت العلم، وكان لوكيع ثماني عشرة سنة "[(٤)].

ولكن هذه قاعدة غير عامة ولا مطردة، وإنما مستحبة فقد كان أهل البصرة يكتبون لعشر سنين، وأهل الكوفة لعشرين، وأهل الشام لثلاثين[(٥)].

ومذهب الجمهور هو جواز السماع لمن هم دون ذلك فقد صح أن بعض الصحابة رضي الله عنهم سمعوا رسول الله ﷺ وهم دون ثلاثة عشرة[(٦)].

"لو كان السماع لا يصح إلا بعد العشرين لسقطت رواية كثير من أهل العلم، سوى من هو

---

(١) ينظر: جامع بيان العلم ٢/ ٣٥، القاضي عياض: المصدر السابق ص ٢٨.

(٢) سلام بن سليم الحنفي الكوفي الحافظ الثقة (ت ١٧٩هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٠ (٢٣٦) ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ٢٩٢.

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أصله نصراني، من طبقات التابعين، وهو أول من صنف في الحجاز، ثقة لكنه كان يدلس (ت ١٥٠هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٩-١٧١، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٢ -٤٠٦ (٨٥٥).

(٤) الكفاية ص ١٠٤، ابن الصلاح: المقدمة ص ٦٠ - ٦١.

(٥) ينظر المصدران نفسيهما: ص ١٠٤، ص ٦٠ - ٦١.

(٦) ينظر المصدران نفسيهما: ص ١٠٣ - ١٠٥، ص ٦١.

في عداد الصحابة، ممن حفظ عن النبي ﷺ في الصغر فقد روى الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ ومولده سنة اثنين من الهجرة، وكذلك عبد الله بن الزبير، والنعمان بن البشير[١]، وأبو الطفيل الكناني[٢]، والسائب بن يزيد[٣]، والمسور بن مخرمة "[٤].

ب- سن الأداء:

اختلف أهل العلم في السن المستحب لوقت الأداء فمنهم من استحب سن الأربعين، ومنهم من استحب الخمسين والحكمة في ذلك كما يقول القاضي عياض[٥]: "أما لأجل كمال عقله، واجتماع أشده وانتهاء كهولته ورقة سمته، أو لتوقي أشياخه ومزاحمته من أخذ عنه"[٦].

قال القاضي أبو محمد خلاد[٧]:

"والذي يصح عندي من طريق الأثر والنظر في الحد الذي إذا بلغه الناقل حسن به أن

---

(١) النعمان بن بشير بن سعيد الأنصاري، من صغار الصحابة والي حمص، وكان موالياً لابن الزبير قتله أهل حمص سنة (٦٤هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٣/ ٥٥٠ -٥٥٥، ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ٥٥٩ (٨٧٢٨).

(٢) عامر بن واثلة بن عبد الله أبو طفيل الكناني، صحابي صغير، كان شاعراً (ت ١٠٠هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ٤/ ١١٥ - ١١٨، ٥/ ٨٢ -٨٤ (١٣٥).

(٣) السائب بن يزيد بن سعيد الأزدي وقيل غير ذلك صحابي صغير اختلف في وفاته كما اختلف في ولادته على أقوال، ورجح ابن حجر وفاته (٩١هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٢/ ١٠٥ -١٠٧، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٨٣ (٤٥).

(٤) الكفاية في علم الرواية ص ١٠٥، وينظر كذلك: ابن الصلاح: المقدمة ص ٦١، وممن سمع في الصغر: أنس بن مالك، عبد الله بن عباس، أبو سعيد الخدري، محمود بن الربيع. ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ١٠٦، وقال ابن الصلاح: أن العبرة في ذلك هو حال الصغير على الخصوص. ينظر: المقدمة ص ٦٢.

(٥) هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، أحد الأئمة الأعلام في الحديث والعربية وصاحب التآليف المشهورة (ت ٥٤٤هـ) ينظر: النباهي: عبد الله بن الحسن، ولد (٧١٣هـ) تاريخ قضاة الأندلس، المكتب التجاري - بيروت ص ١٠١ (١٢٩٦)، ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، طبعة مصر ١٣٥١هـ ص ١٦٨.

(٦) الإلماع ص ١٩٩.

(٧) خلاد بن يحيى بن صفوان السلمي أبو محمد الكوفي، صدوق رمي بالأرجاء، وهو من كبار شيوخ البخاري ت بين (٢١٢- ٢١٧هـ) ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٣/ ١٨٩، التاريخ الصغير ٢/ ٣٢٨، الذهبي: العبر ١/ ٢٨٤ -٢٨٥، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٣٠ (١٧٨).

يحدث: استيفاء الخمسين لأنها انتهاء الكهولة وفيها مجتمع الأشد.

قال الشاعر[(١)]:

وَمَاذَا تَبْتَغِي الشُّعَرَاءُ مِنِّي؟ وقَــدْ جَاوَزت حَدَّ الأَرْبَعِينِ
أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعٌ أَشُدِّي وَنَجَّذَنِي[(٢)] مُدَاوَرَةُ الشُّؤُونِ[(٣)]

وهناك من ذهب أن يحدّث عند استيفاء الأربعين، لأنها حد الاستواء، ومنتهى الكمال، وفيها بعث النبي ﷺ[(٤)].

لكن هناك عدد لا بأس بهم من السلف والخلف من لم يبلغ هذا العمر ولم يستوف هذا السن وقد نشر الحديث والعلم ما لا يحصى ومن هؤلاء، عمر بن عبد العزيز ولم يكمل الأربعين، وسعيد بن جبير ولم يبلغ الخمسين، وكذلك إبراهيم النخعي، أما مالك فقد جلس للفتوى وهو ابن نيف وعشرين[(٥)]، وفي كل الأحوال فلا يكون الأداء صحيحاً إلا بعد البلوغ، ويجب أيضاً أن يكون الراوي وقت الأداء عاقلاً مميزاً[(٦)].

٢ـ سن الإمساك عن التحدث والعلم:

استحب العلماء أن يمسك إذا بلغ الثمانين، لأنه سن الهرم، واستحبوا له التسبيح والذكر، وقراءة القرآن، وقد قال الشاعر:

إنَّ الثَّمانِينَ وَبُلِّغْتَهَا قَــدْ أحْوَجَتْ سَمْعِي إلى تَرْجُمَانْ[(٧)].

---

(١) الشعر: لسحيم بن وثيل الرياحي، ينظر: الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت ٢١٢هـ/) الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٥، لبنان - بيروت ص١٩. ابن عقيل، بهاء الدين، عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩هـ - ١٣٦٧م) شرح ابن عقيل، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة السادسة عشر، دار الفكر ١/ ٦٨، (باختلاف يسير في بعض الألفاظ)

(٢) يروى "نجدني" بالدال والذال. والأشد واحد لا جمع له؛ بمنزلة الآنك وهو الرصاص. وقد قيل: واحده شد؛ كفلس وأفلس. وأصله من شد النهار أي ارتفع. ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٧/ ١٣٥.

(٣) ينظر القاضي عياض: الإلماع ص ٢٠١.

(٤) ينظر المصدر نفسه ص ٢٠١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٠١.

(٦) ينظر الخطيب: الكفاية ص ١٣٤.

(٧) الشعر: لسحيم بن وثيل الرياحي ينظر: شرح ابن عقيل ١/ ٦٨.

قال القاضي عياض: أما من كان ثابت العقل مجتمع الرأي محتسباً في الحديث فأرجو له خيراً.

والحد في ترك الشيخ التحديث التغير وخوف الخرف.

لكن ثبت أن مالك بن أنس وعدد من أصحاب رسول الله ﷺ قد حمل عنهم وحدثوا وقد نيفوا على الثمانين، بل قد قارب وتجاوز بعضهم المائة، كعبد الله بن أبي أوفى[(١)]، وواثلة بن الأسقع[(٢)]، وسهل بن سعد الساعدي، وأبي الطفيل الكناني، كذلك من بعدهم من التابعين، وأئمة المسلمين قد بلغ كثير منهم الثمانين، والمائة وهم يحدثون[(٣)].

٣ـ الجهالة وأحكامها:

أ ـ المجهول وما ترتفع به الجهالة:

المجهول عند أصحاب الحديث هو: كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه ولا عرفه العلماء به.

وكذلك من لم يعرف حديثه إلا من جهة راوٍ واحد مثل: عمرو بن ذي مرّ[(٤)] وجبار الطائي[(٥)]، وعبد الله بن أغر الهمذاني[(٦)]، والهيثم بن حنش[(٧)]، ومالك بن أغر[(٨)]، وسعيد بن ذي

---

(١) عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد الأسلمي، شهد الحديبية وخيبر وما بعد ذلك من المشاهد ت ٨٧هـ بالكوفة، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٢٦٤ - ٢٦٥. ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٧٩ - ٢٨٠ (٤٥٥٥).

(٢) واثلة بن الأسقع بن كعب بن عامر أسلم قبل تبوك (ت ٨٣ -٨٥هـ) ينظر: المصدران نفسيها ٢/ ٦٤٣- ٦٤٤، ٣/ ٦٢٦ (٩٠٨٧).

(٣) ينظر: الإلماع ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٤) قال البخاري، لا يعرف، وهو صاحب حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه: اللهم والي من والاه وعاد من عاداه). ينظر: ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٥/ ١٤٢ (١٣٠٤)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٩٤ - ٢٩٥ (٦٤٨١).

(٥) قيل جبار بن قاسم الطائي، مجهول، ضعفه الأزدي، ينظر: ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين، تحقيق: عبد الله القاضي، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦هـ ١/ ١٦٥ (٦٣٤)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٨٧ (١٤٣٤).

(٦) ينظر عنه: المعجم الكبير ٩/ ١٢٨ (٨٦٣٨)، الكفاية ص ١٤٩، تاريخ دمشق ٤٦/ ٥.

(٧) النخعي الكوفي، ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٩/ ٧٩ (٣٢٠٠).

(٨) لم أقف على ترجمته.

حدان[١]، وقيس بن كركم[٢]، وخمر بن مالك[٣]، هؤلاء كلهم لم يرو عنهم غير أبي إسحاق السبيعي[٤].

ولكن ما العمل لرفع الجهالة عن الراوي ؟

يجيب الخطيب عن هذا السؤال فيقول[٥]:

" وأقل ما ترتفع به الجهالة أن يروي عن الرجل اثنان فصاعداً من المشهورين بالعلم ".

وهذا يرفع عنه الجهالة، أما العدالة فهل تثبت له بذلك ؟.

والذي يظهر من قول الخطيب أنه: لا تثبت له ذلك[٦].

ب- من عرفت عينه وعدالته، وجهل اسمه ونسبه:

الذي عرفت عينه وعرف أنه عدل ثقة يجب قبول روايته لأن جهل اسمه ونسبه لا يخل بعدالته[٧].

---

(١) ينظر ترجمته: ابن حبان: الثقات ٤/ ٢٨٢ (٢٩١٣)، المزي: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ١٠/ ٤٢٤ (٢٢٦٦).

(٢) الكوفي ينظر ترجمته: البخاري: التاريخ الكبير ٧/ ١٤٩ (٦٦٥)، مسلم: المنفردات والوحدان: تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ١/ ١٣٤ (٣٥٣).

(٣) وقيل خمير الكوفي، ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣ / ٣٩١ (١٧٩٣)، ابن ماكولا: الإكمال ٢/ ٥٢١. وروى عن هؤلاء كلهم أبو إسحاق السبيعي فقط، وهو مدلس، وكبر سنه وبلغ المائه وقيل أكثر، قال الجوزقاني: روى عن قوم لا يعرفون، ولم ينشر عنهم عند أهل العلم... فإذا روى تلك الأشياء عنهم كان التوقيف في ذلك عندي الصواب. ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٦٦ - ٦٧، وينظر كذلك: ابن رجب: شرح العلل ٢/ ٧٠٩.

(٤) ينظر الخطيب: الكفاية ص ١٤٩، وينظر أيضاً: ابن الصلاح: المقدمة ص ١٦٠ -١٦١.

وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله بن عبيد الكوفي، ولد آخر خلافة عثمان، أحد الاعلام الزهاد والعباد، (ت١٢٧هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١١٤ - ١١٦ (٩٩)، ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٠٢ -٧١٢، ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ٦٣ -٦٧ (١٠٠).

(٥) الخطيب: المصدر السابق ص ١٥٠، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٦٠ - ١٦١.

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص١٥٠.

(٧) ينظر: المصدر نفسه ص ٥٣٣.

والدليل على ذلك حديث ثمامة بن حزن القشيري[١] قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن النبيذ[٢] فقالت: هذه خادم رسول الله ﷺ- لجارية حبشية - فاسألها فقالت[٣]:

(كُنْتُ أَنْبِذُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سِقَاءٍ عِشَاءً فَأُوكِئُهُ[٤] فإذا أصبح شَرِبَ مِنْهُ).

٤- جهود أئمة الحديث في تمييز المدلسين:

ذكرنا فيما سبق شيئاً عن التدليس وأنواعه ولا بد أن نذكر شيئاً عن أحكام التدليس، لأنه مما يحتاجه المحدث والمؤرخ في آن واحد، كما نتطلع إلى جهود أئمة الحديث في تمييز وتتبع المدلسين ومعرفة أسماءهم وكناهم، وألقابهم، وأوطانهم، وما بذلوه من جهود جبارة لتمييز هؤلاء المدلسين من الزنادقة وغيرهم.

أ- ورد تحذير شديد من أهل العلم من التدليس، بل جعله بعضهم أخو الكذب، كما ذهب بعضهم بأنه أشد من الزنا.

قال شعبة بن الحجاج[٥]:

"التدليس أخو الكذب".

وقال في رواية أخرى[٦]:

"التدليس في الحديث أشد من الزنا، ولإن أسقط من السماء أحب إليّ من أن أدلس".

---

(١) ثمامة بن حزن بن عبد الله القشيري البصري، أدرك النبي ولم يره، وثقه ابن حبان وغيره لم أقف على تاريخ وفاته. ينظر: ابن حجر: الإصابة ١/ ٢٠٦ (٩٧٩)، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧ (٤٥).

(٢) ينظر: ص ٥١٨ وما بعدها.

(٣) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٤/ ١٢٢ (٣٢٨٧) مسند أحمد ٦/ ١٣٧ (٢٥١٠٢)، (شرح صحيح مسلم ١٣/ ١٧٥ -١٧٦).

(٤) فأوكيه بدل فَأُوكِئُهُ عند الحميدي ينظر: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٤/ ١٢٣، ومعنى أوكئه: أشد رأس السقاء بالوكاء وهو الخيط لئلا يسقط فيه شيء.

(٥) الكفاية في علم الرواية ص٥٠٨.

(٦) المصدر نفسه ص ٥٠٨، ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٥، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٤، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٥١.

وقال حماد بن زيد[١]:

التدليس كذب[٢].

وقال الحكم[٣] عن سليمان[٤]:

التدليس والغش والغرور والخداع والكذب يحشر - يوم تبلى السرائر في نفاد واحد[٥].

ب- الفرق بين الإرسال والتدليس:

١- التدليس يتضمن الإرسال، لكن الإرسال لا يتضمن التدليس، والتدليس يقتضي إيهام السامع ممن لم يسمع منه، بعكس الإرسال، ولهذا لم يذم العلماء من أرسل، لكنهم ذموا من دلس[٦].

٢- عدول المدلس عن الكشف إلى الاحتمال وذلك خلاف موجب الورع والأمانة[٧].

٣- إن المدلس إنما لم يبين من بينه وبين من روى عنه، لعلمه بأنه لو ذكره لم يكن مرضياً مقبولاً عند أهل النقل، فلذلك عدل عن ذكره[٨].

٤- السبب الآخر من أسباب التدليس هو: التوهيم، طلباً لعلو الإسناد وهو خلاف الأمانة والعدالة[٩].

---

(١) حماد بن زيد بن درهم الأزدي، البصري ثقة ثبت فقيه، إمام أهل زمانه (ت ١٧٩هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٢٨- ٢٢٩ (٢١٣)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ١٩٧ (٥٤١).

(٢) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص٥٠٩، ونسبه ابن كثير إلى الشافعي، ينظر: شاكر: المصدر السابق ص ٥١.

(٣) ينظر ترجمته ص ٣٨٣.

(٤) سليمان بن داود المنقري الشاذكوني، حافظ مكثر، اتهم ببعض التهم الكبيرة منها الكذب وغيرها (ت ٢٣٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٩/ ٤٠ - ٤٨ (٤٦٢٧)، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٨٨ -٤٨٩ (٥٠٣).

(٥) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ١٠٣، الهروي: جواهر الأصول ص ٥٠.

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥١٠، وينظر تفصيل الفرق بين المرسل والمدلس أيضاً: القاري: شرح نخبة الفكر ص ١١٨- ١١٩.

(٧) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥١١، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٣٥.

(٨) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥١١.

(٩) ينظر: المصدر نفسه ص ٥١١.

ج ـ ما يقبل من التدليس في الأخبار وما يرد:

- قال بعض أهل العلم[(١)]:

"إذا دلس المحدث عمن لم يسمع منه، ولم يلقه، وكان ذلك الغالب على حديثه، لم تقبل رواياته".

وقال آخرون:

خبر المدلس لا يقبل إلا أن يورده على وجه مبين غير محتمل للإيهام، فإن أورده على ذلك قبل، قال الخطيب[(٢)]:

"وهذا هو الصحيح عندنا".

- إذا كان تدليسه عمن لقيه وسمع منه، فيدلس عنه رواية ما لم يسمعه منه، فذلك مقبول بشرط أن يكون الذي يدلس عنه ثقة، ويسمى هذا النوع تدليس الإسناد[(٣)].

وضرب العلماء مثلا للفرق بين التدليسين فقالوا: نحن نقبل تدليس سفيان بن عيينه ونظرائه، لأنه يحيل على مليئ ثقة. ولا نقبل من الأعمش تدليسه، لأنه يحيل على غير مليء، والأعمش إذا سألته عمن هذا قال: موسى بن طريف[(٤)]، وعباية بن ربعي[(٥)]، وابن عيينه إذا وقفته قال: عن ابن جريج، ومعمر ونظرائهما[(٦)].

---

(١) المصدر نفسه ص ٥١٥.

(٢) المصدر نفسه ص ٥١٥، وقد ضرب الخطيب مثالاً بأن يقول المدلس، سمعت فلاناً يقول ويحدث ويخبر أو قال لي فلان، أو ذكر لي، أو حدثني وأخبرني من لفظه، أو حدث وأنا أسمع، أو قرأ عليه وأنا حاضر، وما يجري مجرى هذه الألفاظ مما لا يحتمل غير السماع وما كان بسبيله: ينظر: المصدر نفسه ص ٥١٧.

(٣) ينظر: ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٤.

(٤) موسى بن طريف الأسدي الكوفي، حدث عنه الأعمش من غلاة الشيعة، قال الأعمش:
ألا تعجبون من موسى بن طريف يحدث عن عباية عن علي ﵁ أنه قال: انا قسيم النار، هذا لي وهذا لك.
وقيل للأعمش: لو رويت ذلك! قال: رويته على الاستهزاء.
ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٢٠٨ (٨٨٨٤). ابن حجر: لسان الميزان ٦ / ١٢١.

(٥) عباية بن ربعي من غلاة الشيعة ورواياته أقبح من روايات موسى بن طريف ينظر المصدران نفسيهما: ٢/ ٣٨٧-٣٨٨ (٤١٨٨)، ٣/ ٢٤٧.

(٦) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٥١٦، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٥١٠.

- إذا دلّس ولو في حديث واحد سقط، شأنه شأن من كذب في حديث واحد، فإن وافقه ثقة على روايته وجب العمل به، لأجل رواية الثقة له خاصة دون غيره[١].

د- تتبعُ الأئمة الدَقيق، لمعرفة المدلسين من الزنادقة وغيرهم:

من ذلك ما كشفه أبو الحسن المدائني، من هؤلاء، قال[٢]:

"أبو اليقظان هو: سحيم بن حفص[٣]، وسحيم لقب، واسمه عامر بن حفص، وكان لحفص ابن يقال له: محمد، وكان أكبر أولاده، فكنيته أنابه، ولم يكن يكنى به، وكان حفص أسود شديد السواد، يعرف بالأسود: قال لي أبو اليقظان: سمتني أمي خمسة عشر يوما عبد الله.

فإذا قلت: حدثنا أبو اليقظان فهو: أبو اليقظان، وإذا قلت سحيم بن حفص، وعامر بن حفص، وعامر بن أبي محمد، وعامر بن الأسود، وسحيم بن الأسود، وعبد الله بن فائد، وأبو إسحاق المالكي، فهو أبو اليقظان ".

استغل الزنادقة لإدخال الروايات الفاسدة في حديث رسول الله ﷺ، وكذلك في تاريخ المسلمين، هذا المسلك الخطير.

ذكر الخطيب قال: قلب أهل الشام اسم محمد بن سعيد الزنديق[٤] على مائة اسم وكذا وكذا اسماً - قد جمعتها في كتاب - وهو الذي أفسد كثيراً من حديث أهل الشام، قال الخطيب[٥]:

"أبو العباس بن سعيد، محمد بن سعيد الأسدي، أبو عبد الله الشامي، ويقال أبو عبد الرحمن، المصلوب في الزندقة، وقال عبد الرحيم - يعني ابن سليمان - محمد بن غانم، قال أبو معاوية: أبو قيس: محمد بن عبد الرحمن، وربما قال: عبد الرحيم، ابن أبي قيس، ويقال: الربضي،

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥١٨.

(٢) ابن النديم: المصدر السابق ص ١٣٨، وقد نقل عنه الخطيب هذا المقطع نصاً إلا شيئاً بسيطاً. ينظر: الكفاية ص ٥٢١ذ.

(٣) عامر بن حفص، له معرفة بالأنساب (ت ١٩٠هـ) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ١٣٨. ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ٢٢٦.

(٤) محمد بن سعيد الشامي، كذاب متروك الحديث صلبه أبو جعفر على زندقته، ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ١/ ٩٤، التاريخ الصغير ص ١٠٠، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص٢١٣، ابن حبان: المجروحين من المحدثين ٢/ ٢٤٧.

(٥) الكفاية ص ٥٢٢ - ٥٢٣. ينظر نماذج أخرى من هذا النوع: ابن الصلاح: المقدمة ص ١٦١-١٦٢.

ويقال: الطبري، ويقال: محمد بن حسان، ويقال: محمد بن عبد الرحمن، روى عنه الثوري والحسن بن صالح، وقال المقري عن سعيد بن أبي أيوب عن ابن عجلان عن محمد بن سعيد بن حسان بن قيس وهو هذا".

ثم يعقب الخطيب عن فعل هؤلاء المقلبين والمدلسين للأسماء والكنى والألقاب بأن حديثهم: ساقط ولا يجوز الاحتجاج به(١).

هـ- حكم المرسل من الأحاديث:

ذهب جمع من أئمة المسلمين إلى وجوب العمل بالمرسل(٢)، إن كان المرسل ثقة عدلاً، وهو مذهب مالك وأهل المدينة وأبي حنيفة وأهل العراق وغيرهم، وحكي عن الإمام أحمد في رواية(٣).

وذهب الشافعي وجمهور الأئمة من حفاظ الحديث والأثر إلى عدم وجوب العمل به والحكم بضعفه(٤).

واختلفوا كذلك في مراسيل الصحابة ﷺ فذهب بعضهم إلى قبول مراسيل الصحابة مطلقا(٥) لكون جميعهم عدولاً، مرضيين وإن الظاهر فيما أرسله الصحابي - كما يقول الخطيب - ولم يبين السماع فيه أنه سمعه من رسول الله ﷺ أو من صحابي سمعه عن النبي ﷺ، وأما من روى منهم عن غير الصحابة فقد بين في روايته ممن سمعه، وهو أيضاً قليل نادر، فلا اعتبار به وهذا هو الأشبه بالصواب عندنا(٦).

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥٢٧، ينظر كذلك: ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٥.

(٢) ينظر تفصيل ذلك ص ٤٢٣.

(٣) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥٤٧، شاكر: الباعث الحثيث ص ٤٦، ونقل ابن رجب وابن كثير وعلي القاري أن مذهب الجمهور قبلوا إرسال مثل سعيد بن المسيب والحسن البصري حيث (كما يقول القاري) إنما يطلقه إذا سمعه من سبعين من الصحابة. ينظر: شرح علل الترمذي ١/ ٥٣٢، الباعث الحثيث ٤٦، شرح نخبة الفكر ص١١١.

(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٥٤٧، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٢٦، النووي: شرح صحيح مسلم ١/ ٣٠، ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٥٢٩ -٥٣٢.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٢٦.

(٦) الكفاية ص ٥٤٧ - ٥٤٨، وينظر أيضاً: أحمد شاكر: المصدر السابق ص٤٦، السيوطي: تدريب

أما الذين ذهبوا إلى عدم قبول مراسيل الصحابة ﷺ فليس للشك في عدالتهم أو صدقهم ولكن لأنه قد يروي الراوي عنهم عن تابعي وعن أعرابي لا تعرف صحبته ولا عدالته.

لكن لو قال: لست أروي لكم إلا عن سماعي من الرسول أو من صحابي يجب علينا قبول مرسله[١].

الراوي ص ٤٧، وقال الشيخ أحمد شاكر تأييداً لمذهب الخطيب: وهذا هو الحق. ينظر: الباعث الحثيث ص ٤٧.

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥٤٧، وينظر أيضاً ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٥٣٢- ٥٥٧.

المبحث الثالث

أحوال الرواية

اهتم أئمة الحديث بشكل دقيق بالجانب الداخلي (النقد الداخلي) كما اهتموا بالجانب الخارجي (النقد الخارجي).

اهتموا بالنقد الداخلي فيما يتعلق بالتصحيف والتحريف أو إبدال كلمة بكلمة، أو حرف بحرف، أو الرواية بالمعنى أو باللفظ، أو تغيير الحركات، أو تقطيع المتن، أو تغيير اللحن وغير ذلك، حتى وصلت الدقة بهم كما يقول ابن حبان[(١)]:

"لو سئل أحدهم عن عدد الأحرف في السنن لكل سُنَّةٍ منها عدّها عدّاً، ولو زيد فيها ألف أو واو لأخرجها طوعاً ولأظهرها ديانة".

"وهذه مأثرة من مآثر علماء الحديث فإنهم قالوا بالأمانة في نقل الحديث وفرضوا وجوباً تحري النص لأجل الوقوف على اللفظ الأصلي. ومنهم من أبى أن يصلح الخطأ أو يقوم اللحن، واكتفى بابداء رأيه على الهامش... هذا ما توصل إليه علماء الحديث في القرون الأولى وهو المعول عليه الآن لدى المؤرخين المعاصرين"[(٢)].

التحمل:

التحمل لغة هو: حمل الشيء إذا رفعه[(٣)].

وفي الاصطلاح هو: المرحلة الأولى في الرواية يعقبها الأداء وهو التكفل بإبلاغ ما تحمله الراوي من أخبار[(٤)].

---

(١) ابن حبان: المجروحين من المحدثين ١/ ٦٠، وينظر كذلك: المرتضى الزين: مناهج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة والضعيفة ص ٧.

(٢) مصطلح التاريخ ص ٣٣ - ٣٤.

(٣) ينظر ابن منظور: لسان العرب ١/ ٧٢٤ (حمل).

(٤) ينظر: ضوابط الرواية ص ١٣٧.

معنى شرط الأداء وشرط التحمل:

يشترط في الراوي أن يكون مسلماً وشرط الإسلام إنما هو شرط أداء لا شرط تحمل.

فإذا سمع الراوي وهو كافر وأدى الرواية وهو مسلم فتقبل روايته[1].

وأهم أقسام طرق نقل الحديث وتحمله:

١ـ السماع:

وهو السماع من لفظ الشيخ سواء كان إملاء أو تحديثاً وسواء كان من حفظه أو من كتابه، وهذا أعلى أقسام وأرفعها عند الجمهور وهو كثير الاستعمال[2].

وهو على درجات:

- أرفع العبارات وأعلاها: سمعت، ثم حدثنا، وحدثني[3] فإنه لا يكاد أحد يقول: سمعت في أحاديث الإجازة والمكاتبة ولا في تدليس ما لم يسمعه[4].

- ثم أنبأنا، ونبأنا، وهو قليل الاستعمال لا سيما بعد غلبته في الإجازة[5].

- وأوضع العبارات: قال، أو ذكر، من غير قوله (لي، ولنا) وهو أيضاً محمول على السماع إذا عرف اللقاء[6].

---

(١) ينظر الأسنوي: نهاية السول ٣/ ٧٣٨، شاكر: المصدر السابق ص ١٠٣.

(٢) ينظر: الكفاية ص ٤١٧، ابن الصلاح: المقدمة ص ٦٢، الهروي: جواهر الأصول ص ٦٨، آل جعفر: مساعد مسلم: الموجز في علوم الحديث، طبعة دار الرسالة - بغداد ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ص ٢٧.

(٣) وقد ألحق جمع من أئمة الحديث (أخبرنا) بهذه المرتبة، منهم: حماد بن سلمة، ابن المبارك، هشيم بن بشير، يزيد بن هارون، عبد الرزاق بن همام، ويحيى بن يحيى التميمي، ابن راهويه وآخرون، ينظر: ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٣، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٠٤ -١٠٥.

(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤١٣ -٤١٤، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٣، شاكر: المصدر السابق ص ١٠٤، ذهب ابن كثير إلى أن أعلى العبارات هي: (حدثني)، وذلك إذا قال: حدثنا، اخبرنا، قد لا يكون، قصده الشيخ بذلك أيضاً لاحتمال أن يكون في جمع كثير. ينظرشاكر: المصدر نفسه ص ١٠٥.

(٥) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤١٥ - ٤١٨، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٣، الهروي: المصدر السابق ص ٦٨.

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤١٨، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٤، الهروي: المصدر السابق ص ٦٩، قال الخطيب: وأما قول المحدث: قال فلان فإن كان المعروف من حاله أنه لا يروي إلا ما سمعه جعل ذلك بمنزلة ما يقول فيه غيره ثنا وإن كان قد يروي سماعاً وغير سماع، لم يحتج من رواياته إلا بما يبين الخبر فيه، الخطيب: المصدر السابق ص ٤١٨.

٢ـ القراءة على الشيخ:

ويسميها قدماء المحدثين عرضاً[١]، لأن القاريء يعرضه على الشيخ سواء قرأ هو أو غيره، وهو يسمع وسواء قرأ من كتابه أو حفظه وسواء كان الشيخ يحفظ أو لا، والرواية بها سائغة عند العلماء، إلا ما حكي عن بعض من لا يعتد به[٢].

وأفضل العبارات في ذلك وأحوطها:

قرأت على فلان، وإذا كان سامعاً لما قرأ على الشيخ فالأحوط أن يقول: قرأ عليه وأنا أسمع، ثم حدثنا، وأخبرنا قراءة عليه، وفي الشعر أنشدنا قراءة عليه[٣].

أما استخدام حدثنا واخبرنا على الإطلاق فقد اختلفوا فيه:

- مذهب ابن المبارك ويحيى بن يحيى التميمي[٤]، وأحمد بن حنبل والنسائي وغيرهم إلى أن المنع منهما جميعاً[٥].

- وذهب جمع آخر إلى جواز ذلك ومنهم: معظم الحجازيين والكوفيين وقول الزهري ومالك وسفيان بن عيينة ويحيى القطان والبخاري وآخرين[٦].

- المذهب الثالث: المنع من إطلاق حدثنا وجواز إطلاق أخبرنا وهو مذهب الإمام الشافعي وأصحابه والإمام مسلم وجمهور أهل المشرق وجمع كثير من المحدثين وغيره[٧].

واختلف العلماء أيهما أقوى السماع أو القراءة على أقوال:

---

(١) ال جعفر: الموجز في علوم الحديث ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٤ - ٦٥، شاكر: المصدر السابق ص ١٠٥، الهروي: المصدر السابق ص ٦٩، وحكى في التدريب، القول بصحتها عن كثير من الصحابة والتابعين، ومن الأئمة، ينظر السيوطي: تدريب الراوي ٢/ ١٢، وقال الحافظ ابن حجر: و قد انقرض الخلاف في كون القراءة على الشيخ لا تجزيء، و إنما كان يقوله بعض المتشددين من أهل العراق ينظر: فتح الباري ١/ ١٥٠، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٠٦.

(٣) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤٢٨، ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٥، الهروي: المصدر السابق ص ٦٩

(٤) الإمام الحافظ شيخ خراسان المنقري إمام عصره بلا مدافعة (ت ٢٢٦هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢٥ / ٤١٥ - ٤١٦ (٤٢١)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١ / ٢٩٦ - ٢٩٩ (٥٧٨).

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٥، الهروي: المصدر السابق ص ٦٩ - ٧٠.

(٦) ينظر المصدران نفسيهما: ص ٦٥، ص ٦٩ - ٧٠.

(٧) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٤٢٨، ابن الصلاح: المقدمة ص ٦٥ - ٦٦، الهروي: جواهر الأصول ص ٦٩ - ٧٠.

- أن القراءة على الشيخ دون السماع من لفظ الشيخ وهو أصح المذاهب في ذلك وإليه ذهب علماء المشرق وهو الصحيح عند جمهور المحدثين[١].

- قيل أنها أقوى من السماع وهو مذهب أبي حنيفة وابن أبي ذئب[٢] ومالك[٣].

- قيل هم سواء وهو مذهب أهل الحجاز، والكوفة، ونسب إلى مالك، وأشياخه أيضاً، والى اختيار البخاري[٤].

٣ـ الإجازة:

وهي سؤال طالب العلمِ، العالمَ أن يجيزه علمه فيجيزه إياه والطالب مستجيز والعالم مجيز[٥].

والرواية بها جائزة عند جمهور المحدثين والفقهاء وكذلك العمل بها وذهب بعضهم المنع من الرواية بها[٦].

وأصل صحة الإجازة حديث كتابة رسول الله ﷺ لعبد الله بن جحش[٧] كتاباً وختمه ودفعه إليه ووجهه في طائفة من أصحابه إلى ناحية نخلة[٨] وقال له[٩]: (لا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ثم نظر فيه).

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٥، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٠٥.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة الإمام العابد الثبت الورع (ت ١٥٩هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٩١ - ١٩٣ (١٨٥)، تقريب التهذيب ٢ / ١٨٤ (٤٦٢).

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٦٥، شاكر: المصدر السابق ص ١٠٥.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٦٥، الهروي: المصدر السابق ص٧٠

(٥) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٤٤٧

(٦) ينظر: المصدر نفسه ص ٤٤٦، ٤٤٩- ٤٥٠، أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١١٤، وممن ذهب إلى منع الرواية بها: الماوردي، وعزاه إلى مذهب الشافعي، وكذلك القاضي حسين بن محمد المروروذي، وشعبة، وإبراهيم الحربي، وأبو الشيخ محمد بن عبد الله الأصبهاني، وأبو نصر الوايلي السجّزي وغيرهم من أئمة الحديث، ينظر: المصدر نفسه ص ١١٤

(٧) عبد الله بن جحش بن رياب الأسدي أحد السابقين الأولين وهو أول أسير أسر في الإسلام قتل في غزوة أحد ودفن هو وحمزة في قبر واحد. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٢٧٢ -٢٧٥، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٨٦ -٢٨٧ (٤٥٨٣).

(٨) موضع بالحجاز قرب مكة. ينظر: معجم البلدان ٥/ ٢٧٧ (نخلة)

(٩) ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٢٥٢، وينظر كذلك ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٨٧.

وأهم أقسامها:

أ - إجازة معين لمعين في معين: بأن يقول: أجزتك أن تروي عني هذا الكتاب أو هذه الكتب وهي أعلى أنواعها على الصحيح والصحيح جواز العمل بها عند الجمهور وأجازها الظاهرية، لكن بدون العمل بها لأنها في معنى المرسل عندهم إذا لم يتصل السماع[١].

ب - إجازة لمعين في غير معين مثل أن يقول: أجزتك مسموعاتي أو مروياتي أو ما صح عندك من مسموعاتي ومصنفاتي وهذا أيضاً جوزه جمهور العلماء رواية وعملاً[٢].

ج- الإجازة لغير معين مثل أن يقول: أجزت للمسلمين أو أجزت لكل أحد أو أجزت لمن أدرك زماني أو لمن قال لا إله إلا الله وتسمى الإجازة العامة.

وجوزه الخطيب البغدادي، وأبو العلاء الهمذاني[٣] الحافظ وغيرهم من محدثي المغاربة[٤].

د - الإجازة لمجهول: وهو ثلاثة أقسام:

- إجازة مجهول لمعروف مثل: أجزتك كتاباً من السنن أو مسنداً من المسانيد.

- إجازة معروف لمجهول مثل: أجزت محمد الشامي صحيح البخاري وهناك جماعة مشتركون في هذا الاسم.

- إجازة مجهول لمجهول مثل: أجزت أحمد العراقي كتاباً في الحديث فهذه الأنواع كلها باطلة[٥].

أما لو قال: أجزت لجماعة المسلمين المنتسبين في الاستجازة ولم يعرفهم بأعيانهم صحت الإجازة كسماعهم[٦].

---

(١) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٤٤٦، ابن الصلاح: المقدمة ص٧٣، شاكر: الباعث الحثيث ص ١١٤.

(٢) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧٣، شاكر: المصدر السابق ص١١٤.

(٣) الحسن بن أحمد بن الحسن، شيخ الإسلام العلامة، المتقن، الحافظ (ت ٥٦٩هـ) ينظر الذهبي:تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٢٤ -١٣٢٧ (١٠٩٣)، ابن عماد: شذرات الذهب ٤ / ٢٣١.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧٣، شاكر: المصدر السابق ص ١١٤-١١٥.

(٥) ابن الصلاح: المقدمة ص ٧٤، الهروي: جواهر الأصول ص٧١

(٦) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧٤، الهروي: المصدر السابق ص ٧١، وهناك أقسام أخرى لم أشأ ذكرها لعدم ارتياحي لها، حيث يدخل من خلال تلك الأقسام بعض أهل الأهواء والبدع، وقد أيد ذلك العلامة أحمد شاكر ينظر: الباعث الحثيث ص ١١٧.

٤ـ المناولة: وهي نوعان:

أ - مقرونة بالإجازة وهي على أنواع الإجازة ولها صور:

مثل أن يناول الشيخ الطالب كتاباً من سماعه ويقول له: اروِ هذا عني، أو أجزت لك روايته عني، ثم يبقيه معه تمليكاً أو عارية لينسخه أو نحو ذلك.

ومنها أن يدفع إليه الطالب سماعه فيتأمله ثم يعيده إليه ويقول: هو حديثي أو روايتي فاروه عني، ويسمى هذا النوع بعض الأئمة عرضاً[(١)]، وقد ذهب جمهور كبير من أهل العلم أنها بمنزلة السماع في القوة، لكن جمهور الفقهاء الذين أفتوا في الحرام والحلال: لم يروه سماعاً[(٢)].

منها: أن يناول الشيخ الطالب سماعه ويجيزه له ثم يمسكه الشيخ وهو أقل مرتبة مما سبق[(٣)].

ومنها: أن يأتيه الطالب بكتاب ويقول: هذا روايتك فناولنيه وأجز لي روايته فيجيبه من غير نظر فيه وتحقيق فهذا باطل[(٤)].

ب - المناولة المجردة عن الإجازة:

وصورتها أن يناوله الكتاب ويقتصر على قوله هذا من حديثي أو من سماعاتي، ولا يقول اروه عني أو أجزت لك روايته عني، فالصحيح أنه لا يجوز الرواية بها، وقد عاب بعض من الفقهاء والأصوليين على المحدثين الذين أجازوها وسوغوا الرواية بها لكن رجح الإمام ابن الصلاح بأنها لا تخلو من إشعار بالإذن في الرواية[(٥)].

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٧٩، الهروي: المصدر السابق ص ٧٣-٧٤ وهذا النوع يسمى: عرض المناولة، و الذي قبله: عرض القراءة، ينظر: المصدر نفسه ص ٧٤.

(٢) ينظر تفصيل من رأى ذلك ومن لم ير ذلك: الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٢٥٦ - ٢٥٨، ابن الصلاح: المقدمة ص ٧٩ - ٨٠، (ونقله عن الحاكم) أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ١١٨.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٠، الهروي: المصدر السابق ٧٤.

(٤) ينظر المصدران نفسيهما: ص ٨١-٨٢، ص٧٤.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، شاكر المصدر السابق ص ١١٩، وقد جوز بعض العلماء (حدثنا، وأخبرنا) في المناولة، وهو مقتضى قول من جعل عرض المناولة سماعاً، كما جوز الأوزاعي، تخصيص المناولة بـ (خبرنا) والقراءة بـ (أخبرنا)، وقوم آخرون: (أنبأنا) في الإجازة ينظر: المصدران نفسيهما: ص ٨١، ص ١١٩.

٥ ـ المكاتبة:

وهي أن يكتب مسموعة لغائب أو حاضر بخطه أو يأذن بكتبه[١] وينقسم إلى قسمين:

أ - أن تقترن بالإجازة بأن يكتب إليه ويقول: أجزت لك ما كتبته لك أو ما كتبت به إليك فهذا القسم كالمناولة المقرونة بالإجازة[٢].

ب- إن لم تقترن بالإجازة فقد أجاز الرواية بها كثير من المتقدمين والمتأخرين وغير واحد من فقهاء وأصوليي الشافعية وجعلوا ذلك أقوى من الإجازة المجردة[٣].

وجوز منصور[٤]، والليث بن سعد في المكاتبة أن يقول: أخبرنا وحدثنا لكن المختار تقييده بالمكاتبة[٥].

٦ـ الإعلام:

وهو إعلام الشيخ أن هذا الكتاب سماعه من فلان سواء أذن له في روايته عنه، أم لم يأذن له، فلو قال الشيخ للراوي: هذه روايتي ولكن لا تروها عني أو لا أجيزها لك أو اروها عني وأجيزها لك فعند محققي العلماء من المحدثين والفقهاء سوّغ الرواية وهو مذهب بعض المتأخرين، حتى ذهب بعض الظاهرية لو اعلمه بذلك ونهاه عن روايته عنه، فله روايته كما لو نهاه عن رواية ما سمعه منه[٦].

قال ابن الصلاح [٧]: "ووجه مذهب هؤلاء اعتبار ذلك بالقراءة على الشيخ فإنه إذا قرأ عليه

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٣، الهروي: المصدر السابق ص ٧٦. والأصل في ذلك كما قال الحاكم: أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ويدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، ينظر: معرفة علوم الحديث ص ٢٥٨.

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، شاكر: المصدر السابق ص ١٢٠.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، شاكر: المصدر السابق ص ١٢٠، وينظر كذلك ال جعفر: الموجز في علوم الحديث ص ٣٢.

(٤) منصور بن سلمة الحافظ الإمام أبو سلمة الخزاعي محدث بغداد ثقة كان يسأل عن علم الرجال (ت ٢١٠هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥٨- ٣٥٩ (٣٤٩)، تقريب التهذيب ٢/ ٢٧٦ (١٣٨٤).

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، شاكر: المصدر السابق ص ١٢٠

(٦) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٤، الهروي: المصدر السابق ص ٧٦، شاكر: المصدر السابق ص ١٢١.

(٧) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٥.

شيئاً من حديثه، وأقر بأنه روايته عن فلان عن فلان جاز له أن يرويه عنه، وإن لم يسمعه من لفظه ولم يقل له اروه عني أو أذنت لك في روايته عني ".

أما العمل به: فيجب العمل به إذا صح إسناده وإن لم تجز له روايته[١].

٧ـ الوصية:

وهي أن يوصي الراوي عند موته أو سفره لشخص بكتاب يرويه فجوز بعض السلف للموصى له روايته، وشبهوا ذلك بقسم الإعلام وقسم المناولة.

وقد استبعد ابن الصلاح ذلك فقال عن هذا:

أما زلة عالم أو متأول على أنه أراد الرواية على سبيل الوجادة[٢].

٨ـ الوجادة:

الوجادة (بكسر الواو) مصدر وجد يجد، قال ابن الصلاح[٣]:

"مولد غير مسموع من العرب".

وفي الاصطلاح: تطلق فيما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة[٤]، وهي ليست من باب الرواية وإنما هي حكاية عما وجده[٥].

مثال ذلك: أن يقف على الحديث أو كتب بخط راويها ولم يسمعها منه الواجد، ولا له منه إجازة أو نحوها فله أن يقول: وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتابه بخطه: حدثنا فلان ويذكر شيخه ومن فوقه، وهذا هو المشهور وعليه العمل قديماً وحديثاً وهو من باب المنقطع والمرسل غير أنه أخذ شوباً من الاتصال بقوله: وجدت بخط فلان[٦].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٨٥، الهروي: جواهر الأصول ص ٧٦.

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٥، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ١٢١ -١٢٢.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٨٦.

(٥) ينظر أحمد شاكر: المصدر السابق ص ١٢٣.

(٦) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص٨٦، الهروي: المصدر السابق ص ٧٧.

يقول ابن كثير [١]:

"ويقع هذا أكثر في مسند الإمام أحمد، يقول ابنه عبد الله [٢]: وجدت بخط أبي: حدثنا فلان، ويسوق الحديث ".

ولا يجوز إطلاق حدثنا أو أخبرنا فيه [٣].

أما العمل بها: فمنع منه طائفة كبيرة من الفقهاء والمحدثين [٤].

قال ابن الصلاح [٥]:

"وحكي عن الشافعي وطائفة من نظار أصحابه جواز العمل به. قلت:

قطع بعض المحققين من أصحابه في أصول الفقه بوجوب العمل به عند حصول الثقة به... وهذا هو الذي لا يتجه غيره في الإعصار المتأخرة، فإنه لو توقف العمل فيها على الرواية، لانسد باب العمل بالمنقول".

وأكثر هذه الأقسام - إن لم يكن جميعها - يشترك التاريخ مع علم الحديث فيها، خاصّة الأقسام الأخيرة منها، وبهذا يمكن تطبيق أحكامها عليه، كتطبيقها على الروايات والكتب الحديثية، لكن بشيء من المرونة.

---

(١) الباعث الحثيث ص ١٢٢.

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الإمام الحافظ الحجة محدث العراق (ت ٢٩٠هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٥- ٦٦٦ (٦٨٥)، تقريب التهذيب ١/ ٤٠١ (١٧٩).

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٢٢.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٨٧، شاكر: المصدر السابق ص ١٢٣.

(٥) المقدمة ص ٨٧، وهذا ما ذهب إليه ابن كثير وارتضاه البلقيني والسيوطي، ينظر: تدريب الراوي ٢/ ٦٣، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩ م ١/ ٤١ - ٤٢. ويستدلون على ذلك بحديث النبي (أي الخلق أعجب إيماناً؟ قالوا: الملائكة، قال: وكيف لا يؤمنون وهو عند ربهم، قالوا: الأنبياء، قال: وكيف لا يؤمنون وهم يأتيهم الوحي، قالوا: نحن، فقال: وكيف لا تؤمنون وأنا بين أظهركم! قالوا: فمن يا رسول الله ؟ قال: قوم يأتون من بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها) أخرجه أحمد والدرامي والحاكم، وقال الشيخ أحمد شاكر: وله طرق كثيرة، ينظر: الباعث الحثيث ص ١٢٥، وينظر الحديث: الهيثمي: مجمع الزوائد ١٠/ ٦٥، العجلوني: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م) كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة دار التراث ١/ ٣٢٧.

أنواع الأداء:

١ـ الرواية باللفظ:

لقد هاب السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم قديماً من التصرف في حديث رسول الله ﷺ وتبديل اللفظ المسموع منه، وسبب ذلك هو حض النبي ﷺ على ذلك، وأمره بإيراد ما يسمع منه كما سمع فقد ورد عن رسول الله ﷺ [(١)]:

(نَضَّرَ الله امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ أَدَّاهَا إلى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَا فِقْهَ لَهُ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ).

وعن البراء بن عازب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال[(٢)]:

(اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نفسي إليك، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إليك، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إليك، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إليك، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إليك، لاَ مَلْجَأً وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إلاَّ إليك، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الذي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ).

وفي رواية:

(وَبِرَسُولِكَ الذي أَرْسَلْتَ قَالَ: لاَ، وَبِنَبِيِّكَ الذي أَرْسَلْتَ).

وكان عبد الله بن مسعود ﷺ يمكث السنة لا يقول:

قال رسول الله ﷺ فإذا قال: قال رسول الله ﷺ أخذته الرعدة ويقول: وهكذا أو نحوه أو شبهه[(٣)].

وكان ابن عمر ﷺ: إذا سمع الحديث لم يزد فيه ولم ينقص منه ولم يجاوزه ولم يقصر عنه[(٤)].

---

(١) مسند أحمد ٥/ ١٨٤، أبو داود: السنن ٣ / ٣٢١ (٣٦٦٠)، الترمذي: السنن ٥/ ٣٣ (٢٦٥٦)، الدرامي: السنن ١/ ٥٧، ابن حبان: الصحيح ١/ ٢٢٥.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٢٧٢٢ (٧٠٥٠)، (فتح الباري ١/ ٣٥٧ (٢٤٧) (شرح صحيح مسلم ١٧/ ٣٢ - ٣٣).

(٣) ينظر الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص ٥٤٩، القاضي عياض: الإلماع ص ١٧٧.

(٤) ينظر: الكفاية ص ٢٦٥.

وكذلك جميع أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمع أحدهم من رسول الله ﷺ: لا يزيد فيه ولا ينقص[١].

وقيل لزيد بن أرقم[٢]:

"يا أبا عمرو إلا تحدثنا ؟ فقال: قد كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد "[٣].

ذكر ابن الصلاح: أن من لم يكن عارفاً عالماً بالألفاظ ومقاصدها فلا خلاف أنه لا يجوز له الرواية بالمعنى، وعليه أن يروي ما سمعه على اللفظ الذي سمعه من غير تغيير[٤].

أما إذا كان عالماً عارفاً فهذا محل اختلاف فقد ذهب بعض المحدثين وطائفة من الفقهاء والأصوليين من الشافعيين وغيرهم إلى عدم الجواز[٥].

أما رواية بقية الأخبار والآثار فقد تساهل فيها أئمة الحديث وأجازوها.

يقول الإمام مالك[٦]:

"كل حديث للنبي ﷺ يؤدى على لفظه، وعلى ما روي، وما كان عن غيره فلا بأس إذا أصاب المعنى".

وسأل أشهب[٧] الإمام مالك: عن الأحاديث يقدم منها ويؤخر والمعنى واحد، فقال[٨]: "أما ما كان منها من قول رسول الله ﷺ فإني أكره ذلك، وأكره أن يزاد فيها وينقص منها، وما كان من قول غير رسول الله ﷺ فلا أرى بذلك بأساً إذا كان المعنى واحداً".

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٦٥.

(٢) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس أبو عمرو كان صغيراً في أحد شهد مع رسول الله سبع عشرة غزوة (ت ٦٦هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٥٥٦ - ٥٥٨، ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٦٠ (٢٨٧٣).

(٣) ينظر: الكفاية ص ٢٦٥.

(٤) المقدمة ص ١٠٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٠٥، ابن رجب: شرح العلل ١/ ٤٢٩.

(٦) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٨٨.

(٧) أشهب بن عبد العزيز بن داود الفقيه المالكي المصري، تلميذ الإمام مالك (ت ٢٠٤هـ) ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٢٣٨ -٢٣٩ (١٠٠)، ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، طبعة مصر ١٣٥١هـ ص ٩٨.

(٨) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٨٨ -٢٨٩، القاضي عياض: الإلماع ص ١٧٨.

٢ـ الرواية بالمعنى:

إنّ من كان عالماً عارفاً بالألفاظ وباللغة خبيراً بما يحيل معانيها بصيراً بمقادير التفاوت بينها، قاطعاً بأنه أدى معنى اللفظ الذي بلغه وتحققه وعرف القائم من اللفظ مقام غيره، وكان من أهل الدراية والعلم في ذلك يجوز له رواية الحديث بالمعنى.

وهذا مذهب جمهور الفقهاء، وأكثر السلف، وأصحاب الحديث، وأرباب الأصول، وهو الذي مال إليه الإمامان: الخطيب البغدادي، وابن الصلاح الشهرزوري[(١)].

وقد مثل له الخطيب، وقال[(٢)]:

"وذلك يجوز نحو أن يبدل قوله قام، بنهض، وقال، بتكلم، وجلس، بقعد، وعرف، بعلم، واستطاع، بقدر، وأراد، بقصد، وأوجب بفرض، وحظر بحرم".

- وينبغي لمن يروي الحديث بالمعنى، أن يتبعه بقوله: أو كما قال، أو نحو هذا، وما أشبه ذلك من الألفاظ، روي ذلك عن ابن مسعود، وأبي الدرداء، وأنس ﷺ[(٣)].

- والدليل على عدم جواز رواية الجاهل بمواقع الخطاب للحديث على المعنى هو:

أنه لا يؤمن عليه إبدال اللفظ بخلافه، بل هو الغالب من أمره[(٤)].

- والصحابة ﷺ أرباب اللسان وأعلم الخلق بمعاني كلام رسول الله ﷺ فلا يقاس بهم غيرهم، ممن جاء بعدهم، أو أهل زمننا هذا خاصة[(٥)].

وقد استدل الخطيب بأدلة كثيرة ومستفيضة على جواز ذلك ومنها:

أ - أحاديث مرفوعة أسندها إلى النبي ﷺ، ومنها حديث ابن مسعود قال:

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٣٠٠، ابن صلاح: المقدمة ص ١٠٥، وينظر أيضاً: القاضي عياض: الإلماع ص ١٧٨، ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٤٢٥، ٤٢٨.

(٢) الكفاية ص ١٠٠.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٠٦، ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٢٩، وقال بعد أن ذكر ذلك عن كثير من أئمة السلف وحكى ذلك عن أكثر الفقهاء.

(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٣٠١.

(٥) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٠٦.

سأل رجل النبي ﷺ فقال[١]: يا رسول الله ﷺ أنك تحدثنا حديثاً لا نقدر أن نسوقه كما نسمعه فقال:

(إذا أصاب أحدكم المعنى فليحدث).

ب - ومن الأدلة الأخرى يقول[٢]:

"ويدل على ذلك أيضاً اتفاق الأمة على أن للعالم بمعنى خبر النبي ﷺ وللسامع بقوله: أن ينقل معنى خبره بغير لفظه، وغير اللغة العربية، وأن الواجب على رسله وسفرائه إلى أهل اللغات المختلفة من العجم، وغيرهم، أن يرووا عنه ما سمعوه وحملوه، مما أخبرهم به وتعبدهم بفعله على ألسنة رسله، سيما إذا كان السفير يعرف اللغتين، فإنه لا يجوز أن يكل ما يرويه إلى ترجمان وهو يعرف الخطاب بذلك اللسان، لأنه لا يأمن الغلط وقصد التحريف على الترجمان، فيجب أن يرويه بنفسه، وإذا ثبت ذلك صح أن القصد برواية خبره وأمره ونهيه إصابة معناه، وامتثال موجبه، دون إيراد نفس لفظه وصورته، وعلى هذا الوجه لزم العجم وغيرهم من سائر الأمم دعوة الرسول إلى دينه والعلم بأحكامه، ويدل على ذلك أنه إنما ينكر الكذب والتحريف على رسول الله ﷺوتغيير معنى اللفظ، فإذا سلم راوي الحديث على المعنى من ذلك كان مخبراً بالمعنى المقصود من اللفظ وصادقاً على الرسول ﷺ".

٣ـ اختصار الحديث ورواية بعضه دون بعض:

اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال:

- فمنهم من منع ذلك مطلقاً بناء على القول بالمنع من النقل بالمعنى مطلقاً.

- ومنهم من منع ذلك، مع تجويزه النقل بالمعنى، إذا لم يكن قد رواه على التمام مرة أخرى، ولم يعلم أن غيره قد رواه على التمام.

- ومنهم من جوز ذلك وأطلق ولم يفصل[١].

---

(١) الحديث لم أقف عليه في كتب الحديث المعتمدة وقد رواه الخطيب والآمدي: ينظر: المصدر السابق ص ٣٠٢، الآمدي: علي بن محمد: الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق: د. سيد الجميلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٤هـ ٢/ ١١٦.

(٢) الخطيب: المصدر نفسه ص ٣٠٣ -٣٠٤، وينظر الأدلة المتنوعة التي استدل بها على ذلك ومناقشة المخالفين: المصدر نفسه ص ٣٠٤ - ٣١٧.

وذهب كثير من أهل العلم إلى جواز النقص دون الزيادة، فقد روي ذلك عن مجاهد، وابن سيرين، وابن معين[٢]. وممن تساهل في النقل والمعنى والاختصار الإمام مسلم [٣].

لكن ابن الصلاح فصل في ذلك وجوزه بشروط:

- ذلك جائز من العالم العارف إذا كان ما تركه متميزاً عما نقله، غير متعلق به، بحيث لا يختل البيان، ولا تختلف الدلالة فيما نقله بترك ما تركه فيصبحان كخبرين منفصلين لا تعلق لأحدهما بالآخر.

- يكون بمقام من العلم والثقة عند الناس بحيث لا يتطرق إليه في ذلك تهمة نقله أولاً تماماً، ثم نقله ناقصاً أو بالعكس وأجاز بعضهم أن من خاف على نفسه التهمة أن يكتم الزيادة ويتركها.

لكن ابن الصلاح لم يجوز ذلك ابتداء لمن كان حاله هكذا[٤].

ضبط اللفظ في الرواية:

بعد أن ذكرنا منهج أئمة الحديث فيما يتعلق باللفظ، من حيث الرواية بها نصا أو بالمعنى أو اختصاره، سنبين فيما يلي منهج من تشدد في الكلمة الواحدة والحرف الواحد، بل في الحركة واللحن مما يدل على سموا أهل الحديث وتطبيقهم قواعد المنهج العلمي السليم فيما يتعلق بالأمانة العلمية في النقل.

١ـ تشددهم في الكلمة: ولها صورتان:

الصورة الأولى: من لم يجز إبدال كلمة بكلمة:

ذكر الخطيب أن ابن عمر رضي الله عنه: سمع رجلاً يقول:

(مثل المنافق كمثل الشاة الرابضة بين الغنمين[٥] فقال ابن عمر: ويلكم لا تكذبوا على

---

(١) ينظر الأقوال الثلاثة: ابن الصلاح: المقدمة ص ١٠٦.

(٢) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٢٨٩، ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٤٣٠.

(٣) ينظر القاضي عياض: الإلماع ص ١٨١.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٠٦ -١٠٧.

(٥) الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام (ت هـ/ /) مصنف عبد الرزاق: تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤٠٣هـ ١١/ ٤٣٥ (٢٠٩٣٤)، مسند أحمد ٢/ ٨٨ (٥٦١٠) (ط مؤسسة قرطبة - القاهرة).

رسول الله ﷺ إنما قال رسول الله ﷺ[١]:

(مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إلى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً لَا تَدْرِي أَهَذِهِ تَتْبَعُ أَمْ هَذِهِ)[٢].

وعن الأسود: عن عائشة[٣]:

(أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل فدخل إلى أهله (فَأَلَمَّ بِهِمْ ثم اضطجع) ولم تقل نام، فإذا جاء المؤذن (وَثَبَ) ولم تقل قام (ثم أَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ) ولم تقل: اغْتَسَلَ).

الصورة الثانية: من لم يجز تقديم كلمة على كلمة:

عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال[٤]:

(بني الإسلام على خمس، على أن تعبد الله، وتكفر بما دونه، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام رمضان).

فقال رجل: تعبد الله، وتكفر بما دونه، وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، قال: لا، اجعل صيام رمضان آخرهن كما سمعت من فـي رسول الله ﷺ).

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[٥]:

" قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ وَأَسْلَمُ وَغِفَارٌ أو غِفَارٌ وَأَسْلَمُ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَشْجَعَ وَجُهَيْنَةَ[٦]. وَأَشْجَعُ مَوَالِيَّ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلًى دُونَ الله وَرَسُولِهِ".

---

(١) ينظر الخطيب: الكفاية ص ٢٦٨، ابن عدي: الكامل في الضعفاء ١ / ٣١٠-٣١١، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٤٢٤ و ٦/ ٢٣٩، السيوطي: الدر المنثور، دار الفكر - بيروت ٢ / ٢٣٦.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٨٨ (٥٦١٠)، النيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسين (ت‌ه/ م) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ٤/ ٢١٤٦ (٢٧٨٤).

(٣) ينظر أصل الحديث وألفاظه: مسند أحمد ٦ / ١٠٢، البيهقي: السنن الكبرى ١/ ٢٠١ -٢٠٢، الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) مسند الطيالسي، دار المعرفة - بيروت ١/ ١٩٨ (١٣٨٦) واللفظ هذا للطيالسي إلا ألفاظاً يسيرة منه.

(٤) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٢/ ١٩٣ (١٣٩٣)، ابن صلاح الشهرزوري: صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط ص ١٤٦، (شرح صحيح مسلم ١/ ١٧٦) باختلاف يسير أول الحديث.

(٥) ينظر: مسند الإمام أحمد ١٥/ ١٣ (٩٠٣٥) ١٦/ ٨١ (١٠٠٤٠) ٣٦/ ١٨ (٢١٦٨٨) وينظر كذلك الخطيب: الكفاية في علم الرواية ص ٢٧٣.

(٦) قبائل عربية معروفة.

٢ـ تشددهم في الحروف: ولها أربعة صور:

الصورة الأولى: من لم يجز زيادة حرف واحد ولا حذفه وإن كان لا يغير المعنى:

عن عبد الله بن دينار [١] عن ابن عمر: قال: قال رسول الله ﷺ[٢]:

(لَا تَدْخُلُوا عَلَى الْقَوْمِ الْمُعَذَّبِينَ - يعني حجر ثمود[٣]- إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ).

وفي رواية الشيخان [٤]:

(فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ).

وفي رواية الخطيب [٥]:

(لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم فيصيبكم أو قال: يصيبكم مثل ما أصابهم).

وعن الأعمش قال:

كان هذا العلم عند أقوام كان احدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واوا أو ألفا أو دالا، وأن أحدهم اليوم يحلف على سمكة أنها سمينة وإنها لمهزولة[٦].

الصورة الثانية: من لم يجز إبدال حرف بحرف وإن كانت صورتها واحدة:

كان الإمام مالك رحمه الله يتقي في حديث رسول الله ﷺالباء والتاء والثاء ويتقي ما بين التي والذي[٧].

عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى حلة (شيراء) قال أبو الأسود[٨]:

---

(١) عبد الله بن دينار العدوي (مولاهم) المدني مولي ابن عمر، الفقيه الإمام الثقة (ت ١٢٧هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٥ -١٢٦ (١١١)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤١٣ (٢٨٤).

(٢) مسند أحمد ٢/ ٩٢، وهذه الروايات فيها تبديل حرف بحرف، وحرفين بحرفين.

(٣) اسم ديار ثمود، بوادي القرى بين المدينة والشام، ينظر: معجم البلدان ٢/ ٢٢١ (حجر).

(٤) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٢/ ١١٩ (١٢٥٩).

(٥) الخطيب: الكفاية في علم الرواية ص ١٧٧ (تحقيق: أبو عبدالله السورقي، إبراهيم حمدي المدني).

(٦) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص٢٧٤

(٧) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٧٥.

(٨) أبو الأسود الديلي أو الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان وقيل اسمه عمرو بن عثمان تابعي ثقة على الصحيح

هكذا قال نافع (شيراء)و غيره يقول: (سيراء) قال أبو الأسود:

والسيراء، صنف من الحرير قد أدركت من المشايخ من يلبسه... فقال:

يا رسول الله ابتع هذه الحلة فتلبسها يوم الجمعة، وإذا جاء الوفد فقال رسول الله ﷺ[١]:

(إنما يَلْبَسُ هذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ).

الصورة الثالثة: من لم يجز تقديم حرف على حرف:

ومثال ذلك حديث أبي مسعود[٢]: أن رسول الله ﷺ قال [٣]:

(لا تزجي صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود)[٤].

قال سفيان: هكذا قال الأعمش: لا تزجي، يريد لا تجزي).

الصورة الرابعة: من لم يجز تخفيف حرف ثقيل وبالعكس ولو كان المعنى واحداً:

عن أم كلثوم بنت عقبة[٥] قالت: قال رسول الله ﷺ [٦]:

وقيل صحابي (ت ٦٩هـ) ينظر ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٤١ (٤٣٢٩)، تهذيب التهذيب ١٢/ ١٠ - ١١(٥٢) الخزرجي: خلاصة التذهيب:ص٤٤٣.

(١) مسند أحمد ٢/ ٢٠، الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ١/ ٦١ (٧٩) النسائي: السنن ٣/ ٩٦، ١٠٣، ١٨١ و٨/ ١٩٨، ٣/ ٩٦، ١٨١ و٨/ ١٩٨.

(٢) عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة الأنصاري أبو مسعود البدري شهد العقبة توفي بعد سنة الأربعين، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٠٥، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٤٩٠ -٤٩١ (٥٦٠٦).

(٣) الكفاية ص ٢٧٧.

(٤) ينظر أصل الحديث الترمذي: السنن ٢/ ٥١-٥٢ (٢٦٥) النسائي: السنن ٢/ ١٨٣، ابن خزيمة: محمد بن إسحاق بن خزيمة ت ٣١١هـ -٩٢٤م، صحيح ابن خزيمة، تحقيق:محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ١/ ٣٣٣، ٦٦٦.

(٥) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط الأموية، من أوائل المسلمات والمبايعات لم أقف على وفاتها، ينظر المصدران السابقان: الاستيعاب ٤/ ٤٨٨ -٤٨٩، الإصابة ٤/ ٤٩١ (١٤٧٥).

(٦) أصل الحديث:

(لَيْسَ الْكَذَّابُ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ خيراً أو نَمَى خيراً وَقَالَ مَرَّةً وَنَمَى خيراً) بعدة ألفاظ:

مسند أحمد ٤٥/ ٢٤٣ (٢٧٢٧٣) ٤٥/ ٢٤٨ (٢٧٢٧٧) ٤٥/ ٢٤٩ (٢٧٢٧٩)، البغوي: حسين بن مسعود الفراء أبو محمد (ت ٥١٠هـ-١١١٧م) شرح السنة، المكتب الإسلامي - بيروت ١/ ٥٩٧.

(ليس الكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً، أو نمى خيراً) .

قال حماد: سمعت هذا الحديث من رجلين، فقال أحدهما، نمى خيراً خفيفة، وقال الآخر: نمّى خيراً مثقلة)[١] .

٣ـ من لم يجز تغيير الحركات:

بعض رواة الحديث ذهبوا إلى عدم تغير الحركة من نصب إلى رفع وبالعكس قال نافع: أن عبد الله بن عمر أخبره:

أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن والجريد، وعَمَده.

- قال مجاهد وعمده - خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد عمر وبناه على بنائه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده - قال مجاهد عُمُده - خشباً، وغيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة[٢] .

ومن ذلك حديث عبد الله بن عمرو، قال: كان على ثقل[٣] النبي: رجل يقال له (كِركِرة) [٤] فمات، فقال رسول الله ﷺ :

(هو في النار)[٥] .

---

(١) الخطيب: المصدر السابق ص ٢٧٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٧٩، وهذا من باب الأمانة العلمية في النقل، وإلا كان كثير من أئمة المسلمين من أهل الحديث يصلحون الإعراب واللحن ويأمرون بأحكام ذلك، وهو واجب أحياناً لفهم مراد الشارع فقد كان الأوزاعي يعطي كتبه إذا كان فيها لحن لمن يصلحها، وكان ابن المبارك يقول: إذا سمعتم عني الحديث فاعرضوه على أصحاب العربية ثم أحكموه، وعن الأصمعي قال: كنت في مجلس شعبة فقال (فيسمعون جرش طير الجنة) فقلت (جرس) فنظر إليّ فقال خذوها عنه، فإنه أعلم بهذا منا، ينظر: المصدر نفسه ص٣٧٤ -٣٧٥ وينظر النص والحديث العسكري: حسن بن عبد الله بن سعد (ت ٣٨٢هـ/ ٩٩٣م) تصحيفات المحدثين، تحقيق محمود أحمد ميرة، الطبعة الأولى، المكتبة الحديثة - القاهرة ١٤٠٢هـ ١/ ٣٢ - ٣٣، ابن كثير: التفسير ٤/ ٣٨٩.

(٣) الثقل: متاع السفر، ينظر: مختار الصحاح ص ٨٥ (ث ق ل).

(٤) هو مولى رسول الله وكان نوبياً، أهداه له هودة بن علي اليمامي، مات في عهد النبي، ينظر: فتح الباري ٦/ ١٨٧ - ١٨٨، الإصابة ٣/ ٢٩٣ (٧٤٠٠).

(٥) رواه البخاري (فتح الباري ٦/ ١٨٧).

فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءة قد غلها.

قال أبو عبد الله البخاري قال ابن سلام[١]: (كَركَرة)[٢].

ومن ذلك قوله رسول الله ﷺ[٣]:

(ذَكَاةُ الجنين ذكاةُ أُمِّه).

فقرأ بعضهم (ذكاةَ) بالفتح[٤]، وآخرون بالرفع[٥].

٤ـ من لم يجز تغيير اللحن:

وممن كان معروفاً بذلك يلحن في الحديث اقتداء بما سمع أبو معمر[٦]، والقاسم[٧] بن محمد، ورجاء بن حيوة[٨]، ومحمد بن سيرين، ونافع، وإسماعيل بن أبي خالد الأحمس، وسفيان ومالك بن أنس وغيرهم[٩].

عن أبي معمر: إني لأسمع الحديث لحناً فألحن إتباعاً لما سمعت[١٠]، قال النسائي[١١]: (لا

---

(١) محمد بن سلام أبو عبد الله البيكندي الحافظ الثقة محدث بخارى وشيخ البخاري، الرحال الجوال (ت ٢٢٥هـ وقيل ٢٢٧هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢٢ (٤٢٧)، تقريب التهذيب ٢/ ١٦٨ (٢٩٣).

(٢) ينظر: فتح الباري ٦/ ١٨٧ -١٨٨.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٣٩، المستدرك ٤/ ١٢٧ (٧١٠٨).

(٤) وأحيانا قد يؤدي هذا التغير بالحركات إلى تباين وجهة نظر الفقهاء فمثلاً هذا الحديث رجح الحنفية فتح (ذكاة) الثانية على مذهبها في أنه يذكى مثل ذكاة أمه، ورجح المالكية والشافعية بالرفع (ذكاة) الثانية باعتبارها خبر المبتدأ فيختلف الحكم، وأسقطوا ذكاته. ينظر: القاضي عياض: الإلماع ص ١٥٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٥٠، وينظر حول ذلك أيضاً: الأدلبي: منهج نقد المتن ص ٣٦٧ -٣٦٨.

(٦) لعله عبد الله بن عمرو بن أبي الحجاج التيمي أبو معمر المنقري، ثقة ثبت (ت ٢٢٤هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٩٣ -٤٩٤ (٥٠٩)، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٤٣٦ (٥٠١).

(٧) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ ثقة أحد فقهاء المدينة (ت١٠٦هـ) على الصحيح، ينظر المصدران نفسيهما: ١/ ٩٦ -٩٧ (٨٨)، ٢/ ١٢٠(٢٨).

(٨) رجاء بن حيوة أبو النصر الشامي الإمام الفقيه الثقة (ت ١١٢هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ١/ ١١٨ (١٠٣)، ١/ ٢٤٨ (٦٩).

(٩) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٢٨٤ -٢٨٦

(١٠) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٨٥.

(١١) المصدر نفسه ص٢٨٦.

يعاب اللحن على المحدثين وقد كان إسماعيل بن أبي خالد يلحن، وسفيان، ومالك بن أنس وغيرهم من المحدثين).

ومثال ذلك:

عن الحسن عبد الرحمن بن خلاد[١] قال: كنا عند عبد الله[٢] بن أحمد بن موسى عبدان وهو يحدثنا وأبو العباس بن سريج حاضر فقال عبدان[٣]:

(مَنْ دُعِيَ فَلَمْ يَجِبْ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ[٤]، ففتح الياء من قوله: يَجب، فقال له ابن سريج: إني رأيت أن تقول: يُجب - بضم الياء - فأبى عبدان أن يقول، وعجب من صواب ابن سريج، كما عجب سريج من خطئه).

---

(١) هو الرامهرمزي.

(٢) أبو محمد الجواليقي، صاحب التصانيف، الإمام الحافظ، صدوق (ت ٣٠٦هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٨٨ -٦٨٩ (٧٠٩)، ابن عماد: شذرات الذهب ٢/ ٢٤٩.

(٣) الكفاية ص ٢٨٧.

(٤) رواه أبو داود، وابن عدي، والبيهقي، والمنذري: ينظر: السنن ٣ / ٣٤٠ (٣٧٤١)، الكامل في الضعفاء ١ / ٣٨٠، السنن الكبرى ٧ / ٦٨، المنذري: زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٤/ ٢٠٥ (٣١٢٦).

الفصل الثالث

الوضع والوضع التاريخي

يتطرق هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

- المبحث الأول: الوضع وأثره السيئ على العقيدة والحضارة.
- المبحث الثاني: أسباب الوضع.
- المبحث الثالث: قواعد لمعرفة الموضوع.



الفصل الثالث

الوضع والوضع التاريخي

المبحث الأول

الوضع وأثره السيئ على العقيدة والحضارة

تمهيد:

الوضع لغة: ضد الرفع، وضعه يَضَعه، وضعاً، وموضوعاً. والموضوع ما أضمره ولم يتكلم به، وهو عكس المرفوع[(١)].

كما جاء بمعنى العدو والإسراع.

يقال: وضع البعير يضع وضعاً إذا عدا وأسرع[(٢)].

وفي الاصطلاح: هو الخبر الذي يختلقه الكذابون وينسبونه إلى رسول الله ﷺ افتراء عليه[(٣)].

وغالباً ما يكون الوضاع يختلق الحديث، ويصطنع له إسناداً من نسجه[(٤)].

وقد يأتي بحديث موضوع - ليس من صنعه - ويركب له إسناداً صحيحا ليزوّج[(٥)].

ومن المفيد أن نذكر هنا مصطلحات اعتاد عليها أئمة الحديث في الحكم على الحديث الموضوع ونبينها، كي يكون الباحث على علم ومعرفة بها، لأن معرفة المصطلحات - لكل فن - لابد أن يُعرَّفَ ويؤخذ من أهله، وإلا فدون ذلك خرط القتاد.

---

(١) ينظر: لسان العرب ٣/ ٩٤١ (وَضَعَ).

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٩٤٢.

(٣) ينظر: تدريب الراوي ١/ ٢٧٤.

(٤) ينظر صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص٢٦٣.

(٥) ينظر القاري: شرح نخبة الفكر ص١٢٦. ليُزَوَّجَ بالكسر يعني الإسناد، وبالفتح أي الحديث.

فمن المصطلحات الشائعة عندهم في الحكم على الخبر الموضوع قولهم:

- لا أصل له، أو: ليس له أصل، أو: لا أصل له بهذا اللفظ، لا يعرف له أصل، أو: لم يوجد له أصل، أو لم يوجد، أو مثل هذه الألفاظ، ويقصدون بذلك أن الحديث ليس له إسناد، وكل حديث لا إسناد له فهو باطل.

يقول السيوطي[١]:

"قولهم: هذا الحديث ليس له أصل، أو: لا أصل له، قال ابن تيمية: معناه ليس له إسناد".

- لا أعرفه، أو لم أعرفه، أو: لم أقف عليه، أو: لا أعرف له أصلاً، أو: لم أجد له أصلاً، أو: لم أقف له على أصل، أو: لا أعرفه بهذا اللفظ، أو: لم أره بهذا اللفظ، أو: لم أجده، أو: لم أجده هكذا، أو: لم يرد فيه شيء، أو: لا يُعلم من أخرجه ولا إسناده، أو نحو هذه العبارات إذا صدر من جهبذ من أهل الصنعة، ولم يتعقبه أحد[٢].

- لا يصح أو: لا يثبت، أو: لم يصح، أو: لم يثبت، أو: ليس بصحيح، أو: ليس بثابت، أو: غير ثابت، أو: لا يثبت فيه شيء، ونحو هذه التعابير، إذا قالوه في كتب الضعفاء أو الموضوعات، فالمراد به أن الحديث المذكور موضوع لا يتصف بشيء من الصحة.

---

(١) السيوطي: المصدر السابق ١/ ٢٩٧.

(٢) ينظر علي القاري: المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ص٩ (التقدمة). قال الحافظ العلائي:

"وهذا إنما يقوم به، أي بالتفتيش عنه الحافظ الكبير الذي قد أحاط حفظه بجميع الحديث أو معظمه، كالإمام أحمد، علي بن المديني، يحيى بن معين، ومن بعدهم، كالبخاري، وأبي حاتم، وأبي زرعة، ومن دونهم، كالنسائي، ثم الدارقطني، لأن المأخذ الذي يحكم بها، غالباً على الحديث بأنه موضوع، إنما هي: جمع الطرق، والاطلاع على غالب المروي في البلدان المتنائية، بحيث يعرف بذلك، ما هو من حديث الرواة، ومما ليس من حديثهم. وأما من لم يصل إلى هذه المرتبة فكيف يقضي بعدم وجدانه للحديث، بأنه موضوع، هذا مما يأباه تصرّفهم".

ينظر: ابن عراق: تنزيه الشريعة ١/ ٧-٨، وقد أضاف الشيخ أبو غدة إلى هؤلاء الحفاظ: مجموعة أخرى ممن يحتكم إليهم من المتأخرين، مثل: الحافظ الضياء المقدسي، وابن الصلاح الشهرزوري، والصاغاني، والمنذري، والنووي، وابن دقيق العيد، والدمياطي، وابن تيمية، والمزني، والذهبي، والسبكي، والزيلعي، وابن كثير، والزركشي، وابن رجب، وابن الملقن، والعراقي، والهيثمي، وابن حجر لعسقلاني، والعيني، وابن الهمام، والسخاوي، والسيوطي، والزرقاني، وابن همّات الدمشقي، وأشباههم. ينظر: علي القاري: المصدر السابق ص١٠ (التقدمة).

وإذا قالوه في كتب أحاديث الأحكام، فالمراد به: نفي الصحة الاصطلاحية[١].

وتساوي هذه المصطلحات (الأخيرة) عندهم (الباطل)، يعني (عند أئمة الحديث) ممن صنف في الموضوعات والضعفاء، وأما من صنف في الأحكام فقصده نفي الصحة الاصطلاحية.

ولا يلزم من ذلك نفي الحُسْن والضعف[٢].

تأثير الروايات الباطلة على الأمة:

١- أخبار الرسول بالكذابين بعده:

أخبر النبي ﷺ أمته فيما سيكون بعده من أمر الكذابين والوضاعين وبما ينقلونه من الأخبار الباطلة، والعجيبة التي لم تكن في عهد المصطفى ﷺ ولا في عهد الصحابة رضي الله عنهم، ولا في عهد من شهد لهم بالخير من التابعين وأتباعهم.

ويحدد الرسول ﷺ انتشار الوضع في الأخبار بتوقيت واضح وهو بعد القرن الثالث الهجري يقول جابر بن سمرة[٣]:

خطبنا عمر بن الخطاب بالجابية[٤]، فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم، فقال[٥]:

---

(١) ينظر القاري: المصدر السابق ص١٠ (التقدمة)، وينظر أيضاً: ابن القيم: المنار المنيف ص١٧.

(٢) القدسي: حسام الدين: انتقاد المغني عن الحفظ والكتاب تحقيق محمد زاهد الكوثري، مطبعة الترقي-دمشق ١٣٤٣هـ ص١١، ا، الكوثري: المقالات، طبعة الأنوار ١٣٧٣هـ، ص٣٩. وقد وقع في الإشكال عدد من العلماء، حيث لم يفرقوا بين هذا المصطلح، ممن ألف في الأحكام، وبين من ألف في الموضوعات والضعفاء، ومنهم الإمام الزركشي من المتأخرين، وقد تابعه في هذا الخطأ - وانساق وراءه عدد من المعاصرين الأجلاء، مثل العلامة اللكنوي، والمعلمي اليماني، وجمال الدين القاسمي. ينظر: اللكنوي: الرفع والتكميل ص١٣٨، ٣٧٨-٣٨١، الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة ص١٩-٢٠، القاسمي: قواعد التحديث ص١٠٣-١٠٤، وبين الشيخ أبو غدة بالتفصيل من نقول عدد من أئمة الحديث على صحة مساواة قولهم: لا يصح، أو لا يثبت، ...الخ بمعنى (باطل)، إن لم يكن في الأحكام. ينظر القاري: المصدر السابق ص١٢-١٦ (التقدمة).

(٣) جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب، صلى مع رسول الله ﷺ أكثر من ألفي مرة، وجالسه أكثر من مائة مرة (ت ٧٤هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب: ١/ ٢٢٤-٢٢٥، وابن حجر: الإصابة ١/ ٢١٢ (١٠١٨).

(٤) قرية من أعمال دمشق ينظر: معجم البلدان ٢/ ٩١ (جابية).

(٥) مصنف عبد الرزاق ١١/ ٣٤١(٢٠٧١٠) النسائي: السنن الكبرى ٥/ ٣٨٧ (٩٢٢٢) ابن ماجة: السنن

(أَكْرِمُوا أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَشْهَدَ الرَّجُلُ وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ، وَيَحْلِفُ وَلَمْ يُسْتَحْلَفْ).

وهذا ليس معناه أن الكذب والوضع لم يبدأ قبل هذه الفترة كما سنبينه وإنما، يشير هذا الحديث، إلى أن الوضع والكذب يكثر بعد جيل أتباع التابعين، وبشكل ملحوظ.

كما أنه يزداد هذا الأمر سوءاً قرناً بعد قرن، يقول ﷺ[(١)]:

(سَيَكُونُ فِي آخرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا بِهِ أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ)[(٢)].

ويقول أيضاً ﷺ فيما رواه جابر بن سمرة[(٣)]:

(إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِيْنِ فَاحْذَرُوهُمْ).

ولعل هذه الأحاديث معجزة واضحة من معجزات النبي ﷺ حيث أن المتتبع لتاريخ الإسلام وحضارته، يعلم بأن الشر والمؤامرة لم تواجه الأمة إلا بعد القرن الثالث حين ظهرت في أوقات متقاربة ثلاث فئات ومجموعات من أشر الفئات التي واجهت الخلافة والعقيدة الإسلامية، وهي: ظهور القرامطة، وظهور بني عبيد في شمال أفريقيا، واستيلاء بني بوية على بغداد.

وإن من المفارقات الغريبة، أن عقائد وأفكار وميول هذه المجموعات الثلاث، تلتقي في كثير من الأشياء، حيث التأثر بأفكار وعقائد اليهود، من جانب، وعقائد المجوس من جانب آخر،

٢/ (٢٣٦٣)/ الترمذي: السنن ٤/ ٤٧٦ (٢٣٠٣)، الطبراني: سليمان بن أحمد ت٣٦٠هـ ٩٧١م، المعجم الصغير، مطبعة السلفية ١/ ٨٩، البغوي: شرح السنة ٩/ ٢٧، الهندي: علاء الدين، علي المتقي بن حسام الدين، ت ٩٧٥هـ/ ١٥٦٨م، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تصحيح وتعليق بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ١١/ ٥٣٢-٥٣٣ (٣٢٤٨٧) باختلاف يسير في أول الحديث.

(١) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٣/ ٢٤١ (٢٧٦٢)، مسند أحمد ٢/ ٤٢٩ و٥/ ٨٦-٩٠، صحيح مسلم ١/ ١٢ (٦) شرح صحيح مسلم ١٨/ ٤٥-٤٦، سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٠٤ (٣٩٥٢).

(٢) رواه مسلم (شرح صحيح مسلم ١/ ٧٨) وينظر: كلمة رائعة حول هذا الموضوع، القيعي: محمد عبد المنعم، نظرات في السنة، الطبعة الأولى، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٥/ ١٧٠ (٣٨٧٢١) مسند أحمد ٣٤/ ٣٩٨ (٢٠٨٠٢) صحيح مسلم ٣/ ١٤٥٣ (١٨٢٢) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ١/ ٢٠٣ (٥٢٠) مسند أحمد ٣٤/ ٣٩٨ (٢٠٨٠٢)

وحمل الحقد والبغضاء والعداوة على سلف الأمة، وعلى عقيدتها، وكتاب ربها، وسنة نبيها، وتاريخها وحضارتها.

ولا نذهب بعيدا إن قلنا أن أكثر الموضوعات (خاصة التاريخية) قد دخلت في التاريخ بعد استيلاء بني عبيد (المنتسبين لفاطمة) على شمال إفريقيا، والبويهيين على بغداد، كما أن الانحراف العقائدي والديني والتحريف ظهر مع حكم هؤلاء، وكان مجيئهم في بداية قرن قد بدأ الشر فيه والناس فيه في تحول كذلك نحو الشر.

وهي القرون الفاصلة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والخير والشرّ، والصحيح والموضوع والزائف، والرتق والفتق.

يقول ابن مسعود سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ قَالَ[1]:

(قَرْنِى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ).

يقول ابن القيم في هذا الحديث[2]:

"أخبر النبي ﷺ أن خير القرون قرنه مطلقاً، وذلك يقتضي تقديمهم في كل باب من أبواب الخير، وإلا لو كانوا خيراً من بعض الوجوه فلا يكونون خير القرون مطلقاً ... الخ".

ومن ذلك حديث البخاري عن عمران بن الحصين[3] أن رسول الله ﷺ قال[4]:

«خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

---

(١) صحيح البخاري ٢٢/ ٩٤ (٦٦٥٨)، فتح الباري ٧/ ٣ (٣٦٥١)، ورواه بلفظ آخر (خير الناس قرني ...الخ) صحيح البخاري ١٢/ ٤٠٥ (٣٦٥١) فتح الباري ٧/ ٣ (٣٦٥٠).

(٢) ابن القيم: أعلام الموقعين عن رب العالمين. مراجعة طه عبد الرؤف، دار الجيل للطبع والنشر-بيروت ١٩٧٣م ٤/ ١٣٦، وينظر كذلك: مجموعة من العلماء: رسالة إيضاح المفروض في زكاة العروض، دار الإفتاء - المملكة السعودية - الرياض ص٣٩.

(٣) عمران بن الحصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي، وكانت الملائكة تصافحه وتسلم عليه (ت ٥٢هـ بالبصرة) ينظر خليفة بن خياط: الطبقات ص ١٠٦، ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/ ٦٨١ - ٦٨٣ (٩٤).

(٤) البخاري: محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) صحيح البخاري، تحقيق الدكتور مصطفى ديب، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير-بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ٣/ ١٣٣٥، وينظر روايات متعددة وبألفاظ مختلفة أيضاً لهذا الحديث: أبو النعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ٢/ ٧٨-٧٩.

قَالَ عِمْرَانُ: فَلاَ أَدْرِى أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ أو ثَلاَثًا «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ».

حدد بعض العلماء هذه القرون إلى بداية زمن الخلفاء الأولين من بني العباس، وبالتحديد سنة (٢٢٠هـ) يقول الحافظ ابن حجر:

(اتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين- ممن يقبل قوله- من عاش إلى حدود سنة (٢٢٠هـ) وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً، وأطلقت المعتزلة ألسنتها، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغييراً شديداً، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن - أي إلى زمن الحافظ ابن حجر (٧٧٢- ٨٥٢هـ)- وظهر قوله ﷺ (ثم يفشو الكذب) ظهوراً بيناً حتى يشمل الأقوال والأفعال والمعتقدات)[١].

يقول الشيخ محب الدين الخطيب معلقاً على حديث (خير أمتي قرني)[٢]:

"وقد صحّ ما أخبر به ﷺ؛ فإن الإسلام إنما رأى الخير على أيديهم، فبهم حفظ الله أصوله وبهم هدى الله الأمم، والبلاد التي دخلت في الإسلام على أيديهم، فنبغ منها في ظل طريقتهم وعلى طريقتهم وعلى أساليبهم كبار الأئمة كالإمام البخاري، والإمام أبي حنيفة والليث بن سعد، وعبد الله بن المبارك، فكانت الأمم تقبل على هذه الهداية بشغف وتقدير وإخلاص- لما ترى من إخلاص دعاتهم وصدقهم وإيثارهم الآجلة على العاجلة- والأمة التي تولت الدعاية لهذه الهداية تستقبل نوابغ المهتدين بصدر رحب، وتبوئ المستأهلين منهم المكانة التي هم أهل لها.

هكذا كانت الحال في البطون الثلاثة الأولى التي امتدحها رسول الله ﷺ ووصفها بأنها خير أمتّه".

أن من غربة الإسلام بعد البطون الثلاثة الأولى ظهور مؤلفين شوهوا التاريخ تقرباً للشيطان أو الحكام، فزعموا أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا أخواناً في الله، ولم يكونوا رحماء بينهم، وإنما كانوا أعداء يلعن بعضهم بعضاً، ويمكر بعضهم ببعض، وينافق بعضهم لبعض، ويتآمر بعضهم على بعض بغياً وعدواناً[٣].

---

(١) فتح الباري ٧/ ٤.

(٢) محب الدين الخطيب: حملة رسالة الإسلام الأولون، مطبعة النواعير - الرمادي ١٩٩١ م ص٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٧.

بل ازداد التاريخ سوءاً وشراً حين استولى الصفويون المتظاهرون بالتشيّع على بعض بلاد الإسلام، وأعلنوا صراحة عداوتهم وحقدهم على سلف الأمة وخير القرون، وشنّوا حملة من التزوير وقلب الحقائق، والبهتان والإفتراء، وألّفوا وزوّروا، ووضعوا مئات من الكتب والمؤلفات، المعادية للإسلام وأهله بحقد فارسي مجوسي دفين وتحت شعار التشيّع وإظهار الولاء لأهل البيت، والمباشرة بالفعل لهدم وتخريب دين أهل البيت الذي هم ينادون بالولاء لهم واتباعهم، والذي كان متفقاً عليه بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وقد أكمل هؤلاء ما بدأ به الفاطميون، والبويهيون، والقرامطة، من الدس والتزوير وتشويه التاريخ وفعلوا ذلك كلّه للقضاء على شرع الله ودينه، تديّناً بذلك.

٢ـ التساهل والمرونة في نقل الروايات المتعلقة في غير حديث رسول ﷺ:

إن التساهل والمرونة التي أبداها أهل الحديث والتاريخ في نقل الروايات المتعلقة في غير حديث رسول ﷺ، قد فتح الباب على مصراعيه لأهل الزندقة وأعداء الأمة، كي يُدخْلوا الأخبار الباطلة، في تاريخنا، متى شاؤوا وكيف شاؤوا، بل إن كثيراً من أئمة الحديث- من الدرجة الأولى- وهم أئمة التاريخ من الدرجة الثانية، قد رووا كثيراً من الأخبار الموضوعة وغمّضوا أعينهم عنها، ولم يروا بذلك بأساً، مثل أبو نعيم- صاحب الحلية- والخطيب البغدادي، وابن الجوزي، وابن عساكر وغيرهم [١].

فإذا كان أئمة الحديث (وهم علماء البلاد وملح البلد) هكذا فكيف إذاً نلوم من صناعته التاريخ البحت؟!.

ولو حاولنا أن نغربل تاريخنا، لنجد الكثير والكثير من الأباطيل والموضوعات التي أدخلها أعدائنا، ولربما لا يبقى مع الغربلة ثلثه والثلث كثير! يقول الشاعر معروف الرصافي [٢]:

---

(١) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ١١١، سير أعلام النبلاء ١/ ١٢٤، (تقديم الدكتور بشار)، اللكنوي: الأجوبة الفاضلة ص٨٠ هامش(١).

(٢) معروف بن عبد الغني البغدادي الكردي (من عشيرة جبارة الكردية)، شاعر العراق في عصره، شغل مناصب كثيرة في السلطنة العثمانية (ت ١٣٦٤هـ) ينظر ترجمته: عبد الرحمن محمد أمين زكي (ت ١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م) مشاهير الكرد وكردستان ٢/ ١٩٦، الزركلي: الأعلام ٨/ ١٨٤-١٨٥، مصطفى علي: ديوان الرصافي، دار الحرية - بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م ١ / ٣، ولم يخل من هذا التخليط حتى بعض أئمة الحديث والتراجم يقول الإمام ابن الصلاح في وصفه كتاب الاستيعاب بعد أن يصفه بالإجلال والإكبار (لولا ما =

"وإليك في خاتمة هذا البحث كلمة نقولها في الشخصيات المريبة في الإسلام وهي كثيرة... ثم أخذ الوهن يدب في الإسلام من طريق الرواية التي كان معظم القائمين بها من الموالي الموتورين...![١].

أن ما نراه في كتب الحديث والسير من الأحاديث والأخبار أشبه شيء بكثبان الرمال، يوجد بين ذراتها من الشذور الذهبية، فيجب أن نستخلص منها هذه الشذور بنوع من التنقية... وأنا على يقين من أننا إذا غربلنا هذه الكتب... لم يبق لنا منها إلا الشيء القليل، أو كما قال شاعر البشر أبو العلاء المعري[٢]:

لو غربل الناس كيما يعدموا سقطاً ما تحصـــل شيء في الغرابيل[٣].

ويقول أسد رستم وهو يشيد بعلم النقد (الجرح والتعديل) عند المسلمين[٤]:

"فلو تقيد المؤرخون بهذه القاعدة، لوفروا على الخلق كثيراً من العناء، ولكفوا أنفسهم مؤونة سرد أخبار لا طائل تحتها، ولعل كثيراً من التاريخ لو غربل بهذا الغربال لما زاد عن عشره!".

أن هذا التساهل الغريب في نقل الأخبار، والدسائس التي وضعت في التاريخ، ليوجبان على المؤرخ المسلم الحريص على دينه وتاريخه، أن ينظر في كل رواية تاريخية نظرة الشك والاتهام، وأن يستخدم معها جميع طرق النقد التي ذكرناها- مناهج المحدثين- لكي يصل هو بنفسه إلى الاطمئنان،

==

شانه به من إيراده كثيراً مما شجر بين الصحابة وحكاياته عن الإخباريين لا المحدثين) ينظر: المقدمة ص١٤٥.

(١) سبق أن علقنا على مثل هذا التجرح الغير مسؤول، والغير إسلامي، مع ابن خلدون، فلا داعي لإعادة الكلام مرة أخرى.

(٢) أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر، فيلسوف مشهور اتهم بالزندقة (ت٤٤٩هـ) ينظر: وفيات الأعيان ١/ ١١٣-١١٦ (٤٧)، معجم الأدباء ١/ ١٨١.

(٣) الصارم: سمير، أبو العلاء المعري حياته، شعره، الناشر دار كريم ص١١٣، والبيت الأول:

مضى الزمان ونفسُ الحيِّ مولَعةٌ بالشرِّ من قبل هابيل وقابيل

ينظر النص: الرصافي: الشخصية المحمدية، (أو حل اللغز المقدس) ٤/ ١١٥٣ - ١١٥٤ (مخطوط بالمجمع العلمي العراقي تحت رقم ٥٢ سير وتراجم)، وينظر كذلك عواد: ميخائيل عواد: مخطوطات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م ٢/ ٦٨ -٦٩.

(٤) مصطلح التاريخ ص٦٩.

وينقذ امته من تلك الترهات والسخافات التي ملئت بها تاريخنا، لأن أول اليقين يبدأ بالشك بالأشياء.

يقول الجاحظ[(١)]:

"وأول العلم بكل غائب الظنون، والظنون إنما تقع في القلوب بالدلائل، فكلما زاد الدليل قوى الظن حتى ينتهي إلى غاية تزول معها الشكوك عن القلوب، وذلك لكثرة الدلائل ولترادفها".

ونحن حينما ندعو أبناء امتنا إلى ذلك لا ندعوهم إلى كتابة التاريخ دون منهج أو نشكك في التاريخ دون ضوابط، وإلا لأدى ذلك إلى فوضى، بل ندعوهم إلى منهج وضوابط، يعلم بها المؤرخ أين يجب عليه أن يقف، وأين يمكنه أن يمضي[(٢)].

٣- هل تقبل رواية الكاذب في الأخبار؟.

تقدم أن أشد موجبات رد الراوي هو: كذبه في الحديث النبوي.

إن متعمد الكذب في أحاديث الناس ترد روايته، ونستثني من ذلك: المتوهم، والخاطئ، وهذا أمر مفروغ منه من قبل أئمة الحديث وقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية باباً تحت عنوان:

باب في أن الكاذب في غير حديث رسول الله ﷺ ترد روايته[(٣)].

ومما جاء فيه ما رواه عن عبد الله بن الزبير الحميدي[(٤)]: "فإن قال قائل: فما الذي لا يقبل به حديث الرجل أبداً؟

قلت هو: أن يحدث عن رجل أنه سمعه ولم يدركه، أو عن رجل أدركه ثم وجد عليه أنه لم يسمع منه، أو بأمر يتبين عليه في ذلك كذب، فلا يجوز حديثه أبداً لما أدرك عليه من الكذب فيما حدث به".

---

(١) الجاحظ: مجموع رسائل الجاحظ، نشر ب. كروس ومحمد طه الحاجري - القاهرة ١٩٤٣ م ص ٢٦، وينظر كذلك الدوري: العصر العباسي الأول ص ٣.

(٢) عماد الدين خليل: المستشرقون والسيرة النبوية، منهاج المستشرقين ١/ ١٦٨-١٦٩.

(٣) ينظر الكفاية ص١٩٠-١٩٢.

(٤) المصدر نفسه ص١٩١.

وقال الإمام مالك[١]:

"لا تأخذ العلم من أربعة وخذ ممن سوى ذلك: لا تأخذ عن معلن بالسفه وإن كان أروى الناس، ولا تأخذ عن كذاب يكذب في حديث الناس، إذا جرب عليه ذلك وإن كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله ﷺ ...الخ".

وقال الشافعي[٢]:

"... ولا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أموراً منها: أن يكون من حدث به ثقة في دينه معروفاً بالصدق في حديثه ...الخ".

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه أن يحيى بن المغيرة[٣] سأل، جريراً[٤] عن أخيه أنس[٥] فقال[٦]:

"قد سمع من هشام بن عروة، ولكنه يكذب في حديث الناس، فلا يكتب عنه".

هذه النقول من الأئمة فيها من الأدلة ما ترد به، رواية الكذاب مطلقاً ويشمل ذلك الكذبة الواحدة التي لا يترتب عليها ضرر ولا مفسدة، فما بالك إذا كانت الكذبة تتعلق بأمور العقيدة أو الشريعة، أو مما تتعلق بسيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين، واتباعهم، والعلماء والخلفاء!؟.

وذلك أن عماد الرواية الصدق، فإذا فقدت هذه الصفة فلا يعرف الصحيح من الموضوع، كما أن من كذب مرة يمكن أن يكذب مرات ويؤدي ذلك بالنتيجة إلى تخريب التاريخ، كما قد حصل ذلك مع تاريخنا الإسلامي.

أن تلك الروايات الباطلة، جعلت الأمة، تفترق على نفسها إلى شيع وجماعات متناحرة،

---

(١) اليماني: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ت ١٣٨٦هـ-١٩٦٥م) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق، محمد ناصر الدين الألباني، طبع على نفقة الشيخ محمد نصيف وشركاه١٣٨٦هـ ١/ ٣٢.

(٢) نفسه ١/ ٣٢.

(٣) يحيى بن المغيرة بن إسماعيل بن أيوب المخزومي، صدوق (ت ٢٥٣هـ) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٣٥٨ (١٨٢)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٤٢٨.

(٤) جرير بن عبد الحميد بن قرط الكوفي، ثقة (ت ١٨٨هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ١/ ١٢٧ (٥٦)، ص ٦١.

(٥) أنس بن عبد الحميد (أخو صاحب الترجمة السابقة)، ضعيف، ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٢٧٧ (١٠٣٨)، المغني في الضعفاء ١/ ٩٤ (٧٨٦).

(٦) اليماني: المصدر السابق ١/ ٣٢.

حيث أن بعض تلك الفرق الغالية، والضالة، قد جعلت من تلك الروايات الموضوعة، تاريخا وعقيدة، وديناً، وقد شجع أعداء الإسلام من أهل الكتاب والمجوس ذلك، للقضاء على الإسلام وعلى عقيدته الناصعة، فدسوا من تلك الروايات الباطلة في كتب التاريخ والتراجم والأدب والشعر وغيرها مما يفسد على بعض من ينتسبون للإسلام الذين اتخذوا، تلك الكتب، بدل كتاب الله وسنة نبيه، إماماً وديناً.

ومن تلك الأخبار المشينة التي وضعها اليهود والمجوس على تاريخ الإسلام وأدت إلى افتراق المسلمين إلى فرق وجماعات، وافترقت الفرق الضالة عليها على أكثر من سبعين فرقة[١].

منها قضية الإمامة والوصاية:

قول ابن سبأ[٢] محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء[٣]. ويقول النوبختي[٤]: "وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي رضي الله عنه أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً رضي الله عنه، وكان يقول: - وهو على يهوديته - في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال:

- في إسلامه بعد وفاة النبي ﷺ - في علي بمثل ذلك.

---

(١) وردت أحاديث كثيرة بطرق متعددة حول ذلك منها: حديث أبي داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (إفترقَت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) أبو داود: السنن ٤/ ١٩٧ (٤٥٩٦-٤٥٩٧) الترمذي: السنن: ٥/ ٢٥-٢٦ (٢٦٤٠-٢٦٤١) ابن ماجة: السنن: ٢/ ١٣٢١-١٣٢٢ (٣٩٩١-٣٩٩٣)، ورواه عدد آخر من أئمة الحديث ينظر السيوطي: الجامع الصغير ١/ ١٨٤ (١٢٢٣).

(٢) عبد الله بن سبأ رأس الطائفة السبأية، يهودي من أصل يماني، كان يعتقد بألوهية علي، والوصية والرجعة وغيرها من الأفكار اليهودية، وأدخلها في الإسلام، مات نحو (٤٠هـ) ينظر: ابن منظور: تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ٤٢٨، ابن حجر: لسان الميزان ٣/ ٢٨٩، وينظر رسالة مفصلة حول كل ما يتعلق بابن سبأ: العودة: سليمان بن حمد: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، الطبعة الأولى-دار طيبة-الرياض ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٣) المامقاني: محمد بن حسن بن عبد الله النجفي (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) تنقيح المقال في أقوال الرجال، النجف، ١٣٥٢هـ، ٢/ ١٨٤.

(٤) الحسن بن موسى بن الحسن، البغدادي، تدعيه المعتزلة والشيعة، فلكي عارف بالفرق (ت ٣١٠هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٢٥٨، النجاشي: أحمد بن علي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) الرجال، طبعة-بومباي ١٣١٧هـ ص٤٦.

أول من شهد القول بفرض إمامة علي رضي الله عنه وأظهر البراءة من أعدائه"[١].

ولم يرض ابن سبأ بهذه الروايات الباطلة فقط، بل لفق روايات أخرى للنيل من الإمام الأول والصديق الأكبر أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث ذكر الكشي[٢]:

"عن أبي عبد الله أن محمد بن أبي بكر[٣] قال لأمير المؤمنين علي يوماً من الأيام، ابسط يدك أبايعك، فقال: أو ما فعلت؟ قال: بلى، فبسط يده فقال: أشهدك بأنك أمام مفترض طاعتك، وأن أبي في النار!.

فقال أبو عبد الله:

كان النجابة فيه من قبل أمه أسماء بنت عميس، رحمة الله عليها، لا من قبل أبيه"[٤].

وفي رواية أخرى للكشي عن أبي جعفر[٥]:

"أن محمد بن أبي بكر بايع علياً على البراءة من أبيه.

ويقول مفسر السبأية الضلال- وهو من أقدم كتب التفاسير المعتمدة عندهم[١] في تفسير

---

(١) النوبختي: أبو محمد الحسن بن موسى (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) فرق الشيعة، تعليق محمد صادق ال بحر العلوم، المطبعة الحيدرية - النجف ص٤٤، وهذه الرواية قد ذكرت في عدد كبير من كتب كبار علماء المسلمين من المتقدمين، والمتأخرين، وكذلك جاءت في كتب الفرقة الضالّة التي: تسمّى؛ بالأمامية، أو الجعفرية، أو الإثناعشرية، التي تعتبر حاضنة وأصلاً وأمّاً لجميع فرق الشرّ والملل والنحل التي حاربت الإسلام والمسلمين منذ سقوط الحضارة الساسانية على أيدي حماة الإسلام ودعاته في صدر الإسلام، فلا يغرّنّك قول بعض أتباع المتأخرين والمعاصرين من هؤلاء أن: عبد الله بن سبأ وأخباره، مجرد أسطورة صنعها الطبيري وأمثاله !.

ومن أجل ذلك نحن لم نشر في هذا الخبر إلى الطبري ولا إلى غيره من مؤلفات علماء المسلمين وإنّما نقلنا هذا النص من فم وقلم أحد الضالّين من أتباع تلك الفرقة، وهو من أقران الإمام الطبري ومن معاصريه.

(٢) محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٤٠هـ) ينظر: القمي: عباس بن محمد رضا: سفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار، طبعة-النجف ١٣٥٥هـ ٢/ ٤٨١، الموسوي: محمد باقر: روضات الجنات في أحوال العلماء السادات، تحقيق أسد الله (إسماعيليان)، مطبعة حيدري - طهران ١٩٥٠ م ص٥٥٦.

(٣) محمد بن أبي بكر الصديق، ولد عام حجة الوداع، له رؤية قتل سنة (٣٨هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٣٤٨-٣٤٩، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ١٤٨ (٨٢).

(٤) الكشي:محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٥٣٤هـ/ ٩٥١م) معرفة أخبار الرجال، المطبعة الصطفوية- بومباي ١٣١٧هـ ص٦٠-٦١.

(٥) محمد بن علي زين العابدين بن الحسين (الباقر)، الأمام الثبت، من كبار فقهاء المدينة، كان سيد بني هاشم في زمانه (ت ١١٤هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٤-١٢٥ (١٠٩)، العبرفي خبر من غبر ١/ ١٠٩.

قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٨].

وقوله: ﴿ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾

قال أبو جعفر: الأول (يعني به أبا بكر).

{يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً ولياً}.

﴿ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾

يعني الثاني (عمر)[٢].

وهكذا فإن من يطلع على دس هؤلاء الروافض المتمجسة، وأباطيلهم وضلالاتهم في الولاية والوصية، لولّى مِنهم ومن سذاجتهم وخرافاتهم فراراً، وعلم أن موعد هؤلاء الدّجالين والكذّابين والمفترين على الله ورسوله، في الدنيا خزياً وعاراً، ويوم يقوم الأشهاد ناراً وشناراً.

ـ الطعن بالصحابة الكرام:

من تلك الروايات الباطلة التي ملئت كتب الحاقدين الذين تشكل نار المجوسية أفئدتهم وكيانهم، ما رواه الكشي عن الورد بن زيد قال[٣]:

" قلت لأبي جعفر، جعلني الله فداك، قدم الكميت[٤]، فقال:

أدخله، فسأله الكميت عن الشيخين فقال له أبو جعفر: ما أهريق دم ولا حكم بحكم غير موافق لحكم الله، وحكم رسوله ﷺ، وحكم علي، إلا هو في أعناقهما.

فقال الكميت: الله أكبر، حسبي، حسبي".

---

(١) تزعم السبأية أن هذا التفسير، تفسير الصادقين-حاشاهما-(جعفر والباقر) وفي مؤلفه كان في زمن العسكري. ينظر: تفسير القمي ص١٩ (المقدمة)، يقول أحد العلماء: أن الرافضة وضعت في فضائل علي وأهل بيته نحو ثلاثمائة ألف حديث. ينظر: السباعي: السنة ومكانتها ص٨٠.

(٢) ينظر القمي: التفسير ٢/ ١١٣.

(٣) الكشي: الرجال ص١٧٩-١٨٠، وينظر: رواية أخرى أشد قبحاً في وصف الخلفاء الراشدين الثلاثة. الكليني: الكافي في الأصول، مطبعة الحيدري - طهران ١/ ٤٢٦ (حديث رقم ٧١).

(٤) كميت بن زيد بن خنيس، شاعر كوفي، شيعي (ت ١٢٦هـ) ينظر: الأصبهاني: الأغاني ١٥/ ١٠٨، ابن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، طبعة مصر ١٣٠٨هـ ص١٨٧.

وفي رواية أخرى قال الباقر[(١)]:

"يا كميت بن زيد! ما أهريق في الإسلام محجة من دم، ولا أكتسب مال من غير حله، ولا نكح فرج حرام إلا وذلك في أعناقهما إلى يوم يقوم قائمنا، ونحن معشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما".

ويروي الكليني عن أبي عبد الله في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٠]. [(٢)]

قال[(٣)]:

"نزلت في فلان وفلان آمنوا بالنبي ﷺ في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم - الولاية- حين قال النبي ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين ثم كفروا حيث مضى رسول الله ﷺ فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء".

ويبين شارح الكافي أن المراد من فلان وفلان: أبو بكر وعمر وعثمان[(٤)]، مع أن الأمر لا يحتاج إلى توضيح !.

وهذه الدسائس قد شملت حتى أعمام الرسول ﷺ وأولادهم[(٥)] وزوجاتهم الطاهرات أمهات المؤمنين.

---

(١) الكشي: الرجال، ص١٨٠، (ترجمة كميت)، وينظر رواية مشابهة لهذه الرواية وأكثر تفصيلاً تفسير القمي ١/ ٣٨٣-٣٨٤.

(٢) وقد نقل الآية خطأً هكذا {إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم}. وذلك لعدم اهتمامهم بالقرآن الكريم لأنه ليس كتابهم، وإنما كتابهم مصحف فاطمة.

(٣) الكافي في الأصول ١/ ٤٢٠ (كتاب الحجة)، وينظر رواية أخرى، مشابهة لهذه الرواية، القمي: التفسير ١/ ١٠٩.

(٤) الصافي شرح الكافي (بالفارسية) طبعة إيران، عن ألهي ظهير: إحسان ألهي ظهير، الشيعة والسنة، الطبعة السادسة، مطبعة وفاق - لاهور ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ص٤٢.

(٥) ينظر: الكشي: المصدر السابق ص٥٣-٥٤ ترجمة (عبد الله بن عباس).

يقول الطبرسي[1]:

" لما كان يوم الجمل وقد رشق هودج عائشة بالنبل، قال أمير المؤمنين علي: والله ما أراني إلا مطلقها! فانشدُ الله رجلاً سمع من رسول الله يقول: يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي[2]، ولما قام فشهد، فقام ثلاثة عشر رجلاً، فيهم بدريان، فشهدوا أنهم سمعوا من رسول الله يقول لعلي بن أبي طالب: يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي، قال: فبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءها".

أما الكليني، والكشي، فقد ذهبا إلى أبعد من ذلك حيث حكما على كل الأمة بالردة والكفر فيرويان عن أبي جعفر أنه قال[3]:

"كان الناس أهل الردة بعد النبي إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟.

فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي[4]... وذلك قول الله عز وجل:

---

(١) الاحتجاج ص ٨٢

(٢) العياذ بالله أن يقول علي بذلك، أو أن يخطر بباله، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١]. و أصل هذا الخبر أن النبي ﷺ ذكر خروج بعض أمهات المؤمنين، (فضحكت عائشة فقال:ينظري يا حميراء، إلا تكوني أنت، ثم التفت إلى علي فقال: إن وليت من أمرها شيئاً، فأرفق بها) قال الحاكم صحيح على شرط البخاري ومسلم: المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٩ (٤٦١٠)، وينظر كذلك: الكناني: مصباح الزجاجة ٣ / ٨٢. و تأمل كيف حرف أهل الأهواء والضلال هذا الحديث !؟.

(٣) الكليني: روضة الكافي، طبعة النجف ١٣٨٥هـ ص ٢٠٥، ٢٠٦، الكشي: معرفة أخبار الرجال ص ٤، ٥، ٨.

(٤) سلمان الفارسي أبو عبد الله، ويعرف بسلمان الخير، وسلمان ابن الإسلام، أصله من رامهرمز اختلف في عمره، ويقال أنه عاش أكثر من مائتين وخمسين سنة، وقيل بل ثلثمائة وخمسين سنة أول مشاهده الخندق كان عابداً زاهداً توفي حوالي (٣٢هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٥٦-٦١، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٦٢-٦٣ (٣٣٥٧)، إنتمائه إلى الفرس كان انتماء إلى بلاد، كانت تعرف ببلاد الفرس، وليس إلى قوم معين، حيث من المؤكد، أن شعوباً إسلامية أخرى (وهم الأكثرية الساحقة) كالبشتو، والطاجيك، والكرد، والبلوش، والترك، والتركمان ... الخ يعيشون في تلك البلاد، وكانوا (ولا يزال) كثير من تلك الشعوب يتكلمون الفارسية، وكان كل من ينتمي إلى بلاد فارس أو يتكلم الفارسية قديما يقال له: (فارسي)، والذي يدل على ذلك أن أبا نعيم الأصبهاني حينما يتطرق إلى الأصبهانيين من الكرد، يقول عنهم: (وهم من الفرس الجبليين، أو أعراب الفرس)!، كما أن أصبهان موطن عدد من الشعوب، ورامهرمز مواطن الأفغان، ينظر: أبو نعيم الأصبهاني: ذكر أخبار أصبهان طبعة-ليدن ١٩٣١م ١/ ١٦-١٧، الثعالبي: أبو منصور، عبد الملك محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ ١٠٣٨م) خاص الخاص، تقديم حسن الأمين، مكتبة الحياة-بيروت ص٦٦، القلقشندي: أبو عباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا،
==

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]".

- روايات في إهانة بيت الله وشعائر الإسلام والحج إلى كربلاء:

يروي باقر المجلسي[(١)] عن جعفر[(٢)]:

"أن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري، يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه.

فأوحى الله إليها، أن كفي وقري ما فضلت ما فضلت به فيما أعطيت كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر، فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري، واستقري، وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا مسخت بك وهويت بك في نار جهنم".

بل أن زيارة قبر الحسين ﷺ في يوم عرفة أفضل عند الله تعالى من ألف حجة وعمرة، وفي غيره من الأيام أكثر من عشرين أو مائة حجة.

" من أتى قبر الحسين عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة، وعشرين عمرة مبرورات مقبولات... ومن أتاه يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة... ومن أتاه في يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل"[(٣)].

وزارة الثقافة المصرية (مصورة عن الطبعة الأميرية) ٤/ ٣٦٦، الغريري: د. صبري أحمد لافي: الحركة الفكرية العربية في اصفهان في القرون الستة الأولى من تاريخ الإسلام، مطبعة الخلود-بغداد ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ص٥٣-٥٥.

(١) محمد باقر بن محمد تقي، رافضي متمجس من أصبهان، ملأ كتبه بتكفير الصحابة وسب سلف الأمة ... الخ (ت ١١١١هـ ١٧٠٠م) ينظر: محمد باقر الموسوي: روضات الجنات ١/ ١١٨-١٢٤، آغابزرك: محمد محسن الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، طبعة النجف، ١٣٥٥هـ-١٩٣١، ٣/ ١٦.

(٢) المجلسي: محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ/ ١٧٠٠م) بحار الأنوار، الطبعة الثانية المصححة، مؤسسة الوفاء - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٩٨/ ١٠٦.

(٣) الكافي في الفروع ١/ ٣٢٤، وينظر أيضاً: ابن بابويه: الصدوق أبو جعفر محمد بن علي القمي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) من لا يحضره الفقيه، الطبعة الخامسة، دار الكتب الإسلامية - طهران ١٣٩٠ م ١/ ١٨٢،

وهكذا فلا يحتاج المسلمون إلى زيارة بيت الله الحرام ولا إلى فريضة الحج، ولماذا يتعب المسلم في الذهاب إلى بيت الله وطواف الكعبة المشرفة، ما دام الطواف والسعي والوقوف كلها في كربلاء وأكثر أجراً وبالأخص في يوم عرفة، وهذا تصريح واضح من أفواه أئمة المجوس المتسترين بالتشيّع بإبطال مناسك الحج ؟!.

ومن رواياتهم في الحج إلى الحسين[1]: "أن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي عشيّة عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف، قال الراوي: وكيف ذلك؟ قال أبو عبد الله، لأن في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا".

ومن تلك الأخبار الموضوعة والوثائق المزورة وثيقة: مقتل الحسين:

من الوثائق المزورة والتي يتعبد بها ناس في قراءتها وسماعها وثيقة (مقتل الحسين)، والتي تشعل نار العداوة بين المسلمين، وبين هذه الطائفة المتمجّسة، وفيها الكثير من الطعن واللعن لسلف الأمة، والتي لاشك أن مؤلفها إما يهودي حاقد، أو مجوسي خبيث مفتري على الله وعلى دينه، ألفّه ورتبه، وربط بعضه ببعض، وكأن مؤلفه لم يكن في ساحة الوغى والحرب، وإنما كان متفرغاً، يتابع ما يقوله: فلان وفلان ثم ينتقل إلى الجانب الآخر وينقل الصورة الأخرى وهكذا في عملية- سيناريو- منظمة وعجيبة!.

وبأدنى نظرة إلى تلك الوثيقة، أو السماع لها من قبل من له أدنى خبرة بعلم الحديث، أو علم التاريخ، أو أي إنسان سوي صاحب عقل ومنطق، يعلم أن تلك الوثيقة مزورة وموضوعة على أبي مخنف، الذي هو أصلاً مطعون فيه.

==

الطوسي: تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الخرسان، الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلامية - طهران ١٣٩٠هـ ٢/ ١٦، الحرّ العاملي: محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الطبعة الثانية دار إحياء التراث العربي- بيروت ٥/ ٣٢٦-٣٥٩، وينظر: التفصيل فيه وتسلسل درجات الثواب من عمرة واحدة إلى ألف ألف عمرة، وحجّة إلى ألف ألف حجّة.

(١) الفيض الكاشاني: الوافي، المكتبة الإسلامية - طهران مجلد ٢ قسم ٨/ ٢٣٢.

يبلغ عدد الأحاديث الواردة في زيارة قبر الحسين ﷺ وأبنائه واحفاده ما يقارب (٤٥٨) حديثاً، منها (٣٣٨) في زيارة قبر الحسين ﷺ وحده وفيها دعوة صريحة إلى ترك الحج والتوجه إلى القبور والمشاهد. وينظر كذلك وسائل الشيعة ٥/ ٢٩٣-٤٥٥، ومن تلك الروايات:

"من حج عشرين حجة تكتب له زيارة واحدة للحسين".

المصدر نفسه ٥/ ٣٤٧-٣٧٦، وهناك روايات أخرى حول هذا الموضوع.

يقول عباس القمي[١]:

" وأما المقتل الذي بأيدينا ونسب إليه (أي: إلى أبي مِخْنَفٍ)[٢] فليس له ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين".

ويقول الدكتور عبد الله فياض - وهو رأس من رؤوسهم العلميين والأكاديميين في بلدنا -[٣]:

"وعند فحص الوثيقتين - مقتل الحسين، وأخبار المختار- تبين لنا أن أبا مخنف لم يكن مؤلف الوثيقتين المذكورتين".

ورحم الله سلف الأمة حين قالوا: أن من يحاول أن يكذب يفتضح ولو بعد حين.

قال سفيان الثوري[٤]:

"من كذب في الحديث افتضح، قال أبو نعيم وأنا أقول: من هم أن يكذب افتضح".

ومما يفضح هذه الوثيقة الباطلة ما جاء فيها قوله:

وروى الكليني في حديث أن معاوية، لما حضرته الوفاة...الخ[٥].

من المعلوم أن وفاة الكليني كانت سنة (٣٢٨ أو ٣٢٩هـ) ووفاة أبي مخنف كانت سنة (١٥٧هـ) مما يؤكد أن تلك الوثيقة قد ألفت بعد سنة (٣٢٨هـ) أو قبلها بقليل، ورغم أنها ألفت من قبل مجهول. ومن هو هذا المجهول؟! وأنها ليست لأحد من المؤرخين المعتمدين بل وغير المعتمدين، فقد كان لتلك الوثيقة دور خطير في تخريب نفوس بعض الجهلة ممن ينتمون إلى الإسلام في الظاهر زوراً، وباطنهم كفر ونفاق محض.

---

(١) القمي: عباس القمي، الكنى والألقاب، طبعة النجف ١٩٥٦م ١/ ١٥٢.

(٢) وهو: لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الكوفي، أخباري تالف متروك الحديث، قال ابن عدي عنه:

"فإن لوط بن يحيى معروف بكنيته وباسمه حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين ولا يبعد منه أن يتناولهم وهو شيعي محترق صاحب أخبارهم وإنما وصفته لا يستغنى عن ذكر حديثه فإني لا أعلم له من الأحاديث المسندة ما أذكره وإنما له من الأخبار المكروه الذي لا أستحب ذكره".

ينظر ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٧/ ١٨٢ (١٠٣٠) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ٦/ ٩٣ (١٦٢١) ابن الجوزي: الضعفاء والمتروكين ٣/ ٢٨ (٢٨١٣) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٧١ (١٣٧).

(٣) التاريخ فكرة ومنهاجاً ص٣٨.

(٤) الكفاية في علم الرواية ص١٩١.

(٥) ينظر ص٧.

مدينة الكوفة[(١)]:

١- مصّر هذه المدينة أمير المؤمنين عمر ﷺ، وأنشأ مسجدها الجامع ودار الإمارة فيها، وحشد حولها عدداً من العشائر العربية من الصحابة والتابعين[(٢)] وبعث إليهم نيابة عنه عبد الله بن مسعود، لكي يعلمهم القرآن الكريم، ويفقّههم في الدين، قائلاً لهم[(٣)]: "وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي".

وقد تفقه على يديه عدد كبير من القراء والمحدثين والفقهاء، حتى بلغ عددهم عند بعض أهل العلم، نحو أربعة آلاف عالم[(٤)].

وزادت هذه المدينة شرفاً بعد أن اتخذها أمير المؤمنين علي ﷺ عاصمة للدولة الإسلامية وزاد العلم بها، إلى أن أصبحت، لا مثيل لها بين أمصار المسلمين في كثرة علمائها.

توطن عدد كبير من الصحابة في هذه البلدة، فمنهم من يوصل عددهم إلى حوالي ثلاث مائة

---

(١) الكوفة: قيل في سبب تسميتها عدة أقوال: منها كونها مستديرة، منها لاجتماع الناس بها، ومنها لأنهم في كوفا، أي في بلاء وشرّ...الخ، واختلفوا أيضاً في سنة تمصيرها من (١٧-١٩هـ) في زمن أمير المؤمنين عمر ﷺ، (وهي الآن قضاء تابع لمحافظة النجف)، ينظر: معجم البلدان ٤/ ٤٩٠-٤٩٣ (كوفة)، وقد ألف الوضاعون (كما سنأتي إليها في أسباب الوضع بالتفصيل)، في مدح ووصف هذه المدينة عدة من الأحاديث الموضوعة، منها ما رواه حَبَّة العرني: قال: كنت جالسا عند علي، فأتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه راحلتي وزادي، أريد هذا البيت (أعني بيت المقدس)، فقال ﷺ: كلْ زادك وبع راحلتك، وعليك بهذا المسجد، يعني (مسجد الكوفة) فإنه أحد المساجد الأربعة، ركعتان فيه، تعدلان عشراً فيما سواه من المساجد، والبركة منه، إلى اثني عشر ميلا، من حيث ما أتيته، وهي نازلة من كذا ألف ذراع، وفي زاويته فار التنور، وعند الاسطوانة الخامسة صلى إبراهيم عليه السلام، وقد صلى فيه ألف نبي وألف وصي، وفيه عصا موسى، والشجرة اليقطين، وفيه هلك يغوث ويعوق، وهو الفاروق وفيه مسير لجبل الأهواز، وفيه مصلى نوح عليه السلام، ويحشر منه يوم القيامة، سبعون ألفا ليس عليهم حساب، ووسطهم على روضة من رياض الجنة، وفيه ثلاثة أعين من الجنة، تذهب الرجس، وتطهّر المؤمنين، ولو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبواً. !! ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٤٩٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٤٩٠-٤٩١.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٣٢٣، وينظر عن علم ابن مسعود أيضاً: ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٤٣.

(٤) ينظر الكوثري: فقه أهل العراق وحديثهم، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، الناشر، مكتب المطبوعات الإسلامية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص٤١-٤٢.

صحابي، بينما يذهب آخرون إلى أنه توطن بها نحو ألف وخمسمائة صحابي، بينهم سبعون بدرياً[١].

يقول عنها البلداني المعروف، المقدسي[٢]:

"أن إقليم العراق إقليم الظرفاء، ومنبع العلماء، لطيف الماء، عجيب الهواء، مختار الخلفاء، أخرج أبا حنيفة فقيه الفقهاء، وسفيان سيد القراء، ومنه كان أبو عبيدة، والفراء[٣]، وحمزة[٤]، والكسائي[٥]، وكل فقيه ومقرئ وأديب، وسرّي وحكيم وداهٍ وزاهد ونجيب، وظريف ولبيب، أليس به البصرة التي قوبلت بالدنيا، وبغداد الممدوحة في الورى، والكوفة الجليلة وسامرا ...الخ" ؟!.

يقول العلامة الكوثري في وصف الكوفة[٦]:

"وفي منزلة الكوفة من علوم القرآن، والحديث والعلوم العربية، والفقه وأصوله وكون الكوفة ينبوع الفقه المُشرق من بلاد المشرق المنتشر في قارات الأرض كلها، وَميزة مذهب أهل العراق على سائر المذاهب، ومبلغ اتساعهم في الحفظ، وكثرة الحفاظ بينهم من أقدم العصور

---

(١) ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/ ٩، المقدسي: شمس الدين، محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي (ت ٣٩٠هـ/ ١٠٠١م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٨٠ م ص ١١٦، الكوثري: فقه أهل العراق وحديثهم ص٤٢.

(٢) المقدسي: المصدر السابق ص ١١٤، وينظر أيضاً: أحمد أمين: ظهر الإسلام، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩ م ١/ ٢١٧.

(٣) يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي، كان أعلم أهل الكوفة بالنحو واللغة وإمام عصره في فنون العربية ت ٢٠٧هـ ينظر: أبو الطيب: عبد الواحد علي اللغوي (ت ٣٥١هـ / ٩٦٢م) مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة-القاهرة ١٩٥٥م ص٨٦، السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة البابي الحلبي ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤ م ص٤١١.

(٤) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الكوفي، المعروف بالزيات، أحد القراء السبعة (ت١٥٦هـ) أبو الخير الجزري: محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٣٣هـ ١٤٢٩م) غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجشتر اسر، طبعة القاهرة ١٩٣٢-١٩٣٣م ٢/ ٢٦١، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضّباع، دار الفكر للطبع والنشر ١/ ١٦٦.

(٥) علي بن حمزة بن عبد الله بن بَهمن، أحد القراء السبعة، إمام النحو واللغة في عصره (ت ١٨٩هـ) على أشهر الأقوال ينظر: وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٥-٢٩٧ (٤٣٣)، أبو الخير الجزري: المصدر السابق ١/ ١٧٢، الداودي: طبقات المفسرين ١/ ٤٠٤-٤٠٨ (٣٤٩).

(٦) فقه أهل العراق وحديثهم ص١٢-١٣.

الإسلامية إلى عصرنا هذا زيادة على ما لهم من الفهم الدقيق، والغوص في المعاني وقد اعترف لهم بذلك كل الخصوم".

أما من التابعين والفقهاء، فقد كان عدد كبير منهم يعيش في هذه البلدة.

يقول الجصاص[١]، وهو يذكر عدد التابعين والفقهاء الذين خرجوا مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[٢]، على الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٨٣هـ)[٣]:

"وخرج عليه من القراء أربعة آلاف رجل، هم خيار التابعين وفقهاؤهم، فقاتلوه مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث".

ويحدثنا الرامهرمزي عن أنس بن سيرين[٤] أنه كان يقول[٥]:

"أتيت الكوفة فرأيت فيها أربعة آلاف يطلبون الحديث، وأربع مائة قد فقهوا".

وناهيك أن مدرسة أهل الرأي، التي كانت تقابل مدرسة أهل الحديث قد نشأت واكتملت في هذه المدينة، والتي كان رائدها الأول: ابن مسعود، وعلي بن أبي طالب ﵁، ثم إبراهيم النخعي[٦]، وحماد بن أبي سليمان[٧]، ثم الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان[١].

---

(١) أبو بكر: أحمد بن علي الرازي، إمام الحنفية في عصره ببغداد، عالم مفسر (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) نظر: القفطي: جمال الدين علي بن يوسف بن إبراهيم، ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م، إنباه الرواة على إنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م ١/ ٩١، الداودي: المصدر السابق ١/ ٥٦.

(٢) ابن قيس الكندي، القائد، استولى على سجستان، وكرمان، والبصرة، وفارس، وهو صاحب وقعة دير الجماجم، (قرب الكوفة) مع الحجاج دامت (١٠٣) أيام وقتل خلق كثير في هذه الواقعة، ثم انهزم ابن الأشعث إلى ملك سجستان رتبيل، لكنه لم يدم بقاؤه عنده، حيث قتله (٨٥هـ) ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٦/ ٣٨٩-٣٩٣.

(٣) الجصاص: أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) كتاب أحكام القرآن، دار الكتاب العربي-بيروت ١/ ٧١.

(٤) أنس بن سيرين الأنصاري، أبو موسى البصري، ثقة (ت ١١٨هـ وقيل ١٢٠هـ) ينظر: ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٨٤ (٦٤٢)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٤٠.

(٥) المحدث الفاصل ١/ ٤٠٨، وينظر كذلك: الكوثري: فقه أهل العراق وحديثهم ص ٥٠.

(٦) ينظر ترجمته: ص ٣٢١.

(٧) حماد بن أبي سليمان، مسلم أبو إسماعيل الأشعري الكوفي، أحد الأئمة الفقهاء رُمي بالإرجاء، صدوق، ثقة، له إوهام (ت ١٢٠هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٥٩٥-٥٩٦ (٢٢٥٣)، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ١٩٧ (٥٤٣).

كما أنها كانت مهد العربية، ففيها وفي البصرة، دونت العربية، وكان أهل الكوفة يراعون تدوين جميع اللهجات العربية، في عهد نزول الوحي.

أما أهل البصرة فقد انتهجوا مسلك التخيّر من اللهجات ولكل مسلك مزية لا تغني عن الأخرى[٢].

٢- أن هذه المدينة التي كانت إحدى مراكز العالم الإسلامي، بل وأعظمها ومجمع الصحابة والفقهاء والعلماء، وعاصمة الخلافة الإسلامية، قد تعرضت إلى مخطط كبير من قبل اليهودية الماكرة، والمجوسية الحاقدة، ولم يمض من الزمن إلا عقود من السنين، إلا وظهرت آثار ذلك المخطط جلياً واضحاً وتولى كبر الفتنة فيها؛ عبد الله بن سبأ اليهودي، والموالي الفرس الذين دخلوا في دين الله ظاهراً، وباطنهم المجوسية والكفر والتآمر على الإسلام.

فلما أعلن ابن سبأ إسلامه وأطمأن، أظهر المحبة لعلي ﷺ، وبدأ يتقرب إليه حتى إذا استقر أمره بدأ يكذب ويفتري على علي ﷺ، قال الشعبي[٣]:

"أول من كذب عبد الله بن سبأ وكان ابن السوداء يكذب على الله ورسوله وكان علي يقول: مالي ولهذا الحميت الأسود، يعني ابن سبأ، وكان يقع في أبي بكر وعمر".

وتجول ابن سبأ في الحجاز والبصرة[٤]، لكن لم يجد له آذاناً صاغية كما وجد له في الكوفة، ولم يمكث طويلاً حتى أخرج منها سنة (٣٣هـ) لكن صلته بقيت مع المفتونين به يكاتبهم ويكاتبونه، وتختلف الرجال بينهم[٥].

---

(١) الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي، الطبعة التاسعة، المكتبة التجارية الكبرى- مصر ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص٩٧، ١١٧، ١٦٨-١٧٢.

(٢) ينظر الكوثري: فقه أهل العراق ص٥٢.

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ٣٤. والحَمِيت: المتين من كل شيء، ينظر: الفيروز آبادي: قاموس المحيط ١/ ١٥٢.

(٤) الطبري: التاريخ ٤/ ٣٢٦-٣٢٧.

(٥) ينظر الطبري: المصدر السابق ٤/ ٣٢٧، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ١٤٤، وينظر تفصيل مؤامرة ابن سبأ، والسبئية، سليمان العودة: عبدالله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ص٤٨-٤٩. ومن الكتب المفيدة الأخرى، كنّا لم نطلع عليها ونضيفها اليوم في هذا المجال:

كتاب: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين، للدكتور: محمد امحزون.

كتاب: عبد الله بن سبأ حقيقة لا خيال، للدكتور: سعدي مهدي الهاشمي.

كتاب: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، عبد الله الجميلي.

كتاب: العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، للدكتور: أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الزغيبي.

وجمع أحد الباحثين المعاصرين - جزاه الله خيراً، ولا نعلم اسمه - مصادر المسلمين ممن ذكر ابن سبأ، ومصادر الطائفة الضالّة أيضاً ونحن نورد مصادر الطائفة هنا فقط للاستدلال وتبهيت رؤوس هذه الفرقة التي تحاول باطلاً ودون جدوى إنكار مؤسس دين هذه الطائفة الخطرة التي لم يبتل الله تعالى منذ بعثة خاتم النبيّين ببليّة ومصيبة ورزيّة أكبر من فتنتهم، إلاّ الدجال !.

قال هذا الباحث الأريب والمسلم النجيب بعد أن ذكر عشرات من مصادر كتب المسلمين الذين أوردوا ذكر ابن سبأ وأخباره:

ب - المثبتين لشخصية ابن سبأ من الشيعة:

١ - ورد في تاريخ الطبري (٥/ ١٩٣) على لسان أبي مخنف - لوط بن يحيى - (ت ١٥٧هـ) وهو يصف معقل بن قيس الرياحي والذي كلفه المغيرة بن شعبة والي معاوية على الكوفة بقتال المستورد بن علفة الخارجي وأصحابه، فيصفه بأنه من السبئية المفترين الكذابين.

٢- الأصفهاني (ت ٢٨٣هـ) ذكره الدكتور أحمد الزغيبي في كتابه العنصرية اليهودية (٢/ ٥٢٨).

٣- أورد الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣هـ) في كتابه مسائل الإمامة (ص ٢٢-٢٣) ما يلي: (وفرقة زعموا أن علياً ﷺ حي لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله بن سبأ رجلاً من أهل صنعاء يهودياً.. وسكن المدائن..).

٤- ونقل القمي (ت ٣٠١هـ) في كتابه المقالات والفرق (ص ٢٠) أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادّعى أن علياً أمره بذلك.

٥- ويتحدث النوبختي (ت ٣١٠هـ) في كتابه فرق الشيعة (ص ٢٣) عن أخبار ابن سبأ فيذكر أنه لما بلغ ابن سبأ نعي علي بالمدائن، قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض.

٦ - ويقول أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ) في كتابه الزينة في الكلمات الإسلامية (ص ٣٠٥): (أن عبد الله بن سبأ ومن قال بقوله من السبئية كانوا يزعمون أن علياً هو الإله، وأنه يحيي الموتى، وادعوا غيبته بعد موته.

٧- وروى الكشي (ت ٣٤٠هـ) في الرجال (ص ٩٨-٩٩) بسنده إلى أبي جعفر محمد الباقر قوله: أن عبد الله بن سبأ كان يدّعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين - عليه السلام - هو الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وهناك أقوال مشابه عن جعفر الصادق وعلي بن الحسين تلعن فيها عبد الله بن سبأ في (ص ٧٠، ١٠٠) من نفس الكتاب.

٨- ويذكر أبو جعفر الصدوق بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) في كتاب من لا يحضره الفقه (١/ ٢١٣)، موقف ابن سبأ وهو يعترض على علي ﷺ رفع اليدين إلى السماء أثناء الدعاء.

وزادت فتنة السبأية يوماً بعد يوم حتى إذا بويع علي ﷺ وخطب الناس قام ابن سبأ وأظهر جانباً كبيراً من مخططه، يروي ابن عساكر عن جعفر الصادق عن آبائه ﷺ، عن جابر قال: لما بويع علي ﷺ خطب الناس فقام إليه، عبد الله بن سبأ، فقال له[(١)]:

٩- وجاء عند الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) في كتاب شرح عقائد الصدور (ص ٢٥٧) ذكر الغلاة من المتظاهرين بالإسلام - يقصد السبئية - الذين نسبوا أمير المؤمنين علي والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة، فحكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل والتحريق بالنار.

١٠- وقال أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في كتبه تهذيب الأحكام (٢/ ٣٢٢) أن ابن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو.

١١- وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) في مناقب آل أبي طالب (١/ ٢٢٧-٢٢٨).

١٢- وذكر ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥هـ) في شرح نهج البلاغة (٢/ ٩٩) ما نصه: (فلما قتل أمير المؤمنين عليه السلام أظهر ابن سبأ مقالته، وصارت له طائفة وفرقه يصدقونه ويتبعونه.

١٣- وأشار الحسن بن علي الحلّي (ت ٧٢٦هـ) في كتابه الرجال (٢/ ٧١) إلى ابن سبأ ضمن أصناف الضعفاء.

١٤- ويرى ابن المرتضى (ت ٨٤٠هـ) - وهو من أئمة الشيعة الزيدية -، أن أصل التشيع مرجعه إلى ابن سبأ، لأنه أول من أحدث القول بالنص في الإمامة. تاج العروس لابن المرتضى (ص ٥، ٦).

١٥- ويرى الأردبيلي (ت ١١٠٠هـ) في كتاب جامع الرواة (١/ ٤٨٥) أن ابن سبأ غال ملعون يزعم ألوهية علي ونبوته.

١٦- والمجلسي (ت ١١١٠هـ) في بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (٢٥/ ٢٨٦-٢٨٧).

١٧- يقول نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ) في كتابه الأنوار النعمانية (٢/ ٢٣٤): (قال عبد الله بن سبأ لعلي بن أبي طالب ﷺ أنت الإله حقاً فنفاه علي عليه السلام إلى المدائن وقيل إنه كان يهودياً فأسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وفي موسى مثل ما قال في علي.

١٨- طاهر العاملي (ت ١١٣٨هـ) في مقدمة مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار في تفسير القرآن (ص٦٢).

١٩- وعند المامقاني (ت ١٣٢٣هـ) في كتابه تنقيح المقال في أحوال الرجال (٢/ ١٨٣) جاء ذكر ابن سبأ ضمن نقولات عدة ساقها المؤلف من مصادر شيعية متقدمة عليه.

٢٠- أما محمد حسين المظفري (ت ١٣٦٩هـ) وهو من الشيعة المعاصرين الذين لا ينكرون وجود ابن سبأ وإن كان ينفي أن يكون للشيعة به أي اتصال. تاريخ الشيعة (ص ١٠).

٢١- أما الخوانساري فقد جاء ذكر ابن سبأ عنده على لسان جعفر الصادق الذي لعن ابن سبأ لاتهامه بالكذب والتزوير. روضات الجنات (٣/ ١٤١).

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ٤٣٠-٤٣١.

" أنت دابة الأرض[١] فقال له: أتق الله. فقال: أنت الملك، فقال أتق الله. فقال له: أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق، فأمر بقتله، فاجتمعت الرافضة[٢] فقالت دعه وانفه إلى ساباط المدائن[٣]، فإنك أن قتلته بالمدينة- يعني الكوفة- خرج أصحابه علينا شيعته فنفاه إلى ساباط المدائن فثم القرامطة والرافضة- أي كانت بعد ذلك وبجهود ابن سبأ مركزاً يتجمعون فيه، قال- أي جابر- ثم قامت إليه طائفة وهم السبئية وكانوا أحد عشر رجلاً فقال: ارجعوا فإني علي ابن أبي طالب مشهور، وأمي مشهورة، وأنا ابن عم محمد ﷺ فقالوا: لا نرجع دع داعيك فاحرقهم في النار وقبورهم في صحراء أحد عشر مشهورة.

فقال: من بقي ممن لم يكشف رأسه منهم علينا، أنه إله، واحتجوا بقول ابن عباس[٤]: (لاَ يُعَذِّبُ بِالنَّارِ إِلاَّ خَالِقُهَا) ".

وهذه الرواية رغم ما فيها من نكارة في متنها حيث أن القرامطة لم تظهر ذلك اليوم ولم يكونوا معروفين، كما أنه لا يليق بأمير المؤمنين علي ﷺ أن يقول عن نفسه - وهو يهدد عدوه- بأنه ابن رجل مشهور، وامرأة مشهورة.

---

(١) دابّة تظهر في آخر الزمان، وهي علامة من علامات الساعة الكبرى، وقد ذكرها القرآن الكريم ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢]، وتسمى أيضاً الجساسة ينظر بعض الأحاديث الواردة في حقها وقد رواها عدد من أئمة الحديث، منهم: مسلم، وأبي داود. ينظر: (شرح صحيح مسلم ١٨/ ٧٨-٨٤) أبو داود: السنن ٤/ ١١٥-١١٧ (٤٣٢٥-٤٣٢٦).

(٢) سموّ رافضة، أما لرفضهم الإسلام، أو لرفضهم الإمام، فقد ورد في مسند الإمام أحمد عن إبراهيم بن حسن بن حسن بن علي، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يظهر في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة، يرفضون الإسلام).

وذكر البخاري في ترجمة إبراهيم المذكور بلفظ: (يكون قوم نبزهم الرفض، يرفضون الدين) وكأنه لم يره ضعيفاً، حيث لم يجرح أحد رواته، وذكره أيضاً: الحافظ ابن حجر في التعجيل عن المسند، فلم يذكر له علة. ينظر: البنا: أحمد عبد الرحمن الساعاتي (ت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الناشر الحديث، القاهرة ٢٤/ ٧٠. البخاري: التاريخ الكبير ١/ ٢٧٩ (٨٩٦) (ترجمة إبراهيم بن حسن)، ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث ص٨١.

(٣) المعروف بساباط كسرى، موضع معروف بالمدائن، قرب بغداد. ينظر: الياقوت: معجم البلدان ٣/ ١٦٦ (ساباط كسرى).

(٤) روي باختلاف يسير (لا يعذب بالنار إلا رب النار) ينظرمسند أحمد ٢٥/ ٤٢١ (١٦٠٣٤) أبو داود: السنن ٣/ ٥٥ (٢٦٧٣-٢٦٧٥)، والحديث رواه عدد آخر من أئمة الحديث، ينظر تفصيل ذلك وكذلك خلاف العلماء في جواز ذلك وعدمه، ابن حجر: فتح الباري ٦/ ١٤٩-٢٥١.

ولعل بعض الجمل والعبارات قد أدرجت وأضيفت إلى أصل الرواية- أن صح سندها- . ولكن هناك روايات عديدة تقوي هذه الرواية مضمونا.

وأحسنها ما ذكره الحافظ ابن حجر من طريق عبد الله بن شريك[(١)] العامري عن أبيه قال: قيل لعلي أن هنا قوماً على باب المسجد يدّعون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا. فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر[(٢)] فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام فقال: ادخلهم، فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر ائتني بفعلة معهم مرورهم فَخُدَّ لهم أخدوداً بين باب المسجد والقصر وقال: احفروا فابعدوا في الأرض، وجاء بالحطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم حتى إذا احترقوا. قال:

إني إذا رأيـــت أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبراً

قال ابن حجر هذا سند حسن"[(٣)].

هكذا انتشرت السبئية انتشاراً واسعاً في الكوفة، والعراق كله وضمت تحت أجنحتها طائفة كبيرة من الروافض المتهودة[(٤)] ومن جانب آخر فقد زحف على هذه المدينة عدد كبير من الموالي

---

(١) الكوفي، اختلفت أقوال العلماء فيه، وكان من أصحاب مختار الثقفي، ثم تاب لم أقف على تاريخ وفاته: ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣٩ (٤٣٧٩)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤٢٢ (٣٧٦).

(٢) قَنبَر، مولى علي، لم يثبت حديثه، لم أقف له على ترجمته، له ذكر، ينظر الطبري: المصدر السابق٤/ ٥٦٣، الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٣٩٢ (٦٩٠٥)، الكشي: معرفة أخبار الرجال ص ٤٨.

(٣) فتح الباري ١٢/ ٠ ٢٧، وينظر تأيد ذلك وتفصيله، النوبختي: فرق الشيعة ص ٧، القمي: سعد بن عبد الله، أبي خلف الأشعري (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٣) المقالات والفرق، (تحقيق محمد جواد مشكور، مطبعة حيدري - طهران ١٩٦٣م) ص ١٩ -٢٠، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٥/ ٥-٨، و ٨ / ١٢٠ (طبعة البابي الحلبي ١٩٥٩م)، الحلي: تقي الدين، الحسن بن علي بن داود، كتاب الرجال، مطبعة جامعة طهران، ١٣٤٢هـ ص ٤٦٩، القهبائي: زكي الدين، المولى عناية الله علي: مجمع الرجال، تحقيق الحاج ضياء الدين (الشهير بالعلامة الأصبهاني)، طبعة أصفهان ١٣٨٤هـ ٣/ ٢٨٤ - ٢٨٦.

(٤) فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٨ م ص١٤٨، ٢٣٩.

الفرس، وكانوا قريبي العهد بالإسلام، ولا زالت عقائد المانوية والمزدكية، والمجوسية القديمة كانت ماثلة أمام أعينهم ومطبوعة في أدمغتهم، وكانوا يشكلون نصف سكان الكوفة.

يقول المستشرق فلهوزن[١]:

"... وكانوا يؤلفون أكثر من نصف سكان الكوفة وفي أيديهم الحرف اليدوية والمهن والتجارة، و ترك لهم العرب المشغولون بالحرب والقتال مرافق الحياة المدنية، وكانت غالبيتهم - من حيث الأصل واللغة- من الفرس، جاؤوا أسرى إلى الكوفة، واعتنقوا الإسلام هناك ثم اعتقهم ساداتهم ...الخ".

ثم اجتمع هؤلاء مع هؤلاء وأصبحوا حزباً معارضاً واحداً، أو شكلوا بالأحرى حزباً معارضاً لتشابه عقائدهم وأفكارهم، وتطابق مختطاطتهم ونواياهم، فأصبح الموالي يعني السبئية والسبئية تعني الموالي الفرس[٢].

وكان هدف هؤلاء في الحقيقة القضاء على الإسلام، قضاءً تاماً، كما تبين ذلك في ثورة المختار[٣]، حيث إلتفّ جميع هؤلاء حول رايته، وكان المختار يتخذ منهم (الفرس) حرسه الخاص[٤].

وحينما وقعت المعركة بينه وبين جند مصعب بن الزبير، فرَّ جميع من كان معه من العرب، ولم يبق معه في ساحة القتال إلا من هو فارسي الأصل ويقدر عددهم بعدة آلاف، بينما لم يكن معه من العرب إلا عدد قليل. ولم تنجح هذه المؤامرة حيث قتل المختار وعدد كبير ممن معه من الفرس في ١٤ رمضان سنة (٦٧هـ/ ٦٨٧م)[٥].

---

(١) المصدر نفسه ص ٢١١-٢١٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٣) المختار بن أبي عبيد بن مسعود، ثار على الأمويين، وادعى النبوة، وربما هو أول من قال بالبداء، قتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة (٦٧هـ) ينظر تفصيل ذلك الطبري: المصدر السابق ٦/ ١٠٥-١١٠، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٥١٨-٥٢٠ (٨٥٤٥)، البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ/ ١١٣٤م) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط القاهرة ١٩١٠ م ص٣١-٣٧، الكشي: معرفة أخبار الرجال ص ٨٤، العبر ١/ ١٣.

(٤) ينظر فلهوزن: المصدر السابق ص٢١٢.

(٥) ينظر الطبري: المصدر السابق ٦/ ١٠٥-١١٠، ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ٥١٨-٥٢٠، وينظر كذلك: فلهوزن: المصدر السابق ص٢٣٠-٢٣١.

لما فشل معسكر الفرس في المؤامرة والمواجهة العسكرية، مع المسلمين، غيّر الفرس خطتهم، بنوع آخر من الحروب أشد ضرراً وضراوة، وهي الحرب العقائدية، والفكرية، بدئوا يتآمرون على الإسلام عقيدة وشريعة وتاريخاً، وذلك بتحريف ووضع الأخبار، وزرع الفتنة والبلبلة بين الناس، يذكر عاصم الأحول[١] (ت ١٤٢هـ) أنه شهد مجلساً يتصدره أعجمي لا يحسن نطق العربية، ومع ذلك فهو شيخ يجلس الناس في حضرته كأن على رؤوسهم الطير[٢].

كما أن الكوفة خاصة، والعراق بوجه أعم كان مسرحاً خصباً للتحزب والسياسة، ومشحوناً بأنواع كثيرة من الفرق والجماعات والولاءات السياسية والدينية، كالخوارج، والشيعة الأموية، ثم الشيعة العباسية ...الخ[٣].

فتلكم الأسباب- متفرقة، أو مجتمعة - قد أدت بأئمة المسلمين في الحجاز والشام ومصر وغيرها من بلاد الإسلام أن يحذروا من أحاديث أهل الكوفة، والعراقيين بشكل عام[٤].

٣- بعض أقوال السلف والعلماء في أهل الكوفة[٥]:

---

(١) عاصم بن سليمان، أبو عبد الرحمن البصري (ثقة ت ١٤٢هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٩-١٥٠ (١٤٤)، تقريب التهذيب ١/ ٣٨٤ (٩).

(٢) ينظر ابن حبان: المجروحين من المحدثين ٢/ ٢٨.

(٣) ينظر العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص٢٠-٢١.

(٤) لقد حاول العلاّمة الكوثري رحمه الله أن يشكك ويقلل من أهمية جرح أهل الكوفة، والروايات الواردة في ذلك، وذهب إلى أن تلك الروايات، وضعت على ربيعة الرأي، ومالك بن أنس، في انتقاص أهل العراق، وهذا وهم منه رحمه الله، للأسباب التي ذكرناها، والتي سنذكرها في الفقرات الآتية . ينظر: فقه أهل العراق وحديثهم ص٤٢.

(٥) حاول ابن عبد ربه أن يجمع بعض تلك الصفات ويلخصها من أقوال العلماء فقال:

"ومما نقم على أهل الكوفة: أنهم أغدر الناس، طعنوا الحسن بن علي رضي الله عنه وانتهكوا عسكره، وخذلوا الحسين بن علي بعد أن استدعوه حتى قتل، وشكوا سعد بن أبي وقاص، إلى عمر بن الخطاب، وزعموا أنه لا يحسن أن يصلي، فدعا عليهم، أن لا يرضيهم الله عن وال، ولا يرضى والياً عنهم، وقد دعا عليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: اللهم ارمهم بالغلام الثقفي-يعني الحجاج-وشكوا عمار بن ياسر والمغيرة بن شعبة، وطردوا سعيد بن العاص، وخذلوا زيد بن علي، وادعى النبوة منهم غير واحد، منهم المختار بن أبي عبيد ...الخ".

ينظر: ابن عبد ربه: أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م ٧/ ٢٤١، وينظر كذلك: نهج البلاغة (المنسوب إلى علي رضي الله عنه) شرح الشيخ محمد عبده مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت ١ /٦٧-٧٠، ٧٣-٧٥،

قال أبو حنيفة: لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال:

"من أين أنت؟ قلت من أهل الكوفة! قال: أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؟ قلت: نعم! قال: فمن أي الأصناف أنت؟ قلت ممن لا يسب السلف ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحداً بذنب، قال: فقال لي عطاء. عرفت فالزم"[١].

وروى ابن سعد عن الأعمش، قال[٢]:

"والله لا تأتون - أهل العراق - أحداً إلا حملتموه على الكذب، والله ما أعلم من الناس أحداً، هو شراً منهم".

أن كثرة الوضع على أيدي اليهودية والمجوسية والفرق الضالة التابعة، للتحالفين، في هذه البلدة أدى إلى إعطاء فكرة سلبية سيئة للغاية عن العراقيين بشكل عام، وإضعاف الدور الذي كانت تقوم به هذه البلدة، بل السخرية منها.

فهذا أحد العبادلة الأربعة وأحد الأتقياء من أصحاب رسول الله ﷺ عبد الله بن عمرو بن العاص يحذر من العراقيين ومن كذبهم، حيث يلتقي به جمع من أهل العراق بمكة طالبين منه أن يحدثهم فيقول لهم[٣]:

"إن من أهل العراق قوماً يكذبون، ويكذبون، ويسخرون".

وكان الإمام مالك لا يروي عن أحد من الكوفيين سوى عبد الله بن إدريس[٤] الذي كان على مذهبه[٥]، كما أنه كان يقول عن أحاديث أهل العراق[٦]:

==

١٤١، ١٤٢ وصفحات أخرى، (خطب علي في أخلاقهم وصفاتهم)، القيعي: نظرات في السنة، (دعاء سعد عليهم) ص٢٨٤.

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣١.

(٢) الطبقات الكبرى ٦/ ٣٤٢.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٢٦٧-٢٦٨.

(٤) عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي الكوفي، العلم، القدوة، الفقيه، الثقة، العابد، كان صديق مالك، وروى مالك عنه أكثر موطأه، وكان على مذهب أهل المدينة (ت ٩٢هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨٢-٢٨٤ (٢٦٢)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤٠١ (١٨١).

(٥) ينظر ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٣.

(٦) الذهبي: منهاج الاعتدال ص٨٨.

"انزلوها منزلة أحاديث أهل الكتاب أي لا تصدقوها ولا تكذبوها". ذكر له عبد الرحمن بن مهدي أن ما سمعه من الحديث بالمدينة خلال أربعين يوماً يسمعه في يوم واحد بالعراق، فكان جواب مالك:

من أين لنا دار الضرب التي عندكم؟ تضربون بالليل وتنفقون بالنهار[١].

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها، قد أشارت إشارة واضحة في أن في العراق أيادي خبيثة - وأشارت إلى أهل الكتاب- الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويضعون الأخبار على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه الكرام، وأهل بيته العظام.

لما جيء إلى السيدة عائشة بأخبار قتل (ذو الثدية)[٢] من الخوارج في وقعة (حَرْورَاء)[٣] قالت رضي الله عنها لعبد الله بن شداد[٤] - الذي جاءها بخبر قتله - ... في حوار بينهما:

"... فما شيء بلغني، عن أهل الذمة يتحدثونه يقولون: ذو الثدي، وذو الثدي؟ قال عبد الله: قد رأيته وقمت مع علي عليه في القتلى، فدعا الناس،

فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يصلي، ورأيته في مسجد بني فلان يصلي ولم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذلك.

قالت: فما قول علي حين قام عليه، كما يزعم أهل العراق؟.

قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله.

قالت: هل سمعت أنه قال غير ذلك؟.

قال: اللهم لا.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٨٨.

(٢) وهو أحد رجال الخوارج، إحدى يديه مثل ثدي المرأة، له حَلَمة عليها شعرات سود، وقد اخبر النبي بذلك في الصحيح، وبقتالهم مع فرقة من الناس وهم أصحاب علي رضي الله عنه: ينظر: فتح الباري ١٠/ ٥٥٢ (٦١٦٣)، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٨٨، الكامل في التاريخ ٣/ ١٧٥.

(٣) قرية على بعد ميلين من الكوفة، ونسبت إليها فرقة من الخوارج وهم: الحرورية، وقد انشقت هذه الفرقة عن علي رضي الله عنه، حين حكمَّت الحكمان، وآذنوه بالحرب وذلك سنة (٣٧هـ) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٥/ ٥٧ وما بعدها، الياقوت: معجم البلدان ٢/ ٢٤٥ (حَرَوراء).

(٤) عبد الله بن شَّداد بن أَلْهَاد، الليثي، ولد على عهد رسول الله ﷺ، تابعي ثقة(ت٨١هـ) ينظر: ابن عبد البرّ: الاستيعاب ٢/ ٣٨٨، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤٢٢ (٣٧٤).

قالت: أجل صدق الله ورسوله.

يرحم الله علياً، أنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال:

صدق الله ورسوله. فيذهب أهل العراق يكذبون عليه، ويزيدون عليه في الحديث"[١].

لكن سيبقى سؤال هل أن العلماء رفضوا كل ما يصدر عن أهل الكوفة والعراقيين ؟!.

٤- أن ما ذكرناه وما نقلناه عن أئمة الإسلام في الحذر من أهل العراق ليس معناه ترك روايات العراقيين نهائياً، بل كان المقصود بذلك، هم: أتباع التحالف اليهودي المجوسي، وأتباعهم من الضلّال، لأن الكوفة كانت مقرهم، وعاصمة حركتهم.

كاد أن يفقد أئمة الحديث الثقة بأخبار وعلماء هذا القطر، لولا قيام جهابذة الحديث ورجاله بالكشف عن الكذابين، وبيان أحوالهم.

والذي يبين ويوضح موقف هؤلاء الأئمة أنفسهم بقبول رواية العراقيين، والإشادة بأحاديثهم، وإمامتهم في الحديث، والفقه، والعربية، والتاريخ وغيرها، وقد أشادوا بعظمة ممن عرفوا بالصدق، وصحة العقيدة.

ومن ذلك ما ذكرنا سابقاً ما يرويه لنا ابن المديني إذ يقول[٢]:

"دار حديث الثقات على ستة: رجلان بالبصرة، رجلان بالكوفة، ورجلان بالحجاز، فأما اللذان بالبصرة، فقتادة، ويحيى بن أبي كثير[٣]، وأما اللذان بالكوفة فأبو إسحاق، والأعمش، وأما اللذان بالحجاز، فالزهري وعمرو بن دينار[٤]... ثم صار حديث هؤلاء إلى اثني عشر، منهم

---

(١) الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة ص١٧٨، وينظر كذلك: مسند أحمد ١/ ١٧٨، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٨٨، ابن الأثير: المصدر السابق ٣/ ١٧٥.

(٢) ابن عدي: الكامل في الضعفاء ١/ ٥٢، ابن حبان: المجروحين من المحدثين ١/ ١٧-١٨. وهذه الإحصائية، وهذه الشهادات، من الجهابذة من أهل العلم، تثبت أن العلم منبعه العراق، وأن من يعتمد عليه في كل باب - غالباً - هو عراقي !.

(٣) يحيى بن أبي كثير، أبو نصر الطائي (مولاهم) الإمام، أحد الأعلام، ثقة، إمام (ت ١٢٩هـ) ينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ٣ /٦٦- ٧٥ (٢١٠) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٨-١٢٩ (١١٥)، الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٤٢٧.

(٤) عمرو بن دينار، أبو محمد الجمحي (مولاهم) المكي الأثرم، عالم الحرم، الفقيه، ثقة (ت ١٢٦هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ١/ ١١٣-١١٤ (٩٨)، ص٢٨٨.

بالبصرة: سعيد بن أبي عروبة[١] وشعبة بن الحجاج، ومعمر بن راشد[٢]، وحماد بن سلمة، وجرير بن حازم[٣]، وهشام الدستوائي[٤] وصار بالكوفة: إلى الثوري، وابن عيينة، وإسرائيل[٥]. وصار بالحجاز إلى: ابن جريج، ومحمد بن إسحاق، ومالك، وأبو زرعة[٦] فصار حديث هؤلاء كلهم إلى يحيى بن معين".

ويذكر ابن تيمية بعد أن ذكر كذب أهل الكوفة[٧]:

"ومع هذا أنه كان في الكوفة وغيرها من الثقات الأكابر كثير".

وإن من يطلع على كتاب شرح علل الترمذي، ليطمئن تماماً إلى ما قلنا وما ذهبنا إليه، وإليك شيء من ذلك.

يذكر الإمام ابن رجب الحنبلي باباً في كتابه[٨] تحت اسم: معرفة مراتب أعيان الثقات، الذين تدور غالب الأحاديث الصحيحة عليهم وبيان مراتبهم في الحفظ وذكر من يرجح قوله منهم عند الاختلاف. ثم يأتي إلى ذكر كل أهل مِصر من هؤلاء.

فيبدأ بالحجاز ثم يقول:

---

(١) سعيد بن مهران، أبو النضر العدوي (مولاهم) البصري، الإمام الحافظ، وثقه ابن معين والنسائي (ت ١٥٦هـ) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٣٠٢ (٢٢٦).

(٢) معمر بن راشد أبو عروة الأزدي (مولاهم)، عالم اليمن، الحجة، الثقة، له أوهام خاصّة أحاديثه بالبصرة (ت ١٥٣هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٩٠-١٩١ (١٨٤)، ميزان الاعتدال ٤/ ١٥٤ (٨٦٨٢)

(٣) جرير بن حازم، أبو النضر الأزدي البصري، أحد الأئمة الكبار الثقات، وهو من صغار التابعين، تغير قبل موته بسنة (ت ١٧٠هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٩٢-٣٩٣ (١٤٦١)، الخزرجي: المصدر السابق ص٦١.

(٤) هشام بن سنبر الربعي أبو بكر البصري، الحافظ الإمام، أمير المؤمنين بالحديث رُميَ بالقدر، وقيل رجع منه (١٥٣هـ) ينظر: حلية الأولياء ٦/ ٢٧٨-٢٨٦ (٣٧٦)، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٤ (١٥٩)، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٠ (٩٢٢٩)، خلاصة التذهيب ص٤١٠.

(٥) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السَبيعي، الحافظ، الصالح الخاشع، ثقة خرّج له الشيخان (ت ١٦٢هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢١٤ (٢٠١)، الخزرجي: المصدر السابق، ص٣١.

(٦) ينظر ترجمته الملحق رقم (٣).

(٧) منهاج الاعتدال ص٨٨.

(٨) ينظر: ابن رجب: شرح علل الترمذي ٢/ ٦٦٥.

" ذكر أهل البصرة: وقد ذكر عدداً كبيراً من الأئمة الثقات من أهل البصرة، ونحن نذكر الأئمة الكبار فقط للاعتبار[١]. الحسن البصري وأصحابه، محمد بن سيرين وأصحابه، أصحاب ثابت البُناني[٢]، أصحاب قتادة بن دعامة الدوسي، أصحاب أيوب السختياني أصحاب شعبة، أصحاب معمر بن راشد، أصحاب حماد بن سلمة.

ومن أهل الكوفة: أصحاب عامر بن شراحبيل الشعبي، أصحاب أبي إسحاق السبيعي، أصحاب إبراهيم بن يزيد النخعي، أصحاب الأعمش، أصحاب منصور بن المعتمر[٣] أصحاب سفيان بن سعيد الثوري"[٤].

كما أن الإمام ابن القيم الجوزية قد خصص حوالي ثلاث صفحات من كتابه (أعلام الموقعين)[٥]، لكبار أئمة أهل العلم من المفتين والقضاة والمجتهدين والأئمة الأعلام في البصرة والكوفة.

يقول عن المفتين بالبصرة[٦]:

"وكان من المفتين بالبصرة، عمرو بن سلمة الجرمي[٧]، وأبو مريم الحنفي[٨]، وكعب بن

---

(١) لكنه رحمه الله ذكر لكل واحد منهم، عدداً من الثقات الذين نقلوا عنه وذكرهم واحداً واحداً، مثل أصحاب ثابت البناني، قال: وفيهم كثرة وهم على ثلاث طبقات:
الثقات: كشعبة، وحماد بن زيد، سليمان بن مغيرة، حماد بن سلمة، ومعمر ... الخ. ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٦٩٠.

(٢) ثابت بن مسلم البُناني، العالم الزاهد، الثقة، أعبد أهل زمانه (ت ١٢٧هـ) ينظر: أبو نعيم: المصدر السابق ٢/ ٣١٨-٣٣٣ (١٩٧)، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٣٦٢-٣٦٣ (١٣٥٤).

(٣) منصور بن المعتمر أبو عتاب السلمي الكوفي: الصوّام القوّام، الحافظ الحجة صام اربعين سنة وقام ليلها (ت ١٣٢هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ٥/ ٤٠-٤٦ (٢٨٧)، ١/ ١٤٢-١٤٣ (١٣٥).

(٤) ينظر: ابن رجب: شرح العلل ٢/ ٦٨٥-٧٢٦، وقد خصص لأهل هذين البلدين حوالي (٤١) صفحة.

(٥) ينظر: ١/ ٢٤-٢٦.

(٦) ابن القيم: اعلام الموقعين ١/ ٢٤-٢٦.

(٧) عمرو بن سَلِمة بن قيس الجَرْمي، أبو بريد، وقيل أبو يزيد، صحابي صغير لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: ابن حجر: الإصابة ٢/ ٥٤١ (٥٨٥٧)، تقريب التهذيب ٢/ ٧١ (٥٩٨)، الخزرجي: المصدر السابق ص٢٨٩.

(٨) القاضي، اسمه إياس بن صبيح، مقبول، لم أقف على تاريخ وفاته: ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٢/ ٢٣٢-٢٣٣ (١٠٥١)، تقريب التهذيب ٢/ ٤٧٢ (٥٣).

سود[١]، والحسن البصري، وأدرك خمسمائة من الصحابة، ... وأبو الشعثاء جابر بن زيد ومحمد بن سيرين، وأبو قِلابة عبد الله بن زيد الجرمي[٢]، ومسلم بن يسار[٣]، وأبو العالية، وحميد بن عبد الرحمن[٤]... الخ.

ومن أهل الكوفة: علقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد النخعي، وهو عم علقمة، وعمرو بن شرحبيل الهمذاني[٥]، ومسروق بن الأجدع الهمذاني[٦]، وعبيدة السلماني[٧]، وشريح بن الحارث القاضي[٨]، وسليمان بن ربيعة الباهلي[٩]، وزيد بن صوحان[١٠] وسويد بن غَفَلة[١]... الخ".

---

(١) والصحيح كعب بن سور بن بكر الأزدي (وسماه الزركلي في الأعلام ابن سود أيضاً) خطأ هو وهم ربما من النسّاخ، قيل أدرك النبي ﷺ ولاه عمر قضاء البصرة وهو أول قاضي لها، تابعي (ت ٣٦هـ) في معركة الجمل ينظر: وكيع: أخبار القضاة ١/ ٢٧٤، ٢٨٧، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٣١٤-٣١٥ (٧٤٩٣).

(٢) عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر، الزاهد الناسك، ثقة، فاضل (ت ١٠٤هـ) ينظر: أبو نعيم: المصدر السابق ٢/ ٢٨٢-٢٨٩ (١٩٢)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤١٧(٣١٩).

(٣) مسلم بن يسار الأموي البصري أبو عبد الله، الفقيه، العابد، مفتي البصرة (ت ١٠٠هـ) أو بعدها ينظر: أبو نعيم: المصدر السابق ٢٩٠-٢٩٨ (١٩٣)، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٢٤٧ (١١١٠).

(٤) حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري، ثقة فقيه، لم أقف على وفاته ينظر: ابن حجر: المصدر نفسه ١/ ٢٠٣ (٦٠٥)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٩٤.

(٥) أبو ميسرة الكوفي، مخضرم، ثقة، عابد (ت ٦٣هـ) ينظر المصدران نفسيهما: ٢/ ٧٢ (٦٠٥)، ص٢٩٠.

(٦) مسروق بن الاجدع بن مالك الهمذاني، أبو عائشة الكوفي، أحد الأعلام، ثقة، زاهد عابد (ت ٦٣هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٤٩-٥٠ (٢٦)، الإصابة ٣/ ٤٩٢-٤٩٣ (٨٤٠٦).

(٧) عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الكوفي، العالم، الفقيه(ت ٧٢هـ) على الصحيح ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٥٠ (٢٧)، الخزرجي: المصدر السابق ص٢٥٦.

(٨) الكندي أبو أمية الكوفي الفقيه، يقال أنه مخضرم، استقضاه عمر وعلي ﷺ على الكوفة (ت ٧٨هـ) على الصحيح ينظر: وكيع: أخبار القضاة ٢/ ١٨٩-٣٨١، أبو نعيم: حلية الأولياء ٤/ ١٣٢-١٤١ (٢٥٦)، وينظر أيضاً ترجمته بالتفصيل مع سيرته: محمصاني: صبحي محمصاني: المجتهدون في القضاء، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين-بيروت ١٩٨٠ ص١٥-٢٥.

(٩) أحد قواد أمير المؤمنين عثمان ﷺ، غزا بَرْذَعَة سنة (٢٥هـ) فقتل وسبى، لم أقف على أكثر من ذلك من ترجمته ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام ص٣١٢ (حوادث عهد الراشدين)، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ٣٥، الحموي: معجم البلدان ١/ ٣٨٠ (برذعة).

(١٠) زيد بن صوحان بن حجر: العبدي، تابعي من أهل الكوفة، أحد الشجعان الأبطال شارك في فتح نهاوند، فقطع شماله فيها فقتل سنة (٣٦هـ) يوم الجمل ينظر: ابن سعد الطبقات الكبرى ٦/ ٨٥، الخطيب: تاريخ بغداد ٨/ ٤٣٩-٤٤٠- (٤٥٤٩).

متى ظهر الوضع ؟

١ - يكاد يكون الجواب على هذا السؤال صعبا، حيث أن تحديد بداية الوضع أمر مختلف فيه بين العلماء.

فمن قائل أن بداية الوضع كان في عهد النبي ﷺ[٢]، ومن قائل أن أول الوضع كان في عهد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه[٣]. وذهب آخرون إلى أن أول من وضع على رسول الله وعلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هو عبد الله بن سبأ اليهودي[٤].

ذهب السباعي (رحمه الله) أن سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخلوصها من الكذب والوضع[٥]، وذهب فريق خامس إلى أن بداية الوضع كانت بعد حدوث الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وأن الشيعة بدأوا بالوضع لصالح علي رضي الله عنه[٦].

وزعم (جاينبول) أن الوضع كان في منتصف المائة الأولى فصاعداً وأوعز ذلك إلى إجماع فقهاء المسلمين[٧]. !!.

==

(١) أبو أمية الجعفي، مخضرم، من كبار التابعين (ت ٨٠هـ) ينظر: ابن حجر: الإصابة ٢/ ١١٨ (٣٧٢٠)، تقريب التهذيب ١/ ٣٤١ (٦٠٣).

(٢) ينظر أحمد أمين: فجر الإسلام، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٩ م ١/ ٢١١ حيث استنتج من قوله ﷺ: (من كذب عليّ متعمّداً فَليتبّوأ مقعده من النار)، أنه لولا الوضع في زمانه ما توعد الوضّاعين بالنار. والحديث رواه البخاري ومسلم وأهل السنن وأحمد والدارمي وغيرهم: ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٣/ ١٦٠ (١٢٩٠)، السيوطي: الجامع الصغير: ٢/ ٦٤١ (٨٩٩٣).

(٣) ينظر السيوطي: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، نشر المكتبة التجارية-القاهرة ١/ ٣١٨، قال أبو ثور الفهمي: قدمت على عثمان فصعد ابن عُديس -وهو عبد الرحمن بن عديس اشترك في مقتل أمير المؤمنين عثمان -المنبر وقال: إلا أن عبد الله بن مسعود حدثني، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إلا أن عثمان أضلّ من عبيدة على بعلها)، فأخبرت عثمان فقال: كذّب والله ابن عديس، ما سمعها من ابن مسعود، ولا سمعها ابن مسعود من رسول الله ﷺ قط. ينظر: الطبري: المصدر السابق ٤/ ٣٩٠، السيوطي: المصدر السابق ١ / ٣١٨، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص١٨٧ - ١٩٠، العمري: بحوث في تاريخ السنة ص١٨.

(٤) ينظر: تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧/ ٤٣، وكان ذلك في حدود (٣١-٣٣هـ).

(٥) ينظر السباعي: السنة ومكانتها ص٧٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ص٧٩-٨١، الصباغ: محمد: الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، علومه، كتبه، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م ص١٢٣.

(٧) G. M. Guynboll: The a Uthenticity of The Tradition, Literaturedicussion in Modern Egypt Leiden, Brill 1969 p. 100

بعد هذا الاستعراض السريع لآراء العلماء في هذا الموضوع، نقول: إنّ ما ذهب إليه أحمد أمين من أن الوضع كان في عهد النبي ﷺ في الحقيقة هو تخمين وظن لا يستند إلى واقع، حيث أن الاستدلال بالحديث الذي استدل به[(١)] في غير محله.

وإنما هو نوع من الإعجاز بما سيقع في الأمور المستقبلية، مثلما أخبر النبي ﷺ عن أويس القرني[(٢)]، ووطء المسلمين لإيوان كسرى، وغيرها من الأخبار الكثيرة التي تتعلق بالساعة واماراتها . . . الخ[(٣)].

لكن من الإنصاف، ومن الالتزام بالمنهج العلمي الإسلامي الذي اخترناه، أن نذكر هنا خبرين، ربما قد استند إليهما أحمد أمين - إن كان قد اطلع عليهما - ونستبعد ذلك[(٤)]، لكنه يؤيد المنحى الذي ذهب إليه.

أولهما: يحكي بعض أهل التفاسير وبعض أهل الحديث بطرق عديدة وأحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده[(٥)] في سبب نزول قوله تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦].

---

(١) وهو: حديث: (من كذّب عليّ متعمداً).

(٢) أويس بن عامر بن جزء (على اختلاف في اسمه واسم أبيه) بن مالك بن عمرو، الزاهد المشهور والعابد التقي، من الطبقة الأولى من تابعي الكوفة، كان ثقة، وسماه النبي (خير التابعين) وكان مستجاب الدعوة، قتل يوم صفين مع علي ﷺ سنة (٣٧هـ) ينظر: أبو نعيم: المصدر السابق ٢/ ٧٩-٨٧ (١٦٢) ابن حجر: الإصابة ١/ ١١٥-١١٧ (٥٠٠)، وينظر الحديث وأحاديث أخرى في فضائل اويس مما رواه مسلم: (النووي: شرح صحيح مسلم ١٦/ ٩٤-٩٦).

(٣) ينظر السباعي: المصدر السابق ص٢٣٩، وجميع كتب الحديث أبواب الفتن، وأشراط الساعة وإمارتها.

(٤) حيث أنني قد توقعت أولاً أنه استنتاج وذكاء منه لفهم بعض الأحاديث لكنه تبين لي بعد أنه كما يقول السباعي -أن هذا لم يكن وليد بحثه وفكره، بل أخذه من الروافض- من الكتاب المنسوب إلى علي ﷺ نهج البلاغة. ينظر: المصدر نفسه ص٢٤١، وينظر قريب النص الذي نقله أحمد أمين: ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٧م) شرح نهج البلاغة، مراجعة وتحقيق لجنة إحياء الذخائر، مكتبة الحياة - بيروت ٥/ ١٦٩، وقصد أولئك الروافض الزنادقة الطعن بأصحاب رسول الله ﷺ.

(٥) ينظر التفصيل والحديث: مسند أحمد ٣٠/ ٤٠٤ (١٨٤٥٩).

وملخص تلك القصة كما ذكرها الحافظان ابن عبد البر، وابن حجر[١]:

أن رسول الله ﷺ بعث وليد بن عقبة بن أبي معيط[٢] مصدقاً (أي يأخذ الصدقة منهم) إلى بني المصطلق، ولما وصل إلى مشارف ديارهم، عاد دون اللقاء بهم، فأخبر عنهم أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة: وكانوا خرجوا يتلقونه وعليهم السلاح، فظن أنهم خرجوا يقاتلونه، فرجع فبعث إليهم رسول الله، خالد بن الوليد[٣] فأخبره بأنهم على الإسلام، فنزلت الآية.

وبعد إمعان النظر في إسناد، ومتن، هذا الخبر يظهر جلياً بأن الخبر مضطرب في سنده، ومتنه، وقد أشار ابن حجر وابن كثير في المصادر التي ذكرناها إلى طرف من تلك التناقضات، وإذا كان الأمر هكذا فلا يمكن الاعتماد على خبر مثل هذا، وبناء قاعدة على ذلك بأن الوضع عليه قد بدأ في زمن النبيّ ﷺ.

ولو فرضنا أن الخبر جيد في سنده وفي متنه، فإن مضمونه يفيد قطعاً أنه كان خائفاً منهم لاحْنَة (بغضاء وعداوة) كانت بينه وبينهم كما ذكرها القرطبي[٤]، وفي رواية ابن عبد البر فهابهم ولم يعرف ما عندهم[٥].

وفي رواية ابن حجر: وكانوا خرجوا يتلقونه وعليهم السلاح، فظن أنهم خرجوا يقاتلونه[٦]، وموقف مثل هذا يغلب على صاحبه الظن[٧] أنهم جاءوا لقتله (لعداوة بينهم) أو ظن أنهم لما تلقوه بأسلحتهم أنهم ارتدوا عن الإسلام، فتكلم بما غلب على ظنه، لكنه لم يكن مصيبا في ظنه ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) ينظر: المصادر السابقة بمجلداتها وصفحاتها، وينظر أيضاً: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٣، ولنظر التفصيل أيضاً: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣١١، ابن كثير: تفسير القران العظيم ٤/٢٠٨-٢١٠.

(٢) أسلم عام الفتح، وليّ على الكوفة لأمير المؤمنين عثمان ﷺ، سنة (٢٥هـ) وتوفي في زمن معاوية بالرقّة، لم أقف على وفاته ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٦٣١-٦٣٧، الذهبي: تاريخ الإسلام ص٣١١ (حوادث عهد الراشدين)، الإصابة ٣/ ٦٣٧-٦٣٨ (٩١٤٧).

(٣) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي، سيف الله، وبطل الإسلام، أسلم قبل الفتح بأيام، مات على فراش الموت بحمص سنة (٢١هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ٤٠٥-٤١٠، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤١٣-٤١٥ (٢٢٠١).

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣١١.

(٥) ينظر: الاستيعاب ٣/ ٦٣٢، تهذيب التهذيب ١١/ ١٤٣.

(٦) ينظر الإصابة ٣/ ٦٣٧.

(٧) قد يأتي بمعنى اليقين، كما في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦].

وهذا يختلف تماماً عمن يكذب بدون وجود شيء يخوفه، أو يختلق الأحاديث والأخبار بدون أي خوف أو ذريعة !.

وثانيهما: خبر يرويه أحمد بن محمد الطحاوي[١] (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م) قال: حَدَّثَنَا أبو أمية[٢]، حَدَّثَنَا زَكَرِيَّا بْنُ عَدِيٍّ[٣]، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ[٤]، عَنْ صَالِحِ بْنِ حَيَّانَ[٥]، عَنِ ابن بُرَيْدَةَ[٦]، عَنْ أبيه[٧]، قال[٨]:

(كَانَ حَيٌّ مِنْ بَنِي لَيْثٍ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى مِيلَيْنِ وَكَانَ رَجُلٌ قَدْ خَطَبَ امْرَأَةً مِنْهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

---

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سُليم الأزدي الطَّحاوي الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ، مُحَدِّثُ الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ وَفَقِيْهُهَا، ، الفقيه الحنفي، رأس الحنفية في مصر كَانَ ثِقَةً ثَبْتاً فَقِيْهاً عَاقِلاً، لم يخلف مثلَه. ينظر ترجمته: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الطبعة الأولى، دائرة المعارف - حيدر آباد ١٣٥٨هـ ٦/ ٢٥٠، ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول ١٢/ ١٦٩ (٩٩) ابن خلكان: وفيات وفيات الأعيان ١/ ٧١-٧٢ (٢٥) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١٥/ ٢٧ (١٥).

(٢) محمد بن إبراهيم بن مسلم الطرسوسي أبو أمية، ثقة، صدوق، متكلم فيه من قبل حفظه توفي بطرسوس سنة ثلاث وسبعين ومائتين ذكره ابن المنادى. ينظر ابن حبان: الثقات ٩/ ١٣٧ (١٥٦٢٤) تاريخ بغداد ١/ ٣٩٤ (٣٦٥) ابن مفلح: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ٢/ ٣٣٠ (٨٤٨)

(٣) زكريا بن عدي أبويحيى الكوفي أخرج البخاري في الوصايا وغزوة أحد عن محمد بن عبد الرحيم عنه عن بن المبارك كان أبوه يهوديا فأسلم، كوفى ثقة، كان أحد أحفظ زمانه، مات ببغداد يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة ومائتين. ابن حبان: الثقات ٨/ ٢٥٣ (١٣٢٩٢) العجلي: معرفة الثقات ١/ ٣٧٠ (٥٠٠) الباجي: التعديل والجرح ٢/ ٦٢٤ (٤٠٧).

(٤) على بن مسهر بن على بن عمير بن عاصم بن عبيد بن مسهر أخو عبد الرحمن بن مسهر القرشي كنيته أبو الحسن وكان قد ولى القضاء، ثقة، صالح الحديث، مات سنة تسع وثمانين ومائة. ينظر ابن حبان: الثقات ٧/ ٢١٢ (٩٧٤٠) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٦/ ٢٠٤ (١١١٩) العجلي: معرفة الثقات ٢/ ١٥٨ (١٣١٢) الحاكم: تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم وما انفرد كل واحد منهما ص ١٨٤ (١١٥٧).

(٥) صالح بن حيان القرشي الكوفي عن ابن بريدة، متكلم فيه من قبل جمع من أئمة الجرح والتعديل، قال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ. ميزان الاعتدال ٣/ ٤٠١ (٣٧٨٨) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٣ (١٣٧).

(٦) عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي، قاضي مرو، روى عن أبيه؛ بريدة، ثقة (ت١٠٥ وقيل١١٥هـ) ينظر: المصدر نفسه ٥/ ١٥٧-١٥٨ (٢٧٠)، شذرات الذهب ١/ ١٥١.

(٧) قيل أن اسمه عامر (وبريدة لقب) بن حصيب بن عبد الله بن الحرث بن الاعرج غزا مع رسول الله ست عشرة غزوة (ت ٦٣هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ١٧٣-١٧٦، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ١٤٦ (٦٣٢).

(٨) الطحاوي: مشكل الآثار ١/ ١٦٤، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٣ (١٣٧).

فَأَبَوْا أَنْ يُزَوِّجُوهُ فَجَاءَهُمْ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ فَقَالَ:

إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَسَانِي هَذِهِ الحُلَّةَ وَأَمَرَنِي أَنْ أَحْكُمَ فِي دِمَائِكُمْ وَأموالكُمْ بِمَا أَرَى وَانْطَلَقَ فَنَزَلَ عَلَى المَرْأَةِ فَأُرْسِلَ إِلَى رَسُولِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ:

" كَذَبَ عَدُوُّ الله، ثُمَّ أَرْسَلَ رَسُولًا " وَقَالَ:

" إِنْ أنت وَجَدْتَهُ حَيًّا فَاضْرِبْ عُنُقَهُ وَلَا أُرَاكَ تَجِدُهُ حَيًّا، وَإِنْ وَجَدْتَهُ مَيِّتًا فَحَرِّقْهُ بِالنَّارِ.

فَجَاءَهُ فَوَجَدَهُ قَدْ لَدَغَتْهُ أَفْعَى فَمَاتَ فَحَرَّقَهُ بِالنَّارِ ". فَذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ الله ﷺ:

" مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ".

وهذا الحديث بعد شيء من البحث لم اهتد ولم يتبين لي ما إذا كان هناك أحد من أئمة الحديث ذكره غير الطحاوي[1]، لكن وجدت بعد سنوات من كتابة هذا البحث أن الإمام ابن تيمية صحح الحديث، لكن الذهبي قال: لم يصح بوجه، وإنما توهم العلاّمة ابن تيمية بذلك[2].

والذي نراه ونرجحه أن الأثر قد يبلغ درجة الحسن والله أعلم، لأن رجال سنده جميعهم ثقات إلاّ صالح بن حيان القرشي فقد تكلم فيه لكن لا يصل حديثه درجة الموضوع !.

ومما لا شك فيه، أن النفاق بدأ بالظهور في العهد المدني حينما أقام النبي ﷺ دولته، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، في سورة كاملة اسمها سورة المنافقين، وفي آيات أخرى في سور أخرى، منها: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة: ١٠١].

لكننا وجدنا أن الله لم يمهل هذا الكاذب على رسول الله ﷺ إلاّ ساعة من النهار، ثمّ لدغته حيّة ومات، وهذا بعين ذاته معجزة من معجزات الإسلام، كيف دافع الله عن رسوله ﷺ وسنّته، في وقت، لم يكن أحد يتجرأ بالكذب على سيدّ الأنام !.

وفي الصحيحين، أن هناك بضعا وثمانين[3] منافقاً كانوا قد تظاهروا بالإسلام، وكانوا

---

(١) ثم تبين لي أنه: ذكره ابن شاهين: عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين: ناسخ الحديث ومنسوخه، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الطبعة الأولى، مكتبة المنار - الزرقاء، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ص٤١٤ (٥٥٠).

(٢) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٢٩٢ (٣٧٨٣ ترجمة صاحب الشأن) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٧٣ (١٣٧).

(٣) ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٨/ ١١٣-١١٦ (٤٤١٨) وهو حديث طويل يسمى حديث (كعب بن مالك)، النووي: شرح صحيح مسلم ١٧/ ٨٧-٩٨.

يعيشون مع المسلمين في المدينة، وقد يكذب أحد منهم (وهم كذابون) كما يقول الله عنهم[(١)]، في أمر دنيوي خاص بهم، وهذا أمر ممكن الحدوث.

أمّا أن يروي للمسلمين شيئاً على أنه حديث رسول الله ﷺ أو أي أمر يتعلق بأمور الدين فهذا أمر مستحيل، لأن الوحي موجود ورب الوحي يفضحه.

فإذا كان القرآن قد فضح المنافقين في حديث الأفك وغيره[(٢)]، فكيف لا يفضحهم إذا افتروا على الله ورسوله شيئاً ؟

وقول رسول الله ﷺ تشريع للمسلمين فلا يمكن شرعاً ولا عقلاً أن يسكت القرآن الكريم - والوحي غير منقطع بعد- عن كذبة تدخل في تشريع المسلمين لأن ذلك التشريع جزء من الوحي- ويدخل ذلك في عموم قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

لذا وجدنا أن الله أفضح ذلك المنافق لنبيّه، وقد مات قبل أن يقتل.

ثم نأتي إلى جواب السؤال الذي يفترضه المستشرقون وأذنابهم وهو: هل كان الصحابة وضاعين[(٣)]؟!.

نقول بكل ثقة هذا أمر مستحيل شرعاً وعقلا، لما ذكرنا من الأدلة.

والذي نرجحه أن الوضع قد بدأ في زمن الفتنة الكبرى[(٤)]، وبعد مقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ، وزاد ذلك بعد فتنة علي ومعاوية ﷺ، حيث التمس السبأية، وبعض ضعاف الإيمان بوضع أحاديث في تأييد مذاهبهم، واتخذ الخلاف بين علي ومعاوية ﷺ شكلاً حزبياً، وأدى ذلك إلى انقسام المسلمين إلى أحزاب وطوائف متعددة[(٥)].

---

(١) ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: ١].

(٢) ينظر سورة النور: آية/ ١١-٢٦.

(٣) ذهب اثنان من كبار المستشرقين (اليهود) إلى أن الصحابة والتابعين وأتباعهم قد وضعوا أحاديث على رسول الله ﷺ، وهما جولد تسيهر، وجوزيف شاخت، وتصدى لهذه الفرية عدد من العلماء والباحثين بصورة مسهبة ومنهم: السباعي ينظر: السنة ومكانتها ص١٨٧-٢٣٥، الدكتور مصطفى الأعظمي: مناهج المستشرقين ١/ ٦٧-٩١، البشير: ضوابط الرواية عند المحدثين ص٣٩٢-٣٩٤.

(٤) ينظر ص ٢٥٣، وينظر كذلك: الخطيب: الكفاية ص١٩٧.

(٥) ينظر السباعي: المصدر السابق ص٧٩ وما بعدها، الأدلبي: منهج نقد المتن ص٤١-٤٢.

والعراق كان موطن التشيع ومهد الوضع، ويذهب أئمة الحديث بالإجماع أن الوضع بدأ عند الشيعة، إذ رأوا أحقية علي ﷺ بالخلافة، وكذلك أهل بيته من بعده، فوضعوا أحاديث في أحقيتهم بالإمامة والخلافة، وفي فضائلهم[١] يقول بن أبي الحديد مع تشيعه، أن أصل الكذب في الرافضة[٢]:

"أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الروافض، فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم، حملهم على وضعها عداوة خصومهم".

ولم يكن الوضع في القرن الأول والثاني والثالث - مع وقوع الوضع فيها - منتشراً أو فاشياً، وإنما هي أحاديث متفرقة من بعض الكذّابين حاولوا إلصاقها بسنّة رسول الله ﷺ أو بأحد الصحابة الكرام، أو رجال السلف الصالح، لكن الله هيّأ لهذه الأمة رجالاً فضحوا محاولات هؤلاء المفسدين، ولم ينتشر أو يفشو الكذب والوضع إلا بعد انقضاء القرون الهجرية الثلاثة الأولى، كما ذكرنا.

٢- موقف الصحابة والتابعين من الوضع:

كان أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى رأسهم الأئمة الأربعة الراشدون ﷺ، يتشددون ويتثبتون في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ.

أن الصحابة ﷺ مهما كانوا عدولاً- وهذا أمر مقطوع به - غير معصومين، يمكن أن يقع منهم الخطأ والوهم والنسيان وغيرها مما هو من صفات البشر الطبيعية، كالهرم، والمرض، قد تسبب بعض هذه الأعراض لبعض الصحابة ﷺ، نوعاً من الوهم في رواية الحديث لذا نرى، أن أبا بكر الصديق ﷺ لما سئل عن ميراث الجدّة، حينما سألته الجدة ميراثها فقال لها[٣]:

"مَالِكِ فِي كِتَابِ الله شَيْءٌ، وَمَا عَلِمْتُ لَكِ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ شيئاً، فَارْجِعِي، حَتَّى أسأل

---

(١) ينظر الصبّاغ: الحديث النبوي مصطلحه ص٣٠٩-٣١١، الأدلبي: المصدر السابق ص٤٤-٤٥.

(٢) شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة البابي الحلبي ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م) ١١/ ٤٨-٤٩، وينظر كذلك: أبو نعيم: حلية الأولياء ٧/ ٢٧، ابن الجوزي: الموضوعات ١/ ٣٩، ابن عبد ربه: العقد الفريد ٢/ ٢٢٣، وينظر بحثاً جيداً حول هذا الموضوع سليمان العودة: نزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية ص٢٥، يقول الشعبي: (ما كذّب على أحد في هذه الأمة، ما كذّب على علي) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٨٢، وقال أحد أصحاب علي: (قاتلهم الله أيّ علم أفسدوا)، ينظر: النووي شرح صحيح مسلم ١/ ٨٣.

(٣) ينظر ابن ماجة: المصدر السابق ٢/ ٩١٠، الترمذي: المصدر السابق ٤/ ٣٦٥-٣٦٦.

النَّاسَ، فَسَأَلَ النَّاسَ، فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ:

حَضَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ "أَعْطَاهَا السُّدُسَ"[١]، فَقَالَ أبو بَكْرٍ: هَلْ مَعَكَ غَيْرُكَ ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَ الْمُغِيرَةُ، فَأَنْفَذَهُ لَهَا أبو بَكْرٍ".

سأل عمر بن الخطاب الناس في إملاص المرأة - يعني سقطها- فقال المغيرة بن شعبة: (شَهِدْت رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى فِيهِ بِغُرَّةٍ عَبْدٍ، أو أَمَةٍ).

فَقَالَ عُمَرُ: لَتَأْتِيَنَّ بِمَنْ يَشْهَدُ، فَشَهِدَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ[٢].

وكذلك تثبّته رضي الله عنه في حديث أبي موسى الأشعري[٣]:

(الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ)، وفيه: أما أني لم اتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله ﷺ[٤].

وأتى عثمان المقاعد[٥]: (فدعا بوضوء، فتمضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ورجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ هكذا يتوضأ) يا هؤلاء أكذلك؟ قالوا: نعم، لِنَفَر من أصحاب رسول الله ﷺ.

أما علي فقد قال:

إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني، وإذا حدّثني رجل من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته[٦].

---

(١) موطأ مالك (رواية يحيى الليثي) ٢/ ٥١٣ (١٠٧٦) ابن ماجة: السنن ٢/ ٩١٠ (٢٧٢٤)، الترمذي: السنن ٤/ ٣٦٥-٣٦٦ (٢١٠١)

(٢) صحيح البخاري ٦ / ٢٥٣١ (٦٥١٠)، صحيح مسلم ٣/ ١٣١١ (١٦٨٩) واللفظ لمسلم (فتح الباري ١٢/ ٢٤٦-٢٤٧ (٦٩٠٤-٦٩٠٨)، (شرح صحيح مسلم ١١/ ١٧٥)، والغرة بالتنوين، ما بعده بدل منه، وينظر أيضاً ابن حجر: بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى محمد - مصر ص٢٤٧ (١١٩٧).

(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٦٩٤ (٢١٥٣) أبو داود: السنن ٤/ ٣٤٧-٣٤٨ (٥١٨٠-٥١٨٤)، (شرح صحيح مسلم ١٤/ ١٣٠-١٣٤).

(٤) المصادر السابقة بصفحاتها.

(٥) مسند أحمد ١/ ٣٧٢، الدرقطني: السنن ١/ ١٤٧ (٢٨٤) مسلم: (النووي: المصدر السابق ٣/ ١١٤).

(٦) رواه أهل السنن عدا النسائي ينظر: ابن ماجة: السنن ١/ ٤٤٦ (١٣٩٥).

وكان معاوية، يحذر الناس من الأحاديث التي لم تكن على عهد عمر، وذلك أن عمر، كان يخيف الناس في الله، فما يجرؤ أحد على القول، إلا بما يعلم ويتأكد[١].

وهناك تعليل آخر لقول معاوية وهو: أنه لم تكن الانقسامات قد بدأت بعد في زمن عمر[٢].

ولا ننسى أيضاً أن هناك عاملاً آخر، من العوامل المهمة، التي ذكرها النبي ﷺ في عمر وهو كونه سداً أمام الفتن[٣].

وعلى هذا النهج في التثبت والتحري، مضى أئمة التابعين وأتباعهم[٤]. وهذا التثبت ليس هو نوع من التشكيك من الخبر الواحد حيث ثبت أن عمر رضي الله عنه قد قبل خبر عمرو بن[٥] حزم في أن ديّة الأصبع سواء، وخبر الضحاك بن سفيان[٦] في توريث المرأة من دية زوجها وخبر عبد الرحمن

---

(١) وأصله حديث رواه مسلم ينظر: (النووي شرح صحيح مسلم ٧/ ١٢٧-١٢٨).

(٢) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص٤٦.

(٣) روى البخاري والترمذي وابن ماجة عن شقيق قال سمعت حذيفة قال: (كنا جلوساً عند عمر رضي الله عنه قال: أيّكم يحفظ قَولَ رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا، كما قالَهُ قال: أنك عليه أو عليها-لَجريء. قُلتُ فِتنَةُ الرّجلِ في أهله وماله وَوَلدِه وَجارِهِ تُكَفِرها الصلاة والصومُ والصدَّقة والأمر والنهيُّ. قال: لَيس هذا أريد، وَلكنَ الفتنةُ التي تَموجُ كما يموجُ البحر. قال: ليسَ عليك منها بأسٌ يا أمير المؤمنين إنَّ بينك وبينها باباً مُغلقا. قال: أَيُكسرُ أم يُفتحُ؟ قال: يُكسر. قال: إذن لا يغلق أبداً. قلنا: أكان عمر يَعلمُ الباب؟ قال: نعم. كما أن دون الغَد الليلة إنيّ حدّثتهُ بحديث ليسَ بالأغاليط. فَهبنا أن نسأل حذيفة، فأمرنا مسروقاً فسألهُ، فقال: الباب عمر). ينظر: (ابن حجر: فتح الباري ٢/ ٨ (٥٢٥) ابن ماجة: السنن ٢/ ١٣٠٥-١٣٠٦ (٣٩٥٥)، الترمذي: السنن ٤/ ٤٥٤-٤٥٥ (٢٢٥٨). كلهم عن شقيق عن حذيفة إلا الترمذي عن أبي وائل عن حذيفة.

(٤) ينظر مسلم. (النووي: المصدر السابق ١/ ٨٤).

(٥) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الأنصاري، شهد الخندق وما بعدها، ولاّه النبي ﷺ على نجران مات بعد الخمسين ينظر: ابن حجر: الإصابة ٢/ ٥٣٢ (٥٨١٠)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٢٨٨ وحديث ديّة الأصبع، رواه البخاري، ومالك، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وغيرهم، ورواية مالك هي رواية عمرو بن حزم ينظر: الموطأ ٢/ ٨٦٠، فتح الباري ٢/ ٢٢٥-٢٢٦ (٦٨٩٥)، أبو داود: السنن ٤/ ١٨٦-١٨٧ (٤٥٥٦-٤٥٦٢)، الترمذي: السنن ٤/ ١٨ (١٣٩١-١٣٩٢).

(٦) الضحاك بن سفيان بن عوف بن أبي بكر الكلابي، صحابي، له أربعة أحاديث منها حديث (توريث المرأة) قتل في معارك الردة سنة ١١هـ، ينظر: ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٠٦ (٤١٦٦)، الخزرجي: المصدر السابق ص١٧٦، السهيلي: الروض الأنف ٢/ ٢٩٥، وحديث توريث المرأة رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما ينظر: أبو داود: المصدر السابق ٣/ ١٢٩ (٢٩٢٧)، الترمذي: المصدر السابق ٤/ ١٩ (١٤١٥).

بن عوف[١] في أمر الطاعون، وفي اخذ الجزية من المجوس وفي الذي يشك في صلاته أنه يطرح الشك ويبني على ما استيقن.

وبذا نأتي إلى تعليل التثبت منهم ﷺ أن ذلك كان من باب تعليم الناس هذه السنة الحسنة، أو خوف أن يتسرع الناس في أحاديث رسول الله ﷺ، أو إذا وقع في القلب شيء من الشك في الرواية.

أما غير هذا، وحينما يكون الحديث أو الخبر متمشياً مع هدي المروي عنه ﷺ، فالخبر الواحد الثقة مقبول[٢].

وما قيل: أن عمر ﷺ حبس بعض الصحابة من أجل الإكثار من الحديث عن النبي ﷺ كإبن مسعود، وأبي الدرداء، وأبو مسعود البدري، وتوعده بضرب أبي موسى![٣].

فهذه الأخبار كلها مشكوك في صحتها، بل أن ابن حزم دحض بالأدلة والبراهين هذه الرواية، حيث روى عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف[٤] قال:

قال عمر لابن مسعود، ولأبي الدرداء، وأبي ذر: ما هذا الحديث على رسول الله ﷺ ؟

قال: أحسب أنه لم يدعهم أن يخرجوا من المدينة حتى مات[٥].

قال ابن حزم[٦]:

---

(١) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري، من أوائل المسلمين وأحد العشرة المبشرة بالجنة، وأحد الستة من أصحاب الشورى (ت٣١-٣٢هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٢/ ٣٩٣-٣٩٨، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٤١٦-٤١٧ (٥١٧٩). وحديث الطاعون رواه البخاري وغيره ينظر: فتح الباري ١٠/ ١٧٩ (٥٧٢٩-٥٧٣٠)، وحديث أخذ الجزية من المجوس رواه البخاري أيضاً ينظر: المصدر نفسه ٦/ ٢٥٧ (٣١٥٧)، وحديث طرح الشك رواه مسلم واحمد ينظر: النووي: شرح صحيح مسلم ٥/ ٦٠، مسند أحمد ٣/ ٨٣.

(٢) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ص٧٤، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص٩٨.

(٣) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٩.

(٤) ولّي قضاء المدينة، كان ثقة فاضلاً (ت ١٢٥هـ) ينظر: ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٨٦ (٨٢)، الخزرجي: المصدر السابق ص١٣٣.

(٥) الأحكام في أصول الأحكام، الطبعة الثانية، دار الجيل - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م ٢/ ٢٥٦.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٦-٢٥٧، وينظر تفصيله: المصدر نفسه ٢/ ٢٥٢-٢٦٣.

"هذا مرسل ومشكوك فيه من شعبة فلا يصح، ولا يجوز الاحتجاج به، ثم هو في نفسه ظاهر الكذب والتوليد ... فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات الملعونة أي الطريقتين الخبيثتين[1] شاء، ولا بد له من أحدهما وإنما معنى نهي عمر ﷺ من الحديث عن رسول الله ﷺ لو صح ... إنما نهى عن الحديث بالأخبار عمن سلف من الأمم وعما أشبه".

كما أنه لو كان هذا الخبر صحيحاً، لكان الأولى بأمير المؤمنين عمر ﷺ أن يحبس أبي هريرة، حيث روى (٥٣٧٤) حديثاً، أو عبد الله بن عمر، روى (٢٦٣٠) حديثاً، أو أنس بن مالك، روى (٢٢٨٦) حديثاً أو ابن عباس، روى (١٦٦٠) حديثاً أو جابر بن عبد الله، روى (١٥٤٠) حديثاً...الخ[2] حيث أكثروا من الرواية.

٣- أن الوضع في الحديث ليس بالأمر الهين والسهل، حيث أن الله تعالى قد هيأ لسنة نبيه رجالاً، خُلِقُوا للتصدّي لمثل هذا الأمر وبيانه وتوضيحه للناس كي تبقى سنّة سيد الأنام ﷺ نظيفة نقيّة من دسائس الوضّاعين والكذّابين.

قيل لأبن مبارك: هذه الأحاديث الموضوعة؟.

فقال[3]: "تعيش لها الجهابذة، إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

وقد تحدثنا طويلاً في فصل الرواية، وفي نقد المتن والسند كيف أن أئمة الحديث شددوا في الرواية في اللفظ، والمعنى، والحروف والحركات، وكيف أن بعضهم تشدد في عدم جواز إبدال كلمة بكلمة، أو إبدال حرف بحرف أو عدم تغيير الحركة من نصب إلى رفع ...الخ.

فإذا كان هؤلاء لايعزب عنهم حركة أو سكون ويحاسبون الراوي عليها، فما بالك بوضع الحديث على رسول الله ﷺ؟.

حدّث حنبل[4] قال: سمعت ابن عمي عبد الله بن حنبل[1] قال: قلت لأبي عبد الله في

---

(١) قصده بذلك بأن أعداء الصحابة أما يقولون: إن عمر اتهم الصحابة أو أن عمر نهى عن تبليغ سنة رسول الله ﷺ، وكلا الأمرين، خبث وزندقة ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٥٦.

(٢) ينظر صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص٣٥٩-٣٧٢، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص١٠٨.

(٣) تدريب الراوي ١/ ٢٨٢، ونسب في توضيح الأفكار هذا القول لعبدالرحمن بن مهدي: ينظر: الصنعاني: توضيح الأفكار ٢/ ٨٩، العجّلوني: كشف الخفاء ١/ ٧، والآية: سورةالحجر: أية / ٩.

(٤) حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال الشيباني، الحافظ، الثقة، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه (ت ٢٧٣هـ) ينظر: الذهبي:تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٠٠-٦٠١ (٦٢٤).

الحبس (أي الإمام أحمد): إلى أي شيء دعيتم؟

قال: دعينا إلى الكفر بالله.

قال أبو عبد الله: حتى إذا كان ذلك وانقطع ابن أبي دؤاد، وأصحابه نحانّي[٢] وخلا بي، وبعبد الرحمن[٣] فقال: يا أحمد، إني عليك مشفق فأجبني، والله لوددت أني لم أكن عرفتك يا أحمد، الله الله في دمك ونفسك، إني لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابني[٤]، فأجبني، قلت:

يا أمير المؤمنين، ما اعطوني شيئاً من كتاب الله ولا من سنة رسول الله.

فلما كان في آخر ذلك، قال: لعنك الله! لقد طمعت فيك أن تجيبني ثم قال: خذوه، خلعوه، واسحبوه. قال: فأخذت ثم خلعت، ثم قال، العقابين والأسياط. فجيء بعقابين وأسياط[٥].

"فإن كان وضع الحديث ميسوراً دون أن يكشف أمره كما يزعم شاخت، لما اضطر الخليفة العباسي إلى الاضطهاد وعنده جيش من العلماء والقضاة وأهل الكلام، وأساطين المعتزلة كافة.

لقد عجز هؤلاء كلهم عن إتيان حديث واحد مروي عن النبي ﷺ يخدم قضيتهم في قصة خلق القرآن، وهذا الدليل صارخ بأنه ما كان من الممكن وضع الحديث دون كشف زيفه في نسبته إلى رسول الله ﷺ"[٦].

٤ - تحريم رواية الحديث أو الخبر المكذوب:

أجمع علماء الأمة بأسرها في تحريم الكذب على رسول الله ﷺ، وكذلك الكذب في غير

==

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

(٢) يعني الخليفة المعتصم.

(٣) عبد الرحمن بن إسحاق بن سَلَمة الضبي، القاضي، وكّل إليه القضاء في عهد المأمون إلى آخر ايام المعتصم، وكان مع المعتصم في امتحان الإمام أحمد (ت ٢٣٢هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٠-٢٦١ (٥٣٧٦)، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٣٣٣.

(٤) هارون الواثق بن المعتصم، أبو جعفر تسلم الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٢١٨-٢٣٢هـ) حيث توفي فيها ينظر ترجمته: الطبري: المصدر السابق ٩/ ١٥٠-١٥٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ٢٧٦-٢٧٨.

(٥) ينظر: محنة الإمام أحمد ص٦١، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١/ ٢٥٠، وقريب من هذا الخبر، ابن كثير: المصدر السابق ١٠/ ٣٣٣-٣٣٤. ابن مفلح: المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ١/ ٤٢٢.

(٦) محمد مصطفى الأعظمي: (المستشرق شاخت والسنة النبوية) منهاج المستشرقين ١/ ٩٤.

حديث رسول الله ﷺ وإليك بعض أقوالهم: وتحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً أو غلب على ظنه وضعه، فمن روى حديثاً علم أو ظن وضعه ولم يبين حال روايته وَضعَهُ فهو داخل في هذا الوعيد، مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ لقوله ﷺ[١]: (مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أحد الْكَاذِبِينَ).

ولا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام، وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب، والمواعظ، وغير ذلك، وكله حرام من أكبر الكبائر، وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يُعتد باجماعهم. ... وقد أجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب على آحاد الناس، فكيف بمن قوله وكلامه شرع[٢].

يقول ابن الصلاح الشهرزوري[٣]: " لا تحل رواية الحديث الموضوع لأحد علم حاله في أي معنى كان، إلا مقروناً ببيان وضعه، بخلاف غيره من الأحاديث التي يحتمل صدقها في الباطن، حيث جاز روايتها في الترغيب والترهيب".

---

(١) ينظر الترمذي: السنن ٥/ ٣٥ (٢٦٦٢)، ابن ماجه: السنن ١/ ١٤-١٥ (٣٨-٤١): شرح صحيح مسلم ١/ ٦٢.

(٢) ينظر قول النووي: شرح صحيح مسلم ١/ ٦٩-٧٠.

(٣) المقدمة ص٤٧، وينظر أيضاً: علي القاري: شرح نخبة الفكر ص١٢٤.

المبحث الثاني
أسباب الوضع

تمهيد:

الخبر يتطرق إليه الكذب بطبيعته، سواء في الحديث النبوي كان، أو الخبر التاريخي العام[١].

هناك عدّة أمور وأسباب، ساعدت على الوضع في الأخبار، خاصة بعد وقوع الفتنة الكبرى- مقتل عثمان رضي الله عنه - وكذلك ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله عنه وازدادت الفتنة وازداد التحزب بعد موت معاوية رضي الله عنه بشكل أكثر[٢].

من تلك الأسباب التي أثرت على الوضع، التيارات السياسية والحزبية، ودور القصاص فيها، كذلك المؤثرات الدينية، كالفرق والعقائد والمذاهب، كما كان للزنادقة دور كبير وخطير في ذلك[٣].

ومن تلك الأسباب أيضاً:

وضع الأخبار من أجل الانهماك في اللذات المحرمة[٤]، فإذا أردنا أن نفهم تاريخنا، أو أن نخلّصه

---

(١) ينظر البيروني: محمد بن أحمد أبو الريحان (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، طبعة دائرة المعارف العثمانية-حيدر آباد، الدكن ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م ص٢، ابن خلدون: التاريخ ١/ ٢٩، وقد لخص ابن خلدون تلك الأسود:

١- التشيّع للآراء والمذاهب ٢- الثقة بالناقلين ٣- الذهول عن المقاصد ٤- الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع ٥- التقرب إلى الناس ٦- توهم الصدق ٧- الجهل بطبيعة الأحوال في العمران ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٩، أما السبكي: فيورد تلك الأسود ويقول عن المؤرخين: فإن أهل التاريخ ربما وضعوا من أناس ورفعوا أناس إما بسبب: ١- التعصب ٢- أو الجهل ٣- أو لمجرد اعتماد على نقل من لا يوثق به أو غير ذلك من الأسود، ثم يقول: والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل، وكذلك التعصب قلَّ أن رأيت تاريخياً خالياً من ذلك ...الخ ينظر: قاعدة في المؤرخين ص٣١، وينظر كذلك: البيروني، تحقيق ما للهند ص١-٣.

(٢) ينظر الذهبي: منهاج الاعتدال ص٣٨٦-٣٨٧.

(٣) ينظر جرونيباوم: حضارة الإسلام ص ٣٥٧ - ٣٥٨، الصباغ: الحديث النبوي، مصطلحه ص ١٢٥، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص١٨٨-١٨٩، الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص٩-١٠.

(٤) ينظر ابن خلدون: التاريخ ١/ ١٧.

من الشوائب التي ألحقت به في الماضي فلابد أن نقف على دراسة أهم تلك الأسباب[١]، ودوافعها، ومن ثم استعمال مناهج المحدثين لتخليص التاريخ من تلك الموضوعات والأباطيل، لأن:

"أكثر هذا الكلام يدور على أحاديث موضوعة، ولعل أصلها نفثات يهودية، ومفتريات وثنية، وضلالات صليبية، ورددت أفواه وألسن في عديد من قرون التاريخ هذه القصص والأحاديث، وتلقفت الكثرة من الأجيال- خلفها عن سلفها- كل ذلك، وقد صنع التاريخ الكذوب لمن افتروا هذه الأكاذيب، أو لمن رددوها عن بلاهة. عروشاً تسجد تحتها أفكار أجيال وأجيال، وتهطع[٢] في قنوت يأخذ منها كل العمر، فتسخّر لتمجيد تلك الأكاذيب كل فكر ولسان وقلم، فصار قرينا للمستحيل أن يفكر امرؤ في نقد شيء من تراث أولئك الأسلاف، بشروح هؤلاء الأخلاف"[٣].

١ـ القصاص:

والقاص: هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها، والشرح لها. أو بعبارة أخرى: عبارة عمن يروي أخبار الماضين[٤].

ذكر السيوطي بعض الروايات تدل على أن القصص نشأت في عهد أمير المؤمنين عمر ﵁ حين جاء كل من تميم الداري[٥]، والحارث بن معاوية الكندي[٦]، يستأذنانه في القصص، فأبى أن يأذن لهما وحذّرهما.

ثم يذكر أنه ﵁ اشترط على تميم الداري- بعد إلحاحه في الاستئذان- أن يتكلم في موضوعات معينة وفي وقت محدود[٧].

---

(١) ينظر الدوري: المصدر السابق ص١٠.

(٢) المُهْطِعُ الذي يَنْظُرُ في ذُلٍّ وخُشوعٍ. ينظر: لسان العرب ٨/ ٣٧٢.

(٣) السهيلي: الروض الأنف ١/ ١٢ (مقدمة المحقق).

(٤) ينظر السيوطي: تحذير الخواص ص٦ (المقدمة).

(٥) تميم بن أوس الداري، وكان من علماء أهل الكتاب أسلم سنة تسع، روى عن النبي ﷺ، وهو أول من أسرج السراج في المسجد (ت ٤٠هـ) ينظر خليفة بن خياط: الطبقات ص ٧٠، ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ١٨٤، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٥١١ - ٥١٢ (٩٥١).

(٦) الحارث بن معاوية بن زمعة الكندي، مختلف في صحبته لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: الإصابة ١/ ٢٩٠-٢٩١ (١٤٨٨).

(٧) ينظر: مسند أحمد ٣/ ٤٤٩، السيوطي: المصدر السابق ص٧، أحمد أمين: فجر الإسلام ص١٥٨-١٦٠.

عن السائب بن يزيد[١]:

(أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُقَصُّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، وَلاَ أبي بَكْرٍ، وَكَانَ أول مَنْ قَصَّ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ، اسْتَأْذَنَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَنْ يَقُصَّ عَلَى النَّاسِ قَائِمًا فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ).

قال الشيخ شعيب الأرنؤوط[٢]:

"إسناده ضعيف من أجل بقية بن الوليد الحمصي فهو مدلس تدليس التسوية وهو شر أنواع التدليس".

والذي يبدو لي أن هذا الرأي ضعيف، وأن القصص لم تبدأ إلا في الفتنة الكبرى، ويؤيد ذلك ما رواه ابن ماجه - بسند حسن- عن عبد الله بن عمر قال[٣]:

(لَمْ يَكُنِ الْقَصَصُ فِي زَمَنِ رَسُولِ الله ﷺ، وَلاَ زَمَنِ أبي بَكْرٍ، وَلاَ زَمَنِ عُمَرَ).

وروى ابن أبي شيبة قال[٤]:

" لَمْ يَكُنْ قَاصٌّ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلاَ زَمَنِ أبي بَكْرٍ، وَلاَ زَمَنِ عُمَرَ، وَلاَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ.

أنه لم يكن يقص على عهد رسول الله ﷺ ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر".

وقال السيوطي[٥]:

"لم يقص على عهد النبي ﷺ ولا عهد أبي بكر ولا عهد عمر ولا عهد عثمان إنما كان القصص حيث كانت الفتنة".

ويقول أبو نعيم[١]:

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٤٤٩ (١٥٧٥٣).

(٢) المصدر نفسه مع الصفحات.

(٣) ينظر: السنن ٢/ ١٢٣٥ (٣٧٥٤).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٥٦١ (٢٦٧٢٦)، الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء-الموصل ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ٧/ ١٤٩ (٦٦٥٦)، وينظر كذلك: السيوطي: تحذير الخواص ص١٧١، ٢١٣، ذكر ابن حجر في الإصابة ١/ ٤٤-٤٥، أن أول من قص في البصرة (العراق) الأسود بن سريع بن حمير توفي أيام الجمل، وذكر أيضاً أن أول من قص في الشام كعب بن ماتع الحميري. ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٣١٥-٣١٧.

(٥) تحذير الخواص من أكاذيب القصاص ص ١٩٥ (تحقيق محمد الصباغ، الناشر المكتب الإسلامي - بيروت سنة النشر ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).

"ظهرت حلقات القصاصين والوعاظ في أواخر عهد الخلافة الراشدة".

ثم كثرت هذه الحلقات، فيما بعد في مختلف مساجد الأقطار الإسلامية(٢).

أورد السيوطي روايات عديدة عن الصحابة، تنبئ عن استنكارهم لهذا الأمر، حتى استعان بعض الصحابة برجال الشرطة، لطرد القصاص من المساجد، وازداد نشاطهم في عهد التابعين، حتى تفاقم أمرهم في الفتنة(٣).

ثم كثروا في الخلافة العباسية كثرة ملحوظة وتركت قصصهم آثاراً واضحة بين الناس وفي كتب الحديث والأدب، والتاريخ، وغيرها(٤).

والدوافع التي حملتهم إلى وضع الأحاديث والأخبار هي ابتغاء الشهرة وكسب المال، والحصول على الجاه(٥).

حذّر أئمة المسلمين من أحاديث القصاص، وبيّنوا شرورهم ومفاسدهم.

قال أبو داود الطيالسي (ت٢٢٧هـ)(٦):

"كنت مع شعبة، فدنا منه شاب، فسأله عن حديث، فقال له: أقاص أنت؟

قال: نعم.

قال: اذهب فإنا لا نحدّث القصّاص.

فقلت له: لم يا أبا بسطام؟! قال: يأخذون الحديث منّا شبراً فيجعلونه ذراعاً".

وقال أيوب السختياني(١):

==

(١) أخبار أصبهان ١/ ١٣٦.

(٢) ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية - القاهرة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م ١/ ٣٦٨، المقريزي: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، طبعة- مصر ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م ٢/ ٢٤٦، ٢٥٦.

(٣) ينظر: تحذير الخواص ص٧ (المقدمة).

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص٧، وينظر كذلك: ضيف: شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، الطبعة الثانية، دار المعارف - مصر ص٤٥٦.

(٥) ينظر السيوطي: اللآلي المصنوعة ٢/ ٢٤٩، تحذير الخواص ص٧ (المقدمة)، الصباغ: الحديث النبوي، مصطلحه ص ١٢٨.

(٦) السيوطي: المصدر السابق ص٢٢٩.

"ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص، وقال أيضاً: ما أمات العلم إلا القصاص".

وبين ابن قتيبة جملة من مفاسدهم، وكيف يميلون وجه العوام والجهلة من الناس إليهم فيقول[٢]:

"والوجه الثاني القصاص، فإنهم يميلون وجه العوام إليهم ويشيدون ما عندهم بالمناكير والأكاذيب من الأحاديث.

ومن شأن العوام القعود عند القاص، ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن العقول أو كان رقيقاً يحزن القلب، فإذا ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل، ويبوئ الله وَلِيَّهُ قصراً من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة... فلا يزال هكذا في السبعين ألف لا يتحول عنها".

قال الجاحظ، سمعت قاصاً بالكوفة، يقول[٣]:

"والله لو أن يهودياً مات وهو يحب علياً، ثم دخل النار، ما ضره حرّها".

ومن وقاحة هؤلاء القصاص أنهم أحياناً كانوا يجلسون حتى في مجالس الخلفاء والعلماء، ويقصون من الأحاديث الباطلة، وكان الأئمة والخلفاء يفضحونهم أمام الملأ.

روى ابن الجوزي[٤]:

"أن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صليا في مسجد الرصافة[٥] فقام بين أيديهم قاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالا: حدثنا عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة، عن أنس

---

(١) الجامع للأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٦٤.

(٢) تأويل مختلف الحديث ص٢٨٠، وينظر كذلك: ابن الجوزي: الموضوعات ١/ ٣٢، السيوطي: تحذير الخواص ص١١ (المقدمة).

(٣) ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، مطبعة البصري-بغداد ١٩٦٦م ص١٦٥. ويلاحظ هنا كيف استطاع اليهود والمجوس، منذ عهد؛ عبد الله بن سبأ اليهودي، ومختار بن أبي عبيد الثقفي، وأتباعه من الفرس، إستغلال آل البيت الكرام، لتخريب الإسلام، وهدمه من الداخل، بالتظاهر بالولاء والمحبة لهم أما الرعاع من الناس، لكسبهم، وإغوائهم وصدهم عن سبيل الله !.

(٤) الموضوعات ١/ ٤٦، وينظر كذلك ابن تيمية: أحاديث القصّاص، ص٨-٩، السيوطي: اللآلي المصنوعة ٢/ ٣٤٦، تحذير الخواص ص٤١، علي القاري: الاسرار المرفوعة ص٥٣.

(٥) وهي رصافة بغداد، تقع في الجانب الشرقي منها ينظر: الياقوت: معجم البلدان ٣/ ٤٦ (الرّصافة)

قال: قال رسول الله ﷺ:

(من قال لا اله إلا الله خلق الله في كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان...).

وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة! فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد بن حنبل، فقال له: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت هذا إلا الساعة.

فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات، ثم قعد ينظر بقيتها قال له يحيى:

من حدّثك بهذا الحديث؟

فقال: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين!.

فقال: أنا يحيى بن معين، وهذا أحمد بن حنبل ! ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ !.

فقال: لم أزل اسمع أن يحيى بن معين أحمق ما تحققت إلا الساعة! كأن ليس في الدنيا يحيى بن معين واحمد بن حنبل غيركما! وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين".

وذكر السيوطي[١]:

"أن هارون الرشيد، لما قدم المدينة أعظم أن يرتقي منبر النبي ﷺ وعليه قباء ومنطقة[٢]، فقال أبو البختري[٣]- وهو قاص كذاب- حدثني جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر:

(أن جبريل نزل على النبي ﷺ وعليه قباء ومنطقة فتحجر فيها تحجيراً).

قال السيوطي: هذا وضعه أبو البختري[٤].

قال الخطيب بسنده إلى يحيى بن معين:

أنه وقف على حلقة أبي البختري، فإذا هو يحدّث هذا الحديث فقال له: كذبت يا عدو الله

---

(١) أي شدّ نفسه وضيّق، كما في الحديث: تحجرت واسعاً: أي ضيّقت ما وسعه الله. ينظر ابن منظور: المصدر السابق ١/ ٥٧١ (حجر).

(٢) القَبَاءُ نوع من اللباس، ينظر: الرازي: مختار الصحاح ص٥٢٠ (ق ب ا)، والمِنْطَقَةُ: النطاق ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٦٦٣ (نطق).

(٣) شيخ كان بصيدا أو يصيد (في بعض النسخ) لا يكاد يعرف، كذّبه دُحيم. ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٩٤ (٩٩٨٤).

(٤) اللآلئ المصنوعة ٢/ ٢٦٣، تحذير الخواص ص١٣.

على رسول الله، قال، فأخذني إلى والي الشرط، فقلت: هذا يزعم أن رسول رب العالمين نزل على النبي ﷺ وعليه قباء، فقالوا لي: هذا والله قاص كذاب وأخرجوه عني[١].

المؤلفات في كتب القصاص:

أ- القصاص والمذكّرين؛ للإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

ب- أحاديث القصاص؛ للإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

ج- الباعث على الخلاص من حوادث القصاص، للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ).

د- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص وهو أحسنها وأجمعها؛ للسيوطي (ت ٩١١هـ).

هـ- الأسرار المرفوعة؛ لملا علي القاري (ت ١٠١٤)[٢].

٢ـ الشيعة:

غلب اسم التشيع على كل من يتولى علياً وأهل بيته حتى صار اسماً خاصاً بهم[٣].

أن من المسائل التاريخية المحيرة إلى يومنا هذا هو الجواب عن سؤال طالما حيّر العلماء وهو: متى ظهرت الإمامة الشيعية، بصورة واضحة ومحددة المعالم، ومتى أصبح للشيعة مذهباً خاصاً بهم؟

لقد عجز كثير من الباحثين عن الجواب على هذين السؤالين وذلك لأن كتب التاريخ والتراجم والفرق لا تساعدهم في جواب السؤالين.

يقول الدكتور فاروق عمر[٤]: "ولا تساعدنا كتب الفرق والحديث وكتب الرجال كثيراً في الإجابة على الأسئلة التي تراود أذهاننا مثل.. متى ظهرت الإمامة الشيعية بصورة واضحة، ومحددة المعالم، وكيف تطورت؟ ولماذا اختلفت الشيعة إلى فرق؟"

---

(١) ينظر المصدران نفسيهما بمجلداتها وصفحاتها.

(٢) وهذه الكتب كلها مطبوعة وقد استخدمناها في الرسالة.

(٣) ينظر النوبختي: فرق الشيعة ص٣٩، الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، ١٣٧٣هـ ١/ ٦٥، ابن منظور: المصدر السابق ٢/ ٣٩٤ (شيع)، العقيلي: محمد أرشيد، الشيعة نشأتها وتطورها حتى أواسط القرن الثالث الهجري، الطبعة الأولى، -عمان ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص٥٥.

(٤) الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، الطبعة الثانية - بغداد ١٩٧٧ م ص٢٠٢.

وعن الشطر الثاني من السؤال يجيب الدكتور سامي علي النشار فيقول[١]: "لا نجد حياة هؤلاء الأئمة الستة[٢] ولا في نتاجهم ما نراه في حياة السابقين من الأئمة، فلم ينقل عنهم ما نقل عن الأولين من علم سابغ ونظرة متعددة واسعة للمجتمع الإسلامي الذي عاشوا فيه ولم يرد أحد منهم في الرواية العلمية الصحيحة مذهب خاص يجعل الشيعة من بعده ينسبون المذهب إليه، ولا جرم بعد ذلك أن تعلق الشيعة الأثناعشرية باسم جعفر الصادق، فحاولوا نسبة المذهب إليه ولم يحاولوا نسبته إلى أي واحد من هؤلاء الأئمة".

والذي يبدو لنا بعد دراسة متأنية أن ظهور مذهب خاص وعقيدة واضحة المعالم بالشيعة، لم يكن في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وإنما كان ظهور ذلك بعد تمكن بني عبيد في شمال أفريقيا بمدة، حين مهد هؤلاء القرامطة المجوس، المتسترين باسم فاطمة، بتأليف كتب في المذهبية الباطنية في مصر، مع بداية القرن الرابع الهجري، وأصبحت هذه الكتب فيما بعد أسساً فيما كتبه الشيعة بما يتعلق بمعتقدهم، وما يعدونه مذهباً لهم، بعد تعديلات، وإلا لم يكن- حتى القرن الرابع- مذهب خاص بالشيعة، إلا ما كان للفاطميين من مذهب الباطنية كما أنه لم يكن لهم مذهب كلامي، وأنهم كانوا على مذهب المعتزلة في غالب آرائهم، ويوضح ذلك أن عضد الدولة[٣] - وهو شيعي- كان يعمل حسب مذهب المعتزلة، ولو كان له مذهب فقهي أو كلامي لما كان يتردد بتطبيقه[٤].

كما أن تحديد بداية التشيع مسألة أخرى ذهب المؤرخون وأهل الفرق فيها إلى مذاهب شتى،

---

(١) النشار، سامي علي: نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام: طبعة-القاهرة ١٩٥٤م ٢/ ٢٧٩.

(٢) ويقصد الستة المتأخرين. والستة المتقدمون (عند الشيعة) هم: ١-علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ت ٤٠هـ) ٢-الحسن بن علي (ت٤٩هـ) ٣-الحسين بن علي (ت ٦١هـ) ٤-علي زين العابدين (ت ٩٤هـ) ٥-محمد بن علي (الباقر) (ت ١١٧هـ) ٦- جعفر بن محمد - الصادق - (ت ١٤٨هـ).

والستة الأواخر عندهم هم: ٧- موسى بن جعفر - موسى الكاظم - (ت ١٨٣هـ) ٨-علي الرضا (ت ٢٠٣هـ) ٩- محمد الجواد (ت ٢٢٠هـ) ١٠-علي الهادي (ت ٢٥٤هـ) ١١-الحسن العسكري (ت ٢٦٠هـ) ١٢-محمد المهدي - المنتظر عندهم - (ت ٢٥٦هـ). ينظر: العقيلي: الشيعة نشأتها ص٨٦.

(٣) توفي عضد الدولة سنة (٣٧٢هـ) وهذا دليل واضح أن التشيع، المتستر تحت عدد من العناوين والمسميات، لم يكن له مذهب منظم لحد هذا اليوم. ينظر: المنتظم ٧/ ١١٣ - ١٢٠، تاريخ الخلفاء ص ٣٥١.

(٤) ينظر آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. ترجمة، عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م ١/ ١٢٤.

فمن قائل أن التشيع ظهر في حياة الرسول ﷺ ويميل إلى ذلك أكثر المتسبين إلى التشيع[١].

وذهب فئة أخرى من الباحثين قديماً وحديثاً إلى أن التشيع ظهر بعد وفاة رسول الله ﷺ[٢].

وفئة ثالثة ترى أن التشيع ظهر بعد مقتل عثمان رضي الله عنه[٣].

ويذهب ابن النديم إلى أن التشيع كحركة سياسية ظهرت بعد مطالبة طلحة والزبير علياً بدم عثمان، وإرادة علي قتالهما[٤].

أما فإن فلوتن فيرى أن التشيع ظهر بعد قضاء الأمويين على ذلك الحزب السياسي في حروراء، ويسانده في ذلك الدكتور كامل الشيبي الشيعي[٥].

أصل التشيع:

أن الاختلاف الذي ذكرناه في المسالة السابقة يواجهنا أيضاً في أصول التشيع، حيث اختلف أهل العلم - قديماً وحديثاً - في الأصول العقائدية التي يرتكز عليها التشيع وذلك لتضارب الآراء المختلفة حول هذه المسالة، ويمكن أن نلخص هذه الأفكار والآراء في ثلاث اتجاهات:

١- الأصل اليهودي:

فقد ذهب عدد من أئمة المسلمين من أهل الفرق والملل والنحل، وأهل التاريخ والتراجم وغيرها، إلى أن التشيع يرجع في أسسه العقائدية إلى أصل يهودي.

وممن ذهب إلى ذلك النوبختي[٦]، الطبري[١]، ابن عبد ربه[٢]، ابن حزم[٣]، البغدادي[٤]،

---

(١) ينظر النوبختي: فرق الشيعة ص٣٩، القمي: المقالات والفرق، مؤسسة مطبوعاتي - طهران ١٩٦٣م ص١٥.

(٢) ينظر ابن خلدون: التاريخ ٣/ ٢٦٤، أحمد أمين: فجر الإسلام١ / ٢٦٦، ٢٧٨، العقيلي: المصدر السابق ص٦١.

(٣) ينظر ابن حزم: الفصل ٢/ ٨٠، الحنفي: أبو محمد، عثمان بن عبد الله (ت ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) الفرق المتفرقة بين أهل الزيغ والزندقة، تحقيق، بشار قوتلوآي، أنقره ١٩٦١م ص ٦، فلهوزن: أحزاب المعارضة ص١٤٦.

(٤) ينظر ابن النديم: الفهرست ص٢٤٩.

(٥) ينظر فلوتن: فإن فلوتن، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة حسن إبراهيم، ومحمد زكي إبراهيم، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة - القاهرة ١٩٦٥ م ص٧٤، الشيبي: كامل مصطفى: الصلة بين التشيع والتصوف، بغداد ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م ص١٢.

(٦) ينظر: فرق الشيعة ص ٤٤.

والشهرستاني[٥] من القدماء، ومن المعاصرين عدد كبير، وعلى رأسهم، المستشرق المعروف فلهوزن[٦]، وقد ذكرنا في الصفحات الماضية عدداً كبيراً من مصادر الشيعة ممن ذكر ذلك.

٢- الأصل الفارسي:

ومن العلماء من يرجع أصول التشيع إلى أصل فارسي ومن هؤلاء ابن حزم حيث يعتقد أن حركة التشيع إنما هي حركة فارسية هدامة تسترت بالاحتماء بآل البيت لهدم الإسلام من الداخل، يقول في ذلك[٧]: "رأوا أن كيده على الحيلة أنجح، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة آل بيت الرسول ﷺ، واستشناع ظلم علي بن أبي طالب، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام ".

وقد أيد ابن حزم في مذهبه هذا كل من: المقريزي[٨]، من القدماء، ومن المستشرقين، دوزي[٩]، وأوجست ملر[١٠]، وجويدي[١١].

٣- الأصل العربي:

وهناك من المؤرخين، من حاول إرجاع أصل التشيع إلى أصل عربي وممن قال بذلك من المستشرقين: مونتغمري واط ودلل على صحة ذلك:

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٢٨٣، ٣٢٦ - ٣٢٧.

(٢) ينظر: العقد الفريد ١/ ٣٥٣.

(٣) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٧٨.

(٤) ينظر: الفرق بين الفرق ص ١٤٤.

(٥) ينظر: الملل والنحل ١/ ١٧٣.

(٦) ينظر: أحزاب المعارضة ص ٢٤٤.

(٧) الفصل ٢/ ١١٥، وهو رأي آدم متز من المستشرقين، ينظر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١/ ١١٩، ويقول: (أن التشيع كان مكاناً خصباً لكل الوان الزندقة) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٢٥.

(٨) ينظر: الخطط ١/ ٣٦٢.

(٩) ينظر فلهوزن: أحزاب المعارضة ص ٢٤٠.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٤١.

(١١) lewis b. ,the origins of ismailism p. 15 عن العقيلي: الشيعة نشاتها وتطورها ص ٦٦.

أن رجال الشيعة الأوائل كانوا من عرب الجنوب اليمنيين، وكانت اليمن أرض سلالات الملوك يتوارثون الحكم، وكانوا يتصفون بصفات روحية، تجعلهم رأس السلطتين الروحية والزمنية، ويشير - بعد أن يقر أن الإسلام لا يؤمن بالملكية الوراثية - أن العرب الجنوبيين ممن اعتادوا تقديس الملوك، وهذا يحملنا على الاعتقاد بأن لماضيهم التاريخي اثر في هذا المجال[١].

ونحن نرجح بل نعتقد أن السبب في ذلك هو خضوع بلاد اليمن، لحكم الدولة الساسانية، لحقب من الزمن وتأثر أهلها بمعتقداتهم، التي من ضمنها تقديس الملوك.

مرور التشيع بمراحل عديدة:

مرّ التشيع بمنحنيات ومنعطفات كثيرة، منذ نشئته، كحزب فارسي، يهودي، مختلط، متوحد، معارض ومقاوم، للعقيدة والحضارة الإسلامية، في بداية أمره، كمبدأ أساسي، مع انخراط عدد كبير من جهلة، الناس وانضوائه تحت هذه الخيمة، التي ظاهرها؛ التشيع، وباطنها الانسلاخ من الدين ومن شريعة سيد المرسلين.

ويمكن أن نجمل المراحل التي مرّ بها التشيع مرور الكرام، لكي يكون كل باحث مسلم وغير مسلم على بينة من تلك المراحل.

ومن المراحل التي مر بها التشيع مراحل كانت- رغم بعض التحولات فيها- مراحل مقبولة- نوعاً ما- لدى عامة المسلمين وهي على ثلاث مراتب:

أ- تشيع يفضل علياً على عثمان ﷺ، مع التسليم بفضل عثمان[٢].

ب- تشيع يقدم علياً على أبي بكر وعمر وعثمان مع الإقرار بفضل هؤلاء[٣].

ج- تشيع يرى أن علياً أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان[٤].

وهؤلاء كلهم عدّهم أئمة الحديث وغيرهم - من أهل السنة- مقبولي الرواية، ولم يرفضوا

---

(١) w. montgomery wait. Shlism,j. r. a. s. 1960 p158-172

(٢) الآلوسي: محمود شكري (ت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) مختصر التحفة الأثني عشرية، طبعة اسطنبول ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ م ص٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٥٥.

(٤) ينظر البنداري: محمد البنداري، التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، الطبعة الأولى، دار عمار - عمان ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م ص٩ (مقدمة سعيد حوى رحمه الله).

في يوم من الأيام رواياتهم، مع ما معهم من بعض الانحراف، الذي كانوا يخالفون به عامة المسلمين، وكانوا لا يشكلون، كعدد وأفكار ومعتقدات خطراً على المسلمين ظاهراً.

ثم تغير التشيع تغيراً خطيراً حين دخلت- وبالأحرى حينما تمكنت -الأفكار اليهودية والمجوسية فيها تمكناً قوياً، وغير هدف التشيع العربي الإسلامي- إلى تشيع مليء بالأفكار اليهودية والمجوسية الحاقدة المتآمرة على الإسلام والمسلمين ووصلت بالنهاية إلى مرحلة خطيرة، ويمكن أن نقسمها إلى مرتبتين:

أ- مرتبة الرفض العادي:

وهو تفضيل علي ﷺ على الأئمة الثلاثة مع البراءة منهم، وسبهم، والحط عنهم، ووضع الأقاويل الكاذبة والفاجرة في حقهم(١).

ب- الرفض الغالي:

وهو تكفير الأئمة الثلاثة، وكل أصحاب رسول الله ﷺ إلا ثلاثة منهم- على اختلاف الروايات عندهم(٢).

وقد رفض جميع علماء المسلمين سلفاً وخلفاً قبول رواية هؤلاء الغلاة المفترين على الله وعلى رسوله ﷺ، وبينوا كفرهم وخروجهم من الدين وعن طريق المسلمين، وجميع أهل التشيّع اليوم

---

(١) ينظر الآلوسي: المصدر السابق ص٦-٩.

(٢) ينظر: ابن حزم: الفصل ٢/ ١١٥، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٦٤-١٦٥، الخياط: عبد الرحيم بن محمد بن عثمان (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م) الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق ونشر، نيبرج - القاهرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م ص٢٦٥، الإسفرائيني: عماد الدين طاهر بن محمد (ت ٤٧١هـ/ ١٠٧٩م) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، عالم الكتب - بيروت ١٩٨٣ م ص٢٥، يقول الديلمي الغلاة على ثلاث فرق:

أ- فرقة منهم قالوا: إن الله ظهر على صورة عليّ، التي كان عليها ولم يزل.

ب- والثانية قالت: إن الله تعالى فوّض أمر العالم إلى الأئمة...فهم يخلقون ويميتون...الخ، وفي الجملة مذهبهم في علي، يقرب إلى مذهب النصارى في عيسى، في إتحاده بالله، قالوا: أن الله أتحدّ بعليّ.

ج- والثالثة قالت: إنه ليس بإله، لكنه رسول الله، وغلط جبريل، وجاء إلى محمد، ويقال لهم الغرابية. ينظر الديلمي: محمد بن الحسن، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، باعتناء. ر. شد. وطمان، مطبعة الدولة - استانبول ١٩٣٨ م ص٢-٣.

على وجه الأرض، والذي يبلغ عددهم بحدود سبعين مليونا الآن[١] على هذا الدين.

يقول الديلمي[٢]:

"نذكر طرفاً من مذهب الغلاة والمفوضة لأنهم منهم أيضاً، وذلك لأن مذهب الغلاة والمفوضة والباطنية من الإسماعيلية والإمامية الأثنى عشرية مختلطة بعضها ببعض في كثير من المسائل،

ولذلك قيل: الإمامية دهليز الباطنية، لأن الكل دخلوا في الشيعة من جهتهم وكلهم يدعّون التشيع ويغلون في الدين ويخرجون من طريق المسلمين".

ويقول أحد الباحثين المعاصرين[٣]:

"وتحت ظل الرفض تجمعت الشعوبية والأهواء، والكيد للإسلام، والطموحات السياسية، فأدخلت على الإسلام الطامات، ووجد باسم التشيع - وهو في الحقيقة الرفض لا التشيع - جدار سميك بين أهل السنة والجماعة وبين الرافضة يظهر بين الحين والحين بصراع مسلح.

أن الشعوبية الحاقدة على العرب والإسلام تبث سمومها من خلال الرفض والأهواء، وأوجدت أطرا وعقائد فاسدة للتفريق بين الأمة، ولتجميع الجهلة.

والحاقدون على الإسلام لم يجدوا شيئاً يبثون فيه سمومهم، ويخرجون الناس عن الإسلام، كمثل العمل تحت شعار الرفض".

ثم يشرح سعيد حوّى مخطط هؤلاء الغلاة، كيف أنهم بتسترهم بآل بيت النبوة، فرغوا جميع سمومهم الخبيثة، بين المسلمين، وفي ثنايا الكتب، ووضعوا روايات باطلة في كتب الحديث والتاريخ وأفسدوا على المسلمين تاريخهم، وقبل ذلك عقيدتهم. يقول[٤]:

"ولقد تتابعت حلقات مخطط الرفض الرهيب في إفراغ التشيع من محتواه الحقيقي، ووضعه في موقع مضاد للإسلام وعقيدته، وهدم أركان العقيدة الإسلامية، من نفي التوحيد، وادعاء

---

(١) أي سنة ١٤٣٤هـ.

(٢) المصدر نفسه ص٢.

(٣) التشيع بين مفهوم الأئمة ص١٢ (مقدمة سعيد حوّى).

(٤) التشيع بين مفهوم الأئمة ص١٤-١٥ (مقدمة سعيد حوّى)

بتحريف القرآن[١] وإنكار للسنة النبوية المشرفة، وتكفير سائر المسلمين، وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله ﷺ ... فضلاً عن قولهم بترهات وضلالات وروايات اخترعوها، تنفر العاقل من الدين، وتنزل بالعقل من سماء الحكمة إلى حضيض الحيوانية العجماء ... ويلاحظ أن جملة كبيرة من الحركات الهدّامة قد تبنت كل هذا الشذوذ، ومكنت له بقوتها وأموالها وإرهابها، مثل القرامطة، والخرمية[٢]، والبابكية[٣]، وما قام به البويهيون، والعبيديون (المتسمون بالفاطميين) والحشاشون[٤]، والصفويون من جهد منظم لأجل إشاعة هذه الترهات، وتدوينها في كتب بثوا حولها، دعاية كبيرة، جعلتها تحتل منزلة مقدسة عند الروافض ونسبوا إلى آل البيت الكرام آلاف الروايات المكذوبة، لدعم خطتهم وهدفهم".

نشأ الكذب في الكوفة مع الترفض جنبا إلى جنب[٥].

أصبح الكذب معتقداً وديناً لدى هذا النوع من التشيع الغالي الذي ذكرناه ومن أجل

---

(١) ينظر الكليني: الكافي في الأصول ١/ ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، روضة الكافي ص ٥٠، الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) الاحتجاج، مطابع النعمان - النجف ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦ م ص ٢٢٥ - ٢٢٨، ٣٨٣، الخراساني: سلطان محمد بن حيدر الجنابذي: بيان السعادة في مقامات العبادة، طبعة طهارن ١٣١٤هـ ١/ ١٢، الطبرسي: حسين بن محمد تقي النوري (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، طبعة إيران ١٢٩٨هـ، (وله مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد تحت رقم (٢٠٨٤) عدد صفحاتها ١٩٩ ورقة).

(٢) هم أتباع: بابك الخرميّ الذي ظهر بناحية أذربيجان سنة (٢٠١هـ) قتلوا الكثير من المسلمين وعاثوا في الأرض فساداً، وحاربوا العباسيين حوالي (٢٠) عاماً، وأخيراً استطاع الخليفة المعتصم القضاء عليهم، وأسر بابك وأخاه، إسحاق بن إبراهيم، وصلبهما في سامراء وذلك سنة (٢٢٣هـ) والخرميّة ينتسبون إلى خرَّمْ وهي قريبة من أردبيل، ويسمون الزّزامية أيضاً. ينظر: النوبختي: فرق الشيعة ص٦٨، الرازي: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ص٢٩٩، فلها وزن: الدولة العربية وسقوطها ترجمة يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية-دمشق ١٩٥٦م ص٤٠٨، الياقوت: معجم البلدان ٢/ ٣٦٢ (خرَّم)، الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٩/ ٥٤-٥٥، وينظر تفصيل جرائم بابك: المصدر نفسه ٩/ ٢٣-٥٧، فوزي: التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين ص٢٠٨-٢٦٩.

(٣) هم الخرّميّة أنفسهم.

(٤) سموا بذلك لكثرة تناولهم الحشيشة، ويسمون أيضاً النزارية، عاثوا في الأرض فساداً، وكان ظهورهم في عهد ملكشاه في الشرق الأدنى في إيران الحالية، وكانت الإباحية دينهم، ينظر بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية (الإمبراطورية الإسلامية وانحلالها) ٢/ ١٣٦ - ١٣٩.

(٥) ينظر بحثاً جيداً في هذا المجال، اليحيى: نزعة التشيع ص٢١.

ذلك اضطروا أن يعطوه صبغة دينية، واستعملوا مكانه كلمة (التقية). روى الكليني- وهو بخاري[١] القوم- عن أبي جعفر- وهو أحد الأئمة المعصومين عندهم -[٢]: "التقية من ديني، ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له، وفي رواية أخرى، عنه أيضاً، أن أبا عبد الله قال: يا أبا عمران[٣] أن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له".

ونسبوا إلى أئمتهم- وهم منها براء- أنهم عاشوا في دور التقية فلم يتمكنوا من نشر الأحاديث علناً[٤]، ومن هنا دخل الوضع والدس في حديث- أئمتهم- ووضعوا آلافا من الأخبار ونسبوها إليهم وقالوا: آمنوا بها واستسلموا لها دون مناقشة أو جدل.

روى الكشي عن موسى بن جعفر[٥] أنه كتب إلى أحد مريديه وهو علي بن سويد[٦]: "ولا تقل لما بلغك عنا، ونسب إلينا هذا باطل، وإن كنت تعرف خلافه، فإنك لا تدري لم قلناه وعلى أي وجه وضعناه، آمن بما أخبرتك ولا تفشي ما استكتمتك"[٧].

وهكذا أصبح الكذب ديناً، وإن راوي الأخبار أصبح كعملة معدنية ممسوحة الوجهين لا تكاد تفرق بين الوجه الأول من الوجه الثاني- وجه الحق من وجه الباطل- يروي الكليني عن الباقر رحمه الله قال[٨]:

"خالطوهم بالبرانية (أي ظاهراً) وخالفوهم بالجوانية (باطناً) ".

---

(١) ينظر الحرّ العاملي: وسائل الشيعة ٣/ ٢٠.

(٢) الكافي في الأصول ٢/ ٢١٩، ٢١٧ (باب التقية)

(٣) أحد أصحاب جعفر الصادق.

(٤) ينظر الخوئي: أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث، الطبعة الأولى، مطبعة الآداب-النجف ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م ١/ ٣٥ (المقدمة)

(٥) موسى بن جعفر بن محمد المعروف بالكاظم، صدوق عابد صالح (ت ١٨٣هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧-٣٢ (٦٩٨٧)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥/ ٣٠٨-٣١٠ (٧٤٦)، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٢٨٢ (١٤٤٤).

(٦) علي بن سُويد بن مَنجوف، أبو الفضل السدوسي البصري وقيل: هو معلّى بن هلال شيخ مجهول. ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ١٣٢ (٥٨٥٩)، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٣٨ (٣٥٢)، الكشي: الرجال ص٣٥٦.

(٧) المصدر نفسه ص٣٥٦ (ترجمة علي بن سويد).

(٨) الكافي في الأصول ٢/ ٢٢٠.

وقد نبه الباقر رحمه الله المسلمين من دسائس هؤلاء المفترين والوضاعين، فقال[١]: "أن أحاديثنا إذا سقطت في الشام جاءتنا صحاحاً، وإذا سقطت في العراق جاءتنا وقد زيد فيها ونقص".

وقال أيضاً[٢]:

"وأما والله لو يروون عنا ما نقول ولا يحرفونه ولا يبدلونه علينا برأيهم ما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة ينط إليها عشراً ويتأولها على ما يراه".

هكذا استطاع أصحاب هذا النمط من التشيع تحت ستار وغطاء آل البيت أن يلوثوا التاريخ الإسلامي بوضع عدد هائل من الأخبار الموضوعة، وتحريف بعضها وتغييرها، لذا قال ابن أبي الحديد: أن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الروافض .... الخ.

وقد وضعوا وملؤوا كتب الحديث والتاريخ بالروايات الباطلة في مثالب الصحابة ومنهم معاوية، والأمويين، والعباسيين وكتب الموضوعات مملوءة بأكاذيبهم[٣].

يقول ابن أبي الحديد فيما نسبه الزنادقة إلى الشيخين في حق فاطمة[٤] رضي الله عنها :

"وأما ما يرويه رجال الشيعة والأخباريون منهم في كتبهم من قولهم: إنهما أهاناها وأسمعاها كلاماً غليظاً، وأن أبا بكر رق لها حيث لم يكن عمر حاضراً، فكتب لها بفدك كتاباً، فلما خرجت به وجدها عمر، فمد يده إليه ليأخذه مغالبة، فمنعه، فدفع بيده في صدرها وأخذ الصحيفة فخرقها بعد أن تفل فيها فمحاها، وإنها دعت عليه، فقالت:

بقر الله بطنك كما بقرت صحيفتي! فشيء لا يرويه أصحاب الحديث ولا ينقلونه، وقدر الصحابة يجل عنه، وكان عمر أتقى الله وأعرف لحقوق الله من ذلك".

من تلك الأخبار الموضوعة التي وضعتها الغلاة:

لما أسري بالنبي ﷺ أتاه جبريل، بسفرجلة من الجنة، فأكلها فحملت السيدة خديجة بفاطمة،

---

(١) القرشي: إدريس عماد الدين (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق الدكتور مصطفى غالب، دار الأندلس بيروت ٤/ ٢٧٦.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٢١٥.

(٣) ينظر عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص١٩٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام ٢/ ١٣٠-١٣٢.

(٤) شرح نهج البلاغة ٤/ ٨٤١.

فكان إذا اشتاق إلى رائحة الجنة شم فاطمة!![١].

وروى الخطيب بسنده عن أبي زكريا المطرز[٢] يقول:

وردتُ الكوفة وكتبت عن شيوخها كلهم غير عباد بن يعقوب[٣]، فلما فرغت من سواه دخلت عليه وكان يمتحن من يسمع منه فقال لي[٤]:

"من حفر البحر؟ فقلت الله خلق البحر، فقال: هو كذلك ولكن من حفره؟.

فقلت: يذكر الشيخ.

فقال: حفره علي بن أبي طالب!.

ثم قال: من أجراه؟.

فقلت: الله مجري الأنهار، ومنبع العيون!.

فقال: هو كذلك ولكن من أجرى البحر؟.

فقلت: يفيدني الشيخ!.

فقال: أجراه الحسين بن علي.

قال: وكان عباداً مكفوفاً، ورأيت في داره سيفاً معلقاً وحجفة[٥]، فقلت:

أيها الشيخ لمن هذا السيف؟.

فقال: هذا لي أعددته لأقاتل به مع المهدي!.

قال: فلما فرغت من سماع ما أردت أن أسمعه منه، وعزمت على الخروج من البلد، دخلت عليه، فسألني كما كان يسألني وقال: من حفر البحر؟

---

(١) ابن الجوزي: الموضوعات ٢/ ٢٤، وعلامة الوضع ظاهرة على هذا الخبر حيث أن السيدة فاطمة ﵂ ولدت قبل حادثة الإسراء والمعراج.

(٢) القاسم بن زكريا بن يحيى البغدادي، الحافظ، الثقة، المقرئ، من المكثرين في تصنيف المسند والأبواب والرجال (ت٣٠٥هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٢/ ٤٤١ (٦٩١٠)، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٧ (٧٣٠).

(٣) عباد بن يعقوب الرّواجني (وقيل الدواجني) الكوفي، الرافضي المتهم في دينه، صدوق روى عنه بعض أئمة الحديث مقروناً بآخر(ت ٢٥٠هـ) ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٧٩-٣٨٠ (٤١٤٩)، تقريب التهذيب ١/ ٣٩٤-٣٩٥ (١١٨).

(٤) الكفاية في علم الرواية ص٢٠٩، وينظر الخبر كذلك: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٣٧٩.

(٥) الحَجَفَةُ: الترسُ إذا كان من جُلُودٍ وليس من خشب ولا عقب. ينظر: مختار الصحاح ص١٢٤ (ح ج ف).

فقلت: حفره معاوية، وأجراه عمرو بن العاص ثم وليت من بين يديه، وجعلت أعدو، وجعل يصيح: أدركوا الفاسق عدو الله فاقتلوه، أو كما قال".

ومن تحريفاتهم في الأخبار تحريف حديث[١]:

(اللّهم اركسهما في الفتنة ركساً، اللهم دعهما إلى النار دعّا)، فقد حرفوا هذا الحديث في أنه قيل في معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص حين كانا يتغنيان!.

والواقع أنّ هذا الحديث ورد في حق شخصين غيرهما، وهما: معاوية بن رافع[٢]، وعمرو[٣] بن رفاعة بن التابوت، وهما من المنافقين.

ولما رأى بعض جهلة المسلمين من ذوي النيات الحسنة، ما كان من هذه الفرق والأحزاب من انتقاص وطعون تناولت الصحابة وكادت تقضي على فضائلهم، دفعهم ذلك إلى وضع أحاديث في فضائلهم وحبهم[٤].

٢ـ الزنادقة:

دَكَّ الإسلام عروش دولتي كسرى وقيصر، وقوضهما، وقضى على أكبر إمبراطوريتين عرفتهما البشرية، ومنذ ذلك اليوم دخلت في دين الله أمم وشعوب ذات خلفيات مختلفة في العقائد، والثقافات، ودخل مع من دخل في دين الله، ناسٌ فقدوا مصالحهم، الدينية أو الدنيوية كما دخل مع من دخل ناس لم يدخل الإيمان في قلوبهم، ومنهم من لم تذهب بعدُ ترسبات الأديان

---

(١) حديث ضعيف إن لم يكن موضوعاً-بجميع طرقه وقد ورد في حق اثنان من المنافقين وهما: معاوية بن رافع، وعمرو بن رفاعة وكان سبب ذلك كما يقول السيوطي من حديث شُقران: (بينما نحن ليلة في سفر، إذ سمع النبي ﷺ صوتاً فقال: ما هذا؟ فذهب ينظر، فإذا معاوية بن رافع، وعمرو بن رفاعة بن التابوت، ومعاوية بن رافع يقول هذا الشعر:

لا يزالُ حَوَارِيّ تلوحُ عظامُهُ   زوى الحرب عنه أن يموت فيقبرا

فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال اللّهم ...الخ، ينظر: ابن القيم: المنار المنيف ص١١٨ مع الهامش. كما ذكر ابن القيم: أن كل حديث في ذم معاوية وبني أمية فهو كذب وباطل، ينظر: المصدر نفسه ص١١٧، وينظر كذلك: ابن عراق: تنزيه الشريعة ٢/١٦-١٧، وينظر تفصيلا دقيقا حول هذا الموضوع كتابنا: معجم المنافقين وتاريخ النفاق في الإسلام، وهو في مجلدين كبيرين.

(٢) أحد المنافقين، لم أقف على ترجمته رغم البحث عنه.

(٣) أحد المنافقين لم أقف على ترجمة أيضاً.

(٤) ينظر على سبيل المثال: الشوكاني: الفوائد المجموعة ص٣٨٤، ٣٨٨، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠٢.

والمعتقدات القديمة عن نفوسهم، ولازال ولاؤهم للدين الجديد موضع امتحان وقد قام كل هؤلاء بحملة واسعة النطاق لتشويه الإسلام وتزوير أحاديث خير الأنام، وإفساد التاريخ بالوضع وعلى رأس هؤلاء وأفسدهم طوية وهوية؛ الفرس المجوس، الذين تستروا بالتشيّع لتخريب هذا الدين، وتزعّموا أكبر وأوسع حملة عرفتها البشرية من التلفيق والدس والتحريف والوضع والتزوير ضدّ الإسلام وتاريخه وتراثه، فكان نصيب الإسلام والمسلمين من هؤلاء الفرس، بدل ردّ الجميل إلى أهله، وشكر إحسانهم، كانت تلك الهجمة الشرسة(١)، وكان عملهم هذا في اللؤم شبيها بمجير أم عامر(٢).

قال بعض الحكماء(٣):

" المعروف إلى الكرام يعقب خيراً، وإلى اللئام يعقب شراً، ومثل ذلك مثل المطر، يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤاً، وتشرب منه الأفاعي فيعقب سماً.

---

(١) ينظر الصباغ: الحديث النبوي، مصطلحه ص ١٢٦ -١٢٨، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص٢٠٦، الأدلبي: منهج نقد المتن ص٥٠.

(٢) قيل: أنه خرج فتيان من العرب إلى الصيد فأثاروا ضبعا فأقبلت من أيديهم ودخلت خباء بعض الأعراب فخرج إليهم فقال: والله لا تصلون إليها قد استجارت بي فخلوها.

فلما انصرفوا عمد إلى خبز ولبن وسمن فثرده وقربه إليها فأكلت حتى شبعت وتمددت في جانب الخباء، فغلب الأعرابي النوم فلما استثقل وثبت عليه فقرضت حلقه وبقرت بطنه وأكلت حشوته وخرجت تسعى.

فجاء أخو الأعرابي فلما نظر إليه إنشاء يقول الأبيات:

ومن يصنع المعروف في غير أهله	يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر
أعـــد لهـــا لما استجارت ببيتـــه	قراها مـن ألبان اللقاح البهارز
فاشبعهـــــا حتى إذا ما تيظرت	فرتـــه بأنيـــاب لهـا وأظافـر
فقل لبنى المعروف هذا جزاء من	يجـود لمعروف إلى غير شاكـــر

ينظر الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر البصري، المحاسن والأضداد، ط٢، دار النشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٦، الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، ط١، الناشر: دار صعب - بيروت، ١٩٦٨م، ص ٢٨٦، اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الناشر دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، سنة النشرْ ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ١/ ٣٨٩، الدميري: كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، ط٢، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م ٢/ ١١٤،

(٣) المحاسن والأضداد ص ٢٦.

وقال سفيان: وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام ".

من الأخبار التي وضعتها الزنادقة: ما رواه ابن الجوزي عن أم الطفيل[١] أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر أنه:

(رأى ربه تعالى في المنام في أحسن صورة، شاباً موفوراً، رجلاه في مخضّر (مقدمة الوسط) عليه نعلان من ذهب في وجهه فراش من ذهب)[٢].

من كفريات هؤلاء:

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:

(أن الله تعالى خلق الفرس، فأجراها فعرقت، ثم خلق نفسه منها)[٣].

ومن الروايات التاريخية التي وضعتها الزنادقة، لتخريب الذمم وإفساد الدين، ما رواه أبو الفرج الأصبهاني[٤] يقول:

"اجتمع يحيى بن زياد[٥]، ومطيع بن إياس[٦]، وجميع أصحابهم، فشربوا أياماً تباعاً! فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سكارى، ويحكم! ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا بنا حتى نصلي فقالوا:

---

(١) امرأة أبي كعب بن مالك، أخرج لها أحمد في مسنده، لم أقف على شيء كثير من ترجمتها، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٤٦٩، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٤٧٠ (١٣٦٤).

(٢) الموضوعات ١/ ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه ١/ ١٠٥.

(٤) هو علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم المعروف بأبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) قال عنه الخطيب: أكذب الناس كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف، ثم تكون كل رواياته منها، وقال عنه الذهبي: وكان يأتي بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا، وقال عنه ابن الجوزي: ومثله لا يوثق بروايته، يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ... الخ، ينظر: تاريخ بغداد ١١/ ٣٩٨، المنتظم ٧/ ٤٠، ٤١، ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٣.

(٥) يحيى بن زياد بن عبد الله الحارثي الزنديق، شاعر ماجن (ت ١٦٠هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ١٤/ ١٠٦-١٠٧ (٧٤٤٧)، ابن حجر: لسان الميزان ٦/ ٢٥٦.

(٦) مطيع بن إياس أبو سلمى الكناني الكوفي، الزنديق، شاعر ماجن، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية (ت ١٦٦هـ) ينظر: الأصبهاني: الأغاني ١٢/ ٧٥-١٠٤، الخطيب: المصدر السابق ١٣/ ٢٢٥-٢٢٦ (٧١٩٦).

نعم، فقام مطيع فأذن وأقام ثم قالوا: من يتقدم؟

فتدافعوا، ذلك، فقال مطيع للمغنية:

تقدمي فصلي بنا، فتقدمت تصلي بهم، عليها غلالة، رقيقة مطيّبة بلا سراويل، فلما سجدت...[١]، فوثب مطيع وهي ساجدة فكشف عنه وقبله وقطع صلاته! ثم قال:

ولما بـدا.. [٢] جاثماً	كرأس حلِيـقٍ ولم نَعتمِـدْ
سجَدْتُ إليه وقبَّلتُهُ	كما يفعل الساجدُ المجتهدْ

فقطعوا صلاتهم، وضحكوا وعادوا إلى شرابهم!!؟"[٣].

ومن روايات استخفافهم بالشريعة وبأفضل العبادات وهي فريضة الصلاة ما رواه أيضاً أبو الفرج الأصبهاني قال: حدثني حمزة النوفلي[٤] قال[٥]:

"صلى الدّلال[٦] المخنث إلى جانبي في المسجد، فضرط ضرطة هائلة سمعها من في المسجد، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد، وهو يقول:

في سجوده رافعاً بذلك صوته: سبّح لك أعلاي وأسفلي!.

فلم يبق في المسجد أحد، إلا فُتِن وقطع صلاته بالضحك. !!".

هكذا يصور المزدكية والزنادقة لنا بيوت الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه[٧] كمعابد المجوس، يستهزئون فيها بالله ورسوله ودينه دون أن يرفع أحد من المسلمين، من المصلين

---

(١) كلام قبيح.

(٢) كلام مثل الكلام الأول.

(٣) الأغاني: ١٣/ ٣٢٥-٣٢٦، ومن الغرائب يقال أن أبا الفرج ينتسب إلى بني أمية، وهو يصف أمية (أنه رجل قصير، شيخ، ناحل الجسم، ضرير) !! بينما يصف ابن مولى الشاعر وهو شاعر غير ذي شأن (كان ظريفاً، عفيفاً، نظيف الثياب، حسن الهيئة) !! ينظر الأغاني ١/ ١٢، ٣/ ٢٨٦ (ط ٣)، جرونيباوم: حضارة الإسلام ص ٣٥٣.

(٤) ينظر شيء من أخباره، الأصبهاني: المصدر السابق ٤/ ١٤٩١ (طبعة دار الشعب).

(٥) الأغاني: ٤/ ٢٧٧.

(٦) والدلال لقب، واسمه ناقد أبو زيد المدني، مولى بني فهم، وقيل: غير ذلك، لم أقف على وفاته ينظر عنه، الصولي: أدب الكتّاب ص٥٩، الأصبهاني: الأغاني ٤/ ١٤٨٣ -١٥١٥ (طبعة دار الشعب).

(٧) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور: آية / ٣٦.

شأناً لتغير هذا المنكر[١]!!.

وهذه الرواية والتي قبلها هي روايات باطلة في أساسها، رواها ناس في قمة السفالة والانحطاط في الخلق والدين، ولو صحّت - وهي لا تصحّ بحال من الأحوال - فإنّما فعلوا في مصلّيات الزنادقة التي يجتمع فيها مثل هؤلاء الضلاّل من أنصار الفرس والمتشيّعة التابعين لهم المتظاهرين بالإسلام في مساجد الضرار التي كانوا يأوون إليها لتخريب الدين والضمائر والخلق والقيم في المجتمع الإسلامي، أو منتدياتهم الخاصّة !.

٤ـ الانهماك في الملذات ونشر الرذيلة في المجتمع الإسلامي:

ومن تلك الخطط والوسائل الخبيثة التي استخدمها أعداء الإسلام وتاريخه، وضع أخبار كاذبة مصطنعة من أجل بث الرذيلة ونشر الفساد في المجتمع الإسلامي وقد تولى ذلك بعض أعداء الإسلام، وبعض من همهم الفرج والبطن. فأوردوا من الروايات السخيفة والفاجرة في بطن كتب الأدب، والتراجم، والشعر، والتاريخ وغيرها مما تندى لها جبين الأحرار من الناس، فما بالك بالخلفاء والعلماء من السلف والخلف الذين نصروا دين الله ونشروه في أرجاء المعمورة، فكان رد فعل هؤلاء الأذلاء- وهم لا يستطيعون مواجهة الإسلام كقوة عسكرية- أن يبثوا تلك الرذائل من أجل التفسخ الأخلاقي، والقضاء على جوهر الأمة وهم الشباب، وقديماً قالوا:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا[٢].

يقول ابن خلدون وهو يتحدث عن سبب من أسباب الوضع التاريخي[٣]:

"وأمثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وإنما يبعث على وضعها والحديث بها الانهماك في اللذات المحرّمة، وهتك قناع المخدرات، ويتعللون بالتأسي بالقوم فيما يأتونه من طاعة لذّاتهم، فلذلك تراهم كثيراً ما يلهجون بأشباه هذه الأخبار، وينقرون عنها عند تصفحهم لأوراق الدواوين، ولو تأسوا بهم في غير هذا من أحوالهم وصفات الكمال اللائقة بهم المشهورة

---

(١) ينظر: الأعظمي: وليد الأعظمي، السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني، الطبعة الأولى، دار الوفاء - المنصورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م ص ٢٣١.

(٢) ينظر: الموسوعة الشوقية؛ جمع وترتيب وشرح؛ إبراهيم الأبياري، ط١ دار الكتاب لعربي - بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ م ٢/ ٣٧١ (قافية الباء) قصيدة في الأخلاق.

(٣) تاريخ ابن خلدون ١/ ١٧.

عنهم لكان خيراً لهم لو كانوا يعلمون".

من تلك الأخبار حكى الأصمعي[١] قال:

"سهرت ليلة عند الرشيد بالرقّة فقال لي: يا أصمعي من معك يؤنسك فقلت: مالي أنيس إلا الوحدة، فامسك عني وأقبل على حديثه ما شاء، ثم نهض ونهض من كان بحضرته، فلما صرت إلى منزلي إذا خادم الرشيد يقرع الباب، فخرجت وإذا ضوء وشمع وضجّة وعمّارية[٢]، فلما رآني الخادم دنا مني وقال:

يقول لك أمير المؤمنين: قد أمرنا بجارية من خواصنا تؤنسك[٣].

فدعوت لأمير المؤمنين، ثم تقدم الخادم بإدخال الجارية، معها من الآلات والجواري ما لم أر مثله إلا عند أمير المؤمنين، ثم ودعني الخادم وانصرف فلما نظرت إلى الجارية، رأيت أحسن الناس وجهاً وأكملهم ظرفاً وأكثرهم مجوناً!.

فداخلني لها هيبة وانقباض فقالت لي: ويحك ما هذا الحياء البارد أين مِلحُك ونوادرك؟ أين لطفك وظرائفك؟.

ثم قالت لجارية معها: هات ما عندك، فجاءت بأحسن ألوان الطعام، فأكلنا، وصارت تباسطني وتؤنسني ثم دعت بالشراب فشربت، وسقتني، ثم قالت:

ما بقي بعد الاكل والشرب إلا الخلوة والنوم!.

فقامت ولبست من الثياب ما أرادت، وألبستني ثياباً مطيبة وتفرق من كان عندها ثم اضطجعت إلى جانبي، فلما جمعنا الفراش أصابني من الحصر وانقطاع الأنعاظ ما لم أعهده قط...!.

ثم نهضت ولبست ثياب الحداد ودعت بسفط[٤] فأخرجت منه مناديل صغاراً وكباراً وحنوطاً، وقالت:

---

(١) أبو سعيد بن عبد الملك بن قريب، أحد أئمة العربية (ت حوالي ١١٣هـ) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٨٢، القفطي: انباه الرواة ٢/ ١٩٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ١٧٠ - ١٧٦ (٣٧٩)، الفيروزآبادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص ١٣٦ (٢٠٦).

(٢) يقال: تركت القوم في عومرة، أي في صياح وجلبة. ويبدو أنه يقصد بها حاجة مثل الهودج، توضع على البعير، لحمل النساء، ينظر: الجوهري: الصحاح ٢/ ١٥٨ (عَمَرَ)، الحموي: معجم البلدان ٣/ ١١٩.

(٣) وهذا كما يبدو (على سبيل استعارة الفروج عند الروافض الزنادقة)!.

(٤) الذي يعبى فيه الطيب، و ما أشبهه من أدوات النساء ينظر ابن منظور: لسان العرب ٢ / ١٥٦ (سفط).

نم على ظهرك، فاستولى علي الخجل حتى لم أقدر على مخالفتها، فنمت وقامت، ...[١] وولت عني فقمت وأنا أخزى خلق الله حالاً فلبست ثيابي وصليت الفجر وسرت من وقتي إلى الرشيد، فأنكر الحجّاب ذلك الوقت، وعلم الرشيد فأذن لي فدخلت عليه وهو جالس في مصلاه فقال: ما دهاك في هذا الوقت؟

قلت: خبري عجيب يا أمير المؤمنين، فبالله عليك أرحني من هذه الجارية فلا حاجة لي بها!.

قال: وما سبب ذلك، فشرحت له قصتي معها من أولها إلى آخرها، حتى بلغت إلى إقامة الغسل عليه وحنوطه وتكفينه، وبكائهن ونوحهن عليه إلى غير ذلك، فاشتد ضحكه حتى كاد يستلقي على قفاه.

وسمعت الضحك من جوانب الدار من الجواري، فقال الرشيد: نحن إلى هذه أحوج منك إليها، وقد كنا غافلين عنها!.

ثم أمر بردها إلى داره وعوضني عنها بخمسين ألف درهم، وترك جميع ما حمل معها إلى منزلي، وقال: فحظيت عنده بعد ذلك حتى لم يتقدم عليها أحد من نظرائها، وسميت الأصمعية!"[٢].

---

(١) مكان هذا الفراغ كلام قبيح وسافل جدا !.

(٢) ابن أبي عذيبة: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥٦هـ / ١٤٥٢م) تاريخ دول الأعيان، شرح قصيدة نظم الجمان، في ذكر من سلف من أهل الزمان، تحقيق، إبراهيم أمين الجاف (رسالة ماجستير ٢/ ١٢٥-١٢٦، وهي رواية ساقطة من أساسها، لأنها بدون إسناد، (والعصر الذي وقع الخبر فيه عصر إسناد)! وأصل هذه الرواية ذكرها الخطيب البغدادي في تاريخه بسنده إلى الأزهري قال حدثنا محمد بن الحسن بن المأمون الهاشمي، حدثنا أبو بكر الأنباري حدثنا محمد بن أحمد المقدمي، حدثنا أبو محمد التميمي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن مولى الأنصار، حدثنا الأصمعي قال:

" ... فلما دخلت الرَّقة (أي الأصمعي) أوصلت إلى الفضل بن ربيع، فقال لي: لا تلقين أحداً ولا تكلمه حتى أوصلك إلى أمير المؤمنين، وأنزلني منزلاً أقمت فيه يومين-أو ثلاثة-ثم استحضرني فقال: جئني وقت المغرب حتى أدخلك على أمير المؤمنين، فجئته فأدخلني على الرشيد وهو جالس، متفرد، فسلمت، فاستدناني، وأمرني بالجلوس فجلست. وقال لي: يا عبد الملك وجهت إليك بسبب جاريتين أهديتا إليّ، وقد أخذتا طرفا من الأدب، أحببت أن تبَوِّر ما عندهما وتشير علي فيهما بما هو الصواب عندك، ثم قال ليُمضَ إلى عاتكة فيقال لها: أحضري الجاريتين، فحضر جاريتان ما رأيت مثلهما قط، فقلت لأجلِّهما: ما اسمك؟.

قالت: فلانة، قلت ما عندك من العلم؟.

قالت: ما أمر الله به في كتابه، ثم ما ينظر الناس فيه من الأشعار والأدب... فقلت يا أمير المؤمنين: ما رأيت امرأة في مَسك رجل مثلها.

==

٥ـ وضع الأخبار من أجل الأسمار واستجلاب النوم:

ومن تلك الأسباب التي دفعت وضاعي الأخبار- وهو قريب من الفقرة التي قبلها- وضع الأخبار من أجل السمر، واستجلاب النوم، والاستئناس بخبر الأخباري، وقد احتل التاريخ جزءاً لا بأس به من تلك الأخبار، يقول ابن مسكويه[(١)]:

وقالت الأخرى: فوجدتها دونها، ما تبلغ هذه منزلتها إلا أنها أن ووظب عليها لحقت.

فقال: يا عباسي، فقال الفضل: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: ليردا إلى عاتكة ويقال لها تضع هذه التي وصفتها بالكمال لتحمل إليّ الليلة.

ثم قال لي: يا عبد الملك أنا ضجر، وقد جلست أحب أن أسمع حديثاً أتفرح به، فحدثني بشيء فقلت: لأي الحديث يقصد أمير المؤمنين؟.

قال: لما شاهدت وسمعت من أعاجيب الناس وطرائف أخبارهم.

فقلت: يا أمير المؤمنين صاحب لنا في بدو بني فلان كنت أغشاه وأتحدث إليه، وقد أتت عليه ست وتسعون سنة أصحّ الناس ذهناً وأجودهم أكلاً، وأقواهم بدناً، فغبرت عنه زماناً ثم قصدته، فوجدته ناحل البدن، كاسف البال، متغير الحال، فقلت له:

ما شأنك؟ أأصابتك مصيبة؟.

قال: لا، أفمرض عراك؟.

قال: لا، قلت فما سبب هذا التغيير الذي أراه بك؟

فقال: قصدت بعض القرابة في حي بني فلان، فألفيت عندهم جارية قد لاثت رأسها، وطلت بالورس ما بين قرنها إلى قدمها، وعليها قميص وقناع مصبوغان وفي عنقها طبل توقع عليه وتنشد ... ثم انصرفت سخين العين، قريح القلب، فهذا الذي ترى بي من التغير من عشقي لها.

فضحك الرشيد حتى استلقى وقال:

ويحك يا عبد الملك ابن ست وتسعين سنة يعشق؟.

قلت: قد كان هذا يا أمير المؤمنين فقال يا عباسي، فقال الفضل بن الربيع:

لبيك يا أمير المؤمنين.

فقال: اعط عبد الملك مائة ألف درهم ورده إلى مدينة السلام ... الخ ". ينظر تاريخ بغداد ١٠/ ٤١١- ٤١٣، وقد أدخل أحد الفساق الزيادة من قوله: (في الرواية الأولى) (وقال يقول لك أمير المؤمنين قد أمرنا بجارية من خواصنا تؤنسك أي قوله: وبكاؤهن ونوحهن عليه إلى غير ذلك) وهذا النوع من الوضع يسمى تركيب الإسناد على المتن، كما وضحنا ذلك في هذه الرسالة.

(١) أحمد بن محمد بن يعقوب، مسكوية، مؤرخ، فيلسوف (ت ٤٢١هـ ١٠٣٠م) ينظر: الياقوت: معجم الأدباء ٢/ ٤٩، ابن جُلجل: سليمان بن حسان الأندلسي (ت ٣٧٢هـ/ ٩٨٤م) طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، القاهرة ١٩٥٥م ١/ ٢٤٥.

" ... ووجدت هذا النمط من الأخبار، مغموراً بالأخبار التي تجري مجرى الأسمار والخرافات التي لا فائدة منها، غير استجلاب النوم، والاستمتاع بأنس المستطرف منها ...الخ"[١].

قيل: أن الرشيد كان في طريقه للحج- قرب الكوفة- فوجد بهلول[٢] هذا راكباً على قصبة وهو يعدو، والصبيان من خلفه يطاردونه، فقال: من ذاك؟.

قالوا: بهلول المجنون!.

قال: أشتهي أن أراه، فأتوني به غير مروع !.

فجاؤوا به، فقال: السلام عليك يا بهلول، قال: عليك السلام يا أمير المؤمنين!.

قال: كنت إليك بالاشتياق!.

قال بهلول: لكن لم أشتق إليك!.

قال: عظني، قال: وبم أعظك؟ هذه قصورهم، وتلك قبورهم!.

قال: أحسنت، فزدني.

قال: يا أمير المؤمنين، من يرزقه مالاً وجمالاً، فعف في جماله وواسى من ماله، كتب في ديوان الأبرار.

فظن الرشيد أنه يريد شيئاً، فقال: قد أمرنا أن يقضي دينك.

قال بهلول: كلا لا تقضي ديناً بدين، أردد الحق إلى أهله! واقض دين نفسك من نفسك!.

قال الرشيد:

فإنا قد أمرنا أن يجري عليك !.

قال: يا أمير المؤمنين أتظن أن الله يعطيك وينساني؟ ثم عدا على قصبته راكضاً[٣].

ومنها ما يحكيه المسعودي عن حيوان اسمه (الزبرق) يقول[٤]:

---

(١) ابن مسكويه: أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، طبعة- ليدن ١٩٠٩م ١/ ٤. ينظر كذلك روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص١٦٠.

(٢) بهلول بن عمرو الصيرفي، من عقلاء المجانين (ت نحو ١٩٠هـ) ينظر: الجاحظ البيان والتبيين ٢/ ٢٣٠، الكتبي: فوات الوفيات ١/ ٨٢.

(٣) ينظر: تحفة المجالس ص٣٧٢، عن: شعوط: إبراهيم علي، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، الطبعة الخامسة، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م ص٣٠٦.

(٤) مروج الذهب ٢/ ١٢-١٣.

"ولها بأرض الهند آفة عظيمة نوع من الحيوان يعرف بالزبرق، وهي دابة أصغر من الفهد أحمر ذو زغب[١]، وعينين براقتين عجيبة، سريع الوثبة يبلغ في وثبته الثلاثين والأربعين والخمسين ذراعاً وأكثر من ذلك، فإذا أشرف على الفيل رشش عليه بوله بذنبه فيحرقها!.

وربما لحق الإنسان فأتى عليه، وفي الهند مَن إذا أشرفت عليه هذه الدابة تعلق بأكبر ما يكون من شجر الساج، وهي أكبر من النخل، وأكبر من شجر الجوز، تكِنّ الشجرة منها الخلق الكثير من الناس وغيرهم من الحيوان على حسب ما يحمل إلى البصرة والعراق ومصر من خشب الساج في طوله!.

فإذا تعلق الإنسان بأعلى تلك الشجرة وعجز هذا الحيوان عن إدراكه لصق بالأرض ووثب إلى أعلى الشجرة، فإن لم يلحق الإنسان في وثبته! رشش من بوله إلى أعلى الشجرة! وإلاّ وضع رأسه في الأرض وصاح صياحاً عجيباً، فيخرج من فيه قطع دم ويموت من ساعته وأي موضع من الشجرة سقط عليه بوله أحرقه، وإن أصاب الإنسان شيء من بوله أتلفه، وكذلك سائر الحيوان ...الخ !!؟".

ومن تلك الحكايات والأسمار ما رواه صاحب كتاب الحوادث الجامعة في أخبار سنة (٦٤٦هـ)، أن امرأة بغدادية رأت الجنية[٢]- أم عنقود- هددت أهل بغداد بالخنق، لأنهم لم يعزوها بموت ابنها عنقود، قالت ذلك، وأشارت إلى بئر واقعة في (سوق السلطان)[٣] مات فيها ابنها فشاع ذلك، وقصدها عوام الناس، والنساء والصبيان ونصبوا عند البئر خيمة، وأقيم العزاء والمناحات وخوطبت أم عنقود بكلمات تتضمن التضرع والاعتذار، وما إلى ذلك من الهذيان.

---

(١) الزَّغَبُ بفتحتين الشعيرات الصفر على ريش الفرخ، وشعر الحيوانات. ينظر: مختار الصحاح ص ٢٨٠.

(٢) وهي معروفة لدى المجتمع العراقي من شماله إلى جنوبه (وقتئذ)، وقد لفقّوا من الخرافات والسخافة حولها ما تسبب مضحكة عظيمة، كما عبر عنها المؤرخ ابن الأثير ينظر: الكامل في التاريخ ٨/ ١٠٠ (حوادث ٤٥٦هـ) وقد ظهرت هذه الجنية عام (٤٥٦هـ) في بلاد الكرد، وبعض المدن العراقية وخزستان، ثم ظهرت مرة أخرى سنة (٦٠٠هـ) في كردستان، وآخر مرة ظهرت في سنة (٦٤٦هـ) في بغداد ينظر: المصدر نفسه ٨/ ١٠٠)، ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد بن محمد (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، مطبعة الفرات - بغداد ١٣٥١هـ ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) سوق في بغداد ينظر: شذرات الذهب ٣/ ٢٦١.

قال الراوي:

وألقيت في البئر الثياب والحليّ والدراهم والخبز واللحم المطبوخ والدجاج وأنواع الحلوى، وأشعلوا عندها الشموع فلما أكثروا من ذلك أنكره عامة العقلاء والأكابر، فأمر الخليفة(١) بمنع الناس وحضر الشحنه(٢) فقال: أن الديوان قد أقام أم عنقود من العزاء وأمر بسد البئر فتفرق الناس، ومن أشعار النساء في بغداد والموصل(٣) في الاعتذار إلى أم عنقود:

يـا أم عنقود اعذرينا مات عنقود وما درينـا

لما درينا كلنا قد جينا لا تمردين عنا فتخنقينا(٤)

٦ـ الخوارج:

الخوارج: اسم لحزب سياسي وفرقة دينية، اختلف الناس في سبب تسميتهم بالخوارج.

والتعريف الذي نراه جامعا هو: كل من خرج على السلطة الشرعية التي اتفقت الجماعة عليها، سواء كان ذلك في عهد الصحابة أو أي عهد وفي أي زمان، شرط الإيمان بمعتقد الفرقة المعروفة(٥).

مجمل آرائهم الدينية:

اختلف كتّاب الفرق فيما اجمع عليه الخوارج من آراء وعقائد لكن هناك عقائد شبه مجمع عليها بينهم وهي:

---

(١) هو: الخليفة العباسي عبد الله (المستعصم بالله) بن المستنصر بالله، كان سنياً على طريقة السلف، واعتقاد الجماعة، كما كان أبوه وجده، كريماً للعلماء والعباد قتله التتار بمعاونة خونة الدين، وسنة سيد المرسلين؛ الطوسي، والعلقمي سنة (٦٥٦هـ). ينظر: البداية والنهاية ١٤/ ٢٠٤-٢٠٥، ابن عماد: المصدر السابق ٥/ ٢٧٠.

(٢) هو صاحب السلطان (رئيس الشرطة). ينظر: لسان العرب ٢/ ٢٧٩.

(٣) مدينة من مدن العراق الشهيرة تقع في شمال العراق، ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان ٥/ ٢٢٣ - ٢٢٥ (الموصل).

(٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٢٢٥، بلفظ (لا تحردينا منا)، الشبيبي: محمد رضا، مؤرخ العراق ابن الفوطي، طبعة التفيض - بغداد ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠ م ٢/ ٧١-٧٣.

(٥) ينظر الرازي: كتاب الزينة ص٢٨٢، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٥٥، عرفان عبد الحميد: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص٨٤.

أ- أكفار علي وعثمان والحكمين، وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين.
ب- وجوب الخروج على الإمام الجائر.
ج- تكفير مرتكب الكبيرة، واعتباره كافرا مخلدا في النار[١].

أن مما تبين من عقيدة الخوارج، هو تكفير صاحب الكبيرة، ومما لاشك فيه أن الكذب على رسول الله من أكبر الكبائر[٢]، ولذا فإن المتتبع لكتب الحديث والتراجم والطبقات والتاريخ، لا يكاد يجد اسماً لمن ينتمي إلى الخوارج بين أسماء الوضاعين والكذّابين، لأن الكذب عندهم كبيرة وهو كفر، بينما نجد أن الكذب عند الشيعة: دين وعقيدة، يثاب الإنسان عليه ويؤجر، فانظر الفرق بين الفئتين!.

وما روي عن الخطيب عن ابن لهيعة أنه سمع شيخاً من الخوارج وهو يقول[٣]:

"إن هذه الأحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم. فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً".

وفي رواية أخرى عن الخطيب أنه سمع رجلاً من أهل البدع رجع عن بدعته، وهو الأصح، ولم يكن من الخوارج، إنما كان من الفرقة الضالّة؛ وهي: أهل التشيّع، كما سيأتي[٤].

وقد روي هذا الخبر أيضاً عن عبيد الله بن عمرو[٥] عن عبد الكريم[٦]، وقد رواه السيوطي

---

(١) ينظر الرازي: كتاب الزينة ص٢٨٢-٢٨٣، البغدادي: الفرق بين الفرق ص٤٥، الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٥٦.
يرى الأشعري (أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٣٢٣هـ)، والبغدادي (أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر ٤٢٩هـ) أن الخوارج اتفقوا على الرأيين الأولين، أما الثالث فلم يجتمعوا عليه، ينظر: الأشعري: مقالات الإسلاميين ص١٥٦ (طبعة استانبول ١٩٢٩م)، البغدادي الفرق بين الفرق ص٤٥.
أما الأسفراتيني والرازي فيريان أنهم متفقون على الرأي الأول والثالث فقط ينظر: الأسفراتيني: التبصير في الدين ص٤٦، فخر الدين الرازي: محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ-١٢٠٩م) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق علي سامي النشار، القاهرة ١٩٣٨م ص٤٦.

(٢) ينظر: الذهبي: كتاب الكبائر، دار إحياء التراث العربي - بيروت ص١٣٦-١٤٢، العاني: محمد جمال الدين: الذريعة لإزالة شُبه كتاب الشيعة - دمشق ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م ص٣٣.

(٣) ينظر الكفاية ص١٩٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص١٩٨.

(٥) عبيد الله بن عمرو أبو وهب الرّقي أبو وهب، الحافظ، مفتي الجزيرة، ثقة، حدّث عن عبد الكريم بن مالك وطائفة (ت ١٨٠هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤١-٢٤٢ (٢٢٨)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٤٢-٤٣ (٧٤).

(٦) عبد الكريم بن مالك الجزري الحافظ، الفقيه أبو سعيد الحرانّي، وثقه النسائي وغيره (ت ١٢٧هـ) ينظر

أيضاً من طريق ثالث[١].

وهذا الخبر يُردّ لأمرين:

أ- جهالة الشيخ الذي روى الخبر.

ب- أن الخطيب روى عن حماد بن سلمة نحو حديث ابن لهيعة عن شيخ من الرافضة، مما يبين أن الخطأ كان من الراوي أو من الناسخ، وهو الأشبه[٢].

يقول أبو داود[٣] [٤]: " ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج".

وما روي عن عبد الرحمن بن مهدي: أن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث: "إذا أتاكم عني حديث فأعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ...".

فقد بين السباعي أن هذا الحديث من وضع الزنادقة[٥].

يقول الإمام ابن تيمية[٦]:

"ومن هذا فما نقدر أن نرميهم (أي الخوارج) بالكذب لاننا جربناهم فوجدناهم يتحرون الصدق، لهم وعليهم وانتم (أي الروافض) فالصادق فيكم شامة".

ويقول الخطيب البغدادي[٧]:

"والذي يعتمد عليه في تجويز الاحتجاج بأخبارهم اشتهر من قبول الصحابة أخبار الخوارج وشهاداتهم ومن جرى مجراهم من الفساق بالتأويل، ثم استمرار عمل التابعين والخالفين بعدهم على ذلك لما رأوا من تحريهم الصدق، وتعظيمهم الكذب، وحفظهم أنفسهم من المحظورات

المصدران نفسيهما: ١/ ١٤٠ (١٣٢)، ٦ / ٣٧٣-٣٧٥ (٧١٤)، وينظر الخبر: الرامهرمزي: المحدّث الفاصل ص٨٣.

(١) ينظر السيوطي: اللآلئ المصنوعة ٢/ ٢٤٨.

(٢) ينظر: الجامع لأخلاق الراوي ص١٨.

(٣) هو: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني صاحب (السنن).

(٤) الكفاية ص٢٠٧.

(٥) ينظر: السنة ومكانتها ص٨٢.

(٦) الذهبي: منهاج الاعتدال ص٤٨٠، وينظر كذلك: العاني: الذريعة لإزالة شبه كتاب الشيعة ص٨٨.

(٧) الخطيب: المصدر السابق ص٢٠١.

من الأفعال، وإنكارهم على أهل الريب والطرائق المذمومة، ورواياتهم الأحاديث التي تخالف آراءهم، ويتعلق بها مخالفوهم في الاحتجاج عليهم ...الخ".

٧ـ التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة والبلد والإمام:

إن دولة الإسلام كانت دولة واسعة مترامية الأطراف، وتضم بين جناحيها فئات وقوميات ولغات كثيرة، وقد دخل هؤلاء، كما دخل قبلهم إخوانهم العرب في دين الله تعالى، وكانت هذه الدولة تنظر إلى رعاياها بعين واحدة قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠].

ويقول الرّسول الكريم ﷺ:

(يَا أيها النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ...الخ) الحديث(١).

وكانوا يعيشون في غالب أيامهم على قلب واحد، حيث جعلهم الله إخواناً في الدين، متعاونين متكاتفين يداً واحدة على أعدائهم، يجاهدون في الله ولا يخافون لومة لائم(٢).

لكن أعداء المسلمين قد حاولوا في جميع مراحل التاريخ الإسلامي- وعلى رأسهم الفرس- الذين دخل كثير منهم في دين الله مرغماً مكرهاً حاولوا الانتقام من حملة الرسالة الأولين- وغالبيتهم العظمى كانوا عرباً - بوضع مثالب في حق العرب والعربية، مما أدى ذلك ببعض الجهلة من العرب المسلمين بوضع أحاديث في مثالب الفرس، وبلدانهم.

يقول أحد أئمة المسلمين عن الفرس(٣):

"أنهم لم يدخلوا الإسلام رغبة في الله ولا رهبة منه، ولكن مقتا لأهل الإسلام، حتى أن بعض الروافض يقدسون أبا لؤلؤة(٤) لقتله ابن الخطاب، وهؤلاء يحتفلون بذكراه هاتفين:

---

(١) مسند أحمد ٣٨/ ٤٧٤ (٢٣٤٨٩)، الهيثمي: مجمع الزوائد ٨ / ٨٤.

(٢) إلى قول الله تعالى: سورة المائدة: آية / ٥٤.

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ١/ ٦-١١.

(٤) هو فيروز أبو لؤلؤة المجوسي، قاتل أمير المؤمنين عمر وهو قائم يصلي في المحراب، صلاة الصبح يوم الأربعاء. لأربع بقين من ذي الحجة سنة (٢٣هـ) ثم انتحر اللعين قبل أن يقبض عليه أحد الصحابة. ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ١٩٠-١٩٣، ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ١٣٧.

وإثارات أبي لؤلؤة".

قال أحد الباحثين المعاصرين[(١)]:

"لما فتحت الفتوح ودخل في الإسلام لا يحصى كثرة من الأمم المفتوحة، من فارسي، ورومي، وبربري، ومصري، وسوري، وكان من هؤلاء من لا يتجاوز إيمانهم حناجرهم كثر وضع الحديث، كثرة مزعجة".

كما أن بعض العرب المسلمين، لما رأوا اعتماد بعض خلفاء بني العباس على العنصر التركي، بدأ الوضع في مثالب الترك، وما قلناه في التعصب للعنصر يقال: في التعصب للقبيلة، والبلد، والإمام، والمذهب وغيرها[(٢)].

أ- أخبار في العنصرية:

- إذا غضب الله تعالى انزل الوحي بالفارسية، وإذا رضي أنزله بالعربية[(٣)].

- قال رجل من العرب: رأيت البارحة الجنة في منامي، فرأيت جميع ما فيها من القصور، فقلت: لمن هذه؟

فقيل لي: للعرب!.

قال له رجل من الموالي: أصعدت الغرف؟ قال: لا، قال: تلك لنا[(٤)].

- اتركوا الترك ما تركوكم، وفي رواية أخرى، فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء[(٥)].

ومن تلك الأخبار التي لعبت بها الأهواء والعنصرية ما رواه لنا ابن الطقطقي، وهو شيعي

---

(١) فجر الإسلام ١/ ٢١١.

(٢) ينظر الصباغ: الحديث النبوي، مصطلحه ص ١٢٧-١٢٨، حسن: حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤ م ١/ ٣٣٧.

(٣) ينظر ابن القيم: المنار المنيف ص٩٩ (٨٥).

(٤) ابن عبد ربه: العِقد ٣/ ٢٢٨ (ط دار مكتبة الهلال-بيروت ١٩٨٦م).

(٥) أبو داود: السنن ٤/ ١٠٩ (٤٣٠٢)، الهيثمي: مجمع الزوائد ٥/ ٣٠٤، العجلوني: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م) كشف الخفاء ومزيل الألباس مكتبة دار التراث ١/ ٣٨، ابن عراق: تنزيه الشريعة ٢/ ٣٢، الشوكاني: الفوائد المجموعة ص٤٦.

متعصب يقول عن الخلافة العباسية[١]: "وأعلم أن الدولة العباسية كانت دولة خدع ودهاء وغدر، وكان قسم التحيل والمخادعة فيها، أوفر من قسم القوة والشدة".

ثم يناقض نفسه في الصفحة التي بعدها- لعله قد هدأت عاصفة الهوى والعصبية عنده في تلك الساعة- ويقول[٢]:

"إلا أنها كانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم، أسواق العلوم فيها قائمة، وبضائع الآداب فيها نافقه وشعائر الدين فيها معظمة، والخيرات فيها دائرة، والدنيا عامرة، والحرمات مرعية، والثغور محصنة ... وما زالت على ذلك، حتى كانت أواخرها فانتشر الجبر واضطرب الأمر".

ومن ذلك: أن رجلاً قتل بالمدينة، لا يدرى من قتله، فقال النبي:
(أبعده الله، إنه كان يبغض قريشاً)[٣].

بـ التعصب للبلدان:

- "أربع مدائن من مدن الجنة في الدنيا: مكة والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق.

وأربع مدائن من مدن النار في الدنيا: القسطنطينية[٤]، والطبرانية، وأنطاكية[٥] المحترقة، وصنعاء، إن منشأ المياه العذبة والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس"[٦].

- "أن الله اختار من جميع البلاد الكوفة، وقم[٧]، وتَفليس[٨]"[٩].

---

(١) ابن الطقعقي: محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩هـ-١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة الرحمانية ص١٠٥.

(٢) المصدر نفسه ص١٠٦.

(٣) الشوكاني: المصدر السابق ص٤١٤.

(٤) هي مدينة اسطنبول اليوم، ينظر: الحموي: معجم البلدان ٤/ ٣٤٧ (قسطنطينية).

(٥) قصبة في ثغور الشام، بين حلب وأنطاكية يوم وليلة، ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٦٦-٢٦٧ (أنطاكية)

(٦) ابن عراق: المصدر السابق ٢/ ٤٨.

(٧) بناها في العهد الإسلامي طلحة بن الأحوص الأشعري، وهي بين أصبهان وساوة، ينظرالحموي: المصدر السابق ٤/ ٣٩٧ (قُمٌّ)

(٨) بفتح وكسر المعجمة، مدينة قديمة بأرمينية، افتتحها المسلمون في عهد عثمان ﷺ، ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٣٥-٣٦ (تفليس)

(٩) الحرّ العاملي: وسائل الشيعة ٥/ ٤٠٢-٤٠٤.

- "أن الله اتخذ كربلاء حرما أمناً مباركاً قبل أن يتخذ مكة حرماً"[١].

- "ستفتح عليكم الآفاق وستفتح عليكم مدينة يقال لها قزوين[٢] من رابط فيها أربعين يوماً أو أربعين ليلة كان له في الجنة عمود من ذهب على زبرجدة خضراء عليها قبة من ياقوتة حمراء، لها سبعون ألف مصراع على كل مصراع زوجة من الحور العين"[٣].

جـ أحاديث التعصب للإمام والمذهب:

- "ستكون فتنة، فإن أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين: كتاب الله، وعلي بن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول- وهو آخذ بيد علي هذا - :

أول من آمن بي، وهو أول من يصافحني يوم القيامة، وهو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب[٤] المؤمنين، والمال يعسوب الظلمة، وهو الصديق الأكبر، وهو بابي الذي أوتى منه، وهو خليفتي من بعدي"[٥].

- روى ابن خلكان[٦] أن أبا يوسف القاضي[٧] مضى ليسمع المغازي من محمد بن إسحاق أو من غيره، وأخلّ بمجلس أبي حنيفة أياماً، فلما أتاه قال له أبو حنيفة:

"يا أبا يوسف، من كان صاحب راية جالوت[٨] فقال له أبو يوسف:

---

(١) المصدر نفسه ٥/ ٤٠٢-٤٠٤.

(٢) مدينة معروفة بينها وبين الريّ سبعة وعشرون فرسخاً، الحموي: المصدر السابق ٤/ ٣٤٢ (قَزوين).

(٣) تنزيه الشريعة ٢/ ٥٠.

(٤) اليَعسُوب مَلِك النحل (أي علي ملك المسلمين). ينظر الرازي: مختار الصحاح ص٤٣١ (ع س ب).

(٥) الفوائد المجموعة ص٣٤٥، وينظر الأحاديث الباطلة التي وردت في حق خلفاء بني العباس. ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٤٨-٥١، الدوري: أخبار الدولة العباسية، طبعة دار صادر-بيروت-ص٨٨، ١٤١.

(٦) شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان الأربلي الشافعي الكردي، كان عالماً متفنناً مفتياً، علامة في الأدب والشعر مؤرخاً (ت ٦٨١هـ) ينظر: السبكي: الطبقات الكبرى ٥/ ١٤، ابن عماد: شذرات الذهب ٥/ ٣٧١.

(٧) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، الإمام القاضي الفقيه، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه (ت١٨٢هـ) ينظر: وكيع: أخبار القضاة ٣/ ٢٥٤-٢٦٤، الشيرازي: طبقات الفقهاء ص١٣٤، ابن خلكان: المصدر السابق ٦/ ٣٧٨-٣٨٨ (٨٢٤).

(٨) هو: ملك العمالقة ذكره القرآن الكريم: وكان في حرب مع بني إسرائيل، قتله داود بن إِيْشَي، وقيل بن زكريا. ينظر: الطبري: المصدر السابق ١/ ٤٦٧-٤٧٨، القرطبي: الجامع لأحكام القران ٣/ ٢٤٧-٢٦٠.

إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ أيهما كان أولاً وقعة بدر أو أحد؟ فإنك لا تدري أيهما كان قبل الآخر فأمسك عنه"[١].

٨ـ التقرب إلى الحكام:

لم يذكر التاريخ- فيما اطلعنا عليه - أن أحداً من خلفاء المسلمين سواء في عهد الراشدين[٢] أو خلفاء بني أمية أو أوائل خلفاء بني العباس تقرب إليه أحد من الناس بوضع حديث في خبر صحيح، وما قيل من الأخبار في أن بعض خلفاء بني العباس، قد سمعوا من بعض الوضاعين أحاديث وضعوها في التزلف والتقرب من بعض المتزلفين، كلها تدل أنهم أنكروا ذلك عليهم، بل

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ٦/ ٣٨٢، (ترجمة أبي يوسف)، وهذا الخبر لفقه المغرضون للنيل من الإمامين الجليلين، أبي حنيفة الذي قال عنه الشافعي: كل الناس عيال على أبي حنيفة، في علمه وفقهه، الإمام الذي سماه الذهبي بالإمام الأعظم، وفقيه العراق لا يعلم سيرة نبيه ﷺ، إلى هذه الدرجة المخزية، لا يعرف أيها كان أولاً، وقعة بدر أم أحد؟ الذي يعرفه عوام ذلك العصر، لاهتمامهم بسيرة نبيهم، ثم أن معرفة الفقهاء بالتاريخ من الأمور الضرورية كما بينا في الفصل الثاني لمعرفة الناسخ والمنسوخ، والحلال والحرام وغيرها من الأحكام الفقهية التي تعتمد على التاريخ، فكيف يكون الإمام أبو حنيفة (إمام الأمة في الفقه) وهو غير بصير بتاريخ غزوات النبي ﷺ المشهورة عند عامة المسلمين. ثم أن هذا اتهام آخر لكبير علماء المسلمين وكبير قضاتهم بسوء الأدب مع أستاذه ويتهمه بالجهل بالغزوات وسيرة النبي ﷺ!.

كيف يكون ذلك وهو الذي قال في حق أستاذه كما يروي ابن خلكان نفسه: (اللهم أنك تعلم إني لم أَجُرْ في حكم حكمته فيه بين اثنين من عبادك تعمدّاً، ولقد اجتهدت في الحكم، بما وافق كتابك، وسنة نبيك ﷺ وكل ما أشكل عليَّ، جعلتُ أبا حنيفة بيني وبينك، وكان عندي والله، ممن يعرف أمرك، ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه) !. المصدر نفسه ٦/ ٣٨٨

وهو القائل كما يروي ابن خلكان أيضاً: أن أحد الناس ممن كان يجلس في مجالس أبي يوسف، كان يلاحظ مما كان يكتبه، فلما لاحظه، أنشد: كأنه من سوء تأديبه أسلم في كتّاب سوء الأدب

المصدر نفسه ٦/ ٣٨٣)

فإذا كان أبو يوسف يطعن في من يجالسه من أجل ملاحظة يسيرة، فكيف يرضى لنفسه أن يسيء الأدب إلى أستاذه وشيخه هكذا!

وقد روى التاريخ أنه كان يدعو للإمام أبي حنيفة دبر كل صلاة. ينظر: وكيع: إخبار القضاة ٣/ ٢٥٨.

وقد استدل أعداء الإسلام من المستشرقين بذلك بأن الفقهاء كانوا لا يهتمون بالسير والمغازي! ينظر: هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها.

(٢) فالراشدون ﷺ البساط عنهم مرفوع، كما بينا في عدالة الصحابة (ينظر الفصل الخامس) أما خلفاء بني أمية، فلم يذكر أحد أيضاً-كما نعلم- أن أحداً تقرّب إليهم بحديث موضوع.

نقول: إن خلفاء المسلمين كان أكثرهم، أهل علم ودراية بحديث رسول الله ﷺ، وكان مجالسهم لا تخلو من العلماء والمحدّثين في أغلب أحوالهم ومجالسهم، فلا يمكن أن يدخل مثل هؤلاء عليهم في مجالسهم.

ومن ذلك ما يروى: أنَّ غياث بن إبراهيم النخعي[١] الكوفي الكذاب، دخل على أمير المؤمنين المهدي وكان المهدي يحب الحَمام - فيما يقال - ويلعب به، فإذا قدامه حمام، فقيل له: حدث أمير المؤمنين، قال: حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال:

"لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر أو جناح"[٢].

فأمر له المهدي ببدرة[٣]، فلما قام قال:

أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله ﷺ ثم قال المهدي: أنا حملته على ذلك، ثم أمر بذبح الحمام، ورفض ما كان فيه[٤].

وهذه الأخبار باطلة من أوجه:

أولاً: متى دخل هؤلاء الوضاعين إلى مجلس خلفاء المسلمين من بني العباس؟! وكيف سمحوا لمن يضع ويكذب على رسول الله ﷺ الأحاديث في دخول مجلسهم؟!.

ثانياً: أليس المنصور والمهدي والرشيد وغيرهم كانوا من ألد أعداء الوضاعين، وقد نقلت إلينا كتب التاريخ والحديث ما فعله هؤلاء بالزنادقة والوضاعين والكذابين على رسول الله ﷺ.

---

(١) غياث بن إبراهيم، أبو عبد الرحمن، متروك الحديث، لم أقف على وفاته (كان حياً في زمن المهدي) ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٧/ ١٠٩، التاريخ الصغير ص٩٣، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص١٩٥ (٥٠٩)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٣٣٧-٣٣٨ (٦٦٧٣).

ومن ذلك ما نسب إلى أن مقاتل بن سليمان البلخي المفسر، أبو الحسن جاء إلى المنصور-وفي رواية أخرى المهدي-وقال له (إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس، قال قلت: لا حاجة لي فيها).

تاريخ بغداد ١٣/ ١٦٧، البلخي: مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ-٧٦٧م) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق، عبد الله محمود شحاتة، وزارة الثقافة المصرية-القاهرة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ١/ ٣٠ (المقدمة)

(٢) الحديث بدون كلمة (أو جناح) رواه أبو داود: السنن ٣/ ٢٩ (٢٥٧٤)، وقد أضاف الوضاع (أو جناح) من عنده، قال ابن القيم: كل أحاديث الحَمام (بالتخفيف) لا يصح منها شيء ينظر: المنار المنيف ص١٠٦-١٠٧.

(٣) البَدْرة: عشرة آلاف درهم. ينظر الرازي: مختار الصحاح ص٤٣ (ب د ر).

(٤) ينظر ابن الجوزي: الموضوعات ٣/ ٧٨، شاكر: الباعث الحثيث ص٨١، وينظر حديثاً آخر، يشبه الحديث السابق، لكن الواقعة كانت مع الرشيد: المصدر نفسه ص٨١، ابن القيم: المصدر السابق ص١٠٧.

ومن ذلك قتل أمير البصرة- محمد بن سليمان بن علي[١]- عبد الكريم بن أبي العوجاء[٢] أحد كبار الوضاعين سنة (١٥٥هـ) فلما ايقن أنه مقتول قال[٣]:

"أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أُحَرِّمُ فيها الحلال، وأحل فيها الحرام والله لقد فطّرتكم في يوم صومكم، وصومتكم في يوم فطركم، فضربت عنقه، وقد أقر المنصور محمداً على هذا العمل لما عرف أنه قتله من أجل وضع الحديث".

ومنها قتل عيسى بن موسى أمير الكوفة[٤]، قتل أكبر الوضاعين في الكوفة وهو أبو الخطاب محمد بن أبي زينب[٥] سنة (١٣٨هـ)[٦].

ومن ذلك قتل المهدي لجماعة من الوضاعين والكذابين والزنادقة[٧] وكذلك الرشيد[٨]، والأخبار في ذلك كثيرة، ومشهورة لمن له خبرة في هذا المجال.

ثالثاً: وهل كانت للمهدي والرشيد طيور يلعبون بها؟ ومتى كان لهم وقت حتى يصبحوا، كما يشتهي أعداء الإسلام أن يكونوا من هواة الطيور؟!.

---

(١) العباسي، أبو عبد الله، أمير البصرة، كان عظيم أهله، زوج العباسة (ت ١٧٣هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٥/ ٢٩١-٢٩٢ (٢٧٩٥)، الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) الوافي بالوفيات، اعتناء هلموت ريتروس - دمشق ١٩٥٣ م ٣/ ١٢١.

(٢) هو خال معد بن زائدة الشيباني، كان زنديقاً، ضالاً ينظر: الطبري: المصدر السابق ٨/ ٤٧-، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٦٤٤ (٥١٦٧).

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٨/٤٨، ابن الجوزي: الموضوعات ١/ ٤، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٦٤٤، السخاوي: فتح المغيث ص١٢٧.

(٤) عيسى بن موسى بن محمد العباسي، شيخ الدولة، من فحول بني العباس، صاحب مشورة ورأي، والي الكوفة في عهد عمه السفاح (ت ١٦٧هـ) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٨/ ١٦٤، الصولي: أشعار أولاد الخلفاء ص٣٠٩-٣٢٣.

(٥) هو محمد بن مقلاص الأسدي من غلاة الروافض لعنه جعفر الصادق، واعتبره خارجاً عن ملة الإسلام، ينظر القرشي: عيون الأخبار وفنون الآثار ٤/ ٢٨٧ - ٢٨٨، القمي: الكنى والألقاب ١/ ٦٢.

(٦) ينظر المقريزي: تقي الدين، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨ م ص٤٩.

(٧) بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ٢/ ١٦ (ط دار العلم للملايين-بيروت).

(٨) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٤/ ٣٠٨، العلي: عبد المنعم صالح، دفاع عن أبي هريرة، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة - بغداد ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣ م ص٨.

والذي يبدو أن وضاعيّ هذه الأخبار، قد غفلوا عن طبائع العمران وعوائد الأمم والشعوب، فقاسوا عصر المهدي والرشيد بمقياس عصرهم وما هم فيه من لهو ولعب وفراغ، ثم وضعوا تلك الأكاذيب عليهم، وما علموا أن هؤلاء في عصر وزمن من قرب الإسلام وخشونة العيش، والبداوة ما يمنعهم من فعل شيء مثل هذا[١].

يقول ابن خلدون[٢]:

"ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار، ومرور الأيام، وهو داء دويّ شديد الخفاء إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة، فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليقة، وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة، ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول، سنة الله التي قد خلت في عباده، وقد كانت في العالم أمم الفرس الأولى والريانيون، والنبط والتبابعة وبنو إسرائيل والقبط وكانوا على أحوال خاصة بهم في دولهم وممالكهم، وسياستهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم مع أبناء جنسهم وأحوال اعتمارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب، فتبدلت تلك الأحوال وانقلبت العوائد إلى ما يجانسها أو يشابهها، والى ما يباينها أو يباعدها ثم جاء الإسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الأحوال أجمع انقلابة أخرى ...الخ).

٩- وضع جهلة الصالحين والزهاد للأخبار:

أن الخير كل الخير هو التمسك بحبل الله المتين- وهو كتابه - والتمسك بسنة رسوله الأمين ﷺ، وفي كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة من مادة الترغيب والترهيب- وهي كثيرة- غني عن اللجوء إلى وضع الأحاديث في ترغيب الناس في أمور دينهم أو ترهيبهم عن الشر، وقد حاول بعض جهلة الصالحين وضع الأحاديث في الرقائق، وحينما سئلوا عنها قالوا:

وضعناها نرقق بها قلوب العامة[٣].

---

(١) ينظر النصولي: أنيس زكريا، الدولة الأموية في الشام الطبعة الأولى، مطبعة - دار السلام - بغداد ١٩٢٧م ص٣٢.

(٢) المقدمة ص٢٢-٢٣، تاريخ ابن خلدون١/ ٢٤.

(٣) ينظر ابن الجوزي: الموضوعات ١/ ٤، وهذا الناسك هو: أحمد بن محمد المعروف بغلام خليل، ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٥/ ٧٩.

وحينما حُذّر هؤلاء من الكذب على رسول الله تأول بعضهم[١] حديث:

(مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

فقالوا: نحن نكذب له لا عليه!.

ومن ثم ذهبوا إلى جواز وضع الحديث ترغيباً للناس في الطاعة وزجراً لهم عن المعصية[٢].

وقد اعترف كثير من هؤلاء الجهلة بخطئهم، فقد سأل عبد الرحمن بن مهدي: ميسرة بن عبد ربه[٣] من أين جئت بأحاديث من قرأ كذا فله كذا؟.

فأجابه: وضعتها أُرَغِّبُ الناس فيها[٤].

كما اعترف أبو عصمة نوح بن أبي مريم المروزي[٥]، لما سئل أيضاً في الأحاديث التي وضعها في فضائل القرآن سورة سورة، فقال[٦]:

"وضعتها لإعراض الناس عن القرآن واشتغالهم بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق".

من أجل هذا حذر العلماء من أحاديث وفتنة هؤلاء تحذيراً شديداً.

قال يحيى بن سعيد القطان[٧]:

"ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد".

---

(١) مثل الكرّامية أصحاب أبي عبد الله محمد بن الكرام، من مثبتة الصفات، لكنهم انتهوا منها إلى التجسيم. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٠٨.

(٢) ينظر ابن حبان: المجروحين من المحدّثين ٢/ ٢٣، ابن القيم: المنار المنيف ص١١٤-١١٥، العراقي: فتح المغيث ص١٣٢، ١٣٣، السيوطي: التدريب ١/ ٢٨٣.

(٣) مَيسَرَة بن عبد ربّه الفارسي البصري التِراس الأكال، متروك الحديث، كان يفتعل الحديث ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٧/ ٣٧٧، التاريخ الصغير ص١٠٨، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص٢٣١، الذهبي: ميزان الاعتدال٤/ ٢٣٠-٢٣٢ (٨٩٥٨).

(٤) ينظر ابن حبان: المجروحين من المحدثين ٢/ ٢٣، الموضوعات ١/ ٥، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٣٠.

(٥) نوح بن يزيد بن جعونة، أبو عصمة، اختلف في توثيقه (ت ١٧٣هـ) ينظر: ابن حبان: المصدر السابق ٣/ ٤٨، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٨/ ٤٨٤، النسائي: المصدر السابق ص٢٣٦، الذهبي: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ٣/ ١٨٦، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٧٩-٢٨٠ (٩١٤٣).

(٦) الموضوعات ١/ ٥، الشوكاني: الفوائد المجموعة ص٢٩٦.

(٧) ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ١/ ٤٦، الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ٩٨، ابن الجوزي: الموضوعات ١/ ٥.

وقال أبو عاصم النبيل[(١)]:

"ما رأيت الصالح يكذب في شيء أكثر من الحديث"[(٢)].

وسبب ذلك كما يقول الإمام مسلم[(٣)]:

"أن الكذب يجري على لسانهم ولا يعتمدونه".

ويقول الإمام العراقي[(٤)]:

"يريد والله أعلم المنسوبين للصلاح بغير علم يفرقون به بين ما يجوز لهم ويمتنع عليهم، أو أن الصالحين عند حسن ظن وسلامة صدر، فيحملون ما سمعوه على الصدق ولا يهتدون لتمييز الخطأ من الصواب".

من أحاديث هؤلاء:

- (من سمع سورة يس عدلت له عشرين ديناراً في سبيل الله، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف يقين وألف نور، وألف بركة، والف رحمة، وألف رزق، ونزعت منه كل غل)[(٥)].

- **حديث صلاة الرغائب:**

عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ[(٦)]:

---

(١) الضحّاك بن مخلد بن الضحّاك الشيباني أبو عاصم النبيل، الحافظ، ثقة فقيه وكان يلقب بالنبيل لنبله وعقله (ت ٢١٢هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٦-٣٦٧ (٣٦٠)، الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص١٧٧.

(٢) ابن عدي: المصدر السابق١/ ٤٦.

(٣) شرح صحيح مسلم ١/ ٩٥.

(٤) فتح المغيث ص١٣٠، ومن الغرائب واللطائف في نفس الوقت من أحد علماء الحديث وهو: يزيد بن هارون ت (٢٠٦هـ) أنه حضر مجلس أبي سعيد المدائني، وكان حسن النغمة والقصص، فأخذ يكذب في الحديث، ويزيد بن هارون يبكي من التأثر، ثم اكتفى بأن قال لرجل بجانبه، ويحك هذا يكذب، فأجابه الرجل، فقعودك عنده، تبكي وأنت تعلم أنه يكذب أيش؟!. ابن حبان: المجروحين ٢/ ٢٩.

(٥) الفوائد المجموعة ص٣٠٠.

(٦) وهو من وضع علي بن عبدالله بن جهضم الزاهد أبو الحسن شيخ الصوفية، بحرم مكة صاحب كتاب (بهجة الأسرار ت ٤١٤هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٢ (٥٨٧٩)، وينظر كذلك: الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت ١/ ٢٠٢، ابن الجوزي: الموضوعات ٢/ ١٢٤، ابن حجر: لسان الميزان ٤/ ٢٣٨ (٦٤١)، ابن عراق: تنزيه الشريعة ٢/ ٩٠.

(رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي!.

قيل: ما معنى قولك شهر الله؟.

قال: لأنه مخصوص بالمغفرة، وفيه تحقن الدماء، وفيه تاب الله على أنبيائه، وفيه أنقذ أوليائه من يد أعدائه، من صامه استوجب على الله ثلاثة أشياء: مغفرة لجميع ما سلف من ذنوبه، وعصمة ما بقي من عمره، وأما الثالث: يأمن من العطش يوم العرض الأكبر ... ثم قال رسول الله ﷺ: فما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلي ما بين المغرب والعشاء يعني ليلة الجمعة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرّة و ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١] ثلاث مرات، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، اثنتي عشرة مرة، ويفصل بين كل ركعتين بتسليمه، فإذا فرغ من صلاته صلّى علي سبعين مرة يقول:

اللهم صلي على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم، ثم يسجد سجدة يقول في سجوده:

سُبُّوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة، ثم يرفع رأسه فيقول:

رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، فإنك أنت العزيز الأعظم، سبعين مرة ثم يسجد الثانية، فيقول:

مثل ما قال في الأولى يسأل الله حاجته في سجوده فإنها تقضى.

والذي نفسي بيده ما من عبد ولا أمة صلى هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه، ولو كان مثل زبد البحر، وعدد الرمل ووزن الجبال، وعدد قطر الأمطار، وشفع له يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته...الخ).

المبحث الثالث
قواعد لمعرفة الموضوع

كاد الوضاعون من أعداء الإسلام، أن يشوهوا صورة الإسلام من خلال تآمرهم على السنة النبوية المشرَّقة، والتاريخ الإسلامي، لكن الله تعالى هيأ لدينه وسنة نبيّه رجالاً، قاوموا الوضع وتتبعوا الوضاعين، وبيَّنوا أكاذيبهم وزيفهم وكشفوهم أمام الملأ حفاة عراة، وذلك بوضع قواعد رصينة، تكشف زيف الزائفين، وتعدي المتطفلين، وكان لأئمة الحديث- كما نبين- قصب السبق في ذلك.

لم يكن قدماء المؤرخين ليكتبوا تواريخهم إلا على أصول ومبادئ وقواعد عامة، لكنه مع الأسف انتحلت هذه المهنة الجليلة طبقة من الناس ليس لهم علم بقواعد السياسة، وطبائع العمران، واختلاف الأمم والبقاع، والأديان والمذاهب، فأدخلوا معهم شراً كثيراً في التاريخ.

يقول ابن خلدون[١]:

"فإذا يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع والأعصار، في السير والأخلاق، والعوائد والنحل، والمذاهب، وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك... وحينئذٍ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول، فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً وإلا زيفه، واستغنى عنه، وما استكبر القدماء علم التاريخ إلا لذلك، حتى انتحله الطبري والبخاري وابن إسحاق من قبلهما، وأمثالهم من علماء الأمة، وقد ذهل الكثير عن هذا السرّ فيه حتى، صار انتحاله مجهلة، واستخف العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله، والخوض فيه والتطفل عليه فاختلط المرعى بالهمل، واللباب بالقشر والصادق بالكاذب".

وضع أئمة الحديث خطوات جبارة وقواعد رائعة لتخليص الحديث النبوي من الوضع والشوائب، ومن الممكن أن تطبق تلك الخطوات والقواعد على التاريخ الإسلامي لإنقاذه أيضاً من الدسائس والأباطيل.

---

(١) المقدمة ص٢٢، تاريخ ابن خلدون ١/ ٢٣.

أهم تلك الخطوات:

١- التزام السند:

إن من أهم الخطوات التي استخدمها أئمة الحديث لإنقاذ السنة، هو السؤال عن الإسناد، وقد بينّا ذلك بالتفصيل، وخلاصة القول في ذلك أن المسلمين لم يلتزموا الإسناد- دائماً- إلا بعد وقوع الفتنة، وذلك لما كان عليه المسلمون من الصدق والأمانة.

يقول ابن سيرين[١]:

"لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم...الخ".

عن الربيع بن خُثيم قال[٢]:

(من قال لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات كن له كعتق رقاب أو رقبة).

قال الشعبي[٣]:

(فقلت للربيع بن خُثيم: من حدّثك بهذا الحديث؟ فقال: عمرو بن ميمون الأودي، فلقيت عمرو بن ميمون، فقلت: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال عبدالرحمن بن أبي ليلى[٤] فلقيت ابن أبي ليلى، فقلت من حدثك؟ قال: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ).

٢- تتبع الكذبة واستعداء السلطان عليهم:

ومن تلك الخطوات المباركة، التي قام بها العلماء محاربتهم للكذابين والوضاعين علانية، وإعلان الحرب عليهم، تهديدهم بالسلطان، وتعريهم أمام الملأ، وهي خطوة جريئة طيبة يجب على كل مسلم فعلها والقيام بها، تجاه كل من يحاول تخريب السنة النبوية، أو التاريخ الإسلامي، أو أي

---

(١) شرح صحيح مسلم ١/ ٨٤، سنن الدارمي ١/ ١١٢.

(٢) كنز العمال ٢/ ١٢٩ (٣٤٦٢).

(٣) ينظر الرامهرمزي: المحدث الفاصل ص٢٠٨، ابن عبد البرّ: التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الدينية-المغرب ١٣٨٧هـ ١/ ٥٥.

(٤) أبو عيسى، وقيل داود بن بلال بن أُحيْحَةَ الأنصاري، من كبار تابعي الكوفة قتل بدجيل سنة (٨٢-٨٣هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٠/ ١٩٩-٢٠٢ (٥٣٤٨)، وفيات الأعيان ٣/ ١٢٦ (٣٦٠)، تذكرة الحفاظ ١/ ٥٨ (٤٢).

شيء يمس عقيدة المسلمين أو شريعتهم، منطلقاً من باب (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ...الخ) الحديث(١).

ولولا ذلك لتكالب المفترون والكذبة على دين الله وشرعه. روي عن الشعبي أنه كان يمر بأبي صالح(٢)، صاحب التفسير، فيأخذه بأذنه ويقول: ويحك! كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ(٣).

ويقول الإمام الشافعي(٤):

"لولا شعبة، ما عرف الحديث بالعراق، كان يجيء إلى الرجل، فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان".

٣ـ بيان أحوال الرواة، والاستعانة بالتاريخ لمعرفة الوضع:

إن اهتمام أئمة الحديث بأحوال الرواة من دراسة حياتهم وتاريخهم، وتتبعهم في مختلف مراحل عمرهم، لم يُبْقِ أمام الوضاعين أي مجال للدس والتزوير حتى تمكن الأئمة معرفة الصادق منهم والكاذب، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك كما يقول أحد أئمة الحديث(٥):

"حتى عرفوا الأحفظ، فالأحفظ والأضبط فالأضبط، والأطول مجالسة لمن فوقه، ممن كان أول مجالسة".

وكان من شدة اهتمامهم بذلك وصدقهم مع الله، لا يأخذ أحد في الله لومة لائم.

---

(١) مسند أحمد٣/ ٤٩ (١١٤٧٨) صحيح مسلم ١/ ٦٩ (٧٨)، أبو داود: السنن ٤/ ١٢٠-١٢١ (٤٣٤٠)، ابن ماجة: السنن ٢/ ١٣٣٠ (٤٠٣١)، شرح صحيح مسلم، ٢/ ٢٢-٢٤، السيوطي: الجامع الصغير ٢/ ٦٠٢ (٨٦٨٧) وتمام الحديث (مَن رأى منكم منكراً فَليُغيّرْهُ بيَدِهِ، فإن لم يَستطِع فَبِلسانهِ، فإن لم يستطِعْ فَبقلبِهِ، وذلك أضعف الإيمان).

(٢) كان رجلاً من العباد، قليل العلم، لم أقف على ترجمته ومن هو ومتى توفي، ولكن له ذكر في كثير من كتب التاريخ وغيرها ينظر ابن خلكان: المصدر السابق ٣/ ٦٤، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٨٣، ابن القيم: المنار المنيف ص ٤٥.

(٣) ينظر أبو القاسم: عبد الله بن أحمد البلخي (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م) قبول الأخبار ومعرفة الرجال ص٤٢، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٨٣.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ١٧٠.

(٥) شرف أصحاب الحديث ص٣٨.

فهذا أحد أئمة هذا الفن وهو: زيد بن أبي أنيسة[١] يقول في حق أخيه: (لا تأخذوا عن أخي[٢])!!.

ومن ذلك جعلوا التشهير بالكذابين من الدين، قال عبد الرحمن بن المهدي: سألت شعبة وابن المبارك، والثوري، ومالك بن أنس، عن الرجل يتهم بالكذب، فقالوا[٣]: "انشره، فإنه دين".

وقد استخدم أئمة الحديث لمعرفة كذب الرواة من عدمه، التاريخ، يقول حفص بن غياث[٤]:

"إذا اتهم الشيخ فحاسبوه بالسنين قال السخاوي:

يريد سنه وسن من كتب عنه"[٥].

وقال سفيان الثوري[٦]:

"لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ".

وقال حسان بن زيد[٧]:

"لم يستعن على الكاذبين بمثل التاريخ يقال للشيخ: سنة كم ولدت؟ فإذا أقر بمولده مع معرفتنا بوفاة الذي انتمى إليه عرفنا صدقه من كذبه"[٨].

---

(١) زيد بن أبي انيسة، إمام حافظ ثقة(ت ١٢٤-١٢٥هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٣٩-١٤٠ (١٣١)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٢٧٢ (١٥٨).

(٢) هو: يحيى بن أبي انيسة الجزري (ت ١٤٦هـ) متروك الحديث ينظر: النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ٢٥٢ (٦٧٠)، ابن حبان: المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ٣/ ١١٠، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٩/ ١٢٩. وينظر الخبر: النووي، شرح صحيح مسلم ١/ ١٢١.

(٣) ابن عبد البر: مقدمة التمهيد ١/ ٤٧.

(٤) حفص بن غياث: الإمام الحافظ، قاضي بغداد ثم الكوفة، ثقة، تقي (ت ١٩٤هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٩٧-٢٩٨ (٢٧٩)، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ١٨٩ (٤٦٥).

(٥) ابن الصلاح: المقدمة ص ١٨٩-١٩٠، وينظر كذلك: تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/ ٢٦، السخاوي: الإعلان بالتوبيخ (تحقيق روزنثال، طبعة بغداد ١٩٦٣م) ص ٢٢.

(٦) ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٨٩، السخاوي: المصدر السابق ص ٢١-٢٢.

(٧) حسان بن زيد لم أقف على ترجمته.

(٨) تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٢٦، السخاوي: المصدر السابق ص ٢٢.

ويلخص السخاوي لنا فائدة معرفة تواريخ الولادات ووفيات الرواة ويقول[١]:

"وكون المروي من طريق بعض المختلطين، من قديم حديثه، أو ضده، وكون الراوي لم يلق من حدّث عنه، إما لكونه كذب أو أرسل، وذلك ينشأ عنه معرفة ما في السند من انقطاع، أو عضل، أو تدليس، أو إرسال ظاهر أو خفي، للوقوف به على أن الراوي مثلا لم يعاصر من روى عنه أو عاصره ولكنه لم يلقه لكونهما من بلدين مختلفين، ولم يدخل احدهما بلد الآخر ولا التقيا في حج ونحوه، مع كونه ليست له منه إجازة أو نحوها".

سئل ابن المديني عن حديث الأسود- وهو ابن سريع[٢]- :

(بعث رسول الله ﷺ سرية فأكثروا القتل).

فقال: إسناده منقطع. رواية الحسن عن الأسود بن سريع، والحسن عندنا لم يسمع من الأسود، لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي وكان الحسن بالمدينة[٣].

ومن الأمثلة لذلك: يقول ابن خلكان[٤]:

"وجدت في كتاب (فلك المعالي لابن الهبارية)[٥] في الباب التاسع من الكتاب المذكور أن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ دخل على معاوية، فقال معاوية: أسندوني ثم تمثل ببيت أبي ذُؤيب الهذلي[٦].

وتجلّدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدّهر لا أتضعضع

فسلّم الحسن[٧] ثم أنشد:

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨.

(٢) الأسود بن سريع بن حمير التميمي الشاعر المشهور، غزا مع النبي أربع غزوات (ت ٤٢هـ) ينظر: ابن حجر: الإصابة ١/ ٤٤-٤٥ (١٦١) الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٣٧.

(٣) ينظر ابن المديني: العلل ص٥٩، وينظر الحديث: مسند أحمد ٣/ ٤٣٥.

(٤) المصدر نفسه ٦/ ١٥٦.

(٥) محمد بن محمد بن صالح بن حمزة العباسي الهاشمي، شاعر، أديب (ت ٥٠٤هـ ١١١١م) والكتاب (فلك المعالي) ألفّه للوزير أبي نصر سعيد بن المؤمّل ورتبه على اثني عشر باباً على ترتيب البروج ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٤٥٣-٤٥٧ (٦٧٦)، ابن عماد: شذرات الذهب ٤/ ٢٤، حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ١٢٩١.

(٦) هو: خويلد بن خالد بن محرّث الهذلي، شاعر مخضرم، من فحول الشعراء، اختلف في وفاته، والصحيح أنه مات في عهد عثمان، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٦٥-٦٧، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٦٥-٦٧ (٣٨٨)

(٧) يعني بن علي بن أبي طالب ﷺ، وفي رواية تاريخ دول الأعيان الحسين بدل الحسن، ينظر: ابن أبي عذيبة: تاريخ دول الأعيان ١/ ٢٤٨ (مخطوطة دار صدام للمخطوطات).

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيتَ كل تميمة لا تنفع[(١)].

- يقول ابن خلكان معلقاً على هذا الخبر - قلت:

ولم يذكر ابن الهبارية ولا الظاهري[(٢)] أنه كان في علة الموت ولا يمكن ذلك[(٣)] لأن الحسن توفي قبل معاوية حيث كانت وفاته عام (٤٩هـ) ووفاة معاوية (٦٠هـ) والحسين لم يحضر وفاته، لأنه كان بالحجاز ومعاوية توفي في دمشق".

ومن ذلك، قال إسماعيل بن عياش[(٤)]:

كنت بالعراق، فأتاني أهل الحديث، فقالوا:

ها هنا رجل يحدّث عن خالد بن معدان[(٥)] فأتيته، فقلت:

أي سنة كتبت عن خالد بن معدان؟

فقال: سنة ثلاث عشرة يعني ومائة، فقلت: أنك تزعم أنك سمعت من خالد بن معدان بعد موته بسبع سنين ![(٦)].

---

(١) السكريّ: أبي سعيد الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة-القاهرة ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م ١/ ٤.

(٢) هو أبو بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني الظاهري، أحد الفقهاء الأدباء الظرفاء صاحب كتاب الزهرة، أتى فيه بكل غريبة ونادرة، وشعر رائع (ت ٢٩٧هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٥/ ٢٥٦-٢٦٣ (٢٧٥٠)، ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٢٥٩-٢٦١ (٦٠٤) ابن عماد: المصدر السابق ٢/ ٢٢٦، حاجي خليفة: المصدر السابق ٢/ ٩٦٢. وكتاب الزهرة طبع عدة طبعات منها: طبعة (الأردن ١٤٠٦-١٩٨٥) تحقيق: الدكتور إبراهيم السامرائي.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان ٦/ ١٥٦.

(٤) إسماعيل بن عياش أبو عتبة الحمصي محدث الشام، العابد الزاهد الإمام، أحد كبار الكرماء من العلماء، ثقه (ت ١٨٢هـ) على الصحيح ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٣-٢٥٥ (٢٤٠)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٣٥-٣٦.

(٥) خالد بن معدان الكلاعي الحمصي أبو عبد الله، ثقه يرسل كثيراً (ت ١٠٣هـ) ينظر: ابن حجر: التقريب ١/ ٢١٨ (٨٠)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص١٠٣.

(٦) ينظر العراقي: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي-المدينة المنورة ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ص٤٣٢، وينظر كذلك السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ص ٢٢.

٤ـ علم الرجال:

وهو علم يتناول أسماء، وألقاب، وكنى، وأنساب، وتراجم، ووفيات الذين يظهرون في أسانيد الحديث، وغايته رفع اللبس عمن تشابهت أسماؤهم، أو ألقابهم، أو كناهم أو أنسابهم، فيتعذر بذلك التدليس، ويرفع الوهم[١].

من فوائد علم الرجال أيضاً:

معرفة من له أسماء متعددة، يتوهم الناس أنهم أشخاص متعددون، وهي أسماء لشخص واحد، ويقع ذلك غالباً مع المدلسين، فلا يذكرون الرجل باسمه الذي يعرف به لعلة فيه ترد بها روايته.

ومن فوائده:

معرفة الألقاب التي قد يشترك فيها رهط من الناس مثل (غُنْدَر)[٢] وهو لقب لجماعة هم: محمد بن جعفر البصري[٣]، الراوي عن شعبة، ومحمد بن جعفر الرازي[٤]، ومحمد بن جعفر البغدادي[٥] الحافظ الجوّال شيخ أبي نعيم، ومحمد بن جعفر بن دُرَّان البغدادي[٦] روى عن أبي خليفة الجمحي ولغيره[٧].

---

(١) ينظر البشير: ضوابط الرواية ص٢١٢.

(٢) غُندر: يعني: غلام سمين غليظ، كما ذكره ابن منظور لكن الذهبي: ذهب إلى أنه سمّي غندراً لشغبه ينظر: لسان العرب ٢/ ١٠٢٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠١.

(٣) ينظر ترجمته ص ٤٠٦.

(٤) هو: أبو الحسين محمد بن جعفر بن عبد الرحمن الرازي نزيل طبرستان مات بعد (٣٣٠هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٦٢-٩٦٣.

(٥) أبو بكر محمد بن جعفر بن الحسين البغدادي، الإمام، الحافظ الوراق (ت ٣٧٠هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٢/ ١٥٢ (٥٧٤)، الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٦٠-٩٦١ (٩٠٤).

(٦) أبو الطيب البغدادي الملقب بُدران الصوفي المحدّث الجوّال ت ٣٥٧-٣٥٨هـ ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٢/ ١٥٠ (٥٦٩)، الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٦١.

(٧) ينظر شاكر: الباعث الحثيث ص٢١٥، وأبو خليفة هو: الفضل بن الحباب محدث البصرة، الإمام الثقة (ت ٣٠٥هـ) ينظر البغدادي: أبو بكر محمد بن عبد الغني (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) التقييد، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠٨هـ ١/ ٤٢٣، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٦٧٠ - ٦٧١ (٦٩٠).

ومنها: بيان ألقاب توحي بالجرح وأصحابها ثقات، يقول الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري[١]: رجلان جليلان لزقهما لقبان قبيحان: معاوية بن عبد الكريم[٢] (الضّالُ)، وإنما ضل في طريق مكة.

وعبد الله بن محمد (الضعيف)[٣]، وإنما كان ضعيفاً في جسمه، لا في حديثه[٤].

ومنها: ذلك رفع الوهم فيمن ذكر باسمه وكنيته معا، فيتوهمه البعض أنهما رجلان، مثل الحديث الذي رواه الحاكم بسنده عن عبد الله بن شداد[٥] عن أبي الوليد عن جابر مرفوعاً[٦]: (مَنْ صَلَّى خَلْفَ الإِمَامِ فَإِنَّ قِرَاءَتَهُ لَهُ قِرَاءَةٌ).

قال الحاكم:

" (عبد الله بن شداد هو بنفسه أبو الوليد، بيّنه علي بن المديني".

وقال: ومن تهاون بمعرفة الأسامي أورثه مثل هذا الوهم[٧].

ومن أراد المزيد والتفصيل في تتبع ذلك فلينظر كتب علوم الحديث حيث لم يبقوا شاردة ولا واردة إلا أحصوها حول، من له أسماء متعددة، أو ألقاب متعددة، أو لقب مشترك بين عدد من الناس، أو معرفة أسماء ذوي الكنى، أو معرفة كنى ذوي الأسماء أو من ذكر باسمه وكنيته فأوهم،

---

(١) عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد أبو محمد الأزدي المصري، الإمام، المتقن، النسابّة أعلم أهل زمانه بالحديث، ثقة (ت ٤٠٩هـ) ينظر: ابن خلكان: المصدر السابق ٣/ ٢٢٣-٢٢٤ (٤٠١)، الذهبي: المصدر السابق٣/ ١٠٤٧-١٠٥٠ (٩٦٤).

(٢) معاوية بن عبد الكريم الثقفي، أبو عبد الرحم البصري، صدوق، بل ثقة من عقلاء أهل البصرة (ت ١٨٠هـ) ينظر: ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٢٦٠ (١٢٣٥)، الخزرجي: المصدر السابق ص٣٨٢.

(٣) عبد الله بن محمد بن يحيى الطرسوسي، أبو محمد المعروف بالضعيف، لأنه كان كثير العبادة، وقيل كان نحيفاً، وقيل لشدة إتقانه، ثقة لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤٤٨ (٦١٤)، الخزرجي: المصدر السابق ص٢١٣.

(٤) ينظر شاكر: الباعث الحثيث ص٢١٥، الخزرجي: المصدر السابق ص٢١٣ (الهامش)، السخاوي: فتح المغيث ٣/ ٢٠٧.

(٥) عبد الله بن شدّاد بن الهاد الليثي، أبو الوليد المدني، ولد على عهد النبي ﷺ من كبار ثقات التابعين (ت ٨١هـ) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤٢٢ (٣٧٤)، الخزرجي: المصدر السابق ص٢٠١.

(٦) معرفة علوم الحديث ص١٧٨، الدارقطني: السنن ٢/ ٣٢٥.

(٧) ينظر السخاوي: المصدر السابق ٣/ ٢٠٠.

أو من سموا بكناهم، فأسمائهم كناهم، أو من عرف بكناهم، ولم يعرف أسماءهم، أو من اختلف في كنيته، فتذكر له على الاختلاف كنيتان أو أكثر واسمه معروف، أو من عرفت كنيته واختلف في اسمه ...الخ[١].

٥- معرفة أنساب الرواة[٢]:

للعرب وكثير من شعوب العالم الاهتمام بالنسب[٣] وكان للعرب لكل قبيلة نسابة أو أكثر يحفظ أسماء القبائل وبطونها وأفخاذها وممن اشتهر بين النسابين في الجاهلية، دغفل السَّدُوسي[٤] وكان يضرب به المثل[٥].

ولما جاء الإسلام، دعا إلى الوحدة والإخوة والوئام، وترك التنابز بالألقاب، والطعن بالأنساب، بل جعل جملة من مسائل الأنساب، كالفخر، والطعن بالأنساب من أمور الجاهلية وجعل الإسلام أكرم الناس عند الله أتقاهم[٦]، روى مسلم بسنده عن أبي مالك الأشعري[١] عن النبي[٢]:

---

(١) ينظر مثلا: الحاكم: معرفة علوم الحديث، الخطيب: موضح أوهام الجمع والتفريق، ابن الصلاح: المقدمة ... الخ.

(٢) من علم النسب ما هو فرض عين معرفته، ومنه ما هو فرض كفاية، ومنه مستحب يقول ابن حزم: (فمن ذلك أن يعلم أن محمدا رسول الله ﷺ، هو ابن عبد الله الهاشمي فمن ادعى أنه غير هاشمي كفر، وأن يعلم أن الخليفة من قريش. وأن يعرف من يلقاه، بنسب في رحم محرّمة، ليجتنب ما يحرم عليه منهم، وأن يعرف من يتصلب به ممن يرثه، أو يجب برّه من صلة أو نفقة، أو معاونة، وأن يعرف أمهات المؤمنين، وأن نكاحهن حرام، وأن يعرف الصحابة، وأن حبهم مطلوب، ويعرف الأنصار ليحسن إليهم، لثبوت الوصية بذلك، ولأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق، ومن الفقهاء من يفرّق في الحرية والاسترقاق، بين العرب والعجم فحاجته إلى علم النسب أكثر. ومن يفرق بين نصارى بني تغلب وغيرهم في الجزية وتضعيف الصدقة، وما فرض عليهم عمر الديوان إلا على القبائل، ولولا علم النسب، ما تخلص له ذلك، وتبعه علي وعثمان) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار المعارف - مصر ص ٢، وينظر كذلك: البشير: المصدر السابق ص٢٢٧.

(٣) ينظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين إصحاح ٥، ١٠، ١١ ص٦، ١١-١٣، العهد الجديد، إنجيل متي، اصحاح (١) المصدر السابق ص٤-٥.

(٤) دَغفَل بن حنظلة بن زيد الشيباني الذهلي النسابة يقال له صبحة (ت ٧٠هـ) ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٤٧٧-٤٧٩، ابن حجر: الإصابة ١/ ٤٧٥ (٢٣٩٩).

(٥) ينظر المصدران نفسيهما بمجلداتها وصفحاتها.

(٦) إشارة إلى قوله تعالى سورة الحجرات: آية / ١٣.

(أَرْبَعٌ في أُمَّتِي مِنْ أمر الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ في الأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ في الأَنْسَابِ ...الخ) الحديث.

كما جعل الإسلام الشرف والرفعة بالإيمان والعمل الصالح وليس بعلو النسب. يقول ﷺ[٣]: (مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) الحديث.

لكن هناك أمور لابد من معرفتها فيما يتعلق، بالأحكام الشرعية كالميراث والنكاح، من الأنساب ...الخ[٤].

لذا نجد أن أئمة الحديث قد اهتموا بمعرفة أنساب الرواة، وقد أفرد كل من تكلم في علوم الحديث باباً لذلك[٥].

من فوائد ذلك: رفع الوهم الذي يحدث بين راويين اشتبه أسمائهما أحدهما ثقة والآخر ضعيف.

فمثلاً: يرد في إسناد عبد الله بن الحارث، فيحكم الناظر في السند بالصحة لتوقع منه أنه عبد الله بن الحارث المخزومي[٦] المكي، شيخ الشافعي وأحمد وهو ثقة. والصواب هو عبد الله بن الحارث الصنعاني[٧] وهو أحد الوضاعين.

---

(١) اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً، قيل اسمه عبيد، وعبد الله، وعمرو ...الخ. ويبدو أنه الحارث بن الحارث الشامي الصحابي، روى عنه أبو سلام - أحد رواة الحديث أربع ...- (ت ١٨هـ) ينظر المصدران السابقان: ٤/ ١٧٥، ٢/ ١٣٧-١٣٨ (٢٣٢).

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٦٤٤ (٩٣٤): الترمذي: السنن ٣/ ٣٢٥ (١٠٠١) شرح صحيح مسلم ٦/ ٢٣٥-٢٣٦)، وتمام الحديث (والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة، وعليها سربال من قطران ودرع من جرب).

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٧٤ (٢٦٩٩) أبو داود: السنن ٣/ ٣١٦ (٣٦٤٣) شرح صحيح مسلم ١٧/ ٢١-٢٢)، وهو حديث طويل أوله في مسلم (من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ...).

(٤) ينظر ص١٠٦ (هامش٢). ينظر كذلك: ابن خلدون التاريخ ١/ ١٠٨-١١٠.

(٥) ينظر على سبيل المثال: ابن الصلاح المقدمة ص١٨٥-١٨٨، شاكر: الباعث الحثيث ٢٢٥-٢٣١.

(٦) أحد الأئمة الثقات لم أقف على وفاته ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٤٠٥ (٤٢٦٠)، ابن حجر: المصدر السابق ٥/ ١٧٩ (٣٠٨)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص١٩٤.

(٧) عبد الله بن حارث بن حفص أبو محمد، قال ابن حبان شيخ دجّال، يروي عن عبد الرزاق واهل العراق العجائب، لم أقف على تاريخ وفاته. ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٠٥ (٤٢٥٩).

وقد ينسب الراوي لغير أبيه: كمن نسب إلى أمه مثل: معاذ[١]، ومعوذ[٢]، وعَوذ[٣]، بنو عفراء[٤] هي أمهم وأبوهم الحارث بن رفاعة[٥] الأنصاري.

ومنهم من ينسب إلى جدّته مثل: بشير بن الخصاصية الصحابي، وهو بشير بن معبد والخصاصية[٦] هي أم الثالث من أجداده.

ومنهم من ينسب إلى جده مثل: أبو عبيدة بن الجراح، أحد العشرة وهو عامر بن عبد الله الجراح[٧].

ومنهم من نسب إلى رجل غير أبيه بسبب، مثل: المقداد بن الأسود، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي، وقيل: البهراني كان في حجر الأسود بن عبد يغوث الزهري وتبناه فنسب إليه.

والحكمة في كل ذلك مخافة أن يَعُدَّ ذلك الراوي شخصا آخر، إذا ما نسب إلى أبيه.

وقد ينسب الراوي على خلاف الظاهر السابق إلى الفهم: كأبي خالد الدالاني، يزيد بن عبد الرحمن[٨] هو أسدي مولى لبني أسد نزل في بني دالان بطن من همدان[١] فنسب إليهم[٢].

---

(١) معاذ بن الحارث بن رفاعة الأنصاري، المعروف بابن عفراء، شهد العقبة الأولى عاش إلى خلافة علي، وقيل بعدها، وقيل بل استشهد في زمن النبي ﷺ: ينظر: ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٢٨ (٨٠٣٩)، تقريب التهذيب ٢/ ٢٥٥-٢٥٦ (١١٩٢).

(٢) أخو صاحب الترجمة السابقة، قتل أبا جهل يوم بدر، ثم قاتل حتى قتل فيها ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٤٤٥، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٥٠ (٨١٦٢).

(٣) اختلف في اسمه، والأصح اسمه عَوَف أخو صاحب الترجمتين السابقتين، قتل مع أخيه معوذ في بدر، وهو من شهد العقبة الأولى والثانية ينظر المصدران نفسيهما: ٣/ ١٣١، ٣/ ٤١ (٦٠٨٦).

(٤) عفراء بنت عبيدة بن ثعلبة، والدة (معاذ ومعوذ وعوف)، من الصحابيات المبايعات، لها سبعة أولاد كلهم شهدوا بدراً. ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٣٦٤ (٧٢٨).

(٥) لم اعثر على ترجمته رغم البحث عنه لكن ورد ذكره مع أولاده وزوجته. ينظر المصادر السابقة.

(٦) بشير بن معبد السدوسي-والخصّاصية، هي أم جدّ البشير-على الصحيح، كان اسمه (زحماً) وقيل (رحماً) فغيره النبي إلى بشير، لم أقف على شيء أكثر من ذلك من ترجمته سوى أنه روى عن النبي ﷺ. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ١٥٠-١٥١، ابن حجر: الإصابة ١/ ١٥٩ (٧٠٤).

(٧) عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري، أحد العشرة المبشرة، أسلم قديماً، هاجر الهجرتين، أمين الأمة (ت ١٨هـ) في طاعون عمواس. ينظر المصدران نفسيهما: ٣/ ٢-٤، ٢/ ٢٥٢-٢٥٤ (٤٤٠٠).

(٨) الكوفي روى عنه الثوري وشعبة، وثقه بعضهم وضعفه آخرون (ت ١٠٠هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٣٢ (٩٧٢٣)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٤٤٨.

كما ينسب الراوي إلى قوم هو من مواليهم، كُنية الولاء، ولاء العتاقة، وولاء الإسلام، وولاء الحلف. مثل الإمام البخاري ينسب إلى الجعفي، مولى الجعفيين، وذلك لإسلام جده الأعلى على يد بعض الجعفيين(٣).

قواعد لمعرفة الموضوع:

ومن القواعد الدقيقة التي وضعها العلماء لمعرفة الخبر الموضوع منها ما يتعلق بالسند، ومنها ما يتعلق بالمتن.

فمن القواعد التي يعرف بها الوضع في السند:

١ـ اعتراف الراوي بكذبه:

إن من العلامات الكبرى للوضع في السند: اعتراف وإقرار واضعه بما اختلقه على رسول الله ﷺ، أو على أي أحد من الناس العاديين.

وقد اعترف بعض الزنادقة أمام خلفاء وأمراء المسلمين بجريمتهم في الوضع قبل أن يقتلوا مثل، عبد الكريم ابن أبي العوجاء، وأبي عصمة نوح بن أبي مريم.

واعترف أبو جزي(٤)، وهو مريض فقال:

لولا أن حضرني من الله ما ترون، كنت خليقاً، ألاّ أُقِرَّ، ولا أعترف، ولكن أشهدكم إني وضعت من الحديث كذا وكذا، وإني استغفر الله وأتوب إليه(٥).

---

(١) همدان من قبائل اليمن تقع ديارها شمالي صنعاء، ينظر كحالة: عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ م ٣/ ١٢٤٢.

(٢) العراقي: التقييد والإيضاح ص٤٢٦.

(٣) الجعفي: وهي جعفي بن سعد العشيرة، وهو من مذحج، ينظر السمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م) الأنساب، تصحيح عبد الرحمن معلمي اليماني، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية - الدكن ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣ م ٣/ ٢٩٠ - ٢٩١ (٩٠٨).

(٤) لعله عبد الله بن مطرف بن الشخير، متروك الحديث ينظر: ابن ماكولا: علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا (ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية-بيروت ١٤١١هـ ٢/ ٨١.

(٥) ينظر البلخي: قبول الأخبار ومعرفة الرجال ص٦، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص٢٣٩.

٢ـ وجود قرينة في الرواية تدل على الوضع:

وذلك كأن يروي عن شيخ لم يلقه، أو يروي عن شيخ في بلد لم يرحل إليه، أو يروي عن شيخ بعد وفاته، أو توفي هذا الشيخ والراوي صغير لا يدرك.

كما ادعى مأمون بن أحمد الهروي[١]، أنه سمع من هشام بن عمار[٢] فسأله الحافظ ابن حبان: متى دخلت الشام؟.

قال: سنة خمسين ومائتين، فقال له: فإن هشاماً الذي تروي عنه مات سنة (٢٤٥هـ) فقال: هذا هشام بن عمار آخر!![٣].

وقيل لشعبة:

لم لا تحدث عن عثمان بن أبي اليقظان - وهو عثمان بن عمير -[٤]؟ فقال: كيف أحدث عن رجل قد مات قبل أن أولد ؟[٥].

٣ـ ومن القرائن ما يعرف به الموضوع، ما يؤخذ من حال الراوي:

ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمي قال: كنت عند سعد بن طريف[٦]، فجاء ابنه من الكتاب يبكي، فقال: مالَكَ؟.

قال: ضربني المعلم.

قال: لأخزينهم اليوم، حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً:

---

(١) السلّمي، قال عنه ابن حبان: دجّال، وقال الذهبي: أتى بطّامات وفضائح ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٢٩ (٧٠٣٦).

(٢) هشام بن عمار بن نصير السلّمي الدمشقي، الخطيب، صدوق، لما كبر تلقن (ت ٢٤٥هـ) ينظر: ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٣٢٠ (٩٣)، الخزرجي: المصدر السابق ص٤١٠.

(٣) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٤٢٩، شاكر: الباعث الحثيث ص٧٧ الهامش.

(٤) البجلي الكوفي الأعمى، شيعي غال، مدلس مات في حدود (١٥٠هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٥٠ (٥٥٥٠)، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٣ (١٠١).

(٥) ينظر البلخي: المصدر السابق ص٦، عجاج الخطيب: المصدر السابق ص٢٣٩.

(٦) سعد بن طريف الأسكاف الحنظلي الكوفي، متروك، رافضي أتهم بالوضع من الطبقة السادسة، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٤/ ٥٩، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص١٣٠ (٢٩٦)، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ١٢٢-١٢٤ (٣١١٨).

(معلمو صبيانكم شراركم، أقلهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين)[(١)].

٤- أن ينفرد راوٍ كذاب برواية حديث. ولا يرويه ثقة، فيحكم على تلك الرواية بالوضع.

مثل حديث صَدَقه بن موسى الدقيقي عن فرقد السبخي، عن مرة الطيب عن أبي بكر[(٢)].

من القواعد التي يعرف بها الوضع في المتن:

إن من الأخبار أخباراً لا تحتاج في تمحيصها وتمييز صدقها من كذبها إلى قاعدة الجرح والتعديل، وهي نقد سند تلك الرواية، وذلك؛ لأن الأخبار في نفسها إما ممكن أو مستحيل فإن كان مستحيلاً فلا حاجة للنظر في الجرح والتعديل.

يقول ابن خلدون وهو يعلق على أخبار مستحيلة وممتنعة عقلاً[(٣)]:

"وأمثال ذلك كثير وتمحيصه إنما هو بمعرفة طبائع العمران، وهو أحسن الوجوه، وأوثقها في تمحيص الأخبار، وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة، ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع وأما إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح ...الخ".

كما تطرق الإمام ابن القيم رحمه الله إلى نفس الموضوع، حيث وجه إليه أحد الناس سؤالاً وهو: هل يمكن معرفة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده، فأجاب[(٤)]:

"فهذا سؤال عظيم القدر، وإنما يعلم ذلك من تضلع في معرفة السنن الصحيحة. واختلطت بلحمه ودمه، وصار له فيها ملكة وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار، ومعرفة سيرة رسول الله ﷺ وهديه[(٥)]، فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر عنه ويدعوا إليه، ويحبه

---

(١) تدريب الراوي ١/ ٢٧٧.

(٢) أبو بكر: لم أقف على ترجمته. ينظر: الحاكم: معرفة علوم الحديث ص٥٧، ينظر تفصيل علامات الوضع في السند، الصباغ: الحديث النبوي، مصطلحه ص ١٣١ -١٣٢.

(٣) تاريخ ابن خلدون ١/ ٣١.

(٤) المنار المنيف ص٤٣-٤٤.

(٥) وما يقال عن السنة والسيرة النبوية، يقال أيضاً في التاريخ الإسلامي حيث أن المتطلع والخبير بالتاريخ العربي الإسلامي، والحريص على غربلة صحيحه من سقيمه، والمنتهج منهج النقد الصحيح، يستطيع أن يميز صحيحه من باطله.

ويكرهه، ويشرعه للأمة، بحيث كأنه مخالط للرسول ﷺ كواحد من أصحابه فمثل هذا: يعرف من أحوال الرسول ﷺ وهديه وكلامه، وما يجوز أن يخبر به، وما لا يجوز: مالا يعرفه غيره.

وهذا شأن كل متّبع مع متبوعه، فإن للأخص به، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله من العلم بها، والتمييز بين ما يصح أن ينسب إليه وما لا يصح ما ليس لمن لا يكون كذلك، وهذا شأن المقلّدين مع أئمتهم، يعرفون أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم".

ومن القواعد الكلية التي يعرف بها الموضوع:

١ـ اشتماله على مجازفات لا يقول مثلها رسول الله أو أحد من أهل العلم من أئمة المسلمين[١]:

من ذلك حديث زينب العطارة: روى الكليني بسنده عن أبي عبد الله قال: جاءت زينب العطارة الحولاء[٢] إلى نساء النبي ﷺ وبناته، وكانت تبيع منهن العطر فجاء النبي ﷺ وهي عندهن فقال: إذا أتيتنا طابت بيوتنا فقالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله ﷺ!.

قال: إذا بعت فأحسني، ولا تغشي، فإنه أتقى وأبقى للمال.

فقالت: يا رسول الله ﷺ ما أتيت بشيء من بيعي وإنما أتيت أسألك عن عظمة الله عز وجل فقال:

جل جلاله، سأحدثك عن بعض ذلك، ثم قال: أن هذه الأرض بمن عليها عند التي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة (قي) ! وهاتان بمن فيهما ومن عليهما عند التي تحتها كحلقة ملقاة في فلاة (قي) ! والثالثة حتى انتهى إلى السابعة وتلا هذه الآية: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢].

والسبع الأرضون بمن فيهن ومن عليهن على ظهر الديك كحلقة ملقاة في فلاة (قي)! والديك له جناحان، جناح في المشرق وجناح في المغرب ورجلاه في التخوم، والسبع والديك بمن فيه ومن عليه على الصخرة كحلقة ملقاة في فلاة (قي)! ...الخ)[٣].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص٥٠.

(٢) هي: حولاء بنت تويت (على الصحيح) العطارة، صحابية وهي غير (حولاء بنت تويت) الصحابية العابدة، ينظر: ابن حجر: الإصابة ٤/ ٢٧٨ (٣٠١٦).

(٣) روضة الكافي ص١٣٤-١٣٥، والحديث موضوع: ينظر: شرح صحيح مسلم ١/ ١١٣، وينظر النص ببعض الاختلاف: ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٢٧٨.

ومن ذلك ما ينسب إلى أبي عبد الله جعفر الصادق رضي الله عنه عن أبان بن تغلب[١] قال[٢]:

"سألته عن الأرض على أي شيء هي؟.

قال: هي على حوت!.

قلت: فالحوت على أي شيء هو؟.

قال: على الماء.

قلت: فالماء على أي شيء هو؟.

قال: على صخرة.

قلت: فعلى أي شيء الصخرة؟.

قال: على قرن ثور أملس!.

قلت: فعلى أي شيء الثور؟.

قال: على الثرى.

قلت: فعلى أي شيء الثرى؟.

فقال: هيهات عند ذلك ضلّ علم العلماء".

يقول ابن القيم معلقا على هذا النمط من الأخبار التي رواها الزنادقة الروافض[٣]:

" أمثال هذه المجازفات الباردة لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين:

إما أن يكون في غاية الجهل والحمق، وإما أن يكون زنديقاً قصد التنقيص بالرسول ﷺ بإضافة مثل هذه الكلمات إليه".

٢ـ تكذيب الحس له:

من ذلك[١]: (الباذنجان شفاء من كل داء).

---

(١) أبان بن تغلب الكوفي، شيعي جلد، وقيل غال في تشيعه، مبتدع - بدعة صغرى- صدوق (ت ١٤١هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٥-٦ (٢)، العبرفي خبر من غبر ١/ ١٤٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٧٧، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ٢١٠، الكشي: معرفة أخبار الرجال ص ٢١٢.

(٢) الكليني: روضة الكافي ص٧٥.

(٣) المنار المنيف ص٥١.

ومن ذلك: ما يذكره المدائني في كتاب (الأكلة)[٢] أن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك[٣] أكل أربعين دجاجة دفعة واحدة إضافة إلى أصناف أخرى من الطعام[٤].

٣ـ سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه:

ما رواه الكليني بسنده إلى أبي عبد الله سئل عن الوزغ[٥] فقال[٦]:

"رجس وهو مسخ كله فإذا قتلته فاغتسل: فقال:

إن أبي كان قاعداً في الحجر ومعه رجل يحدثه، فإذا بوزغ يولول بلسانه فقال أبي للرجل:

أتدري ما يقول هذا الوزغ؟.

قال: لا علم لي بما يقول!.

قال: فإنه يقول: والله لئن ذكرتم عثمان بشتيمة لأشتمن علياً حتى يقوم من ههنا!.

قال وقال أبي: ليس يموت من بني أمية ميت إلا مسخ وزغاً!.

قال، وقال: أن عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت مسخ وزغاً، فذهب من بين يدي من كان عنده، وكان عنده ولده فلما أن فقدوه عظم ذلك عليهم، فلم يدروا كيف يصنعون؟.

ثم اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً فيصنعوه كهيئة الرجل قال:

ففعلوا ذلك، وألبسوا الجذع درع حديد، ثم لفوه في الأكفان، فلم يطلع عليه أحد من الناس إلا أنا وولده!".

==

(١) المصدر نفسه ص٥١.

(٢) كتاب مفقود، نقل عنه ابن عبد ربه ينظر: العقد الفريد ٦/ ٣٠٣.

(٣) سليمان بن عبد الملك بن مروان ولّي الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد سنة (٩٦هـ)، (ت ٩٩هـ) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦/ ٥٠٥، ٥٤٦، ابن كثير: المصدر السابق ٩/ ١٦٦، ١٧٧.

(٤) ينظر: العقد الفريد ٦/ ٣٠٣، وهذا الخبر وضعه أعداء الأمويين، للانتقاص من منزلتهم، والطعن فيهم، ووصفهم بالشراهة، وهمهم بطونهم، وإلا فإن حاوية لا تسع لأربعين دجاجة إذا كانت الدجاجة وزنها (١ كغم) فكيف إذا كان الوزن أزيد من ذلك؟!.

(٥) دُويبة سام أبرص. ينظر: لسان العرب ٣ / ٩١٩ (وزغ).

(٦) روضة الكافي ص١٩٤-١٩٥.

٤ـ مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصحيحة:

من ذلك أحاديث مَدح من اسمه محمد أو أحمد أو علي وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لا يدخل النار[١].

مثل: ما من مسلم دنا من زوجته، وهو ينوي إذا حبلت منه أن يسميه محمداً، إلا رزقه الله ولداً ذكراً[٢].

أو أن يدّعي أحد من الناس على النبي، أنه فعل أمراً ظاهراً أمام ملأ من الناس، ينقله غير شخص واحد، وكلهم اتفقوا على كتمان ذلك الأمر.

من ذلك: ما لفقته أيدي السبأية والمجوسية من أن رسول الله أخذ بيد علي بن أبي طالب، بمحضر من الصحابة كلهم، وهم راجعون من حجة الوداع فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع، ثم قال[٣]:

"هذا وصيي وأخي، والخليفة من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا".

ثم اتفق كل الصحابة- وهم في رواية الطبرسي حوالي سبعون ألف صحابي- على كتمان ذلك ومخالفته!؟.

يقول الطبرسي أحد رؤوس المجوس الحاقدين على الإسلام وأهله، وهو يعلم أن الخبر الذي ينقله ويرويه كذب، لكن يعتبر ذلك من الدين[٤]:

"وبلغ من حج مع رسول الله من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعون ألفاً أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى الذين اخذ عليهم بيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامري، وكذلك أخذ رسول الله البيعة لعلي بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامري سُّنة بسنة ومثلاً بمثل".

---

(١) ينظر ابن القيم: المصدر السابق ص٥٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص٦١.

(٣) ينظر: ابن القيم: المصدر السابق ص٥٧، وينظر كذلك: الطبرسي: الاحتجاج ص٦٩.

(٤) المصدر نفسه ص٦٨.

٥ ـ أن يكون الحديث باطلا في نفسه، أو أن لا يشبه كلام الأنبياء:

مثل حديث: ست خصال تورث النسيان: أكل سؤر الفأر، وإلقاء القمل في النار وهي حية، والبول في الماء الراكد، وقطعُ القِطار، ومضغ العلك، وأكل التفاح الحامض[(١)].

عليكم بالوجوه الملاح، والحَدَق السود، فإن الله يستحي أن يعذب مليحاً بالنار[(٢)].

٦ ـ أن يكون في الحديث تاريخ كذا وكذا:

كحديث (يكون في رمضان هَدّة[(٣)] توقظ النائم، وتقعد القائم وتخرج العواتق من خدورها، وفي شوال همهمة[(٤)]. وفي ذي القعدة تميز القبائل بعضها إلى بعض، وفي ذي الحجة تراق الدماء، وفي المحرّم أمر عظيم وهو عند انقطاع ملك هؤلاء، قيل من هم يا رسول الله، قال الذين يكونون في ذلك الزمان)[(٥)].

وحديث (أنا وأصحابي أهل الإيمان وعمل، إلى أربعين، وأهل برّ وتقوى إلى الثمانين، وأهل تواصل وتراحم إلى العشرين ومئة، وأهل تقاطع وتدابر إلى الستين ومئة، ثم الهرج الهرج، الهرب الهرب)[(٦)].

٧ـ الأحاديث التي يذكر فيها الخضر وحياته، أو أحدا من القرون الأولى سواء قبل النبوة أو بعد النبوة

مثل: (يجتمع بعرفة جبريل وميكائيل والخضر ...الخ)[(٧)].

سئل إبراهيم الحربي[(٨)] عن عمر الخضر وأنه باق؟ فقال[(١)]:

---

(١) ينظر: المصدر السابق ص٥٩، العجلوني: كشف الخفا ١/ ٥٤١.

(٢) ينظر ابن القيم: المصدر السابق ص٦٢.

(٣) الهدَّة: صوت وقع الحائط. ينظر: مختار الصحاح ص٦٩١ (هـ د د).

(٤) الهمهمة: الكلام الخفي: ينظر: اللسان ٣/ ٨٣٢ (همهم).

(٥) ابن الجوزي: الموضوعات ٣/ ١٩٠، ابن القيم: المنار المنيف ص١١٠، ابن عراق: تنزيه الشريعة ٢/ ٣٤٧، السيوطي: اللآلئ المصنوعة ٢/ ٣٨٦.

(٦) ابن القيم: المصدر السابق ص١١١.

(٧) ابن الجوزي: المصدر السابق ١/ ١٩٦-١٩٧، السيوطي: المصدر السابق ١/ ١٦٧-١٦٨.

(٨) إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله، الحافظ، شيخ الإسلام، أحد كبار أئمة الحديث، وإمام بارع في الفقه والأدب، ثقة، (ت ٢٨٥هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٤-٥٨٦ (٦٠٩)، ابن كثير: البداية والنهاية ١١/ ٧٩.

"من أحال على غائب لم ينتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان".

ومن ذلك: قصة محمد بن حسن العسكري[٢] (المهدي في معتقد الشيعة) تقول معظم الروايات الواردة عن الشيعة: أنه خرج للصلاة على جثمان أبيه، الذي توفي ودفن في سامراء، وانه التقى بعد ذلك بوفد (قم!) الذي جاء يبحث عن الإمام الجديد، وبقي مقيماً في داره لسنوات طويلة إلى أن داهمته قوات المعتضد العباسي[٣] فغاب في السرداب[٤].

وقد بنى الناصر العباسي قبة على ذلك السرداب، وهي معروفة بقبة سرداب الغيبة، وهو لا يزال حيٌّ يرزق إلى الآن!![٥]

٨ـ أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه:

من ذلك: أن (قاف) جبل من زبرجدة خضراء، تحيط بالدنيا كإحاطة الحائط بالبستان، والسماء واضعة أكتافها عليه، فزرقتها منه.

---

(١) ابن القيم: المصدر السابق ص٦٧، وقد عقد الشيخ أبو غدة (رحمه الله) تحقيقاً نفيساً حول هذا الموضوع، ينبغي الاطلاع عليه. ينظر: المصدر نفسه ص٦٧-٧٦.

(٢) أبو القاسم ثاني الأئمة الأثني عشر (على اعتقاد الأمامية) اختلف في سنة وفاته (ويعتقد الأمامية أنه دخل سرداب سامراء وسيخرج في آخر الزمان) وقيل توفي سنة (٢٦٥هـ)، وقيل (٢٧٥هـ) وقيل غير ذلك: ينظر: وفيات الأعيان ٤/ ١٧٦ (٥٦٢)، ابن تيمية: منهاج السنة ٢/ ١٣١، القمي: سفينة البحار ٢/ ٧٠٠-٧٠٦، وقد ألف أحد علماء (كربلاء) كتاباً قيماً محققاً مفصلاً، جامعا لكل الكتب والروايات التي وردت حول هذا الشخص، وناقشه مناقشة علمية وعقلية وتاريخية وسماه: (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه) يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء عدد صفحاته ٤٤٨صفحة، مؤلفه أحمد الكاتب طبع الطبعة الأولى دار الشورى-لندن، ١٩٩٧م.

(٣) أحمد بن طلحة بن جعفر أبو العباس بويع له بالخلافة سنة (٢٧٩هـ)، (ت٢٨٩هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٤/ ٤٠٣-٤٠٥ (٢٣٠٧)، ابن عماد: المصدر السابق ٢/ ١٩٩، وهذا التاريخ نستعين به على وضع وكذب هذا الخبر، حيث أن المعتضد لم يكن خليفة في تلك الفترة أصلاً بل بويع له بالخلافة بعد وفاة العسكري بأربع سنوات على أقل تقدير أو (١٤) سنة!؟.

(٤) بعض المؤرخين يذكرون (عن الشيعة) أن مهديهم دخل سرداباً في الحلة لا في سامراء ينظر: تاريخ ابن خلدون: ١/ ١٦٥-١٦٦.

(٥) أحمد الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي ٢/ ١٦٦-١٦٧، والناصر هو: الموفق طلحة بن المتوكل (ت ٢٧٨هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٢/ ١٢٧ (٥١٨)، وسماه محمد بن جعفر، ينظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٦٩.

يعلق ابن القيم على هذا الخبر ويقول: وهذا وأمثاله مما يزيد الفلاسفة وأمثالهم كفرا[١].

ومن ذلك: أن الجراد يخلق من الحوت ينثرها في كل سنة مرة أو مرتين[٢].

ومنها: أن أعرابياً جاء إلى الأصمعي وقال له: أنت الأصمعي؟

قال: نعم.

قال: أنت أعلم أهل الحضر بكلام العرب؟.

قال: كذلك يزعمون. قال ما معنى قول الأول؟:

وما ذاك إلاّ الدّيك شارب خمرةٍ ... نديم غراب لا يملُّ الحوانيـــا

فلما استقلّ الصبح نادى بصوته ... ألا يا غراب هل رددت ردائيا [٣]

فقال الاصمعي[٤]:

"إن العرب كانت تزعم أن الديك في الزمان الأول كان ذا جناح يطير به في الجو، وأن الغراب كان ذا جناح كجناح الديك لا يطير به، وإنهما تنادما ذات ليلة في حانة يشربان فنفذ شرابهما!، فقال الغراب للديك لو أعرتني جناحك لآتينك بشراب، فأعاره جناحه، فطار ولم يرجع فزعموا أن الديك إنما يصيح عند الضجر، استدعاء لجناحه من الغراب فضحك الأعرابي، وقال: ما أنت إلا شيطان".

٩ـ مخالفة الخبر صريح القرآن:

كحديث مقدار الدنيا: وإنها سبعة آلاف سنة ونحن في الألف السابعة[٥].

ومن ذلك:

---

(١) ينظر ابن القيم: المنار المنيف ص٧٨.

(٢) ينظر الونشريسي: المعيار المعرب ١١/ ٩٦.

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت، دراسة وتحقيق: بهجة عبد الغفور الحديثي، مطبعة العاني-بغداد، ١٩٧٥م ص٣٢٣، بتقديم البيت الثاني على الأول بهذا اللفظ:
فلما أضاء الصبح طرّب صرخة - ألا يا غراب هل سمعت ندائيا.

(٤) الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي-بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م ٢/ ٣٢٠، ٣٢٦، الحلبي: مراتب النحويين ص٥٢-٥٣ (ط مكتبة النهضة-مصر).

(٥) ينظر ابن القيم: المصدر السابق ص٨٠.

ما رواه الكليني بسنده إلى علي أن رجلاً جاء إليه وقال له[١]:

"أنا والله أحبك وأتولاّك، فقال له أمير المؤمنين: كذبت!.

قال: بلى والله إني احبك، وأتولاّك، فكرر ثلاثاً، فقال له أمير المؤمنين، كذبت ما أنت كما قلت!.

إن الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام ثم عرض علينا المحب لنا!.

فوالله ما رأيت روحك فيمن عرض فأين كنت؟ فسكت الرجل عند ذلك ولم يراجعه!!".

١٠ـ ركاكة ألفاظ الحديث[٢] وسماجتها بحيث يمُجُها السمع، ويدفعها الطبع، ويسمُج معناها للفطن:

كحديث: أربع لا تشبع من أربع: أنثى من ذكر، وأرض من مطر، وعين من نظر، وأذن من خبر[٣].

وما رواه الكليني بإسناده إلى علي في خطبته التي خطبها بعد مقتل عثمان: بعد الصلاة والسلام على رسول الله ...[٤]:

"أما بعد أيها الناس فإن البغي يقود أصحابه إلى النار وإن أول من بغى على الله جل ذكره عناق بنت ادم[٥]، وأول قتيل قتله الله عناق، وكان مجلسها جريباً من الأرض، في جريب[٦] وكان

---

(١) الكافي في الأصول ١/ ٤٣٨ (كتاب الحجّة).

(٢) ذهب ابن حجر إلى أن المدار في الركّة، على ركّة المعنى، فحيثما وجدت دلّت على الوضع، وإن لم ينضم إليها ركّة اللفظ، لأن هذا الدين كله محاسن، والركّة ترجع إلى الرّداء، وأما ركاكة اللفظ فقط، فلا تدل على ذلك، لاحتمال أن يكون رواه الراوي بالمعنى وغيّر ألفاظه، بغير الفصيح ...الخ. ينظر: أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص٧٨-٧٩ (الهامش).

(٣) ينظر ابن الجوزي: الموضوعات ١/ ٢٣٤-٢٣٥، عدا العبارة الأخيرة، ابن القيم: المصدر السابق ص١٠٠ مع العبارة المذكورة.

(٤) الكليني: الكافي: تحقيق: علي أكبر غفاري، الطبعة الثانية، دار الكتب الإسلامية - آخوندي، ١٣٨٩هـ، ٨/ ٦٧، روضة الكافي ص٥٥، وينظر تفاصيل علامات الوضع في المتن، الصباغ: الحديث النبوي مصطلحه ص ١٣٢-١٣٥.

(٥) لم أقف على ترجمتها.

(٦) الجريب: مكيال، وهو أربعة أقفزة، الجريب من الأرض مَبذَر الجَريب الذي هو المكيال. ينظر: مختار الصحاح ص٩٨ (ج ر ب).

لها عشرون إصبعاً في كل إصبع ظفران[1] من المخلبين، فسلط الله عز وجل أسداً كالفيل، وذئباً كالبعير ونسراً مثل البغل، فقتلوها، وقد قتل الله الجبابرة على أفضل أحوالهم وامن ما كانوا، وأمات هامان، واهلك فرعون، وقد قتل عثمان إلا أن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه... الخ".

(١) وهذه القصة بأكملها مخالفة لنصوص القران والسنة الشريفة، حيث أن القران ذكر ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [التين: ٤]، ولاشك أن الطبع السليم يشمئز من هذه الصورة التي ذكرها الوضاعون.



الفصل الرابع

الجرح والتعديل

يتطرق هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

- المبحث الأول: الجرح والتعديل: تطوره وأهميته وضوابطه.
- المبحث الثاني: ألفاظ الجرح والتعديل، مراتبها وما يقبل منها.
- المبحث الثالث: معرفة المتشددين والمتساهلين.
- المبحث الرابع: مصطلحات خاصة وبيان المراد منها.



الفصل الرابع

الجرح والتعديل

المبحث الأول

الجرح والتعديل تطوره: تطوره وأهميته وضوابطه

الجرح والتعديل لغة واصطلاحا:

الجرح لغة: الفعل جرحه يجرحه جرحاً: أثر فيه بالسلاح والجمع أجراح وجروح وجراح. وجرح الرجل غض شهادته وقد استخرج الشاهد[١].

التعديل لغة: من عدل يعدل عدلاً، والعدول: ضد الجور وجمعه: عدول وعدل.

وعدل الرجل: زكاه، وتعديل الشهود: أن تقول أنهم عدول[٢].

واصطلاحاً: هو علم يبحث عن علم الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة دقيقة من حيث تضعيفهم أو توثيقهم وعن مراتب تلك الألفاظ[٣].

١ـ أهميته وتطوره:

اهتم المسلمون بسنة[٤] نبيهم اهتماماً بالغاً باعتبارها المصدر الثاني للتشريع[٥] فيحتج به كما

---

(١) ينظر: لسان العرب ١/ ٤٣٢ (جرح).

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٧٠٦ (عدل)، مختار الصحاح / ٤١٧ (ع د ل).

(٣) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ١، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٥٨٢.

(٤) السنة: ما صدر عن النبيﷺ غير القران من قول أو فعل أو تقرير. ينظر: الآمدي: سيف الدين علي بن أبي علي (ت ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) الأحكام في أصول الأحكام، دار الاتحاد العربي للطباعة - القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ١/ ١٥٥ - ١٥٦، عبد الكريم الزيدان: الوجيز في أصول الفقه ص ١٣١.

(٥) من المعلوم أن الأصول في الحجج الشرعية أربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، ينظر السرخسي: الأصول ١/ ٢٧٩، ابن جزي: تقريب الوصول / ١١٢.

يحتج بالقرآن الكريم لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، ولأن الله تعالى أمر المؤمنين بطاعة الرسول كما أمر بطاعته: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

بل أن القرآن الكريم لا يفهم إلا بواسطة السنة النبوية حيث أنها المبينة والمفسرة لأحكام القرآن الكريم والمتممة لها[١] يقول الرب جل وعلا: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤].

ومن أجل ذلك اهتم المسلمون بسنة نبيهم ﷺ سنداً ومتناً رواية ودراية، طبقات ورجالاً...

وقد شهد بذلك القاصي والداني والعدو قبل الصديق يقول في ذلك المستشرق المشهور مرجليوث[٢]:

"المسلمون على حق في فخرهم بعلم الحديث".

ويقول أسد رستم وهو درزي ليس على دين الإسلام[٣]:

"هذه مأثرة أخرى من مآثر علماء الحديث فإنهم قالوا: بالأمانة في نقل الحديث وفرضوا وجوب تحري النص لأجل الوقوف على اللفظ الأصلي. ومنهم من أبى أن يقوم اللحن أو أن يصلح الخطأ واكتفى بإبداء رأيه على الهامش".

أن كبيراً من كبار المستشرقين، على الرغم من حقده على الإسلام والسنة النبوية. لم يملك نفسه، إلاّ أن يعترف وأن يشيد بهذا العلم ويعتبره من أجل العلوم عند المسلمين[٤]:

"... من أجل هذا وضع العلماء علماً خاصاً له قيمته، وهو علم نقد الحديث لكي يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة".

ويقول أحد الباحثين وهو من المتشيّعة التابعين لدين الفرس[٥]:

---

(١) الزيدان: المصدر السابق ص ١٣٢.

(٢) مرجليوث: دراسات عن المؤرخين العرب ص ٣٢، وينظر كذلك عبد الله فياض: التاريخ فكرة ومنهجاً ص ١٣.

(٣) مصطلح التاريخ: ص ٣٣.

(٤) كولد تسهير: العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٤٩-٥٠، وينظر كذلك عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٢٤٩-٢٥٠.

(٥) عبد الله فياض: المصدر السابق ص ١٣، ومن المؤسف أن المؤلف يدون للناس قواعد ومنهج البحث التاريخي، لكن رأسه لا زال ساخناً بالطائفية والتحامل على التاريخ الإسلامي، والتاريخ الأموي خصوصاً ينظر: المصدر نفسه ص ٩٧، ١٠٢.

"نرى ضرورة الاستفادة من قواعد البحث والتحقيق عند المسلمين، وقد وضع علماء المسلمين قواعد مهمة في تحقيق الحديث سنداً ومتناً".

وباحث آخر (وهو: نصراني عربي) يعتقد أن أي حدث أو رواية عند المسلمين تخضع للاختبار والامتحان من قبل أئمة الحديث، وفي ذلك يقول[١]:

" تهتم الدراسة الحديثية عند بحثها في أسلوب المعرفة التاريخية... للأحداث بالعقل والمنطق إلى اكتشاف الحقيقة بالملاحظة والاختبار اللذان يخضعان كل شيء مهما قدم عهده أو عظمت حرمته لمحك الامتحان الدقيق والنقد المحكم المتزن".

وعلم الجرح والتعديل نوع من أنواع علوم الحديث وهو من أشرف أنواع علوم الحديث، بل هو علم يقوم بذاته ويستحق أن يسمى علما[٢] لأهميته في تمييز الرجال تعديلاً وتجريحاً، ومن ثم تمييز صحيح الحديث من سقيمه، الذي عليه بناء الشريعة ومعرفة الحلال والحرام.

جعل الإمام ابن الصلاح[٣] هذا العلم من النوع الثالث والعشرين من أنواع علوم الحديث.

ولأهمية موضوعه يفترض أن يستقل عن غيره من علوم الحديث الأخرى، كعلم علل الحديث الذي جعل علماً مستقلاً[٤].

"ولأول مرة في تاريخ البشرية تحصى الكلمات والعبارات والأفعال، والإشارات وأسماء الصغار والكبار، والكذبة والأخيار ومن حل وارتحل، كل هذا وغيره كثير دون وصنف وضبط بقواعد لم تعرفها امة من قبل حتى أصبح لكل راو من الرواة سجل تفصيلي يحدد مكانه بين أعلى مراتب الضبط وأعلى مراتب الوهم والكذب، وهذا هو علم الجرح والتعديل"[٥].

يقول المستشرق الألماني شبر نجر[٦]:

---

(١) قسطنطين زريق: نحن والتاريخ ص ٣١.

(٢) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٥٢، وذهب أن كليهما (الجرح والتعديل علم برأسه).

(٣) ينظر: المقدمة: ص ٤٩.

(٤) ينظر البشير: ضوابط الرواية ص ٢٣٥.

(٥) شرح علل الترمذي ١/ ٥ (المقدمة).

(٦) ابن حجر: الإصابة ١/ تصدير (طبعة كلكتا ١٨٥٣م)، جرونيباوم: حضارة الإسلام ص ٣٥١، وينظر كذلك: فتحي عثمان: أضواء على التاريخ الإسلامي ص ١١٦.

"لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم".

إن الجرح والتعديل علم له شأنه وأهميته في حياة المسلمين فهو أيضاً علم ذو حدين كالسيف إن لم يحسن المرء استخدامه، ويبتغي بذلك مرضاة الله، وبيان الحق، وقول الحق، بل أنه من أخطر العلوم الشرعية لما فيه من حط وإعلاء أو مدح أو قدح للرجال[١]: "ومن أخطر العلوم علم الجرح والتعديل، وفي كثير من الكتب المؤلفة في ذلك غلو وإسراف بالغ، ويظهر منشأ هذا الغلو مما ذكره ابن قتيبة في (الاختلاف في اللفظ)[٢].

ولا يخلو كتاب ألف بعد محنة الإمام أحمد في الرجال من البعد عن الصواب كما لا يخفى على أهل البصيرة الذين درسوا تلك الكتب بإمعان".

"ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم، نحو ما يذكر عن إبراهيم[٣] من كلامه في الشعبي وكلام الشعبي في عكرمة[٤] وفيمن كان قبلهم، وتناول بعضهم في العرض والنفس ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة. ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجة، والكلام في هذا كثير"[٥].

إن صناعة الجرح والتعديل من أصعب الصناعات وأصعب المسالك.

".. أو ما علموا أن الدخول في هذه المسالك الصعبة التي زلت فيها أقدام الكلمة أمر عظيم لا يتيسر من كل حبر كريم، فضلاً عمن يتصف بالسالك في أودية الضلال والخابط في ظلمات الليال ؟!.

---

(١) المقدسي: محمد بن طاهر بن علي (ت ٥٠٧هـ/ ١٠١٣م) شروط الأئمة الستة، مكتبة الشرق الجديد - بغداد ص ٣٣، اللكنوي: الرفع والتكميل ص ٢٦٠.

(٢) ينظر ابن قتيبة: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، مكتبة الشرق -بغداد ص ٨.

(٣) إبراهيم: هو فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي وهو من التابعين (ت ٩٥هـ) ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ١٧٧-١٧٩ (٣٢٥)، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ١١١.

(٤) عكرمة: أحد الأعلام التابعين ومن فقهاء مكة مولى ابن عباس ﷺ أصله من البرير (ت ١٠٥هـ) أو قبلها. ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٩٥-٩٦ (٨٧)، ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٢٦٣ -٢٧٣ (٤٧٥).

(٥) البخاري: جزء القراءة خلف الإمام ص ١٤.

أو ما فهموا بأن لكل مقام مقال ولكل فن رجال وأن جرح من هو خال عنه في الواقع وتعديل من هو مجروح في الواقع أمر خطر لا يليق بالقيام به كل بشر ؟! "[١].

إن مسألة الجرح والتعديل تعود إلى عصر الرسول ﷺ حيث ثبت عنه الجرح والتعديل[٢] في حق أشخاص.

ثم اهتم أئمة المسلمين ﷺ والتابعين وأتباعهم رحمهم الله بهذا الجانب، وأول من تكلم في الرجال شعبة[٣] بن الحجاج، يقول ابن الصلاح[٤]:

" أول من تكلم في الرجال شعبة بن الحجاج ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان، ثم بعده أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قلت: وهؤلاء يعني أول من تصدى لذلك وعني به، وإلا فالكلام فيه جرحاً وتعديلاً متقدم ثابت عن رسول الله ﷺ ثم عن كثير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم وجوزوا ذلك صوناً للشريعة ونفياً للخطأ والكذب عنها ".

ثم تابع بقية أئمة الحديث هذا الأمر: كعمرو بن علي الفلاس[٥] وأبي خثيمة[٦] وتلامذتهم كابي زرعة، وأبي حاتم، والبخاري، ومسلم، وأبي إسحاق الجوزقاني، والنسائي، وابن خزيمة، والترمذي، والدولابي[٧]، والعقيلي، وابن عدي، وأبو الفتح الأزدي[٨]، والدارقطني، والحاكم إلى غير ذلك[٩].

---

(١) اللكنوي: المصدر السابق ص ٤١-٤٢.

(٢) النووي: رياض الصالحين، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة السابعة، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ص ٥٧٧-٥٧٨، وينظر ص (الرسالة).

(٣) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٣٥١.

(٤) المقدمة ص ١٩٣، وينظر كذلك الخطيب: الكفاية ص ١٦.

(٥) الباهلي، أحد فرسان الحديث (ت ٢٤٩هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٧ - ٤٨٨ (٥٠٢)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٨٠ - ٨٢ (١٢٠).

(٦) زهير بن حرب بن شداد محدث بغداد (ت ٢٣٣هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٨/ ٤٨٢-٤٨٤ (٤٥٩٧)، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٣٧ -٤٣٨ (٤٤٣).

(٧) محمد بن الصباح أبو جعفر البزار، شيخ أئمة الحديث (ت ٢٢٧هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٤١ - ٤٤٢ (٤٤٨)، ابن حجر: المصدر السابق ٩/ ٢٢٩ -٢٣١ (٣٦١).

(٨) ينظر ترجمته ص ٣٥١.

(٩) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ء، كشف الظنون ١/ ٥٨٢، وينظر تراجمهم الملحق رقم ٣.

وجعل الحاكم النيسابوري الصحابة ﷺ على رأس طبقات المزكين حيث يقول[١]: "... ثم ذكرت في كتاب المزكين لرواة الأخبار على عشر طبقات[٢] في كل عصر منهم أربعة وهم أربعون رجلاً فالطبقة الأولى منهم: أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت، فإنهم قد جرحوا وعدلوا وبحثوا عن صحة الروايات وسقيمها... ".

ثم توسع العلماء في هذا الشأن بعد الصحابة ﷺ حتى أصبح علماً قائماً بذاته، له أصوله وقواعده[٣].

برز عدد من الأئمة النقاد في علم الرجال فأصبحوا فرسان هذا الميدان يسمع منهم الرأي النهائي فيما يتعلق بالنقد على مستوى السلف والخلف لما تميزوا به من دقة وإتقان وتقوى.

ومن أبرز هؤلاء: شعبة بن الحجاج، معمر بن راشد، وهشام الدستوائي، وعبد الرحمن[٤] بن عمرو الأوزاعي، وسفيان الثوري[٥]، ومالك بن أنس، وعبد العزيز الماجشون[٦]، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، والليث بن سعد، وعبد الله بن المبارك[٧]، وهشيم بن بشير[٨]، وأبو إسحاق الفزاري[٩]، والمعافي بن عمران الموصلي[١]، وبشر بن المفضل[٢]، وسفيان بن عيينة، وإسماعيل بن

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ٥٢.

(٢) ينظر: عن هذه الطبقات: ابن أبي حاتم: تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ص ١١-٣٢، الأدلبي: منهج نقد المتن عند علماء الحديث ص ١٤٦ - ١٥٠.

(٣) ينظر البشير: ضوابط الرواية / ٢٣٥.

(٤) الأمام الفقيه، شيخ الإسلام وإمام عصره (ت ١٥٧هـ) ينظر: أبو نعيم: حلية الأولياء ٦/ ١٣٥ -١٤٩ (٣٥٤)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٧٨ -١٨٣ (١٧٧).

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق، الإمام العلم أمير المؤمنين في الحديث (ت ١٦١هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٠٣ -٢٠٧ (١٩٨)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ١١١-١١٥ (١٩٩).

(٦) عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة التيمي الفقيه الثقة (ت ١٦٤هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٠/ ٤٣٦ -٤٣٩ (٥٦٠١)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٢٢-٢٢٣ (٢٠٨).

(٧) بن واضح: الإمام قدوة الزهاد والمجاهدين أمير المؤمنين في الحديث (ت ١٨١هـ) ينظر: أبو نعيم: المصدر السابق ٨/ ١٦٢ -١٩١ (٣٩٧)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٧٤-٢٧٩ (٢٦٠).

(٨) ابن أبي حازم السلمي المفسر، من ثقات المحدثين (ت ١٨٣هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ١٤/ ٨٥ - ٩٤. (٧٤٣٦)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٤٨ - ٢٤٩ (٢٣٥).

(٩) إبراهيم بن محمد بن الحارث، الحجة، المجاهد المرابط الثقة (ت ١٨٨هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٧٣ - ٢٧٤ (٢٥٩)، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ١٥١ - ١٥٣ (٢٧١).

بن علية[٣]، وجرير بن وهب[٤]، ووكيع بن الجراح، ويحيى القطان[٥]، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو داود الطيالسي، ومحمد بن يوسف الفريابي[٦]، وأبو عاصم النبيل، وعبد الله بن الزبير الحميدي، والقعنبي[٧]، وأبو عبيد القاسم بن سلام[٨]، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأبو الوليد[٩] الطيالسي، وقد ظل الاهتمام بعلم الرجال وتناقل أهل الحديث ما قيل في الرجال شفاهاً كما كانوا يتناقلون الحديث[١٠].

ثم ظهر بشكل ما نوع من التخصص في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ثم تطور التصنيف في الجرح والتعديل خلال القرن الثالث والرابع وظهرت أنواع ثلاثة من المصنفات: مصنفات في الثقات، وأخرى في الضعفاء، والثالث في الجمع بين الثقات والضعفاء[١١].

---

(١) الأزدي أبو مسعود الحافظ الرحالة الثقة (ت ١٨٥هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ١٣/٢٢٦ - ٢٢٩ (٧١٩٨)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٨٧ - ١٨٨ (٢٦٧).

(٢) ينظر: ترجمته ص ٤٠٩.

(٣) هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم البصري، أحد أعلام الحديث، وعلية أمه (ت ١٩٣هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٢٢ - ٣٢٣ (٣٠٣)، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٢٧٥ - ٢٧٩ (٥١٣).

(٤) يبدو أنه جرير بن حازم أبو النضر (أبو وهب) الأزدي، وليس ابن وهب، حيث لم أجد في طبقته من يسمى بابن وهب من أئمة الحديث، وهو محدث البصرة (ت ١٧٠هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٩٩ - ٢٠٠ (١٩١)، العبر في خبر من غبر ١/ ١٩٩.

(٥) ينظر ترجمته الملحق رقم (٣).

(٦) أبو عبد الله الضبي، شيخ الشام العابد الورع (ت ٢١٢هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٦ (٣٧٢)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٥٣٥ - ٥٣٧ (٨٧٨).

(٧) عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي، الزاهد من جلة أصحاب مالك، وأحد رواة الموطأ (ت ٢٢١هـ) ينظر: ابن فرحون: الديباج المذهب ١/ ٤١٢ - ٤١٣، ابن حجر: المصدر السابق ٦/ ٣١ - ٣٣ (٥١).

(٨) الهروي النحوي، البحر، الفقيه، الرأس في العربية (ت ٢٢٤هـ) ينظر: الخطيب تاريخ بغداد ١٢/ ٤٠٣ - ٤١٦ (٦٨٦٨)، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤١٧ - ٤١٨ (٤٢٣)، السيوطي: بغية الوعاة ٢/ ٢٥٣.

(٩) هشام بن عبد الملك البصري، الحافظ العلم المتقن (ت ٢٢٧هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٨٢ (٣٨٠)، ابن حجر: المصدر السابق ١١ / ٤٥ -٤٧ (٨٧).

(١٠) ينظر: تفصيل ذلك: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ ص ٣٣٩ -٣٤١ (طبعة بغداد)، العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٨٤.

(١١) ينظر العمري: المصدر السابق ص ٨٤ - ٨٥.

فأول من صنف في الضعفاء[1] (يحيى بن معين) وكذلك أول من صنف في الجمع بين الضعفاء والثقات.

ثم ألّف بعده ابن المديني حوالي ثلاثين كتاباً أكثرها في الجرح والتعديل ولم يبق منها إلا أربعة أو خمسة[2].

أما الثقات: فأول من ألف فيها: أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي[3]، والعجلي هذا أول من صنف في الجرح والتعديل، كما ألف في ذلك الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي[4].

ذكر العلامة الدكتور أكرم العمري المصنفات في الموضوعات الثلاثة بالتفصيل حيث:

١- ألف في الضعفاء حتى نهاية القرن الخامس الهجري عشرون مصنفاً.

٢- وفي الثقات أربع مصنفات.

٣- أما من جمع بين الطريقتين (الضعفاء والثقات) يبلغ خمسة وعشرون مصنفاً[5].

غيبة الراوي:

أ - لاشك أن الغيبة من الأمور المحرمة التي نهى عنها الله ورسوله ﷺ يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ

---

(١) ينظر هذه المصنفات: السخاوي: المصدر السابق ص ٥٨٥ - ٥٨٨، العمري: المصدر السابق ص ٨٩ وينظر كذلك: حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٥٨٢، ومن العجيب أن الدكتور أكرم العمري يذكر المصنفات التي ألفت في منتصف القرن الثالث الهجري في الجرح والتعديل، ثم يقول في ص ٨٦: ولم تكتب قواعد الجرح والتعديل إلا متأخراً بل أن الرامهرمزي (ت ٣٦٠هـ) لم يتطرق في كتابه (المحدث الفاصل) وهو أول مصنف في مصطلح الحديث - إلى علم الجرح والتعديل - ولعل الحاكم كان أول من كتب في قواعد علم الجرح والتعديل...) لعل ذلك وهم منه أو زلة قلم.

(٢) ينظر: العلل ص ٩ -١٠.

(٣) الحافظ القدوة كان يؤمن أن من قال القرآن مخلوق أو يؤمن برجعة علي كافراً (ت ٢٦١هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٦٠ - ٥٦١ (٥٨٢)، العبر ١/ ٣٢٤.

(٤) ينظر حاجي خليفة: المصدر السابق ١/ ٥٨٢، ويقول عن كتابه هو: كتاب كبير.

(٥) ينظر العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٨٩-٩٢، وينظر كذلك عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٢٦٥ - ٢٧٣.

أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: ١٢][١].

وحذر رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة ذلك، فمنها: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال[٢]:

«أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ». قَالُوا الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ ». قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أقول قَالَ «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ [٣]:

«لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ ».

يقول الإمام النووي[٤]:

"أعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه. وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء ".

ومن أجل ذلك كان أئمة الجرح والتعديل من أتقى الناس في هذا المجال وكانوا يتحرجون من ذلك، قال ابن دقيق العيد[٥]:

" أعراض المسلمين حفرة من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من الناس: المحدثون، والحكام "[٦].

---

(١) ينظر الآيات الأخرى التي تذكر الغيبة: سورة الإسراء: آية/ ٣٦، سورة ق: آية/ ١٨.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٠١ (٢٥٨٩)، أبو داود السنن ٤/ ٢٧٠ (٤٨٧٤)، الترمذي: السنن ٤/ ٢٩٠ (١٩٣٤) شرح صحيح مسلم ١٦/ ١٤٢ وقوله: فقد بهته: افتريت عليه الكذب ينظر: رياض الصالحين ص ٥٧٢.

(٣) مسند أحمد ٣/ ٢٢٤، أبو داود السنن ٤/ ٢٧١ (٤٨٧٨).

(٤) رياض الصالحين ص ٥٦٩.

(٥) تقي الدين محمد بن علي بن وهب، شيخ الإسلام الورع الزاهد، كان مالكياً ثم تحول إلى مذهب الشافعي (ت ٧٠٢هـ) ينظر: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢، اليافعي: مرآة الجنان ٤/ ٣٦.

(٦) ابن دقيق العيد: الاقتراح في بيان الاصطلاح، تحقيق، قحطان عبد الرحمن الدوري، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٤٠٢هـ ص ١٣.

ب- إباحة الشارع الغيبة للمسلم في حالات اضطرارية لابد منها.

لكن مع هذا التحرج والاحتياط، أباح الشارع الغيبة للاضطرار، وقد حددها العلماء واستندوا في جواز ذلك بما ورد عن رسول الله ﷺ في الصحيح الثابت عنه فمن هذه الأدلة.

عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال[1]:

« ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ، أَخُو الْعَشِيرَةِ أو ابن الْعَشِيرَةِ ».

واحتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد وأهل الريب[2].

- وعنها قالت رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ [3]:

«مَا أَظُنُّ فلاناً وَفُلاَنًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شيئاً».

قَالَ اللَّيْثُ بن سعد أحد رواة هذا الحديث[4]:

كَانَا رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

استنادا إلى تلك الأدلة قال العلماء: أن غيبة الرجل حياً أو ميتاً جائز لغرض شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها وهي ستة، منها:

- تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم وذلك من وجوه، منها:
- جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين بل واجب للحاجة... الخ.
- أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلماً وتولي الأمور الباطلة... الخ.
- التعريف. فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش والأعرج والأصم والأعمى والأحول ... الخ[5].

ج - تصدى الخطيب البغدادي لمن ذكر عدم جواز تجريح الراوي فقال[6]:

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٥٠ (٥٧٠٧)، فتح الباري ١٠/ ٤٧١ (٦٠٥٤)، شرح صحيح مسلم ١٦/ ١٤٤).

(٢) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٤٧١ - ٤٧٢، وينظر كذلك: النووي رياض الصالحين ص ٥٧٧.

(٣) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٥٤ (٥٧٢٠)، فتح الباري ١٠/ ٤٨٥ (٦٠٦٧ - ٦٠٦٨).

(٤) ينظر: المصدر نفسه ١٠ / ٤٨٥.

(٥) ينظر تفصيل ذلك: الغزالي: إحياء علوم الدين ٣/ ١٤١ - ١٥٤، النووي: المصدر السابق ص ٥٧٥ - ٥٧٨.

(٦) الكفاية في علم الرواية ص ٨٣.

"... وليس الأمر على ما ذهبوا إليه لأن أهل العلم أجمعوا على أن الخبر لا يجب قبوله إلا من العاقل الصدوق المأمون على ما يخبر به، وفي ذلك دليل على جواز الجرح لمن لم يكن صدوقاً في روايته مع أن سنة رسول الله ﷺ قد وردت مصرحة بتصديق ما ذكرنا وبضد قول من خالفنا ".

د - وهل يفسق الجارح إذا كان مخطئاً في جرحه لأحد الأئمة أو أحد الرواة ؟.

قال السبكي لا يجوز تفسيقه وذلك لأمور:

١ - أن يكون واهماً، ومن ذا الذي لا يهم ؟.

٢- أن يكون مؤولاً قد جرح بشيء ظنه جارحاً، ولا يراه المجروح كذلك كاختلاف المجتهدين.

٣- أن يكون نقله إليه من يراه هو صادقاً، ونراه نحن كاذباً ثم يقول: ومعنا أصلان نستصحبهما إلى أن نتيقن خلافهما.

أصل عدالة الإمام المجروح الذي قد استقرت عظمته، واصل عدالة الجارح الذي يثبت فلا يلتفت إلى جرحه ولا نجرحه بجرحه، فأحفظ هذا المكان فهو من المهمات[1].

هـ- ومما يتعلق بهذا الموضوع أن أئمة الجرح والتعديل كانوا لا يخشون في الله لومة لائم، ووصل بهم الورع والتقوى والتحفظ أنهم كانوا يجرحون أقرب المقربين إليهم، فمنهم من جرح أباه، ومنهم من جرح ابنه، يقول السخاوي[2]:

"قال علي بن المديني لمن سأله عن أبيه: سلوا عنه غيري فأعادوا المسألة فأطرق ثم رفع رأسه فقال: عن أبيه هو الدين، أنه ضعيف، وقال أبو داود صاحب السنن: ابني عبد الله[3] كذاب".

---

(١) السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) قاعدة في الجرح والتعديل، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب (مطبوع مع الرفع والتكميل) ص ٢٦ - ٢٧، والسبكي هو علي بن عبد الكافي بن علي الأنصاري، الحافظ (ت ٧٥٦هـ) وينظر الحسيني: شمس الدين محمد بن علي بن الحسن (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م) ذيل تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي (مطبوع مع تذكرة الحفاظ) ص ٣٩ - ٤٠، السيوطي: طبقات الحفاظ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ ص ٣٥٢، ابن قاضي شهبة: الطبقات ٣/ ١٩٠ - ١٩٤ (٦٠٣).

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٢٨، الإعلان بالتوبيخ ص ١٢٠ (طبعة بغداد).

(٣) عبد الله بن سليمان بن الأشعث المحدث، العلامة اختلف في توثيقه وتضعيفه (ت ٣١٦هـ) ينظر الأنصاري: عبد الله بن محمد ت (٣٦٩هـ/ ٩٨٠م) طبقات المحدثين بأصبهان، تحقيق عبد الغفور عبد الحق البلوشي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢ م ٣/ ٥٣٣ (٤٨٣)، الذهبي: المصدر السابق ١٣/ ٢٢١ - ٢٣٧، وقد ذكر من اتهمه ومن وثقه.

وكان الإمامان الجليلان: البخاري ومسلم مثالين رائعين في الإنصاف حين نقلا عن المبتدعين في صحيحهما، وهكذا فعل أبو داود السجستاني[١] كما أن حطام الدنيا وزينتها لم تؤثر على هؤلاء الأئمة في قول الحق:

" لما قدم - يعني يحيى بن معين - حران[٢]، طمع أبو سعيد يحيى بن عبد الله بن الضحاك البابلتي[٣] (ت٢١٨هـ) أنه يجيء إليه، فوجه بِصُرَّةٍ فيها ذهب وطعام طيب.

فقبل الطعام ورد الصرة فلما رحل سألوه عنه فقال:

والله أن صلته لحسنه، وأن طعامه لطيب، إلا أنه لم يسمع من الأوزاعي شيئاً" [٤].

لأنه أراد أن يشهد له بأنه سمع من الأوزاعي ![٥].

وهكذا ضرب أئمة الجرح والتعديل أروع مثال من النزاهة والدقة والإخلاص لله جل جلاله إثناء تقييمهم الأشخاص جرحاً أو تعديلاً.

عدالة الصحابة:

تعريف الصحابي:

الصحابي لغة: مشتق من الصحبة، يقال: صحب فلاناً حولاً ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة، فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيرة[٦].

في الاصطلاح: هو كل من رأى رسول الله وآمن به ومات على دينه[٧].

وقيل: كل مسلم رأى رسول الله[٨] وهو حد المحدثين والأصوليين.

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ١٧٩ - ١٨٠، تاريخ بغداد ٥/ ٣٢٦.

(٢) مدينة قديمة مشهورة بينها وبين الرها يوم وهي الآن بشمال سوريا ينظر: معجم البلدان ٢/ ٢٣٥ -٢٣٦ (حران).

(٣) صاحب إوهام وسقطات ينظر:تهذيب التهذيب ١١/ ٢٤٠ - ٢٤١ (٣٩٢)، شذرات الذهب ٢/ ٤٥.

(٤) السخاوي: المصدر السابق ص ١١٩.

(٥) ينظر العمري: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٨٨.

(٦) ينظر: لسان العرب ٢/ ٤٠٩-٤١٠ (صحب)، وينظر كذلك الخطيب: الكفاية/ ٥١، العراقي: فتح المغيث ٤/ ٣١.

(٧) ينظر الهروي: جواهر الأصول في علم حديث الرسول ص ١٠٢، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٤٨.

(٨) ابن الصلاح: المقدمة: ص ١٤٦، السيوطي: تدريب الراوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ٢/ ٢٠٩، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ١٧٦ هامش (١).

وقيل: من رأى رسول الله ولو ساعة أو أقل أي مجرد الرؤيا[١].

والتعريف الأول جامع مانع "حيث يخرج من رآه مؤمناً به بين الموت والدفن ومات على الإسلام فإنه لا يعد لقيا، ومن لقيه كافراً به ثم أسلم ولم يلقه مؤمناً ومن لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على الردة"[٢].

كما يدخل من لقيه من طالت مجالسته أو قصرت ومن روى عنه أو لم يرو ومن غزا معه أو لم يغز ومن رآه رؤية ولم يجالسه ومن لم يره بعارض كالعمى[٣].

أدلة عدالة الصحابة:

١ـ الكتاب:

الأدلة في القرآن الكريم كثيرة ومستفيضة على عدالة الصحابة حيث ذكرهم مرة أنهم ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومرة أنهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وتارة أنه ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨] وتارة أنهم ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ومرة أنهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ومرة أنه: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وغيرها من الآيات الواضحات البينات في حق الصحابة وتزكيتهم وعدالتهم.

٢ـ من السنة:

إنّ الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في تزكية وعدالة الصحابة وفضائلهم المشتركة، أو ما خص به ﷺ واحداً منهم، أو فئة منهم... الخ فهي كثيرة[٤] لا تعد ولا تحصى فمنها على سبيل

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٩٩.

(٢) التهانوي: المصدر السابق ص ٤٨.

(٣) ينظر ابن حجر: الإصابة ١/ ٤ يقول ابن حجر هذا أصح ما وقفت عليه أي التعريف الأول.

(٤) قمت بإحصائية بسيطة وسريعة لما ورد في فضائل الصحابة وشرفهم ومدحهم عن خير البرية ﷺ بشكل عام أو خاص بأحدهم ﷺ في كتابي جامع الأصول ومجمع الزوائد فوجدت حوالي (٥٠٨) خمسمائة وثمانية أحاديث واردة عن رسول الله في فضلهم ومآثرهم وناهيك في هذا شرفاً وفضلاً ينظر الروداني: محمد بن سليمان الروداني (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م) جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، الطبعة الأولى، سرفي برس - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣ م ٢/ ٣١٤ - ٣٧٠، وينظر كذلك: أحمد بن حنبل: فضائل

الاستشهاد لا الحصر:

أ - ففي الصحيحين عن عمران بن الحصين ﷺ عن ﷺ:

«خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ: لاَ أَدْرِي، أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ، بَعْدُ، قَرْنَيْنِ أو ثَلاَثَةً، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْماً يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرَ فِيهِمُ السِّمَنُ».

ب - عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال[1]:

(لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أحد ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَه).

ج - عن أبي موسى أن النبي ﷺ ليلة رفع رأسه إلى السماء فقال[2]:

«النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّماءِ فإذا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّماءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فإذا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فإذا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ».

كيف يعرف الصحابي ؟

هناك عدد من الأدلة يمكن بواسطتها معرفة الصحابي من غيره، فقد ذكر أئمة الحديث والأصول منها:

الصحابة: تحقيق وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م (مجلدان).

(١) مسند أحمد ١٧/ ١٣٨ (١١٠٧٩) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٢/ ٣٣٦ (١٧٦٧)، فتح الباري ٧/ ٢١ (٣٦٧٣)، شرح صحيح مسلم ١٦/ ٩٢.

(٢) مسند أحمد ٤/ ٣٨٩ (١٩٧٩) صحيح مسلم ٤/ ١٩٦١ (٢٥٣١) هؤلاء الصحابة الكرام اتهمهم أعداء الإسلام الزنادقة المجوس بأنهم قد كفروا بعد رسول الله ﷺوارتدوا على أدبارهم. وتنازعوا على كرسي الخلافة وانتزعوا حق علي ﷺ في الخلافة. يقول الكليني (وهو أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨ - ٣٢٩هـ): (الناس بعد النبي ﷺ أهل ردة إلا ثلاثة) حديث رقم ٣٤١ عن أبي جعفر (وهو محمد الباقر) قال (كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة ؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم... الخ) ويقول تحت نفس العنوان حديث رقم (٣٤٣) عن حنان عن أبيه عن أبي جعفر قال: (قلت له: ما كان ولد يعقوب أنبياء ؟ قال: لا ولكنهم كانوا أسباط أولاد الأنبياء ولم يكن يفارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وإن الشيخين (يقصد أبا بكر وعمر ﷺ) فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)، ينظر: روضة الكافي، ص ٢٠٥، ٢٠٦).

أ - الخبر المتواتر: كأبي بكر وعمر وبقية العشرة المبشرة بالجنة ﷺ.

ب - الخبر المشهور أو المستفيض، كعكاشة[١] بن محصن وضمام[٢] بن ثعلبة.

ج - أن يخبر من تقبل شهادته أنه صحابي كحممة بن أبي حممة الدوسي[٣]، فشهد له أبو موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ وقد مات باصبهان.

د - أن يخبر عن نفسه بأنه صحابي، بعد ثبوت عدالته ومعاصرته لرسول الله ﷺ[٤].

إجماع المسلمين:

لم يختلف أحد من المسلمين (ممن يعتد بإجماعهم) أن الصحابة ﷺ أجمعين، كلهم عدول، وقالوا: أن للصحبة شرفاً عظيماً يمنح صاحبها ميزة خاصة[٥].

وقد أحصى العلماء عددهم فمنهم مقل ومنهم مكثر، فالمقل قد وصلهم إلى (٣٠) ألفا[٦]، والمكثر وصلهم إلى (١١٤) ألفا من الصحابة[٧] ممن روى عنه وسمع منه، قال الخطيب: بعد أن

---

(١) ابن حرثان بن قيس الأزدي، من السابقين الأولين، استشهد في قتال الردة ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٣ / ١٥٥ - ١٥٧، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٤٩٤ - ٤٩٥ (٥٦٣٢).

(٢) أحد بني سعد بن بكر السعدي، صحابي جليل، قدم على النبي ﷺ بعثه بنو سعد بن بكر وافداً سنة تسع على الأرجح، لم أظفر بتاريخ وفاته. ينظر: الاستيعاب ١/ ٢٢٧، الإصابة ٣/ ٤٨٦ (٤١٨٢).

(٣) حممة بن أبي حممة الدوسي، استشهد في فتح أصبهان سنة (١٩هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ٣٩٢ - ٣٩٣، ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٢٠٩ - ٢١٠ (اصبهان).

(٤) ينظر: تدريب الراوي ٢/ ٢١٣ شاكر: الباعث الحثيث ص ٢١٥، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٥) العراقي: فتح المغيث ٤/ ٣٥، شاكر: المصدر السابق ص ٢٠٥.

(٦) الخضري بك: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق محي الدين الجراح، مطبعة منير - بغداد ص ٢٤٦.

(٧) ينظر العراقي: المصدر السابق ٤/ ٣٩ والعدد الذي نرجحه هو ما رجحه الإمام العراقي: أنهم حوالي مائة ألف والله اعلم. قال العراقي وروى الساجي في المناقب بسند جيد عن الرافعي قال: قبض رسول الله ﷺ والمسلمون ستون ألفاً في المدينة وثلاثون ألفاً في قبائل العرب وغير ذلك ثم قال: ومع هذا فجميع من صنف في الصحابة لم يبلغ مجموع ما في تصانيفهم عشرة آلاف مع كونهم يذكرون من توفى في حياته ﷺ وعاصره وأدركه صغيراً ينظر: الهروي: جواهر الأصول ص ١٠٤ ابن حجر: الإصابة ١/ ١١٣ (المقدمة)، السيوطي: المصدر السابق ٢/ ٢٢١ ولعل قصد العراقي بالمدينة أهل المدن وهم أهل مكة والمدينة والطائف، حيث أن قلنا بأن ستين ألفاً من المدينة. وثلاثون ألفاً في القبائل، فما يبقى لأهل مكة والطائف والمدن الأخرى ؟ والله أعلم.

تحدث عن عدالة الصحابة بحوالي خمس صفحات[١]:

"والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له. هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء الخ... ".

من هم الذين طعنوا في عدالة الصحابة؟:

هم أعداء هذا الدين وعلى رأسهم: الشيعة والزنادقة[٢] وهما وجهان لعملة واحدة صنائع الفرس، وهم أَلَدُّ أعداء الإسلام والصحابة ﷺ، وكلمة الزنديق فارسية معربة[٣] على الصحيح مأخوذة من كلمة (زنديك) أو (زندكراي)[٤] الذي يقول ببقاء الدهر، أي كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق[٥].

الفرق بين الزندقة والغلو:

يقع أحياناً الخلط بين الزندقة والغلو، رغم إنهما ظاهرتان مختلفتان في المجتمع الإسلامي.

فالزندقة[٦]:

"هي ظاهرة أو حركة أعلنت معارضتها للإسلام وهدفت إلى هدمه، واعتمدت أسساً فكرية مناقضة له.

---

(١) الكفاية في علم الرواية ص ٩٦، وينظر كذلك ابن الصلاح: المقدمة ١٤٦ - ١٤٧ الآمدي: الأحكام ٢/ ١٢٨، شاكر: الباعث الحثيث ص ١٧٦ - ١٧٧

(٢) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٥.

(٣) اختلف العلماء في أصل هذه الكلمة، هل أنه إغريقي أم آرامي ؟ ينظر دائرة المعارف الإسلامية ١٠/ ٤٤١ كريمر: فون كريمر: الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، ترجمة مصطفى طه بدر، دار الفكر العربية - القاهرة ١٩٤٧ م ص ١٠١، عبد القادر: حامد عبد القادر، قصة الأدب الفارسي - مكتبة النهضة القاهرة ١٩٥١ ص ٦٠.

(٤) ينظر الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم ١/ ٥٤٦، الرازي: مختار الصحاح ص ٢٧٦ (ز ن د ق)، ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٥١ (زندق).

(٥) ينظر تفصيل هذا الموضوع كتابنا: معجم الزندقة وتاريخ الزنادقة في الإسلام. ويقع في عدّة مجلدات.

(٦) السامرائي: عبد الله سلوم، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الثانية، الدار العربية - بغداد ١٩٨٢ م ص ٧٩، وينظر: التفصيل حول الزندقة: الشوكاني: نيل الأوطار ٧/ ١٩٢.

أما الغلو:

فهو ظاهرة عملت في نطاق الإسلام واستندت إليه بالرغم من اعتمادها على مبادئ أخرى مناقضة له، وهدفت إلى مقاومة الإسلام من الداخل تحت شعار التظاهر باسمه".

لماذا طعن هؤلاء بالصحابة وما علاماتهم؟

لكل حركة من الحركات لابد من منهج وهدف وغاية، لقد حدد علماء الإسلام هدف وغاية الزنادقة وأتباعهم وبينوها منذ ظهور هذه الحركة في بداية العصر العباسي الأول، أي: في القرن الثاني[1] وهي:

إبطال الكتاب والسنة:

فالهدف الرئيسي للزنادقة هو إبطال الكتاب وسنة الرسول ﷺ وذلك بتجريح الصحابة رضي الله عنهم، حيث أنهم، إن جرحوا الشهود (النقلة) فقد أبطلوا الكتاب والسنة، لأننا لم نعرف الكتاب والسنة، ولا عرفنا الإسلام إلا بواسطتهم.

يقول أبو زرعة[2]:

"إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول عندنا حق، والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى، وهم زنادقة".

---

(١) لم تظهر هذه الحركة في القرن الأول (وهو قرن الصحابة) وذلك لعدة أسباب:

أ - وجود الصحابة وقد جعلهم الله آمنة لأمة الإسلام كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

ب- عدم اختلاط المسلمين بأهل الديانات السابقة بصورة عامة، ومنها المجوسية، حيث أن الزندقة والتشيعة ربيبتها!.

ج- الدولة الإسلامية في العصر الأموي كانت في أوج عظمتها وعزتها وكان خلفاء بني أمية من أشد الناس نكاية وأقواهم همة لمحاربة أهل الأهواء والنحل الفاسدة. ينظر: جب: دراسات في حضارة الإسلام ص ٨٢، عطوان: حسين عطوان: الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل - بيروت ص ١٧.

(٢) الكفاية ص ٩٧، عبد المنعم صالح العلي: دفاع عن أبي هريرة ص ٣١.

وسأل رجل أبا زرعة الرازي عمن قلل من عدد أصحاب رسول الله ﷺ فاتهمهم أيضاً بالزندقة بناء على القاعدة[١] السابقة، فقال له[٢]:

"يا أبا زرعة، أليس يقال حديث النبي ﷺ أربعة آلاف حديث ؟.

قال: ومن قال ذا ؟ قلقل الله أنيابه هذا قول الزنادقة، ومن يحصي حديث رسول الله ؟ قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه.

قيل: ياابا زرعة، هؤلاء أين كانوا، وسمعوا منه ؟ قال:

أهل المدينة وأهل مكة وما بينهما والأعراب ومن شهد معه حجة الوداع).

تشويه الصورة الصحيحة لرجال الإسلام: الصحابة، التابعين، الخلفاء، العلماء.

اتخذ هذا النمط من التشويه لرجال الإسلام هجمة وخطّة مبرمجة من الزنادقة، منذ وقت مبكر من تاريخ الإسلام، وذلك بغرض النيل من السنّة المشرّفة والدّس فيها والطعن والنيل من رجال سلف هذه الأمّة. ذكر الخطيب... عن أبي بكر[٣] قال[٤]:

"قال لي أمير المؤمنين المهدي: يا أبا بكر ما تقول فيمن ينقص من أصحاب رسول الله ﷺ؟

قال: قلت زنادقة.

قال: ما سمعت أحدا قال هذا قبلك !.

قال: هم قوم أرادوا رسول الله ﷺ بنقص فلم يجدوا أحدا من الأمة يتابعهم على ذلك، فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء وهؤلاء عند أبناء هؤلاء، فكأنهم قالوا: رسول الله ﷺ يصحبه صحابة السوء، وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء !.

فقال: ما أراه إلا كما قلت".

وكان خلفاء بني العباس - بعد أن ظهرت فتنة هؤلاء- وقفوا لهم بالمرصاد وكانوا يعرفونهم

---

(١) لأن تقليل عددهم تقليل لأحاديث رسول الله وحيث قل عدد الحديث، يقل التشريع، فإذا الهدف هو السنة والله أعلم.

(٢) العراقي: فتح المغيث ٤/ ٣٩، عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين ص ٤٠٦.

(٣) هو عبد الله بن مصعب الزبيري ضعفه بعضهم ولم يذكر الآخرون فيه جرحاً ولا تعديلاً (ت ١٨٤هـ) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٥، ابن حجر: لسان الميزان ٣/ ٣٦١ (١٤٥٤٠).

(٤) المصدر نفسه ١٠/ ١٧٥.

في سيماهم ويعرفونهم في لحن القول[١] قال أبو معاوية الضرير[٢]:

"حَدَّثْتُ الرشيد يوماً حديث احتج آدم وموسى[٣]، وعنده رجل من وجوه قريش فقال القرشي[٤]: فأين لقيه ؟.

فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف زنديق يطعن في حديث النبي ﷺ !.

قال معاوية:

"فما زلت أسكنه أقول: يا أمير المؤمنين كانت فيه نادرة حتى سكن"[٥].

ومن منها: بعث الأفكار والديانات المجوسية الفارسية القديمة، ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية، وذلك عن طريق ترجمتها إلى اللغة العربية[٦].

يقول الخليفة المهدي في كتب ابن المقفع[٧]:

"ما وجدت كتاب زندقة قط إلا أصله ابن المقفع"[١]، وكذلك صنيع أمثال عبد الكريم بن

---

(١) حسين عطون: الزندقة والشعوبية ص ٢١.

(٢) محمد بن خازم الكوفي، الحافظ الثبت، وكان الرشيد يجله (ت ١٩٥هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٩٤ - ٢٩٥ (٢٧٤)، الخزرجي: خلاصة التهذيب ص ٣٣٤

(٣) حديث محاجة آدم لموسى: - روى أئمة الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (قال موسى أنت آدم الذي خلقك بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخطيئتك إلى الأرض ؟ قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً؟ فيكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى بأربعين عاماً: قال آدم: فهل وجدت فيها فعصى آدم ربه فغوى ؟ قال نعم. قال: افتلو مني على أن عملت عملاً كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى. رواه البخاري ومسلم: فتح الباري ١٣/ ٤٤٧ (٧٥١٥)، شرح صحيح مسلم ١٦/ ٢٠٠ - ٢٠١، واللفظ له.

(٤) القرشي لا يكون زنديقاً لعله إنما كان الرجل يردد مقولة الزنادقة وهو لا يدري لأن العرب لم يوصف منهم بالزندقة إلا أربعة:١- يعقوب بن الفضيل ٢- ابن داود بن علي. ٣- آدم بن عبد العزيز الأموي. ٤- ويحيى بن زياد الحارثي، وكلهم كانوا في عهد المهدي ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٨/ ١٩١، الأصبهاني: علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) الأغاني، طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٧ م ١٥/ ٢٨٧، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/ ٣٦٦، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص ٧١.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٦٤ م ص ١٨٩.

(٦) ينظر: الزندقة والشعوبية ص ٢٣.

(٧) ينظر: المسعودي: مروج الذهب ٤/ ٣١٥، المرتضى: المصدر السابق ١/ ١٣٣.

أبي العوجاء وحماد عجرد[٢] ومطيع بن إياس.

ومنها: نشر العهارة والفجور والاستهتار بين صفوف الشباب داخل المجتمع الإسلامي بهدف القضاء عليه وانقضاض بنيانه[٣].

ومن ينظر إلى كتب الأدب والشعر والتاريخ ليجد المئات من الأمثلة على ذلك[٤].

ما حكم من طعن في الصحابة؟.

بين علماء المسلمين سلفاً وخلفاً أن الصحابة هم خير الناس بعد رسول الله ﷺ وهم نجوم الهدى وأمان الأمة بعد نبيها ﷺ، وأنهم رضي الله عنهم ورضوا عنه، وهم الذين نصروه وبلغوا دينه، فمن طعن فيهم طعن في الدين وطعن في شريعة رب العالمين وقد صنف العلماء شاتمهم والطاعن فيهم إلى أصناف ثلاثة.

١- حكمهم حكم البغاة:

لا يكفرون لكنهم يضللون ويؤدبون ويجلدون قال ابن عابدين[٥]:

"واتفق الأئمة على تضليل أهل البدع أجمع وتخطئتهم. ففي قول لمالك يؤدب وينكل نكالاً شديداً وهو قول بعض الصحابة. روي عنه أيضاً يجلد، وهو مذهب أحمد".

---

(١) المرتضى: علي بن الحسين(ت ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) أمالي المرتضى: تحقيق محمد أبو الفضل، طبعة عيسى البابي الحلبي - مصر ١٩٥٤ م ١/ ١٣٤، البغدادي عبد القادر بن عمر ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢ م خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة الأميرية -بولاق ٣/ ٤٥٩.

(٢) حماد بن عمر بن يونس (وعجرد أي العريان) رأس من رؤوس الزنادقة قتله محمد بن سليمان والي البصرة سنة ١٥٠هـ ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٨/ ١٤٨ - ١٤٩ (٤٢٠٥) ابن خلكان: الوفيات: ٢/ ٢١٠ - ٢١٤ (٢٠٦)

(٣) ينظر حسين عطون: المصدر السابق ص ٢٣ - ٢٤.

(٤) ينظر الأصبهاني: الأغاني ١٤/ ٣٢٢، ١٣/ ٢٧٩، ابن المعتز: عبد الله بن محمد المعتز بن المتوكل(ت ٢٩٦هـ / ٩٠٩م) طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف مصر ص ٢١، ٦٩، ٩٦، حسين عطوان: المصدر السابق ص ٢٤.

(٥) ابن عابدين: محمد بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي (ت ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م) مجموعة رسائل ابن عابدين طبعة قديمة ١/ ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢.

وقال:

"الخوارج خرجوا على الإمام الحق بتأويل... واستحلوا دماء المسلمين... ويكفرون أصحاب رسول الله... حكمهم عند جمهور الفقهاء وجمهور أهل الحديث حكم البغاة.

فإنهم خرجوا عليه - أي على علي - بزعمهم أن من حكّم غير الله تعالى فهو كافر ونقل عن أبي حنيفة والشافعي عدم تكفير أهل القبلة من المؤولة "[١].

٢ - يقتلون حدا:

وهو قول لمالك وأصحابه وطائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وهو قول بعض محققي الحنفية.

قال مالك[٢]:

"من شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا في ضلال قتل[٣]، وهو قول سحنون[٤] من أصحابه وقول طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة ".

وقال علي القارئ[٥]:

"وإذا جوز علمائنا الحنفية قتل الروافض بالشروط الشرعية على طريق السياسة العرفية... بل اللائق أن يستتاب، وإن ظهر شبهة يؤتى له بالجواب ويجب أن يتفحص عنه هل سب جاهلاً أو خاطئاً أو مكرهاً أو مستحلاً".

---

(١) المصدر نفسه ١/٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، يقول ابن أبي العز (فمن أضل ممن يكون في قلبه غل لخيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فضلتهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة من شر أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب محمد !! لم يستثنوا منهم إلا قليل وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة. ينظر: ابن أبي العز: القاضي علي بن علي بن محمد الدمشقي (ت ٧٩٢هـ/ ١٣٩٢م) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ٢/٥٠٨ - ٥١٥.

(٢) ينظر ابن عابدين: المصدر السابق ١/٣٥٨.

(٣) ينظر ابن عابدين: الرسائل ١/٣٥٨.

(٤) عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، أحد أئمة المالكية (ت ٢٤٠هـ) ينظر: ابن فرحون: الديباج المذهب ص ١٦٠، الذهبي: العبر ١/ ٣٤٠.

(٥) المصدر نفسه ١/٣٦٨.

٢- يكفرون ويقتلون (وهو الأرجح) بشروط وللأسباب التالية:

أ - إن أبطلوا الشريعة بأسرها بتكفير النقلة.

قال القاضي عياض[(١)]:

"... وكذلك يقطع بتكفير كل قائل قال قولاً يتوصل إلى تضليل الأمة، وتكفير جميع الصحابة كقول الكهيلية[(٢)] من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي ﷺ إذ لم يقدموا علياً، وكفرت علياً إذ لم يتقدم وأبطل حقه في التقديم. فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم".

ب - إذا دافعوا نص الكتاب.

قال التفتازاني[(٣)] والقاضي عياض وأبو يعلى:

وقع الإجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد[(٤)].

وذلك كقذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله. أو أنكر صحبة الصديق رضي الله عنه.

وقال في مكان آخر:

وأما قذف عائشة فكفر بالإجماع. وكذا إنكار صحبة الصديق لمخالفة نص الكتاب. وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية.

وكذلك من قذف إحدى أمهات المؤمنين لما فيه من إلحاق الشين به ﷺ وهو قول القاضي

---

(١) ابن عابدين: المصدر السابق ١/ ٣٦٤، وينظر كذلك: ابن حزم: الفصل ٤/ ١٨٣، الشهرستاني: المصدر السابق ١/ ١٧٤ - ١٧٥، الآلوسي: المصدر السابق ص ١٠.

(٢) يسمون الكاملية أيضاً، وهم أصحاب أبي كامل يؤمنون بتناسخ الأرواح، ويكفرون الصحابة ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل ١/ ١٧٤ - ١٧٥، الآلوسي: مختصر التحفة الأثني عشرية ص ١٠.

(٣) مسعود بن عمر بن عبد الله، من أئمة العربية، وعلم الكلام والفرق (ت ٧٩٣هـ) ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة ٤/ ٣٥٠، السيوطي: بغية الدعاة ص ٣٩١.

(٤) ينظر السمرقندي: محمد بن محمد بن محمود الحنفي (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) شرح الفقه الأكبر، مراجعة عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية - بيروت ص ٩١. ابن حزم: المصدر السابق ٤/ ١٨٢ - ١٨٨، ابن عابدين: المصدر السابق ١/ ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٤، الهيتمي: أحمد بن محمد بن علي بن حجر (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية -بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ص ١١ - ١٥.

عياض وابن تيمية[١].

ج - أن استحلوا سب الصحابة أو لكونه صحابياً.

قال ابن عابدين[٢]:

"الذي عليه في سب الصحابة أن كان مستحلاً لذلك كفر، ويكفر الرافضة الذين كفروا الصحابة وفسقوهم وسبوهم بل ذهب أبو حنيفة والشافعي أن غلاة الروافض أكفر الكفرة".

وقال ابن حجر الهيتمي[٣]:

"قال الزركشي[٤] والسبكي: لو سبه لكونه صحابياً فينبغي القطع بتكفيره لأن ذلك استخفاف بحق الصحبة وفيه تعريض بالنبي ﷺ".

وقال ابن أبي العز[٥]:

"ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحدهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم ولا نذكرهم إلا بالخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان".

قال في البزازية[٦]:

"ويجب أكفار الروافض بقولهم برجعة الأموات إلى الدنيا وتناسخ الأرواح وانتقال روح الإله إلى الأئمة... ومن أنكر خلافة أبي بكر وعمر".

قال أبو السعود[١]:

---

(١) ينظر السمرقندي شرح الفقه الأكبر ص ٩١، ابن حزم: الفصل ٤/ ١٨٤ - ١٨٨، ابن عابدين: الرسائل: ١/ ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) ينظر السمرقندي: المصدر السابق ص ٩١، ابن عابدين: المصدر السابق ١/ ٣٥٨، ٣٦٢.

(٣) الهيتمي: الإعلام بقواطع الإسلام دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م ص ٢٨، الهيتمي: المصدر السابق ص ٣٧٩ - ٣٨٠.

(٤) محمد بن بهادر بن عبد الله فقيه شافعي، أصولي بارع (ت ٧٩٤هـ) ينظر: ابن حجر: الدرر الكامنة ٣/ ٣٩٧، ابن عماد: شذرات الذهب ٦/ ٣٣٥.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٨٩، وينظر كذلك: السرخسي: الأصول ٢/ ١٣٤.

(٦) ابن عابدين: المصدر السابق ١/ ٣٥٩، ابن حزم: المصدر السابق ٤/ ١٨٢، الشهرستاني: المصدر السابق ١/ ١٤٧ - ١٥٠.

"فلذا أجمع علماء الأعصار على إباحة قتلهم، وأن من شك في كفرهم كان كافراً"[٢].

وهل تقبل توبتهم إذا تابوا ؟.

ذهب الإمام أبي حنيفة وسفيان الثوري والأوزاعي: أنهم إذا تابوا ورجعوا عن كفرهم إلى الإسلام نجوا من القتل ويرجى العفو كسائر الكفار إذا تابوا[٣].

وذهب مالك والشافعي واحمد والليث بن سعد وسائر العلماء: لا تقبل توبتهم ولا يعتبر إسلامهم ويقتلون حدا [٤].

حدود الجرح الجائز.

الأصل أن الجرح إذا لم يكن لمصلحة شرعية واضحة فهو محرم.

يقول النووي[٥]:

"أعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها".

لأن الجرح فيه حق الله مع حق الآدمي، ويورث في الدنيا والآخرة إضراراً بصاحبه كالمنافرة والمقت بين الناس. وذكر أئمة أهل العلم بأن الجرح لا يجوز إلا بالطرق الشرعية وبقدر الحاجة[٦].

لا يجوز الجرح بما فوق الحاجة:

قال السخاوي[٧]:

---

(١) محمد بن مصطفى صاحب التفسير المعروف باسمه، فقيه حنفي (ت ٩٥٢هـ) ينظر: ابن عماد: المصدر السابق ٨/ ٣٩٨، العيدروسي: عبد القادر بن شيخ عبد الله (ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، طبعة بغداد ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م ص ٢٣٩.

(٢) ابن عابدين: المصدر السابق ١/ ٣٦٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٣٥٩، ٣٦٩.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٣٦٩.

(٥) ينظر النووي: رياض الصالحين/ ٥٧٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ص ٤١ - ٤٢، اللكنوي: الرفع والتكميل ص ٤٧.

(٧) الفتح المغيث بشرح ألفية الحديث ص٤٨٢ نقل السخاوي العبارة أعلاه عن: عبد السلام عز الدين (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) قواعد الأحكام في مصالح الآنام: تعليق طه عبد الرؤوف سعد، الطبعة الثانية، دار الجيل ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م ١/ ١١٤.

"لا يجوز للشاهد أن يجرح بذنبين مهما أمكن الاكتفاء بأحدهما، فإن القدح إنما يجوز للضرورة فيقدر بقدرها ووافقه عليه القرافي[١]، وهو ظاهر".

لاشك أن الجرح إنما جوز في الصدر الأول، حيث كان الحديث يؤخذ من صدور الأحبار لا من بطون الأسفار، فاحتيج إليه ضرورة للذب عن الآثار... فإذا احتيج الآن إلى الكلام في ذلك اكتفى بأن يقال: غير مصون أو مستور، وبيان أن في سماعه نوعاً من التهور والزور[٢].

نقل العدل والتجريح كلاهما وعدم الاكتفاء بنقل الجرح فقط:

قال الذهبي في ترجمة (إبان بن يزيد العطار:

وقد أورده العلامة ابن الجوزي في الضعفاء ولم يذكر فيه أقوال من وثقه وهذا من عيوب كتابه، يسرد الجرح ويسكت عن التوثيق[٣].

ونقل ابن كثير عن ابن سيرين:

ظلم لأخيك أن تذكر من أسوأ ما تعلم وتكتم خيره[٤].

لا يجوز جرح من لا يحتاج إلى جرحه:

قال الذهبي[٥]:

"لا أذكر من الأئمة المتبوعين في الفروع أحداً لجلالتهم في الإسلام وعظمتهم في النفوس، مثل أبي حنيفة والشافعي، والبخاري... الخ ".

ثم من المعلوم أنه لابد من صون الراوي وستره، فالحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو

---

(١) هو: أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن فقيه مالكي صاحب المصنفات (ت ٦٨٤هـ) ينظر: ابن فرحون: الديباج المذهب ص ٦٢- ٦٧، سركيس: يوسف اليان (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) معجم المطبوعات العربية والمعربة، طبعة مصر ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨ م ص ١٥٠١.

(٢) ينظر اللكنوي: المصدر السابق/ ٤٩-٥٠.

(٣) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ١٦. وإبان هو: بن يزيد أبو يزيد البصري، أحد الأئمة الحفاظ، ثقة حجة مات بحدود (١٦٠هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٦ (٢٠)، ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق، تحقيق محمد شكور بن محمود المياديني، الطبعة الأولى، مكتبة المنار - الزرقاء ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦ م ص ٣٠.

(٤) ينظر: البداية والنهاية ٩/ ٢٧٤.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ٢.

رأس ثلثمائة، ولو فتح هذا الباب لما سلم إلا القليل[1].

شرط الجارح والمعدل[2]:

اشترط أئمة هذا الفن جملة من الصفات والشروط في الجارح والمعدل ومن لم تتوفر فيه هذه الشروط، لا يقبل منه الجرح ولا التزكية.

العلم: وهو أول شرط يجب أن يتوفر في الجارح والمعدل حيث أن غير العالم بذلك لا يرفع له طرف ولا يسمع منه قول.

سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال[3]: "ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فقال: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ الآية [محمد: ١٩].

فأمر بالعمل بعد العلم وقال: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ الآية [الأنفال: ٤١].

ثم أمر بالعمل بعد".

قال التاج السبكي[4]:

"من لا يكون عالماً بأسبابهما - أي الجرح والتعديل - لا يقبلان منه لا بإطلاق ولا بتقييد".

وقال البدر بن جماعة[5]:

"من لا يكون عالما بالأسباب لا يقبل منه جرح ولا تعديل لا بالإطلاق ولا بالتقييد"[6].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه١/ ٤، ينظر كذلك: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢١٩. ، اللكنوي: الرفع والتكميل ص ٥٠

(٢) وهذه الشروط التي اشترطها علماء الإسلام في الجرح والتعديل من أعظم الشروط التي عرفها البحث العلمي والأمانة العلمية في تدوين الروايات التاريخية وغيرها.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٢٤، وينظر كذلك القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٢٤٢.

(٤) السبكي: تاج الدين: جمع الجوامع، المطبعة الخيرية ١٣٠٨هـ ٢/ ١١٢.

(٥) محمد بن إبراهيم بن سعد الله قاضي القضاة، الفقيه (ت ٧٣٣هـ) ينظر: ابن فهد المكي: تقي الدين محمد بن محمد (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) لحظ الألحاظ، دار إحياء التراث العربي - بيروت (مطبوع مع تذكرة الحفاظ) ص ١٠٧- ١٠٩، ابن حجر: الدرر الكامنة ٣/ ٢٨٠.

(٦) العدوي: علي بن أحمد بن مكرم (ت ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م) لقط الدرر بشرح نخبة الفكر: مطبعة التقدم ١٣٢٣هـ ص ١٣٧. وهو أيضاً قول ابن حجر ينظر: المصدر السابق ص ١٣٧.

التقوى والورع:

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ[١]:

"فحق على المحدث أن يتورع في ما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته ولا سبيل إلى أن يصير العارف - الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم - جهبذاً[٢] إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن وكثرة المذاكرة والسهر والتيقظ والفهم مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان وإلا تفعل. فَدعْ عَنْكَ الكتابةَ لستَ مِنها ولو سودتَ وجهكَ بالمدادِ

الصدق:

الصدق من أهم صفات المسلم، والمرء يطبع على كل شيء إلا الخيانة والكذب.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

عن صفوان بن سليم[٣] قال[٤]:

(قِيلَ لِرَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟

فَقَالَ: نَعَمْ.

فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا ؟

فَقَالَ نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا ؟

فَقَالَ: لَا).

"إنما يضر الإنسان الكذب والإصرار على كثرة الخطأ والتجرؤ على تدليس الباطل، فإنه خيانة وجناية، والمرء المسلم يطبع على كل شيء إلا الخيانة والكذب "[٥].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٤.

(٢) الجهبذ: المختص، الخبير، ينظر: الصحاح في اللغة والعلوم ١/ ٢١٦.

(٣) ابن سليم، من أهل الفتوى، ومن خيار عباد الله، رمي بالقدر ثقة (ت ١٣٢هـ) ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٣٦٨ (١٠٣)، شذرات الذهب ١/ ١٨٩.

(٤) ينظر: الموطأ ٢/ ٩٩٠، جمع الفوائد ٢/ ٢٣٨.

(٥) ميزان الاعتدال ١/ ٣.

يقول الذهبي[(١)]:

"فإن أنست يا هذا من نفسك فهماً وصدقاً وديناً وورعاً وإلا فلا تتعن".

والصدق عمدة الأنبياء وشيمة الأبرار فمن تحلى بغير حلته فلا يخلو من الكذب[(٢)].

أن يكون عدلاً غير متعصب لأحد.

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨ ﴾ [المائدة: ٨].

قال الحازمي[(٣)]:

"أجمع أهل العلم على أنه لا يقبل إلا خبر العدل وكل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله".

"وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب فبالله لا تتعب وإن عرفت أنك مخلط مختبط مهمل لحدود الله فأرحنا منك..."[(٤)].

ولابد للمزكي أن يكون عدلا عارفا بأسباب الجرح والتعديل، وأن يكون منصفا ناصحا، لا أن يكون متعصبا ومعجبا بنفسه، فإنه لا اعتداد بقول المتعصب[(٥)].

"الحاصل أنه إذا علم بالقرائن المقالية أو الحالية أن الجارح طعن على أحد بسبب تعصب منه عليه لا يقبل منه ذلك الجرح وإن علم أنه ذو تعصب على جمع من الأكابر، ارتفع الأمان عن جرحه، وعد من أصحاب القرح "[(٦)].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٤.

(٢) ينظر: الحازمي:شروط الأئمة الخمسة ص ٥٣.

(٣) ينظر: المصدر السابق ص ٥٥، وينظر كذلك الجاحظ: مجموع رسائل الجاحظ ص٢٥، ٢٦، روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ص١٥٨.

(٤) الذهبي: المصدر السابق ١/ ٤

(٥) اللكنوي: عبد العلي بن ملا نظام الدين (ت ١٢٢٥هـ/ ١٨٠٩م) فواتح الرحموت، شرح مسلم الثبوت طبعة بولاق ١٣٢٢هـ ٢/ ١٥٤.

(٦) الرفع والتكميل ص ٦٤.

المبحث الثاني
ألفاظ الجرح والتعديل، مراتبها وما يقبل منها

١ـ الجرح والتعديل مبناهما على الظن(١):

ولكي نقرّب الصورة للأذهان كي لا يتصور أن مبناهما ضعيف نقول:

أ - يجب أن نفرق بين الظن والشك حيث أن الشك: استواء طرفي التجريز، والظن: رجحان أحد طرفي التجويز(٢).

ولعل أحداً يقول لماذا ينهى القرآن عن اجتناب الظن ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الآية [الحجرات: ١٢]

فالظن المنهي عنه في هذه الآية هو الظن المذموم وهو كل ظن لم تعرف له إمارة صحيحة وسبب ظاهر فالمظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وعرف بالأمانة في الظاهر لا يجوز ظن الفساد والخيانة به، وهو محرم، بخلاف من جاهر واشتهر بين الناس بالخبائث والكذب(٣).

ب - ومعناه أن الجارح أو المعدل ليس معصوماً، بل هو بشر يمكن أن يخطئ أو ينسى أو يتوهم... ولذلك وضع أئمة الحديث قواعد صارمة لهذه الحالات وإنما القصد أن درجة التوثيق والتجريح لا تصل إلى الدرجة القطعية كما في نصوص القرآن الكريم والسنة المتواترة(٤).

---

(١) يقول العلامة عبد الرحمن اليماني وهو يعلق على ألفاظ الجرح (ووراء ذلك درجات بحسب احتمال الخلل وعدمه فقوله (فلان قاذف) قد يحتمل الخلل من جهة أن يكون الجارح أخطأ في ظنه أن الواقع قذف، ومن جهة احتمال أن يكون المرمي مستحقاً للقذف ومن جهة احتمال أن لا يكون الجارح قد سمع ذلك من المجروح وإنما بلغه عنه ومن جهة أن يكون إنما سمع رجلاً آخر يقذف فتوهم أنه الذي سماه ومن جهة احتمال أن يكون المجروح، إنما كان بحكي القذف عن غيره، أو بفرض أن قائلاً قاله فلم يسمع الجارح أول الكلام إلى غير ذلك من الاحتمالات... الخ) التنكيل ١/ ٥٩.

(٢) ينظر العسكري: الفروق في اللغة/ ٩١، الأنصاري: الحدود الأنيقة ص ٦٧-٦٨.

(٣) ينظر الزمخشري: الكشاف ٤/ ٣٧١، ٣٧٢، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٦/ ٣٣١ - ٣٣٢.

(٤) ينظر ابن جزي: تقريب الوصول إلى علم الأصول ص ١١٠، ١١٥: الزيدان: الوجيز ص ١٣٠، ١٣٨.

يقول القرطبي[١]:

"ولذا كان أكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس، وخبر الواحد وغير ذلك من قيم المتلفات وأروش الجنايات".

ج - ذهب كبار نقاد القرن[٢] الماضي وهذا القرن من كبار المؤرخين الغربيين إلى ما ذهب إليه نقاد المسلمين من أئمة الجرح والتعديل.

"ونطبق على المؤلفين الإجراءات القضائية التي تقسم الشهود. إلى شهود عدول وشهود زور فإذا ما وافقنا على شاهد، التزمنا بالأخذ بكل أقواله ولا يجرؤ المرء على الشك في شيء من أقواله إلا إذا كانت لديه أسباب خاصة تدعو إلى ذلك "[٣].

وقد تتوفر الحقائق المفردة في ناحية من نواحي الماضي وتعدم في الناحية الأخرى فيجتهد المؤرخ في تلافي ما قد يقع من فراغ[٤].

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة (أحمد بن صالح المصري أبي جعفر بن الطبري[٥] أحد الأئمة الحفاظ المتقنين: وأما النسائي كان سيئ الرأي فيه، ذكره مرة فقال: ليس بثقة ولا مأمون، وذكر عن يحيى بن معين أنه قال عنه: كذاب يتفلسف.

قال ابن حبان:

ما رواه النسائي عن ابن معين في حق أحمد بن صالح فهو وهم[٦].

وذلك أن أحمد بن صالح الذي تكلم فيه ابن معين هو: رجل آخر غير ابن الطبري، وكان يقال له: الأشموني كان مشهورا بوضع الحديث[٧].

---

(١) القرطبي: المصدر السابق ١٦/ ٣٣٢.

(٢) أقصد: قرن ١٩ و٢٠.

(٣) مجموعة من نقاد التاريخ: النقد التاريخي ص ١٣٧ ويشمل هذا الكتاب ١- المدخل إلى الدراسات التاريخية لأنجلوا وسينوبوس. ٢- نقد النص - بول ماس ٣- التاريخ العام - إمانوئيل كيت.

(٤) ينظر أسد رستم: مصطلح التاريخ ص ١١٧.

(٥) أحد الأئمة الثقات (ت ٢٤٨هـ) ينظر: هدي الساري: ٢/ ١١٢، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ١٠٣-١٠٤ (٤٠٦)

(٦) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١١٢، وينظر كذلك: الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٠٣ - ١٠٤.

(٧) وعند الذهبي: الشموني، كاتب الليث كان ضعيفاً، قال ابن حبان: يأتي عن الإثبات بالمعضلات لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٠٣- ١٠٤، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ١٦ (٥٨).

قال السبكي: في من لا يضرهم كلام من تكلم فيهم[١]:

"ومنهم: محمد بن إدريس الشافعي الإمام الذي سارت الركبان بفضائله ومعارفه وثقته وأمانته فهو حافظ ثبت نادر الغلط حتى أن أبا زرعة قال: ما عند الشافعي غلط فيه... وقد روى أن ابن معين قال فيه ليس بثقة... قلت: (أي السبكي) وقد قدمت في ترجمة الأستاذ أبي منصور البغدادي[٢] أن ابن معين لم يعن الشافعي فانطوى هذا البساط ".

٢ـ مشاهير أئمة الجرح والتعديل:

لكل علم من العلوم رجال، يعتمد عليهم في اختصاصهم، ويرجع إليهم في الملمات وحلّ المعضلات.

فمن هم العلماء الذين جمع كلامهم في الرجال، واعتمد عليهم المصنفون في هذا الباب، ولا يرجع إلى غيرهم في هذا الميدان ؟

ذكر ابن أبي حاتم عدداً من العلماء الذين هم مشاهير الجهابذة النقاد الذين جعلهم الله حراساً لأصول الدين، ونقاداً لنقلة الآثار وهم طبقات[٣]:

٣ـ مراتب الجرح والتعديل وألفاظهما:

لأئمة الجرح والتعديل مصطحات خاصة للجرح والتعديل، ومن خلال هذه المصطلحات يمكن لنا أن نحكم على الحديث أو الأثر أو الخبر بالصحة أو الحسن أو الضعف أو الوضع.

فمنهم من جعل مراتب الجرح والتعديل ثمانية، أربع للجرح، وأربع للتعديل[٤].

ومن جعلها عشراً، خمس للجرح، وخمس للتعديل[٥].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٢٠، السبكي: قاعدة في الجرح والتعديل ص ٨ – ٩.

(٢) هو عبد القاهر بن محمد، فقيه شافعي أصولي (ت ٤٢٩هـ) ينظر: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٢٠، تاج الدين السبكي: قاعدة في الجرح والتعديل ص ٨ – ٩.

(٣) ينظر الملحق رقم (٢).

(٤) ينظر ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/ ٣٧، الخطيب: الكفاية ص ٦٠ – ٦١، ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٨ – ٦٠، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٤.

(٥) ينظر الهروي: جواهر الأصول ص ٦٠– ٦١، علي القارئ: شرح نخبة الفكر ص ٢٣٣.

ومن جعل لكل من ألفاظ الجرح والتعديل ست مراتب[١] ونحن نختار هذا التقسيم الأخير لشموله ووضوحه الأكثر لمصطلحات هذا الفن[٢].

أ ـ ألفاظ التعديل:

١ - الوصف بها دل على المبالغة، أو عبر عنه بأفعل، أو فعّال، كأوثق الناس، واضبط الناس، واليه المنتهى في التثبت، ونقاد، ولا أعرف له نظير، وفلان لا يسأل عنه[٣].

٢- ما كرر فيه لفظ التوثيق، كثقة ثقة، وثقة ثبت، وثقة حجة، وثقة حافظ، وثبت حجة، وثبت حافظ، وثقة متقن، ونحوها كفلان لا يسأل عنه[٤] وأيضاً من المرتبة الثانية: هو رضا أو هو عدل رضا[٥].

٣- ما لم يتكرر[٦] فيه ذلك كثقة، أو متقن، أو ثبت، أو حجة، أو عدل، أو ضابط، أو كان مصحفاً، أو إمام، والحجة أقوى من الثقة[٧].

---

(١) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤- ٥ السخاوي: فتح المغيث ص ١٥٦ - ١٦٠.

(٢) مال أيضاً كل من العلامة اللكنوي، وأحمد شاكر إلى هذا التقسيم واستحسناه، ينظر: الرفع والتكميل ص ١٢٠، الباعث الحثيث ص ١٠٠- ١٠١ هامش (١)

(٣) ينظر الهروي: المصدر السابق ص ٦٠، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤، السخاوي: المصدر السابق ص ١٥٦-١٦٠، علي القارئ: المصدر السابق ص ٢٣٣، وجعله الخطيب (ثقة ومتقن) من المرتبة الأولى ينظر: الكفاية ص ٦٠، وينظر: كذلك ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٨، واضاف (ثيت، حجة، حافظ، ضابط) إلى ذلك وهو مذهب الذهبي أيضاً ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤، أما ابن حجر فقد جعل تكرير الصفة لفظاً (ثقة ثقة) أو معنى (ثقة حافظ) من الدرجة الأولى أيضاً ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٤.

(٤) ينظر الهروي: المصدر السابق ص ٦٠، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٤، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤، السخاوي: المصدر السابق ص ١٥٦، وكذلك إفراد الصفة عند الهروي والذهبي مثل (ثقة، ثبت حجة ... الخ) من الثانية ينظر: جواهر الأصول ص ٦٠، ميزان الاعتدال ١/ ٤، وكذلك (لا بأس به) عند ابن الصلاح ينظر: المقدمة ص٥٨.

(٥) وهو باب من النعت بالمصدر ينظر: وكيع أخبار القضاة ٢/ ٢٣٧، الخطيب: الكفاية ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٦) ابن حجر: تقريب التهذيب ١ / ٤، السخاوي: فتح المغيث ص ١٥٦، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٢٤٣.

(٧) استخدم ابن الصلاح في المقدمة (شيخ) من الثالثة ينظر:ص ٥٩، واستخدم الهروي في جواهر الأصول ص ٦٠ فلان صدوق - محله الصدق لا بأس به، خير من الثالثة واستخدم ابن الصلاح هذه المصطلحات في الثانية، ينظر: ص ٥٨، كذلك ابن أبي حاتم ينظر: الجرح والتعديل ص ١٥٧.

٤- صدوق أو محل الصدق[١]، أو لا بأس به، أو متماسك، أو ثقة أن شاء الله، أو مأمون، أو خيار، أو خيار الخلق، ونحوها[٢].

٥- شيخ[٣] إلى الصدق ما هو، جيد الحديث، حسن الحديث، صدوق، سيئ الحفظ، صدوق يهم، صدوق له أوهام، صدوق يخطيء، صدوق تغير بآخره، صدوق رمي بالتشيع، أو بالأرجاء، أو القدر، أو النصب، أو التجهم، مع بيان الداعية من غيره[٤].

٦- صالح الحديث صدوق أن شاء الله، أرجو أنه لا بأس به، ما أعلم به بأساً، صويلح، مقبول، ليس ببعيد من الصواب يروى حديثه، يكتب حديثه، ونحوها. كذلك شيخ، أو يعتبر به، أو مقارب الحديث، وهذه الألفاظ تشعر بالقرب من التجريح وكذلك: من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله[٥].

ب- ألفاظ الجرح.

١- ما يدل على المبالغة كالوصف بأفعل أو فعال، وهي أسوأها مثل: أكذب الناس، إليه المنتهى في الكذب، دجال، وضاع، كذاب، أو هو ركن الكذب، أو منبعه، أو معدنه[٦].

٢- فلان متهم بالكذب، أو الوضع، ساقط، هالك، ذاهب، ذاهب الحديث، متروك

---

(١) ينظر ابن الصلاح المصدر السابق ص ٥٩، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٤، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤.

(٢) وعد ابن أبي حاتم ما انفرد به فيه بصيغة دالة على التوثيق، كثقة أو ثبت حجة.. الخ من الرابعة ينظر: الجرح والتعديل ص ١٥٧. أما ابن الصلاح فقد عد (صالح الحديث) من الرابعة، ينظر: المقدمة ص ٢٩، والهروي: عد فلان شيخ وروى عنه الناس، ومقارب الحديث، خبير.. الخ من الرابعة ينظر:جواهر الأصول ص ٦٠.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٦٠، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤ - ٥.

(٤) يقال: (تغير بآخره) بمد الهمزة وكسر الخاء والراء بعدها: هاء (وتغير بآخرة) بمد الهمزة أيضاً وكسر الخاء وفتح الراء، بعدها تاء مربوطة. وتغير بآخره بفتح الهمزة والخاء والراء، بعدها تاء مربوطة، أي اختل ضبطه وحفظه في آخر عمره وآخر أمره، ينظر: تدريب الراوي ٢/ ٣٧٣ وما بعدها.

(٥) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٥، السخاوي: فتح المغيث ص ١٥٨، اللكنوي: الرفع والتكميل ص ١٢٤.

(٦) ينظر الهروي: جواهر الأصول ص ٦١، الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٤، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٥، السيوطي: المصدر السابق ١/ ٣٤٧.

الحديث، تركوه، فيه نظر، لا يعتبر بحديثه ليس بثقة، ليس بالثقة، غير ثقة ولا مأمون [(١)].

٣- رد حديثه، ردوا حديثه، مردود الحديث، ضعيف جداً، واه بمرة طرحوا حديثه، مطّرح، مطرح الحديث، ارم به، ليس بشيء، لا يساوي شيئاً، لا شيء [(٢)].

٤- ضعيف الحديث، ليس بالقوي، لا يطرح بل يعتبر به أيضاً وضعيف، منكر الحديث، لا يحتج به، مجهول، لم يوثق [(٣)].

٥- ليس بقوي [(٤)]، يكتب حديثه أيضاً للاعتبار [(٥)]، وهو دون لين، وعند ابن حجر أيضاً: من لم يوجد فيه توثيق لمعتبر، ووجد فيه إطلاق الضعف، ولو لم يفسر.

٦- لين الحديث، كتب حديثه، وينظر فيه اعتباراً، لين، فيه لين، فيه مقال، تعرف وتنكر،

---

(١) ينظر: المصادر الثلاثة الأولى نفسها بمجلداتها وصفحاتها.

(٢) ينظر: المصادر الثلاثة الأولى نفسها بمجلداتها وصفحاتها، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٢٥٣، وجعل السخاوي أغلب هذه الألفاظ من الرابعة، وجعل الثانية من الثالثة ينظر: المصدر السابق ص ١٦١.

(٣) ينظر العراقي: شرح ألفية العراقي (المسماة بالتبصرة والتذكرة) طبعة - فاس ١٣٥٤هـ ٢/ ١٠ - ١٢، ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٥، التهانوي: المصدر السابق ص ٢٥١.

(٤) ينظر: تدريب الراوي ص ٢٣٣ - ٢٣٤، التهانوي: المصدر السابق ص ٢٥١.

(٥) الاعتبار والشواهد: هي أمور يتعرف بها حال الحديث من حيث الأصالة وعدمها والاعتبار: تتبع طرق الحديث الذي يظن أنه فرد ليعلم أن له متابعاً اوشاهداً أو لا هذا ولا ذاك، أو بعبارة أخرى هو البحث عما يرويه الراوي، ليتعرفوا ما إذا كان قد انفرد به أو لا فإذا لم يجدوا ثقة غيره رواه كان الحديث فرداً مطلقاً أو غريباً. ينظر: المقدمة ص ٣٨، الهروي: المصدر السابق ص ٣٨، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٥٦ هامش ٣، التهانوي: المصدر السابق ص ٤٦.

والاعتبار ليس نوعاً بعينه، وإنما هو هيئة التوصل للنوعين المتابعات والشواهد وسير طرق الحديث لمعرفتها فقط، والشاهد: أن يروي حديث بمعنى حديث لا بلفظ لاعتبار هو الاجتهاد في حال الحديث ليطلع على المتابعات والشواهد. ينظر شاكر: المصدر السابق ص ٥٧.

وقال التهانوي: المتابعة أن يتابع أي يوافق - راوياً ظن تفرده غيره في لفظ ما رواه بشرط وحدة الصحابي (في متابعة غيره لغيره) ويسمى هذا الغير المتابع والتابع أيضاً وهي: تامة:إن حصلت للراوي (المظنون تفرده) نفسه ومثالها أن يروي حديثاً مثلاً حماد بن سلمة عن أيوب، عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ثم يروي هذا الحديث في أول الإسناد غير المذكور وهو حماد، وقاصرة: إن حصلت لشيخه أو من فوقه مطلقاً ومثالها هو أن يروي الحديث ثاني واحد في الإسناد غير أيوب عن ابن سيرين أو غير ابن سيرين عن أبي هريرة أو غير أبي هريرة عن النبي ﷺ وخص قوم المتابعة بما حصل في اللفظ سواء كان من رواية ذلك الصحابي أم لا. والشاهد بما حصل بالمعنى كذلك، ينظر: قواعد في علوم الحديث ص ٤٦.

ليس بذاك، ليس بالمتين، ليس بحجة، ليس بعمدة، ليس بمرضي، للضعف ما هو، فيه خلف، تكلموا فيه، طعنوا فيه، مطعون فيه، سيئ الحفظ[١].

وعند ابن حجر أيضاً:

من روى عنه أكثر من واحد ولم يوثق، وإليه الإشارة بلفظ مستور، أو مجهول الحال[٢].

٤ـ أعلى مراتب التعديل، وأدنى مراتب الجرح.

فأعلاها الثلاثة الأولى بالاتفاق ويحتج بأحاديثهم ويدخل حديثهم في الصحاح[٣].

ومن قيل فيه[٤] ذلك - يعني الرابعة حتى السادسة - يكتب حديثه وينظر فيه، لأن العبارات لا تشعر بالضبط، فيعتبر حديثه بموافقة الضابطين.

أما أدنى مراتب الجرح فهي: الثلاثة الأولى، فلا يكتب حديثهم ولا يعتبر به أما الثلاثة الأخيرة تكتب للاعتبار[٥].

وتحرير هذه المسألة كما بينها العلامة أحمد محمد شاكر هو كالآتي: الدرجات من بعد الصحابة ﷺ: فما كان من الثانية[٦] والثالثة فحديثه صحيح من الدرجة الأولى، وغالبه في الصحيحين.

---

(١) ينظر: لسان الميزان ١/ ٨، السخاوي: فتح المغيث ص ١٢٩، الصنعاني: توضيح الأفكار ٢/ ٢٧١، اللكنوي: الرفع والتكميل ص ١١٣.

(٢) ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٥.

(٣) السيوطي: تدريب الراوي: ١/ ٣٤٢، القارئ: شرح نخبة الفكر ص ٢٣٥، التهانوي: المصدر السابق ص ٢٤٣.

(٤) ينظر السيوطي: المصدر السابق ١/ ٣٤٦ - ٣٤٧: يقول الشيخ أبو غدة: ينبغي أن يفهم من هذا أن من كان من المرتبة الرابعة فما بعدها يكون حديثه ضعيفاً بإطلاق فإن هناك مرتبة ثالثة وسط بين الصحيح والضعيف هي مرتبة(الحسن) كما هو معلوم وهو على مرتبتين أيضاً حسن لذاته وحسن لغيره كما أن الضعيف على مراتب ينظر: التهانوي: المصدر السابق٢٤٤.

(٥) ينظر الهروي: جوهر الأصول ص ٦١، العراقي: شرح الألفية ٢/ ١٠ - ١٢، التهانوي: المصدر السابق ص٢٥١ - ٢٥٢.

(٦) أي الأولى حسب تصنيفنا، والثالثة يعني الثانية عندنا.

وما كان من الدرجة الرابعة[١] فحديثه صحيح من الدرجة الثانية وهو الذي يحسنه الترمذي، ويسكت عليه أبو داود، وما بعدها فمن المردود، إلا إذا تعددت طرقه مما كان من الدرجة الخامسة[٢] والسادسة فيتقوى بذلك ويصير حسناً لغيره.

وما كان من السابعة[٣] إلى آخرها فضعيف على اختلاف درجات الضعف، من المنكر إلى الموضوع[٤].

٥ـ ما هو العدد المطلوب للمعدل والمجرح في العدل والتجريح ؟:

اختلف أهل العلم في ذلك على ثلاثة أقوال:

أ - لا يجوز أن يقبل في التزكية إلا قول رجلين في الشهادة والرواية كليهما، مثل حقوق الآدميين في الشهادة[٥].

ب - ذهب بعض أهل العلم: الاكتفاء بواحد في الشهادة والرواية معا[٦].

ج - الاكتفاء في تعديل المحدث المزكي الواحد، ولا يكفي في تعديل الشاهد على الحقوق إلا اثنان، وهو مذهب كثير من أهل العلم ومنهم الخطيب[٧].

٦ ـ هل تقبل تزكية أو تجريح المرأة أو العبد أو الصبي ؟.

تقبل تزكية كل عدل وجرحه حراً كان أو عبداً، ذكراً كان أو أنثى[٨].

---

(١) أي الثالثة عندنا.

(٢) أي الرابعة والخامسة عندنا.

(٣) السادسة عندنا.

(٤) ينظر: الباعث الحثيث ص ١٠٠ - ١٠١.

(٥) ينظر: الكفاية ص ١٦٠، العراقي: شرح الألفية ١/ ٢٩٥، اللكنوي: الرفع والتكميل ص ٩٠.

(٦) يدل على ذلك أن عمر قبل في تزكية سنين أبي جميلة قول عريفه وهو الذي استحبه الخطيب ينظر التفصيل الخطيب: المصدر السابق ص ١٦١، وهو اختيار القاضي أبي بكر ينظر العراقي: المصدر السابق ١/ ٢٩٥، اللكنوي: المصدر السابق ص ٩٠.

(٧) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ١٦٠، ورجح ذلك الأمام فخر الدين الرازي، وسيف الدين الآمدي، ونقله عن الأكثرين ينظر الآمدي: الأحكام في أصول الأحكام ٢/ ٧٧، ابن الصلاح: المقدمة ص ٥٢، الهروي: جواهر الأصول ص ٥٦.

(٨) والأصل فيها حديث بريرة، قال الزهري حدثني أربعة، عروة بن الزبير ...عن حديث عائشة وساق قصة

والذي يدل على ما قلناه أن أقصى حالات العدل وتعديله أن يكون بمثابة المخبر والخبر والشاهد والشهادة، فإذا ثبت أن خبر المرأة العدل مقبول، وإنه إجماع السلف وجب أيضاً قبول تعديلها للرجال حتى يكون تعديلهن الذي هو إخبار عن حال المخبر والشاهد بمثابة خبرهم في وجوب العمل به.

ويجب قبول تزكية العبد للمخبر دون الشاهد لأن الخبر العدل مقبول، وشهادته مردودة[(١)].

٧ـ التعارض والترجيح في راو واحد[(٢)]:

إذا تعارض الجرح والتعديل في راو واحد، فجرحه جماعة وعدله آخرون فللعلماء فيه ثلاثة أقوال[(٣)]:

أ - أن الجرح مقدم مطلقاً، ولو كان المعدلون أكثر.

لأن الجرح زيادة علم، كما أنه عن أمر باطن خفي عن المعدل، وهو مذهب الجمهور.

ذكره الخطيب وابن الصلاح وصححاه، كما صححه فخر الرازي والآمدي وابن الحاجب[(٤)].

ب - أن كان المعدلون أكثر، قدم التعديل.

الأفك بطولها، و قال فيها: ودعا رسول الله بريرة فقال: هل علمت على عائشة شيئاً يريبك أو رأيت شيئاً تكرهينه ؟ قالت: أحمي سمعي وبصري، عائشة أطيب من طيب الذهب، ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٢٦٢ - ٢٦٣، ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٤٣٣، النووي:شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٠٩، وسمياها بريرة، خلافاً لما ادعى به الصنعاني، ينظر: توضيح الأفكار ٢/ ١٢٢.

(١) ينظر: الكفاية ص ١٦٣، العراقي: المصدر السابق ١/ ٢٩٥.

(٢) قال ابن حجر: وفائدة ايراد كل ما قيل في الرجل من جرح وتوثيق يظهر عند المعارضة، ينظر: تهذيب التهذيب ١/ ٥.

(٣) إذا جاء الجرح والتعديل من عالم واحد كقول الذهبي في هدبة بن خالد القيسي: أما النسائي فقال: ضعيف وقواه مرة أخرى، ينظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٢٩٤، وقال التهانوي: وإذا اختلف قول الناقد في رجل فضعفه مرة، وقواه أخرى فالذي يدل عليه صنيع الحافظ أن الترجيح للتعديل، ويحمل الجرح على شيء بعينه ! ينظر: قواعد في علوم الحديث ص ٤٣٠.

(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص١٧٧، المقدمة ص ٥٢، الأحكام في أصول الأحكام ٢/ ٧٩، ابن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي (ت ٦٤٦هـ١٢٤٩م) مختصر الأصول (المشهور بمختصر المنتهى)، طبعة بولاق، ١٣١٦هـ ٢/ ٦٤.

فإن كثرة المعدلين تقوي حالهم وقلة الجارحين تضعف خبرهم قال الخطيب وهذا خطأ ممن توهمه لأن المعدلين وإن كثروا ليسوا يخبرون عن عدم ما أخبر به الجارحون ولو أخبروا بذلك لكانت شهادة باطلة على نفي[(١)].

ج - إذا تعارض الجرح والتعديل، فلا يترجح أحدهما إلا بمرجح ذكر ذلك ابن الحاجب، والعراقي، والسيوطي[(٢)].

يقول اللكنوي[(٣)]:

"قد زل قدم كثير من علماء عصرنا بما تحقق عند المحققين أن الجرح مقدم على التعديل... وليس الأمر كما ظنوا بل المسألة - أي تقديم الجرح على التعديل - مقيدة بأن يكون الجرح مفسراً".

د - الراجح من الأقوال هو أن الجرح لا يقدم إلا إذا كان مفسراً لما بينه محققو هذا الشأن.

إذا وجد في شأن راو تعديل وجرح مبهمان:

قدم التعديل وكذا إن وجد الجرح فيهما والتعديل مفسراً، قدم التعديل[(٤)] وتقديم الجرح إنما هو إذا كان مفسراً[(٥)]، سواء كان التعديل مبهماً أو مفسراً.

٨ـ فيما يقبل من الجرح والتعديل وما لا يقبل منهما:

ذكرنا في الفقرات السابقة أن الجرح والتعديل المفسرين متفق عليه بين أئمة الجرح والتعديل.

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ١٧٧، المقدمة ص ٥٢.

(٢) ينظر ابن الحاجب: المصدر السابق ٢/ ٦٥، العراقي: شرح الألفية ١/ ٣١٣، السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٣١٠.

(٣) الرفع والتكميل ص ٩٦، ويشهد بذلك قول كثير من أئمة هذا الشأن، يقول النووي: ولا يقال الجرح مقدم على التعديل لأن ذلك فيما إذا كان الجرح ثابت مفسر السبب، وإلا فلا يقبل الجرح إذا لم يكن كذلك، ينظر: شرح صحيح مسلم ١/ ٢٤، وينظر كذلك ابن حجر: لسان الميزان ١/ ١٥، السيوطي: المصدر السابق ١/ ٣١٠.

(٤) ينظر اللكنوي: المصدر السابق ص ٩٩، وقد أيد ذلك أحمد شاكر ينظر: الباعث الحثيث ص ٩٧ - ٩٨.

(٥) قال ابن حجر: لأن أسباب الجرح مختلفة ومدارها على خمسة أشياء: البدعة، أو المخالفة، أو الغلط، أو جهالة الحال، أو دعوى الانقطاع في السند بأن يدعي في الراوي أنه كان يدلس، أو يرسل، ينظر: هدي الساري ص ٤١٤ (ط السلفية، بإشراف قصي محب الدين الخطيب).

لكنهم اختلفوا إذا كانا مبهمين على أقوال.

أ- التعديل مقبول، ذكر السبب أم لم يذكر، لأن تعداده يطول فقبل أطلاقه بخلاف الجرح، فإنه لا يقبل إلا مفسراً، ولأن الجرح يحصل بأمر واحد فلا يشق ذكره كما أن الناس مختلفون في الأسباب المفسقة، فيطلق أحدهم الجرح بناءاً على ما اعتقده جرحاً، وليس بجرح في نفس الأمر، فلا بد من بيان سببه ليظهر أهو قادح أم لا [(١)].

ب - يجب بيان سبب العدالة، دون أسباب الجرح لأن أسباب العدالة يكثر التصنع فيها، فيجب بيانها، بخلاف أسباب الجرح [(٢)].

ج - يجب ذكر سبب الجرح والعدالة كليهما [(٣)].

د- لا يقتضي بيان سبب كل منهما، إذا كان الجارح والمعدل عارفاً بصيراً بأسبابهما [(٤)].

---

(١) ينظر أحمد شاكر: المصدر السابق ص٨٩، التهانوي:قواعد في علوم الحديث ص١٦٧، اللكنوي: المصدر السابق ٦٥-٦٦.

ومن هذه الأسود أن الشافعي بلغه أن إنساناً جرح فسأل عما جرح به فقال: رأيته يبول قائماً، فقيل له وما في ذلك ما يوجب جرحاً ؟ فقال: لأنه يقع الرشش عليه وعلى ثوبه ثم يصلي، فقيل له: رأيته يصلي كذلك ؟ فقال: لا فهذا ونحوه جرح بالتأويل والعالم لا يجرح أحداً بهذا ولا أمثاله ينظر الخطيب: الكفاية ص ١٧٨، السبكي: قاعدة في الجرح والتعديل ص ٢٤. ومنها: أن أبا عبيدة الحداد قال: حدثنا شعبة يوماً عن رجل بنحو من عشرين حديثاً ثم قال: امحها قلنا له: لم ؟قال: ذكرت شيئاً رأيته منه فقلنا: أخبرنا به أي شيء، هو ؟ قال رأيته على فرس يجري ملء فروجه، وفي رواية يركض على برذون. ينظر، الخطيب: المصدر السابق ص ١٨٢، ابن الصلاح المقدمة ص٥١ ومنها: أنه سئل يحيى ابن معين عن حجاج بن الشاعر، فبزق لما سئل عنه، ومنها سئل شعبة، ما تقول في أبي بكر الهذلي ؟ قال: دعني لا أقيْ. قال الخطيب: هذه المسائل لا توجب رد أخبارهم ينظر: المصدر السابق ١٨٥-١٨٦.

(٢) ينظر: المقدمة ص ٥٢، اللكنوي: الرفع والتكميل ص ٧١-٧٢، و من حجة هذا المذهب: ما رواه الخطيب بسنده عن يعقوب الفسوي أنه قال سمعت إنساناً يقول لأحمد بن يونس: عبد الله العمري ضعيف؟ قال إنما يضعفه رافضي مبغض لآبائه، ولو رأيت لحيته وخضابه وهيئته لعرفت أنه ثقة، قال الخطيب معقباً على هذه التزكية: فاحتج أحمد بن يونس على أن عبد الله العمري ثقة بما ليس بحجة، لأن حسن الهيئة مما يشترك فيه العدل والمجروح، ينظر: الكفاية ص ١٦٥.

(٣) ينظر اللكنوي: المصدر السابق ص ٧٢.

(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ١٧٨.

المبحث الثالث
معرفة المتشددين والمتساهلين

١- أمة الوسط:

جعل الله أمة الإسلام، أمة وسطاً عدلاً، وجعلهم شهداء على الناس، فلم تتشدد تشدد اليهود، ولم تتساهل تساهل النصارى، لا في عقيدتها ولا في شريعتها[١].

والوسطية هي: دون الأنبياء، وفوق الأمم، يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ الآية [البقرة: ١٤٣].

قال المفسرون:

كما أن الكعبة وسط الأرض كذلك، جعلناكم أمة وسطاً، وأصل هذه أن أحمد الأشياء أوسطها، ولأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعوار، والأوساط محمية محوطة كما أن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض[٢].

يقول أبو تمام الطائي[٣]:

كَانَتْ هِيَ الوَسَطَ المَحْمِيَّ فَاكْتَنَفَتْ بِهَا الحَوَادِيُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طرفاً

وقال زهير[٤]:

هُمُ وَسَطٌ تَرْضَى الأنامُ بِحُكْمِهِمْ إذا نزلَتْ إحْدَى الليَالِي بِمُعْظَمِ

---

(١) يقول ابن تيمية وهو يتحدث عن - باب الطهارة - " كان على اليهود فيه أغلال عظيمة، فابتدع النصارى ترك ذلك كله بلا شرع من الله، حتى أنهم لا ينجسون شيئاً فهدى الأمة الوسط بما شرعه الله لها إلى الوسط من ذلك".

اقتضاء الصراط المستقيم ص ٦٢.

(٢) ينظر الزمخشري: الكشاف ١/ ١٩٨ -١٩٩، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٥٣ - ١٥٤.

(٣) الصولي: شرح ديوان أبي تمام، تحقيق خلف رشيد نعمان، وزارة الثقافة والإعلام - بغداد ١٩٧٨ م ٢/ ٦٧ ونصه في الديوان:

كانت هي الوسط الممنوع فاستكبت مما حولها الخيل حتى أصبحت طرفاً

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى شرح وتحقيق، حجر عاصي، دار الفكر العربي - بيروت ص١١١، والبيت في ديوانه روى هكذا:

لِحَيٍّ حِلاَلٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم

من أجل ذلك شدد الإسلام في سماع الأخبار والحكم على الأشخاص تشديداً كبيراً، حيث يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الآية [الإسراء: ٣٦].

قال قتادة:

لا تقل رأيت وأنت لم تر، وسمعت وأنت لم تسمع وعلمت وأنت لم تعلم، وقال مجاهد: لا تذم أحداً بما ليس لك به علم[١].

قال القرطبي [٢]:

"فهذه الآية تنهى عن قول الزور والقذف وما أشبه ذلك من الأقوال الكاذبة والرديئة".

ويقول تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨].

أي: إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة[٣].

ويقول النبي ﷺ[٤]: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

كما حذر النبي ﷺ: عن التنطع في الدين والتزمت حيث يقول[٥]: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ». قالها ثلاثاً..

قال النووي:

المتعمقون والمشددون في غير موضع التشدد[٦].

وبما أن الإنسان ضعيف قد يتعرض لدوافع شخصية، من مصلحة أو منفعة، أو عصبية لقوم، أو جماعة، أو مذهب أو غيرها.

جعل أئمة الحديث قواعد دقيقة لمعرفة هؤلاء، ومعرفة العدل من أقوالهم، سواء كانوا متساهلين أو متشددين، حتى لا يقع المسلمون في خطأ في دينهم وتاريخهم، حيث أن تاريخ هذه الأمة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعقيدتها وشريعتها.

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٥٧.

(٢) المصدر نفسه ١٠/ ٢٥٨

(٣) ينظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٢٤.

(٤) صحيح مسلم ١/ ١٠ (٥)، شرح صحيح مسلم ١/ ٧٣، رياض الصالحين ص٥٨٧ (١٥٤٧).

(٥) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٥ (٢٦٧٠)، شرح صحيح مسلم ١٦/ ٢٢٠.

(٦) ينظر النووي: المصدر السابق ص١٠٥، ابن كثير النهاية في غريب الحديث ٥/ ٧٤.

٢ـ معنى التشدد والتساهل:

أ- **معنى التشدد لغة**: من شدد: الشدة، الصلابة، وهي نقيض اللين تكون في الجواهر والأعراض، والجمع شدد، والتشديد: خلاف التخفيف[١].

ب- **معنى التساهل لغة**: من سهل: السهل: نقيض الحزن، والتساهل: التسامح[٢].

وحكم التشدد والتساهل هو: عدم اعتبار قول المتشدد والمتساهل في بناء الحكم الشرعي على فردٍ، أو فئة، أو أصحاب عقيدة أو مذهب.

٣ـ التثبت من قول المعدل أو الجارح ولو كان من الأئمة:

إن الحكم على العلماء والرواة أمر يحتاج إلى تثبت وتأكد شديدين لما يكون لهذا الحكم من نتائج وخيمة على أحاديث رسول الله ﷺ والأخبار بشكل عام، فكم من حديث أو خبر يرد لتشدد متشدد، وكم من حديث وخبر يقبل لتساهل متساهل، وكل ذلك يؤدي إلى افتتان المسلمين في دينهم وعقيدتهم، وكذلك في تاريخهم وحضارتهم. والبشر يحب فيمدح، ويغضب فيقدح، وكما يقول الشافعي[٣]:

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ... وَلَكِنَّ عَينَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيَا

عن أنس بن مالك قال[٤]:

(يَا أُمَّ سُلَيْم[٥] أَمَا تَعْلَمِينَ شَرْطِي عَلَى رَبِّي ؟ إِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: إنما أَنَا بَشَرٌ أَرْضَى كَمَا يَرْضَى الْبَشَرُ، وَأَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا أحد دَعَوْتُ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِي بِدَعْوَةٍ لَيْسَ لَهَا أهل أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ طَهُورًا وَزَكَاةً وَقُرْبَةً يُقَرِّبُهُ بِهَا مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَانَ ﷺ رَحِيمًا.

---

(١) ينظر ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٢٨٢ (شدد).

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٢٢٩ (سهل).

(٣) ديوان الشافعي ص ٩١.

(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١٤/ ٤٤٥ (٦٥١٤)، شرح صحيح مسلم ١٦/ ١٥٥.

(٥) هي أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد، اختلف في اسمها على أقوال، وهي أيضاً أم أنس بن مالك، أسلمت قديماً لم أقف على تاريخ وفاتها: ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٤٥٥ - ٤٥٦، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٤٦١ - ٤٦٢ (١٣٢١).

ومن أجل ذلك لا يحل الأخذ بقول كل معدل أو جارح ولو كان ذلك المعدل أو الجارح من مشاهير أو كبار العلماء لأمور معينة:

أ- قد يكون الجارح نفسه مجروحاً، فحينئذ، لا يبادر إلى قبول جرحه، كذا تعديله ما لم يوافقه غيره، كأبي فتح الأزدي، قال الذهبي عنه في ترجمة (إبان بن إسحاق المدني) بعد أن جرحه الأزدي وقال عنه متروك. قلت[1]:

" لا يترك فقد وثقه أحمد والعجلي وأبو الفتح يسرف في الجرح، وله مصنف كبير إلى الغاية في المجروحين جرح خلقاً بنفسه لم يسبقه أحد إلى التكلم فيهم، وهو المتكلم فيه".

وكعصبة الخطيب البغدادي على إمام الأئمة أبي حنيفة وأحمد [2].

وقال اللكنوي[3]:

"الحق أن الأقوال التي صدرت عنهم في حق هذا الإمام الهمام، كلها صدرت من التعصب، لا يستحق أن يلتفت إليها".

ومن ذلك التعصب غير البريء - ترك حديث الإمام البخاري - المجمع على إمامته - من قبل أبي حاتم - وأبي زرعة - الرازيين حيث طعنا في هذا الإمام الجليل حينما قدم الري سنة (٢٥٠هـ) حيث كتب اليهما محمد بن يحيى النيسابوري[4]: أنه أظهر عندهم أن لفظه بالقرآن مخلوق[5].

فهل نترك حديثه لتركهما إياه!!؟.

وهذا الإمام الشافعي يتساهل في تقييمه لـ (إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى)[6] حيث يوثقه كما يقول النووي: لم يوثقه غيره، وهو ضعيف باتفاق المحدثين[7].

---

(١) ميزان الاعتدال ١/ ٥.

(٢) ينظر التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ١٩٤.

(٣) ينظر: الرفع والتكميل/ ٦٢.

(٤) ينظر ترجمته ص ٤١٩.

(٥) ينظر التهانوي: المصدر السابق ص ١٧٧

(٦) الأسلمي المدني: أحد العلماء الضعفاء، ترك حديثه (ت ١٨٤هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٥٧ - ٦١ (١٨٩)، الخزرجي: خلاصة التهذيب ص ٢١.

(٧) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٥٨، فتح المغيث/ ٤٨٣.

ب- كون الجارح من المتعنتين المشددين في الجرح.

أن هناك جمعاً من أئمة الجرح والتعديل لهم تشدد في هذا الباب، فيجرحون الراوي بأدنى جرح، ويطلقون عليه ما لا ينبغي إطلاقه، فمثل هذا توثيقه معتبر، وجرحه لا يعتبر، ما لم يوافقه غيره ممن ينصف ويعتبر[(١)].

قال الذهبي: في ترجمة (سفيان بن عيينة):

ويحيى بن سعيد القطان متعنت جداً في الرجال[(٢)].

وقال في تذكرة الحفاظ: في ترجمة (أبي الحسن بن القطان) بعد أن مدحه[(٣)]:

"ولكنه تعنت في أحوال الرجال فما أنصف".

وقال ابن حجر في ابن حبان[(٤)]:

"ابن حبان ربما جرح الثقة حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه".

٤- ما يترتب من الآثار من جراء التعنت والتسامح.

يترتب على ذلك توقف العلماء في بعض الأشخاص والحكم الصحيح عليهم.

يقول السخاوي[(٥)]:

"ولوجود التشدد ومقابله التسامح - نشأ التوقف. في أشياء من الطرفين، بل ربما رد كلام كل من المعدل والجارح مع جلالته وإمامته ونقده وديانته".

لكن أئمة الحديث الجهابذة النقاد لم يلتفتوا إلى ذلك بشكل عام حيث غربلوا وفحصوا هذه الأقوال بميزان دقيق، إلى أن وصلوا إلى القناعة العلمية التامة ومحصلة تلك الأقوال، وإلا لكان أمر مثل هذا يتطلب منهم ترك أكثر محدثي الأمصار.

---

(١) ينظر التهانوي: المصدر السابق/ ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ١٧١.

(٣) ينظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٧ وأبي الحسن بن القطان، هو علي بن محمد بن عبد الملك الحافظ العلامة، من أبصر الناس بضاعة الحديث (ت ٦٢٨هـ) ينظر: الذهبي: المصدر نفسه ٤/ ١٤٠٧ (١١٣٠) ابن عماد: شذرات الذهب ٥/ ١٢٨.

(٤) ينظر ابن حجر: القول المسدد في الذب عن مسند أحمد، حيدر أباد - الدكن ١٣١٩هـ ص ٣٣، وينظر كذلك: الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٢٧٤ (١٠٢٣).

(٥) فتح المغيث ص ٤٨٣.

"لو كان كل من ادعي عليه مذهب من المذاهب الرديئة، ثبت عليه ما ادعي به، وسقطت عدالته وبطلت شهادته بذلك، للزم ترك أكثر محدثي الأمصار لأنه ما منهم. إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغب به عنه"[١].

٥ـ الذين تكلموا في الرجال ثلاثة أقسام[٢]:

أ- قسم تكلموا في سائر الرواة؛ كابن معين، وأبي حاتم.

ب- قسم تكلموا في كثير من الرواة؛ كمالك، وشعبة.

ج- قسم تكلموا في الرجل بعد الرجل؛ كابن عيينة، والشافعي.

وهؤلاء يقسمون إلى أقسام ثلاثة أخرى من حيث التعنت والتسامح[٣].

أ- قسم منهم متعنت في التجريح. متثبت في التعديل، يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث، فهذا إذا وثق شخصاً فعض على قوله بالنواجذ وتمسك بتوثيقه.

وإذا ضعف رجلاً فانظر هل وافقه غيره على تضعيفه؟فإن وافقه ولم يوثق ذلك الرجل أحد من الحذاق فهو ضعيف وإن وثقه أحد فهذا هو الذي قالوا فيه: لا يقبل فيه الجرح إلا مفسراً يعني لا يكفي فيه قول ابن معين مثلاً: ضعيف ولم يبين سبب ضعفه، ثم يجيء البخاري وغيره يوثقه.

ب- وقسم منهم متسمح؛ كالترمذي، والحاكم[٤].

ج- وقسم معتدل؛ كأحمد، والدار قطني[٥].

أن كل طبقة من نقاد الرجال لا تخلو من متشدد ومتوسط.

---

(١) هدي الساري ٢/ ١٥٢.

(٢) ينظر: السخاوي: المصدر السابق ص ٤٨٢، الإعلان بالتوبيخ ص ١٦٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق ص ٤٨٢، الإعلان بالتوبيخ ص ١٦٧.

(٤) قال الشيخ أبو غدة: التسامح والتساهل الذي وقع من الترمذي والحاكم هو من تدوينهما حديث بعض الضعفاء، وخاصة الحاكم فإنه يورد بعض أحاديث الضعفاء أو الوضاعين ويجعلها مما يستدرك بها على الصحيحين. ومن رأيه: أن نضيف ابن حزم في قسم المتعنتين لا المتساهلين، ينظر اللكنوي: الرفع والتكميل ص ١٨٣ الهامش (١).

(٥) وعد كل من اللكنوي والتهانوي: ابن عدي منهم لكن اعترض عليهم الشيخ أبو غدة على أنه من المتعنتين ينظر: المصدر نفسه ص ١٨٦، ٢٠٨ - ٢١٦، قواعد علوم الحديث ص ١٨٩.

فمن الأولى: شعبة، وسفيان الثوري، وشعبة أشد منه.

ومن الثانية: يحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى اشد منه.

ومن الثالثة: يحيى بن معين، واحمد بن حنبل، ويحيى اشد من أحمد.

ومن الرابعة: أبو حاتم، والبخاري، وأبو حاتم اشد من البخاري[١].

أما من المتأخرين من المتشددين:

١- ابن الجوزي صاحب كتاب (الموضوعات) و(العلل المتناهية) فكم من حديث صحيح أو حسن مخرج في الصحاح حكم بوضعه أو ضعفه؟![٢].

وكم من ثقة مقبول عند النقاد ضعفه وقدحه؟![٣].

وبالجملة: فهو ضرب المثل في باب الإفراط: قل من جاء بعده إلا تعقبه وخطأه ولم يقتد به في صنعه إلا من اختار التشدد والتساهل وسلك مسلكه[٤].

٢- عمر بن بدر الموصلي الكردي[٥]، ألف: (رسالة في الموضوعات).

قال ابن حجر[٦]:

"ولا اعتداد بذلك، فإنه لم يكن من النقاد! وإنما اخذ كتاب ابن الجوزي فلخصه ولم يزد من قبله شيئاً".

---

(١) ينظر المصدران نفسيهما: ص ١٨٧ - ١٨٩، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٢) قال السيوطي: الأحاديث المتعقبة على ابن الجوزي، التي لا سبيل إلى أدراجها في سلك الموضوعات، عدتها نحو (٣٠٠) حديث منها في صحيح مسلم حديث وفي صحيح البخاري حديث وفي مسند أحمد (٣٨) حديث، وفي سنن أبي داود (٩) أحاديث ... الخ ينظر: تعقيبات السيوطي على موضوعات ابن الجوزي، مطبعة المحمدي - لاهور ١٣٠٥هـ ص ٧٤.

(٣) ينظر: فتح المغيث ص ١٠٧.

(٤) ينظر اللكنوي: الأجوبة الفاضلة ص ١٧١

(٥) هو ضياء الدين أبو حفص عمر بن بدر بن سعيد الوراني الكردي الموصلي الحنفي، المحدث الفقيه توفي بدمشق سنة (٦٢٢هـ) ينظر ابن عماد: المصدر السابق ٥/ ١٠١، الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ١١٤، وكتابه المذكور طبع في مصر سنة ١٣٤٢هـ بتحقيق الشيخ محمد الخضر باسم: المغني عن الحفظ والكتاب فيما لم يصح شيء في هذا الباب، والصواب (المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم، لم يصح شيء في هذا الباب) ينظر، اللكنوي: الرفع والتكميل ص ١٩٥ -١٩٦ (تحقيق: أبو غدة).

(٦) القول المسدد ص ٢١.

٣- الرضي الصغاني اللغوي[١] له رسالتان في الموضوعات[٢] وفيها الكثير أيضاً من الصحيح والحسن والضعيف بما هو ضعف يسير[٣].

٤- ابن تيمية[٤] فإنه جعل بعض الأحاديث الحسنة مكذوبة وكثيراً من الأخبار الضعيفة موضوعة تبعاً لابن الجوزي وغيره[٥].

قال ابن حجر[٦]:

"طالعت الرد المذكور أي (منهاج السنة) فوجدته كما قال السبكي في الاستيفاء، لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث التي يوردها ابن المطهر الحلي، وإن كان معظم ذلك من الموضوعات الواهيات، ولكنه رد في رده كثيراً من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة تصنيفه مظانها، وكان لاتساعه في الحفظ يتكل على ما في صدره، والإنسان عائد للنسيان".

---

(١) هو رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد بن حيدر اللاهوري، الإمام، اللغوي، الفقيه، المحدث (ت ٦٥٠هـ) ببغداد، ينظر: الذهبي: العبر ٣/ ٢٦٥، ابن عماد: المصدر السابق ٥/ ٢٥٠.

(٢) طبعت رسالة في الموضوعات للصغاني في مصر سنة ١٣٠٦هـ بالمطبعة الإعلامية. ينظر اللكنوي: الأجوبة الفاضلة ص ١٧٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٧٣.

(٤) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، تقي الدين، له باع طويل في معرفة أقوال السلف، وقل أن يذكر مسالة إلا ويذكر فيها مذاهب الأئمة الأربعة، وبه نصر الله الإسلام في عهد التتار، وكان عالما عابدا مجاهدا، و يرجح الشيخ محمد أبو زهرة - بعد أن يستبعد عربيته من جهة أبيه وأمه - فيقول: ولعله كان كرديا، وهم قوم ذو همة ونجدة وبأس شديد، وفي أخلاقهم قوة وحدة، وان تلك الصفات كانت واضحة جلية فيه مع أنه نشأ في دعة العلماء واطمئنان المفكرين وهدوء المحققين ...الخ (ت ٧٢٨هـ) ينظر ابن حجر: الدرر الكامنة ١/ ٥٦ - ٦٠، أبو زهرة: محمد: ابن تيمية، الطبعة الثانية، مطبعة أحمد مخيمر، ١٩٥٨ م ص ١٨ - ١٩.

(٥) اللكنوي: المصدر السابق ص ١٧٤.

(٦) لسان الميزان ٦/ ٣١٩ (ترجمة يوسف بن الحسن بن المطهر)، والصحيح أن اسمه الحسين اوالحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٣١٧، الدرر الكامنة ٢/ ٧١.

الجوزقاني[١] مؤلف كتاب (الأباطيل).

قال السخاوي[٢]:

"وللجوزقاني كتاب الأباطيل، أكثر فيه من الحكم بالوضع لمجرد مخالفة السنة. قال شيخنا[٣]: وهو خطأ إلا أن تعذر الجمع".

الفيروز ابادي صاحب (سفر السعادة)[٤].

قال اللكنوي[٥]:

"إن الشيخ المصنف قد توغل وبالغ وقلد بعض المتوغلين في هذا الباب، وحكم على بعض الأحاديث بعدم الصحة وعلى بعضها بعدم الثبوت، وعلى بعضها بالوضع والافتراء، مع أن فيها أحاديث موجودة في الكتب المعتبرة: مقبولة عند كبراء العلماء من الفقهاء والمحدثين".

أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي.

قال عنه الذهبي[٦]:

"وأبو الفتح يسرف في الجرح، وله مصنف كبير إلى الغاية في المجروحين ... الخ".

---

(١) هو إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزقاني (ت ٢٩٥هـ) وهو كردي الأصل. ينظر: معجم البلدان ٢/ ١٨٤ (جوزقان) قال الخلال: إبراهيم جليل جداً كان أحمد بن حنبل يكاتبه فيتقوى بكتابته ويقرئه على المنبر ويكرمه أكراما شديداً وقال النسائي: ثقة وقال الدار قطني كان من الحفاظ المنصفين والمخرجين الثقات ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ١٨١-١٨٢. وللشيخ المعلمي اليماني تعليق مفيد حول نصب الجوزقاني ملخصه أنه لم يكن كذلك وإنما كان يحط على أهل الكوفة ممن يبغض الصحابة، كما أنه في تقييمه لا يجاوز الحد ولا يعتمد الباطل، وحكاية (إن جارية أخرجت فروجة لتذبحها فلم تجد من يذبحها فقال سبحان الله فروجة لا يوجد من يذبحها وعلي يذبح في ضحوة نيفا وعشرين ألف مسلم، من رواية محمد بن الحسين السلمي النيسابوري) وقد تكلم فيه حتى ومي بوضع الحديث ينظر: لسان الميزان ٥/ ١٤٠، التنكيل ١/ ٩٩ - ١٠٠.

(٢) فتح المغيث ص ١٠٧ وينظر كذلك: اللكنوي: المصدر السابق ص ١٧٧.

(٣) أي ابن حجر: ينظر اللكنوي: الأجوبة الفاضلة ص ١٧٧.

(٤) طبع بمطبعة المنيرية ١٣٤٦هـ.

(٥) المصدر السابق ص ١٨٧.

(٦) ميزان افعتدال ١/ ٤ ترجمة أبان بن إسحاق المدني.

ومنهم ابن حبان.

قال الذهبي عنه[١]:

"ابن حبان ربما جرح الثقة، حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه".

وقال السبكي عنه[٢]:

"أما قول ابن حبان: أن النعمان[٣] يأتي عند الثقات بالطامات، فهو مثل كلام الدار قطني، إلا أنه بالغ في الإنكار".

٦ـ عدم قبول التجريح أو التوثيق بسبب التعصب:

لعل من أدق مما امتاز به أئمة الجرح والتعديل. هو تصنيفهم أهل التعصب على عدة أصناف وما اختص به كل واحد منهم من نوع من التعصب تجاه بلد، أو مذهب، أو عقيدة.

ومن أجل ذلك اعتبر أئمة الجرح والتعديل أن الطعن بسبب التعصب لا يقبل.

وخلاصة ذلك أنه إذا علم بالقرائن المقالية والحالية أن الجارح طعن على أحد بسبب تعصب منه عليه، لا يقبل منه ذلك الجرح وإن علم أنه ذو تعصب على جمع من الأكابر، ارتفع الأمان عن جرحه، وعد من أصحاب القرح[٤].

ثم أن النقاد من له تعنت في جرح أهل بعض البلاد، أو بعض المذاهب، لا في جرح الكل، فحينئذ ينقح الأمر في ذلك الجرح[٥].

ونبين هنا بعض من كان له نوع من التعنت والتشدد من النقاد تجاه بعض أهل البلاد، وتجاه بعض العقائد والمذاهب:

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٢٧ (ترجمة افلح بن سعيد المدني)

(٢) السبكي: شفاء السقام في زيارة خير الأنام، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٨ م ص ٢٨.

(٣) هو: نعمان بن شبل الباهلي البصري منكر الحديث، متهم لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٢٦٥ - ٢٦٦ (٩٠٩٥).

(٤) ينظر: الرفع والتكميل ص ٦٤.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٨٨.

١ـ التشدد في جرح بعض أهل البلاد.

أ- التعصب على أهل الكوفة:

كانت الكوفة[١] مرتعاً خصباً للغلاة والزنادقة، ومن أجل ذلك كان الخلفاء والعلماء على حد سواء على مر العصور في حيطة وحذر من أهلها.

ومن العلماء والنقاد لشدة تحامله على أهل هذه البلدة، ذهب يشكك حتى في بعض كبار أهل العلم من أساطين الفقه والحديث، مثل الأعمش، وأبي نعيم، وعبيد الله بن موسى[٢] وكان الجوزقاني من المعروفين في التشدد تجاه أهل الكوفة.

قال ابن حجر[٣]:

"أما الجوزقاني فقد قلنا غير مرة: أن جرحه لا يقبل في أهل الكوفة لشدة انحرافه ونصبه!".

ثم يبين ابن حجر ذلك بشكل واضح في مجال آخر فيقول[٤]: "وبسبب تلك العداوة: الاختلاف في الاعتقاد، فإن الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزقاني لأهل الكوفة رأى العجب! وذلك لشدة انحرافه في النصب[٥] ولشهرة أهلها بالتشيع، فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلق وعبارة طلقة، حتى أنه اخذ يلين مثل الأعمش، وأبي نعيم، وعبيدالله بن موسى، وأساطين الحديث وأركان الرواية! فهذا إذا عارضه مثله أو أكبر منه فوثق رجلاً ممن ضعفه هو قبل التوثيق".

وقد تحققنا عن قضيّة اتهامه بالنصب، وبيّننا أنه لم يكن ناصبيا، وإنما اتهم بذلك من قبل أهل الشنآن، وذلك في بعض بحوثنا.

ب- التعصب على أهل الشام:

كانت دمشق المدينة الثانية التي يكثر حولها القيل والقال حول مسألة التعصب.

---

(١) ينظر الذهبي:تذكرة الحفاظ ١/ ٨٤٠ حيث يقول عن الكوفة (ولكن الكوفة تغلى بالتشيع وتفور).

(٢) أبو محمد العبسي الكوفي، حافظ ثبت شيعي، روى عنه البخاري (ت ٢١٣هـ) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٣٥٣ - ٣٥٤ (٣٤٣)، العبر في خبر من غبر ١/ ٢٨٧.

(٣) هدي الساري ٢/ ١٦٧.

(٤) لسان الميزان ١/ ١٦، وينظر كذلك: السخاوي: فتح المغيث ص ٤٨٤.

(٥) بيننا في الصفحة السابقة، أن اتهامه بالنصب كذب وافتراء عليه !.

حيث أنها في وقت معين كان التحامل على علي ﷺ لا يخلو منها، لكونها مركز الخلافة في عصر بني أمية.

وكان بعض النقاد ممن كان يتشيع لعلي ﷺ بل كل من كان يتشيع كان ينظر إلى أهل الشام نظرة حقد وتعصب، وبناء على ذلك ذهب أهل العلم. أن انتقاد مثل:

(عبد الرحمن بن يوسف بن خراش الحافظ)[١]، (وابن عقده[٢] في أهل الشام خاصة، وفي أهل السنة بشكل عام غير مقبول، لأن المخالفة في العقائد أحد الأوجه الخمسة التي تدخل الآفة منها[٣].

٢ـ التشدد والتعصب على أهل العقائد والمذاهب:

في الفقرة التي قبلها ذكرنا من تعصب وتشدد على أهل بلد معين وبسبب عقائد ومذاهب معينة[٤]، والذين نذكرهم في هذه الفقرة يتعصبون على أهل بعض المذاهب والعقائد بصورة عامة لا يخصون بلداً دون بلد.

أ- **فالدار قطني وكذلك الخطيب البغدادي والإمام ابن الجوزي وهم كبار أئمة المسلمين كان عندهم شيء من التعصب الزائد على الحنفية وعلى إمام الأئمة (أبي حنيفة النعمان، خاصة).**

"لابد للمزكي أن يكون عدلاً عارفاً بأسباب الجرح والتعديل وأن يكون منصفاً ناصحاً، لا أن يكون متعصباً ومعجباً بنفسه، فإنه لا اعتداد بقول المتعصب، كما قدح الدار قطني في الإمام أبي حنيفة: بأنه ضعيف في الحديث وأي شناعة فوق هذا؟"[٥].

---

(١) كان من غلاة الشيعة حتى قال عنه الذهبي (قلت هذا والله الشيخ المعثر الذي ضل سعيه فإنه كان حافظ زمانه، وله الرحلة الواسعة والاطلاع الكثير والإحاطة، وبعد هذا فما انتفع بعلمه، فلا عتب على حمير الرافضة)، (ت ٢٣٨هـ) ميزان الاعتدال ٢/ ٦٠٠.

(٢) وهو أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، محدث الكوفة، اختلف في توثيقه وتضعيفه (ت ٣٣٢هـ) ينظر: الذهبي: المصدر نفسه ١/ ١٣٨، تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٣٩ - ٨٤٢.

(٣) ينظر: الرفع والتكميل/ ١٨٩ - ١٩٠. الهامش (٢).

(٤) عدا الغلاة والروافض فإن حقدهم وانتقادهم عام يشمل جميع المسلمين في جميع بلاد الإسلام وعلى جميع مذاهبهم وفئاتهم.

(٥) فواتح الرحموت ٢/ ١٥٤.

وقد حذر العلماء من ذلك فقالوا[١]:

"لا تغتر بكلام الخطيب، فإن عنده العصبية الزائدة على جماعة من العلماء كابي حنيفة واحمد وبعض أصحابه وتحامل عليهم بكل وجه".

وقال سبط بن الجوزي[٢]:

"وليس العجب من الخطيب، فإنه طعن في جماعة من العلماء، وإنما العجب من الجد كيف سلك أسلوبه وجاء بما هو أعظم "[٣].

وكذلك كان (نعيم بن حماد) شديداً على أهل الرأي بل وضع كتباً في الرد على الحنفية[٤].

ب- التعصب على الصوفية والأشاعرة:

ومن اتهم في ذلك الإمام شمس الدين الذهبي حيث اتهمه البعض بذلك فمنهم تاج الدين السبكي حيث يقول:

هذا شيخنا الذهبي له علم وديانة.. وأنا أخشى عليه من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا الشريعة، فإن غالبهم أشاعرة، وهو إذا وقع باشعري لا يبقى ولا يذر[٥].

إن الحافظ الذهبي كان من اشد المنكرين على الشيخ - أي محي الدين[٦] بن العربي - وعلى طائفة الصوفية هو وابن تيمية[٧].

---

(١) قواعد في علوم الحديث ص ١٩٤.

(٢) وهو المحدث والمؤرخ أبو المظفر جمال الدين يوسف بن فرغل، البغدادي سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ) وقد ألف كتابين في الدفاع عن أبي حنيفة ينظر: ترجمته: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٧١ (٩٩٨٠)، ابن عماد: شذرات الذهب ٥/ ٢٦٦.

(٣) ينظر: مرأة الزمان في تاريخ الأعيان، العيني: محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) البناية في شرح الهداية، طبعة نولشكور، الهند ١٢٩٣هـ ١/ ٦٢٨.

(٤) ينظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٣٨، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٦٠، هدي الساري ٢/ ١٦٨.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى ١/ ١٩٠.

(٦) أبو بكر محمد بن علي بن محمد، الطائي الاندلسي الصوفي، اختلف الناس فيه اختلافا عظيما قال: الذهبي: يجوز أن يكون من أولياء الله الذين اجتذبهم الحق إلى جنابه عند الموت، وختم له بالحسنى (ت ٦٣٨هـ) ينظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٦٥٩ - ٦٦٠ (٧٩٨٤) العبر ٣/ ٢٣٣.

(٧) الشعراني: عبد الوهاب بن أحمد (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، المطبعة الميمنية ١٣١٧هـ ١/ ٨.

لكن الذي ندين الله به أنّ تعصبهما على ابن عربي وأمثاله، كان في موضعه وليس فيه تعصّب ولا تعنّت ولا شيء من الخروج عن قواعد العدل والإنصاف[١].

ويقول السيوطي[٢]:

---

(١) ينظر تفصيل ذلك كتابنا: معجم الزندقة وتاريخ الزنادقة في الإسلام، فقد استوفينا الكلام فيه عنه وعن مثله هناك في عشرات الصفحات فليراجع.

(٢) الرفع والتكميل ص ١٩٤ نقلا عن السيوطي وقد أحصى صاحب الرفع كلام الذهبي على الصوفية والأشاعرة ينظر: المصدر نفسه: ص ١٩١-١٩٣، وينظر كذلك التهانوي: قواعد في علوم الحديث الهامش رقم (٤).

لعل في اتهام الذهبي في تعصبه على الأشاعرة والصوفية اتهام غير دقيق بل ربما غير صحيح وذلك:

أ - حشر الذهبي مع المتعصبين من قبل من ذكرناهم من العلماء فيه نظر، وبعد عن الصواب.

ب- نعم هنالك شيء من القصور من قبل الإمام الذهبي تجاه بعض الأشاعرة وذلك:

- عدم اهتمامه بسيرة وتراجم بعض الأشاعرة حتى وجدته يذكر شيخ الأشاعرة - الإمام أبي الحسن الأشعري - وهو أعلى مقاما من بعض من ترجم لهم واطنب في ذكرهم، بسطر واحد في تذكرته ينظر: ٣/ ٨٢١ وذلك كما يبدو كان لا يحب أن ينقل آراء الأشاعرة في كتبه، لما كان في بعضها شبها بأقوال المعتزلة وغيرهم

- يعتبر الذهبي أبو الحسن الأشعري مجددا في أصول الدين على رأس المائة الرابعة، كما ذكر تصانيفه وقال: (من نظر في هذه الكتب عرف محله، ومن أراد أن يتبحر في معرفة الأشعري فليطالع كتاب تبيين كذب المفتري) تاريخ الإسلام ص ١٣٢ - ١٣٣ (حوادث سنة ٣٢٤هـ) وينظر كذلك: السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٦، سير أعلام النبلاء ١/ ١٣٠ - ١٣٢ (تقديم الدكتور بشار).

ج- أما موقفه تجاه الصوفية:

كان له موقف تجاه بعض الصوفية وليس جميعهم حيث يبدو أنه فرق بين نوعين من الصوفية:

الصوفية المتمسكين بالشريعة، المتبعين للكتاب والسنة، حيث حظي هؤلاء عنده بكل احترام وتقدير، وأدل دليل على ذلك هو: لبسه خرقة التصوف من شيخ ضياء الدين عيسى بن يحيى الأنصاري السبتي عند رحلته إلى مصر، وكان يعتقد ببعض كرامات كبار الصوفية الزهاد ويعني بايرادها في كتابه (أي سير أعلام) فقد قال كان الرفاعي وهو يصفه بأحسن الأوصاف: الإمام القدوة، العابد، الزاهد شيخ العارفين ينظر: المصدر السابق ٢١/ ٢٦ (ترجمته).

- الذين عدهم الذهبي مخالفين للشريعة منهم الأحمدية (أتباع الشيخ أحمد الرفاعي) والقلندرية، وقد وصف يوسف القميني(ت ٦٥٧هـ): " ... ومن هذه الأحوال الشيطانية التي تضل العامة.. أكل الحيات، ودخول النار، والمشي في الهواء، ممن يتعاطى المعاصي ويخل بالواجبات ".

وقال في ميزان الاعتدال، في ترجمة ابن الفارض: ينعق بالاتحاد الصريح في شعره وهذه بلية عظيمة فتدبر نظمه ولا تستعجل.. الخ. ينظر:: ميزان الاعتدال ٣/ ٢١٤ - ٢١٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٤٢، ٤/ ١٣٤١، حيث اختصر بشر الحافي، والرفاعي كل منهما: الأول في نصف سطر، والثاني في سطر، وينظر كذلك: سير أعلام النبلاء ١/ ١٣٢ - ١٣٣.

"إن غرك دندنة الذهبي فقد دندن على الإمام فخر الدين بن الخطيب[١] ذي الخطوب، وعلى أكثر من الإمام وهو أبو طالب المكي[٢]، وعلى أكبر من أبي طالب وهو الشيخ أبو الحسن الأشعري[٣] الذي ذكره يجول في الآفاق ويجوب، كتبه مشحونة بذلك (الميزان) و(التاريخ) و(سير النبلاء).

أفقابل أنت كلامه في هؤلاء؟.

كلا والله، لا يقبل كلامه فيهم، بل نوصلهم حقهم ونوفيهم".

٧ـ عدم قبول طعن المعاصر للمعاصر.

وهذه الصفة أيضاً اتصف بها أئمة الحديث، وهي عدم قبول جرح المعاصر للمعاصر، وذلك لتكملة منهجهم العلمي والبحث الدقيق تجاه الرواة وتجاه الأخبار، لمظنة المشاحنة فيما بين العلماء في المذهب، والرأي، والحسد الشخصي، أو المنصب والجاه وغيرها مما يمكن أن يجعل عالماً أن يجرح معاصره من أجلها.

يقول السبكي[٤]:

"قد عرفناك أن الجارح لا يقبل منه الجرح وإن فسره في حق من غلبت طاعته على معاصيه ومادحوه على ذاميه، ومزكوه على جارحيه إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة في الذي جرحه من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية كما بين النظراء أو غير ذلك فلا يلتفت لكلام الثوري وغيره في (أبي حنيفة)، وابن أبي ذئب وغيره في (مالك) وابن معين في (الشافعي) والنسائي في (أحمد بن صالح المصري) ونحوه".

وقال الذهبي[١]:

---

(١) هو الفخر بن خطيب، صاحب التصانيف، رأس في الذكاء، كان قليل العلم بالآثار ينظر: ميزان الاعتدال ٣/ ٣٤٠ (٦٦٨٦).

(٢) هو: يحيى بن يعقوب، شيخ لأبي تميلة فيه لين، ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٤٥١ (٩٦٥٦)، ٤/ ٥٤٠ (١٠٣٢٧).

(٣) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر البصري، العلامة الأصولي، المتكلم، المتعفف (ت ٣٢٤هـ) ينظر: الذهبي: التذكرة ٣/ ٨٢١، العبر ٢/ ٢٣.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ١/ ١٩٠.

"كلام ابن مندة[٢] في أبي نعيم فظيع لا أحب حكايته ولا اقبل قول كل منهما في الآخر؛ بل هما عندي مقبولان ... قلت: كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد. ما ينجو منه إلا من عصمه الله، وما علمت أن عصراً من الإعصار سلم أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين. ولو شئت لسردت من ذلك كراريس".

كذلك لم يقبل طعن الإمام مالك في (محمد بن إسحاق) صاحب المغازي لما علم أنه صدر من منافرة ظاهرة، بل حققوا أنه حسن الحديث، واحتجت به أئمة الحديث[٣].

من أجل ذلك: لا يقبل جرح المعاصر على المعاصر، أي إذا كان بلا حجة لأن المعاصرة تفضي غالباً إلى المنافرة والعداوة[٤].

أن كلمات المعاصر في حق المعاصر غير مقبولة. وهي كما اشرنا إليها مقيدة بها إذا كانت بغير برهان وحجة وكانت مبنية على التعصب والمنافرة، فإن لم تكن هذا ولا هذا فهي مقبولة بلا شبهة[٥].

٨ـ الاحتكام إلى كبار المحدثين:

وهو منهج آخر من مناهج المحدثين وهو: الركون إلى كبار أئمة هذا الشأن المعتدلين في حالات وجود التساهل والتشدد تجاه شخص معين، أو تضارب الأقوال.

أن الواجب على العالم إلا يبادر إلى قبول أقوالهم بدون تنقيح أحكامهم، ومن قلدهم من دون الانتقاد، ضل وأوقع العوام في الإفساد[٦].

وحكم أقوال مثل هذه الطائفة المشددة والمتساهلة في باب حكم وضع الأحاديث وبطلانها

==

(١) ميزن الاعتدال ١/ ١١١ (وترجمة الحافظ أبو نعيم)

(٢) محمد بن يحيى بن مندة، واسم مندة: إبراهيم بن الوليد، الحافظ، الإمام، الثقة (ت ٣٠١هـ) ينظر: وفيات الأعيان ٤/ ٢٨٩ (٦٢٠)، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٤١ - ٧٤٢ (٧٤٠).

(٣) ينظر: الرفع والتكميل ص ٢٦١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه. ص ٢٦٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٧٦. وينظر كذلك التهانوي: المصدر السابق ص ١٩٧.

(٦) ينظر اللكنوي: المصدر السابق ص ٢٠٠.

وضعفها: أن لا يبادر إلى قبولها، ولا يقطع لصدقها، ما لم يوافقهم غيرهم من نقاد المحدثين وكبار المنتقدين[١].

وقد وضح لنا اللكنوي بمثال واقعي ذلك حيث يقول[٢]:

"وهناك خلق كثير من المحدثين لهم تشدد في الجرح أو تساهل في الحكم بالضعف والوضع، مع جلالة قدرهم ورفعة ذكرهم فإذا كان الحاكم بالضعف أو الوضع من هذه الطائفة والحاكم بالحسن أو الصحة من الطائفة المتوسطة يرجح قول هذه على تلك لما عرف من تشدد الفرقة الأولى وتساهلها، وتوسط الفرقة الثانية وتعمقها".

وكالحاكم مع الذهبي، فإن الأول متساهل والثاني غير متساهل، فالحديث الذي حكم الحاكم بكونه صحيح الإسناد وحكم الذهبي بكونه ضعيف الإسناد: يرجح فيه قول الذهبي على قول الحاكم[٣].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ص ١٤٢.

(٢) الأجوبة الفاضلة ص ١٧٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٦١-١٦٢.

المبحث الرابع
مصطلحات خاصة وبيان المراد منها

لأئمة الحديث نوعان من المصطلحات، مصطلح عام، وهو الذي اتفق عليه الأئمة بأجمعهم، أو اغلبهم.

ونوع خاص غير مشهور عند أكثرهم، أو خاص بأحدهم أو عدد منهم ومن أجل ذلك ينبغي بيان ذلك حتى يقف الباحث ويفهم تلك المصطلحات لكي يكون دقيقاً في الحكم على الرواة والأخبار، لأن عند ذلك تزل الإقدام، كما زل فيه قدم كبار أئمة هذا الشأن وناهيك عن الجاهل أو عدم المتخصص أو من ليس له باع طويل بهذا العلم الجليل الدقيق.

١ـ معرفة تصاريف كلام العرب:

معرفة تصاريف كلام العرب أمر ضروري للمتكلم في الشريعة بشكل عام[١]، وبوجه خاص للمتتبع في كتب الجرح والتعديل حيث لبعض الألفاظ والجمل تصاريف ووجوه ومعان غير الذي يفهم من ظاهرها وهذه منقبة أخرى من مناقب أئمة الحديث ودقتهم في النقد الداخلي وهو يقابل نوعاً من أنواع النقد الداخلي عند نقاد التاريخ، حيث أن تحليل مضمون الوثيقة، والتأكد مما أراده المؤلف، وكذلك تحليل الظروف التي أنتجت هذه الوثيقة (أو النص) من أعمال جهابذة التاريخ[٢].

أ- فمن الألفاظ التي تحتمل أكثر من معنى[٣] لفظة: (كذب) حيث يراد منها (الكذب

---

(١) قال ابن القيم.. قال الشافعي:
"لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلاً عارفا بكتاب الله بناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وتأويله وتنزيله ومكيه ومدنيه وما أريد به، ويكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله ﷺ، والناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن ويكون بصيرا باللغة وبصيرا بالشعر وما يحتاج إليه للسنة والقرآن ويستعمل هذا مع الأصناف ويكون بعد هذا مشرفا على الاختلاف أهل الأمصار وتكون له قريحة بعد هذا فإن كان هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي " اعلام الموقعين ١/ ٤٦.

(٢) ينظرعثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الاوربي ص ١١١.

(٣) وتسمى عند الأصوليين (المشترك اللغوي) وهو لفظ وضع لمعين أو أكثر بأوضاع منعددة فمثلا (القرء وضع للطهر والحيضة، و(العين) للعين الباصرة وعبن الماء والجاسوس، ينظر، خضري بك: أصول الفقه ص ١٤٣ - ١٤٦، الزيدان: الوجيز في أصول الفقه ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

المطلق) و(الخطأ). كقول عبادة بن الصامت[١] للرجل الذي قال له: أنه سمع رجلاً بالشام يكنى أبا محمد، يقول: أن الوتر واجب.

فقال عبادة: كذب أبو محمد سمعت رسول الله يقول:
(خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ..) الحديث[٢].
وكذب هنا بمعنى: أخطأ وغلط[٣].

وقد استعمل العرب الكذب في موضع الخطأ. في حديث عروة، قيل له: أن ابن عباس يقول: أن النبي ﷺ لبث بمكة بضع عشرة سنة فقال: كذب أي اخطأ[٤].

يقول الاخطل[٥]:

كَذَبَتْكَ عَيْنُكَ أمْ رأيتَ بواسطٍ   غَلَسَ الظلامِ مِنَ الرَّبابِ خَيالا.

وقال ذو الرمة[٦]:

وقد تَوَجَّسَ رِكْزاً مُقْفِرٌ نَدُسٌ   بنَبْأَةِ الصَّوْتِ ما في سَمْعِهِ كَذِب.

وكذلك كلمة: (زعم).

فالزعم يستخدم بمعنى الشك ويستخدم عند الأقدمين بمعنى الأخبار فقط، وبمعنى

---

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري، أحد النقباء الاثني عشر، شهد المشاهد كلها (ت ٣٤هـ) ينظر ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٥٤٦، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٦٨ - ٢٦٩ (٤٤٩٧).

(٢) الموطأ ١/ ١٢٣، أحمد: المسند ٥/ ٣١٩، أبو داود: السنن ١/ ١١٣ (٤٢٥)، ابن ماجه: السنن ١/ ٤٤٩ (١٤٠١).

(٣) ينظر: لسان العرب ٣/ ٢٣٤/ ابن حجر: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تصحيح عبد الله هاشم اليماني - المدينة المنورة ١٩٦٤ م ٢/ ١٤٧، وكذلك قول عطاء في بعض أحاديث عكرمة مولى ابن عباس أنها كذب: ينظر: الذهبي:ميزان الاعتدال ٣/ ٩٤، وقول الزبير في أبي هريرة. ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٠٩.

(٤) ينظر ابن منظور: المصدر السابق ٣/ ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٥) أبو تمام حبيب بن اوس (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٦م) نقائض جرير والأخطل: تعليق: الأب أنطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكي - بيروت ١٩٢٢م ص ٧٠. وينظر كذلك الفراهيدي: الخليل بن أحمد: كتاب الجمل في البحث، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٥م ص ٣١٠.

(٦) ديوان شعر ذي الرمة (غيلان بن عقبة) تحقيق: كارليل هنري هيس، مطبعة كلية - كامبردج ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩ م ص ٢١.

الكفالة والضمان، وبمعنى الظن وبمعنى الكذب... الخ[١].

قال جابر رضي الله عنه:

(زَعَمَ أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ)[٢].

وكذلك قول زينب[٣] امرأة ابن مسعود للنبي ﷺ[٤]:

(فزَعَمَ ابن مَسْعُودٍ أَنَّهُ وَوَلَدَهُ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَدَقَ ابن مَسْعُودٍ زَوْجُكِ وَوَلَدُكِ أَحَقُّ مَنْ تَصَدَّقْتِ بِهِ عَلَيْهِمْ.

وأبو سعيد وابن مسعود من أفاضل الصحابة رضي الله عنهما وارفع حالاً من أن يشك في صدقهما. فزعم هنا بمعنى قال واخبر[٥].

ب- ومن ذلك لفظ: (الشيطان): فمنهم من يستخدمه في الجرح وهو الأغلب.

فإن قلت: فلان شيطان، فيفهم من كلامك أن الفلان هذا مجروح غير عدل.

لكن هناك من العلماء من استخدم ذلك بمعنى الحفظ والذكاء.

قال عبد الرحمن بن مهدي: قال لي سفيان - يعني الثوري- جئني بمن أذاكره، فجئته بيحيى - يعني القطان فذاكره فلما خرج قال: يا عبد الرحمن قلت لك: جئني بإنسان جئتني بشيطان! يعني اندهش سفيان من حفظه، وكان رحمه الله من اتقى الناس، وأحفظ الناس لسنة رسول الله[٦].

ج- ومن العبارات والجمل المستخدمة في ذلك: اتهم ابن حبان (سالم الافطس[٧]، بعدة تهم منها أنه: (اتهم بأمر سوء! وقتل صبراً).

---

(١) ينظر هذه المعاني: ابن منظور: المصدر السابق ٢/ ٢٦ - ٢٧.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٩٦٢ (٢٥٣٢)، شرح صحيح مسلم ٧/ ١٨٤.

(٣) زينب بنت عبد الله (وقيل معاوية) بن عتاب بن الاسعد، صحابية جليلة لم أقف على تاريخ وفاتها ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٣١٧ - ٣١٨، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٣١٩ (٥٠٠).

(٤) صحيح البخاري ٣/ ٥٠٦ (١٤٦٢)، فتح الباري ٣/ ٣٢٥.

(٥) ينظر: عبد المنعم العلي: دفاع عن أبي هريرة ص ١١٧.

(٦) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٠.

(٧) سالم بن عجلان الحراني، أبو محمد ثقة، رمي بالارجاء قتل سنة (١٣٢هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ١١٢ - ١١٣ (٣٠٥٦) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٤٤١ - ٤٤٢ (٨١٤).

فدقق العلماء عن هذا (الأمر السوء) فوجدوه أنه مالأ على قتل إبراهيم (الإمام)، إن صح النقل!؟[١].

وبعض هذه الألفاظ ترتبط بأمثال قديمة، لابد من الرجوع إليها لفهم المراد منها، وقد وقع كبير[٢] أئمة هذا الشأن في الوهم في ذلك؛ فأبو حاتم، استخدم اشتقاقاً من الأمثال القديمة في وصف أحد الرواة[٣] وهو قوله: (هو بين يدي عدل).

فكان العراقي يقول:

(هو بين يدي عدل) ويريد بها التوثيق، إلى أن جاء الحافظ ابن حجر وقرأ الترجمة المذكورة، فوجد أنها: (هو بين يدي عدل) أي ضعيف[٤].

ومثال آخر يتصور منه عبارات الجرح والتعديل وليس المقصود لا الجرح ولا التعديل.

قال الذهبي: في ترجمة: جرير بن عبد الحميد [٥] الضبي: عالم أهل الرأي.

قال سليمان بن حرب[٦]: كان جرير وأبو عوانة[٧] يتشابهان، ما كان يصلح إلا أن يكونا راعيين.

---

(١) فأمر السوء كلمة تعطي عدة معان، وقد رد العلماء تلك التهم واحدة بعد الأخرى ينظر: التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٤١٠.

(٢) وهو الإمام الحافظ عبد الرحيم العراقي.

(٣) هو جبارة بن المغلس الحماني الكوفي (ت ٢٤١هـ) ينظر: المصدران السابقان ١/ ٣٨٧، ٢/ ٥٧ - ٥٨.

(٤) ينظر: الرفع والتكميل ص ١٢٨، العمري: بحوث في تاريخ السنة ص ٨٦، واصل هذا المثل كما يقول في أدب الكاتب: يقولون هو على يدي عدل، قال ابن الكلبي: هو العدل بن جزء بن سعد بن العشيرة، وكان ولي شرطة تبع، وكان تبع إذا أراد قتل رجل دفعه إليه فقال الناس: وضع على يدي عدل ثم قيل لكل شيء قد يئس عنه، ينظر ابن قتيبة: أدب الكاتب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، المكتبة التجارية ١٩٦٣م ص ٤٣، ابن حجر: لسان الميزان ٢/ ٧٠٨.

(٥) هو جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي أبو عبد الله الرازي (ت ١٨٨هـ) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٤ - ٣٩٦ (١٤٦٦)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/ ٧٥ - ٧٧ (١١٦).

(٦) سليمان بن حرب الأزدي أبو ايوب، إمام، حافظ، ثقة (ت ٢٢٤هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٩٣(٣٩٣)، تقريب التهذيب ١/ ٣٢٢ (٤٢٣).

(٧) هو: الوضاح بن خالد مولى يزيد بن عطاء اليشكري الواسطي، الحافظ أحد الثقات (ت ١٧٦هـ) ينظر: المصدران السابقان ١/ ٢٣٦ - ٢٣٧ (٢٢٣)، ٢/ ٣٣١ (٣٣).

وفي رواية أخرى عنه أيضاً: يصلحان أن يكونا راعيي غنم، كانا يتشابهان في رأي العين، كتبت عنه أنا، وابن مهدي، وشاذان بمكة[١].

يقول اليماني[٢]:

"والمقصود أن مراد سليمان من بيان صلاحية الرجلين لرعي الغنم هو تحقيق تشابههما في رأي العين، كما بينه السياق ووجه ذلك أن من عادة الغنم أنها تنقاد لراعيها، الذي قد عرفته والفته وأنست به وعرفت صوته، فإذا تأخر ذاك الراعي في بعض الأيام وخرج بالغنم آخر لم تعهده الغنم، لقي منها شيئاً، لا تنقاد له ولا تجتمع على صوته ولا تنزجر بزجره لكن لو كان الثاني شديد الشبه بالأول، لانقادت له الغنم، تتوهم أنه صاحبها الأول.

فأراد سليمان أن تشابه جرير وأبي عوانة شديد.

بحيث لو رعى احدهما غنماً مدة حتى الفته وأنست به ثم تأخر عنها وخرج الآخر لانقادت له الغنم تتوهم أنه الأول".

٢- مصطلحات عامة معروفة عند أكثر أو كثير من أئمة الحديث.

هذه المصطلحات معروفة عند أكثر العلماء، فمن هذه المصطلحات وأهمها.

أ- قولهم: حديث صحيح الإسناد أو حسن الإسناد.

قد يكون الحديث صحيح الإسناد أو حسنه، لكنه لم يبلغ درجة الصحيح أو الحسن.

يقول ابن الصلاح[٣]:

(قد يقال هذا حديث صحيح الإسناد، ولا يصح لكونه شاذاً[٤] أو معللاً[١] غير أن

---

(١) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٤ - ٣٩٥ وقد يظن من نقل معرفته بلغة العرب أنه جرح في حق الراويين، وشاذان هو: اسود بن عامر أبو عبد الرحمن، ثقة (ت ٢٠٨هـ) ينظر مسلم بن الحجاج: الكنى والأسماء ١/ ٥٢٧ (٢٠٩٩)، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ٢٩٤ (١٠٧٩).

(٢) التنكيل ١/ ٣٨.

(٣) المقدمة ص ١٩.

(٤) والشاذ هو مخالفة الثقة غيره من الثقات. ينظر: ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٣٦.

مثال ذلك حديث ابن عباس قال: في كل أرض نبي كنبيكم، وآدم كادم، ونوح كنوح، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسى كعيسى، قال الحاكم فيه: صحيح الإسناد واقره الذهبي. ينظر: المستدرك ٢/ ٤٩٣ (تفسير سورة الطلاق).

المصنف المعتمد منهم إذا اقتصر على قوله: أنه صحيح الإسناد ولم يذكر له علة ولم يقدح فيه، فالظاهر منه الحكم له بأنه صحيح في نفسه لأن عدم العلة والقادح هو الأصل والظاهر".

وقال العراقي الكردي[٢]: "وكذلك أن اقتصر من قوله: حسن الإسناد، ولم يعقبه بضعف فهو أيضاً محكوم له بالحسن".

بـ قولهم لا يصح، أو لا يثبت:

يظن من لا علم له بمصطلح الحديث أن قولهم، لا يصح، ولا يثبت هذا الحديث بأنه موضوع أو ضعيف.

قال علي القارئ: لا يلزم من عدم الثبوت وجود الوضع[٣].

وقال في موضع آخر: لا يلزم من عدم صحته وضعه[٤].

ومن هذا القبيل كل ما قال فيه ابن الجوزي لا يصح[٥].

ويلحق بالمصطلحين السابقين قولهم: ليس في الباب شيء اصح منه فلا يلزم منه صحة الحديث، بل المراد أنه اصح شيء في هذا الباب[٦].

قال النووي[٧]:

قال السيوطي: لم أزل اتعجب من تصحيح الحاكم له، حتى رأيت البيهقي قال: إسناده صحيح لكنه شاذ بمرة. ينظر: تدريب الراوي ١ / ٢٣٣، وقد ألف اللكنوي رسالة في تقوية هذا الحديث ! ينظر: الرفع والتكميل ص ١٣٥.

(١) هو الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن الظاهر السلامة منها ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٤٢.

(٢) شرح الألفية ١/ ١٠٧.

(٣) ينظر علي القارئ: تذكرة الموضوعات، دار السعادة، اسطنبول ١٣٠٨هـ ص ٨٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٢٣ وهو رأي ابن حجر والزركشي والسمهودي (وهو نور الدين أبو الحسن علي ابن القاضي عفيف الدين: مؤرخ المدينة - ت ٩١٢هـ -) ينظر التفاصيل " اللكنوي: المصدر السابق ص ١٣٧ - ١٤٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ١٣٩.

(٦) ينظر ابن التركماني: الجوهر النقي على سنن البيهقي ٣/ ٢٨٦، التهانوي: وقواعد علوم الحديث ص٩١.

(٧) ينظر النووي: الاذكار، المكتبة الثقافية - بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٦٩.

"لا يلزم من قولهم (اصح شيء في هذا الباب كذا) صحة الحديث، فإنهم يقولون: هذا اصح ما جاء في الباب، وإن كان ضعيفاً ومرادهم أرجحه أو اقله ضعفاً".

وكذلك قول أبي داود في سننه:

وهذا اصح من حديث ابن جريح والقصد به أرجح الحديثين الضعيفين[١].

جـ الفرق بين قولهم: حديث منكر[٢]، ومنكر الحديث، ويروي المناكير.

قال ابن حجر[٣]:

"قلت المنكر أطلقه أحمد بن حنبل وجماعة على الحديث الفرد الذي لا متابع له، فيحمل هذا على ذلك، وقد احتج به الجماعة".

وقال الذهبي: قال أحمد بن سعيد بن معدان[٤]: شيخ صالح، روى الفضائل والمناكير. قلت: ما كل من روى المناكير يضعف[٥].

وقال أيضاً: قولهم:

منكر الحديث. لا يعنون به أن كل ما رواه منكر بل إذا روى الرجل جملة وبعض ذلك مناكير فهو منكر الحديث[٦].

المنكر إذا أطلقه البخاري على الراوي فهو: ممن لا تحل الرواية عنه.

وأما إذا أطلقه أحمد ومن يحذو حذوه فلا يلزم أن يكون الراوي ممن لا يحتج به.

وأن تفرق بين (روى المناكير، أو يروي المناكير، أو في حديثه نكارة) ونحو ذلك، وبين

---

(١) ينظر ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود: مطبعة انصار السنة المحمدية، ١٣٦٧هـ ٣/ ١٣٤.

(٢) هو الحديث الذي رواه الضعيف مخالف للثقة، ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٨.

(٣) هدي الساري ٢/ ١٥٨، ٢/ ١١٨، الصنعاني: توضيح الأفكار ٢/ ٦.

(٤) أحمد بن سعيد بن أحمد، محدث فقيه، رحالة (ت ٣٧٥هـ) ينظر: ابن الأثير: اللباب في تهذيب الانساب ٣/ ١٥٦، حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٣٠٣.

(٥) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ١١٨ (ترجمة أحمد بن عتاب).

(٦) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٥٠٧ ترجمة عبد الله بن معاوية الزبيدي ولم اجد في النسخة التي بين يدي عدا (قال البخاري: منكر الحديث)، ينظر كذلك، السخاوي:فتح المغيث ص ١٦٢واضاف: لأن منكر الحديث وصف في الرجل يستحق به الترك لحديثه.

قولهم: (منكر الحديث) ونحو ذلك بأن العبارات الأولى لا تقدح الراوي قدحاً يعتد به.

والأخرى يجرحه جرحاً معتداً به.

وألاّ تبادر بحكم ضعف الراوي بوجود (أنكر ما روى) في حق روايته في (الكامل) و(الميزان) ونحوهما فإنهم يطلقون هذا اللفظ على الحديث الحسن والصحيح أيضاً بمجرد تفرد راويهما[١].

د- تغير أو اختلط أو تقوى بآخره:

قد يجرح الراوي بقولهم: تغير في آخره أو صار مختلطاً، وهذا ليس بجرح ما لم يكثر منه ذلك.

قال الذهبي في هشام بن عروة بعد أن ذكره من الثقات[٢]:

" لا عبرة بما قاله أبو الحسن بن القطان من أنه و(سهيل بن أبي صالح)[٣] اختلطا وتغيرا.

نعم الرجل تغير قليلاً ولم يبق حفظه كما هو في حال الشبيبة، فنسي بعض محفوظة أو وهم فكان ماذا! اهو معصوم من النسيان!... ومثل هذا يقع لمالك وشعبة ولوكيع ولكبار الثقات... الخ ".

أما إذا كثر منه الاختلاط؛ فما رواه أصحابه القدماء عنه، فهو حجة، وما رواه المتأخرون عن أصحابه؛ لا يحتج به، إلا إذا علم بالتاريخ، أن سماعه منه كلن قبل الاختلاط[٤].

ومن ذلك كل ما رواه الشيخان عن من اختلط في آخر عمره إنهما رويا عنه قبل الاختلاط[٥].

ومن النكت الطريفة هناك من تقوى بآخره قال الذهبي:

عن عفان[٦] كان همام[١] لا يرجع إلى كتابه، ولا ينظر فيه؟ وكان يخالف فلا يرجع إلى

---

(١) ينظر: الرفع والتكميل ص ١٥٠ - ١٥١.

(٢) المصدر نفسه ٤/ ٣٠١ - ٣٠٢ (ترجمة هشام بن عروة).

(٣) هو: سهيل بن ذكوان السمان، أحد العلماء الثقات الحفاظ، لكن غيره اقوى منه، مات في خلافة المنصور، ينظر: الذهبي تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٧ (١٢٨)، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤ (٣٦٠٤).

(٤) ينظر: هدي الساري ٣/ ١٢٩ - ١٣٠.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٤٦.

(٦) عفان بن مسلم أبو عثمان البصري، الحافظ، الثبت، المتقن، المتين وهو ممن لم يجب في المحنة مع الإمام أحمد (ت ٢٢٠هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٩ - ٣٨٠ (٣٧٨)، الخزرجي: خلاصة التهذيب ص ٢٦٨.

كتابه، وكان يكره ذلك. قال: ثم رجع بعد فنظر في كتبه فقال: يا عفان كنا نخطئ كثيراً، فنستغفر الله[٢].

وهذا يقتضي أن حديث همام بآخره اصح مما سمع منه قديماً، وقد نص على ذلك أحمد في كتابه (العلل)[٣] فعلى هذا يقال في همام: تمتن بآخره[٤].

هـ- قولهم: له أوهام أو يهم في حديثه أو يخطئ فيه:

إذا قيل في رجل، يهم أو له أوهام، أو يخطئ فيه، فإن الوهم اليسير لا يضر، ولا يخلو عنه أحد، وهذا لا ينزله عن درجة الثقة.

يقول الذهبي في رده على العقيلي حيث ادخل ابن المديني في الضعفاء[٥]:

"أفما لك عقل يا عقيلي؟ أتدري فيمن تتكلم ؟ وإنما تبعناك في ذكر هذا النمط لنذب عنهم ولنزيف ما قيل فيهم، كأنك لا تدري أن كل واحد من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل أوثق من ثقات كثيرين لم توردهم في كتابك، فهذا مما لا يرتاب فيه محدث، وأنا اشتهي أن تعرفني، من هو الثقة الثبت الذي ما غلط ولا انفرد بما لا يتابع عليه ؟ ... ثم ما كل أحد فيه بدعة أو له هفوة أو ذنوب يقدح فيه بما يوهن حديثه، ولا من شرط الثقة أن يكون معصوماً من الخطايا والخطأ، ولكن فائدة ذكرنا كثيراً من الثقات الذين فيهم ادني بدعة أولهم أوهام يسيرة في سعة علمهم أن يعرف أن غيرهم أرجح منهم وأوثق إذا عارضهم أو خالفهم، فزن الأشياء بالعدل والورع؟".

وقال أيضاً[٦]:

---

(١) همام بن يحيى أبو عبد الله البصري الحافظ، الحجة، الإمام، أحد اركان الحديث بالبصرة (ت ١٦٤هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٠١ (١٩٤)، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٩ - ٣١٠ (٩٢٥٣).

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٣١٠.

(٣) ينظر ابن حنبل:أحمد بن محمد، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق طلعت فوج بيكيت وإسماعيل اوغلي - انقرة ١٩٦٣ م ١/ ٣٥٧.

(٤) ينظر: هدي الساري ٢/ ١٧٠ (ترجمة همام).

(٥) ميزان الاعتدال ٣/ ٣٩ - ١٤١.

(٦) المصدر نفسه: ١/ ٣، وقد ذكر قبل اسطر من ذلك: وقد احتوى كتاب هذا على ذكر الكذابين الوضاعين... ثم قال: ثم على الثقات...

"ثم احتوى كتابي هذا على الثقات الإثبات الذين فيهم بدعة، أو الثقات الذين تكلم فيهم من لا يلتفت إلى كلامه في ذلك الثقة لكونه تعنت فيه، وخالف الجمهور من أولي النقد والتحرير، فانا لا ندعي العصمة من السهو والخطأ في غير الأنبياء عليهم السلام ".

و- قد يكون تضعيف الراوي بالنسبة لمن هو أقوى منه:

يضعف أئمة الحديث أحياناً الرجل بالنظر إلى غيره ممن هو اثبت من أقرانه، وهذا لا يدل أنه مجروح أو ضعيف.

يقول الحافظ ابن حجر في ترجمة (عبد الرحمن بن سليمان المعروف بابن الغسيل[١] بعد أن ذكر توثيقه عن ابن معين وغيره: قلت[٢]:

"تضعيفهم له بالنسبة إلى غيره من هو اثبت منه من أقرانه، وقد احتج به الجماعة سوى النسائي".

ومما ينبه عليه: ينبغي أن نتأمل أقوال المزكين ومخارجها، فيقولون: فلان ثقة، أو ضعيف، ولا يريدون به أنه ممن يحتج بحديثه، ولا ممن يرد. وإنما ذلك بالنسبة لمن قرن معه على وفق ما وجه إلى القائل من السؤال، وأمثلة ذلك كثيرة لا نطيل بها، منها:

قال عثمان الدارمي: سألت ابن معين عن العلاء[٣] بن عبد الرحمن عن أبيه[٤]، كيف حديثهما؟ قال: سعيد[٥] أوثق، والعلاء ضعيف.

فهذا لم يرد به ابن معين أن العلاء ضعيف مطلقاً بدليل أنه قال: لا بأس به.

---

(١) عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الأنصاري، صدوق فيه لين (ت ١٧١هـ وقيل ١٧٢هـ) ينظر: الذهبي: المصدر نفسه ٢/ ٥٦٨ (٤٨٨٣)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤٨٣ (٩٦٤).

(٢) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٤١.

(٣) العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب المدني، صدوق فيه لين انكر في حديثه اشياء، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٥ (١٢٢)، ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٢ - ١٠٣ (٥٧٣٥).

(٤) عبد الرحمن بن يعقوب الجهني، ثقة لم أقف على تاريخ وفاته، من الطبقة الثالثة ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٥٠٣ (١١٥٩). الخزرجي: خلاصة التهذيب ص ٢٣٧.

(٥) سعيد بن أبي سعيد بن كيسان أبو سعد، الإمام، المحدث، الثقة، اختلط قبل موته بأربع سنين (ت١٢٥هـ) وقيل غير ذلك ينظر:تذكرة الحفاظ ١/ ١١٦ - ١١٧ (١٠١)، العبر في خبر من غبر ١/ ١٢٢.

وإنما أراد أنه ضعيف بالنسبة لسعيد المقبري: وعلى هذا يحمل أكثر ما ورد من الاختلاف في كلام أئمة الجرح والتعديل ممن وثق رجلاً في وقت، وجرحه في وقت فينبغي لهذا حكاية أقوال أهل الجرح والتعديل ليتبين ما لعله خفي على كثير من الناس وقد يكون الاختلاف للتغير في الاجتهاد[١].

٢ـ مصطلحات خاصة ببعض الأئمة:

في هذه الفقرة نذكر مصطلحات خاصة ببعض أئمة الجرح والتعديل قد انفرد بها دون غيره من العلماء، ولكي لا يقع الباحث في خطأ، لابد أن يحيط علماً بما ورد عن كبار أئمة هذا الشأن من المصطلحات الخاصة بهم.

١ـ بيان مراد ابن معين من مصطلحاته:

لا بأس به أو ليس به بأس:

فإذا سمعنا من ابن معين هذه اللفظة، فليس معناها التجريح، بل أنها عنده بمعنى الثقة.

قال الذهبي وهو ينقل قول ابن معين في الإمام الشافعي: ليس به بأس[٢].

وقال ابن الصلاح[٣]: "عن ابن خيثمة: قال: قلت ليحيى بن معين أنك تقول: فلان (ليس به بأس) وفلان (ضعيف) قال: إذا قلت لك (ليس به بأس) فهو ثقة، وإذا قلت لك هو (ضعيف) فليس هو بثقة: لا تكتب".

وقال الحافظ ابن حجر: يونس البصري[٤]، قال ابن الجنيد[٥] عن ابن معين ليس به بأس. وهذا توثيق من ابن معين[١].

---

(١) ينظر: ميزان الاعتدال ٣/ ١٠٢ (ترجمة علاء بن عبد الرحمن)، السخاوي: فتح المغيث ص ١٦٢.

(٢) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦٢ (ترجمة الإمام الشافعي).

(٣) المقدمة ص ٥٨ – ٥٩.

(٤) يونس بن أبي الفرات القرشي، ثقة، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: تهذيب التهذيب ١١/ ٤٤٦ (٨٦٠)، الخزرجي: خلاصة التهذيب ص ٤٤١.

(٥) إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد أبو إسحاق الحافظ العالم، وثقه الخطيب توفي بحدود (٢٦٠هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٦/ ١٢٠ (٣١٥٠)، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٨٦ (٦١٠).

مراده من قوله: ليس بشيء:

أ- يقصد به وهو الغالب: أن أحاديثه قليلة، وليس القصد أن الراوي مجروح بجرح قوي.

يقول الحافظ ابن حجر:

وثقه ابن معين في رواية، وقال في رواية: أنه ليس بشيء، قلت: احتج به الجماعة.

وذكر ابن قطان الفاسي أن مراد ابن معين بقوله في بعض الروايات: ليس بشيء. يعني أن أحاديثه قليلة جداً[٢].

ب- أحياناً يريد به تضعيف الراوي:

ويعرف ذلك بموافقة تضعيفه، تضعيف كبار أئمة الحديث كالبخاري، والنسائي، وأبي داود... الخ.

قال الحافظ الزيلعي:

في كلام ابن حنبل وأبو حاتم، في عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي: منكر الحديث وقال ابن معين: ليس بشيء. وقال البخاري فيه نظر[٣].

وقال الحافظ ابن حجر: وداود[٤] ضعيف، لكن الهيثم[٥] ثقة، وعبد الله[٦] من رجال البخاري، فالحديث قوي الإسناد، لولا ما في عبد الله بن المثنى من المقال لكان هذا الحديث صحيحاً.

لكن قد قال ابن معين:

ليس بشيء.

---

(١) ينظر: هدي الساري: ٢/ ١٧٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٤٤ (ترجمة عبد العزيز بن المختار البصري).

(٣) ينظر: نصب الراية لأحاديث الهداية ١/ ٣١٤ ترجمة المذكور في حديث (وضع اليدين تحت السرة).

(٤) هو: داود بن المحبر ابن قحذم البصري متروك (ت ٢٠٦هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٨/ ٣٥٩ - ٣٦٢ (٤٤٥٩)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ١٩٩ - ٢٠١ (٣٨١).

(٥) هو ابن جميل.

(٦) عبد الله المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك، صدوق، يغلط لم أظفر بتاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٥/ ٣٨٧ - ٣٨٨ (٦٥٩)، الخزرجي: خلاصة التهذيب ص ٢١٢.

وقال النسائي:

ليس بقوي.

وقال أبو داود :

لا اخرج حديثة.

وقال الساجي[(١)]: فيه ضعف[(٢)].

مراد ابن معين يكتب حديثه:

إذا قال ابن معين في الراوي (يكتب حديثه) فيعني به أنه من جملة الضعفاء.

قال الذهبي: قال ابن معين:

يكتب حديثه، ذكره ابن عدي، روى عنه، زيد بن أبي الزرقاء[(٣)].

ثم قال ابن عدي:

معنى قول ابن معين في: إبراهيم بن هارون الصنعاني، يكتب حديثه أنه في جملة الضعفاء[(٤)].

٢ـ بيان مصطلحات الإمام أحمد:

ليس من أهل الحفظ:

ويقصد به الإمام أحمد سعة المحفوظ:

قال الحافظ ابن حجر:

حكى الخطابي[(٥)] عن أحمد أنه قال في:

---

(١) زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن البصري، الإمام، الحافظ، الثقة (ت ٣٠٧هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٠٩ - ٧١٠ (٧٢٧)، شذرات الذهب ٢/ ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢) ينظر: فتح الباري ٩/ ٥٩٥، والحديث (عق النبي ﷺ عن نفسه بعد النبوة) وهو حديث ضعيف أخرجه البزار، ينظر: المصدر نفسه ٩/ ٥٩٥.

(٣) زيد ابن أبي الزرقاء يزيد التعلبي الموصلي، ثقة (ت ١٩٤هـ) ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ١٠٣ (٣٠٠٨)، تقريب التهذيب ١/ ٢٧٤ (١٨٣).

(٤) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٧٠.

(٥) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم البستي: الإمام، العلامة، المحدث، ثقة ثبت (ت ٣٨٨هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠١٨ - ١٠٢٠ (٩٥٠)، ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ١٢٧ - ١٢٨.

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، ليس هو من أهل الحفظ، يعني بذلك سعة المحفوظ، وإلا فقد قال ابن معين: هو ثبت روى شيئاً يسيراً[(١)].

ليس مثل فلان، غيره أحب إليّ:

إذا قال أحمد وغيره ذلك لا يعد ذلك جرحاً في حق الراوي.

قال ابن حجر[(٢)]:

" أن الإمام أحمد قال: ابن عدي أحب إليّ من أزهر[(٣)]: قلت - ابن حجر- ليس هذا بجرح يوجب إدخاله في الضعفاء ".

بيان مراد أحمد بن حنبل من قوله في الراوي: هو: كذا وكذا:

يتبين بالاستقراء بأن قصد عبد الله بن أحمد في الراوي هو كذا وكذا كناية عمن فيه لين.

قال الذهبي:

" ... وقال عبد الله بن أحمد: سألت أبي عن يونس بن أبي إسحاق[(٤)] قال: كذا وكذا.

قلت: هذه العبارة يستعملها عبد الله بن أحمد كثيراً فيما يجيبه به والده وهي بالاستقراء كناية عمن فيه لين"[(٥)].

وقال الحافظ ابن حجر في رشدين:

قال البغوي سئل أحمد عنه فقال: أرجو أنه صالح الحديث... ثم قال وقال الساجي: قال عبد الله يعني ابن أحمد قال أبي: رشدين[(٦)]، كذا وكذا.

---

(١) هدي الساري: ٢/ ١٤٣.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٠٣.

(٣) أزهر بن سعد السمان الباهلي، ثقة (ت ٢٠٣هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٤٢ - ٣٤٣ (٣٢٥). ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٢٠٢ - ٢٠٣ (٣٨٢).

(٤) السبيعي أبو إسرائيل الكوفي، صدوق يهم قليلاً (ت ١٥٢هـ) على الصحيح، ينظر: المصدران السابقان ٤/ ٤٨٢ - ٤٨٣ (٩٩١٤)، ٢/ ٣٨٤ (٤٧١).

(٥) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٤٨٣.

(٦) رشيدين بن سعد بن مفلح، صالح، ضعيف (ت ١٨٨هـ) ينظر: الذهبي: المصدر نفسه ٢/ ٤٩ - ٥١ (٢٧٨٠)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٢٧٧ - ٢٧٩ (٥٢٦).

فإذن المقصود من كلام الإمام أحمد أنه لين الحديث كما هو واضح[١].

٣ـ مصطلحات الإمام البخاري:

مراد البخاري: فيه نظر، وسكتوا عنه، وفي إسناده نظر، وفي أحاديثه نظر.

إذا قال البخاري في حق أحد الرواة فيه نظر، يدل على أنهم تركوا حديثه، أي متهم.

قال الذهبي: (عن عبد الله الواسطي)[٢] قال البخاري:

فيه نظر، ولا يقول هذا إلا فيمن يتهمه غالباً وكذلك إذا قال: فلان سكتوا عنه[٣].

وقال العراقي[٤]:

"فلان فيه نظر، وفلان سكتوا عنه هاتان العبارتان يقولهما البخاري فيمن تركوا حديثه وكذلك إذا قال: منكر الحديث ".

قال الذهبي... فإنه أكثر ما يقول[٥]:

" منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا، وقَل أن يقول: فلان كذاب أو كان يضع الحديث حتى أنه قال: إذا قلت: فلان في حديثه نظر فهو متهم واه. وهذا هو المشهور الغالب في هذه المصطلحات عند البخاري".

لكن قد لا يقصد ما هو المشهور المعروف عنده، وهذا أمر صعب ودقيق للغاية لابد أن يكون الباحثون على تيقظ تام في ذلك.

قال الحافظ ابن حجرفي أوس بن عبد الله الربعي:

ذكره ابن عدي في الكامل وحكى عن البخاري أنه قال: في إسناده نظر.

ثم شرح ابن عدي مراد البخاري. فقال:

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٢٧٨.

(٢) عبد الله بن دادو التمار، ضعيف لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: التاريخ الكبير ٥/ ٨٢، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ١٥١.

(٣) ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٤١٦.

(٤) ينظر: شرح الألفية ٢/ ١١، وينظر كذلك: تدريب الراوي ١/ ٣٤٩.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٢/ ٤٤ (ترجمة البخاري).

يريد أنه لم يسمع من مثل ابن مسعود وعائشة وغيرهما لا أنه ضعيف عنده، قلت - أي ابن حجر - أخرج البخاري له حديثاً واحداً من روايته عن ابن عباس قال[١]:

(كَانَ اللَّاتُ رجلاً يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ) وروى له الباقون[٢].

٤ـ مصطلحات ابن حبان:

قولهم في ابن حبان: وثقه، أو ذكره في الثقات، شيخ.

قال بعض أهل العلم بعد استقراء مصطلحات ابن حبان (وثقه) أو (ذكره في الثقات) المراد بها: أن جهالة عينه قد انتفت، ولم يعلم فيه جرح، وهذا مسلك متسع خالف فيه جمهور أئمة هذا الشأن، فكان من المتساهلين في التوثيق[٣].

قوله في الراوي: شيخ.

قال ابن حبان:

كل شيخ ذكرته في هذا الكتاب فهو صدوق يجوز الاحتجاج بروايته إذا تعرى عن خمس خصال[٤].

٥ـ مصطلحات أبي حاتم:

مجهول:

يريد أبو حاتم بهذا المصطلح على الغالب جهالة الوصف للراوي بينما مذهب جمهور

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٨٤١ (٤٥٧٨)، فتح الباري ٨/ ٦١١ (٤٨٥٩).

(٢) ينظر: هدي الساري: ٢/ ١١٧ وهناك شواهد أخرى على ذلك ينظر: التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٢٥٤ - ٢٥٦، وينظر النص كذلك: ابن عدي: الكامل في ضعفاء الرجال ٤/ ٢٤٣ (ترجمة عبد الله التمار).

(٣) ينظر: لسان الميزان ١/ ١٤ - ١٥، الرفع والتكميل ص ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٤) والخصال الخمس هي:

أما أن يكون فوق الشيخ الذي ذكرته في هذا الكتاب شيخ ضعيف سوى أصحاب رسول الله ﷺ فإن الله نزه أقدارهم عن الزاق الضعف بهم.

أو دونه شيخ واه لا يجوز الاحتجاج بخبره.

أو الخبر يكون مرسلاً لا تلزمنا به الحجة.

أو يكون منقطعاً لا تقوم بمثله الحجة.

أو يكون في الإسناد شيخ مدلس لم يتبين سماع غيره عمن سمع منه. ينظر: ابن حبان: كتاب الثقات ١/ ٣٠٨.

المحدثين في هذا المصطلح هو جهالة العين، بألاّ يروي عنه إلا واحد.

ولذلك إذا قال الذهبي في الميزان: مجهول وسكت فإن ذلك قول أبي حاتم[١].

قال الخطيب[٢]:

"المجهول عند أهل الحديث هو كل من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه، ولا عرفه العلماء به. ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راو واحد مثل: عمرو ذي مر، وجبار الطائي، وعبد الله بن الهمداني..... هؤلاء كلهم لم يرو عنهم غير أبي إسحاق السبيعي... الخ".

ثم قال:

وأقل ما ترتفع به الجهالة أن يروي عن الرجل اثنان فصاعداً من المشهورين بالعلم كذلك[٣].

لذلك قرر العلماء بأن الأمان مرتفع من اتهامه أحداً بالجهالة ما لم يوافقه على ذلك غيره من أئمة الحديث.

قال الحافظ ابن حجر:

الحكم بن عبد الله البصري[٤] قال ابن أبي حاتم عن أبيه: (مجهول) قلت[٥]: "ليس مجهول من روى عنه أربع ثقات ووثقه الذهلي ".

وقد ذكر السيوطي:

أن أبا حاتم جهل جماعة من الرواة هو وجماعة من الحفاظ، مع أنهم قوم معروفون بالعدالة عن غيرهم ثم ذكر تسعاً منهم في الصحيحين[٦].

---

(١) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٦ ترجمة أبان بن حاتم الأملوكي.

(٢) الكفاية في علم الرواية ص ١٤٩ - ١٥٠ باب ذكر المجهول وما به ترتفع عنه الجهالة.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ص ١٥٠، وينظر كذلك: السبكي: شفاء السقام ص ٩.

(٤) أبو النعمان الأنصاري ثقة له أوهام، لم أظفر بتاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٤٢٩ - ٤٣٠ (٧٥٠)، هدي الساري ٢/ ١٢٤، ١٣٦.

(٥) محمد بن يحيى بن عبد الله النيسابوري شيخ الإسلام، ثقة، حافظ (ت ٢٥٨هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٠ - ٥٣٢ (٥٤٩)، شذرات الذهب: ٢/ ١٣٨. وينظر النص: هدي الساري ٢/ ١٢٤.

(٦) ينظر: تدريب الراوي ١/ ٣٢٠ ويلحق بذلك تجهيل ابن حزم الترمذي، والبغوي، والصفار، والأصم، وابن ماجه، وغيرهم، ينظر: السخاوي: فتح المغيث ص ٤٨٣.

سكوت أبي حاتم:

إذا سكت أبو حاتم عن الراوي، فسكوته يعتبر توثيقاً له.

قال ابن حجر:

عند ذكر الحسن السدوسي[(١)] عن أبي داود: كان كذاباً يأخذ أحاديث فهد بن عوف[(٢)] فيقلبها على يحيى بن حماد[(٣)]، قلت - أي ابن حجر - أن كان مستند أبي داود في تكذيبه هذا الفعل فهو لا يوجب كذباً، لأن يحيى بن حماد وفهد بن عوف جميعاً من أصحاب أبي عوانة، فإذا سأل الطالب شيخه عن حديث رفيقه ليعرف أن كان من جملة مسموعه فيحدثه به أولاً، فكيف يكون كاذباً، وقد كتب عنه أبو زرعة وأبو حاتم ؟ ولم يذكرا فيه جرحاً وهما ما هما في النقد؟![(٤)].

٦ـ مصطلحات ابن القطان[(٥)]:

لا يعرف له حال، لم تثبت عدالته:

يفهم من إطلاق ابن القطان لا يعرف له حال، لم تثبت عدالته أي: أن الراوي مجهول أو غير ثقة، وهذا المصطلح اختص به هو ولم يوافقه عليه غيره.

قال الذهبي: قال ابن القطان: لا يعرف له حال ولا يعرف، قلت[(٦)]:

"لم أذكر هذا النوع في كتابي هذا، فإن ابن القطان يتكلم في كل من لم يقل فيه إمام عاصره ما يدل على عدالته، وهذا شيء كثير، ففي الصحيحين من هذا النمط خلق كثير مستورون، ما ضعفهم أحد ولا هم بمجاهيل".

---

(١) حسن بن مدرك بن بشير البصري، لا بأس به، طعن فيه أبو داود لم أظفر له على وفاة، من الحادية عشر ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٥٢٢ - ٥٢٣ (١٩٤٩)، تقريب التهذيب ١/ ١٧١ (٣٢٠).

(٢) فهد بن عوف (اسمه زيد) يكنى أبا ربيعة، يسرق الحديث (ت ٢١٩هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٣٦٦ (٦٧٨٤)

(٣) يحيى بن حماد بن أبي زياد الشيباني، حافظ، ثقة(ت ٢١٥هـ) ينظر: العبرفي خبر من غبر ١/ ٢٩٠، تهذيب التهذيب ١١/ ١٩٩ - ٢٠٠ (٣٣٨)

(٤) ينظر: هدي الساري: ٢/ ١٢٣ ترجمة (الحسن بن مدرك السدوسي) ويلحق بذلك سكوت أبي زرعة والرازي وابن أبي حاتم والبخاري.

(٥) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الفاسي المشهور بابن القطان، العلامة، الناقد، الحافظ لأسماء الرجال (ت ٦٢٨هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٠٧ - ١٤٠٨ (١١٣٠).

(٦) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٥٥٦ ترجمة حفص بن بغيل.

وقال أيضاً[١]:

"قال ابن القطان: هو من لم تثبت عدالته يريد أنه ما نص أحد على أنه ثقة، وفي رواة الصحيح عدد كثير ما علمنا أن أحداً وثقهم.

والجمهور على أن من كان من المشايخ قد روى عنه جماعة ولم يأت بما ينكر عليه: أن حديثه صحيح".

٧ـ مصطلحات متفرقة لأئمة آخرين:

١ - قولهم في قول ابن المديني: ليس هو كأقوى ما يكون: قال ابن حجر:

قال ابن المديني: ليس هو كاقوى ما يكون، قلت: هذا تضعيف نسبي[٢].

٢ - قولهم في قول أبي حاتم: هو شيخ:

قال الذهبي[٣]:

"وقال أبو حاتم، شيخ فقوله: هو شيخ ليس هي من عبارة جرح، ولهذا لم أذكر في كتابنا أحداً ممن قال فيه ذلك. ولكنها أيضاً ما هي عبارة توثيق والاستقراء يلوح لك أنه ليس بحجة".

٣ - قولهم تركه يحيى القطان:

ذكر أهل العلم:

أن ترك يحيى بن معين للراوي لا يخرجه من دائرة الاحتجاج به، لأنه متشدد في الرجال، وإذا رأى الرجل يحدث عن حفظه مرة هكذا، ومرة هكذا، ولا يثبت على رواية واحدة تركه[٤].

٤ - سكوت ابن حجر في تلخيص الحبير وفي الفتح عند حديث: يدل سكوته ذلك على أن ذلك الحديث إما صحيح أو حسن عنده[٥].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٤٢٦ ترجمة مالك المصري.

(٢) ينظر: هدي الساري: ٢/ ١١٥ ترجمة إبراهيم بن يوسف بن إسحاق السبيعي.

(٣) ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٨٥ ترجمة العباس بن الفضل المدني وينظر أيضاً: الزيلعي: نصب الراية ٤/ ٢٣٣.

(٤) ينظر: هدي الساري ٢/ ١٤٧ (ترجمة عثمان بن عمر بن فارس) المباركفوري: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م) تحفة الأحوذي، دار الكتب العلمية -بيروت ١/ ٤٠٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٣، الشوكاني: نيل الأوطار ١/ ٢٢٠ (باب الاستتار عن الأعين للمغتسل) و١/ ٩٨، ١٢٧، ١٣١ .. الخ

٥ - قولهم: أنه من أهل الرأي:

قد تسمع عند بعض أئمة الجرح والتعديل يقول: فلان من أهل الرأي.

وهذا ليس بجرح، ولو قبلنا ذلك وفتحنا باب الوسواس فيه لم ينجو كثير من أهل العلم من ذلك.

قال ابن حجر في[١]:

"محمد بن عبد الله الأنصاري، من قدماء شيوخ البخاري، ثقة، قال أحمد: ما يضعفه عند أهل الحديث إلا النظر في الرأي ".

وقال أيضاً في الوليد بن كثير المخزومي:

لم يضعفه أحد وإنما عابوا عليه الرأي[٢].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ١٦١ ترجمته.

(٢) ينظر: المصدر نفسه٢/ ١٧٠ ترجمته.

الفصل الخامس

علم العلل

يتطرق هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

- المبحث الأول: العلة: ميدانها وغايتها وأشهر علمائها.
- المبحث الثاني: معرفة العلة، أسبابها، والكشف عنها.
- المبحث الثالث: ضوابط لمعرفة العلل بأحوال معي.
- المبحث الرابع: قواعد وفوائد في العلل.

الفصل الخامس

علم العلل

المبحث الأول

العلة: ميدانها وغايتها وأشهر علمائها

العلة في اللغة:

من عَلَّ يَعِلُّ ويَعُلُّ فهو: مُعَلٌّ ومُعَلَّلٌ ومَعْلُولٌ.

قال صاحب معجم مقاييس اللغة: العلة تأتي بمعان:

أ- التكرار: فاالعَلَلُ، هو الشربة الثانية، ويقال: عَلَلٌ بعد نَهَلٍ ويقال: (أعلَّ القومُ) إذا شربت إبلهم عللاً، قال ابن الأعرابي[1] في المثل: ما زيارتك إيانا إلا سوم عالة[2]. أي مثل الإبل التي تعل، وإنما قيل هذا لأنها إذا كرر عليها الشرب كان أقل لشربها الثاني[3].

ب- العائق يعوق: قال الخليل[4]:

العلة حدث يشغل صاحبه عن وجهه ويقال:

---

(١) محمد بن زياد، العلامة اللغوي، الكوفي (ت ٢٣١هـ) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٥/ ٢٨٢ -٢٨٤ (٢٧٨١)، الأنباري: نزهة الألباب ص ٢٠٧، ابن خلكان: أوفيات الأعيان ٤/ ٣٠٦ - ٣٠٩ (٦٣٣).

(٢) ينظر: أبو هلال العسكري: كتاب جمهرة الأمثال ١/ ٥١٣ (٩٣٢)، الزمخشري: المستقصى في أمثال العرب ٢/ ١٥٩ (٥٤٠).

(٣) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) معجم مقاييس اللغة، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ٤/ ١٣ - ١٥، ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٨٦٧ - ٨٦٩ (علل).

(٤) خليل بن أحمد بن عمرو تميم بن الفراهيدي، إمام العربية، ومبدع علم العروض (ت ١٧٥هـ) وقيل غير ذلك ينظر القفطي: أنباه الرواة ١/ ٣٤١. ابن خلكان: المصدر السابق ٢/ ٢٤٤ - ٢٤٨ (٢٢٠)، الفيروز آبادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، الطبعة الأولى، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت ١٤٠٧هـ ص ٩٩ (١٢٥).

اعتله عن كذا، أي إعتاقه، قال: فاعتله الدهر وللدهر علل.

ج- العلة المرض، وصاحبها معتل:

قال ابن الأعرابي:

عَلّ المريض يَعِلُّ عِلّة فهو عليل.

وقال صاحب القاموس:

إعتله وأعله الله - تعالى- فهو معل وعليل[١].

ومن أئمة الحديث والفقه والمتكلمة من يستخدم: المعلول وأنكر بعضهم ذلك.

قال ابن سيده[٢]:

"وبالجملة فلست منها على ثقة ولا على ثلج... إلا أنه يكون على ما ذهب إليه سيبويه[٣] من قولهم مجنون ومسلول".

والذي يبدو أن كل المعاني اللغوية تنطبق مع المعنى الاصطلاحي من حيث: أن إعادة النظر في الحديث مرة بعد مرة، (للتكرار) ومن حيث أن العلة عائق في سبيل الحديث أن يبقى صحيحاً.

وإن كان بمعنى المرض، فهو يجعل من الحديث الصحيح مريضاً.

وفي الاصطلاح: لقد عرف أئمة الحديث العلة بتعاريف بعضها قريبة من بعض، وأقدم ما عرف العلة هو الحاكم النيسابوري حيث عرفها بقوله[٤]:

"وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل.. وإنما يعل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل".

وهذا الحد غير جامع ولا مانع، أما ابن الصلاح، وابن كثير فعرفاها بقولهم:

هي عبارة عن أسباب خفية غامضة قادحة فيه وهو فن خفي على كثير من علماء الحديث،

---

(١) ينظر الفيروز آبادي: القاموس ٤/ ٢١، ابن منظور: المصدر السابق ٢/ ٨٦٩.

(٢) المخصص ٥/ ٦٤ (أبواب الأمراض).

(٣) عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام النحو والصرف والعربية (ت ١٨٠هـ) على الصحيح، ينظر الفيروز آبادي: البلغة ص ١٦٣ (٢٥٦)، ابن حجر العسقلاني: نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق عبد العزيز محمد السديدي، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد - الرياض ١٩٨٩ م ص ٣٨٢.

(٤) معرفة علوم الحديث ص ١١٢.

ويتعلق ذلك بالإسناد[١].

وهذا الحد أيضاً لا يدخل المتن في العلل، ولذلك فهو حد قاصر وأحسن من عرفها هو: الإمام العراقي، والهروي، وابن حجر حيث بينوا أن [٢]:

"المعلل هو الذي أطلع فيه بعد التفتيش على قادح مع أن ظاهره السلامة منه، ويشمل الإسناد والمتن".

١ـ صعوبة معرفة علل الحديث.

وصعوبة مسالكها ومعرفة فهمها تكمن في أنها علم دقيق غامض لا يهتدي إليه إلا من رزقه الله تعالى فهماً ثاقباً وعلماً واسعاً.

"وإنما يهتدى إلى تحقيق هذا الفن الجهابذة النقاد منهم، ويميزون بين صحيح الحديث وسقيمه، ومعوجه ومستقيمه، كما يميز الصيرفي البصير بضاعته بين الجياد والزيوف والدنانير والفلوس.

فكما لا يتمارى هنا، كذلك يقطع ذاك بما ذكرناه، وفيهم من يظن ومنهم من يقف، بحسب مراتب علومهم وحذقهم واطلاعهم على طرق الحديث وذوقهم حلاوة عبارة الرسول ﷺ التي لا يشبهها غيرها من ألفاظ الناس)[٣].

قال ابن الصلاح[٤]:

"ولا يطلع عليه إلا أهل الخبرة والحفظ والفهم الثاقب لخفاء العلة وغموضها".

ويقول ابن حجر[٥]:

"ولا يقوم به إلا من رزقه الله تعالى فهما ثاقباً. وحفظاً واسعاً ومعرفة تامة، بمراتب الرواة، وملكة قوية بالأسانيد والمتون. وبهذا لم يتكلم فيه إلا قليلاً من أهل هذا الشأن".

وقال عبد الرحمن بن مهدي[١]:

---

(١) ينظر: المقدمة ص ٤٢، لكن ابن الصلاح بين أن علم العلل كما هو يتعلق بالسند يتعلق بالمتن أيضاً، وبالسند والمتن معاً، ينظر: المصدر نفسه ص ٤٣. ، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص ٦٠.

(٢) ينظر: فتح المغيث ص ١٠٥، جواهر الأصول ص ٤٨، شرح نخبة الفكر ص ١٣٢.

(٣) الباعث الحثيث ص ٦١.

(٤) المقدمة ص ٤٢، وينظر كذلك الهروي: المصدر السابق ص ٤٨.

(٥) شرح نخبة الفكر ص ١٣٢.

"معرفة الحديث إلهام فلو قلت للعالم يعلل الحديث: من أين قلت هذا؟ لم يكن له حجة!".

والسؤال الذي يفرض نفسه هو هل أن هذا العلم الجليل والدقيق هو إلهام من الله، أم أنه نوع من العرّافة كما سبق ؟ أم لها ضوابط وقواعد وغيرها ؟.

لا شك أن الإسلام يأمرنا باتباع العلم، والمعرفة والبرهان والقرآن يشهد بذلك.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ الحج: ٨﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحج: ٨].

إن من يمعن النظر بهذا العلم الشريف الجليل يعلم بكل سهولة أن له قواعد وضوابط، لكن لا يعلمها إلا الخبير الدقيق.

يقول ابن رجب: وقد قال أبو عبد الله بن مندة[٢]:

"إنما خص الله بمعرفة هذه الأخبار نفراً يسيراً من كثير ممن يدعي علم الحديث، فأما سائر الناس من يدعي كثرة كتابة الحديث، أو متفقه في علم الشافعي وأبي حنيفة، أو متبع لكلام الحارث المحاسبي والجنيد[٣] وذي النون[٤]، وأهل الخواطر، فليس لهم أن يتكلموا في شيء من علم الحديث، إلا من أخذ عن أهله وأهل المعرفة به، فحينئذ يتكلم بمعرفته ".

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ١١٣ قال رجل لأبي زرعة: ما الحجة في تعليلكم الحديث ؟ قال: الحجة أن تسألني عن حديث له علة فأذكر علته ثم تقصد ابن واره (وهو محمد بن مسلم بن واره) وتسأله عنه ولا تخبره بأنك قد سألتني عنه فيذكر علته ثم تقصد أبا حاتم فيعلله ثم تميز كلام كل منا على ذلك الحديث فإن وجدت بيننا خلافاً في علته فاعلم أن كلاً منا تكلم على مراده، وإن وجدت الكلمة متفقة فاعلم حقيقة هذا العلم: قال: ففعل الرجل فاتفقت كلمتهم عليه فقال: أشهد أن هذا العلم إلهام. ينظر المصدر نفسه ص ١١٣، وينظر القصة بشكل أكثر تفصيلاً، ابن أبي حاتم: تقدمة المعرفة ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٢) شرح علل الترمذي ١/ ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٣) جنيد بن محمد بن جنيد النهاوندي البغدادي (كردي الأصل)، الزاهد، إمام الصوفية، صاحب الكرامات، فقيه عصره (ت ٢٩٧هـ) ينظر أبو نعيم: حلية الأولياء ١/ ٢٥٥ - ٢٨٧ (٥٧١). الخطيب: تاريخ بغداد ٧/ ٢٤١ - ٢٤٩ (٣٧٣٩)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٣٧٣ - ٣٧٥ (١٤٤).

(٤) ثوبان بن إبراهيم المصري، الصوفي، الزاهد، الورع: وهو من رواة الموطأ (ت ٢٤٥هـ) ينظر: المصدران السابقان ٩/ ٣٣١ - ٣٩٥ (٤٥٦)، ٨/ ٣٩٣ - ٣٩٧ (٤٤٩٧).

وكلام النقاد، كابن مهدي، وأبي زرعة، فإنه يحمل على أن من يجهل هذا العلم لا يمكنه الإحاطة بطرائقه ومعارفه وعناصره، وعرض الدليل والبرهان يلزم منه وجود من يدركهما لأنها ثمرة هذه المعارف المتنوعة الشاملة وغير ذوي الاختصاص يكفيهم الحكم المتضمن صحة أو ضعفا أو بطلانا[١].

فإن حرصوا على المزيد فعليهم أن يسلكوا مسلك النقاد في إعداد الرصيد الكافي.

٢- من قواعد هذا العلم:

أ- السبيل إلى معرفة علة الحديث أن يجمع بين طرقه وينظر في اختلاف روايته ويعتبر بمكانهم من الحفظ ومنزلتهم في الإتقان والضبط[٢].

ب- وتدرك بتفرد الراوي وبمخالفة غيره له مع قرائن تنبه العارف على وهم بإرسال أو وقف... الخ[٣].

ج- تفتيش كتب العلل فأغلبها أسئلة وأجوبة وأن هذه الأسئلة والأجوبة تحمل حتماً في طياتها الحجة والبرهان.

ولا غرابة في هذا إذا عرفنا أن السائل هو من أهل هذا الفن والمختصين به، فالترمذي يسأل البخاري، وعبد الله بن أحمد يسأل أباه، وابن أبي حاتم يسأل أباه، وأبا زرعة، والبرذعي[٤] يسأل أبا زرعة، والبرقاني[٥]، والسهمي[٦]، يسألان الدار قطني وهكذا[٧].

قال ابن كثير[٨]:

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٢٤.

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٤٣.

(٣) ينظر الهروي: المصدر السابق ص ٤٨.

(٤) سعيد بن عمرو: أبو عثمان، الحافظ الناقد (ت ٢٩٢هـ) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٤٢ - ٧٤٤ (٧٤٢).

(٥) أحمد بن محمد بن أحمد، الإمام، شيخ الفقهاء والمحدثين، ثبت (ت ٤٢٥هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٤/ ٣٧٣ - ٣٧٦ (٢٢٤٧)، الذهبي: المصدر السابق ٣/ ١٠٧٤ - ١٠٧٦ (٩٨٠).

(٦) حمزة بن يوسف بن إبراهيم القرشي، الإمام، الحافظ (الثبت ت ٤٢٧هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٣/ ١٠٨٩ - ١٠٩١ (٩٩٠)، ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ٢٣١.

(٧) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٢٥ (مقدمة الدكتور همام).

(٨) الباعث الحثيث ص ٦١.

"فمن الأحاديث المروية ما عليه أنوار النبوة، وفيها ما وقع فيه تغير لفظ أو زيادة باطلة أو مجازفة أو نحو ذلك ويدركها البصير من أهل هذه الصناعة ".

وقد يكون التعليل مستفاداً من الإسناد، وبسط ذلك يطول جداً، وإنما يظهر بالعمل.

٣ـ الفرق بين علم الجرح والتعديل وعلم العلل:

هناك بعض الأمور يتبين من خلالها الفرق بين علم العلل وبين الجرح والتعديل وأهمها:

أ – أن علم الجرح والتعديل علم متخصص بالسند فقط، أي لا يتعدى إلى غيره كالمتن، بينما علم العلل علم يتعلق بالسند والمتن أو بهما جميعاً[(١)].

ب– أكثر موضوع علم العلل وأغلبه في أحاديث الثقات وذلك بخلاف علم الجرح والتعديل[(٢)].

ج– علم الجرح والتعديل، نقد أولي سهل ميسور، يهتم بالقوادح الظاهرة؛ كالضعف، والجهالة، والغفلة، وكثرة الخطأ، والفسق.

وأما علم العلل: فهو نقد ثانوي أعلى من سابقه وأدق[(٣)].

٤ـ أهميته وموضوعاته:

تأتي أهمية هذا العلم كونه من أدق وأوسع وأخفى أنواع الحديث دراية، بل لصعوبة مسالكه وتشعب طرقه خفي – كما يقول ابن كثير – على كثير من جهابذة علم الحديث[(٤)].

وكذلك لم يختص في هذا المجال إلا القليل من أئمة الحديث[(٥)] ولأهميته جعله العلماء علماً برأسه من بين علوم الحديث دراية.

قال الحاكم[(٦)]:

---

(١) ينظر: معرفة علوم الحديث ص ١١٢، المقدمة ص ٤٢ – ٤٣، جواهر الأصول ص ٤٨.

(٢) ينظر: المصدران السابقان ص ١١٣، ص ٤٢– ٤٣.

(٣) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٢٥.

(٤) أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٦٠.

(٥) ينظر: شرح نخبة الفكر ص ١٣٢.

(٦) معرفة علوم الحديث ص ١١٢.

"معرفة علل الحديث.. وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل".

بل أن الجهابذة من أئمة الحديث من أهل هذا الفن يرون أن العمل في هذا المجال أفضل بكثير من غيره من مجالات علوم الحديث الأخرى، فهذا عبد الرحمن بن مهدي وهو أحد أساتذة وكبار هذا الفن يقول[١]:

"لأن أعرف علّة حديث هو عندي أحب إليّ من أن أكتب عشرين حديثاً ليس عندي".

ومن أهميته أن موضوعه حديث الثقات والحفاظ الذي الأصل فيه الاحتجاج بأحاديثهم وقبولها.

ولولا هذا العلم لدخل واختلط السقيم بالصحيح، وما يدخل عن طريق الثقات قد لا يدخل عن طريق الضعفاء والمتروكين.

"وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل فإن الحديث المجروح ساقط واه.

وعلة الحديث يكثر في أحاديث الثقات، أن يحدثوا بحديث له علة فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولاً وبما أن معرفة القدح الخفي أو العلة الخفية من اختصاص هذا العلم فإذا وجد حديث أُعل بالجرح لكون راويه ضعيف أو منكر أو متروك الحديث، فيمكن إلحاقه بعلم العلل بسبب تلك القوادح إذا وردت في أحاديث الثقات كرواية؛ الزهري عن سليمان[٢] بن أرقم ورواية مالك عن عبد الكريم أبي أمية[٣] ورواية الشافعي عن إبراهيم بن أبي يحيى"[٤].

فرواية هؤلاء الأئمة الجهابذة عن هؤلاء الضعفاء توقع الكثيرين في العلة اعتماداً على تثبيت هؤلاء الأئمة ومكانة الزهري، ومالك، والشافعي، تخفي أمر هؤلاء المتروكين والضعفاء.

وقد يلتبس أمر راو ما على الحفاظ النقاد فيروي عنه، ويكون الحديث معلولاً بجهالة أمر هذا الراوي أو بنكارته ولا تدرك هذه الجهالة والنكارة إلا بمعرفة كبار النقاد.

---

(١) المصدر نفسه ص ١١٢ - ١١٣.

(٢) سليمان بن أرقم البصري، ضعيف من السابعة لم أقف على تاريخ وفاته ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ١٩٦ (٣٤٢٧)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٢١ (٤٠٩).

(٣) عبد الكريم أبو المخارق البصري، ضعيف (ت ١٢٧هـ) ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٦/ ٨٩، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٦٤٦ - ٦٤٧ (١٥٧٢).

(٤) الحاكم: المصدر السابق ص ١١٢ - ١١٣.

وهذا تخريج لوجود مثل هذه القوادح التي ذكرت في كتاب العلل[١].

وقد ذكر العلماء القوادح أو العلل التي تقع في أحاديث الثقات، قال ابن الصلاح[٢]:

"ولذا نجد في كتب علل الحديث؛ الكثير من الجرح بالكذب، والغفلة، وسوء الحفظ، ونحو ذلك من أنواع الجرح ".

أما مواضيعه: فكثيرة جداً حيث أنه يسع ويشمل:

معظم أنواع علوم الحديث؛ الإسنادية والمتنية من: انقطاع أو إرسال، أو إعضال، أو إدراج، أو قلب، أو اضطراب[٣].

٥ـ ميادينه وغايته.

بين أئمة الحديث أن ميدانه ومجاله أحاديث الثقات الجامعة لشروط الصحة من حيث الظاهر[٤].

يقول الإمام مسلم[٥]:

"وبعد.. فإن الناس متباينون في حفظهم لما يحفظون، وفي نقلهم لما ينقلون، فمنهم: الحافظ المتقن الحفظ، المتوقي لما يلزمه توقيه فيه.

ومنهم: المتساهل المشيب حفظه بتوهم يتوهمه أو تلقين يلقنه من غيره ومنهم من همته حفظ متون الأحاديث دون أسانيدها فيتهاون في حفظ الآثار يتخرصها من بعد فيحليها بالتوهم على قوم غير الذين أدى إليهم عنهم".

ثم يؤكد الإمام مسلم بأنه لا معصوم من الخطأ والزلل حتى ولو كان أحفظ أهل الأرض فيقول[٦]:

---

(١) ينظر ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٢٩ (مقدمة الدكتور همام).

(٢) المقدمة ص ٤٤.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٤٣، الهروي: جواهر الأصول ص ٤٨.

(٤) ينظر: المصدران السابقان بصفحاتها.

(٥) مسلم: التمييز، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، الطبعة الثالثة مكتبة الكوثر - المربع -السعودية ١٤١٠هـ ص ١٧.

(٦) المصدر نفسه ص ١٨.

"ومما ذكرت لك من منازلهم في الحفظ ومراتبهم فيه فليس من ناقل خبر وحامل أثر من السلف الماضين إلى زماننا وإن كان من أحفظ الناس وأشدهم توقياً وإتقاناً لما يحفظ وينقل إلا والغلط والسهو ممكن في حفظه ونقله".

وهذا النوع من النقد أوسع من الجرح والتعديل، لأن الجرح والتعديل ينتهي بكلمة أو سطر أو صفحة، أو مجموعة من الأقوال في الرجل موضع الجرح والتعديل.

أما العلل فإنه يواكب الثقة في حله وترحاله، وأحاديثه عن كل شيخ من شيوخه، ومتى ضبط ومتى نسي، وكيف تحمل وكيف أدى(١).

وغاية هذا العلم:

هو كشف ما خفي على كثير من أئمة الحديث(٢) أو بعبارة أخرى: كشف ما يعتري هؤلاء الثقات من الخطأ والوهم(٣).

من أوهام الثقات:

مثال العلّة في الإسناد:

فمما وقعت العلة في إسناده من غير قدح في المتن. ما رواه الثقة يعلى بن عبيد الطنافسي(٤) عن سفيان الثوري، عن عمرو بن دينار عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال(٥): (الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ...) الحديث.

---

(١) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٦.

(٢) ينظر أحمد شاكر: المصدر السابق ص ٦٠.

(٣) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٢٥.

(٤) يعلى بن عبيد الطنافسي، أبو يوسف الكوفي الحافظ (ت٢٠٩هـ) قال عنه ابن: معين ثقة، وقال البخاري: كان يعلى يحفظ عامة حديثه أو جميعه ... وقال ابن معين هو ضعيف في سفيان الثوري: ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٥٨، وهذه الميزة الدقيقة التي امتاز بها أئمة الحديث نادر في الوجود في عالم النقد، حيث أنك تجد أنهم تتبعوا رواياته عمن روى عنهم، فوجدوه أنه لا يخطئ إلا في روايته عن سفيان الثوري فلذلك قالوا فيه: وهو ضعيف في سفيان.

(٥) تكملة الحديث (ما لم يتفرقا - أو قال حتى يتفرقا - فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما) صحيح البخاري ٢/ ٧٣٢ (١٩٧٣)، فتح الباري ٤/ ٣٠٩ (٢٠٧٩).

فهذا الإسناد متصل بنقل العدل، وهو معلل غير صحيح، والمتن على كل حال صحيح.

والعلة في قوله: عن عمرو بن دينار، إنما هو: عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، هكذا رواه الأئمة من أصحاب سفيان عنه فوهم يعلى بن عبيد وعدل عن عبد الله بن دينار إلى عمرو بن دينار، وكلاهما ثقة[١].

مثال العلة في المتن:

ما رواه مسلم في حديث أنس من اللفظ المصرح بنفي قراءة (بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

فعلل قوم رواية اللفظ المذكور لما رأوا الأكثرين إنما قالوا فيه:

(فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ الْقِرَاءَةَ بِـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾) من غير تعرض لذكر البسملة، وهو الذي اتفق البخاري ومسلم على إخراجه في الصحيح[٢].

ورأوا أن من رواه باللفظ المذكور رواه بالمعنى الذي وقع له.

ففهم من قوله:

كانوا يستفتحون بالحمد لله أنهم كانوا لا يبسملون، فرواه على فهم، وأخطأ.

لأن معناه: أن السورة التي كانوا يفتتحون بها من السور هي الفاتحة وليس فيه تعرض لذكر التسمية، وانضم إلى ذلك أمور، منها أنه ثبت عن أنس أنه سئل عن الافتتاح بالتسمية:

فذكر أنه لا يحفظ فيه شيئاً عن رسول الله ﷺ[٣].

٦ـ أشهر العلماء والكتب في هذا الفن:

هيأ الله تعالى لهذا العلم كغيره من علوم الحديث علماء أجلاء جهابذة نقاد، مع قلتهم وندرتهم استطاعوا أن يعبدوا الطريق ويوضحوا السبيل لمن يريد فهم العلل.

"وإنما حملنا على ما بينا في هذا الكتاب من قول الفقهاء، وعلل الحديث لأنا سئلنا ذلك فلم نفعله زماناً، ثم فعلنا لما رجونا فيه من منفعة الناس لأنا وجدنا غير واحد من الأئمة تكلفوا من

---

(١) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٤٣، الهروي: المصدر السابق ص ٤٨.

(٢) ينظر ابن حجر: فتح الباري ٢/ ٢٢٦ - ٢٢٧ (٧٤٣)، النووي: شرح صحيح مسلم ٤/ ١١١.

(٣) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ٤٣ - ٤٤.

التصنيف ما لم يسبقوا إليه"[(١)].

ثم يعدهم ابن رجب واحداً واحداً ويقول: .... ومن هؤلاء الأئمة الذين صنفوا في العلل من المتقدمين والمتأخرين[(٢)].

(١) شرح علل الترمذي ١/ ٣٤٠.

(٢) يبدوا أن هناك بعض المحاولات الجدية من قبل أئمة الحديث، منذ زمن بعيد، (محاولات سابقة) لتطبيق مناهج المحدثين على الروايات التاريخية ومنها - علم العلل - فقد ذكر إسماعيل باشا البابان، أن محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ) ألّف كتاباً قيماً ونادراً في علل التاريخ وسماه (علل إوهام أصحاب التواريخ) وهذا الكتاب لا نعرف عنه شيئاً كثيراً، لكن عنوانه دال على محتواه - وهو - كما يذكر - في عشرة أجزاء، ولعله إذا عثر عليه، يفتح علينا آفاقاً واسعة في النقد التاريخي وهناك محاولتان أخريان في هذا المجال أولهما: من قبل الإمام يحيى بن معين، حيث ألف كتاباً في هذا المجال وسماه (التاريخ والعلل) وقد اطلع الدكتور همام عبد الرحيم على هذه المخطوطة.

وثانيهما من قبل: أبو زرعة الدمشقي حيث ألف كتابا باسم (التاريخ وعلل الرجال) ولا نعرف شيئاً كثيراً أيضاً عن هذا الكتاب في عداد الموجودات أم المفقودات؟ ينظر البغدادي: إسماعيل باشا البابان، هدية العارفين، دار الفكر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م (مطبوع مع كشف الظنون) ٢/ ٤٥، الزركلي: الأعلام ٦/ ٣٠٦، ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٢ - ٣٥، وينظر عن تراجم هؤلاء الأئمة الملحق رقم (٣).

المبحث الثاني
معرفة العلة، أسبابها، والكشف عنها

١- معرفة العلة:

بينا فيما سبق صعوبة معرفة علل الحديث وما قال العلماء في ذلك وهنا نضيف أن الفهم الدقيق والمعرفة الزائدة وكثرة المذاكرة مع علماء هذا الشأن وطول الممارسة، وجمع طرق رواية الخبر كل هذه العناصر تساعد الناقد في علم العلل للوقوف على علة الخبر.

"الباحث في علم العلل يحتاج ملكة علمية متعددة الجوانب، كثيرة العناصر، تمتاز بالشمول والتكامل "(١).

وليس لهذا العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفن والمعرفة ليظهر ما يخفى من علة الحديث(٢).

والفهم والمعرفة معنيان زائدان على العلم قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

و يوضح ابن رجب ذلك، بقوله (٣):

"الوجه الثاني في معرفة مراتب الثقات وترجيح بعضهم على بعض عند الاختلاف إما في الإسناد وإما في الوصل والإرسال، وإما في الوقف والرفع، ونحو ذلك، وهذا الذي يحصل من معرفته، وإتقانه وكثرة ممارسة الوقوف على دقائق علم العلل، ونحن نذكر - إن شاء الله تعالى - من هذا العلم كلمات جامعة مختصرة يسهل بها معرفته وفهمه لمن أراد الله تعالى به ذلك، ولأن في هذا العلم من طول الممارسة، وكثرة المذاكرة، فإن عَدَمَ المذاكرةَ بِه، فَلْيُكْثِر طالِبه المطالعة في كلام الأئمة العارفين كيحيى والقطان، ومن تلقى عنه كأحمد وابن المديني، فمن رزق مطالعة ذلك وفهمه وفقهت نفسه وصارت له فيه قوة نفس وملكة صلح له أن يتكلم فيه".

---

(١) المصدر نفسه ١/ ١٢٧.

(٢) ينظر الحاكم: المصدر السابق ص ٦٠.

(٣) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٦٦٤.

مُلَخَّصُ أوجه علل الحديث بعد استنباطها من أئمة الفن:

أ- جمع المحدث الناقد؛ روايات الحديث الواحد، والموازنة بينها سنداً، ومتناً، فاختلافها واتفاقها يرشد الباحث إلى ذلك، وهو مواطن العلة، وهذا الطريق هو الأكثر شيوعاً واتباعاً عند أئمة الحديث، وقد يحتاج إلى جمع أحاديث الباب كله، ويحتاج مع ذلك إلى سرعة البديهة والذكاء.

ب- موازنة نسق الرواة في الإسناد بمواقعهم في عامة الأسانيد فيتبين منه أن تسلسل هذا الإسناد تفرد عن المعروف من رواته في الأسانيد مما ينبه إلى علة خفية، وإن كانت هذه العلة يصعب تعيينها، وهذا أمر لا يدرك، إلا بالحفظ التام والتيقظ الدقيق وسرعة الاستحضار، الخاطف لجمل الأسانيد.

ج- أن ينص على علة الحديث، أو القدح فيه أنه معلل أمام من أئمة الحديث المعروفين بالغوص في هذا الشأن، فإنهم الأطباء الخبيرون بهذه الأمور الدقيقة[١].

٢- أسباب العلة:

أسباب تؤدي إلى حدوث العلة في الخبر منها:

السبب العام:

وهو الذي يدخل منه أكثر العلل، وهو: القصور والضعف البشري، فإن الإنسان مهما بلغ، نبياً كان أو غير نبي فإن الضعف يصاحبه، لأن الله تعالى وصفه بذلك في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء: ٢٨].

وقال أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه: ١١٥].

كما أن رسول الله ﷺ وهو سيد البشرية يصف نفسه بأنه بشر مثلهم يعتريه الضعف البشري مثلما يعتري أي بشر فيقول ﷺ[٢]:

(إنما أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فإذا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي).

---

(١) ينظر نور الدين عتر: منهج النقد في علوم الحديث ص ٤٥٢ - ٤٥٣، البشير: ضوابط الرواية ص ١٩٧ - ١٩٨.

(٢) تكملة الحديث (فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحرى الصواب، فليتم عليه ثم ليسلم ثم يسجد سجدتين) صحيح البخاري ١/ ١٥٦ (٣٩٢)، صحيح مسلم ١/ ٤٠٠ (٥٧٢) واللفظ له، فتح الباري ١/ ٥٠٣ (٤٠١)، شرح صحيح مسلم ٥/ ٦٦، ابن ماجه: السنن ١/ ٣٨٠ (١٢٠٣).

فإذا كان الأنبياء عليهم السلام يتعرضون لهذا الضعف البشري فغيرهم أولى بذلك، لذلك دخل الوهم والخطأ على الصحابة والتابعين والأئمة الكبار وهذا معروف لمن يتابع كتب التراجم وطبقات المحدّثين.

قال الحافظ ابن حجر [١]:

"قال ابن المبارك: من ذا يسلم من الوهم ؟".

وقال ابن معين [٢]:

"لست أعجب ممن يحدث فيخطئ، وإنما أعجب ممن يحدث فيصيب، وقال أيضاً: لو لم نكتب الحديث خمسين مرة ما عرفناه".

وقال الحافظ ابن رجب [٣]:

"إنما تفاضل أهل العلم بالحفظ والإتقان والتثبت عند السماع، مع أنه لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمة مع حفظهم".

وبعد أن سرد أسماء عدد كبير من الحفاظ المتقنين يقول [٤]:

"والكلام في هذا والرواية عن أهل العلم تكثر، وإنما بينا شيئاً على الاختصار، ليستدل به على منازل أهل العلم وتفاضل بعضهم على بعض في الحفظ والإتقان، ومن تكلم فيه من أهل العلم لأي شيء تكلم فيه".

والحد الفاصل بين هذا المرض العام الذي يصاحب البشر بأكمله هو أن الضبط: أن يكون حفظه لما يسمعه أرجح من عدم حفظه وذكره له أرجح من سهوه، فلا يضره طروء النسيان والسهو والوهم أحياناً فإن هذا لا يخلو منه أحد [٥].

"أما النظر إلى الضبط والحفظ فلا يدخل للصحبة فيه، فقد استفاض أن بعض الصحابة أحفظ من بعض.

---

(١) ينظر: لسان الميزان ١/ ١٧ - ١٨.

(٢) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣٠.

(٣) ينظر: شرح علل الترمذي ١/ ٤٣١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٤٣٥.

(٥) ينظر الآمدي: الأحكام في أصول الأحكام ٢/ ٦٧.

وإن بعضهم نسي وقد يكون غير صحابي أحفظ من صحابي وقد كان أنس يقول[١]: سلو الحسن - أي البصري - فإنه حفظ ونسينا[٢]".

وهنا نضرب مثالاً واقعياً لإوهام أحد الثقات الكبار وهو: شعبة بن الحجاج، أمير المؤمنين في الحديث لكنه لم يخل من الأوهام مع جلالة قدره.

مثال:

أخرج الترمذي في العلل الكبير[٣] قال: حدثنا محمود[٤] بن غيلان قال (أنا) أبو داود قال (أنا) شعبة قال (أنا) عبد ربه بن سعيد[٥]، قال: سمعت أنس بن أبي أنس[٦]، عن عبد الله بن نافع بن العمياء[٧]، عن عبد الله بن الحارث بن المطلب[٨]، أن رسول الله ﷺ قال[٩]:

« الصَّلاَةُ مَثْنَى مَثْنَى أَنْ تَشَهَّدَ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَأَنْ تَبَاءَسَ وَتَمَسْكَنَ وَتُقْنِعَ بِيَدَيْكَ وَتَقُولَ اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ ».

وقال الليث:

(أنا) عبد ربه بن سعيد، عن عمران ابن أبي أنس، عن عبد الله بن نافع بن العمياء، عن

---

(١) قواعد في علوم الحديث ص ٢٤٢ هامش (٢).

(٢) ينظر: تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٤.

(٣) ينظر الترمذي: العلل الكبير، مخطوطة (أحمد الثالث) رقم المخطوطة ٥٣٠ لوحة ١٦/أ.

(٤) محمود بن غيلان المروزي، الحافظ، محدث مرو، ثقة، امتحن في فتنة خلق القرآن (ت ٢٣٩هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٨، تهذيب التهذيب ١٠/ ٦٤ - ٦٥ (١٠٩).

(٥) ابن قيس الأنصاري، ثقة (ت ١٣٩هـ وقيل ١٤٢هـ) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤٧٠ (٨٤٦) الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٢٢٣.

(٦) الصحيح أن اسمه عمران بن أبي أنس - وهو وهم من شعبة - القرشي، ثقة (ت ١١٧هـ) ينظر:تقريب التهذيب١/ ٨٤ (٦٤٠).

(٧) ربما قيل: ابن نافع بن العمياء، مجهول، لا يصح حديثه لم اقف على تاريخ وفاته، ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٥١٢ (٤٦٤٤) ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤٥٦ (٦٨٥).

(٨) وصوابه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي - وهو وهم من شعبة كما بينه الترمذي في المتن - له صحبة (ت ٢٣هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٥٠٥ - ٥٠٦، ابن حجر: الإصابة ١/ ٥٠٦ (٢٥٩٢).

(٩) أبو داود: السنن ٢/ ٢٩ (١٢٩٦) ورواه عدد كبير من أئمة الحديث أيضاً.

ربيعة بن الحارث، عن الفضل بن العباس، سمعت محمد بن إسماعيل[1] يقول: رواية الليث بن سعد أصلح من حديث شعبة، وشعبة أخطأ في هذا الحديث في مواضع:

فقال: عن أنس ابن أبي أنس، وإنما هو: عمران ابن أبي أنس.

وقال: عن عبد الله بن الحارث، وإنما هو: عبد الله بن نافع.

عن ربيعة بن الحارث، وربيعة ابن الحارث هو: ابن المطلب، فقال هو المطلب، ولم يذكر فيه عن الفضل بن العباس[2].

هذه أوهام لشعبة ذكرها البخاري على سؤال الترمذي له، وفيها بيان لأخطاء الثقات، ولو كانوا بمنزلة شعبة.

هكذا تتبع أئمة الحديث روايات الثقات من الأئمة وأنقذوها ونقحوها من الأوهام البسيطة التي لا تضر، فما بالك لو تتبعنا غيرهم ممن هم أدنى درجة من شعبة ؟!.

حفاظ من أهل الصدق، والعدل، لكن يقع الوهن في حديثهم كثيراً:

لكن كما قال ابن رجب[3]:

"ليس هو الغالب عليهم".

اختلف العلماء في الرواية عن هؤلاء، فمنهم من ترك حديث هؤلاء مثل: يحيى بن سعيد القطان.

وجمهور العلماء من أئمة الحديث قبلوا حديثهم ورووا عنهم[4]، في السنن والصحاح، ومنهم الإمام مسلم[5].

وهذا ليس معناه أن يقبل حديث هؤلاء الثقات الذين يكثر الخطأ في حديثهم على علاته، بل بعد تمييزه.

---

(١) أي البخاري.

(٢) الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، وبه كان يكنى أبوه، غزا مع النبي ﷺ مكة وحنيناً وغيرها، توفي على الصحيح في خلافة الصديق ينظر ابن عبد البر: المصدر السابق ٣/ ٢٠٨ - ٢١٠، ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ٢٠٨ - ٢٠٩ (٧٠٠٣).

(٣) شرح علل الترمذي ١/ ٩٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٩٩.

(٥) ينظر: شرح صحيح مسلم ١/ ٥٩.

وقد ميزه كتب العلل، ومن هؤلاء عدد ذكرهم ابن رجب بالتفصيل[(١)]، ومنهم على سبيل المثال: ما ذكر الترمذي في علله[(٢)] قال حدثنا علي بن نصر الجهضمي[(٣)] (نا) بشر بن عمر[(٤)] (نا) شعيب بن زريق أبو شيبة[(٥)]، قال: حدثنا عطاء الخراساني[(٦)]، عن عطاء ابن أبي رباح[(٧)]، عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول[(٨)]:

«عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبِيلِ الله».

سألت محمداً[(٩)] عن هذا الحديث فقال:

شعيب بن زريق، مقارب الحديث، ولكن الشأن في عطاء الخراساني، ما أعرف لمالك بن أنس رجلاً يروي عن مالك يستحق أن يترك غير عطاء الخراساني قلت له: ما شأنه ؟ قال: عامة أحاديثه مقلوبة.

الاختلاط أو الآفة العقلية:

والاختلاط: آفة عقلية تورث فساداً في الإدراك، وتصيب الإنسان في آخر عمره، أو تعرض

---

(١) ينظر: المصدر السابق ١/ ٤٠٣ - ٤٠٧.

(٢) العلل الكبير لوحة ١٣/ ب.

(٣) البصري: الصغير: ثقة (ت ٢٥٠هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٤١ (٥٦٠)، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٩٠ - ٣٩١ (٦٣١) ويبدوا أن أحد نساخ الذهبي قد وهم وأرخ وفاته (١٨٧هـ) وتابعه على ذلك ابن عماد. ينظر: العبر: ١/ ٢٣٠، شذرات الذهب ١/ ٣١٦.

(٤) ابن الحكم البصري، ثقة (ت ٢٠٧هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤٥٥ - ٤٥٦ (٨٣٧)، ابن عماد: المصدر السابق ٢/ ١٨.

(٥) الشامي: اختلف فيه، وتوثيقه أولى، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٣٥٣ (٥٩٢)، الخزرجي: خلاصة التهذيب ص ١٦٧.

(٦) ابن أبي مسلم، أبو أيوب البلخي روى عن الصحابة مرسلاً كان زاهداً، عابداً، ثقة (ت ١٣٥هـ) ينظر ابن الجوزي: صفة الصفوة ٤/ ١٥٠ - ١٥٢ (٧٠٠) ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٢١٢ - ٢١٥ (٣٩٤).

(٧) واسم أبي رباح أسلم، المحدث، القدوة، العلم، الزاهد العابد الإمام (ت ١١٤هـ) ينظر: ابن الجوزي: المصدر السابق ٢/ ٢١١ - ٢١٤ (٢٠٩)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٩٨ (٩٠).

(٨) الترمذي: السنن ٤/ ١٥٠ (١٦٣٩).

(٩) أي البخاري، ومقارب الحديث بفتح الراء حديثه يقارب حديث غيره من الثقات، وبالكسر: أن حديثه مقارب لحديث غيره من الثقات ينظر السخاوي: فتح المغيث ص ١٥٨.

له بسبب حادث ما، كفقد عزيز أو ضياع مال، ومن تصيبه هذه الآفة لكبر سنه يقال فيه اختلط بآخره[١].

وقد يختلط أحد المشاهير من الثقات لسبب[٢] من الأسباب المذكورة وهذا يكلف علماء العلل جهداً كبيراً للكشف عنه، وهذا الأمر يفرض على نقاد هذا الفن أن يتابعوا المحدث المختلط في جميع ظروفه وأوقاته إلى وفاته لكي يميزوا الساعات والأوقات التي حصل فيها الاختلاط.

وقد راقب أئمة الحديث هؤلاء بدقة بالغة بحيث لا تجد لأمة من الأمم قديمها وحديثها من بذل الجهد لمعرفة رواة أخبارها ونقلة تاريخها واعتنى بهم هذه العناية الفائقة مثل أمة الإسلام.

تصنيف أئمة الحديث المختلطين إلى أصناف[٣]:

١ - ذكر اسم المختلط ونسبه وكنيته وموطنه.

٢ - بيان أقسام الرواة عنه: الذين رووا عنه قبل اختلاطه، الذين رووا عنه بعد اختلاط،

---

(١) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٠٣، ابن منظور: لسان العرب ١/ ٨٨٠.

(٢) ذكر الخطيب عن أبي عمر الحوضي يقول: دخلت على سعيد بن أبي عروبة وأنا أريد أن أسمع منه فلما رآني قال: الأزد عريضة ذبحوا شاة مريضة، أطعموني فابيت، ضربوني فبكيت، فعلمت أنه مختلط، فلم أسمع منه شيئاً ينظر: الكفاية ص ٢١٦، وينظر عن اختلاطه، العلائي: صلاح الدين، خليل بن سيف الدين (ت٧٦١هـ / ١٣٦٠م) كتاب المختلطين، تحقيق:رفعت فوزي وعلي عبد الباسط، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٩٦ م ص٤١، الطرابلسي: إبراهيم بن محمد (ت٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) من رمي بالاختلاط، تحقيق: علي حسن علي، الوكالة العربية - الزرقاء ص٥٩.

(٣) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٣٧ - ٧٣٨ قال البرذعي: سألت أبا زرعة الرازي قلت له: قرة بن حبيب تغير ؟ قال: نعم كنا أنكرناه بآخره غير أنه كان لا يحدث إلا من كتابه، ولا يحدث حتى يحضر ابنه، ثم تبسم فقلت: لم تبسمت ؟.

قال: أتيته ذات يوم وأبو حاتم فقرعنا عليه الباب، واستأذنا عليه فدنا من الباب ليفتح لنا فإذا ابنته قد لحقت، وقالت يا أبت، أن هؤلاء أصحاب الحديث فلا آمن أن يغلطوك أو أن يدخلوا عليك ما ليس من حديثك فلا تخرج إليهم حتى يجيء أخي، تعني علي بن قرة، فقال لها: أنا أحفظ فلا أمكنهم ذاك، فقالت لست أدعك تخرج إليهم فاني لا آمنهم عليك. فما زال قرة يجتهد ويحتج عليها بالخروج، وهي تمنعه وتحتج عليه في ترك الخروج إلى أن يجيء علي بن قرة حتى غلبت عليه ولم تدعه، قال أبو زرعة: وانصرفنا وقعدنا حتى وافى ابنه علي.. قال أبو: زرعة فجعلت أعجب من صرامتها، وصيانتها أباها.

ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٠٤.

الذين رووا عنه قبل الاختلاط وبعده ولم يميزوا هذا من هذا، الذين رووا عنه قبل اختلاطه وبعده وميزوا هذا من هذا.

٣- ذكر ضابط التمييز بين السماع قبل الاختلاط وبعده[١]: ويلحق بذلك خفة الضبط بالأسباب العارضة[٢] كمن كان يتحدث عن كتبه فإذا ضاع الكتاب أو احترق أو أضر الراوي[٣] فهو يخل بضبطه ويعتبر مختلطاً.

قال الخطيب[٤]:

"لا غنى لصاحب الحديث عن ثلاث: صدق، وحفظ، وصحة كتب، فإن كانت فيه اثنتان وأخطأت واحدة لم يضره، أن كان صدق، وصحة كتب، ولم يحفظ ورجع إلى كتب صحيحة لم يضره".

ومثال ذلك: عبد الله بن لهيعة[٥]، قال الذهبي وغيره:

احترقت كتب ابن لهيعة سنة سبعين ومائة، قال ابن خراش: كان يكتب حديثه، احترقت كتبه فكان من جاء بشيء قرأه عليه، حتى لو وضع أحد حديثاً وجاء به إليه قراه عليه،

قال الخطيب:

" فمن ثم كثرت المناكير في روايته لتساهله".

---

(١) وضرب ابن رجب مثلاً لذلك فقال:عطاء بن السائب: قد اختلفوا في ضابط من سمع منه قديماً ومن سمع منه بآخره. فمنهم من قال: من سمع منه بالكوفة فسماعه صحيح ومن سمع منه بالبصرة فسماعه ضعيف. ومنهم من قال دخل عطاء البصرة مرتين فمن سمع منه بالمرة الأولى فسماعه صحيح ومنهم الحمادان، والدستوائي، ومن سمع منه في المقدمة الثانية فسماعه ضعيف، منهم وهيب، وإسماعيل بن علية، ومنهم من قال: إن حدث عطاء عن رجل واحد فحديثه جيد وإن حدث عن جماعة فحديثه ضعيف. وهو ضابط التمييز عن شعبة بالنسبة لروايات عطاء ومنهم من قال: حديث شعبة وسفيان عنه صحيح لأنه قبل الاختلاط. ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٧٣٦ - ٧٣٧.

(٢) ينظر السخاوي: فتح الغيث ٣/ ٣٣١.

(٣) أضر: يعني عمي، ينظر: لسان العرب ٢/ ٥٢٥.

(٤) الكفاية/ ٣٤٠ - ٣٤١.

(٥) عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي، قاضي مصر وعالمها، أجمع العلماء على خفة ضبطه قبل موته بسنتين (ت ١٧٤هـ) ينظر الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ٣٦٨ - ٣٧٠ : ميزان الاعتدال ٢/ ٤٧٥ - ٤٨٣ (٤٥٣٠)، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٧٣ - ٣٧٩ (٦٤٨).

وقال يحيى بن حسان[١]:

" رأيت مع قوم جزءاً سمعوه من ابن لهيعة فنظرت فإذا ليس هو من حديثه فجئت إليه فقال: ما أصنع ؟ يجيؤن بكتاب فيقولون: هذا من حديثك فأحدثهم "[٢].

ومن أسباب خفة الضبط أيضاً الانشغال عن العلم حفظاً وكتابة وضبطاً كمن اشتغل بقضاء أو يأتي عمل آخر يلهيه عن العلم ومثال ذلك:

شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ الله النَّخَعِيِّ[٣]: فقد ولي واسط سنة (١٥٥هـ) قال عنه العجلي: بعد ما ذكر أنه ثقة - وكان صحيح القضاء ومن سمع منه قديماً فحديثه صحيح، ومن سمع منه بعد ما ولي القضاء ففي سماعه بعض الاختلاط.

وقال صالح جزرة:

صدوق لما ولي القضاء اضطرب حفظه[٤].

وكذلك من فقد بصره من الثقات، وكان يعتمد على كتبه فمن هؤلاء عبد الرزاق بن همام، فقد ضعف حديثه بعد فقد بصره.

قال ابن رجب[٥]:

"قال الإمام أحمد: عبد الرزاق لا يعبأ بحديث من سمع منه وقد ذهب بصره، كان يلقن أحاديث باطلة وقد حدث عن الزهري بأحاديث كتبناها من أهل كتابه جاء بخلافها".

قال ابن حجر[٦]:

".. هؤلاء سمعوا بعد ما عمي. كان يلقن فلقنه، وليس هو في كتبه، كان يلقنها بعد ما عمي".

وكان قبل ذلك من كبار الحفاظ المعتمدين.

---

(١) ابن حيان البصري ثقة مأمون (ت ٢٠٨هـ) ينظر: العبر في خبر من غبر ١/ ٢٧٩، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ١٩٧ (٣٣٤).

(٢) ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٤٨٢، ابن حجر المصدر السابق ٥/ ٣٧٨.

(٣) القاضي (ت ١٨٨هـ) ينظر: وكيع: أخبار القضاة ٣/ ١٤٩ - ١٧٥، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٢٧٠ - ٢٧٤ (٣٦٩٧).

(٤) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٣٣٦.

(٥) شرح علل الترمذي ٢/ ٧٥٢.

(٦) تهذيب التهذيب ٦ / ٣١٢.

روى الخطيب بإسناده عن إسحاق بن أبي إسرائيل[١] قال [٢]: "كان أصحاب الحديث يلقنون عبد الرزاق من كتبهم فيختلفون في الشيء فيقول لي: كيف في كتابك ؟ فإذا أخبرته صار إليه لما يعرف أنني كنت أتعب في تصحيحها".

قصر الصحبة للشيخ وقلة الممارسة لحديثه:

قسّمَ النقادُ الرواةَ، عن شيخٍ ما، إلى فئات عديدة، فمنهم: الأطول صحبة ومنهم الأقصر، ومنهم الأكثر ممارسة والأقل، ومنهم من اعتنى بصورة فائقة باختيار أكثر رجاله من بين الأوثق والأطول صحبة.

ومن أجل ذلك نرى أئمة الحديث، جعلوا من روى عن شيخ واحد طبقات.

على سبيل المثال: الرواة الذين رووا عن الزهري قسمهم العلماء إلى خمس طبقات وفي كل طبقة منها مزية على التي تليها وتفاوت[٣].

الطبقة الأولى:

جمعت الحفظ والإتقان وطول الصحبة للزهري والعلم بحديثه، والضبط له:

كمالك، ابن عيينة، عبيد الله[٤] بن عمر، معمر، يونس[٥]، عقيل[٦]، شعيب[٧]، وغيرهم، وهؤلاء متفق على تخريج حديثهم عن الزهري، وقد خرج البخاري عن هذه الطبقة لأنها الغاية في الصحة.

---

(١) إسحاق بن إبراهيم بن كامجرا المروزي، صدوق تكلم فيه لوقفه في القرآن (ت ٢٤٥هـ) ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٥٥ (٣٨٠) الخزرجي: المصدر السابق ص ٢٧.

(٢) الكفاية ص ٣٧٩.

(٣) ينظر الحازمي: شروط الأئمة الخمسة ص ٥٧ - ٦٠، ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٦١٣ - ٦١٤.

(٤) عبيد الله بن عبد الله بن عمر - ربما نسبته إلى عمر وهم من أحد النساخ - ثقة (ت ١٠٦هـ) ينظر: العبر ١/ ٩٨، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٥ (٥٢).

(٥) يونس بن يزيد الأيلي، من كبار أصحاب الزهري (ت ١٥٩هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٢ (١٥٦) ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ٤٥٠ - ٤٥٢ (٧٦٩).

(٦) عقيل بن خالد الأيلي من كبار أصحاب الزهري ثقة حافظ (ت ١٤٢هـ) ينظر ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار، تصحيح فلا يشهمر، لجنة التأليف - القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م ص ١٨٣، الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٦١ - ١٦٢ (١٥٥).

(٧) شعيب بن دينار أبو بشر الحمصي، الإمام، الحجة، المتقن (ت ١٦٢هـ) ينظر ابن حبان: المصدر السابق ص ١٨٢، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٢١ - ٢٢٢ (٢٠٧).

الطبقة الثانية:

شاركت الأولى في العدالة غير أن الأولى جمعت بين الحفظ والإتقان وبين طول الملازمة للزهري وهؤلاء دون الأولى: كالأوزاعي والليث، وهو شرط مسلم.

الطبقة الثالثة:

لازموا الزهري وصحبوه ولكن تكلم في حفظهم، ولم يسلموا من غوائل الجرح: كسفيان بن حسين[١]، ومحمد بن إسحاق، وهو شرط أبي داود والنسائي.

الطبقة الرابعة:

قوم رووا عن الزهري من غير ملازمة، ولا طول صحبة ومع ذلك تكلم فيهم: مثل إسحاق بن أبي فروة، وهو شرط الترمذي وقد يخرج الترمذي لبعضهم.

الطبقة الخامسة:

قوم من الضعفاء والمجهولين، ولا يجوز تخريج أحاديثهم إلا على سبيل الاعتبار والاستشهاد وعند أبي داود فمن دونه مثل: بَحْرِ بْنِ كَنِيزٍ السَّقَّا[٢]، والحكم بن عبد الله الأَيْلِيُّ[٣]، وعبد القدوس بن حبيب الدمشقي[٤] وغيرهم.

وإن طول الخبرة والممارسة لأهل هذا الفن جعلهم أن يلحقوا الأشباه بالأشباه، فكثيراً ما نقرأ لهم: ليس هذا الحديث من حديث فلان أو هذا الحديث أشبه بفلان[٥].

---

(١) ابن الحسن: صدوق مشهور، له أوهام عن الزهري، استشهد به الشيخان من غير حديثه عن الزهري توفي في خلافة الرشيد، ينظر: الذهبي: ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق ص ٨٩ (١٣٧)، ميزان الاعتدال ٢/ ١٦٥ - ١٦٨ (٣٣١١).

(٢) أبو الفضل البصري ضعيف (ت ١٦٠هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٩٨ (١١٢٧)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٩٣ (٥).

(٣) متروك الحديث: لم أعثر على تاريخ وفاته، ينظر: ابن حبان: المجروحين من المحدثين ١/ ٢٤٨، الذهبي: المغني ١/ ١٨٣.

(٤) الكلاعي متروك الحديث لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٦/ ١١٩، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ١٦٤ (٣٩٨).

(٥) ينظر ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ١١٥.

وقد ترفع ذلك الراوي من رتبة الصدوق إلى رتبة ثقة، أو أوثق الناس في هذا الشيخ[١].

فحماد بن سلمة معروف بكثرة الوهم والخطأ، لكن حديثه عن شيخه ثابت يعتبر النقاد أنه أوثق الناس فيه[٢].

اختصار الحديث أو روايته بالمعنى:

رواية الحديث باللفظ أو بالمعنى مسألة خلافية معروفة بين أئمة الحديث وغيرهم وقد رأى الجمهور من المحدثين والفقهاء وغيرهم أن الرواية بالمعنى جائزة[٣]، وقد يسبب عدم فهم اللغة أو إحالة اللفظ إلى المعنى، أو عدم إدراك المراد من الحديث اضطراباً وعلة[٤].

وقد ضرب ابن رجب أمثلة كثيرة على ذلك منها: روى بعضهم حديث: (إذا قَرَأَ الإِمَامُ فَأَنْصِتُوا) بما فهمه من المعنى فقال[٥]: إذا قرأ الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧]. فأنصتوا، فحمله على فراغه من القراءة، لا على شروعه فيها.

وروى بعضهم حديث[٦]:

(كُنَّا نُؤَدِّيهِ على عهد رسول الله ﷺ).

يريد زكاة الفطر فصحف كُنَّا نُؤَدِّيهِ فقال: كُنَّا نُوَرِّثُهُ، ثم فسره من عنده فقال: يَعْنِي: الْجَدَّ[٧].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١١٥.

(٢) ينظر ابن أبي حاتم: العلل، (المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٤٣هـ) ٢/ ١٢.

(٣) ينظر: الكفاية ص ٣٠٠ - ٣٠١، الإلماع ص ١٧٨، تدريب الراوي ٢/ ٩٨ - ١٠٣.

(٤) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٣٠٠ وينظر الأدلة على جواز ذلك، المصدر نفسه ص ٣٠١ - ٣٠٦، وينظر كذلك ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٤٢٧.

(٥) أبو داود: السنن ١/ ١٦٢ (٦٠٤)، ابن ماجة: السنن: ١/ ٢٧٦ (٨٤٦ - ٨٤٧)، النسائي: السنن ٢/ ١٤٢.

(٦) أبو داود: المصدر السابق ٢/ ١١٤ - ١١٥ (١٦١٠ - ١٦١٢)

(٧) ينظر ابن أبي حاتم: العلل ٢/ ٥٢، وينظر أيضاً ابن حجر: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٧/ ٥٠٠ (١٥٣٣) إتحاف الخيرة المهرة ٣/ ٤٣٩ (٣٠٤٩) وقال: حَكَمَ شَيْخُنَا أبو الْحَسَنِ الْهَيْثَمِيُّ الْحَافِظُ لَهُ بِالصِّحَةِ، لِجَوْدَةِ الإسناد، وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَى هَذِهِ الْعِلَّةِ الْقَادِحَةِ.

تدليس الثقات:

التدليس قسمان:

أـ تدليس الإسناد:

وهو: أن يروي عمن لقيه ما لم يسمعه منه موهماً أنه سمعه منه، أو عمن عاصره ولم يلقه موهماً أنه قد لقيه وسمعه منه مثال: عن علي بن خشرم: قال كنا عند ابن عيينة، فقال:

(قال الزهري) فقيل له:

حدثكم الزهري ؟

فسكت ثم قال: قال: الزهري، فقيل له سمعت من الزهري ؟ فقال لا لم أسمعه من الزهري ولا ممن سمعه من الزهري، حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري[١].

ب ـ تدليس الشيوخ:

وهو: أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه، فيسميه أو يكنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف به كي لا يعرف[٢].

مثال:

عن أبي بكر بن مجاهد الإمام المقرئ[٣]، أنه روى عن أبي بكر عبد الله بن داود السجستاني[٤] فقال: حدثنا عبد الله بن أبي عبد الله وروى عن أبي بكر محمد بن الحسن النقاش المفسر المقرئ[٥] فقال: حدثنا محمد بن سند نسبة إلى جد له[١].

---

(١) ينظر العلائي: جامع التحصيل، في أحكام المراسيل ص ٩٧.

(٢) ينظر: نفسه.

(٣) أبو بكر بن مجاهد. أحمد بن موسى ابن عباس بن مجاهد، ثقة حجة (ت ٣٢٤هـ) ينظر: ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد - توفي في المائة الرابعة - حجة القراءات تحقيق: سعيد الأفغاني، الطبعة الرابعة، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م ص ١٦، الذهبي: سير إعلام النبلاء ١٥/ ٢٧٢.

(٤) الحافظ: قدوة المحدثين، إمام أهل العراق (ت ٣١٦هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٩/ ٤٦٤ - ٤٦٨ (٥٠٩٥)، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٦٧ - ٧٧٣ (٧٦٨) وهو عبد الله بن أبي عبد الله نفسه.

(٥) العلامة الرحال أهمله الذهبي لوهنه (ت ٣٥١هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٢/ ٢٠١ - ٢٠٥ (٦٣٥)، الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٠٨ - ٩٠٩ (٨٧٢) السيوطي: طبقات المفسرين ص ٨٠ - ٨٢ (٩٢) وهو محمد بن سند نفسه.

وهكذا قد يسبب التدليس العلة في الحديث لكن النقاد يكتشفون ذلك بمهارتهم وخبرتهم. سواء كان انقطاعاً في السند، أو رواية عن الضعيف غير اسمه أو كنيته.

الرواية عن المجروحين والضعفاء:

جرح الراوي هو اختصاص علم الجرح والتعديل كما بينا في الفصل السابق لكن كتب العلل ذكرت أحاديث وبينت أن علتها جرح الراوي، واشترطوا لدخول هذا الفرع في العلل:

أن يكون من الخفاء بحيث يغيب عن بعض الثقات الأعلام.

كأن يروي: مالك عن عبد الكريم أبي أمية، والشافعي عن إبراهيم بن أبي يحيى، لأن الأغلب في العلل أوهام الثقات، حتى الرواية عن المجروحين كثيراً ما ارتبطت بالثقة الذي روى الحديث[٢].

٣- وسائل الكشف عن العلة:

هناك جوانب في كتب العلل تبين معرفة الناقد وعلمه في تمحيص وبيان الأخبار وأهم الوسائل التي تكشف العلة هي:

معرفة المدارس الحديثة:

نشأت في نهاية القرن الأول مدارس حديثة في كل من المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ومصر واليمن، ولكل مدرسة نشأتها المعينة ورجالها، ومذاهبها الفقهية والعقائدية، تمتاز بها عن غيرها من المدارس[٣].

وبمعرفة هذه المدارس يمكن للناقد أن يعالج كثيراً من الأسانيد فيكشف عن علتها.

فمثلاً إذا كان الحديث كوفياً:

احتمل التدليس، أو الرفض.

وإن كان بصريا:

احتمل النصب، والإرجاء، والاعتزال في إسناده[٤].

==

(١) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ١٠٣ - ١١٢، ابن الصلاح: المقدمة ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١١٩.

(٣) ينظر الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي ص ١١٥ - ١٢٥.

(٤) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ١٢٨.

وهكذا صنف أئمة الحديث أهل هذه المدارس، فإذا روى الشامي عن العراقي، فإنه يختلف عن رواية العراقي الكوفي عن الكوفي، وكذلك بعض الأشخاص إذا سمع منهم الرواية في بلد يختلف عن سماعها منهم في بلد آخر أو وقت آخر.

يقول الحاكم[١]:

"والمدنيون إذا رووا عن الكوفيين زلقوا".

وقد ضرب ابن رجب أمثلة كثيرة على ذلك منها:

يقال: معمر بن راشد حديثه في البصرة، فيه اضطراب كثير وحديثه باليمن جيد.

ومنهم عبد الرحمن بن أبي الزناد: قال يعقوب بن شيبة[٢]:

"سمعت علي بن المديني يضعف ما حدث به ابن أبي الزناد بالعراق ويصحح ما حدث به بالمدينة. قال وسمعت ابن المديني يقول: ما روى سليمان الهاشمي[٣] عنه فهي حسان، نظرت منها فإذا هي مقارنة وجعل علي يستحسنها".

معرفة من دار عليهم الإسناد وأوثق الناس فيهم وتمييز أصح الأسانيد وأضعفها:

قال ابن المديني[٤]:

نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة:

فلأهل المدينة: ابن شهاب.

ولأهل مكة: عمرو بن دينار.

ولأهل البصرة: قتادة بن دعامة الدوسي، ويحيى بن أبي كثير.

ولأهل الكوفة: أبو إسحاق السبيعي، وسليمان بن مهران[٥].

---

(١) ينظر الحاكم: المصدر السابق ص ١١٥.

(٢) ينظر ابن رجب: المصدر السابق: ٢/ ٧٦٧ - ٧٧٠.

(٣) مولى الحسن بن علي ثقة، لم أظفر له على وفاة ينظر: ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٧٠، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٢ (٣٨٦).

(٤) المديني: العلل ص ٣٦ - ٣٨ بتصرف.

(٥) الأسدي الكوفي الأعمش، شيخ الإسلام، ثقة حافظ، عارف بالقراءات، يدلس أحيانا (ت ١٤٨هـ) ينظر: ابن زنجلة: حجة القراءات ص ٧٠، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٤ (١٤٩).

ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف ممن صنف فلأهل المدينة: مالك بن أنس، ومحمد بن إسحاق.

ومن أهل مكة: عبد العزيز بن جريج، وسفيان بن عيينة.. الخ".

وقد فصل ابن رجب تفصيلاً جيداً ورائعاً في معرفة مراتب أعيان الثقات الذين تدور غالب الأحاديث الصحيحة عليهم وبيان مرتبهم في الحفظ وذكر من يرجح قوله منهم عند الاختلاف[١] ونأخذ أمثلة من هذا التفصيل من أجل التوضيح.

أ - أصحاب ابن عمر:

قال ابن رجب:

أشهرهم سالم ابنه، ونافع مولاه، سئل أحمد: إذا اختلفا فلأيهما تقضي؟ فقال: كلاهما ثبت.

مع أن المروزي[٢] نقل عن أحمد: أنه مال إلى قول نافع في حديث[٣]:

(مَنْ بَاعَ عبداً وَلَهُ مَالٌ) وهو وقفه[٤].

ب- أصحاب سعيد بن أبي سعيد المقبري:

قال عبد الله بن أحمد: قال أبي: أصح الناس حديثاً عن سعيد المقبري؛ ليث بن سعد وعبد الله بن عمر يقدم في سعيد.

أضعفهم عنه حديثاً أبو معشر[٥].

ج- أصحاب يحيى بن أبي كثير:

قال أبو زرعة الدمشقي: سألت أحمد عن أصحاب يحيى بن أبي كثير فقال: هشام[٦].

---

(١) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٦٦٥.

(٢) أحمد بن محمد بن الحجاج، الإمام القدوة شيخ بغداد، الفقيه، أجل أصحاب أحمد (ت ٢٧٥هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٤/ ٤٢٣ - ٤٢٤ (٢٣١٨). ابن الجوزي: المنتظم ٥/ ٩٤ - ٩٥ (٢١٣).

(٣) مسند أحمد ٢/ ٩، أبو داود: السنن ٣/ ٢٦٦ (٣٤٣٣)، النسائي: السنن ٧/ ٢٩٧ مسلم: شرح صحيح مسلم ١٠/ ١٩١).

(٤) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٦٦٥ - ٦٦٦.

(٥) ينظر أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال ١/ ١٠٧.

(٦) أي الدستوائي.

قلت: ثم من ؟ .

قال: إبان[١].

قلت: ثم من ؟ فذكر آخر.

قلت: فالأوزاعي ؟ قال: الأوزاعي إمام[٢].

معرفة الأبواب:

رتب أئمة الحديث، الأحاديث على الأسانيد، كما رتبوها أيضاً على الأبواب الفقهية، كالطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ... الخ.

والغرض من ذلك عندهم هو: عرض ما يسمعه على أبوابه وأصوله وبعد هذا العرض يذكر نتيجة من النتائج الكثيرة عنده: معروف، منكر، مشهور، غريب... الخ[٣].

والعلماء الذين اشتهروا في هذا الفن هم:

الإمام أحمد، والبخاري، وأبي زرعة. يقول أبو زرعة، لعبد الله بن الإمام أحمد[٤]: "ذاكرت أباك فوجدته يحفظ ألف ألف حديث فقال عبد الله: كيف ذاكرته ؟ قال أبو زرعة: ذاكرته على الأبواب".

وذكر ابن الصلاح: عن علي بن المديني قال: الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه[٥].

وكان الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، له معرفة جيدة بأحاديث رسول الله ﷺ وجمعها وعرضها على الأبواب، يروي الحاكم عن المأمون ممن كان يحضر مجلسه فقال[٦]:

"وقف المأمون يوماً للآذان ونحن وقوف بين يديه إذ تقدم غريب بيده محبرة فقال: يا أمير المؤمنين، صاحب حديث منقطع به !.

---

(١) إبان بن يزيد العطار البصري.

(٢) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٦٧٧ - ٦٧٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٣٣.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٧٩.

(٥) المقدمة ص ٤٣.

(٦) معرفة علوم الحديث ص ٢٥٠.

فقال له المأمون: أيش تحفظ من باب كذا ؟.

فلم يذكر فيه شيئاً !.

فما زال المأمون يقول:

حدثنا هشيم وحدثنا حجاج بن محمد[١] وحدثنا فلان حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب ثان، فلم يذكر فيه شيئاً فذكره المأمون ثم نظر إلى صاحبه فقال:

أحدهم يطلب الحديث ثلاثة أيام ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث، أعطوه ثلاثة دراهم".

معرفة المتشابه من الأسماء والكنى:

اهتمت كتب الحديث بوجه عام، وكتب العلل، بوجه خاص، بهذا الموضوع وخصصت له أبواباً خاصة[٢] وذلك لمنع التدليس وكشف المدلسين.

وبهذه المعرفة الدقيقة استطاع العلماء سد واحدة من الأبواب التي تدخل فيها الأخبار على الرواة وقسم العلماء هؤلاء إلى أقسام عديدة فمنها:

أ- **من اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم: كالخليل بن أحمد وهم ستة:**

١- شيخ سيبويه، صاحب العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ).

٢- أبو بشر المزني البصري توفي بحدود (١٨٥هـ)[٣].

٣- أصبهاني روى عن روح بن عبادة[٤].

٤- أبو سعيد السجزي الحنفي القاضي (ت ٣٧٨هـ)[٥].

---

(١) المصيصي، الأعور، الحافظ، الثبت، تغير في آخره (ت ٢٠٦هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٨/ ٢٣٦ - ٢٣٩ (٤٣٤٢)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٤٥ (٣٢٩)، العلائي: كتاب المختلطين ص ١٩.

(٢) ينظر مثلاً: الحاكم المصدر السابق ص ٢٢١، ابن الصلاح: المقدمة ص ١٨٥، الهروي: جواهر الأصول ص ١١٨ - ١٢٢.

(٣) وثقه ابن حبان: ينظر: تهذيب التهذيب ٣/ ١٦٤ - ١٦٦ (٣١٣)، خلاصة التذهيب ص ١٠٧.

(٤) لم اعثر على ترجمته فيما رجعت إليه من المصادر، أما روح فهو: ابن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي، الحافظ لبس بالقوي ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٨/ ٤٠١ - ٤٠٦ (٤٥٠٣)، الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٩ - ٣٥٠ (٣٣٧).

(٥) المحدث الفقيه القاضي، شيخ أهل الرأي في عصره ينظر الذهبي: المصدر نفسه ٣/ ٩٧٩، ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ٩١.

٥- أبو سعيد البستي المهلبي[١].
٦- أبو سعيد البستي[٢] الشافعي[٣].

ب- من اتفقت كناهم:

وقال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: من كنيته من أصحاب النبي ﷺ أبو عبد الرحمن: عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وفيروز الديلمي[٤]، وسفينة[٥]، ومعاوية[٦].

معرفة مواطن الرواة:

قال الحاكم:

وهو علم قد زل فيه جماعة من كبار العلماء بما يشتبه عليهم ثم ذكر البلدان التي نزل فيها أصحاب رسول الله، ومن نزلوا بها منهم ثم ذكر من دخل من التابعين وأتباع التابعين مدينة السلام (بغداد) حيث لم نعلم صحابياً توفي بها[٧].

---

(١) أبو سعيد البستي القاضي المهلبي خليل بن محمد بن أحمد، الشافعي، فاضل روى عن الخليل السجزي المذكور وحدث عن أحمد بن المظفر البكري عن ابن أبي خيثمة بتاريخه وعن غيرهما حدث عنه البيهقي الحافظ. ينظر: الشذا الفياح ٢/ ٦٦٣، السخاوي: فتح المغيث ٣/ ٢٧٢، تدريب الراوي ٢/ ٣١٨.

(٢) أبو سعيد، خليل اسم جده عبد الله بن أحمد فاضل متصرف في علوم دخل الأندلس وحدث ولد سنة ستين وثلاثمائة روى عن أبي حامد الإسفراييني وغيره وحدث عنه أبو العباس العذري وغيره، وهنالك عدد آخر ممن أسماؤهم الخليل بن أحمد ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٤/ ١٤١٩، الشذا الفياح ٢/ ٦٦٣، فتح المغيث ٣/ ٢٧٢، تدريب الراوي ٢/ ٣١٨.

(٣) ينظر عن هؤلاء وعمن اتفقت أسمائهم وأسماء آبائهم وأجدادهم ومن اتفقت كناهم ونسبهم دون الاسم: ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٧٩ - ١٨٠، الهروي: جواهر الأصول ص ١١٨ - ١١٩.

(٤) الحميري صحابي جليل، أصله من بلاد فارس، قتل الأسود العنسي الكذاب مات في زمن عثمان، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٢٠٤ - ٢٠٨، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ١١٤ (٨١).

(٥) اختلف في اسمه على واحد وعشرين قولاً لكن أقربه: مهران وطهمان، مولى رسول الله ﷺ يكنى أبا عبد الرحمن، حمل مع النبي ﷺ في سفر شيئاً كثيراً، فسماه سفينة، توفي زمن الحجاج ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٢/ ١٢٩ - ١٣١، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٥٨ (٣٣٣٥).

(٦) ينظر أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال ١/ ٦٦.

(٧) ينظر: معرفة علوم الحديث ص ١٩٠- ١٩٤.

وذكر نماذج للتابعين واتباعهم في بقية البلدان بأحاديثهم فمنها قال:

أخبرنا إبراهيم بن عصمة العدل[١] قال حدثنا أبي قال ثنا عبدان بن عثمان[٢]، قال ثنا أبو حمزة[٣] عن إبراهيم الصائغ[٤] عن أبي الزبير[٥] عن جابر قال:

قال رسول الله ﷺ[٦]:

(مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِالله شيئاً دَخَلَ الجَنَّةَ).

قال أبو عبد الله: جابر بن عبد الله، من أهل قبا[٧]، مدني، وأبو الزبير مكي، وإبراهيم الصائغ، وأبو حمزة، وعبدان، مروزيون، وشيخنا، وأبوه، نيسابوريان[٨].

معرفة الوفيات والولادات:

ومعرفة ذلك يعين الباحث للتأكد من السماع والمعاصرة أو نفيها.

قال سفيان الثوري[٩]:

"لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ".

---

(١) النيسابوري صدوق أدخل في كتبه (ت ٣٤٧هـ) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٨ (١٤٧)، لسان الميزان ١/ ٨٠، لم أظفر بترجمة أبيه.

(٢) عبد الله بن عثمان بن جبلة، الحافظ، العالم (ت ٢٢١هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠١ (٤٠٢)، تهذيب التهذيب ٥/ ٣١٣ - ٣١٤ (٥٣٥).

(٣) محمد بن ميمون المروزي، الإمام، المحدث الثقة (ت ١٦٦ - ١٦٨هـ) ينظر: المصدران نفسيهما ١/ ٢٣٠ (٢١٤)، ٩/ ٤٨٦ - ٤٨٧ (٧٩٣).

(٤) إبراهيم بن إسماعيل، مجهول (ت ١٧٨هـ وقيل ١٨٧هـ) - لعله وقع قلب للرقم عند أحد النساخ - ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ١/ ١٠٦ - ١٠٧ (١٨٥)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ١٦.

(٥) محمد بن مسلم بن تدرس المكي الحافظ، الصدوق المكثر (ت ١٢٨هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٢٦ - ١٢٧ (١١٣)، ابن حجر: المصدر السابق ٩/ ٤٤٠ - ٤٤٣ (٧٢٣).

(٦) صحيح مسلم ١/ ٩٤ (١٥١)، شرح صحيح مسلم ٢/ ٩٢ - ٩٣.

(٧) قبا بالضم، قرية قرب مدينة رسول الله ﷺ وهي مساكن عمرو بن عوف، ينظر: معجم البلدان ٤/ ٣٠١/ ٣٠٣ (قبا).

(٨) ينظر: معرفة علوم لحديث ص ١٩٥، وينظر مزيد من الأمثلة ابن الصلاح: المقدمة ص ٢٠٠ - ٢٠٢.

(٩) المصدر نفسه ص ١٨٩.

وقال حفص بن غياث[١]:

"إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين، يعني احسبوا سنه وسن من كتب عنه".

وضرب ابن الصلاح لذلك مثلاً فقال:

عن إسماعيل بن عياش قال: كنت بالعراق.

فأتاني أهل الحديث، فقالوا هاهنا رجل يحدث عن خالد بن معدان، فأتيته فقلت:

أي سنة كتبت عن خالد بن معدان ؟.

فقال: سنة ثلاث عشرة يعني ومائة.

فقلت: أنت تزعم أنك سمعت من خالد بن معدان بعد موته بسبع سنين ؟.

قال إسماعيل: مات خالد سنة ستة ومائة[٢].

ومعرفة الولادات، جانب آخر يحدد اللقاء والمعاصرة وفترتها بين الراويين.

فحينما يروي عبد الجبار بن وائل[٣] عن أبيه حديثاً يقول النقاد: عبد الجبار لم يدرك أباه، ولد بعد وفاة أبيه[٤].

معرفة من أرسل ومن دلس ومن اختلط:

فالمرسل قال عنه ابن الصلاح[٥]:

"هذا النوع مهم عظيم الفائدة يدرك بالاتساع في الرواية والجمع لطرق الأحاديث مع المعرفة التامة".

ومثل له بحديث: عن عوام بن حوشب[٦] عن عبد الله بن أبي أوفى قال:

---

(١) المصدر نفسه ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ١٩٠.

(٣) عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي الكوفي، ثقة، تكلم فيه في روايته عن أبيه (ت ١١٢هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ٦/ ١٠٥ (٢١١)، الخزرجي: المصدر السابق ص ٢٢١.

(٤) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٦/ ١٠٥.

(٥) المقدمة ص ١٤٥.

(٦) ابن يزيد بن الحارث الشيباني، ثقة ثقة (ت ١٤٨هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ١٦٣ - ١٦٤ (٢٩٧)، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ٢٢٤.

كان النبي ﷺ إذا قال بلال[١]:

(قَدْ قَامَتِ الصَّلاَةُ).

روى فيه عن أحمد بن حنبل أنه قال: العوام لم يلق ابن أبي أوفى وهذا النوع من الإرسال هو عدم السماع من الراوي وعدم اللقاء[٢].

أنواع المراسيل[٣] والتدليس[٤]:

قد ذكرنا تعريفه وأنواعه، كما ذكرنا الاختلاط وتقسيماته وأمثلته وكتب العلل قد اعتنت بذلك وكثيراً ما نجد فيها علل الإرسال والتدليس والاختلاط، كما نجد تحديدات دقيقة للاختلاط وتفاوت المراسيل وما دلس من الأسانيد[٥].

معرفة أهل البدع والاهواء:

هو الاهتمام بالرواة كل على حدة، وإفراده بالبحث وعدم إدخاله في المدارس الحديثة.

لكون مدرسة ما، معروفة بالتشيع أو بالنصب لكن يوجد فيها المرجئ، والخارجي والمعتزلي ... الخ[٦].

ومن أجل ذلك فإن أئمة هذا الفن وكتب العلل شخصوا هؤلاء الأفراد وكشفوا الستار عن آرائهم وبدعهم ولو كانوا متسترين بإحدى المدارس الحديثية المعروفة والمقبولة لدى جماهير المسلمين.

قال الذهبي في ترجمة: المغيرة بن سعيد البجلي[٧]:

---

(١) أبو داود: السنن ١/ ١٤٣ (٥٢٨).

(٢) ينظر ابن الصلاح: المصدر السابق ص ١٤٥

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٤٥، الهروي: جواهر الأصول ص ٤٣-٤٥.

(٤) أهل الكوفة من أشهر الناس بالتدليس، يقول يزيد بن هارون: قدمت الكوفة فما رأيت بها احدا إلا وهو يدلس، إلا مسعر بن كدام وشريكاً، ينظر: الخطيب: الكفاية ص ٥١٥.

(٥) ينظر ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ١٣٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٣٦.

(٧) قتله خالد بن عبد الله القسري في حدود العشرين ومائة. وكان له طامات. قال الأعمش قلت له: أكان علي يحيي الموتى ؟ فقال: أي والذي نفسي بيده، ولو شاء أحيا عاداً وثموداً. قلت من أين علمت ذاك ؟ قال:

"أبو عبد الله الكوفي الرافضي الكذاب"[١].

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمة سالم الأفطس[٢]:

"قال ابن حبان: كان مرجئا يقلب الأخبار".

وقال الإمام أحمد[٣]:

"يونس بن خباب، كان خبيث الرأي".

وقال أيضاً[٤]:

"في يزيد بن عبد الرحمن، كان شيخاً فقيراً مرجئياً".

٤ـ أنواع العلل:

قسم الحاكم أنواع العلل إلى عشرة أنواع فمنها ما يتعلق بالإسناد، ومنها ما يتعلق بالمتن[٥].

أتيت بعض أهل البيت فسقاني شربة من ماء، فما بقي شيء إلا وقد علمته. وقال أيضاً: أتاني المغيرة بن سعيد فذكر علياً رضي الله عنه وذكر الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ففضله عليهم، ثم قال كان علي بالبصرة فأتاه أعمى فمسح على عينه فأبصر. ثم قال له: أتحب أن ترى الكوفة قال: نعم، فحملت الكوفة إليه حتى نظر إليها ثم قال لها: أرجعي فرجعت فقلت: سبحان الله، سبحان الله فتركني وقام. ينظر: ميزان الاعتدال ٤/ ١٦١ - ١٦٢.

(١) المصدر نفسه ٤/ ١٦٠.

(٢) ينظر: هدي الساري ٢/ ١٢٩

(٣) أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال: تحقيق وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م ١ / ١٣٨، ويونس هو: بن خباب الأسدي مولاهم؛ أبو حمزة الكوفي، كان رجل سوء غالياً في الرفض كان يزعم أن عثمان بن عفان قتل ابنتي رسول الله ﷺ لا يحل الرواية عنه لأنه كان داعية إلى مذهبه ثم مع ذلك ينفرد بالمناكير التي يرويها عن الثقات والأحاديث الصحاح التي يسرقها عن الأثبات فيرويها عنهم، من الطبقة السادسة. ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٨/ ٤٠٤ (٣٤٩٣)، أبو حاتم: المجروحين ٣/ ١٣٩-١٤٠ (١٢٤٢)، تقريب التهذيب ١/ ٦١٣ (٧٩٠٣)..

(٤) ينظر أحمد بن حنبل: المصدر السابق ١/ ١٣٨ ويزيد بن عبد الرحمن أبو خالد الدالاني، محدث مشهور، صدوق له أوهام يكتب حديثه، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٤٣٢ (٩٧٢٣)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٤٣٣.

(٥) وسماه الحاكم أجناس العلل، ينظر: معرفة علوم الحديث ص ١١٣، قد يجتمع في الحديث الواحد عدد من العلل، ومن أجل توضيح ذلك نضرب مثالين:

أولا: علل الإسناد وأنواعه:

انقطاع الإسناد، وإبطال السماع الموهوم:

الأصل في رواية الثقة من حيث الاتصال والانقطاع والتصريح بالسماع، القبول، وكذلك الحال فيما يرويه من الأسانيد ويكون معنعناً[(١)] أو مؤنناً[(١)]، إذا كان بريئاً من التدليس.

أ - عن عثمان بن سليمان عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، قال الحاكم: وهو معلول من ثلاثة أوجه: أحدهما أن عثمان هو ابن أبي سليمان والآخر أن عثمان إنما رواه عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه، والثالث: قوله سمع النبي ﷺ وأبو سليمان لم يسمع النبي ﷺ ولم يره، ينظر: المصدر نفسه ص ١١٥ الأدلبي: منهج نقد المتن ص ١٨١.

ب- حدثنا الأوزاعي عن قتادة أنه كتب إليه يخبره عن أنس بن مالك: أنه حدثه قال: (صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين) لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها، الحديث انفرد به مسلم: شرح صحيح مسلم ٤/ ١١٠ - ١١١.. فقد روى الشافعي عن سفيان بن عيينة عن أيوب عن قتادة. عن أنس قال: (كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين).

قال الدارقطني: يعني يبدؤون بأم القرآن قبل ما يقرأ بعدها، ولا يعني أنهم يتركون بسم الله الرحمن الرحيم. قال الشافعي: وهذا هو المحفوظ عن قتادة وغيره عن أنس قال البيهقي: وكذا رواه عن قتادة أكثر أصحابه، كأيوب وشعبة والدستوائي، وشيبان بن عبد الرحمن وسعيد بن أبي عروبة وأبي عوانة وغيرهم. وقال ابن عبد البر: فهؤلاء حفاظ أصحاب قتادة، ليس في روايتهم لهذا الحديث ما يوجب سقوط بسم الله الرحمن الرحيم من أول فاتحة الكتاب، فرواية الأوزاعي عن قتادة لهذا الحديث، أعلها العلماء ومما يؤكد هذا أن رواية الأكثرين عن قتادة هي رواية سماع بينما رواية الأوزاعي عنه هي مكاتبة فإذا علمنا أن قتادة ولد أكمه فلا بد أن يكون أملى على من كتب إلى الأوزاعي ولم يسم هذا الكتاب فيحتمل أن يكون مجروحاً، أو غير ضابط، فلا تقوم به الحجة، فلم يبق أمامنا إلا تصحيح رواية حفاظ أصحاب قتادة وإعلال رواية الأوزاعي هذا، وقد ذكر السيوطي لها تسع علل: المخالفة من الحفاظ والأكثرين، والانقطاع، وتدليس التسوية من الوليد، والكتابة، وجهالة الكاتب والاضطراب في لفظه، والإدراج، وثبوت ما يخالف عن صحابيه، ومخالفته لما رواه عدد التواتر. ينظر: العراقي: التبصرة والتذكرة ١/ ٢٣١ - ٢٣٢، السيوطي: تدريب الراوي ١/ ٢٥٤ - ٢٥٧ وينظر كذلك: الأدلبي: المصدر السابق ص ١٩٥ - ١٩٦.

(١) العنعنة: هو ما يقال في سنده فلان عن فلان، قال بعض أهل العلم هو مرسل والصحيح الذي عليه العمل وقاله جمهور أصحاب الحديث والفقه والأصول، أنه متصل إذا تعاصر المعنعن ومن عنعن عنه، وإن لم يثبت اجتماعهما إلا أ ن يكون المعنعن مدلساً.

والبخاري لا يحمل ذلك على الاتصال، حتى يثبت اجتماعهما ولو مرة وهذا مما ترجح به كتابه.

والعنعنة مشهورة بالعراقيين، قال بشر بن بكر: ذهب أهل العرق بحلاوة الحديث يقولون عن فلان عن

لكن مع وجود الثقة في الراوي والمروي عنه، والمعاصرة قد يكشف أهل العلل النقاب عن الانقطاع في السند بعدة أمور.

يقول الخطيب[٢]:

"اللفظ الذي يرتفع به الإيهام ويزول به الإشكال في رواية المدلس أن يقول: سمعت فلاناً يقول ويحدث ويخبر، أو؛ قال لي فلان أو ذكر لي أو حدثني وأخبرني من لفظه أو حدث وأنا أسمع أو أقرأ عليه وأنا حاضر وما يجري مجرى هذه الألفاظ مما لا يحتمل غير السماع وما كان بسبيله".

وروى أيضاً عن شعبة قال[٣]:

"كنت أنظر إلى فم قتادة فإذا قال: ثنا كتبت، وإذا قال حدث لم أكتب".

وهذه الوسائل كلها استخدمها الأئمة النقاد للقضاء على التدليس وما يحيط بلفظي المعنعن والمؤنن من الإشكالات وقد مثل لهذا النوع الحاكم فقال:

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب[٤] فقال:

ثنا محمد بن إسحاق الصغاني[١] قال:

فلان ولا يقولون ثنا ولا أخبرنا. ينظر الخطيب: الكفاية ص ٤١٨، النووي: شرح صحيح مسلم ١/ ٣٢ - ٣٣، ابن حجر: هدي الساري ١/ ٨، ينظر كذلك: الهروي: جواهر الأصول ص ٢٩، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٣٨.

(١) الأنأنة: ما يقال في سنده حدثنا فلان أن فلاناً، جعله الإمام مالك كالمعنعن، فحينما سئل عن قولهم: عن فلان أنه قال كذا، أو أن فلاناً قال كذا فقال هما سواء.

أما البرديجي: فحمله على الانقطاع، حتى يتبين السماع في ذلك الخبر بعينه، قال الخطيب: وتأثير الخلاف بين اللفظين: إنما يتبين في رواية غير الصحابي، مثل ماذكره أحمد من رواية عروة: عن عائشة، وأن عائشة، حينما قيل له قال عروة: إن عائشة قالت يا رسول الله ﷺ وعن عروة عن عائشة، سواء. قال: كيف هذا سواء؟ ليس هذا بسواء.

ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٥٧٥، الصنعاني: توضيح الأفكار ٣/ ٣٣٧، ٣٣٨، وينظر: كذلك: صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٢٤.

(٢) الكفاية ص ٥١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٥١٧.

(٤) الأصم، محدث المشرق، ثقة (ت٣٤٦هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٦٠-٨٦٣ (٨٣٥)، العبر في خبر من غبر ٢/ ٧٤.

ثنا حجاج بن محمد، قال:

قال ابن جريج، عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه[٢]، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال[٣]:

(مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، لا إِلَهَ إِلا أنت أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إليك، إلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ في مَجْلِسِهِ ذَلِكَ).

قال أبو عبد الله (أي الحاكم):

هذا حديث من تأمله لم يشك أنه من شرط الصحيح، وله علة فاحشة، قال محمد بن إسماعيل (أي البخاري): هذا حديث مليح ولا اعلم في الدنيا في هذا الباب غير هذا الحديث إلا أنه معلول حدثنا به موسى بن إسماعيل[٤]، قال:

حدثنا وهيب[٥].

قال: ثنا سهيل عن عون بن عبد الله[٦] قوله... قال محمد بن إسماعيل: هذا أولى فإنه لا يذكر لموسى بن عقبة سماع من سهيل.

واتفق مع البخاري كل من أبي زرعة وأبي حاتم الرازيان في علة هذا الحديث وهي علة دقيقة[٧].

---

(١) الحافظ الحجّة، محدث بغداد (ت٢٠٧هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١/ ٢٤٠-٢٤١ (٥٧)، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٧٣-٥٧٤ (٥٩٨).

(٢) ذكوان أبو صالح السمّان المدني، ثقة ثقة، شهد الدار (ت١٠١هـ) ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦، العبر ١/ ٩١.

(٣) أبو داود: السنن ٤/ ٢٦٥-٢٦٦ (٤٨٥٥)، الترمذي: السنن ٥/ ٤٦٠-٤٦١ (٣٤٣٣) واللفظ له.

(٤) المنقري أبو سلمة البصري، ثقة حافظ (ت٢٢٣هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٩٤-٣٩٥ (٣٩٥)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٣٣-٣٣٥ (٥٨٤).

(٥) وهيب بن خالد بن عجلان البصري، الحافظ، الثبت، الفقيه (ت١٦٥هـ) ينظر: المصدران نفسيهما ١/ ٢٣٥-٢٣٦ (٢٢٢)، ١١/ ١٦٩-١٧٠ (٢٩٠).

(٦) بن عتبة بن مسعود الهذلي، الكوفي، ثقة، كثير الإرسال توفي بين (١١٠-١٢٠هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ١٧١-١٧٣ (٣١٠)، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ١٤٠.

(٧) ينظر: معرفة علوم الحديث ص١١٣-١١٤ (بتصرف)، وينظر أمثلة أخرى الخطيب: الكفاية ص٥١١-٥٢٩.

روى ابن أبي حاتم قال[١]:

"سألت أبي وأبو زرعة عن هذا الحديث فقال: هذا خطأ رواه وهيب عن سهيل عن عون بن عبد الله (موقوف) وهذا أصح.

قلت لأبي: ممن هو؟.

قال: يحتمل أن يكون الوهم من ابن جريج، ويحتمل أن يكون من سهيل، وأخشى أن يكون ابن جريج دلس هذا الحديث عن موسى بن عقبة ولم يسمعه من موسى، إنما أخذه من بعض الضعفاء، سمعت أبي مرة أخرى يقول: لا اعلم روى هذا الحديث عن سهيل إلا ما يرويه ابن جريج عن موسى بن عقبة، فأخشى أن يكون آخذه عن إبراهيم بن أبي يحيى. إذ لم يروه أصحاب سهيل لا أعلم روي هذا الحديث في شيء من طرف أبي هريرة".

إبدال الإسناد كله أو بعضه:

هناك أسانيد الظاهر فيها السلامة، لكن النقاد يبحثون عن العلة التي طرأت على الإسناد، وهذه العلة قد تكون وهماً مجرداً، أو نشأت عن ملابسات خاصة بالإسناد.

فمن ذلك أن إسناداً معيناً اشتهر على لسان راو معين، كمحمد بن فضيل[٢] عن عمارة بن القعقاع[٣]، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة فكل حديث يروى عن محمد بن فضيل قد يسبق اللسان إلى عمارة بن القعقاع.

قال ابن رجب:

قال أحمد في رواية ابنه عبد الله، ثنا محمد بن فضيل، ثنا عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكر بضعة عشر حديثاً كلها بهذا الإسناد إلا حديث:

---

(١) ابن أبي حاتم: علل ابن أبي حاتم، تحقيق؛ محب الدين الخطيب، دار المعرفة-بيروت ١٤٠٥هـ ٢/ ١٩٥.

(٢) ابن غزوان بن جرير الضبيّ، شيعي صدوق (ت١٩٥هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣١٥ (٢٩٤)، سير أعلام النبلاء ٩/ ١٧٣ وقد وهم ابن حجر - أو أحد النساخ - حيث أرخ وفاته (٢٩٥هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٠٥-٤٠٦ (٦٥٨).

(٣) ابن شبرمة الضبي الكوفي، ثقة على رأي الأكثرين، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: المصدر نفسه ٧/ ٤٢٣-٤٢٤ (٦٩٠)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٢٨٠-٢٨١.

(إِنَّ أول زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ..) الحديث[١].

فإنه قال: عن عمارة بن القعقاع، عن أبي صالح (ذكوان)، عن أبي هريرة[٢].

ومثال آخر تبديل الإسناد بشكل كلي:

قال ابن رجب: روى حماد بن سلمة، عن ثابت، عن حبيب بن أبي سبيعة الضبي[٣]، عن الحارث[٤] أن رجلاً قال[٥]:

(يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُحِبُّ فلاناً. قَالَ: أَعْلَمْتَهُ ؟ قَالَ: لا) الحديث.

هكذا رواه حماد بن سلمة وهو أحفظ أصحاب ثابت، وأثبتهم في حديثه. وخالفه من لم يكن في حفظه بذلك من الشيوخ الرواة عن ثابت كمبارك بن فضالة[٦]، وحسين بن واقد[٧]، ونحوهما عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ.

---

(١) وتكملة الحديث «وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً لاَ يَبُولُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَمْتَخِطُونَ وَلاَ يَتْفُلُونَ أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ أخلاقهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ».

ومعنى مجامرهم الألوة: والمجامر جمع مجمر مكان الحجر، والألوَّة: العود: أي أن بخورهم العود. الحديث صحيح البخاري ٣/ ١١٨٦ (٣٠٧٤) صحيح مسلم ٤/ ٢١٧٨ (٢٨٣٤)واللفظ له، شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٧١-١٧٢، ابن ماجه: السنن ٢/ ١٤٤٩ (٤٣٣٣)، وينظرمعاني الكلمات: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٩٣.

(٢) ينظر ابن رجب: شرح علل الترمذي ٢/ ٨٥٩-٨٦٠.

(٣) شامي، تابعي، ثقة، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٨٤ (٣٣٤)، الخزرجي: المصدر السابق ص٧١.

(٤) الحارث، غير منسوب، صحابي على الأرجح، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: تهذيب الكمال ٥/ ٣١١ (١٠٥٥)، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ١/ ٣٠٥ (٨٨٤)، تقريب التهذيب ١/ ١٤٨ (١٠٦٠).

(٥) أبو داود: السنن ٤/ ٣٣٥ (٥١٢٥) وتتمته (قال: أعلمه قال: فلحقه، فقال: اني أحبك في الله، فقال: أحبك الله الذي أحببتني له).

(٦) أبو فضالة البصري، الإمام الكبير، الناسك، لم يبلغ حديثه درجة الصحة، شديد التدليس، تكلم فيه (ت١٦٤هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٠-٢٠١ (١٩٣)، العبر ١/ ١٨٧.

(٧) المروزي القاضي، وثقه ابن معين (ت١٥٧هـ وقيل ١٥٩هـ) ينظر: وكيع: أخبار القضاة ٣/ ٣٠٦، الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٧٤.

وحكم الحفاظ هنا بصحة قول حماد، وخطأ من خالفه، منهم أبو حاتم والنسائي والدارقطني[١].

العلة بتصحيف أسم أو لعيب في نطق لسان أحد الرواة فمن الأول:

تصحيف زهير[٢]: صالح بن حيان[٣] (ت١٤٠هـ) إلى واصل بن حبان[٤] (ت١٢٩هـ) وهو ثقة[٥].

ومن الثاني: قال الإمام أحمد[٦]:

"ابن الثلب إنما هو ابن التلب[٧]. ولكن شعبة كان في لسانه شيء".

الوهم في إرسال الموصول أو وقف في المرفوع أو ما فيه انقطاع:

قال ابن الصلاح[٨]:

"ويستعان على إدراكها...على إرسال في الموصول أو وقف في المرفوع...الخ. وهو المجال الأوسع في نوع العلل".

قال ابن رجب[٩]:

---

(١) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٤١-٨٤٢.

(٢) زهير بن معاوية بن حُدَيج أبو خيثمة الكوفي، ثقة (ت١٧٧هـ) ينظر: البستني: مشاهير علماء الأمصار ص١٨٦، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٣٥١-٣٥٣ (٦٤٨).

(٣) الفراسي الكوفي، ليس بثقة، وقد وهم من عاب البخاري لتخريجه له حديثاً، لأنه شخص آخر وهو: صالح بن صالح بن مسلم بن حيّان، ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٤/ ٢٧٥، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص١٣٥ (٣١١).

(٤) الأزدي الكوفي الأحدب، وهو بن حيان (بالياء) على الصحيح (ت١٢٠هـ) ينظر: العبرفي خبر من غبر ١/ ١١٧، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ١٠٣ (١٧٧).

(٥) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٢٠.

(٦) ينظر أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال ١/ ٢٧٦.

(٧) ملقام بن التلب بن ثعلبة التميمي البصري، اختلف في صحبته، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: الإصابة ٣/ ٥٣٣ (٨٦٢٠)، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٩٥ (٥١٣).

(٨) المقدمة ص٤٢.

(٩) شرح علل الترمذي ٢/ ٦٦٣.

"معرفة مراتب الثقات وترجيح بعضهم على بعض في الاختلاف، أما في الإسناد، وأما في الوصل والإرسال، وأما في الوقف والرفع".

مثال الوهم في رفع الموقوف:

ما ذكره الحاكم قال:

أخبرنا أحمد بن علي بن الحسن المقرئ[١].

قال: حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي[٢].

قال: ثنا أبي[٣] عن أبيه[٤] عن الأعمش عن أبي سفيان[٥] عن جابر عن النبي ﷺ قال[٦]: "يَضْحَكُ فِي الصَّلاَةِ فَقَالَ: يُعِيدُ الصَّلاَةَ وَلاَ يُعِيدُ الْوُضُوءَ.

قال أبو عبد الله الحاكم[٧]:

"لهذا الحديث علة صحيحة: اخبرنا أبو الحسين علي بن عبد الرحمن السبيعي[٨] بالكوفة قال: ثنا

---

(١) أحمد بن علي بن الحسين (وليس الحسن) بن شهريار الحاكم النيسابوري، الإمام الحافظ (ت٣١٥هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٨٨-٧٨٩ (٧٨١)، العبر ١/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٢) وقيل يزيد بن سنان، متروك الحديث، لكن ابن الجوزي وثقه (ت٢٦٤هـ) ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٨/ ٢٣٥، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص٢٥٦ (٦٨١).

(٣) محمد بن يزيد بن سنان، ضعيف (ت٢٢٠هـ) ينظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٦٩ (٨٣٣٠)، تهذيب التهذيب ٩/ ٥٢٤-٥٢٥ (٨٦٠).

(٤) يزيد بن سنان أبو فروة، ضعيف (ت١٥٥هـ) ينظر: المصدران نفسيهما ٤/ ٤٢٧-٤٢٨ (٩٧٠٥)، ١١/ ٣٣٥-٣٣٦ (٦٤٠).

(٥) طلحة بن نافع القرشي، صدوق لم اظفر بتاريخ وفاته ينظر: الذهبي: من تكلم فيه وهو موثوق ص١٠٢ (١٦٧)، ابن حجر: المصدر السابق ٥/ ٢٦-٢٧ (٤٤).

(٦) الدارقطني: السنن ١/ ١٧٢-١٧٥ (٤٧-٦٨)، ابن حجر: المطالب العالية ص١٢٥، والصحيح أنه يعيد الوضوء، ولا يعيد الصلاة ينظر الدارقطني: المصدر السابق ١/ ١٧٢، ورواه الذهبي بلفظ (فليعد الوضوء والصلاة) بنفس السند، ينظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٢٨.

(٧) ينظر: معرفة علوم الحديث ص١١٨-١١٩. وقد يكون الحديث روي موقوفاً، والرفع أولى وأصح ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٠٠.

(٨) الكوفي الكاتب، ثقة (ت٣٤٧هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢ (٦٤٠٠)، ابن عماد: شذرات الذهب ٢/ ٣٧٥.

إبراهيم بن عبد الله العبسي[١] قال: ثنا وكيع عن الأعمش عن أبي سفيان قال: (سُئِلَ عَنِ الرَّجُلِ يَضْحَكُ في الصَّلاَةِ ؟ فَقَالَ: يُعِيدُ الصَّلاَةَ وَلاَ يُعِيدُ الْوُضُوءَ).

مثال ما كان الإرسال أولى والأرجح من الاتصال:

ما ذكره الحاكم أيضاً قال:

اخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار[٢].

قال: ثنا أحمد بن محمد بن عيسى القاضي[٣].

قال: ثنا أبو حذيفة[٤].

قال: ثنا زهير بن محمد[٥] عن عثمان بن سليمان[٦] عن أبيه[٧] أنه سمع النبي ﷺ[٨]: (يَقْرَأُ في الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ).

قال أبو عبد الله:

---

(١) أبو إسحاق العبسي الكوفي القصار، المسند، خاتمة أصحاب وكيع (ت٢٧٩هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٥، ابن عماد: المصدر السابق ٢/ ١٧٤.

(٢) محدث عصره، مجاب الدعوة، من أكثر الحفاظ حديثاً (ت٣٣٩هـ) ينظر الذهبي وابن عماد: المصدر أن السابقان: ٣/ ٨٥١، ٢/ ٣٤٩.

(٣) ابن عيسى البريّ القاضي الفقيه، الحافظ، العلامّة الثبت الحجّة، كان على مذهب أبي حنيفة (ت٢٨٠هـ) ينظر: وكيع: المصدر السابق ٣/ ٣٢٦، الخطيب: تاريخ بغداد ٥/ ٦١-٦٣ (٢٤٣١)، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٩٦-٥٩٧ (٦٢٠).

(٤) موسى بن مسعود البصري المؤدب، كان يصحف، تكلم فيه، لين حديثه (ت٢٢٠هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٨، العبر ١/ ٣٠٠.

(٥) ابن قمير بن شعبة البغدادي، الحافظ الولي، الزاهد، ثقة مأمون (ت٢٥٧هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٨/ ٤٨٤-٤٨٦(٤٥٩٨)، ابن عماد: المصدر السابق ٢/ ١٣٦.

(٦) عثمان بن أبي سليمان (وهو وهم كما سيأتي) بن جبير بن مطعم المكي، قاضي مكة ثقه، لم أظفر بتاريخ وفاته ينظر: تهذيب التهذيب ٧/ ١٢٠(٢٥٨)، خلاصة التذهيب ص٢٥٩-٢٦٠.

(٧) قيل اسمه: محمد بن جبير بن مطعم توفي قبل خلافة عمر بن عبد العزيز ينظر: المصدران نفسيهما ٩/ ٩١-٩٢(١١٩)، ص٣٣٠.

(٨) رواه البخاري ٤/ ٨٣٩ (٤٥٧٣) ابن ماجه: السنن ١/ ٢٧٢، فتح الباري ٨/ ٦٠٣، كلاهما بسند آخر وهو السند الصحيح غير المعلول.

قد خرج العسكري[١] وغيره من المشايخ هذا الحديث في الوحدان[٢] وهو معلول من ثلاثة أوجه: أحدهما: أن عثمان هو ابن أبي سليمان.

والثاني: أن عثمان إنما رواه عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه[٣].

الثالث: قوله سمع النبي ﷺ، وأبو سليمان لم يسمع من النبي ولم يره[٤].

وأما ما منه انقطاع فمثاله: ما ذكره الترمذي في علله الكبير قال:

حدثنا هناد[٥]، (نا) محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ[٦]:

(إِنَّ لِلصَّلَاةِ أَوَّلًا وَآخِرًا).

حدثنا هناد (نا) أبو أسامة[٧] عن الفزاري، عن الأعمش قال:

مجاهد كان يقال:

(أن للصلاة أولاً وآخراً) فذكره بنحوه. سألت محمداً يعني البخاري عن هذا الحديث فقال: وهم فيه محمد بن الفضيل والصحيح حديث الأعمش عن مجاهد[٨].

---

(١) أبو الحسن علي بن سعد (قيل سعيد)، الحافظ الثبت، أحد أركان الحديث (ت٣٠٥هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٤٩ (٧٥٠)، العبر ١/ ٤٣٨.

(٢) هو من لم يرو عنه إلا راو واحد من الصحابة أو التابعين فمن بعدهم ينظر الكتاني: الرسالة المستطرفة ص٨٦.

(٣) جبير بن مطعم كان من أكابر قريش وعلماء النسب، أحد المعارضين لصحيفة المقاطعة، صحابي جليل (ت٥٧-٥٩هـ) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٢٣٠-٢٣١، ابن حجر: الإصابة ١/ ٢٢٥-٢٢٦ (١٠٩١).

(٤) ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص١١٥.

(٥) هناد بن السري بن مصعب التميمي الكوفي، ثقه (ت٢٤٣هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ١١/ ٧٠-٧١ (١٠٩)، شذرات الذهب ٢/ ١٠٤.

(٦) الترمذي: السنن ١/ ٢٨٤ (مع السند).

(٧) حماد بن أسامة الكوفي، الحافظ الحجة، كان أعلم الناس بأخبار الكوفة، وكان عابداً ناسكاً (ت٢٠١هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢١-٣٢٢ (٣٠١)، ابن عماد: المصدر السابق ٢/ ٢.

(٨) ينظر ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ١٥٢.

الإسناد الجمعي:

قال ابن رجب[١]:

"ومعنى هذا أن الرجل إذا جمع بين حديث جماعة، وساق الحديث سياقة واحدة فالظاهر أن لفظهم لم يتفق فلا يقبل هذا الجمع إلا من حافظ متقن لحديثه، يعرف اتفاق شيوخه واختلافهم كما كان الزهري[٢] يجمع بين شيوخ له في حديث الإفك[٣] وغيره.

وممن كان يجمع الإسناد ممن كان لا يضبط وينكر عليه، الواقدي، وابن إسحاق، وعوف الأعرابي[٤] فهؤلاء كان لهم وهم وخطأ، في روايتهم عند عدد من الشيوخ إذا ساقوا لفظ الحديث عنهم سياقاً واحداً".

وممن ضعفت روايتهم بالإسناد الجمعي: عطاء بن السائب[٥]، قال شعبة لابن علية[٦]: "إذا حدثك عطاء بن السائب عن رجل واحد فهو ثقة، وإذا جمع فقال:
زاذان[٧]، وميسرة[٨]، وأبو البختري[٩]، فاتقه، كان الشيخ قد تغير".

---

(١) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨١٦.

(٢) قال الدكتور جواد علي: عمل ابن شهاب الزهري عملاً عظيماً جداً كان له أثر جليل في تطور المغازي والتاريخ. فهو أول من قابل بين الأحاديث المختلفة المصادر فوفق فيما بينها وسعى لإدماجها في حديث واحد ... الخ ينظر: مجلة المجمع العلمي العراقي ١/ ١٥٤ (مصدر سابق) وينظر كذلك: هورفتس: المغازي الأولى ص٦٨.

(٣) رواه البخاري: فتح الباري ٧/ ٤٣١-٤٣٥، حيث أخرج حديث الإفك من طريق الزهري وفيه يقول الزهري: قال حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص، وعبيد الله بن مسعود عن عائشة أنها قالت...الخ.

(٤) عوف بن أبي جميلة العبدي، الحافظ الإمام، ثقة، رمي بالقدر والتشيع (ت١٤٦ وقيل ١٤٧هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٠٥ (٦٥٣٠).

(٥) عطاء بن مالك، ويقال ابن السائب بن زيد، أحد علماء التابعين، صدوق، تغير (ت١٣٦هـ) ينظر الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص١٣٤-١٣٥ (٢٤٢)، ميزان الاعتدال ٣/ ٧٠-٧٣ (٥٦٤١).

(٦) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٣٧، ٨١٣.

(٧) أبو عبد الله، الكندي الكوفي الضرير، من علماء الكوفة، ثقة، (ت٨٢هـ) ينظر: العبر ١/ ٦٩، ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ٣٠٢-٣٠٣ (٥٦٥).

(٨) ميسرة بن يعقوب أبو جميلة الطهوي، روى عن بعض الصحابة، تابعي ثقه، كان صاحب رواية علي، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر ابن حجر: المصدر نفسه ١٠/ ٣٨٧ (٦٩٣)، ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٣٧.

(٩) سعيد بن فيروز الطائي (مولاهم)، من كبار فقهاء الكوفة، تابعي ثقة، قتل مع ابن الأشعث في دير الجماجم سنة (٨٣هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ٤/ ٧٢-٧٣ (١٢٧)، شذرات الذهب ١/ ٩٢.

جرح الراوي:

وهذا الجرح، غير الجرح المتعاهد عليه في كتب الجرح والتعديل وإلا لما كان هنا حاجة إلى ذكر ذلك.

وإنما هو: رواية الثقة عن المجروح، فإنها قد تعمي حال المجروح على كثير من الناس.

فلابد من تدخل العالم بالعلل لكشف ذلك.

مثال على ذلك: قال الترمذي في علله الكبير: حدثنا قتيبة بن سعيد[١] (نا) أبو صفوان[٢]، عن يونس بن يزيد عن الزهري، عن أبي سلمة[٣] عن عائشة عن النبي ﷺ قال[٤]:

(لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ الله وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ).

سألت محمداً عن هذا الحديث فقال: روى ابن المبارك، عن يونس عن الزهري قال: أخبرت عن أبي سلمة، عن عائشة وروى موسى بن عقبة وابن أبي العتيق[٥]، عن الزهري، عن سليمان بن أرقم، عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة. قال محمد(هو البخاري):

وسليمان ابن أرقم متروك ذاهب الحديث[٦].

فرواية الزهري وهو من كبار الثقات عن سليمان بن أرقم قد تجعل الحديث فوق التهمة والظن عند الناس.

---

(١) قتيبة بن سعيد بن جميل البغلاني، وقتيبة لقب واسمه علي وقيل يحيى، ثقة ثقة، روى عنه البخاري(٣٠٨) حديثاً، ومسلم(٦٦٨)، (ت٢٤٠ وقيل ٢٤١هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ٨/ ٣٥٨-٣٦١(٦٣٩)، شذرات الذهب ٢/ ٤٩٠-٤٩٥.

(٢) عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان، ثقه، توفي على رأس المأتين ينظر الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص١٠٨(١٨١)، ميزان الاعتدال ٢ / ٤٢٩(٤٣٥٤).

(٣) ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري، قيل اسمه عبد الله وقيل غير ذلك، ثقه، فقيه(ت٩٤ وقيل١٠٤هـ) ينظر: ابن حجروابن عماد: المصدران السابقان ١٢/ ١١٥-١١٨(٥٣٧)، ١/ ١٠٥.

(٤) الحديث رواه الخمسة ينظر: أبو داود: السنن٣/ ٢٢٩(٣٢٩٠) ابن ماجه: السنن ١/ ٦٨٦(٢١٢٥).

(٥) محمد بن عبد الله بن أبي عتيق(محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق) ثقه لم أقف على تاريخ وفاته ينظر ابن حجر: المصدر السابق٩/ ٢٧٧(٤٥٥)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٣٥١.

(٦) لوحة ٤٥/ ب.

ثانيا: العلة في متن الحديث:

والمتن هو قول النبي ﷺ أو فعله أو تقريره، أو صفة خلقية أو خلقية.

وكذلك ما ينقل عن الصحابة والتابعين وقد تتعرض لإوهام النقلة لأمور[(١)].

١- إحالة المتن ممن لم يفهم المراد من اللفظ أو غير عالم باللغة:

مثال ذلك قال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عن حديث أبي الأحوص عن السماك[(٢)] عن القاسم بن عبد الرحمن[(٣)] عن أبيه عن أبي بردة قال: قال رسول الله ﷺ[(٤)]:

(اشْرَبُوا في الظُّرُوفِ وَلاَ تَسْكَرُوا).

قال أبو زرعة:

وفي هذا الحديث - خطأ: أبو الأحوص (سلام بن سليم) فصحف في الإسناد فقال: بردة وهو بريدة، وقلب في الإسناد فقال عن أبيه، عن أبي بريدة، وهو ابن بريدة[(٥)] عن أبيه.

ثم قال أبو زرعة:

وأفحش من ذلك وأشنع تصحيفه في المتن(اشْرَبُوا في الظُّرُوفِ وَلاَ تَسْكَرُو).

وقال النسّائي[(٦)]:

"هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، غَلِطَ فِيهِ أبو الأَحْوَصِ؛ سَلاَّمُ بْنُ سُلَيْمٍ لاَ نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا تَابَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، وَسِمَاكٌ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَكَانَ يَقْبَلُ التَّلْقِينَ.

---

(١) ينظر الهروي: جواهر الأصول ص١٧، شرح علل الترمذي ١/ ١٥٦.

(٢) سماك بن حرب بن أوس الذهلي الكوفي، أدرك ثمانين من الصحابة، صدوق جليل (ت١٢٣هـ) ينظر الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص٩٥(١٤٩)، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢-٣٤(٣٥٤٨).

(٣) ابن عبد الله بن مسعود الكوفي القاضي (ثقة ت١٢٠ وقيل ١١٦هـ) ينظر وكيع: أخبار القضاة ٢/ ٢٩١-٢٩٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٣٢١-٣٢٢(٥٧٩).

(٤) رواه عدد من أئمة الحديث ينظر مُصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٥١٦ (٢٤٤١١) النسّائي: السنن الكبرى ٣/ ٢٣١ (٥١٨٧) الطبراني: المعجم الكبير ٢٢/ ١٩٨ (٥٢٢) ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول ٥/ ١١٧ (٣١٤٧) كنز العمال ٥/ ٣٤٧ (١٣٢٩٧).

(٥) ثقة، ذكرت ترجمته.

(٦) النسّائي: السنن الكبرى ٣/ ٢٣١.

قَالَ: أبو عَبْدِ الرَّحْمَنِ (يعني النسائي):
قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: كَانَ أبو الأَحْوَصِ يُخْطِئُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ.
خَالَفَهُ شَرِيكٌ فِي إسنادهِ وَلَفْظِهِ ".

وقد روي هذا الحديث عن أبي بريدة، عن أبيه عن النبي ﷺ من طرق كثيرة ونصه[1]:

«نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلاَثٍ فَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ إِلاَّ فِي سِقَاءٍ فَاشْرَبُوا فِي الأَسْقِيَةِ كُلِّهَا وَلاَ تَشْرَبُوا مُسْكِرًا».

وفي حديث بعضهم عن بريدة قال[2]:
(وَاجْتَنِبُوا كُلَّ مُسْكِرٍ) ولم يقل أحد من الرواة ولا تسكروا.

٢ـ ما كانت علته تحريفا في لفظ من الفاظه.

قال الحاكم[3]:
"هذا نوع فيه معرفة التصحيفات في المتون. فقد زلق فيه جماعة من أئمة الحديث".

ثم ضرب أمثلة لذلك ومنها[4] قال:

سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الوراق[5] يقول: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي يقول: سمعت أبي يقول لأبي زرعة حفظ الله أخانا صالح ابن محمد البغدادي[6] لا يزال يضحكنا شاهداً وغائباً. كتب الي يذكر أنه لما مات محمد بن يحيى الذهلي أجلس للتحدث شيخ لهم يعرف بمحمش[7] فحدث أن النبي ﷺ قال[1]:

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٦٧٢ (٩٧٧) أبو داود: السنن ٣/ ٣٣٠(٣٦٩٨)، سنن النسائي الكبرى ٣/ ٦٩ (٤٥١٨) شرح صحيح مسلم٧/ ٤٦.

(٢) مسند أحمد ١/ ٤٥٢و٥/ ٣٥٥، أبو داود: المصدر السابق٣/ ٣٣١(٣٧٠١).

(٣) معرفة علوم الحديث ص ١٤٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص١٤٦، ينظر كذلك: فتح الباري ١٠/ ٥٨٦-٥٨٧.

(٥) البغدادي، صاحب المغازي، صدوق تكلم فيه (ت٢٢٨هـ) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٤/ ٣٩٣-٣٩٦ (٢٢٨٦)، الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص٣٩(٢١).

(٦) هو صالح جَزرة.

(٧) وهو لقب واسمه: محمد بن يزيد بن عبد الله النيسابوري، ثقة، وكانت فيه دعابة، لم أقف على تفصيل ترجمته ينظر شيء عنه: الحاكم: المصدر السابق ص١٤٦، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٥٨٧.

«يَا أبا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ البعير».

وأن النبي ﷺ قال[٢]:

«لاَ تَصْحَبُ الْمَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا خَرَسٌ».

٣ـ مخالفة راويه لمقتضاه:

مثال ذلك ما أخرجه الترمذي في علله: ثنا علي بن حجر[٣]، ثنا عيسى بن يونس[٤]، عن هشام بن حسان[٥]، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال[٦]:

«مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ وَمَنِ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ».

سألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عيسى بن يونس...وقال: ما أراه محفوظاً[٧].

قال: وقد روى يحيى ابن أبي كثير عن عمرو بن الحكم[٨]، أن أبا هريرة:

كان لا يرى القيء يفطر الصائم[١].

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٧٠ (٥٧٧٨) ونصه: «يَا أبا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ»، فتح الباري ١٠/ ٥٢٦، ٥٨٢ (٦١٢٩، ٦٢٠٣)، والنغر: طير صغير ينظر: المصدر نفسه ١٠/ ٥٨٣.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٦٧٢ (٢١١٣)، أبو داود: السنن ٣/ ٢٥ (٢٥٥٤-٢٥٥٥) شرح صحيح مسلم ١٤/ ٩٤)، ونص الحديث: «لاَ تَصْحَبُ الْمَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ وَلاَ جَرَسٌ».

(٣) ابن أياس المروزي، ثقة مأمون (ت ٢٤٤هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٩٣-٢٩٤ (٥٠٤)، خلاصة التذهيب ص٢٦٩.

(٤) ابن أبي إسحاق السبيعي الكوفي، ثقة، رضا (ت ٩١هـ) ينظر: المصدران نفسيهما ٨ / ٢٣٧-٢٤٠ (٤٣٩)، ص٣٠٤.

(٥) الأزدي القُردوسي، أبو عبد الله البصري، الإمام، ثقة حافظ (ت ١٤٧ وقيل ١٤٨هـ) ينظر الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص١٨٦ (٣٥٣)، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٥٥.

(٦) مسند أحمد ٣/ ٢٢٥ (٧٢٤) أبو داود: السنن ٢/ ٣٢١ (٢٣٨٠)، الترمذي: السنن ٣/ ٩٨-٩٩ (٧٢٠)، وينظر طرق الحديث ابن تيمية: المنتقى من أخبار المصطفى ٢/ ١٧٣، الشوكاني: نيل الأوطار ٤/ ٢٠٤.

(٧) الترمذي: المصدر السابق ٣/ ٩٨-٩٩، ابن تيمية: المصدر السابق ٢/ ١٧٣-١٧٤.

(٨) ابن ثوبان الحجازي، من جلّة أهل المدينة، وثقه ابن حبان (ت ١١٧هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٤٣٦ (٧١٥)، تقريب التهذيب ٢/ ٥٣ (٤٠٦).

٤ـ ما كانت علته إدراج[٢] كلام آخر فيه:

ويعرف المدرج بأمور:

١- بوروده منفصلاً في رواية أخرى.

٢- أو بالنص على ذلك من الراوي.

٣- أو من بعض الأئمة المطلعين.

٤- أو باستحالة كونه ﷺ يقول ذلك[٣].

ويكون الإدراج في أول الحديث، أو في وسطه أو في آخره وأقسام أخرى[٤].

فمن الأمثلة المشهورة: عن أبي خيثمة زهير بن معاوية، عن الحسن بن الحر[٥] عن القاسم بن مخيمرة[٦] عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ علمه التشهد في الصلاة فقال: قل:

(التَّحِيَّاتُ لله) فذكر التشهد وفي آخره[٧]: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله. فإذا قُلْتَ هَذَا فَقَدْ قَضَيْتَ صَلاَتَكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَقُومَ فَقُمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَقْعُدَ فَاقْعُدْ).

هكذا رواه أبو خيثمة عن الحسن بن الحر، فأدرج في الحديث قوله:

(فإذا قلت هذا إلى آخره) وإنما هذا من كلام ابن مسعود لا من كلام رسول الله ﷺ[٨].

ومنها: أن يدرج في متن حديث بعض متن حديث آخر مخالف للأول في الإسناد.

---

(١) لوحة ٢٢/ ب، ابن تيمية: المصدر السابق ٢/ ١٧٤.

(٢) المدرج: أن تزداد لفظة في متن الحديث من كلام الراوي، فيحسبها من يسمعها مرفوعة في الحديث، فيرويها كذلك، ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص٤٥.

(٣) ينظر: الباعث الحثيث ص٧٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص٧٠.

(٥) ابن الحكم النخعي الكوفي، ثقة (ت ١٣٣هـ) ينظر الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٧٧.

(٦) الهمداني الكوفي، ثقة (ت ١٠٠هـ) وقيل غير ذلك ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ٣٣٧-٣٣٨ (٦٠٨)، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ١٤٤.

(٧) رواه الجماعة: الترمذي: السنن ٢/ ٨١ (٢٨٩)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ٥/ ٢٩١ (١٩٦١)، فتح الباري ١٣/ ٣٦٥ (٧٣٨١).

(٨) ينظر: معرفة علوم الحديث ص٣٩-٤٠، ابن الصلاح: المقدمة ص٤٥.

مثاله: رواية سعيد بن أبي مريم[١]، عن مالك، عن الزهري، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال[٢]:

«لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، ولا تَنَافسُوا.. » الحديث.

فقوله (ولا تنافسوا) أدرجه ابن أبي مريم، من متن حديث آخر، رواه مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج[٣]، عن أبي هريرة فيه[٤]:

(لَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا)[٥].

٥- ما كانت علته أنه لا يشبه كلام النبي ﷺ:

منها حديث:

(بينما رسول الله ﷺ جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً، فقال له رسول الله ﷺ:

حبيبي جبرئيل لم أراك في مثل هذه الصورة؟.

قال الملك: لست بجبرئيل يا محمد!.

بعثني الله عز وجل أن أزوّج النور من النور، قال: من ممن؟.

قال: فاطمة من علي !.

قال: فلما ولى الملك إذا بين كتفيه:

محمد رسول الله، علي وصيه!.

---

(١) سعيد بن الحكم بن محمد البصري، الحافظ، الفقيه، الثقة، قد يأتي بالغرائب (ت ٢٢٤هـ) ينظر:تذكرة الحفاظ ١/ ٣٩٢ (٣٩٢)، تهذيب التهذيب ٤/ ١٧-١٨ (٢٣).

(٢) الحديث روي بعدة ألفاظ ينظر:صحيح البخاري ٥/ ٢٢٥٣ (٥٧١٨)، صحيح مسلم ٤/ ١٩٨٢ (٢٥٥٨) الترمذي: المصدر السابق ٤/ ٢٩٠ (١٩٣٥)، فتح الباري ١٠/ ٤٩١-٤٩٢ (٦٠٧٥-٦٠٧٧، شرح صحيح مسلم ١٦/ ١١٥-١٢٠).

(٣) عبد الرحمن بن هرمز، صاحب أبي هريرة، تابعي ثقة (ت ١١٧هـ) ينظر ابن قتيبة: المعارف ص٢٠٥، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩٠ - ٢٩١ (٥٦٦).

(٤) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص٤٦.

(٥) الاصبحي: مالك بن أنس (ت١٧٩هـ/ ٧٩٥م) موطأ مالك تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي -مصر ٢/ ٩٠٧(١٦١٦) مسند أحمد ١٦/ ٦٠ (١٠٠٠١).

فقال رسول الله ﷺ:

منذ كم هذا بين كتفيك؟.

فقال: من قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام"[١].

قال ابن رجب:

ومن ذلك أنهم يعرفون الكلام. الذي يشبه كلام النبي ﷺ من الكلام الذي لا يشبه كلامه قال ابن أبي حاتم الرازي، عن أبيه: تعلم صحة الحديث بعدالة ناقليه، وأن يكون كلاماً يصلح أن يكون مثل كلام النبوة[٢].

---

(١) الكافي في الأصول ١/ ٤٦٠ - ٤٦١ (كتاب الحجة) وهو من كلام المتشيّعة أتباع المجوس.

(٢) ينظر: شرح علل الترمذي ٢/ ٨٧٢.

المبحث الثالث
ضوابط لمعرفة العلل بأحوال معينة

هناك ضوابط دقيقة إضافية غير التي ذكرناها في المبحث الثاني يمكن من خلالها أن يعرف الناقد الحديث المُعَّل، كمعرفة أعيان الثقات؛ الذين تدور غالب الأحاديث الصحيحة عليهم، وبيان مراتبهم في الحفظ، ومن يرجح قوله منهم عند الاختلاف.

وكذلك بعض الثقات الذين لا يذكر أكثرهم في أكثر كتب الجرح، وقد ضعف حديثهم أما في بعض الأوقات. أو في بعض الأماكن. أو عن بعض الشيوخ.

بين ابن رجب: أن معرفة صحة الحديث وسقمه تحصل من وجهين:

١ـ معرفة رجاله، وثقتهم، وضعفهم:

وهذا أمر هين، لوجود عدد كبير من المصنفات في ذلك.

معرفة مراتب الثقات، وترجيح بعضهم على بعض عند الاختلاف سواء في الرفع أو الوقف أو الإسناد وهو من دقائق علم علل الحديث [١].

مراتب أعيان الثقات، وتفاوتهم، ومن يرجح قوله منهم عند الاختلاف:

والبحث في هذا الأمر متعب وشاق، وواسع، والإحاطة به أمر صعب للغاية. إلا لمن أعطاه الله الصبر واليقين. ولذا نكتفي بذكر أمثلة لبعض **الثقات** وبعض البلدان ومراتبهم. ومن يقدم منهم عند الاختلاف.

أهل المدينة:

أـ أصحاب نافع مولى ابن عمر:

وهم طبقات، فأعلاهم: أيوب السختياني، وعبيد الله بن عمر، ومالك، وعمر بن نافع [٢]،

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٦٦٣.

(٢) العدوي المدني مولى ابن عمر، ثقة، توفي في عهد المنصور، ينظر: تهذيب التهذيب ٧/ ٤٩٩ - ٥٠٠ (٨٣٣)، خلاصة التذهيب ص ٢٨٦.

وبعدهم ابن عون، ويحيى الأنصاري[١]، وابن جريج، وبعدهم أيوب بن موسى[٢]، وإسماعيل بن أمية[٣]، وبعدهم موسى بن عقبة[٤]. وقال يحيى بن معين: أثبت أصحاب نافع مالك، هو أثبت من أيوب، وعبيد الله بن عمر والليث بن سعد[٥].

مثال: ومما اختلف فيه أصحاب نافع حديث[٦]:

(مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ الله فَلَا حِنْثَ عَلَيْهِ).

رفعه أيوب، ووقفه مالك، وعبيد الله، واختلف الحفاظ في الترجيح وأكثرهم رجح قول مالك[٧].

بـ- أصحاب سعيد بن أبي سعيد المقبري:

وهم أيضاً على تفاوت في المراتب فيما رووه عن المقبري: قال عبد الله بن أحمد: قال أبي: أصح الناس حديثاً عن سعيد المقبري؛ ليث بن سعد، وعبيد الله بن عمر، يقدم في سعيد[٨].

وقال يحيى بن سعيد (أي القطان):

ابن عجلان[٩]، لم يقف على حديث سعيد المقبري ما كان عن أبيه، عن أبي هريرة، وما روى هو عن أبي هريرة.

---

(١) يحيى بن سعيد، القاضي، حجة ثبت (ت ١٤٤هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٧ - ١٣٩ (١٣٠)، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ٢٢١-٢٢٤ (٣٦٠).

(٢) ابن عمرو بن سعيد بن العاص، ثقة (ت ١٣٢هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٤١٢ - ٤١٣ (٧٥٧)، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ١٩١.

(٣) ابن عمرو بن سعيد بن العاص - ابن عم الأول - ثقة (ت ١٤٤هـ) وقيل غير ذلك ينظر ابن حجر والخزرجي: المصدران السابقان ١/ ٢٨٣ - ٢٨٤ (٥٢٤)، ص ٣٢ - ٣٣.

(٤) ينظر: شرح علل الترمذي ٢/ ٦٦٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٦٦٧.

(٦) أبو داود: السنن ٣/ ٢٢٢ (٣٢٦١ - ٣٢٦٢)، الترمذي: السنن ٤/ ٩١ - ٩٢ (١٥٣١ - ١٥٣٢).

(٧) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٦٦٨.

(٨) ينظر أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال ١/ ١٠٧.

(٩) محمد بن عجلان المدني، أحد العلماء العاملين، ثقة (ت ١٤٨ وقيل ١٤٩هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٤١ - ٣٤٢ (٥٦٤)، شذرات الذهب ١/ ٢٤.

أضعفهم عنه، يعني عن المقبري حديثاً، أبو معشر[١].

وقال عبد الله أيضاً:

قال أبي: بلغني عن يحيى بن سعيد قال: لم يقف ابن عجلان على حديث سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة. فترك أباه فكان يقول: سعيد المقبري عن أبي هريرة.

وأصح الناس عن سعيد المقبري ليث بن سعد، يفصل ما روى، عن أبي هريرة وما[٢] (روى) عن أبيه عن أبي هريرة، هو ثبت في حديثه جداً[٣].

أهل البصرة:

أ- أصحاب محمد بن سيرين:

قال ابن رجب: قال ابن المديني: أحاديث هشام بن حسان عن محمد صحاح.

قال: ونسخت من كتاب: ليس أحد أثبت في ابن سيرين من أيوب، وابن عون، إذا اتفقا، وإذا اختلفا فأيوب، أثبت، وهشام أثبت، من خالد الحذاء[٤]، في ابن سيرين، وكلهم ثبت، وكذلك سلمة بن علقمة[٥]، وعاصم الأحول، وليس في القوم مثل أيوب وابن عون. وهشام الدستوائي ثبت[٦].

وقال الدارقطني:

أثبت أصحاب ابن سيرين: أيوب، وابن عون، وسلمة بن علقمة، ويونس بن عبيد[٧].

---

(١) ينظر أحمد بن حنبل: المصدر السابق ١/ ١٠٧.

(٢) ما بين القوسين من الباحث، حيث أن الجملة لا تستقيم بدونها.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ١/ ١٠٧.

(٤) خالد بن مهران، أبو المنازل البصري، الإمام الحافظ، الثقة (ت ١٤١هـ) وقيل غير ذلك ينظر:: من تكلم فيه وهو موثق ص ٧٥ (١٠١)، ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٢ - ٦٤٣ (٢٤٦٦).

(٥) التميمي: أبو بشر البصري، ثقة ثبت (ت قبل ١٤٠هـ) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ١٥٠ (٢٦٠)، خلاصة التذهيب ص ١٤٨.

(٦) شرح علل الترمذي ٢/ ٦٨٨.

(٧) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٦٨٩، ويونس هو: بن عبيد بن دينار العبدي، البصري، ثقة كثير الحديث (ت ١٤٠هـ) ينظر: ابن حجر والخزرجي: المصدران السابقان ١١/ ٤٤٢ - ٤٤٥ (٨٥٥)، ص ٤٤١.

وقال المروزي[(١)]:

سألت أبا عبد الله عن هشام بن حسان، فقال: أيوب وابن عون أحب إليّ، وحسن أمر هاشم[(٢)].

بـ أصحاب شعبة بن الحجاج:

قال أحمد في رواية ابن هانئ[(٣)]:

ما في أصحاب شعبة، أقل خطأ من محمد بن جعفر[(٤)]، ولا يقاس بيحيى بن سعيد في العلم أحد[(٥)].

وقال: صالح بن أحمد[(٦)]:

ثنا علي بن المديني، قال:

ذكرت ليحيى (أي ابن معين) أصحاب شعبة، فقال:

أنا لا اسمي لك أحداً، كان عامتهم يمليها عليهم رجل، إلا خالداً (يعني بن الحارث)[(٧)]، ومعاذاً (أي: بن معاذ)[(٨)] فإنا كنا إذا قمنا من عند شعبة جلس خالد ناحية، ومعاذ ناحية ليكتب كل واحد منهما بحفظه، وأما أنا فكنت لا أكتب حتى أجئ إلى البيت[(٩)].

---

(١) هو: أحمد بن محمد بن الحجاج صاحب الإمام أحمد.

(٢) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٦٨٨ - ٦٨٩

(٣) إبراهيم بن هانئ أبو إسحاق النيسابوري من كبار أصحاب أحمد، ثقة، إمام عابد، رحالة، قال الإمام أحمد: إن كان في البلد رجل من الإبدال فابو إسحاق (ت ٢٦٥هـ) ينظر: العبر ١/ ٣٨٠، سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٧.

(٤) غندر، أبو عبد الله البصري، صاحب شعبة، حافظ ثقة (ت ١٩٣هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٠ - ٣٠٢ (٢٨١)، تهذيب التهذيب ٩/ ٩٦ - ٩٨ (١٢٩).

(٥) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٠٢.

(٦) ابن حنبل الشيباني: صدوق (ت ٢٦٥هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٦٢٩، ابن عماد: شذرات الذهب ٢/ ١٤٩ - ١٥٠.

(٧) أبو عثمان البصري، الحافظ الحجة (ت ١٨٦هـ) ينظر: المصدران نفسيهما ١/ ٣٠٩ (٢٨٥)، ١/ ٣٠٩.

(٨) العنبري البصري، الإمام، الحافظ، العلامة، ثقة ثقة (ت ١٩٦هـ) ينظر وكيع: اخبار القضاة ٢/ ١٤٧ - ١٥٤، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٢٤ - ٣٢٥ (٣٠٦).

(٩) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٠٢ - ٧٠٣.

وقال ابن أبي حاتم: ثنا أحمد بن منصور المروزي[١] سمعت سلمة بن سليمان[٢] يقول: قال عبد الله بن المبارك: إذا اختلف الناس في حديث شعبة فكتاب غندر حكم فيما بينهم[٣].

أهل الكوفة:

أـ أصحاب أبي إسحاق السبيعي:

ذكر الترمذي: أن الثوري وشعبة أثبت وأحفظ من جميع من روى عن أبي إسحاق[٤].

وقال ابن أبي خيثمة[٥]:

وهما أثبت من زهير[٦]، وإسرائيل[٧] وهما قرينان.

قال: وسمعت ابن معين يقول: لم يكن أحد أعلم بحديث أبي إسحاق من الثوري.

وقد رجحت طائفة؛ إسرائيل، في أبي إسحاق، وخاصة على الثوري، وشعبة منهم: ابن مهدي.

وروي عن شعبة: أنه كان يقول في أحاديث أبي إسحاق:

سلوا عنها إسرائيل فإنه أثبت فيها مني، ومثّل لذلك ابن رجب؛ بحديث ابن مسعود في الاستنجاء بالحجرين وإلقاء الروثة[٨].

---

(١) أبو صالح: صدوق (ت ٢٥٧هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ١/ ٨٢ - ٨٣ (٢٤٢)، خلاصة التهذيب ص ١٣.

(٢) المروزي، ثقة من أصحاب ابن المبارك (ت ٢٠٣هـ) ينظر: المصدران نفسيهما ٤/ ١٤٥ - ١٤٦ (٢٥١)، ص ١٤٨ (وسماه سلمة بن سليم).

(٣) الجرح والتعديل ٣ قسم ٢/ ٢٢١.

(٤) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٠٩.

(٥) هو: أحمد بن زهير.

(٦) هو زهير بن معاوية.

(٧) هو: إسرائيل بن يونس.

(٨) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٧١٢ والحديث أخرجه الترمذي عن طريق وكيع عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله، قال: خرج النبي ﷺ لحاجته فقال: (التمس لي ثلاثة أحجار، قال: فأتيته بحجرين وروثه، فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال: أنها رِكْسٌ). وروى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه الأسود بن يزيد، عن عبد الله.

فقال أبو عيسى: وهذا حديث فيه اضطراب، لكنه رجح رواية إسرائيل عن أبي إسحاق، لأن إسرائيل أثبت وأحفظ لحديث أبي إسحاق، ينظر: الحديث: الترمذي: السنن ١/ ٢٥ ٢٦ (١٧).

ب ـ أصحاب الأعمش:

قال ابن أبي حاتم: ثنا أحمد بن سنان الواسطي[١]، سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: ما رأيت سفيان لشيء من حديثه أحفظ منه لحديث الأعمش[٢].

وقال حرب[٣]، عن أحمد: أبو معاوية[٤] أثبت، في الأعمش، من جرير[٥].

قيل لأحمد:

أبو معاوية، فوق شعبة، يعني في الأعمش، قال:

أبو معاوية في الكثرة وعلمه بالأعمش، وشعبة صاحب حديث يؤدي الألفاظ والأخبار، وأبو معاوية (عن، عن[٦]).

وقيل له: بعد أبي معاوية، شعبة أثبت؟ قال: شعبة أثبت في كل شيء.

وقد غلط شعبة في بعض ما روى عن الأعمش، وكان زائدة[٧]، من أصح الناس حديثاً عن الأعمش، ما خلا الثوري.

قال:

وجرير لم يكن بالضابط عن الأعمش.

وقال: أبو معاوية، عنده أحاديث يقلبها عن الأعمش[٨].

---

(١) القطان: الحافظ، الحجة (ت ٢٥٦هـ) وقيل غير ذلك ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٢١ (٥٣٨)، تهذيب التهذيب ١/ ٣٤ - ٣٥ (٦٢).

(٢) تقدمة الجرح والتعديل ص ٦٣.

(٣) حرب بن إسماعيل الكرماني، الفقيه الحافظ (ت ٢٨٠هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٦١٣ (٦٣٨)، ابن عماد: الشذرات ٢/ ١٧٦.

(٤) محمد بن حازم الضرير.

(٥) جرير بن عبد الحميد الضبي.

(٦) أي يكثر من العنعنة والتدليس.

(٧) زائدة بن قدامة أبو الصلت الثقفي الكوفي، الإمام، الحجة، الثقة، كان لا يحدث صاحب بدعة (ت ١٦١هـ) ينظر: ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار ص ١٧١، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢١٥ - ٢١٦ (٢٠٢).

(٨) شرح العلل ٢/ ٧١٧-٧١٨.

أهل الشام:

أصحاب مكحول:

قال أبو زرعة الدمشقي: قلت لعبد الرحمن بن إبراهيم[١]، يعني؛ دحيماً، وسألته عن ثابت بن ثوبان[٢] والعلاء بن الحارث[٣]، أيهما أثبت؟ قال: العلاء أفقه حديثاً، وثابت بن ثوبان قليل الحديث، قلت له: إن أبا مسهر[٤] قال أنبل أصحاب مكحول: ثابت بن ثوبان، والعلاء ابن الحارث.

وأعدت عليه تقدم سن ثابت بن ثوبان، ولقيه سعيد بن المسيب فلم يدفعه عن ثقة وتقدم، وقدم العلاء بن الحارث عليه لفقهه.

قلت له:

فيزيد بن يزيد بن جابر[٥]، فوق العلاء بن الحارث؟.

قال: نعم.

قلت: فسليمان بن موسى بن يزيد[٦]؟ .

قال: نعم.

قلت: وهو المقدم من أصحاب مكحول ؟.

قال: نعم.

قلت: فمن بعد العلاء بن الحارث؟ .

---

(١) ابن عمرو أبو سعيد الأموي، الفقيه الكبير، كان على مذهب الأوزاعي، محدث الشام، الحجة، الثقة (ت ٢٤٥هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٠ (٤٩٤)، العبر ١/ ٣٥٠.

(٢) العنسي الدمشقي أبو عبد الرحمن، ثقة، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: تهذيب التهذيب ٢/ ٤ (٣)، خلاصة التذهيب ص ٥٦.

(٣) الحضرمي، الشامي الفقيه صاحب مكحول (ت ١٣٦هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٤٢، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ١٩٤

(٤) عبد الأعلى بن مسهر الدمشقي.

(٥) الأزدي الدمشقي، ثقة (ت ١٣٤هـ) ينظر: ابن حجر والخزرجي: المصدران السابقان ١١/ ٣٧٠ - ٣٧١ (٧١٣)، ص ٤٣٥.

(٦) الدمشقي، وثقه الاكثرون (ت ١١٧هـ) ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٢/ ٢٣٦، الذهبي: من تكلم فيه وهو موثوق ص ٩٤ (١٤٨).

قال: زيد بن واقد[١].

قلت: فعبد الرحمن بن يزيد بن جابر[٢]؟.

قال: بعده.

قلت: فما تقول في أبي مُعَيْد، حفص بن غيلان[٣]؟ قال: ثقة.

قلت: فما تقول في الوضين بن عطاء[٤]؟ .

قال: ثقة.

قلت: فأين هو من أبي معيد؟ .

قال: فوقه، لسنه ولقيه.

قلت: فمن بعد عبد الرحمن بن يزيد بن جابر من أصحاب مكحول؟ قال: الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز[٥].

قلت له:

سعيد أكثر مجالسة لمكحول من الأوزاعي؟.

قال: ذاك بين في حديثه، كان الأوزاعي ربما غاب[٦].

---

(١) القرشي الدمشقي، ثقة، رمي بالقدر، روى عنه البخاري (ت ١٣٨هـ) ينظر: ابن حجر والخزرجي: المصدران السابقان ٣/ ٤٢٦ - ٤٢٧ (٧٨٠)، ص ١٢٩.

(٢) الأزدي الشامي الداراني ثقة (ت ١٥٣هـ) وقيل غير ذلك ينظر: المصدران نفسيهما ٦/ ٢٩٧-٢٩٨ (٥٧٨)، ص ٢٣٦.

(٣) الهمداني، أختلف فيه، لم أظفر له على تاريخ وفاته، غير أنه من الطبقة الثامنة، ينظر: الذهبي: الميزان ١/ ٥٦٨ (٢١٦٢) ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٤١٨ - ٤١٩ (٧٢٧).

(٤) الخزاعي الدمشقي، ثقة ت ١٤٩هـ وقيل غير ذلك ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٣٣٤-٣٣٥ (٩٣٢٥)، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ١٢٠ - ١٢١ (٢٠٥).

(٥) ابن أبي يحيى التنوخي الدمشقي، ثقة ثبت، اختلط قبل موته (ت ١٦٧ وقيل ١٦٨هـ) ينظر: الذهبي: العبر ١/ ١٩٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٥٩ - ٦١ (١٠٢).

(٦) ينظر: شرح علل الترمذي ٢/ ٧٢٧-٧٢٨.

أهل مصر:

أصحاب بكير بن عبد الله بن الأشج[١]:

قال الأثرم[٢]:

سمعت أبا عبد الله يقول: لا أعلم أحداً أحسن حديثاً عن بكير بن عبد الله، من؛ ليث بن سعد، وقال: هو أحسن حديثاً - عندي- من عمرو بن الحارث[٣]، ومن ابن لهيعة.

قلت له:

إن أبا الوليد[٤] يتكلم في روايته، ويقول:

مناولة، أعني: ليث بن سعد، فقال:

ما أدري أي شيء هذا، وأنكر قوله.

وقال: أي شئ ينكر من حديث ليث، وليث حسن الحديث صحيحه[٥].

٢ـ ثقات ضعفت أحاديثهم لأسباب:

١ـ من ضعف حديثه في بعض الأوقات دون بعض:

وهم الثقات الذين خلطوا في آخر عمرهم، وهم متفاوتون في تخليطهم فمنهم من خلط تخليطاً فاحشاً، ومنهم دون ذلك.

سعيد بن إياس الجريري[٦]، أحد العلماء الثقات، تغير قليلاً، قال أحمد: هو محدث أهل البصرة. وقال أبو حاتم: تغير حفظه قبل موته، فمن كتب عنه قديماً؛ فهو صالح، وهو حسن

---

(١) القرشي المصري (ت ١٢٠هـ) وقيل غير ذلك ينظر: المصدران نفسيهما ١/ ١١٩، ١ / ٤٩١ - ٤٩٣ (٩٠٨).

(٢) أحمد بن محمد بن هانئ، صاحب أحمد الحافظ الكبير، له كتاب في العلل توفي بحدود (٢٦١هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٠ - ٥٧٢ (٥٩٥)، العبر ١/ ١٧٤.

(٣) ابن يعقوب الأنصاري، ثقة (ت ١٤٨هـ) وقيل غير ذلك ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٨٣ - ١٨٥ (١٧٩)، ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ١٤ - ١٦ (٢٢).

(٤) هشام بن عبد الملك الطيالسي.

(٥) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٣٢.

(٦) البصري: أبو مسعود أحد الثقات، اختلط بآخره (ت ١٤٤هـ) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ١٢٧ - ١٢٨ (٣١٤٢)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٥ - ٧ (٨).

الحديث، وحديثه مخرج في الصحيحين، من رواية جماعة عنه[١].

ذكر الفلاس[٢] عن يحيى القطان، قال:

أتيت الجريري فسمعته يقول:

ثنا عبد الله بن بريدة، عن عبد الله بن عمرو، قال[٣]:

(بَيْنَ كلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ).

فلما خرجت قال لي رجل:

إنما هو عن عبد الله بن مغفل[٤]، فرجعت إليه، فقلت له، فقال: عن عبد الله بن مغفل[٥].

حدث عنه الأئمة بالكثير قبل الاختلاط، منهم: الثوري، وحماد بن سلمة، وشعبة، وعبد الأعلى، قبل أن يختلط، بثمان سنين، وابن علية، وبشر بن المفضل[٦]، ويزيد بن هارون وخلق[٧].

وممن سمع منه بعد الاختلاط: عيسى بن يونس، قاله يحيى بن معين وغيره، وامتنع عيسى أن يحدث عنه حيث نهاه، يحيى بن سعيد أن يحدث عنه.

ومنهم أيضاً: محمد بن أبي عدي[٨]، وكان يقول:

لا أكذب الله ما سمعت من الجريري إلا بعدما اختلط[١].

---

(١) ينظر: المصدران نفسيهما ٢/ ١٢٧ - ١٢٨، ٤/ ٥- ٧.

(٢) عمرو بن علي بن بحر بن كنيز الباهلي البصري، الإمام الحافظ، الثبت، الثقة (ت ٢٤٩هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٨٧ - ٤٨٨ (٥٠٢)، العبر ١/ ٣٥٧ - ٣٥٨.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢٢٥ (٥٩٨) صحيح مسلم ١/ ٥٧٣ (٨٣٨)، فتح الباري ٢/ ١١٠ (٦٢٧)، شرح صحيح مسلم ٦/ ١٢٤) كلاهما عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مغفل: وينظر كذلك ابن ماجة: السنن ١/ ٣٦٨ (١١٦٢)، الدارقطني: السنن ١/ ٢٦٦ (٤ - ٦).

(٤) ابن عبد غنم وقيل بن عبد نهم، صحابي جليل أحد البكائين في غَزوة تبوك، وأحد العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالبصرة (ت ٦١هـ)على الصحيح ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٢٥ - ٣٢٦، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٣٧٢ (٤٩٧٢).

(٥) ينظر ابن رجب: شرح علل الترمذي ٢/ ٧٤٢.

(٦) بشر بن المفضل بن لاحق الرقاشي البصري الحافظ، العابد، الثقة (ت ١٨٦هـ وقيل ١٨٧هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٩ - ٣١٠ (٢٨٦)، شذرات الذهب ١/ ٣١٠.

(٧) ينظر: ميزان الاعتدال ٢/ ١٢٧، تهذيب التهذيب ٤/ ٧.

(٨) الحافظ الثقة ت ١٩٤هـ ينظر:تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٤ (٣٠٥)، خلاصة التذهيب ص ٣٢٤.

حدد بعض العلماء بداية أختلاطه وسنواته، قال ابن سعد [٢]:

عن يزيد بن هارون سمعت من الجريري سنة (١٤٢هـ) وهي أول سنة دخلت البصرة، ولم ننكر منه شيئاً، وكان قيل لنا أنه قد اختلط.

وقال النسائي:

ثقة أنكر أيام الطاعون، وقال ابن حبان توفي سنة (١٤٤هـ) وكان قد اختلط قبل أن يموت بثلاث سنين [٣].

أما نوع اختلاطه فلم يكن فاحشاً، قال يحيى بن سعيد القطان:

وهو مختلط ولم يكن اختلاطه فاحشاً [٤].

وقال عبد الله بن أحمد: حدثني أبي، قال:

سألت يحيى عن الجريري: أكان مختلطاً؟ قال:

لا، كبر الشيخ فَرَق [٥].

٢- من ضعف حديثه في بعض الأماكن دون بعض: وهو على ثلاثة أقسام:

أ- من حدث مع الكتاب وبدونه، وعن شيخ في موضعين:

من الرواة من حدث في كتابه فضبط، وفي مكان آخر لم يكن معه كتابه فخلط، وكذلك من حدث عن شيخ في مكان فضبط، وحدث عنه في مكان آخر، فلم يضبط.

وقد ضرب أئمة الحديث ومنهم: أهل هذا الفن بإطناب عن هؤلاء، وتابعوهم شخصاً شخصاً، وشيخاً شيخاً، ومكاناً مكاناً، حتى يظهروا العلل الخفية التي تمر على كثير من الناس، وبينوها بياناً شافياً كافياً فمن هؤلاء:

معمر بن راشد؛ وهو الحجة، والثقة والأمام، لكن أحاديثه بالبصرة تختلف عن أحاديثه في

---

(١) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٤٢، ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٦

(٢) ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى، الناشر: دار صادر - بيروت، ٧/ ٢٦١.

(٣) ينظر: النص ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٦.

(٥) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٤٣

اليمن، وهو أول من صنف في اليمن.

قال أبو حاتم[١]:

صالح الحديث، وما حدث به بالبصرة ففيه أغاليط.

وقال ابن أبي خيثمة[٢]:

سمعت يحيى بن معين يقول:

إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري، وابن طاووس[٣]، فإن حديثه عنهما مستقيم، فأما أهل الكوفة، وأهل البصرة فلا، ما عمل في حديث الأعمش شيئاً.

قال يحيى[٤]:

وحديث معمر، عن ثابت، وعاصم بن أبي النجود[٥]، وهشام بن عروة، وهذا الضرب مضطرب كثير الإوهام.

وقال أحمد في رواية الأثرم:

حديث عبد الرزاق، عن معمر، أحب إلى من حديث هؤلاء البصريين، كان يتعاهد كتبه وينظر، يعني باليمن، وكان يحدثهم بخطأ بالبصرة[٦].

ومثل ابن رجب لاختلافه في الحديث بالبصرة عن اليمن فقال:

فما اختلف فيه باليمن، والبصرة، حديث[٧]:

(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَوَى أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ[٨] مِنَ الشَّوْكَةِ).

---

(١) ينظر: ميزان الاعتدال ٤/ ١٥٤، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٢٤٥.

(٢) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٤/ ١٥٤، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٢٤٥.

(٣) عبد الله بن طاووس بن كيسان اليماني، ثقة، فقيه كان من أعلم الناس بالعربية وأحسنهم خلقاً (ت ١٣٢هـ) ينظر: المصدر نفسه ٥/ ٢٦٧ - ٢٦٨ (٤٥٨)، شذرات الذهب ١/ ١٨٨.

(٤) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٢٤٥.

(٥) عاصم بن بهدلة بن أبي النجود الأزدي الكوفي، شيخ قراء الكوفة، ثقة تكلم فيه ينظر: ابن زنجلة: حجة القراءات ص ٥٧ - ٥٨، الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص ١٠٤ (١٧١).

(٦) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٦٧.

(٧) الترمذي: السنن ٤/ ٣٤١ (٢٠٥٠) من طريق معمر عن الزهري عن أنس، المستدرك ٣/ ٢٠٧ (٤٨٥٩).

(٨) ابن عدس بن عبيد الأنصاري، شهد العقبتين، كان نقيباً على قبيلته، ويقال أنه: أول من بايع ليلة العقبة وهو

رواه باليمن، عن الزهري- عن أبي أمامة بن سهل[١] مرسلاً، ورواه عن الزهري، عن أنس. والصواب المرسل[٢].

ب- من حدث عن أهل مصر أو إقليم فحفظ حديثهم، وحدث عن غيرهم فلم يحفظ.

فمن هؤلاء (إسماعيل بن عياش الحمصي) قال الذهبي عنه:

الأمام محدث الشام أبو عتبة العنسي الحمصي أحد الأعلام[٣]. فإذا حدث عن الشاميين فحديثه جيد، وإذا حدث عن غيرهم فحديثه مضطرب.

قال الفسوي[٤]:

كنت اسمعهم يقولون: علم الشام عند إسماعيل، والوليد بن مسلم.

وقال أيضاً: تكلم قوم في إسماعيل، وهو ثقة عدل، أعلم الناس بحديث الشام، أكثر ما تكلموا فيه قالوا: يغرب[٥] عن ثقات الحجازيين.

وقال ابن أبي خيثمة، عن ابن معين:

ليس به بأس في أهل الشام، وقال دحيم: هو غاية في الشاميين، وخلط عن المدنيين، وقال البخاري:

إذا حدث عن أهل بلده (الشام) فصحيح وإذا حدث عن غيرهم ففيه نظر.

وقال ابن المديني سمعت أبي يقول:

ما كان أحد أعلم بحديث أهل الشام من إسماعيل بن عياش، لو ثبت على حديث أهل الشام، ولكنه خلط في حديثه عن أهل العراق.

أصغرهم سناً مات بعد أشهر من الهجرة، وهو أول صحابي مات بعد الهجرة وأول ميت صلى عليه النبي ﷺ ينظر: الاستيعاب ٤/ ٢ - ٣، الإصابة ١/ ٣٤ - ٣٥ (١١١).

(١) أسعد بن سهل بن حنيف الأنصاري، اختلف في صحبته ويرجح صحبته (١٠٠هـ) ينظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ٤/ ٥، ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٩ (٥٢).

(٢) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٦٧ - ٧٦٨.

(٣) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٣.

(٤) هو: يعقوب بن سفيان.

(٥) أي يأتي بشيء غريب ينظر: مختار الصحاح ص ٤٧٠ (غ ر ب).

وسئل ابن معين عنه فقال:

عن الشاميين حديثه صحيح، وإذا حدث عن العراقيين والمدينين خلط ما شاء[١].

ومن أخلاطه ما رواه عن الأوزاعي، عن الزهري، عن سعيد عن عمر بن الخطاب، مرفوعاً[٢]:

(لَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الأمة رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ الْوَلِيدُ لَهُوَ أَشَدُّ عَلَى هَذِهِ الأمة مِنْ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ)[٣].

قال ابن حبان: وهذا باطل.

وقال ابن حجر - وهو يبين سبب خلطه عن أهل الحجاز - :

وأما روايته عن أهل الحجاز فإن كتابه ضاع فخلط في حفظه عنهم[٤].

ج- من حدث عنه أهل مصر أو إقليم فحفظوا حديثه، وحدث عنه غيرهم فلم يقيموا حديثه.

منهم: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب، وهو:

الشيخ الأمام العابد الرباني الفقيه الحافظ. المتفق على عدالته فقيه المدينة[٥].

ذكر مسلم في كتاب التمييز أن سماع الحجازيين منه، يعني أنه صحيح قال: وفي حديث

---

(١) ينظر الأقوال: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٤، ميزان الاعتدال ١/ ٢٤٠ - ٢٤٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) ينظر نصّ الحديث: مصنف عبد الرزاق ١١/ ٤٣ (١٩٨٦١) مسند أحمد ١/ ٢٦٥ (١٠٩) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥٣٩ (٨٥٠٩) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ١٦/ ٤٣٠ (٤٥٢٧٣) وينظر كذلك الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٢٤٤ ولعل هذا الحديث لما أصابه تغيير في كبره قال ابن حبان: كان إسماعيل من الحفاظ المتقنين في حديثهم فلما كبر تغير حفظه فما حفظ في صباه وحداثته أتى به على جهته، وما حفظ على الكبر من حديث الغرباء خلط فيه وأدخل الإسناد في الإسناد، وألزق المتن بالمتن وهو لا يعلم فمن كان هذا نعته حتى صار الخطأ في حديثه يكثر، خرج عن حد الاحتجاج به. ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٣٢٧ ولربما كان هذا الأمر سبباً في إدخال النسائي له في الضعفاء ينظر: الضعفاء والمتروكين / ٤٩.

وقال ابن القيم وكل حديث في ذم بني أمية كذب، وكذلك أحاديث ذم الوليد، وذم مروان بن الحكم، ينظر: المنار المنيف ص١١٧.

(٣) حديث موضوع ينظر: المنار المنيف ص ١١٧ (٢٦٢).

(٤) تهذيب التهذيب ١/ ٣٢٣.

(٥) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ١٩١-١٩٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٢٠ (٧٨٣٧)، ابن حجر: المصدر السابق ٩/ ٣٠٣ - ٣٠٧.

العراقيين عنه وهم كبير، قال: ولعله كان يلقن فيتلقن يعني بالعراق [١].

وذكر أن ذكر الإِسْتِسْعَاءَ[٢] في العتق في حديث ابن عمر[٣]، إنما رواه عن ابن أبي ذئب.

ابن أبي بكير[٤] قال:

وسماعه منه بالعراق فيما نرى، وأما ابن أبي فديك[٥]، فلم يذكر عنه السعاية، وهو سماع الحجازيين[٦].

١ـ قوم ثقات لكن حديثهم عن شيوخهم على درجات:

حماد بن سلمة، الأمام، الحافظ، شيخ الإسلام البصري، النحوي، المحدث[٧] وقد احتج به

---

(١) ص ١٩٠.

(٢) الاستسعاء: قال ابن الأثير: استسعاء العبد إذا أعتق بعضه ورق بعضه: هو أن يسعى في فكاك ما بقي من رقه فيعمل ويكسب ويصرف ثمنه إلى مولاه. ينظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٧٠.

(٣) روي بعدة طرق منها: طريق أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « مَن أعتق شَقِيصًا مِنْ مَمْلُوكِهِ فَعَلَيْهِ خَلاَصُهُ في مَالِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ قُوِّمَ الْمَمْلُوكُ، قِيمَةَ عَدْلٍ ثُمَّ اسْتُسْعِيَ غَيْرَ مَشْقُوقٍ عَلَيْهِ » رواه الجماعة ينظر: صحيح البخاري ٢/ ٨٨٢ (٢٣٦٠)، صحيح مسلم ٣/ ١٢٨٥ (١٥٠٣) شرح صحيح مسلم ١٠/ ١٣٧) الشقيص: السهم والنصيب، وغير مشقوق عليه أي: لا يكلفه فوق طاقته ينظر ابن الأثير: المصدر السابق ٢/ ٣٧٠.

وقوله: (استسعي غير مشقوق عليه) في رواية أبي هريرة، ورواية ابن عمر بلفظ (إلا فقد عتق منه ما عتق) اختلف العلماء اختلافاً شديداً في هاتين الزيادتين.

ذهب كثير منهم: أنها قول قتادة وسعيد بن أبي عروبة، لكن الشوكاني يقول - بعد إيراد كل ما قيل حول الحديثين - (ولا شك أن الرفع زيادة معتبرة، لا يليق إهمالها، كما تقرر في الأصول، وعلم الاصطلاح وما ذهب إليه بعض أهل الحديث من الإعلال، لطريق الرفع بالوقف في طريق أخرى، لا ينبغي التعويل عليه وليس له مستند ...) نيل الأوطار ٦/ ٨٦ - ٨٨، وينظر كذلك: النووي: المصدر السابق ١٠/ ١٣٧ - ١٣٨، ابن تيمية: المنتقى من أخبار المصطفى ٢/ ٤٨١ - ٤٨٦، ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام ٢/ ١٨١ - ١٨٢.

(٤) هو يحيى الأسدي القيسي الكوفي ثقة (ت ٢٠٩هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ١١/ ١٩٠(٣٢٠)، خلاصة التذهيب ص ٤٢١.

(٥) محمد بن إسماعيل الديلمي، الحافظ، محدث المدينة، ثقة (ت ٢٠٠هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٥ - ٣٤٦ (٣٣٠)، ابن حجر: المصدر السابق ٩/ ٦١ (٦٢).

(٦) التمييز ص ١٩١.

(٧) (ت ١٦٧هـ) هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة، وكان عابداً لو قيل له أنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً، ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٠٢-٢٠٣، ميزان الاعتدال ١/ ٥٩٠ - ٥٩٥، ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ١١-١٦(١٤).

مسلم، في أحاديث عدة[١]، والبخاري، روى له حديثاً واحداً[٢].

قال أحمد بن حنبل:

حماد بن سلمة أعلم الناس بثابت البناني وأثبتهم في حميد[٣].

وقال ابن معين:

هو أعلم من غيره بعلي[٤] بن زيد[٥].

وقال أحمد:

محمد بن زياد صاحب[٦] أبي هريرة ثقة، وأجاد حماد بن سلمة الرواية عنه، القرشي وثقه أحمد وأبن معين[٧].

قال ابن حجر:

واجمعا أهل النقل على ثقته وأمانته[٨].

وقال البيهقي:

هو أحد أئمة المسلمين، إلا أنه لما كبر ساء حفظه، فلذا تركه البخاري وأما مسلم فأجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيره[٩].

أما من كان حديثه عنهم فيه ضعف من شيوخه فكثيرون ونحن نذكر باختصار نماذج للاستدلال والفائدة.

---

(١) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٥٩٤.

(٢) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ١٣.

(٣) حميد بن أبي حميد الطويل وقيل اسمه تيرويه (اختلف في اسمه على عشرة أوجه) خال حماد بن سلمة ثقة (ت ١٤٢هـ وقيل ١٤٣هـ) ينظر: ابن قتيبة: المعارف ص ٢١١، ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ٣٨ - ٤٠ (٦٥).

(٤) علي بن زيد بن جدعان، صدوق (ت ١٢٩هـ) ينظر:تذكرة الحفاظ ١/ ١٤٠ - ١٤١ (١٣٣)، من تكلم فيه وهو موثق ص ١٤٠ (٢٥٣).

(٥) الذهبي: المصدر السابق: ١/ ٢٠٢-٢٠٣، ميزان الاعتدال ١/ ٥٩٠.

(٦) القرشي: الجمحي ثقة لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٩/ ١٦٩ - ١٧٠ (٢٤٩)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٣٣٦.

(٧) ينظر: شرح علل الترمذي ٢/ ٧٨٢، ابن حجر: المصدر السابق ٩/ ١٦٩.

(٨) تهذيب التهذيب ٣/ ٤.

(٩) ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٤.

فمن هؤلاء زياد الأعلم[(١)]، وقيس بن سعد[(٢)].

قال يحيى القطان:

حماد بن سلمة، عن زياد الأعلم، وقيس بن سعد، ليس بذاك[(٣)].

ومنهم جرير بن حازم، أحد الأئمة الكبار الثقات، وكان حماد بن سلمة لا يعظم أحداً كجرير[(٤)]، ولكن ضعف حديثه عنه[(٥)].

ومنهم: عاصم بن بهدلة، وهو عاصم بن أبي النجود الكوفي القارئ أحد القراء السبعة، وهو في الحديث دون الثبت[(٦)].

وكان في حفظه شيء، وروى عنه حماد بن سلمة، وقال: خلط عاصم في آخر عمره[(٧)].

وقال ابن رجب[(٨)] - بعد أن عَدّ أن رواية حماد عنه ضعيف - :

عن حماد بن سلمة قال: كان عاصم يحدثنا بالحديث الغداة عن زر[(٩)]، وبالعشي عن أبي وائل[(١٠)].

٢ـ ذكر من حدث عن ضعيف وسماه باسم ثقة:

لعل هذه الفقرة والفقرتين التي تليها، واحدة من أوسع الأبواب التي أستطاع الزنادقة

---

(١) زياد بن حسان بن مرة الباهلي البصري، ثقة ثقة، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر ابن حجر والخزرجي: المصدران السابقان ٣/ ٣٦٢ (٦٦٤)، ص ١٢٤.

(٢) المكي مولى نافع، ثقة (ت ١١٩هـ) وقيل غير ذلك: ينظر: المصدران نفسيهما ٨/ ٣٩٧ (٧٠١)، ص ٣١٧.

(٣) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٥٩٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٣٩٢.

(٥) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٨٤.

(٦) ينظر الذهبي وابن حجر: المصدران السابقان ٢/ ٣٥٧، ٥/ ٣٨.

(٧) الذهبي وابن حجر: المصدران نفسيهما ٢/ ٣٥٧، ٥/ ٣٨.

(٨) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٧٨٨.

(٩) زر بن حبيش بن حباشة الأزدي من كبار التابعين، مخضرم، أدرك الجاهلية، ثقة كثير الحديث (ت ٨٣هـ) ينظر: الإصابة ١/ ٥٧٧ (٢٩٧١)، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٢١ - ٣٢٢ (٥٩٧).

(١٠) شقيق بن سلمة الأزدي صاحب ابن مسعود، مخضرم أدرك الإسلام، تابعي كبير (ت ٨٢هـ) ينظر: ابن حجر: المصدران نفسيهما ٢/ ١٦٧ - ١٦٨ (٣٩٨٢)، ٤/ ٣٦١ - ٣٦٣ (٦٠٩).

وأعداء الإسلام الدخول منها، ومن ثم نالوا من الإسلام وأهله، عقيدة وشريعة وتاريخاً، وحضارة، فكم من عدو لئيم غدّار متربّص بالإسلام حاول تغيير اسمه روى أحاديث أو أخباراً موضوعة ثم نسبها إلى ثقة.

وكم من كتاب ألّفه حاقد على المسلمين وسماه باسم كتاب ألفه أحد الثقات.

وقد لعب الحدثان بكتاب الثقة، ولم يبق إلا الكتاب المدسوس.

فهذا عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الثقة يؤلف كتاباً ويسميه (كتاب المعارف).

ثم يأتي عبد الله بن قتيبة الرافضي؛ ويصنف أيضاً كتاب باسم (كتاب المعارف) قصداً[1] للإضلال والتخريب وإدخال ما لم يكن في دين المسلمين وتاريخهم، وحضارتهم، من أجل الإساءة إليها.

تصدى أئمة الحديث بشكل عام، ونقاد هذا الفن بشكل خاص، واستطاعوا، أن يفضحوا هؤلاء المتآمرين على السنة ويكشفوا الغطاء عن دسائسهم وافتراءاتهم.

ومن هؤلاء: رواية أبي أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الدمشقي.

قال محمد بن عبد الله بن نمير[2]:

ليس هو بابن جابر المعروف، إنما هو رجل يسمى بابن جابر كتب عنه أبو أسامة هذه الأحاديث.

قال: ألا ترى روايته، لا تشبه، شيئاً من حديثه الصحاح، الذي يروي عنه، أهل الشام، وأصحاب الثقات؟.

وكأنَّ ابن نمير يشير إلى أن أبا أسامة علِمَ ذلك، وتغافل، فكان يوهن أبا أسامة ويتعجب ممن يحدث عنه[3].

فهذه الروايات تثبت تعمد أبي أسامة في تخريب الروايات ولكن هناك جمع من الأئمة قالوا: إنما كان متوهماً في ذلك ولم يكن متقصداً.

---

(١) ينظر الآلوسي: مختصر التحفة الأثني عشرية ص ٣٢ - ٣٣.

(٢) الهمداني الكوفي، الحافظ الثبت، أحد الأعلام، سماه أحمد وردة العراق (ت ٢٣٤هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٤٣٩ - ٤٤٠ (٤٤٦)، تهذيب التهذيب ٩/ ٢٨٢ - ٢٨٣ (٤٦٣).

(٣) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨١٧، ابن حجر: المصدر السابق ٦/ ٢٩٥-٢٩٦.

قال موسى بن هارون[١] روى أبو أسامة عن: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وكان ذلك وهماً منه، هو لم يلق ابن جابر وإنما لقي ابن تميم[٢]، فظن أنه: جابر، وأبن جابر ثقة، وأبن تميم ضعيف[٣].

قال البخاري: أهل الكوفة يروون عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أحاديث مناكير، وإنما أرادوا - عندي - عبد الرحمن بن يزيد بن تميم، وهو منكر الحديث[٤].

٣ـ ذكر من روى عن ضعيف وسماه باسم يتوهم أنه اسم ثقة:

منهم عطية الكوفي[٥]:

قال عبد الله بن أحمد:

سمعت أبي ذكر عطية الكوفي، فقال: هو ضعيف الحديث، بلغني أن عطية يأتي الكلبي، فيأخذ عنه التفسير، وكان يكنيه بابي سعيد، فيقول:

قال أبو سعيد، قال أبو سعيد[٦].

قال الذهبي:

يعني يوهم أنه الخدري[٧].

---

(١) ابن عبد الله أبو عمران، الإمام الحافظ، الورع الحجة (ت ٢٩٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٣/ ٥٠ - ٥١ (٧٠١٩)، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٦٦٩ - ٦٩٠ (٦٨٩).

(٢) عبد الرحمن بن يزيد بن تميم الدمشقي يروي عن الزهري، وعنه الوليد بن مسلم وأبو أسامة، ضعيف متروك تابعي لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٥/ ٣٦٩، التاريخ الصغير ص ٧١، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص ١٥٨ (٣٨٠).

(٣) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٦/ ٢٩٨

(٤) ينظر الترمذي: العلل الكبير لوحة / ٧٦، ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨١٩، ابن حجر: المصدر السابق ٦/ ٢٩٥.

(٥) عطية بن سعد الكوفي تابعي ضعيف وكان يتشيع (ت ١١١هـ) ينظر النسائي: المصدر السابق ص١٩٣ (٥٠٥)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٧٩-٨٠. (٥٦٦٧).

(٦) ينظر أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال ١/ ٥٤٨.

(٧) الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٨٠.

ومنهم الوليد بن مسلم[١]:

كان كثير التدليس، وكان يروي عن الأوزاعي فيقول ثنا: أبو عمر.

ويروي عن عبد الرحمن بن يزيد بن تميم الدمشقي، وهو ضعيف جداً فيقول: ثنا أبو عمرو[٢].

وقال الذهبي:

إذا قال الوليد: عن ابن جريج، أو عن الأوزاعي، فليس بمعتمد لأنه يدلس عن كذابين[٣].

وقال أبو مسهر:

كان الوليد يأخذ من أبي السفر[٤] حديث الأوزاعي وكان ابن أبي السفر كذاباً. وهو يقول فيها: قال الأوزاعي[٥].

ومنهم بقية بن الوليد[٦]:

وهو من أكثر الناس تدليساً، وأكثر شيوخه الضعفاء مجهولون لا يعرفون[٧].

قال ابن المبارك:

كان دهراً يحدثنا عن أبي سعيد الوحاظي[٨]، فنظرنا فإذا هو عبد القدوس.

قال ابن رجب:

---

(١) الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي، قال أبو مسهر: الوليد مدلس وربما دلس عن الكذابين (ت ١٩٥هـ)، ينظر الذهبي: المصدر نفسه ٤/ ٣٤٧-٣٤٨ (٩٤٠٥)، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ١٥١-١٥٥(٢٥٤).

(٢) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٢٣.

(٣) الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٣٤٨.

(٤) يوسف بن السفر أبو فيض الدمشقي متروك الحديث، يكذب لم أقف على تاريخ وفاته ينظر النسائي: المصدر السابق ص ٢٤٧ (٦٤٩)، ابن حبان: المجروحين ٣/ ١٣٣.

(٥) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٤/ ٣٤٨، وينظر التفصيل: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ١٥٤.

(٦) بقية بن الوليد بن صائد بن كعب أبو يحمد الحمصي صدوق كثير التدليس عن الضعفاء (ت ١٩٧هـ) ينظر: الذهبي وابن حجر: المصدران نفسيهما ١/ ٣٣١ - ٣٣٩ (١٢٥٠)، ١/ ٤٧٣ - ٤٧٨ (٨٧٨).

(٧) ينظر: المصدران نفسيهما ١/ ٣٣١، ١/ ١٠٥.

(٨) يحيى بن صالح الحمصي، الفقيه الحافظ ثقة، كان جهمياً (ت ٢٢٢هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٤٠٨ - ٤٠٩ (٤١٣)، من تكلم فيه ص ١٩٦ (٣٧٢).

وكان ربما روى عن سعيد بن عبد الجبار الزبيدي[١]، أو عن زرعة بن عمرو الزبيدي[٢]، وكلاهما ضعيف الحديث فيقول:

ثنا الزبيدي، فيظن أنه: محمد بن الوليد الزبيدي[٣]، صاحب الزهري[٤].

٤ـ ذكر من سمع من ثقة مع ضعيف فأخذ حديثه وهو لا يشعر:

منهم عثمان بن صالح المصري[٥]:

قال البرذعي: عن أبي زرعة:

لم يكن عثمان عندي ممن يكذب، ولكنه يكتب الحديث مع خالد بن نجيح[٦]، فكان خالد إذا سمعوا من الشيخ أملى عليهم ما لم يسمعوا فبلوا به. وقد بلي به أبو صالح[٧] أيضاً، يعني كاتب الليث في حديث زهير بن معبد[٨]، عن سعيد بن المسيب عن جابر[٩].

---

(١) أبو عثمان الشامي، ضعيف، رمي بالكذب، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ٣/ ٤٩٥، النسائي: المصدر السابق ص ١٢٦ (٢٨١)

(٢) زرعة بن عبد الرحمن، شيخ لبقية، متروك لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٢٤، ميزان الاعتدال ٢/ ٧٠ (٢٨٦١).

(٣) أبو الهذيل الحمصي، القاضي الثبت (ت ١٤٦هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٢ - ١٦٣ (١٥٧)، تقريب التهذيب ٢/ ٢١٥ (٧٩١).

(٤) شرح علل الترمذي ٢/ ٨٢٤.

(٥) ثقة (ت ٢١٩هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ١٢٢ - ١٢٣ (٢٦٤)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٢٦٠.

(٦) المصري: قال أبو حاتم: كذاب يفتعل الحديث، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١ قسم ٢/ ٣٥٥، ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٤ (٢٤٦٩).

(٧) عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث، ثقة (ت ٢٢٣هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٨٨ - ٣٨٩ (٣٨٩)، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٥٦ - ٢٦١ (٤٤٨).

(٨) زهرة بن معبد بن عبد الله بن هشام التيمي ثقة (ت ١٣٥هـ) على ما صححه ابن حجر، ولعل ابن رجب أو أحد النساخ صحف اسمه وسماه زهيراً، ينظر: ابن حجر: المصدر نفسه ٣/ ٣٤١ - ٣٤٢ (٦٣٤)، الخزرجي: المصدر السابق: ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٩) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٢٩، وينظر كذلك: ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٤.

ومنهم يحيى بن بكير[١]:

وغيره ممن سمع من مالك بعرض حبيب[٢] كاتبه.

قال عباس[٣] وغيره عن ابن معين:

حبيب كان يقرأ على مالك وكان يخطرف[٤] للناس، ويصفح ورقتين وثلاثة[٥].

وقال ابن عدي:

أحاديثه كلها موضوعة، وقال ابن حبان: كان يورق بالمدينة على الشيوخ ويروي عن الثقات الموضوعات، كان يدخل عليهم ما ليس في حديثهم[٦].

٥ـ تخريج المتكلم فيه في الصحيح:

وهذا قسم آخر من خرج له في الصحيح على غير وجه المتابعة والاستشهاد ودرجته تقصر عن درجة رجال الصحيح عند الإطلاق.

قال ابن رجب: أعلم أنه قد يخرج في الصحيح لبعض من تكلم فيه؛ إما متابعة، أو استشهاداً، وذلك معلوم.

وقد يخرج من حديث بعضهم، ما هو معروف عن شيوخه، من طرق أخرى، ولكن لم يكن وقع لصاحب الصحيح ذلك الحديث إلا من طريقه، أما مطلقاً أو بعلو، فإذا كان الحديث معروفاً عن الأعمش صحيحاً عنه ولم يقع لصاحب الصحيح عنه بعلو، إلا من طريق بعض من تكلم فيه من أصحابه خرجه عنه[٧].

---

(١) يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي، الإمام الحافظ الثقة، صاحب الليث ومالك (ت ٢٣١هـ) ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٣٩١ (٩٥٦٤)، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ٢٣٧ - ٢٣٨ (٣٨٧).

(٢) حبيب بن أبي حبيب الوراق واسم أبيه زريق المصري، كاتب مالك، متروك الحديث (ت ٢١٨هـ) ينظر الذهبي وابن حجر: المصدران نفسيهما ١/ ٤٥٢ - ٤٥٣ (١٦٩٤)، ٢/ ١٨١ - ١٨٢ (٣٢٦).

(٣) عباس بن محمد بن حاتم الدوري البغدادي ثقة (ت ٢٧١هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٢/ ١٤٤ - ١٤٦ (٦٥٩٩)، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٧٩ (٦٠٣).

(٤) يسرع في مشيته ينظر: لسان العرب ١/ ٨٥٨ (خطرف).

(٥) ينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٤٥٢، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٨١.

(٦) ينظر الذهبي وابن حجر: المصدران نفسيهما بمجلداتها وصفحاتها.

(٧) ينظر: شرح علل الترمذي ٢/ ٨٣١.

قال البرذعي:

شهدت أبا زرعة وأنكر على مسلم تخريجه لحديث أسباط بن نصر[١] وجماعة في صحيحه.

قال: فلما رجعت إلى نيسابور، ذكرت ذلك لمسلم، فقال:

إنما أدخلت من حديث أسباط وأمثاله، ما قد رواه الثقات عن شيوخهم إلا أنه ربما وقع الي عنهم بارتفاع، ويكون عندي من رواية أوثق منهم بنزول فأقتصر على أولئك وأصل الحديث معروف من رواية الثقات[٢].

---

(١) الهمداني أبو يوسف، الكوفي صدوق تكلم فيه (ت ١٧٠هـ) ينظر: من تكلم فيه وهو موثق ص ٤١ (٢٧)، ميزان الاعتدال ١/ ١٧٥ - ١٧٦ (٧١٢).

(٢) ينظر أبو زرعة الرازي: الضعفاء والمتروكين، مخطوط كوبرلي (تاريخ ٧١٩) لوحة (١٥٩/أ - ب، وينظر: كذلك ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٣١ - ٨٣٢.

المبحث الرابع
قواعد وفوائد في العلل

في حفاظ الأسانيد والفقهاء:

الأصل في الحافظ المتقن حفظ الإسناد والمتن، إلا أن يوقف منه على خلاف ذلك.

لكن هناك بعض الحفاظ إذا حدثوا من حفظهم - وليسوا بفقهاء - وعرف عنهم عدم حفظ المتون وضبطها، قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بحديثهم، لأن همتهم حفظ الأسانيد والطرق دون المتون، إلا أن يحدث من كتاب ويوافق الثقات.

وقال: ومن كانت هذه صفته، وليس بفقيه، فربما يقلب المتن، ويغير المعنى إلى غيره، وهو لا يعلم، فلا يجوز الاحتجاج به. وفي المقابل، إذا حدث بعض الفقهاء من حفظهم، وهو ثقة في روايته، لأن الغالب عليهم حفظ المتون، دون الأسانيد، وفي بعض الأحيان يروون المتن أيضاً بالمعنى[(١)].

فكان شريك يروي حديث أنس أن النبي ﷺ[(٢)]:

(كَانَ يَتَوَضَّأُ بِرَطْلَيْنِ).

وهذا ما رواه بالمعنى الذي فهمه، فإن لفظ الحديث أنه ﷺ:

(كَانَ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ)[(٣)] والمد عن أهل الكوفة رطلان.

قال ابن حبان:

وهكذا رأينا أكثر من جالسناه من أهل الفقه كانوا إذا حفظوا الخبر لا يحفظوا إلا متنه، وإذا ذكروه، أول أسانيدهم يكون: قال رسول الله ﷺ، فلا يذكرون بينهم وبين النبي أحداً.

---

(١) المجروحون من المحدثين ١/ ٧٨.

(٢) الحديث أخرجه أحمد وأبو داود من طريق شريك عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن جبير عن أنس. (كان النبي ﷺ يَتَوَضَّأُ بِإِنَاءٍ يَسَعُ رَطْلَيْنِ). مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٠/ ٢١٨ (١٢٨٤٣) السنن ١/ ٢٣ - ٢٤ (٩٥).

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٦/ ١٢١ (٢٤٩٤٢) أبو داود: السنن ١/ ٢٣ (٩٢ - ٩٣) ونصه: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ).

فإذا حدث الفقيه من حفظه ربما صحف الأسماء، وأقلب الأسانيد ورفع الموقوف، وأوقف المرسل، وهو لا يعلم، لقلة عنايته به وأتى بالمتن على وجهه. فلا يجوز الاحتجاج بروايته إلا من كتاب أو يوافق الثقات في الأسانيد[١].

ذكر الأسانيد التي لا يذكر منها شيء، أو لا يثبت منها إلا شيء يسير، مع أنه قد روي بها أكثر من ذلك.

هذه الفقرة أيضاً - إن صح التعبير- يظهر فيها عبقرية ودقة أئمة الحديث كباقي مجالات عملهم في الدقة والتحري والتثبت والتنقيب عن الوضاعين، والضعفاء والمدلسين وغيرهم، ففي هذه الفقرة نجد أروع إحصائية قام بها أئمة الحديث، ومنهم أهل هذا الفن تجاه رواة الأخبار بما لا نجدها، ولم نجدها عند نقاد أي أمة من الأمم بل لا تجد أي مقارنة بسيطة بين ما أوتي هؤلاء الأئمة وبين غيرهم من أي أمة تتبع سلسلة الرواية الواحدة من بدايتها إلى منتهاها فعلى سبيل المثال:

أ- **سلسلة: قتادة، عن الحسن[٢]، عن أنس، عن النبي ﷺ، لا يثبت منها حديث أصلاً من رواية الثقات[٣].**

ومنها يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

قال ابن المديني: لم يصح منها شيء مسند بهذا الإسناد[٤].

ثم ذكر أئمة الحديث من له حديث واحد في سلسلة أو حديثين أو ثلاثة أو أربعة.... الخ بإحصائية دقيقة جداً[٥].

ب- من له في سلسلة حديث واحد على سبيل المثال:

حماد بن زيد، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر.

---

(١) ابن حبان: المصدر السابق ١/ ٧٨،

(٢) حسن بن أبي الحسن(يسار)البصري، أبو سعيد، ثقة، زاهد مشهور، يرسل كثيراً (ت ١١٠هـ) ينظر ترجمته: حلية الأولياء ٢/ ١٣١ - ١٦١ (١٦٩)، وفيات الأعيان ٢/ ٧٩ - ٨٣ (١٥٦)، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣ - ٢٧٠ (٤٨٨).

(٣) ينظر: شرح علل الترمذي ٢/ ٨٤٥

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ٨٤٦.

(٥) ينظر التفصيل: المصدر نفسه ٢/ ٨٤٦-٨٥٧.

قال سليمان بن حرب:

لم يصح بهذا الإسناد إلا حديث واحد. الزبير بن عدي[١] عن أنس عن النبي ﷺ.

قال ابن معين:

ليس له إلا حديث واحد، يعني حديث (لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه)[٢].

معاوية بن سلام بن أبي سلام[٣] - عن أبيه سلام[٤] وعن أخيه زيد[٥].

وسمع من جده أبي سلام[٦] حديثاً واحداً[٧].

ج- من له حديثان:

الزهري: قيل أنه لم يسمع من ابن عمر وقيل سمع منه حديثين كذا ذكره محمد بن يحيى[٨] عن عبد الرزاق عن معمر.

هشيم: قال أحمد: وسمع هشيم من جابر الجعفي حديثين[٩].

د- من له ثلاثة أحاديث:

يحيى بن الجزار[١] عن علي[٢].

---

(١) الهمداني أبو عبد الله الكوفي، القاضي ثقة (ت ١٣١هـ) ينظر: تقريب التهذيب ١/ ٢٥٨ (٢٦)، شذرات الذهب ١/ ١٨١.

(٢) مسند أحمد ١/ ١١٧، ورواه البخاري أيضاً: فتح الباري ١٣/ ١٩ (٧٠٦٨).

(٣) ممطور الحبشي الدمشقي وثقه الاكثرون ت بحدود (١٧٠هـ) ينظر: العبر ١/ ٢٠٢ - ٢٠٣، تهذيب التهذيب ١/ ٢٠٨ - ٢٠٩ (٣٨٨).

(٤) سلام بن أبي سلام ممطور الحبشي، ينظر: المصدر نفسه ٤/ ٢٥٠ (٥٠٠).

(٥) زيد بن سلام ممطور الحبشي ثقة لم أظفر على تاريخ وفاته من السادسة، ينظر: المصدر نفسه ٣/ ٤١٥ - ٤١٦ (٧٥٥) تقريب التهذيب ١/ ٢٧٥ (١٨٥).

(٦) ممطور أبو سلام الأسود الحبشي الاعرج تابعي من أهل الشام ثقة (ت ١٠١هـ) ينظر: المصدر السابق ١٠/ ٢٩٦ - ٢٩٧ (٥١٤)

(٧) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٤٦، ٨٥٦.

(٨) ابن عبد الله بن خالد النيسابوري، الإمام شيخ مشايخ الحديث، الثقة الثبت (ت ٢٥٨هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٣/ ٤١٥ - ٤٢٠ (١٥٤٨)، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٣٠ - ٥٣٢ (٥٤٩).

(٩) ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٤٩، ٨٥٥.

قال شبابة[٣]، عن شعبة:

لم يسمع يحيى بن الجزار عن علي إلا ثلاثة أشياء.

أبو إسحاق عن الحارث:

وقال الأمام أحمد:

سمعت أبا بكر بن عياش[٤] قال: قلَّ ما سمع أبو إسحاق من الحارث: ثلاثة أحاديث[٥].

هـ- من له أربعة أحاديث:

الحكم[٦] عن مقسم[٧] روى عنه كثيراً، ولم يسمع منه سوى أربعة أحاديث قاله شعبة.

قتادة عن أبي العالية:

قال شعبة: لم يسمع منه إلا أربعة أحاديث.

سفيان بن عيينة:

عن يزيد بن عبد الله بن أبي بردة[٨] عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ. قال العقيلي: ليس لسفيان بهذا الإسناد غير أربعة أحاديث.

---

(١) يحيى بن الحكم العرني، قيل اسم أبيه زبان، رمي بالغلو والتشيع، وثقه بعض الأئمة لم أقف على تاريخ وفاته ينظر الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص ١٩٤ (٣٦٨)، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٦٧.

(٢) أي علي بن أبي طالب.

(٣) شبابة بن سوّار المدائني الحافظ، مرجئي ثقة (ت ٢٠٦هـ) وقيل غير ذلك ينظر: العبر ١/ ٢٧٤، تهذيب التهذيب ٤/ ٣٠٠ - ٣٠٢ (٥١٨).

(٤) ابن سالم اختلف في اسمه نحو عشرة أوجه، والصحيح أن اسمه كنيته، الإمام المقرئ، العابد المتقن، لما كبر ساء حفظه (ت ١٩٣هـ) ينظر: حجة القراءات ص ٥٨، ابن حجر: المصدر السابق ١٢/ ٣٤ - ٣٧ (١٥١).

(٥) ينظر أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال ٢/ ١٩٦.

(٦) الحكم بن عتبة الكندي، ثقة (ت ١١٣هـ) وقيل غير ذلك ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٤٣٢ - ٤٣٤ (٧٥٦)، خلاصة التذهيب ص ٨٩.

(٧) مقسم بن بجرة، ويقال ابن نجدة، صالح الحديث (ت ١٠١هـ) ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٨/ ٤١٤، ميزان الاعتدال ٤/ ١٧٦ (٨٧٤٥).

(٨) ابن أبي موسى الأشعري، روى عن جده، ثقة تكلم فيه، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص٥٣ (٥١)، ميزان الاعتدال ١/ ٣٠٥ (١١٥٣).

الأعمش عن أبي سفيان[١]:

قال الكرابيسي[٢]:

حدثني علي بن المديني، وسليمان الشاذكوني[٣] قالا:

روى الأعمش عن أبي سفيان أكثر من مائة، لم يسمع منها إلا أربعة[٤]، وهكذا قس على ذلك من سمع أكثر من ذلك، وقد ضرب أئمة الفن عشرات الأمثلة على ذلك[٥].

قضايا تتعلق بالتدليس:

أ- تدليس التسوية:

وهو أن يروي عن شيخ له ثقة، عن رجل ضعيف عن ثقة فيسقط الضعيف من الوسط[٦].

مثال: أحاديث متعددة يرويها الحسن بن ذكوان[٧]، عن حبيب بن أبي ثابت[٨] عن عاصم بن ضمرة[٩] عن علي[١٠] يرويها عنه عبد الوارث بن سعيد[١١]، إنما رواها الحسن بن ذكوان عن

---

(١) طلحة بن نافع.

(٢) حسين بن علي.

(٣) سليمان بن داود المنقري البصري، الحافظ الشهير، اختلف فيه، ربما لأنه كان له كتب، وقد ذهبت، فكان يحدّث عن حفظه (ت٢٣٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد ٩/ ٤٠-٤٨ (٤٦٢٧)، تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٨٨-٤٨٩ (٥٠٣).

(٤) ينظر أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال ١/ ١٩٢، ابن أبي حاتم: تقدمة المعرفة ص١٢٧، ٣٠٣، ابن أبي حاتم: المراسيل (تحقيق صبحي السامرائي، بغداد ١٣٨٦هـ) ص١٢٠.

(٥) أحمد: المصدر السابق ١/ ١٩٢، ابن أبي حاتم: المصدر السابق ص١٢٧، ٣٠٣، ابن رجب: شرح العلل ٢/ ٨٤٩، ٨٥٤.

(٦) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٢٥.

(٧) أبو سلمة البصري، صالح الحديث، قدري، لم أظفر على تاريخ وفاته ينظر النسائي: الضعفاء والمتروكين ص٨٨ (١٥٤)، تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧٦-٢٧٧ (٥٠٣)

(٨) قيس بن دينار الكاهلي، حجّة ثبت (ت١١٩ وقيل ١٢٢هـ) ينظر: المصدر نفسه ٢/١٧٨-١٨٠ (٣٢٣)، خلاصة التذهيب ص٧٠.

(٩) الكوفي، ثقة تكلم فيه (ت١٧٤هـ) ينظر ابن حجر والخزرجي: المصدران نفسيهما ٥ / ٤٥-٤٦ (٧٧)، ص١٨٢.

(١٠) علي بن الحكم البناني أبو الحكم البصري، صالح الحديث (ت١٣١هـ) ينظر: المصدران نفسيهما ٧/ ٣١١ (٥٢٧)، ص٢٧٣.

(١١) التنوري البصري، الحافظ، لم يتأخر عنه أحد لاتقانه ودينه، وتركوه وبدعته (رمي بالقدر)، ثقة ثبت

عمرو بن خالد الواسطي[١]، وهو كذاب، متهم بالوضع عن حبيب، ثم اسقط عمدا من إسنادها وكلها بواطيل كما قاله الإمام أحمد وابن المديني والحاكم[٢].

بـ من دلس عن بعض الشيوخ ولم يدلس عن البعض الآخر:

مثال: سفيان الثوري[٣] معروف بالتدليس عن بعض شيوخه ولكن هذا التدليس ليس مطردا على جميع شيوخه.

قال البخاري فيما حكى عنه الترمذي في علله:

لا اعرف لسفيان، يعني الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت ولا عن سلمة بن كهيل[٤]، ولا عن منصور[٥]، وذكر شيوخا كثيرة لا اعرف لسفيان عن هؤلاء تدليسا، ما أقل تدليسه[٦].

جـ من يدلس بعبارة دون عبارة:

قال العجلي:

إذا قال ابن عيينة: عن عمرو، سمع جابرا فصحيح، وإذا قال سفيان: سمع عمرو[٧] جابرا[٨]. فليس بشيء.

(ت١٨٠هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٥٧-٢٥٨ (٢٤٣)، العبرفي خبر من غبر ١/ ٢١٣، الخزرجي: المصدر السابق ص٢٤٧.

(١) أبو خالد، متروك الحديث، وقيل كذاب، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر النسائي: الضعفاء والمتروكين ص١٨٥ (٤٧٣)، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٦/ ٢٣٠، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٢٥٧-٢٥٨(٦٣٥٩).

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٠٩ (تحت الجنس الخامس)

(٣) سفيان متفق عليه، فهو الحجة، الثبت، لكنه كان يدلس عن الضعفاء ولكن له نقد وذوق فتدليسه مقبول، ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٣-٢٠٧، ميزان الاعتدال ٢/ ١٩٦.

(٤) ابن حصين الحضرمي الكوفي، متفق عليه مع تشيع كان فيه (ت١٢١هـ) ينظر: تهذيب التهذيب ٤/ ١٥٥-١٥٧(٢٦٩)، خلاصة التذهيب ص١٤٩.

(٥) منصور بن المعتمر.

(٦) الترمذي: العلل الكبير لوحة٧٥/ ب.

(٧) يعني: عمرو بن دينار.

(٨) أي ابن عبد الله الأنصاري.

يشير إلى أنه إذا قال: عن عمرو، فقد سمعه منه، وإذا قال: سمع عمرو جابرا فلم يسمعه ابن عيينة من عمرو[١].

قاعدة من الخبرة الطويلة: إلحاق المشابهة من الأحاديث بعضها ببعض:

الخبرة الطويلة في معرفة الرجال، والوقوف على أحاديث كل واحد منهم بمفرده، يجعلهم يفهمون منهجا خاصا أن هذا الحديث يشبه حديث فلان أولا يشبه حديث فلان، فيعللون الأحاديث بذلك.

وهذا مما لا يعبر عنه بعبارة تحصره، وإنما يرجع فيه أهله إلى مجرد الفهم والمعرفة التي خصوا بها عن سائر أهل العلم[٢].

فعلى سبيل المثال:

سعد بن سنان[٣]، عن أنس بن مالك، قال ابن حبان:

حديث سنان بن سعد يشبه أحاديث الثقات.

وقال عبد الله بن أحمد سمعت أبي يقول:

يشبه حديثه، حديث الحسن، لا يشبه حديث أنس[٤].

ومراده أن الأحاديث التي يرويها؛ عن أنس مرفوعة، إنما تشبه كلام الحسن البصري[٥]، أو مراسيله[٦].

---

(١) ينظر ابن رجب: شرح علل الترمذي ٢/ ٨٥٧.

(٢) ينظر ابن رجب: المصدر نفسه ٢/ ٨٦١، وقد وصل إلى هذه القناعة بعض كبار نقاد التاريخ في هذا العصر ينظر أسد رستم: مصطلح التاريخ ص٨٨.

(٣) سعيد بن سنان الكندي المصري: وقيل سعيد بن سنان، وقيل هما اثنان، وقيل سنان بن سعد، وقد صحح البخاري وابن حبان ذلك ولكن أكثر أهل التراجم ترجم له تحت(سعد)، لذا نحن أيضاً أمضينا ترجمته هكذا لتسهيل الرجوع إلى اسمه، ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ١٢١(٣١١٤)، ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ٤٧١-٤٧٢.

(٤) أحمد بن حنبل: العلل ومعرفة الرجال ١/ ١٨٤، ابن حجر: التهذيب ٣/ ٤٧١-٤٧٢.

(٥) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٦١.

(٦) المرسل: هو حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة كعبيد الله بن عدي بن الخيار ثم سعيد بن المسيب وأمثالهما إذا قال: قال رسول الله ﷺ، والمشهور التسوية بين التابعين أجمعين، لكن ذكر ابن عبد البر

ومعقل بن عبيد الله الجزري[١]:

قال الإمام أحمد: أن حديثه عن أبي الزبير[٢]، يشبه حديث ابن لهيعة.

وظهر مصداق قول أحمد أن أحاديثه عن أبي الزبير مثل أحاديث ابن لهيعة سواء كحديث: (اللمعة من الوضوء)[٣] وغيره.

وقد كانوا يستدلون باتفاق حديث الرجلين في اللفظ على أن أحدهما أخذه عن صاحبه.

كما قال ابن معين في مطرف بن مازن[٤]:

أنه قابل كتبه عن ابن جريج ومعمر فإذا هي مثل كتب هشام بن يوسف[٥] سواء. وكان هشام يقول:

لم يسمعها من ابن جريج ومعمر، إنما اخذوا من كتبي.

قال يحيى:

فعلمت أن مطرفاً كذاب، يعني علم صدق قول هشام عنه[٦].

عن بعضهم: أنه لا يعد إرسال صغار التابعين مرسلاً.

وجمهور الفقهاء والأصوليين يعممون المرسل للتابعين وغيرهم. ينظر الحاكم: معرفة علوم الحديث ص ٢٥، ابن الصلاح: المقدمة ص ٢٥. وينظر تفاصيل أحكام المراسيل: عبد الرحمن (ابن أبي حاتم)، كتاب المراسيل، بعناية شكر الله بن نعمة الله قوجاني، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة-بيروت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، العلائي: صلاح الدين، خليل بن كيكلدي (ت ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى، الدار العربية للطباعة-بغداد ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

(١) معقل بن عبد الله الجزري العبسي، عن ابن معين ثقة (ت١٦٦هـ) ينظر: العبر ١/ ١٩٠، سير إعلام النبلاء ٧/ ٣١٨.

(٢) محمد بن مسلم بن تدرس.

(٣) أبو داود: السنن ١/ ٤٤ (١٧٥) وتكملته (أن النبي ﷺ رأى رجلاً يصلي وفي ظهر قدمه لمعة، قدر الدرهم لم يصبها الماء، فأمره النبي ﷺ أن يعيد وضوءه).

(٤) الكناني الصنعاني، متروك الحديث، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٧/ ٣٩٨، النسائي: الضعفاء والمتروكين ص٢٧٠ (٥٩٣)

(٥) هشام بن يوسف الصنعاني، قاضي صنعاء، متفق عليه (ت١٩٧هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٤٦-٣٤٧ (٣٣١)، شذرات الذهب ١/ ٣٤٧.

(٦) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٦٦-٨٦٧.

ومنه قول أبي أحمد الحاكم[١]، من حديث علي الطويل في الدعاء لحفظ القرآن[٢]:

أنه يشبه أحاديث القصاص[٣].

ومن ذلك أنهم يعرفون الكلام الذي يشبه كلام النبي ﷺ من الكلام الذي لا يشبه كلامه.

قال ابن أبي حاتم الرازي عن أبيه:

تعلم صحة الحديث بعدالة ناقليه، وأن يكون كلاما يصلح أن يكون مثله كلام النبوة، ويعرف سقمه وانكاره بتفرد من لم تصح عدالته بروايته[٤].

---

(١) محمد بن محمد بن أحمد. النيسابوري، الحاكم الكبير، الجهبذ (ت ٣٧٨هـ) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٧٦ -٩٧٨ (٩١٤)، العبر ٢/ ١٥٣.

(٢) حديث ابن عباس أوله (بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي ابن أبي طالب، فقال: بأبي أنت وأمي، تفلت هذا من صدري فما أجدني ... اعلمك كلمات ينفعك الله بهن) وهو حديث طويل، الترمذي: السنن ٥/ ٥٢٦-٥٢٨ (٣٥٧٠).

(٣) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ٢/ ٨٦٩.

(٤) التقدمة لكتاب الجرح والتعديل ص٣٥١، وينظر كذلك ابن القيم: المنار المنيف ص٦١-٦٢.



الفصل السادس
التعارض والترجيح

يتطرق هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

- المبحث الأول: مفاهيم وقواعد في التعارض والترجيح.
- المبحث الثاني: الترجيح لغة واصطلاحا وأنواعه.
- المبحث الثالث: تطبيقات قواعد التعارض والترجيح.
- المبحث الرابع: قواعد الأئمة الفقهاء.



الفصل السادس

التعارض والترجيح

المبحث الأول

مفاهيم وقواعد في التعارض والترجيح

إن معرفة التعارض والترجيح في الأدلة الشرعية، من الأمور المهمة جداً، كما أنها من الفنون الصعبة والشائكة، لا يسبر غورها إلا الملاحون الجيدون، من يملك الزاد والراحلة والبصيرة في هذا الطريق:

"وإنما يكمل للقيام به الأئمة الجامعون بين صناعتي الحديث والفقه الغواصون على المعاني الدقيقة"[1].

التعارض لغة واصطلاحا ووقوعه في الأحكام الشرعية:

التعارض لغة واصطلاحا:

التعارض لغة تدور مادته على عدة معاني[2]:

المنع، والظهور، المقابلة، المساواة، حدث الشيء بعد العدم، وهو من عَرض يعرض والتعارض: تفاعل، وباب التفاعل يدل على المشاركة بين اثنين فأكثر، وهو من العرض[3].

---

(١) ابن الصلاح: المقدمة ص ١٤٣.

(٢) ينظر: لسان العرب ٢/ ٧٣٦ - ٧٤٤ (عرض) الجوهري: الصحاح ٢/ ٩٨-١٠٢(عرض)، الزبيدي:تاج العروس ٥/ ٥١ - ٥٣.

(٣) أحمد بن الحسن الجاربردي (ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط، عالم الكتب بيروت (عن طبعة العامرة ١٣١٠هـ) ١ / ٤٨.

واصطلاحاً: قال الاسنوي[١]:

"إذا تعارضت - أي الأدلة - فإن لم يكن لبعضها مزية على الآخر فهو التعادل (أي التعارض) وإن كان فهو الترجيح "[٢].

وعرّفه بعضهم بتعريف أوضح وهو: "تقابل الحجتين المتساويتين على وجه يوجب كل واحد منهما ضد ما توجبه الأخرى كالحل والحرمة والنفي والإثبات"[٣].

الأدلة الشرعية لا تعارض فيها حقيقة:

إن التعارض بين الأدلة الشرعية أمر مستحيل والشارع منزه عن ذلك وإنما يقع التعارض ظاهراً في نظرنا.

أسباب التعارض والترجيح:

١ - إما الخطأ في فهم المراد.
٢ - أو عدم معرفة تاريخ ورود النصين ونسخ أحدهما بالآخر.
٣ - أو يمكن العمل بها معاً وذلك بالجمع بينهما أو ترجيح أحدهما على الآخر[٤].

"لا يصح عن النبي ﷺ حديثان صحيحان متضادان ينفي أحدهما ما يثبته الآخر من غير جهة الخصوص والعموم والإجمال والتفصيل، إلا على وجه النسخ وأن يجده"[٥].

وروى الخطيب: عن ابن خزيمة[٦]:

"لا أعرف أنه روي عن رسول الله ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادان، فمن كان عنده فليأت به حتى أؤلف بينهما".

---

(١) هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي (جمال الدين)، فقيه، أصولي، من علماء العربية، (ت ٧٧٢هـ) ينظر ابن حجر. الدرر الكامنة ٢/ ٤٦٣، الشوكاني البدر الطالع ١/ ٣٥٢.

(٢) الأسنوي: نهاية السول ٤/ ٤٣٢.

(٣) السرخسي: الأصول٢/ ١٢

(٤) ينظر السرخسي: المصدر نفسه ٢/ ١٢، ابن جزي:تقريب الوصول إلى علم الأصول ص١٦٢ عبد الكريم الزيدان: الوجيز في أصول الفقه ص٣٣٣.

(٥) الشوكاني: إرشاد الفحول ٢٧٥.

(٦) الكفاية في علم الرواية ص٦٠٦.

وقال أيضاً[١]:

"- وإذا ثبت هذه الجملة وجب - متى علم أن قولين ظاهرهما التعارض ونفى أحدهما لموجب الآخر، أن يحمل النفي والإثبات على أنهما في زمانين، أو فريقين، أو على شخصين، أو على صفتين مختلفتين، هذا ما لا بد منه، مع العلم بإحالة مناقضته في شيء من تقرير الشرع والبلاغ وهذا مثل: أن يعلم أنه قال: الصلاة واجبة على أمتي، وقال أيضاً: ليست بواجبة، أو الحج واجب على زيد هذا وهو غير واجب عليه، وقد نهيت عن الفعل، ولم أنه عنه، وهو مطيع لله فيه، وهو عاص به وأمثال ذلك.

فيجب أن يكون المراد بهذا أو نحوه أنه أمر للأمة بالصلاة في وقت وغير أمر لها بها في غيره وآمر لها بها إذا كانت متطهرة وناهيها إذا كانت محدثة وآمر لزيد بالحج إذا قدر، وغير أمر إذا لم يقدر.

فلابد من حمل ما علم أنه تكلم به من التعارض على بعض هذه الوجوه وليس يقع التعارض بين قوليه، إلا بأن يقدر كونه آمراً بالشيء ناهياً عنه لمن أمر به على وجه ما أمر به، وذلك إحالة في وصفه".

جواز وقوع التعارض في الأخبار:

إذا كان لا يجوز التعارض في الأمور الشرعية لكونها أما صادرة ممن: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ٣].

أو من نبي معصوم ﷺ أما بقية البشر فيمكن أن يصدر منهم التعارض في أقوالهم وأعمالهم لكون الإنسان معرض للخطأ والسهو والنسيان والوهم والتناقض أحياناً في الأفعال والأقوال وغيرها.

فكل خبر واحد دل العقل أو نص الكتاب أو الثابت من الأخبار أو الإجماع أو الأدلة الثابتة المعلومة على صحته، وجد خبر آخر يعارضه، فإنه يجب إخراج ذلك المعارض، والعمل بالثابت الصحيح اللازم.

وإن العمل بالمعلوم واجب على كل حال[٢].

---

(١) المصدر نفسه ص٦٠٧.

(٢) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص ٦٠٨، عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي من مستصفى الغزالي ص٣٢٠.

الأخبار بعمومها الشرعية منها وغير الشرعية يصح دخول التقوية والترجيح فيها: "وأما ما لا يوجب العلم من الأخبار فيصح دخول التقوية والترجيح فيها، إذا لم يكن الجمع بينهما في الاستعمال لتعارضها في الظاهر؛ وإنما يصح دخول الترجيح فيها؛ لأنها تقتضي غلبة الظن، دون العلم والقطع ومعلوم أن الظن يقوى بعضه على بعض عند كثرة الأحوال والأمور المقوية لغلبته فصح بذلك تقوية أحد الخبرين على الآخر بوجه من الوجوه ...الخ"[١].

التاريخ الإسلامي والمعاناة من تضارب وتعارض الروايات:

أن التعارض والتضارب في الروايات التاريخية مسألة طبيعية وبديهية في تاريخ كل الأمم[٢]، وذلك لطبيعة التاريخ أولاً، وهو أن موضوعه:

الخبر والخبر يحتمل الكذب والصدق[٣].

ثانياً: تأثر التاريخ[٤] بالمذاهب والعقائد والمصالح والسياسات والأهواء والأغراض ... الخ.

وما يمليه هؤلاء على التاريخ من الزور والبهتان والانتصار للمذاهب العقائدية والسياسية وغيرها بغير حق.

والتاريخ الإسلامي لم يكن أقل نصيباً من تاريخ بقية أمم العالم من حيث تعرضه إلى تلك الآفات.

بل لم يوجد تاريخ كان له من الأعداء على وجه الأرض مثل تاريخنا حيث مد الأعداء إليه أيديهم وألسنتهم بالسوء لملأه بالحشو والوضع والخزعبلات، مما لا يقبله العاقل المنصف فكيف بالمؤرخ المدقق الناقد البصير.

يقول أحد الباحثين[١]:

---

(١) الخطيب: المصدر السابق ص ٦٠٨، وينظر كذلك جرونيباوم: حضارة الإسلام ص ٣٥٧.

(٢) ينظر هرنشو: علم التاريخ ص٧٧، أسد رستم: مصطلح التاريخ ص. د

(٣) ينظر ابن تيمية: علم الحديث ص١٠٦، القاري: نخبة الفكر ص١٩٠.

(٤) يقول أسد رستم وهو يتكلم عن النقد الدخلي السلبي: شك المؤرخ في مسألتين أساسيتين: الأولى تتعلق برأي الراوي في حقيقة ما يروي لأنه قد يموه الباطل ويزين الخطأ لذا لابد من هذه الأسئلة:
هل لراوي الرواية مصلحة فيما يروي ؟ ... وعليه أيضاً أن يتعهد بنظرة الرواة الذين ينتمون إلى فئة معينة من الناس ويدينون بمذهب من المذاهب أو يقولون قول حزب من الأحزاب لعلهم يموهون أو ينمقون أو يكذبون ... ينظر: المصدر نفسه ص٦١ -٦٢ ثم يرد بقية أسباب الوضع ينظر: نفسه ص ٦٢-٦٥.

"يشكو الكتاب المحدثون من كثرة الاختلافات والتناقضات في الروايات التي رواها رواة فتوح الشام ...ولهم في ذلك من العذر شيء كثير.

ولقد مر بنا مثل ذلك ونحن ندرس فتوح العراق وفارس إلا أن الخلاف حول فتوح الشام يبدو أكبر بصورة تحير الدارس وتجهد الباحث ...بأي الروايات يأخذ ...وأيها يدع !".

ثم يضيف ويبين أن الروايات التاريخية في كتب التاريخ الإسلامي تمنح الرواية للوهلة الأولى الثقة.

لكن إذا فتحنا المصادر التاريخية وقارنا بعضها ببعض سنجد الطامة الكبرى وقد نصل إلى طريق مسدود بترجيح هذه الروايات بعضها على بعض.

"ولقد نظرنا فيما بين أيدينا من مصادر هذا التاريخ فوجدنا مؤلفات في أكثرها مُسندة على طريقة حدثنا فلان قال حدثنا فلان أخبرنا فلان...الخ.

وهذه طريقة تمنح الرواية- للوهلة الأولى - الثقة.

فإذا ذهبنا نفتح المصدر، تلو المصدر وجدنا الروايات تتضارب بما يستحيل معه الجمع بينها، تختلف في توقيتات الأحداث، وتختلف في تقدير أعداد قوات الفريقين وتختلف في أسماء القادة وغير ذلك وهذه مسندة وتلك مسندة والثالثة مسندة وهكذا! فأي الروايات أولى بالتصديق؟"[٢].

شروط التعارض وأركانه:

أـ شروط التعارض:

١ - حجية المتعارضين:

أن يكون كل من الأدلة المتعارضة حجة يصح التمسك به، ويستساغ الأخذ بها وهذا يفهم من اشتراط الأصوليين والمحدثين لذلك مثل قولهم[٣]: "التعارض: مساواة الدليلين".

---

(١) كمال: الطريق إلى دمشق ص٤٧.

(٢) المصدر نفسه ص٥١.

(٣) السرخسي: المصدر السابق ٢/ ١٢، البرزنجي: عبد اللطيف عبدالله عزيز، التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، الطبعة الأولى مطبعة العاني -بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ١/ ٢٤٤.

فإذا انتفى هذا الشرط فلا يوجد التعارض[١].

٢- عدم إمكان الجمع بين المتنافيين:

وهذا مذهب عدد من العلماء[٢]، لكن مذهب الجمهور[٣]، عدم اشتراط ذلك واعتبار التنافي بين دليلين يمكن الجمع بينهما تعارضاً.

٣- عدم وجود كون المتعارضين قطعيين.

وهو مذهب جمهور الشافعية[٤] أما جمهور الحنفية وغيرهم جوزوا وذهبوا إلى وجود التعارض بين القاطعين[٥].

ب- أركان التعارض:

١- التعدد: ركن من أركان التعارض وهو وجود حجتين فأكثر فلا يتحقق التعارض في دليل واحد[٦].

٢- التقابل والتدافع بين الحجتين بأن تقتضي أحداهما خلاف أو عدم ما تقتضيه الأخرى فلا تعارض بين المتوافقتين لفقد هذا الركن[٧].

٣- كون الحكمين المفهومين من الدليلين متضادين بحيث لا يمكن اجتماعهما، ولا ارتفاعهما فلا تعارض بين ما يمكن اجتماعهما، أو ارتفاعهما، لفقد هذا الركن[٨].

---

(١) فإذا كان أحد النصين صحيحاً والآخر موضوعا أو ضعيفاً فليس هناك من تعارض. ينظر: المصدر نفسه ١/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: تعليق الحامي على أصول الحسامي/ ٧٧-٧٨.

(٣) ينظر البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٢٥٢-٢٥٣

(٤) ينظر السبكي: علي بن عبد الكافي، الإبهاج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية -بيروت ١٤٠٤هـ٣/ ٢١٥، الشوكاني: إرشاد الفحول ص٢٧٥.

(٥) الحلبي: محمد بن محمد (ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) كتاب التقرير والتحبير، الطبعة الأولى -دار الفكر -بيروت ١٩٩٦م ٣/ ٢-٣.

(٦) ينظر التبريزي: محمد بن عبد الله الخطيب (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي - دمشق ١٩٧٩ م / ٢-٣، البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٢٥٨.

(٧) ينظر الحلبي: المصدر السابق ٣/ ٤.

(٨) ينظر البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٢٥٩.

قواعد في التعارض والترجيح:

١ - الإثبات مقدم على النفي إذا تعارضا:

هذا عند بعض الأحناف، وعند بعضهم يتعارضان، والمختار عند المحققين:

إن كانت رواية النفي اكتفى بالأصل يقدم الإثبات كتقديم الجرح على التعديل، لأن النفي حينئذ من غير دليل، وإن كان النفي مما يعرف بدليله لا بالأصل فقط تعارضا، لأن كليهما خبران عن علم فالنفي كالإثبات، ويطلب الترجيح من خارج(١).

٢ - الفعلان لا يتعارضان إلا إذا تكررا:

الأصل عدم تعارض الفعلان لاختلاف الزمان كأن يفعل شيئاً في وقت واحد ويفعل ضده، إلا أن يفيد الخبران أن هذا الفعل كان مكرراً، بحيث صار عادة سواء كان من الواجبات، أو المحرمات، أو غيرهما.

فإذا تعارضا على هذا الوجه فهو ناسخ عند الحنفية إذا علم تاريخ المتقدم من المتأخر ومخصصاً عند الشافعية وإذا جهل التاريخ فحكمهما حكم التعارض ويطلب الترجيح(٢).

---

(١) ينظر التهانوي: قواعد علوم الحديث / ٢٩٠-٢٩١ ابن نظام الدين الأنصاري: فواتح الرحموت ٢/ ٢٠١-٢٠٤، السرخسي: الأصول ٢/ ٢١ ومن أمثلة تقديم المثبت على المنفي: ما رواه البخاري في صحيحه (أن النبي ﷺ خيّر بريرة حينما اعتقت، ثم اختلفت الروايات: ففي بعضها (وكان زوجها عبداً) ينظر: مسند أحمد ١/ ٢١٥، ابن ماجة: السنن ١/ ٦٧١، الكحلاني: محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ/ ١٧٧٠م) سبل السلام، الطبعة الرابعة، دار إحياء التراث العربي ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠ م ٣/ ١٢٨، البخاري ومسلم والسنن الأربعة، وبها أخذ مالك والشافعي وأصحابه وجمهور المحدثين وهو: تخير الأمة في اختيار زوجها وعدمه إذا اعتقت - وزوجها عبد - وعدم جواز ذلك لها إذا كان زوجها حراً وفي رواية أخرى (وكان زوجها حراً) ينظر ابن ماجة: المصدر السابق ١/ ٦٧٠، الكحلاني: المصدر السابق ٣/ ١٢٨ والشيخان والسنن الأربعة وبها أخذ الحنفية وهو تخيير الأمة إذا أعتقت وزوجها حر أو عبد، يقول السرخسي وابن الهمام مرجحان مذهب الإمام أبي حنيفة: ولا خلاف أن كان زوجها عبداً في الأصل فكان الإثبات في رواية من روى أن زوجها كان حراً حين أعتقت فأخذنا بذلك، فهذا يدل على أن الترجيح يحصل بالإثبات، ينظر السرخسي: المصدر السابق ٢/ ٢١، ابن الهمام: كمال الدين محمد بن عبد الواحد (ت ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م) فتح القدير، الطبعة الأولى، البابي الحلبي ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠ م ٢/ ١٩٥-١٩٦ القسطلاني: إرشاد الساري ٨/ ١٥٣-١٥٥. وقال السرخسي وفي حديث بريرة رجحنا الخبر المثبت لحرية الزوج عند عتقها لأن من يروى أنه كان عبداً فهو لم يعتمد في خبره دليلاً موجباً لنفي الحرية ولكن بنى خبره على استصحاب الحال لعدم علمه بدليل المثبت للحرية فلهذا رجحنا المثبت، ينظرالسرخسي: المصدر السابق ١/ ٢٣ وينظر ترجمة بريرة ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/ ٢٥١، النووي: شرح صحيح مسلم ٦/ ٣٤٢، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٢٥١(١٧٧).

(٢) ينظر ابن نظام الدين: المصدر السابق ٢/ ٢٠١-٢٠٢، التهانوي قواعد: في علوم الحديث ص ٢٩١.

٣- ما يتوهم أنه ناسخ وليس بناسخ:

إذا روى الصحابي المتأخر إسلامه خبراً معارضاً لمتقدم الإسلام فلا يعتبر ناسخاً إلا أن يصرح بسماعه من النبي ﷺ وأن يكون لم يتحمل عنه ﷺ شيئاً قبل إسلامه، وأن يكون المتقدم الإسلام قد سمعه قبل سماعه.

٤- إذا وقع التعارض بين السنتين ولم يعرف التاريخ، يصار إلى ما بعد السنة.

إذا وقع التعارض بين السنتين ولم يعرف التاريخ، فإنه يعدل عنهما، ويجعل في حكم المعدوم أصلاً ويصار إلى الحجج الشرعية الأخرى كالإجماع، وقول الصحابي والقياس الصحيح وغيرها(١).

حكم التعارض:

ذهب الجمهور من أئمة المسلمين من الأصوليين والفقهاء والمحدثين والمتكلّمة، أن حكم التعارض بين الأدلة على مراتب حسب التفاوت في الرتبة:

١- جمع المتعارضين بنوع من أنواع الجمع، إما بالجمع بهما معاً، أو تفضيل أحدهما على الآخر، وهذا أفضل الصيغ، وليس فيه إطراح لأحدهما.

٢- الترجيح: أي تفضيل وتقديم أحدهما على الآخر بوجه من وجوه الترجيح.

٣- إذا تعسر وتعذر الجمع بين الدليلين وكذلك الترجيح بينهما فيصار إلى النسخ، وشروطه معرفة المتقدم والمتأخر منهما.

٤- وإذا استحال الجمع والترجيح ومعرفة الناسخ من المنسوخ تساقط الدليلان ويجب التوقف(٢).

الجمع والتوفيق بين النصوص المتعارضة:

معنى الجمع لغة واصطلاحا:

الجمع لغة:

تأليف المتفرق، والمجموع: ما جمع من هنا وههنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد.

---

(١) ينظر السرخسي: المصدر السابق ٢/ ١٣.

(٢) ينظر ابن جزي: تقريب الوصول إلى علم الأصول / ١٦٢، عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي من مستصفى الغزالي/ ٣٢٠، البرزنجي التعارض والترجيح ١/ ٢٦٦.

والجمع أيضاً إزالة الاختلاف بين الحجتين بتأويلهما، وبيان مدلول اللفظ مطلقاً[١].

واصطلاحاً هو: بيان التوافق والائتلاف بين الأدلة الشرعية، وإظهار أن الاختلاف غير موجود بينهما حقيقة[٢].

مواقف العلماء في الجمع والتوفيق بين المتعارضين:

انقسم العلماء إلى ثلاثة أقسام في التعامل في الجمع والتوفيق بين النصوص المختلفة، فمنهم:

أ- المتساهل: وهو مذهب جماعة من أهل الحديث ومذهب الظاهرية[٣] أن هذا الأمر يتعين، إذا أمكن الجمع بين الحديثين، ولا يتعذر إبداء وجه ينفي تنافيهما[٤].

وسبب تساهلهم: هو أنه لا تعارض بين نصوص الشرعية حقيقة، فمتى ما ظهر أي دليل للتوفيق بين النصين أو النصوص الشرعية، يجب إزالة التعارض بينهما.

ب- المتشدد: وهم جمهور الحنفية وبعض الشافعية والإمام مالك، وبعض أهل الحديث وذلك لتضييق دائرة الجمع لأدلة يستدلون بها[٥].

ج- الوسط: وهو مذهب جمهور الفقهاء والمحدثين والمفسرين، وهو وسط بين المذهبين السابقين، فلم يرفضوا كل التأويلات القريبة والبعيدة ولم يقبلوها بلا قيد ولا شرط، بل قبلوا ما كان منها صحيحاً قريباً من روح الشريعة، وتركوا منها ما كان غير ذلك[٦].

كيفية الجمع والتوفيق بين المتعارضين:

لعلماء المسلمين طرق ومسالك عديدة ومختلفة لكيفية الجمع بين الأدلة المتعارضة ونحن نذكر هنا مسلك جمهور العلماء باختصار وهو ثلاثة أنواع:

أ- ما يمكن الجمع بين الطرفين بالتصرف في طرق معينة منها، فإذا تعارض دليلان، أحدهما

---

(١) ينظر الفيروز آبادي: قاموس المحيط ٣/ ١٤-١٥ (باب العين فصل الجيم).

(٢) ينظر البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٢٣٨

(٣) ينظر ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام ٢ جزء ٢ / ١٥٩-١٦٠. البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٣٤١.

(٤) ينظر ابن الصلاح: المقدمة ص ١٤٣، الهروي: جواهر الأصول ص ٤٠.

(٥) راجع الأمثلة والتفصيل: البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٣٤٣-٣٤٨.

(٦) ينظر: نفسه ١/ ٣٤٨.

عام، والآخر خاص، أو مطلق، ومقيد، أو الظاهر، والنص[1]، يتصرف في العام، والمطلق، والظاهر، لظنية دلالتهم ليكون بذلك العام موافقاً للخاص والمطلق موافقاً للمقيد والظاهر موافقاً للنص.

ب- ما يمكن الجمع والتوفيق بينهما بالتصرف في أحد الطرفين الغير المعين.

أي كلا الطرفين يتحمل التصرف فيه لأجل الجمع والتوفيق لكن نتصرف بطرف واحد منهما بعد وجود الدليل عليه، وذلك في متعارضين بينهما عموم وخصوص من وجه:

---

(١) العام: هو شمول الحكم لكل فرد من أفراد الحقيقة وله أداوات خاصة. ينظر ابن جزي: تقريب الوصول إلى علم الأصول / ٦٨، عبد الكريم زيدان: المصدر السابق/ ٢٥٤.

الخاص: هو اخراج بعض ما يتناوله العموم قبل تقرر حكمه. ينظر ابن جزي: المصدر السابق ص٦٨، الزيدان: المصدر السابق ص٢٥٨.

المطلق: هو الكلي الذي لم يدخله تقييد، فذلك لا يكون إلا نكرة لشياعها، ويكتفي في الحكم عليه بفرد من أفراده أي فرد كان. ينظر ابن جزي: المصدر السابق ص٧٣، الخضري: أصول الفقه ص١٩٢.

المقيد:هو الذي دخله تقييد، ولو من بعض بعض الوجوه كالشرط والصفة وغيرذلك. ينظر ابن جزي والخضري: المصدران نفسيهما مع صفحاتها.

الظاهر: هو الذي ظهر المراد منه بنفسه، ولم يكن المراد منه هو المقصود إحالة من سياق الكلام. ينظر ابن جزي: تقريب الوصول إلى علم الأصول ص ٧٦، الزيدان: المصدر السابق / ٢٨٤-٢٨٥.

النص: هو ما دل على معنى ولم يحتمل غيره، ينظر ابن جزي: المصدر السابق ص٧٦.

مثال العام والخاص: قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ [المائدة: ٣] عام في كل ميتة فيكون حكمها التحريم، ولكن خص بغير ميتة البحر. لقول النبي ﷺ لما سئل عن ماء البحر (هو الطهور ماؤه الحل ميتته). ينظر الزيدان: المصدر السابق ص٢٦٠، البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٣٨٥. الحديث رواه عدد من أئمة الحديث ينظر: أبو داود: السنن ١/ ٢١ (٨٣)، الترمذي: السنن ١/ ١٠٠-١٠٢(٦٩).

مثال المطلق والمقيد: قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ [المائدة: ٣]، وقوله ﴿ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ففي الآية الأولى الدم مطلق والثانية مقيد بكونه مسفوحاً. ينظر: الزيدان المصدر السابق ص٢٣٧.

مثال الظاهر والنص قوله تعالى بعد أن بين المحرمات من النساء قال ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤] ظاهر الآية يدل على إباحة الزواج بأكثر من أربع زوجات ولكن هذا الظاهر عارضه ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ [النساء: ٣] فهذا النص في تحريم ما زاد على الأربع فيرجح على الظاهر. ينظر الزيدان: المصدر نفسه ص٣٣٤.

مثاله قوله ﷺ[١]:

(مَنْ بَدلَ دِينَهُ فاقتُلُوهُ).

فظاهر هذا الحديث جواز قتل كل من يرتد عن دينه سواء كان التارك لدينه رجلاً أو امرأة.

وهو يتعارض مع قوله ﷺ[٢]:

(نَهى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ).

الذي يدل بظاهره على عدم جواز قتل النسوة مرتدة كانت أو غير مرتدة.

فإذا تصرفنا[٣] في الطرف الأول بتخصيص عمومه، وقصره على خصوص الحديث الثاني وبقاء الحديث الثاني على عمومه، فيكون الحكم المستفاد من النصين بعد الجمع بينهما هو:

جواز قتل من بدل دينه من الرجال دون النساء وعدم جواز قتل النساء وإن ارتددن ويجوز العكس.

فيكون حكمها عندئذ قتل جميع المرتدين من الرجال والمرتدات من النساء ويخص حديث النهي: غير المرتدات، ولكن يحتاج في تخصيص أحد الطرفين بالجمع دون الآخر إلى دليل يرجح التصرف فيه والعمل بعموم الآخر وقد رجح الجمهور الحديث الأول وقالوا: بقتل النساء وحملوا حديث النهي على الكافرة الأصلية إذا لم تباشر القتال وذلك لأمور:

أهمها ما ورد في الحديث[٤]:

(وَأَيُّما امْرَأَةٍ ارْتَدَّتْ عَنِ الإسلام فَادْعُهَا، فَإِنْ عَادَتْ وَإِلَّا فَاضْرِبْ عُنُقَهَا).

---

(١) الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٢/ ٨٣ (١١٥٤)، أبو داود: المصدر السابق ٤/ ١٢٤ (٤٣٥١) الترمذي: المصدر السابق ٤/ ٤٨ (١٤٥٨). المستدرك على الصحيحين ٣/ ٦٢٠ (٦٢٩٥) النسائي: لمجتبى من السنن ٧/ ١٠٤ (٤٠٥٩) فتح الباري ١٢/ ٢٧٢.

(٢) مُصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٨١ (٣٣٧٨٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٠/ ١٧٣ (٥٩٥٩) أبي عوانة: الإمام يعقوب بن إسحاق الاسفرائني(ت ٣١٦هـ)مسند أبي عوانة، الناشر دار المعرفة - بيروت ٤/ ٢٢١ (٦٥٨٦) أبو داود: المصدر السابق ٤/ ١٢٧ (٤٣٦١)، الدار قطني: السنن ٤/ ٢١٦ (٤٧)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٤/ ٣٩١ (١١٠٧١) ابن حجر: المصدر السابق ١٢/ ٢٦٨.

(٣) ينظر البرزنجي: المصدر السابق١/ ٣٩٠.

(٤) الطبراني: المعجم الكبير ٢٠/ ٥٣ (٩٣) مسند الشاميين ٤/ ٣٧٢ (٣٥٨٦) ابن حجر: المصدر السابق ١٢/ ٢٧٢، الهيثمي: مجمع الزوائد ٦/ ٢٦٣ بشيء من الاختلاف في اللفظ.

قال الحافظ ابن حجر[١]:

"إسناده حسن، وهو نص في موضع النزاع فيجب المصير إليه".

هذا ورجح الإمام أبو حنيفة الثاني، وخصص الحديث الأول بالذكر فلا يجوز قتلهن وإن ارتددن عنده[٢].

ج- ما يمكن الجمع بينهما بالتصرف في كل من الطرفين لكن مع دليلين حتى يكون كل واحد من الدليلين شاهداً على حمل أحد الطرفين على خلاف ظاهره وذلك فيما إذا كان بين مفهوم الدليلين تباين كلي كما إذا كانا خاصين أو عامين فيجمع بينهما بحمل أحد الطرفين على حالة والآخر على حالة أخرى[٣].

مثال الخاصين قوله ﷺ[٤]:

(أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ الذي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا).

مع قوله[٥]:

(خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَتَسَمَّنُونَ يُحِبُّونَ السِّمَنَ يُعْطُونَ الشَّهَادَةَ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوهَا).

وفي هذه الحالة يمكن الجمع بينهما بالتصرف في الطرفين بحمل كل منهما على حالة تخالف الحالة الأخرى.

وذلك أن الحديث الأول: يفيد بمنطوقه أن خير الشهادة شهادة رجل أداها قبل أن يسأل من له الشهادة تأديتها، ومفهومه أن شر الشهادة أن يشهد بعد أن يطلب منه ذلك.

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٢٧٢.

(٢) ينظر البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٣٩٢.

(٣) ينظر البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٣٩٢.

(٤) مسند أحمد ٢٨/ ٢٧٢ (١٧٠٤٠) صحيح مسلم ٣/ ١٣٤٤ (١٧١٩) النسائي: السنن الكبرى ٣/ ٤٩٤ (٦٠٢٩)، ابن ماجة: السنن ٢/ ٧٩٢ (٢٣٦٤) شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٧) واللفظ لمسلم.

(٥) مُصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٧٨ (٣٣٠٨٣) مسند أحمد ٣٣/ ٥٣ (١٩٨٢٠) الجامع الصحيح سنن الترمذي ٤/ ٥٤٨ (٢٣٠٢).

والحديث الثاني:

يدل بظاهره أن تأدية الشهادة قبل أن يسأل غير محمودة لذكرها في معرض الذم فيكون مفهومه أن تأديتها بعد السؤال منه ذلك محمود فيتعارضان، ويجمع بينهما بالتصرف من الطرفين.

فيحمل الحديث الأول على من عنده شهادة لشخص لا يعلمها فيخبره بذلك، فيكون من أداها قبل السؤال، خير الشهود.

ويحمل الحديث الثاني على من علم صاحب الحق ذلك فيشهد بها عنده فيكون من أداها قبل السؤال شر الشهود(١).

١ ـ مراتب الجمع بين المتعارضين:

أـ التعارض بين العام والخاص:

مثال: قوله ﷺ(٢):

(فِيمَا سَقَتْ السَّمَاءُ الْعُشْرُ).

مع قوله ﷺ(٣):

(لَا صَدَقَةَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ).

والتعارض بين الحديثين واقع، وقد اختار الغزالي أن يجعل الخاص بياناً للعام(٤).

---

(١) ينظر البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٣٩٣.

(٢) مسند أحمد ٢/ ٤٠٠ (١٢٢١) صحيح البخاري ٢/ ٥٤٠١٤١٢)، فتح الباري ٣/ ٣٤٧ (١٤٨٣)، النووي: شرح صحيح ٧/ ٥٠-٥٤) بعدة ألفاظ.

(٣) مسند أحمد ١٨/ ٣٣٩ (١١٨٢٠)، صحيح البخاري ٢/ ٥٢٩ (١٣٩٠)، فتح الباري ٣/ ٣٥٠ (١٤٨٤)، شرح صحيح ٧/ ٥٤.

(٤) الغزالي: المستصفى تحقيق: محمد عبد السلام الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية -بيروت ١٤١٣هـ ص٢٤٦، عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي ص٣٢٠-٣٢١.

بـ أن يكون اللفظ المؤول قويا في الظهور بعيدا عن التأويل:

مثاله: قوله ﷺ [(١)]:

(إنما الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ).

فإنه كالصريح في نفي ربا الفضل، وقوله ﷺ [(٢)]:

(الْحِنْطَةُ بِالْحِنْطَةِ).

فإنه صريح في إثباته، فيمكن أن يكون احدهما نسخاً للآخر، ويمكن أن يكون قوله: (إنما الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ).

وارداً في مختلفي الجنس، بناء على تخرجه على سؤال عنهما أو حاجة خاصة والجمع بهذا التقدير ممكن. والمختار أنه وإن بعُد أولى من النسخ [(٣)].

جـ التعارض بين الدليلين بينهما عموم وخصوص من وجه.

وذلك بأن يتنافى دليلان ويزيد مفهوم أحدهما ومدلوله على الآخر من وجه، وينقص من وجه آخر [(٤)].

مثال قوله ﷺ [(٥)]:

(إذا كَانَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلَ الْخَبَثَ).

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/ ٢٠٠ (٢١٧٩١) صحيح مسلم ٣/ ١٢١٧ (١٥٦٩)، فتح الباري ٤/ ٣٨١ (٢١٧٩)، شرح صحيح ١١/ ٢٥ واللفظ لمسلم.

(٢) نص الحديث:
«الْحِنْطَةُ بِالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ كَيْلاً بِكَيْلٍ وَوَزْناً بِوَزْنٍ فَمَنْ زَادَ أو ازْدَادَ فَقَدْ أَرْبَى إِلاَّ ما اختلف ألوانه» موطأ الإمام مالك ٢/ ٦٤٦ (١٣٢٣) مُصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٣٢٠ (٢٠٦٠٣) مسند أحمد ١٢/ ٩٢ (٧١٧١)، فتح الباري ٤/ ٣٧٧-٣٨١ (٢١٧٠-٢١٧٨)، شرح صحيح ١١/ ١٥.

(٣) ينظر الغزالي: المستصفى ص١٩٦، عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي ص٣٢١.

(٤) ينظر: المصدران نفسيهما ص ١٩٧، ص٣٢٥.

(٥) الحديث، رواه أصحاب السنن والحاكم وأحمد وغيرهم النسائي: المجتبى من السنن ١/ ٤٦ (٥٢) ابن ماجة: السنن ١/ ١٧٢ (٥١٧) الترمذي: السنن ١/ ٩٧-٩٩(٦٧) المستدرك على الصحيحين ١/ ٢٢٥ (٤٥٩)، وينظر: تفصيل ذلك وأقوال العلماء فيه، ابن قدامى: موفق الدين: عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) المغني، الناشر دار الكتاب العربي -بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ١/ ٢٣-٢٨.

وفي رواية[١]:

(لَمْ يُنَجِّسْهُ شيء).

مع قولهﷺ[٢]:

(مَا لَمْ يَتَغَيَّرْ رِيحُهُ أو طَعْمُهُ).

فإن الأول أعم من الثاني حيث يشمل الحكم بطهارة القلتين[٣]، سواء تغير أحد أوصاف الماء أم لا، وأخص منه لأنه لا يشمل ما دون القلتين، والثاني أعم من الأول لأن ما تغير أحد أوصافه يشمل ما بلغ قلتين فأقل فأكثر وأخص منه من وجه لأنه لا يتناول بمنطوقه حكم ما لم يتغير أحد أوصافه إذا لاقى نجساً.

فذهب الغزالي في هذه المرتبة إلى جعل أحدهما بياناً للآخر وتخصيص عمومه به وبقاء عموم المبين، ولكن مع وجود قرينة تؤيد ذلك[٤].

النسخ وما يتعلق به:

النسخ لغة واصطلاحا:

النسخ لغة: هو إزالة الشيء على جهة الانعدام، تقول: نسخ الشيب الشباب، أي أزاله، وقام مقامه، أو إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه[٥].

---

(١) مصنف عبد الرزاق ١/ ٧٩ (٢٦١) الجامع الصحيح سنن الترمذي ١/ ٩٧ (٦٧) سنن ابن ماجه ١/ ١٧٢ (٥١٧) المستدرك على الصحيحين ١/ ٢٢٤ (٤٥٨).

(٢) ابن ماجة: السنن ١/ ١٧٤ (٥٢١)، الترمذي: ١/ ٩٧-٩٩ (٦٧) الطبري: تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، تحقيق محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدني - القاهرة ٢/ ٧٣٦ (١١١٨).

(٣) القلتان: تثنية قلة وجمعها قلال وهي القرب وقد قدرها الشوافع بخمسمائة رطل بغدادي والرطل البغدادي عند النووي مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع الدرهم. وبالمساحة قدرتا في المربع بذراع وربع طولاً وعرضاً وعمقاً بذراع الآدمي. ينظر الشربيني: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد (ت ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م ١/ ٢١-٢٣، الغزي: محمد بن القاسم (ت ٩١٨هـ/ ١٥١٢م) فتح القريب المجيب، منشورات مكتبة المثنى - بغداد ص٤.

(٤) ينظر عبد الكريم المدرس: المصدر السابق ٣٢٥-٣٢٧، البرزنجي: التعارض والترجيح ١/ ٤٠٢.

(٥) ينظر: مختار الصحاح ص ٦٥٦(ن س خ) ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٦٢٤، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٥/ ٤٧(نسخ).

واصطلاحاً: رفع الحكم الشرعي الثابت بدليل شرعي لاحق، مع ترخيه عنه[١].

ومن أفضل ما يستعان به على الروايات التاريخية المتضاربة - كما يقول السخاوي - هو التاريخ (ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التي يعلم بها النسخ في أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما)[٢].

أنواع النسخ:

للنسخ تقسيمات باعتبارات مختلفة[٣]. ونحن نختصر الكلام فيما يتعلق بأهم أنواعه وعلى مذهب الجمهور وهي:

أولا: نسخ الكتاب بالكتاب:

مثال: قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣].

فإنه صريح في حرمة نكاح الزانية لغير الزاني والعكس، فيتعارض مع قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢].

الظاهر في حل إنكاح الأيامى ولو زانية ورفع التعارض بينهما بالقول بنسخ الآية الثانية الآية الأولى، فالعمل بالآية الأولى كان في فترة، ثم أزيل حكمها فعمل بمقتضى الآية الثانية، واستقر العمل عليه[٤].

---

(١) ينظر ابن جزي: تقريب الوصول إلى علم الأصول ص ١٢٢، الأنصاري: الحدود الأنيقة ص ٨٠، عبد الكريم المدرس: المصدر السابق ص٦٢، الخضري: الأصول ص ٢٥٠، الزرقاني: محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر ٢/ ١٧٦.

(٢) الإعلان بالتوبيخ ص ٧ (طبعة بغداد).

(٣) منها على سبيل المثال منسوخ القرآن على ثلاثة أنواع: منسوخ التلاوة والحكم، ومنسوخ التلاوة دون الحكم، ومنسوخ الحكم دون التلاوة ابن جزي: المصدر السابق ص١٢٦-١٢٧، ينظرالزرقاني: المصدر السابق ٢/ ٢١٤-٢١٥.

(٤) ينظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ١٦٨- ١٦٩، البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٤٩٨.

ثانيا: نسخ السنة بالسنة:

اتفق الجمهور على جواز نسخ السنة بالسنة سواء كانت مثلها أو أعلى، كالمتواتر ين أو آحادين أو مشهورين، أو المشهور بالمتواتر، أو الآحاد بالمشهور وسواء كانت السنة الناسخة أو المنسوخة قولاً أو فعلاً أو تقريراً[(١)].

مثال ذلك: وضوء النبي ﷺ، وأمره به مما مسته النار[(٢)]:

« تَوَضَّأوا مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ ».

عَلْقَمَةَ الْقُرَشِيِّ قَالَ[(٣)]:

(دَخَلْنَا بَيْتَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدْنَا فِيهِ عَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ فَذَكَرْنَا الْوُضُوءَ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ فَقَالَ عَبْدُ الله رَأَيْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ مِمَّا مَسَّتْهُ النَّارُ ثُمَّ يُصَلِّي وَلَا يَتَوَضَّأُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا: أنت رَأَيْتَهُ يَا ابن عَبَّاسٍ قَالَ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلى عَيْنَيْهِ فَقَالَ بَصُرَ عَيْنَيَّ).

فإنهما يتعارضان، ويدفع التعارض بأن الحديث الثاني ناسخ للحديث الأول[(٤)].

ثالثا: نسخ السنة بالكتاب: وهو أيضا مذهب الجمهور منهم[(٥)]:

مثال ذلك: أن الأكل والشرب والمباشرة كان محرما في ليالي رمضان ثم نسخ هذا التحريم[(٦)] بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ

---

(١) ينظر ابن جزي: المصدر السابق/ ١٢٥ عبد الكريم المدرس: المصدر السابق ص٧٨-٧٩، البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٤٩٨.

(٢) ينظر الحميدي: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ٣/ ٢٣٣ (٢٧١٨) ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول ٧/ ٢١٦ (٥٢٤٤)، شرح صحيح مسلم ٤/ ٤٣-٤٤)، بعدة ألفاظ.

(٣) ينظر: مصنف عبد الرزاق ١/ ١٦٦ (٦٤٣) مسند أحمد ٤/ ٢٧١ (٢٤٦٢) الترمذي: السنن ١/ ١١٤-١١٦ (٧٩)، شرح صحيح مسلم ٤/ ٤٣-٤٤)، بعدة ألفاظ، وهذا اللفظ لأحمد. وينظر: فتح الباري ١/ ٣١٠-٣١١ (٢٠٧-٢٠٨)، النووي: المصدر السابق ٤/ ٤٤-٤٧.

(٤) ينظر البرزنجي: المصدر السابق ١/ ٤٩٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٤٩٩.

(٦) ينظر الزرقاني: المصدر السابق ٢/ ٢٤٥.

لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ ﴾ الآية [البقرة: ١٨٧].

رابعا: نسخ الكتاب بالسنة المتواترة:

مثاله: قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٖۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ [النور: ٢].

تشمل المحصنين وغيرهم من الزناة ثم جاءت السنة[١] فنسخت عمومها بالنسبة إلى المحصنين وحكمت بأن جزاءهم الرجم[٢].

---

(١) منها ما رواه البخاري عن: (الشَّعْبِيِّ يُحَدِّثُ عَنْ عَلِيٍّ رضى الله عنه حِينَ رَجَمَ الْمَرْأَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَالَ قَدْ رَجَمْتُهَا بِسُنَّةِ رَسُولِ الله).

ينظر: صحيح مسلم ٦/ ٢٤٩٨ (٦٤٢٧) وينظر التفصيل: فتح الباري ١٢/ ١١٧ (٦٨١٢-٦٨١٤).

(٢) ينظر التفصيل السرخسي: الأصول ٢/ ٧٠ - ٧٤، الزرقاني: المصدر السابق ٢/ ٢٣٧-٢٤٣.

المبحث الثاني
الترجيح لغة واصطلاحا وأنواعه

الترجيح لغة واصطلاحا:

الترجيح لغة:

من رجّح يرجّح ترجيحاً. وتدور مادة (رجح) حول الميلان والثقل والميلان من الثقل[١].

اصطلاحا:

تقوية إحدى الطريقتين ليعلم الأقوى فيعمل به ويطرح الآخر[٢].

ما يصح فيه الترجيح:

ليس كل مجال يجوز فيه الترجيح، فالقطعيات[٣] أو لما اوجب العلم من الأخبار - كما عبر عنه بعضهم - لا يجوز فيها، لعدم وجود أو تعذر التفاوت بين القطعيين إذ ليس بعض المعلومات أقوى واغلب من بعض وإنما يجري ذلك فيما لا يوجب العلم من الأخبار[٤].

وقواعد هذا المبحث، كما هو مهم في ترجيح أحاديث النبي ﷺ بعضا على البعض، فهو: مبحث مهم جداً في ترجيح الروايات التاريخية بعضها على البعض، لأن أغلب - إن لم يكن - الشروط الواردة في هذا المبحث، ينسجم ويتلائم، بل يتطابق أيضاً مع الروايات التاريخية.

---

(١) ينظر: لسان العرب ١/ ١١٢٥-١١٢٦ (رجح).

(٢) ينظر السبكي: الإبهاج ٣/ ٢٠٩، الشوكاني: إرشاد الفحول ص٢٧٣.

(٣) وهذا على مذهب الجمهور ينظر: البرزنجي: التعارض والترجيح ١/ ١٥٧ - ١٦٠، وقد تطرق اسد رستم إلى تعارض الاخبار والترجيح بينهما وما يجب على المؤرخ أن يفعله:

أ- أن يترفع عن اتخاذ موقف وسط بين الطرفين مثلاً ٢ ×٢ = ٤ وجعل آخر الحاصل ٦ فيقول بل هو ٥ وهذا أمر لا يجوز.

ب- أن يعيد النظر في الطرفين لعله يكشف الستار عن عيب في إحدى الروايتين لم ينتبه إليه أولا أو لعله يجد ما يجعله يثق بالواحدة أكثر من الأخرى. فيسقط ما قلت ثقته فيه ويرجح القول الآخر

ج- أن يمتنع عن الحكم بين الطرفين إذا عم الشك وباتت قلة الثقة. ينظر مصطلح التاريخ/ ٨٦-٨٧.

(٤) ينظر الخطيب: الكفاية ص٦٠٨، ابن جزي: تقريب الوصول ص ١٦٣.

يقول الخطيب البغدادي[1]:

" وأما ما لا يوجب العلم من الأخبار:

فيصبح دخول التقوية والترجيح فيها إذا لم يكن الجمع بينها في الاستعمال لتعارضها في الظاهر، وإنما يصح دخول الترجيح فيها لأنها تقتضي غلبة الظن دون العلم والقطع.

ومعلوم أن الظن يقوي بعضه على بعض عند كثرة الأحوال والأمور المقوية لغلبته فصح بذلك تقوية أحد الخبرين على الآخر بوجه من الوجوه:

فتارة: بكثرة الرواة.

وتارة: بعدالتهم وشدة ضبطهم.

وتارة: بما يعضد أحد الخبرين من الترجيحات ... وكل خبر واحد دل العقل أو نص الكتاب أو الثابت من الأخبار أو الإجماع أو الأدلة الثابتة المعلومة على صحته، وجد خبر آخر يعارضه، فإنه يجب إخراج ذلك المعارض والعمل بالثابت الصحيح اللازم لأن العمل بالمعلوم واجب على كل حال".

طرق الترجيح وأنواعها عند العلماء:

هذا مظهر آخر من مظاهر المنهج النقدي عند أئمة الحديث والأصول يتجلى فيه انفراد المنهج الإسلامي في نقد الأخبار والروايات على بقية المناهج الأخرى، وهو في حقيقة الأمر نظرة نقدية للخبر من زاوية أخرى بشكل جديد، تخضع لها الأخبار المتعارضة للترجيح بينها [2].

سلك الأصوليون وأئمة الحديث طرقاً متعددة للترجيح بين الأخبار وأهمها طريقتان وهما:

الترجيح بحال الراوي، والترجيح بسبب الرواية.

---

(١) الخطيب: المصدر السابق ص٦٠٨

(٢) ينظر البشير: ضوابط الرواية عند المحدثين/ ٣٧٦

الترجيح بحال الراوي:

الترجيح بحال الراوي له طرق متعددة وأهمها:

أ- كثرة الرواة:

ذهب جمهور أهل العلم[1] أن كثرة العدد في أحد الجانبين مؤثرة في باب الرواية لأنها تقرب مما يوجب العلم، وهو المشهور، أو المتواتر.

مثال: من ذهب إلى إيجاب الوضوء من مسّ الذكر بالأحاديث[2] الواردة في الباب نظرا إلى كثرة العدد، لأن حديث الإيجاب رواه نفر من الصحابة عن النبي ﷺ مثل[3]: "عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو هريرة، عائشة، أم حبيبة[4]، وبسرة[5]".

أما حديث طلق بن علي اليمامي[6] وهو حديث فرد[7] في الباب وهو حديث الرخصة فلا

---

(١) خلافاً للأحناف حيث لا يجوز عندهم الترجيح بكثرة الرواة ينظر: السرخسي: الأصول ٢/ ٢٤، ابن حجر: فتح الباري ٣/ ١٠٢-١٠٣، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص ٢٩٤. أما ابن حزم الأندلسي فينسف التعارض والترجيح في الشريعة أصلاً ويستدل بالكتاب والسنة على نفي ذلك!
ويخالف بذلك الغالبية العظمى من العلماء سلفا وخلفا ينظر: الأحكام في أصول الأحكام ١ جزء٢ ص١٥٨ - ١٩٦.

(٢) الأحاديث: رواها أهل السنن بعدة طرق وألفاظ، ابن ماجة: السنن ١/ ١٦١-١٦٢ (٤٧٩-٤٨٢)، أبو داود: السنن ١/ ٤٥(١٨١).

(٣) الترمذي: السنن ١/ ١٢٨.

(٤) أم حبيبة: هي رملة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين أسلمت قديما هاجرت إلى الحبشة، تنصر زوجها عبد الله بن جحش، ثم تزوجها النبي ﷺ (ت ٤٤هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/٣٠٣-٣٠٦، ابن حجر: الإصابة ٤/ ٣٠٥-٣٠٧ (٤٣٤).

(٥) هي: بسرة بنت صفوان بن نوفل القرشية، من المبايعات، لم أقف على تاريخ وفاتها ينظر: المصدران نفسيهما ٤/ ٢٤٩، ٤/ ٢٥٢ (١٨٠).

(٦) والصحيح قيس بن طلق وهو راوي حديث (وهل هو إلا مضغة منه) أبو داود: المصدر السابق ١ /٤٦ (١٨٢)، الترمذي: المصدر السابق ١ / ١٣١-١٣٢ (٨٥).

(٧) حديث الفرد: وهو قسمان: الأول: الفرد المطلق وهو ثلاثة أقسام:
١- أن يقع مخالفاً منافياً لما رواه سائر الثقات.
٢- أن يكون عكس الأول.
٣- أن يكون بين هاتين المرتبتين كزيادة لفظة في حديث مثلاً لم يذكرها سائر رواته.

يحفظ من طريق يوازي هذه الطرق أو يقاربها.

ولو سلم أن حديث طلق يوازي تلك الأحاديث في الثبوت كان حديث الجماعة أولى، أن يكون محفوظاً من حديث رجل واحد[١].

بـ علو الإسناد:

يقدم الإسناد العالي على الإسناد النازل عند الترجيح، وذلك لمظنة احتمال الخطأ أو الغلط في الإسناد العالي أقل[٢].

جـ الإتقان والحفظ:

ومنها: إذا كان أحد الراويين أتقن وأحفظ، فمثلا:

إذا اتفق مالك بن أنس وشعيب بن أبي حمزة في الزهري، فإن شعيباً، وإن كان حافظاً ثقة غير أنه لا يوازي مالكا في إتقانه وحفظه ومن نظر في حديثهما وجد بينهما فرقا عظيما[٣].

د- فقه الراوي:

أن يكون رواة أحد الحديثين مع تساويهم في الحفظ والإتقان فقهاء عارفين باجتباء الأحكام،

فحكم الأول الرد، والثاني القبول، والثالث مختلف فيه.

القسم الثاني: فرد بالنسبة إلى جهة خاصة كقولهم: تفرد به أهل مكة، أو أهل المدينة، أو أهل البصرة عن أهل الكوفة، أو فلان عن فلان ونحوها، ولا يقتضي هذا القسم ضعف الحديث إلا أن يراد بتفرد المدينتين مثلاً انفراد واحد منهم فيكون كالقسم الأول. ينظر: ابن الصلاح: المقدمة ص ٤١-٤٢، الهروي: جواهر الأصول ص٢٩-٣٠.

(١) ينظر: الكفاية / ٦١٠، الحازمي: الاعتبار ص٧، ابن حجر: تلخيص الحبير ١/ ١٢٢-١٢٧، الزيلعي:عبد الله بن يوسف (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٢م) نصب الراية، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث -مصر ١٣٥٧هـ ١/ ٥٤-٦٩ عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي ص٤٩١، البشير: ضوابط الرواية ص٣٦٧-٣٧٧.

(٢) ولم يعتبر الحازمي والآمدي علو الإسناد من طرق الترجيح، ينظر: المصدر السابق ص١٥، الأحكام في أصول الأحكام ٤/ ٢٥١-٢٥٢، البشير: المصدر السابق ص٣٧٧.

(٣) ينظر الحازمي: المصدر السابق ص٧، الخضري: الأصول ص٣٦٦، عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي ص٤٨٩، البشير: المصدر السابق ص٣٧٧.

من مثمرات الألفاظ، فالاسترواح إلى حديث الفقهاء أولى[١].

قال الخطيب:

قال علي بن خشرم:

قال لنا وكيع[٢]:

"أي الإسنادين أحب إليكم: الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله، أو سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله ؟.

فقلنا: الأعمش عن أبي وائل! فقال:

يا سبحان الله، الأعمش شيخ، وأبو وائل شيخ، وسفيان فقيه، ومنصور فقيه، وإبراهيم فقيه، وعلقمة فقيه، وحديث تداوله الفقهاء خير من أن يتداوله الشيوخ".

هـ الاتفاق على العدالة:

إذا كان أحد الراويين متفقاً على عدالته، والآخر مختلفاً فيه فالمصير إلى المتفق عليه أولى.

مثاله:

حديث بسرة بنت صفوان السابق قال الحازمي:

حديث بسرة رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[٣]، عن عروة بن الزبير وليس فيهم إلا من هو عدل صدوق متفق على عدالته، وأما رواة حديث طلق فقد اختلف في عدالتهم فالمصير إلى حديث بسرة أولى[٤].

و- زمن التحمل:

إذا كان راوي أحد الحديثين؛ بالغا عند تحمله للحديث الذي يرويه، وكان الثاني صغيرا حالة

---

(١) ينظر الحازمي: المصدر السابق ص١١، ابن الأثير: جامع الأصول ١/ ٦٢، ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٤٣٠، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص٢٩٧-٢٩٨.

(٢) الكفاية ص٦١٠-٦١١، الحازمي: المصدر السابق ص١١، وأبو وائل هو: شقيق بن سلمة، وعبد الله هو ابن مسعود، ومنصور هو: ابن المعتمر، وإبراهيم هو النخعي، وعلقمة هو: ابن قيس.

(٣) الأنصاري المدني شيخ مالك والسفياني كثير الحديث ثقة ثبت (ت ١٣٥هـ) ينظر: الذهبي: العبر ١/ ١٤٠، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ١٦٤-١٦٥ (٢٨١).

(٤) الحازمي: المصدر السابق ص٧، وينظر كذلك ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام ٢/ ١٧٨.

الأخذ، فالمصير إلى حديث البالغ، لأنه افهم للمعاني وأتقن، واحرص على الضبط واشد اعتناء بمراعاة أصوله من الصغير.

لذا رجح بعض أهل المعرفة بالحديث في أصحاب الزهري مالكاً على سفيان بن عيينة، لأن مالكاً اخذ عن الزهري وهو كبير، وابن عيينة إنما صحب الزهري وهو صغير دون الاحتلام[١].

ز- كون الراوي صاحب الواقعة:

إذا كان راوي الخبر هو صاحب القصة ترجح روايته على غيره لأن صاحب الواقعة اعرف بحالها من غيره وأكثر اهتماماً[٢].

لذلك رجح نفر من الصحابة ممن كان يرى:

(الماء من الماء)[٣].

إلى حديث عائشة رضي الله عنها (في التقاء الختانين)[٤].

ح- كون الراوي مباشرا لما رواه:

لأن المباشر اعرف بالحال من الحاكي.

مثاله: حديث ميمونة [٥]:

(أن النبي ﷺ نَكَحَهَا وَهُوَ حَلاَلٌ) [٦].

وبعضهم رواه [٧]:

(نَكَحَهَا وَهُوَ مُحْرِمٌ).

---

(١) ينظر الحازمي: المصدر السابق ص ٧، الخضري: المصدر السابق ص٣٦٦.

(٢) ينظر الحازمي: المصدر السابق ص٨، عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي ص٤٨٩

(٣) رواه مسلم: شرح صحيح مسلم ٤/ ٣٧)، الترمذي: السنن ١/ ١٣٨-١٨٦ (١١٠-١١٢).

(٤) رواه مسلم والترمذي: المصدران نفسيهما ٤/ ٤٠-٤٢)، ١/ ١٨٠-١٨٣ (١٠٨-١٠٩).

(٥) هي أم المؤمنين كان اسمها برة، سماها النبي ميمونة، تزوج بها سنة سبع في عمرة القضية (ت ٦٣هـ) وقيل غير ذلك ينظر: الاستيعاب ٤/ ٤٠٤-٤٠٨، الإصابة ٤/ ٤١١-٤١٣ (١٠٢٦).

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٠٣١ (١٤١٠) الترمذي: المصدر السابق ٣/ ٢٠٠-٢٠١ (٨٤١).

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٠٣١ (١٤١٠) فتح الباري ٩/ ١٦٥ (٥١٤)، شرح صحيح مسلم ٣/ ٢٠١-٢٠٣ (٨٤٢-٨٤٤).

فمن رواه نكحها وهو حلال؛ أبو رافع[١]، ومن رواه نكحها وهو حرام؛ ابن عباس.

وحديث أبي رافع أولى بالتقديم لأن أبا رافع كان سفيراً بينهما وكان مباشراً للحال وابن عباس كان حاكياً[٢].

ط- كون أحد الراويين أقرب مكانا إلى رسول الله ﷺ:

وهذا أولى بالتقديم. لأنه أمكن من فهم كلامه واسمع له من غيره.

ولذا من يرى الأفراد بالحج أفضل من القران يذهب إلى حديث ابن عمر؛ أن النبي ﷺ[٣]: (أَفْرَدَ الْحَجَّ).

ويرجحه على حديث أنس أنه ﷺ (قَرَنَ)[٤] لما ذكر ابن عمر في حديثه قال: كنت تحت جران[٥]، ناقة رسول الله ﷺ ولعابها بين كتفي[٦].

ي- كثرة الملازمة للشيخ:

أن يكون أحد الراويين أكثر ملازمة لشيخه فإن المحدث قد ينشط تارة فيسوق الحديث على وجهه وقد يتكاسل في الأوقات فيقتصر على البعض أو يرويه مرسلا إلى غير ذلك من الأسباب.

وهذا الضرب يوجد كثيراً في حديث مالك بن أنس ولهذا قدمنا يونس بن يزيد الأيلي في الزهري على النعمان ابن راشد[٧]، وغيره من الشاميين من أصحاب الزهري لأن يونس كان كثير الملازمة للزهري حتى كان يلازمه في أسفاره وطول الصحبة له زيادة التأثير فيرجح به[٨].

---

(١) هو مولى رسول الله ﷺ، قيل اسمه إبراهيم، وقيل يسار، وقيل غير ذلك، أسلم قبل بدر، ولم يشهدها توفي في خلافة علي رضي الله عنه وهو راوي الحديث، ينظر: ابن عبد البر وابن حجر: المصدران السابقان ٤/ ٦٨، ٤/ ٦٧ (٣٩١).

(٢) ينظر ابن حزم: المصدر السابق ٢/ ١٧٨، الكفاية ص٦١٠، الحازمي: المصدر السابق ص٨، ابن رجب: شرح علل الترمذي ٢/ ٦٠٥، وينظر تفصيل ذلك: فتح الباري ٤/ ٤١٢.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٨٧٠ (١٢١١) الترمذي: المصدر السابق ٣/ ١٨٣ (٨٢٠)، شرح مسلم ٨/ ٢١٦،

(٤) رواه مسلم: شرح صحيح مسلم ٨/ ٢١٦.

(٥) الجران: باطن العنق، ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٦٣ (وجَرَنَ).

(٦) ينظر الحازمي: الاعتبار ص٨-٩.

(٧) الجزري أبو إسحاق الرقي، مولى بني أمية من الطبقة السادسة، تكلم فيه وهو موثق، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: النسائي: الضعفاء والمتروكين ص٢٣٤ (٦١٥) الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص١٨٤ (٣٥٠).

(٨) ينظر الحازمي: المصدر السابق ص٩، ابن رجب: شرح علل الترمذي ٢/ ٦١٣، ٧٦٥.

ك - الجمع بين المشافهة والمشاهدة:

وذلك بأن يكون أحد الراويين جمع حالة الأخذ بين المشافهة والمشاهدة، والثاني أخذه من وراء حجاب، فيأخذ بالأول لأنه أقرب إلى الضبط وأبعد عن السهو والغلط.

ولهذا لما اختلف في زوج[١] بَرِيرَةُ[٢] هل كان حراً أو عبداً؟.

فرواه القاسم بن محمد وعروة بن الزبير عن عائشة أن بريرة أعتقت وكان زوجها عبداً ورواه أسود بن يزيد عن عائشة أن زوجها كان حرا.

كان المصير إلى الحديث القاسم وعروة أولى لأنهما سمعا منها من غير حجاب[٣].

ل- الرواية عن مشايخ البلد إذا كان أحد الحديثين سمعه الراوي من مشايخ بلده، والثاني سمعه من الغرباء فيرجح الأول.

لأن أهل كل بلد لهم اصطلاح في كيفية الأخذ من التشدد والتساهل وغير ذلك، والشخص أعرف باصطلاح أهل بلده ولهذا اعتبر أئمة النقل حديث إسماعيل بن عياش فما وجدوه من الشاميين احتجوا به وما كان من الحجازيين والكوفيين وغيرهم لم يلتفت إليه لما يوجد في حديثه من النكارة إذا رواه عن الغرباء[٤].

---

(١) مغيث زوج بريرة وهو مولى أبي أحمد بن جحش الأسدي ثبت ذكره في صحيح البخاري من طريق خالد الحذاء عن عكرمة أن زوج بريرة كان عبداً يقال له: مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال النبي ﷺ ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا ؟ الحديث.

وكان مولى فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت فراقه وكان يحبها وكان يمشي في طرق المدينة وهو يبكي واستشفع إليها برسول الله ﷺ فقالت أتأمر قال لا بل أشفع قالت لا أريده.

ينظر: الاستيعاب ٤/ ١٤٤٣ (٢٤٧٥) الإصابة ٦/ ١٩٦ (٨١٧٨).

(٢) بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها ثم باعوها من عائشة وجاء الحديث في شأنها بأن الولاء لمن أعتق وعتقت تحت زوج فخيرها رسول الله ﷺ فكانت سُنّة، قال ابن حجر: "وقد جمع بعض الأئمة فوائد هذا الحديث فزادت على ثلاثمائة ولخصتها في فتح الباري ".

ينظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/ ١٧٩٥ (٣٢٥٤) الإصابة ٧/ ٥٣٥ (١٠٩٣٨).

(٣) ينظر الحازمي: المصدر السابق ص٩-١٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص٩، ابن رجب: المصدر السابق / ٧٧٣.

م- الرجوع إلى الكتاب مع الحفظ:

إذا كان راوي أحد الحديثين مع حفظه، صاحب كتاب يرجع إليه، والراوي الآخر، حافظ لا يرجع إلى كتاب، فالحديث الأول أولى أن يكون محفوظا، لأن الذاكرة قد تخون أحياناً[١].

ن- عدم الاضطراب:

كأن يكون أحد الراويين لم يضطرب لفظه والآخر قد اضطرب لفظه، فيرجح خبر من لم يضطرب لفظه، لأنه يدل على حفظه وضبطه وسوء حفظ صاحبه.

مثاله حديث ابن عمر رضي الله عنهما[٢]:

(كان النبي ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إذا كَبَّرَ، وإذا رَكَعَ وإذا رَفَعَ رأسه مِنْ الرُّكُوعِ).

فهذا حديث يروى عن ابن عمر من غير وجه، وممن رواه الزهري عن سالم، ولم يختلف فيه عليه، ولا اضطراب في متنه، فكان أولى بالمصير إليه من حديث البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ[٣]:

(كَانَ إذا افْتَتَحَ الصَّلاَةَ رَفَعَ يَدَيْهِ إلى قَرِيبٍ مِنْ أُذُنَيْهِ ثُمَّ لاَ يَعُودُ).

لأن هذا الحديث يعرف بيزيد بن أبي زياد[٤]، وقد اضطرب فيه وقال سفيان بن عيينة:

كان يزيد يروي هذا الحديث ولا يذكر فيه (ثم لا يعود) ثم دخلت الكوفة فرأيت يزيد بن أبي زياد يرويه، وقد زاد فيه (ثم لا يعود) وكان قد لقن فتلقن[٥].

---

(١) الحازمي: الاعتبار ص١١، ابن رجب: شرح علل الترمذي ٢/ ٧٥٦، ٧٦٧.

(٢) ينظر الحديث: فتح الباري ٢/ ٢١٩ (٧٣٦-٧٣٧)، شرح صحيح مسلم ٤/ ٩٣-٩٤.

(٣) أبو داود: السنن ١/ ١٩٧ (٧٤٩).

(٤) القرشي الكوفي، أبو عبد الله، أحد علماء الكوفة المشاهير على سوء حفظه، ضعيف (ت ١٣٧هـ) وقيل غير ذلك ينظر: النسائي: الضعفاء والمتروكين: ص٢٥٦ (٦٨٢)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٤٢٣-٤٢٥ (٩٦٩٥).

(٥) ينظر: الكفاية في علم الرواية ص٦٠٨، ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٢٢، وقد ذهب الحازمي وابن الصلاح بأن الترجيح بكثرة الرواة أو صفاتهم يصل إلى خمسين وجها، ينظر: الاعتبار ص٦-١٥، المقدمة ص١٤٣.

الترجيح بالرواية:

أ- أن يكون أحد الحديثين متفقا على رفعه، والآخر قد اختلف في رفعه ووقفه على الصحابي. فيجب ترجيح ما لم يختلف فيه على ما اختلف فيه، لأن المتفق على رفعه حجة من جميع جهاته، والمختلف في رفعه على تقدير الوقف هل يكون حجة أم لا؟ فيه خلاف، والأخذ بالمتفق عليه أقرب إلى الحيطة [(١)].

ب- أن يكون أحد الحديثين متفقا على اتصاله، والآخر، يوصله بعضهم ويرسله آخرون. فالأخذ بالمسند المتفق على اتصاله أولى من الأخذ بالمختلف في إرساله أو اتصاله، فإن المرسل أكثر الناس على ترك الاحتجاج به، المتصل متفق عليه فلا يقاومه [(٢)].

ج- أن يكون أحد الحديثين له مخارج عدة، والحديث الثاني لا يعرف له سوى مخرج واحد. فيكون المصير إلى الأول أولى، لأن الحكم واحد، إذا عمل به في بلدان شتى يكون أقوى من الحكم المعمول به في بلد واحد، وإن كان عدد هؤلاء أكثر [(٣)].

د- أن يكون أحد الحديثين منسوبا إلى النبي ﷺ نصا وقولا، والآخر ينسب إليه استدلالا واجتهادا. فيكون الأول مرجحا، نحو ما رواه عبد الله بن عمر أن النبي نهى عن بيع أمهات الأولاد وقال [(٤)]:

(لَا يَبِيعُهَا وَلَا يَهَبُهَا وَلَا يُوَرِّثُهَا وَهُوَ يَسْتَمْتِعُ بِهَا فإذا مَاتَ فَهِيَ حُرَّةٌ).

فهذا أولى بالعمل من الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري [(٥)]:

(كُنَّا نَبِيعُ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ).

---

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ص٦١٠، الحازمي: المصدر السابق ص١١، عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي ص٤٨٩.

(٢) ينظر الخطيب والحازمي وابن صلاح: المصادر السابقة ص٦١٠، ص١١، ص٢٦ وقال ابن صلاح: إعلم أن حكم المرسل حكم الحديث الضعيف إلا أن يصح مخرجه بمجيئه من وجه آخر.

(٣) ينظر ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام ٢/ ١٨٦-١٨٧، الخطيب: المصدر السابق ص٦١٠، الحازمي: المصدر السابق ص٩.

(٤) الموطأ ٢/ ٧٧٦، الدار قطني: السنن ٤/ ١٣٤-١٣٥ (٣٢-٣٦)، وينظر كذلك: ابن تيمية: المنتقى من أخبار المصطفى ٢/ ٤٩١ (٣٤٠٦).

(٥) مصنف عبد الرزاق ٧/ ٢٨٨ (١٣٢١١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٧/ ٢٥٦ (١١١٦٤) الدار قطني: السنن ٤/ ١٣٥-١٣٦ (٣٧-٣٩) الحاكم: المستدرك ٢/ ١٩.

لأن حديث ابن عمر، قوله ﷺ، ولا خلاف في كونه حجة، وحديث أبي سعيد ليس فيه تنصيص منه ﷺ، فيحتمل أن من كان يرى هذا لم يسمع من النبي ﷺ خلافه، وكان ذلك اجتهادا منه، فكان تقديم ما نسب إلى النبي ﷺ نصا أولى[١].

هـ- أن يكون أحد الحديثين موافقا لظاهر القرآن دون الآخر[٢]؛ فيكون الأول أولى بالاعتبار، نحو قوله ﷺ:

(من نام عن صلاة، أو نسيها، فليصلها إذا ذكرها فإن ذلك وقتها)[٣].

فهذا حديث يعارضه نهيه ﷺ عن الصلاة في الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، غير إن الحديث يعاضده ظواهر الكتاب نحو قوله تعالى:

﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

إلى غير ذلك من الآيات[٤].

و- أن يكون أحد الحديثين موافقا لسنة أخرى دون الآخر[٥]:

نحو قوله ﷺ[٦]:

(لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ).

يقدم على الحديث الآخر[٧]:

(لَيْسَ لِلْوَلِيِّ مَعَ الثَّيِّبِ أمر).

لأن الأول رواه أبو موسى الأشعري، عن النبي ﷺ، ويعضده حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ[٨]:

---

(١) ينظر ابن حزم: المصدر السابق ٢/ ١٨٣، الحازمي: المصدر السابق ص١١، عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي ص٤٨٩.

(٢) كذلك أي خبر موافق للقرآن دون المخالف له.

(٣) رواه الشيخان: فتح الباري ٢/ ٧٠ (٥٩٧)، : شرح صحيح مسلم ٥/ ١٨٣).

(٤) ينظر الحازمي: المصدر السابق ص١٢، ابن جزي: تقريب الوصول ص١٦٤.

(٥) وكذلك كل خبر يوافق السنة الصحيحة دون الأخر.

(٦) أبو داود: السنن ٢/ ٢٣٦ (٢٠٨٥) الترمذي: السنن ٣/ ٤٠٧-٤٠٨ (١١٠١-١١٠٢).

(٧) أبو داود: المصدر السابق ٢/ ٢٣٩ (٢١٠٠) وتمام الحديث (واليتيمة تستأمر وصمتها إقرارها).

(٨) ينظر الحازمي: المصدر السابق ص١٢، البشير: المصدر السابق ص٣٨٣، وينظر الحديث: مسند أحمد

(أَيُّمَا[1] امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ).

ز- أن يكون مع أحد الحديثين حديث آخر مرسل أو منقطع[2]، ولا يكون ذلك مع الآخر[3].

ح- أن يكون مع أحد الحديثين عمل الأمة دون الآخر[4]. لأنها يجوز أن تكون عملت بموجبه لصحته، ولم تعمل بموجب الآخر لضعفه[5].

ط- أن يكون أحد الحديثين قد عمل به الخلفاء الراشدون دون الثاني. فيكون أكثر، ولذلك تقدم رواية من روى تكبيرات العيدين سبعا، وخمسا[6]، على رواية من روى أربعا كأربع الجنائز[7].

لأن الأول قد عمل به أبو بكر وعمرﷺ فيكون إلى الصحة أقرب والأخذ به أصوب[8].

ي- أن يكون الحديثان المتعارضان، من قبيل الأقضية، وراوي أحدهما علي، أو من قبيل الحلال والحرام وراوي أحدهما معاذ، أو من قبل الفرائض، وراوي أحدهما زيد بن ثابت[9]، وكل هؤلاء شهد له رسول اللهﷺ بالبراعة، والحذق في فنه[10].

٤٠/ ٤٤٥ (٢٤٣٧٢)، ابن الجارود: عبد الله بن علي (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م) المنتقى لابن الجارود: تحقيق: عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ١/ ١٧٥، ابن حبان: الصحيح ٩/ ٣٨٤ (٤٠٧٤).

(١) ينظر: مسند أحمد ٤٠/ ٤٤٥ (٢٤٣٧٢)، الحاكم: المصدر السابق ٢/ ١٦٨ الهيثمي: مجمع الزوائد ٤/ ٢٨٥.

(٢) وكذلك كل خبر له ما يقويه بخبر منقطع دون الآخر.

(٣) ينظر ابن حزم: الأحكام ٢/ ١٨٧، الخطيب: الكفاية ص٦١٠.

(٤) كذلك كل خبر تلقته الأمة بالقبول في حق الصحابة أو التابعين أو أتباعهم دون الآخر.

(٥) ينظر الخطيب: المصدر نفسه ص٦١٠، عبد الكريم المدرس: صفوة اللآلي ص٤٩٠.

(٦) ينظر: ابن ماجة: السنن ١/ ٤٠٧ (١٢٧٧-١٢٨٠)، الترمذي: السنن ٢/ ٤١٦ (٥٣٦)، وقال حديث حسن وهو أحسن شيء روي في هذا الباب.

(٧) ينظر الترمذي: المصدر نفسه ٢/ ٤١٧، وقال: وقد روي عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ نحو هذا، وهو قول أهل الكوفة، وبه يقول سفيان الثوري.

(٨) ينظر ابن حزم: المصدر السابق ٢/ ١٨٦، التهانوي: قواعد في علوم الحديث ص٣٢، البشير: ضوابط الرواية عند المحدثين ص٣٨٤.

(٩) كذلك كل خبر متفق مع القواعد والأحكام الفقهية دون الخبر الأخر.

(١٠) ينظر الحازمي: المصدر السابق ص١٥، البشير: المصدر السابق ص٣٨٤.

المبحث الثالث
تطبيقات قواعد التعارض والترجيح

غزوة بني المصطلق[(١)]:

اختلف أهل العلم من علماء الحديث، والسير، والتاريخ، في السنّة التي وقعت فيها هذه الغزوة.

قيل: هي في شعبان سنة ست كما ذهب إليه ابن إسحق[(٢)].

وقيل: سنة أربع، كما ذهب إلى ذلك موسى بن عقبة. وقيل: سنة خمس، في شعبان، يوم الإثنين، لليلتين خلتا منه، كما ذهب ابن سعد[(٣)].

وترجح رواية ابن سعد للأمور الآتية :

أولا: ذكره تفصيل الخبر، بذكر السنة والشهر، وأنه لليلتين خلتا منه، كذلك تحديده اليوم الذي وقعت فيه الغزوة، وهو يوم الاثنين، لأنه دون بقية المؤرخين يؤرخ للوقائع بالأشهر، لا بالسنين[(٤)].

ثانيا: إن سعد بن معاذ كان حيا في هذه الغزوة، وجاء ذكره في قصة الإفك[(٥)] حيث قال

---

(١) وتسمى أيضاً بالمُرَيْسِيعِ، وهو: ماء لبني خزاعة، بينه وبين الفرع مسيرة يوم ينظر: ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ٩٢، ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٤٣٠.

(٢) ينظر الطبراني: المعجم الكبير٢٣/ ١٦٢ (٢٦٠) البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٤/ ٤٦ (١٣٩٣) ٥/ ٤٦٩، السنن الكبرى ٩/ ٣٧ (١٧٦٦٠) السهيلي: الروض الأنف ٤/ ١٣، بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري: السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ص ١٧٩.

(٣) ينظر: الطبقات ٢/ ٦٣، وانظر كذلك ابن هشام: السيرة النبوية ٣/ ٣٠٢، الحميدي: الجمع بين الصحيحين ٤/ ٩٤، الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٦٠٤، ابن سيد الناس: المصدر السابق ٢/ ٩١، ابن كثير: السيرة النبوية ٣/ ٢٩٧، ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٤٢٨.

(٤) ينظر ابن سيد الناس: المصدر السابق ٢/ ١٠٢.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٢/ ١٠١-١٠٢، ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٤٣٣، لكن وقع عند ابن هشام وابن كثير، إن صاحب هذا الكلام هو: أسيد بن حضير ينظر: ٣/ ٣١٣، ٣/ ٣٠٧.

للنبي ﷺ[١]:

(أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ).

أي من عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وقد توفي في غزوة بني قريظة سنة خمسة من الهجرة.

فكيف يكون سعد حيا بعد عام من وفاته ؟! وهذا مذهب المحققين من العلماء[٢].

ثعلبة بن حاطب[٣]:

من الأمثلة التي يجتمع فيها التعارض والترجيح والعلل، قضية ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد الأوسي الأنصاري وهو من الصحابة البدريين، قيل قتل بأحد[٤].

خلط كثير من أئمة المسلمين في اسم هذا الصحابي، من المؤرخين وأهل السير، والمفسرين وكتب الرجال وغيرهم، خلطا كبيراً[٥]، حيث لم يفرقوا بين هذا الصحابي الجليل وبين ثعلبة بن

---

(١) ينظر: صحيح البخاري ٤/ ١٧٧٤ (٤٤٧٣)، صحيح مسلم ٤/ ٢١٢٩ (٢٧٧٠) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١٠/ ١٣ (٤٢١٢) ابن كثير: المصدر السابق ٣/ ٢٦٢، ٢/ ١٠٢، ٣/ ٢٤٤.

(٢) ينظر ابن سعد: المصدرالسابق ٣/ ١٠٦، ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٢٢٧، ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٤٣٣، البوطي: فقه السيرة ص٢١٤-٢١٥.

(٣) يراجع معجمنا: معجم المنافقين وتاريخ النفاق في الإسلام، حول الموضوع، حيث أطنبنا هناك في ترجمته، وجمعنا عددا كبيراً من المصادر التي تحدّثت عنه من كتب: الحديث، التفسير، السير والمغازي، الطبقات، التراجم، التاريخ وغيرها.

(٤) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٢٠٠-٢٠١، ابن حجر الإصابة ١/ ١٩٨ (٩٢٧).

(٥) ومن خلط في ذلك: الواحدي: علي بن أحمد، (ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م) اسباب النزول، طبعة القاهرة ص١٨٩-١٩٠، الطبري: جامع البيان ١٠/ ١٣٠-١٣١، تاريخ الأمم والملوك ٣/ ١١١-١٢٤، ابن عبد البر: المصدر السابق ١/ ٢٠٠-٢٠١، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف - القاهرة ١٤٠٣هـ ١/ ١٩٠، (لكنه أشار أن مشاركته لبدر يعارض ذلك)، الزمخشري: الكشاف ٢/ ٢٩٢، ابن الجوزي: زاد المسير، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٤هـ ٣/ ٤٧٣، الرازي: التفسير الكبير (المشهور بمفاتيح الغيب)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، المطبعة المصرية ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣ م ١٦ / ١٣٧ - ١٣٨، الخازن:علاء الدين، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م) لباب التأويل (تفسير الخازن)، مطبعة دار الكتب العلمية الكبرى - مصر ٣ / ١٢٦، البيضاوي: محمد بن عمر (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العربية ١٣٣٠هـ ٣ / ٧٥، ابن كثير: تفسيرالقران العظيم ٢/ ٣٧٣-٣٧٤، ابن سيد الناس: المصدر السابق ٢

أبي حاطب الأنصاري، وهو أحد المنافقين، وأحد المشاركين في بناء مسجد الضرار، والذي نزل فيه قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) ﴾ [التوبة: ١٠٧].

كما نزل فيه:

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) ﴾ [التوبة: ٧٥].

وخلاصة هذه القصة: أن ثعلبة بن أبي حاطب قال: يا رسول الله ﷺ، أدع الله أن يرزقني مالا فقال ﷺ[(١)]:

(قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق، لأن رزقني الله مالا، لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له)، فاتخذ غنما، فنمت كما ينمي الدود، حتى ضاقت بها المدينة، فنزل واديا، وانقطع عن الجماعة والجمعة، فسأل عنه رسول الله ﷺ، فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد، قال: يا ويح ثعلبة، فبعث رسول الله ﷺ مصدقين لأخذ الصدقات، فاستقبلهما الناس، بصدقاتهم، ومرّا بثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ الذي فيه الفرائض فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية. وقال: ارجعا أرى رأي، فلما رجعا، قال لهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه: يا ويح ثعلبة مرتين، فنزلت: (ومنهم من عهد الله ...الآية).

فجاءه ثعلبة بالصدقة، فقال ﷺ[(٢)]:

(إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل التراب على رأسه، فقال ﷺ: هذا عملك، قد أمرتك

/ ٢٢٣، السيوطي: الدر المنثور ٣/ ٢٦٠، الإكليل ص١٤٣، الشوكاني: فتح القدير، دار الفكر - بيروت ٢ / ٣٨٤-٣٨٦.

(١) أخرجه جمع من أئمة التفسير وغيرهم، وذكره السيوطي: ينظر: الجامع الصغير ٢/ ٢٦٠ (٦١٥٣) وصححه: لكن السيوطي لم يصب في تصحيحه لهذا الحديث، حيث علق ابن حجر -بعد ذكره لمن خرج الحديث- فقال: وهذا إسناد ضعيف جداً، ينظر: الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٢٩٢ (مطبوع بهامش الكشاف).

(٢) السيوطي: الخصائص الكبرى ٢/ ٢٩٥، الشامي الصالحي: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ١٠/ ٢١٢، وينظر: مصادر الهامش السابق.

فلم تطعني، فقبض رسول الله ﷺ، فجاء بها إلى أبي بكر ﷺ فلم يقبلها، وجاء بها إلى عمر ﷺ في خلافته، فلم يقبلها، وهلك في زمن عثمان ﷺ).

فهذه القصة تتعارض مع أدلة صحيحة في السنة منها:

١ - أَنَّ عبداً لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسُولَ الله ﷺ يَشْتَكِي حَاطِبًا فَقَالَ يَا رَسُولَ الله ﷺ [(١)]: لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:
(كَذَبْتَ لَا يَدْخُلُهَا فإنه شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ).

٢ - قوله ﷺ عن ربه أنه قال لأهل بدر [(٢)]:
(اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ).

الجمع والتوفيق بين هذه الروايات:

أ- إن الخبر الأول ضعيف جداً، يسقط أمام الأحاديث الصحيحة التي ذكرناها، ولا يجوز الاعتماد عليه.

ب- إن أحسنا الظن بالخبر، أو له طرق لا نعلمها أو لم نطلع عليها، فيجمع ويوفق بين الأحاديث:

إن ثعلبة بن حاطب، من البدريين، وإنه من أهل الجنة، وقد شهد له ﷺ بذلك.

أما الحديث الضعيف، فيتعلق بشخص آخر، كان من المنافقين، ومن رؤوسهم ولم يشهد بدرا ولا الحديبية، وقد مات منافقا في زمن عثمان ﷺ، وهو: ثعلبة بن أبي حاطب الأنصاري.

وقد أكد الحافظ ابن حجر المغايرة بينهما، وذكر الاتفاق أن البدري هو ثعلبة بن حاطب، وأن المنافق هو: ابن أبي حاطب [(٣)].

---

(١) مسند أحمد ٢٣/ ٨٩ (١٤٧٧٢) النسائي: السنن الكبرى ٥/ ٨٠ (٨٢٩٦) الحميدي: الجمع بين الصحيحين ٢/ ٢٩٨ (١٦٩١): شرح صحيح مسلم ١٦/ ٥٧.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١٠٩٥ (٢٨٤٥) صحيح مسلم ٤/ ١٩٤١ (٢٤٩٤)، فتح الباري ٧/ ٣٠٤-٣٠٥ (٣٩٨٣).

(٣) ينظر: الإصابة ١/ ١٩٨، وممن أيد ذلك بوجه من الوجوه، ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ١٦٩، ابن حبان: الثقات ٣/ ٣٦، ابن عبد البر: الدرر ١ / ١٩٠، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٤/ ٣٣، القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٨/ ٢١٢، ابن كثير: السيرة النبوية٢/ ٣٤٦.

ج- إن نسبة الخبر إلى هذا الصحابي البدري فيه علة خفية، وهي:

اشتباه الرواة بين شخصين لهما صحبة، ويشتركان في الاسم، واللقب، لكن جهابذة الحديث لم يفتهم ذلك، وكشفوا النقاب عن الاسمين مع غموضه، على عدد كبير من الأئمة العلماء، والمختصين بعلم الرجال.

أبو العباس [١]، ولقب السفاح:

السفاح لغة: لقد ورد في لغة العرب كلمة السفاح بمعانٍ:

منها: سفك الدماء.

ومنها: الفصاحة ومنها المعطاء والكريم والسخي.

تقول: رجل سفاح أي معطاء وهو الصب [٢].

أن نظرة فاحصة في تاريخ أبي العباس في أقدم الكتب التاريخية وروايتها تبين لنا أن المعنى الأخير هو المقصود بكلمة السفاح في وصف أبي العباس.

وأن الروايات المتأخرة وهي (رواية واحدة) مقابل عدة روايات تصف، أبي العباس بالسفاح (أي السفك للدماء) تعارض بقية الروايات ويمكن الجمع والتوفيق بينهما بما يأتي:

١- أن أقدم رواية تاريخية وردت في كتب التاريخ حول كلمة (السفاح) هي رواية الطبري [٣] حيث يخاطب أبو العباس أهل الكوفة يوم الجمعة على المنبر وبشرهم بقدوم أهل بيت رسول الله ﷺ فيقول [٤]:

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو أول خلفاء بني العباس، تولى الخلافة (سنة ١٣٢هـ) بعد مقتل مروان بن محمد الأموي، وحكم أربع سنين وأشهر توفي في ذي الحجة سنة (١٣٦هـ) ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٧/ ٤٢١، ٤٧٠-٤٧١، البداية والنهاية ١٠/ ٥٨-٦٠.

(٢) ينظر ابن سيدة: المخصص جزء ٣/ ٥ (السخاء والمروءة)، ابن منظور: لسان العرب ٢/ ١٥٣-١٥٤ (سفح).

(٣) ينظر: المصدر السابق ٧/ ٤٢٦ عن عمر بن شبه، عن عبد الله بن كثير بن الحسن العبدي، قال حدثني ابن لعبد الحميد بن يحيى كاتب مروان عن أبيه فالخبر منقطع في أوله لأن الطبري لم يدرك عمر بن شبه حيث توفي (٢٠٢هـ) كما إن في سنده مجهولان وهما عبد الله بن كثير، و ابن عبد الحميد.

(٤) وهي أول خطبة يخطبها وأول جمعة يصليها بالناس وكان بالكوفة وكان معه على المنبر عمه داود بن علي حين بويع له بالخلافة وذلك في سنة (١٣٢هـ) ينظر: المصدر نفسه ٧/ ٤٢٦.

"يا أهل الكوفة، انتم محل محبتنا ومنزل مودتنا، انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا، واتاكم الله بدولتنا فانتم اسعد الناس بنا أكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح، والثائر المبير".

فهذا أقدم وأوضح نص في كرمه وسخائه وصبه المال حبا على أهل الكوفة وهو المقصود (السفاح المبيح) لو لم تكن الرواية معلولة من أوجه!.

أما جمع (الثائر المبير) مع السفاح المبيح، فلعل أن أحد الوضاعين قد زيدها في النص، حيث إن المقام ليس بمقام تهديد ولا يقتضي ذلك، حيث الاجتماع بالأحباب والأعوان، والأنصار وحيث أن نص السفاح المبيح أوضح الدلالة على العطاء فزيد معها الجملة الثانية. إذ عز عليهم كما يقول الدوري[١] أن يدعو أبا العباس بلا لقب يشيرون به إليه.

أبو العباس في الروايات القديمة:

إذا تفحصنا أقدم الروايات التاريخية في أقدم الكتب التاريخية حول لقب السفاح، لا نجد أي أثر لهذا الاتهام سواء من حيث اقتران اسمه بالسفاح، وسواء من حيث شهرته بالقتل، بل نكاد نجزم بأنه أقل خلفاء بني العباس سفكا للدماء.

واليك الأدلة على ذلك:

أولاً: المصادر التاريخية الأولى لم تذكر من ألقاب أبي العباس بأنه يلقب بالسفاح كتاريخ خليفة بن خياط[٢] الإمامة والسياسة[٣] وتاريخ اليعقوبي[٤] والدينوري[٥]، والبدء والتاريخ[٦].

---

(١) ينظر: العصر العباسي الأول ص٦٥، لكنه يذهب إلى تلك الرواية الوحيدة بأنه سمى نفسه سفاحا من باب تهديد أعدائه، وقد ذكرنا بأن المقام لا يقتضي هذا التحليل.

(٢) ٢/ ٤٣٤.

(٣) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، مطبعة النيل -القاهرة ٢/ ٢٣٢.

(٤) ٣/ ٧٣، ويؤكد أنه (وكان أبو العباس كريما حليما جوادا وصولا لذوي أرحامه ...الخ) ينظر: نفسه ٣/ ٨٢.

(٥) الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) الأخبار الطوال، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة - مصر ١٣٣٠هـ/٦/ ٩٩.

(٦) المقدسي: مطهر بن طاهر (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية -القاهرة ٢/ ١٧٧، ٤/ ١٠٢، ٦/ ٥٨-٨٨.

وهذه أهم مصادر التاريخ الإسلامي ولم يأت فيها ذكر حول هذا اللقب، وهي من ناحية أخرى (حجة صامتة) كما يعبر عنها المؤرخ الفرنسي: (سينوبوس) بأن هذا لو حدث لكان قد عرف.

يقول سينوبوس: هناك نوعان من البرهان لنقد الوثيقة:

أ- البرهان السلبي:

ويسمى أيضاً (حجة الصمت) فيبدأ من خلو الوثائق من المعلومات عن الواقعة فنستنتج من كون الواقعة ليست مذكورة في أية وثيقة أنها لم تحدث وهذه الحجة تنطبق على كل أنواع الوقائع من أعراف مختلفة الأنواع وتطورات وحوادث... ويعبر عنه (لو حدث هذا لكان قد عرف).. ولو كانت الواقعة قد وجدت لكانت هنالك وثيقة تتحدث عنها[١].

ب- البرهان الايجابي:

يبدأ من واقعة أو خلوها منها قررتها الوثائق، يستنتج منها واقعة أخرى لم تشر إليها الوثائق[٢].

ثانياً: أغلب المصادر التي ذكرناها تؤكد بأن عمه[٣] عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس هو المتهم بالقتل والسفك والدماء.

يقول ابن قتيبة[٤]:

"وذكروا أن أبا العباس ولى عمه عبد الله بن علي الذي يقال له سفاح الشام".

أما اليعقوبي (وهو شيعي) فيقول عن أبي العباس[٥]:

"ولا يذكر عن أبي العباس التقتيل إلا قليلاً".

---

(١) النقد التاريخي / ٢٠٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه / ٢٠٩.

(٣) هو: قائد جيش أبي العباس، وهو الذي خاض معركة الزاب في الموصل وتحقق عنها انتصار جيشه على جيش مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (ت ١٣٢هـ) ينظر الطبري: المصدر السابق ٧/ ٤٣٢-٤٣٥، ٨/ ٧-٩.

(٤) الإمامة والسياسة ٢/ ٢٣٢

(٥) تاريخ اليعقوبي ٣/ ٩٤ (ط النجف ١٩٣٩م).

ويقول المقدسي[١]:

"كان أبو العباس السفاح يكره الدماء".

وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أنه لم يكن بطبعه سفاكاً.

ويقول ابن قتيبة[٢]:

أن أبا العباس غضب كثيراً حينما قتل عمه عبد الله العالم الزاهد[٣] عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وكتب إلى عمه:

إلا يقتل أحد من بني أمية حتى يعلم به أمير المؤمنين[٤].

وهكذا يبين أبو العباس موقفه الواضح تجاه الدماء ولو كان مع ألد أعدائه ويتورع من فعل ذلك.

إذا من أين أتى هذا اللقب إلى أبي العباس أمير المؤمنين ؟.

هناك من يرى من الباحثين[٥] أن اللقب جاء نتيجة التباس بعض المؤرخين؛ بين عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وبين عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس.

ومن الباحثين من يذهب إلى أنه من صنع الشعوبية.

---

(١) البدء والتاريخ ٦/ ٩٩.

(٢) ينظر: الإمامة والسياسة ٢/ ٢٣٥.

(٣) الأموي، ولي أمرة مكة والمدينة سنة (١٢٩هـ) وقتل سنة (١٣٢هـ) ينظر: الزبيدي: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت (ت٢٣٦هـ/ ٨٥١م) كتاب نسب قريش، تحقيق أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف – مصر ١٩٥٣ م ص١٦٦، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ٣٣٣.

(٤) ومن المعاصرين يقول الشبيبي: كان أبو العباس لين العريكة إذا قورن بابي جعفر المنصور لم يسرف كأخيه في سفك الدماء، ينظر ابن الفوطي: مؤرخ العراق ١/ ٩٧.

بل كان أبو العباس يتقي الله في أدنى من ذلك كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يعطوا ثمنها فوقع: هذا بناء أسس على غير تقوى ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم. ينظر ابن عبد ربه: العقد الفريد ٣/ ٤٦. ذكر الطبري في مواطن عديدة في تاريخه سفك عبد الله عمه للدماء ينظر: المصدر السابق ٧/ ٣٢٠، ٤٣١ – ٤٣٤، ٤٣٨، ٤٤٣، ٤٤٥.

(٥) ينظر عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول ص ٦٥.

يقول الدكتور فاروق عمر[١]:

"والخليفة العباسي أبو العباس عبد الله كان بنظر الشعوبية سفاحاً بمعنى السفك للدماء لا كما لقب هو نفسه السفاح بمعنى الكريم المعطاء".

وذهب بروكلمان:

إلى أن أبا العباس هو الذي أطلق هذا اللقب على نفسه في الخطبة التي ألقاها يوم بويع له بالخلافة[٢]، وهكذا أطلق بروكلمان هذه الكلمة وأثبتها في حق أبي العباس بدون تفسير ولا توضيح، بمكر ودهاء المستشرقين، على قاعدة اليهود، كما قال الله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

ونشأ نتيجة ذلك أن جميع طلاب المستشرقين، قلدوا هذا المستشرق اليهودي.

لعل أول من أشاع ذلك بين المؤرخين هو المسعودي[٣] ولكن أكان ذلك وهما أو اشتباهاً منه أم من تحريف النساخ أم دس وضع في كتبه ؟!.

وفي كل الأحوال فتاريخ المسعودي فيه علل:

منها: أنه تاريخ لا سند له ولا رواة.

ومنها: أنه كتب بعد أكثر من قرنين من تاريخ الحادثة.

ومها: أنه كتب في مصر بني عبيد.

ومنها: أن مؤلفه متهم بين رجال الجرح والتعديل.

---

(١) مباحث الشعوبية / ٤٤.

(٢) ينظر: تاريخ الشعوب الإسلامية - الامبراطورية الإسلامية وانحلالها ٢ / ٥.

(٣) ينظر: التنبيه والاشراف/ ٢٩٢، ومروج الذهب ٣ /٢٧٨ (ط ٣ مطبعة السعادة ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م) وفيه قال المسعودي: لم يكن أحد من الخلفاء يحب مسامرة الرجال مثل أبي العباس السفاح وكان كثيراً ما يقول: إنما العجب ممن يترك أن يزداد علماً ويختار أن يزداد جهلاً فقال له أبو بكر الهذلي: ما تاويل هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ قال يترك مجالسة مثلك وأمثال أصحابك ويدخل إلى امرة أو جارية فلا يزال يسمع سخفا ويروي نقصا فقال له الهذلي: لذلك فضلكم الله على العالمين وجعل منكم خاتم النبيين.

وكل هذا يوجب علينا كما تعلمنا في قواعد ترجيح الروايات:

أن نرجح رواية الأقوى والأوثق والأكثر عدداً والأقدم تاريخاً والأبين حجة على الروايات الأخرى.

ولا شك أن رواية المسعودي التي لا إسناد لها تُرَدُّ بروايات الأقدمين، والأوثق والأكثر عددا !.

وروايته : إمّا أنها باطلة لا أساس لها، أو أن المقصود بهذه الروايات هو:

عبد الله بن علي عم أبي العباس، وأبو العباس بريء من ذلك.

أبو جعفر المنصور، واتهامه بالبخل:

إن من يتصفح أوراق كتب التاريخ والأدب الإسلاميين يجد عشرات الروايات التاريخية والأدبية وغيرها تتهم أبا جعفر المنصور بالبخل.

كما يجد العشرات من الروايات أيضاً تصفه بالكرم والعطاء والسخاء فإذا كان الأمر هكذا فما هي حقيقة ما وصف به المنصور أكان بخلا كما تقول بعض هذه الروايات؟ أم كان سخيا معطاء كما تقول الروايات الأخرى؟

نماذج من الروايات التي تدل على بخله:

من ينظر بعين واحدة إلى هذه الروايات التي سنذكرها سيحكم بلا تردد بأن أبا جعفر كان رجلاً بخيلا جمّاعا للمال مقترا.

يقول الطبري[1]:

" وحدثني العباس[2] بن سفيان بن يحيى بن زياد قال: سمعت أشياخا لنا يقولون: لما ظهر محمد، ظهر وعبد الله بن علي، محبوس، فقال أبو جعفر لأخوته: أن هذا الأحمق لا يزال يطلع الرأي الجيد في الحرب؛ فادخلوا عليه فشاوروه ولا تعلموه إني أمرتكم فدخلوا عليه فلما رآهم قال:

---

(١) روى ذلك الطبري عن عمر بن شبه، ولم يدركه، فالخبر منقطع في أوله، والعباس -كما سيأتي مجهول الحال- عن مجاهيل!.

(٢) مولى الحجاج بن يوسف، وكان يحيى جده ممن سبي من عسكر قطري بن فجاءة ينظر: الطبري: المصدر السابق ٧/ ٦٢٦.

لأمر ما جئتم، ما جاء بكم جميعاً وقد هجرتموني دهراً ! قالوا استأذنا أمير المؤمنين فأذن لنا.

قال: فما ترون ابن سلامة صانعا ؟ يعني أبا جعفر.

قالوا: لا ندري والله !.

قال: إن البخل قد قتله فمروه فليخرج الأموال فليعط الأجناد فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه ماله، وإن غلب لم يقدم صاحبه على درهم واحد"[١].

وقال الطبري أيضاً[٢]:

" وذكر[٣] عن علي بن محمد أن الفضل بن الربيع[٤] حدث إن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة، دخله فطاف فيه، واستحسنه واستنظفه وأعجبه ما رأى فيه، غير أنه استكثر ما انفق عليه ... فدعا بالمسيب[٥]، فقال له: ادفع إليه أجره على حسب ما عمل معك.

قال: فحاسبه المسيب فأصابه خمسة دراهم، فاستكثر ذلك المنصور، وقال: لا أرض بذلك ! فلم يزل به حتى نقصه درهماً ثم اخذ المقادير، ونظر مقدار الطاق من الحجرة حتى عرفه ثم اخذ الوكلاء والمسيب بحملان النفقات واخذ معه الأمناء من البنائين والمهندسين حتى عرفوه قيمة ذلك فلم يزل يحسبه شيئاً فشيئاً. وحملهم على ما رفع في أجرة بناء الطاق؛ فخرج على المسيب ممّا في يده ستة الاف ردهم ونيف فأخذه بها واعتقله فما برح من القصر حتى أداها إليه".

وقال الذهبي وهو يصف المنصور[٦]:

"وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأياً وحزماً ودهاءً وجبروتاً وكان جماعاً للمال

---

(١) المصدر نفسه ٧/ ٥٦٥.

(٢) الطبري: المصدر السابق ٧/ ٦٥٤-٦٥٥.

(٣) هذه الصيغة للتضعيف، وفيها إشارة أن في السند مجهولا، لأن الطبري لم يدرك المدائني.

(٤) بن يونس كنيته أبو الفضل، حاجب الرشيد، والأمين، كان أبوه حاجب المنصور والمهدي، وقد أسند الحديث عن المنصور والمهدي. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه (ت ٢٠٧ وقيل ٢٠٨هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٢/ ٣٤٣-٣٤٤ (٦٧٨٥)، ميزان الاعتدال ٣/ ٣٥١ (٦٧٢٢).

(٥) هو: المسيب بن زهير بن عمرو، أبو مسلم الضبي، ولي شرطة بغداد، أيام المنصور والمهدي والرشيد (ت١٥٧ وقيل ١٧٦هـ) لم أقف على حاله من حيث التوثيق أو التجريح، ينظر: ابن قتيبة: المعارف ص١٨١، الطبري: المصدر السابق ٧/ ٦٥٤، الخطيب: المصدر السابق ١٣/ ١٣٧ (٧١٢٢).

(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣ (٣٧).

حريصاً، تاركاً اللهو واللعب كامل العقل بعيد الغور، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم وكان يلقب أبا الدوانيق[١] لتدنقه ومحاسبته الصناع لما انشأ بغداد".

ولم ترو من الروايات السابقة رواية واحدة منها بطريق صحيح، ففي جميع هذه **الروايات: انقطاع، ومجاهيل، وضعفاء، وغير ذلك من العلل الموجة لترك رواياتهم.**

روايات تدل على كرمه وسخائه:

ومن ينظر إلى الروايات التي سنذكرها لا يملك نفسه إلا أن يشهد بأن أبا جعفر المنصور كان واحدا من أكبر كرماء وأجواد بني البشر ولربما فاق كثيراً من رؤساء وملوك العالم بل حتى المسلمين في هباته وعطائه.

منها ما رواه الطبري نفسه قال:

(وذكر[٢] عن الهيثم بن عدي عن زيد[٣] مولى عيسى بن نهيك[٤]، قال دعاني المنصور بعد موت مولاي فقال:

يا زيد قلت لبيك يا أمير المؤمنين، قال كم خلف أبو زيد من المال ؟.

قلت: ألف دينار أو نحوهما.

قال: فأين هي ؟

قلت: أنفقتها الحرة في مأتمه قال: فاستعظم ذلك.

وقال أنفقت الحرة في مأتمه ألف دينار! ما أعجب هذا !!.

ثم قال: كم خلف من البنات ؟.

قلت: ستاً.

فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال:

اغد إلى باب المهدي فغدوت فقيل لي: أمعك بغال ؟

---

(١) الدانق ١/ ٦ من الدرهم ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١/ ١٠١٩ (دنق).

(٢) لأن الطبري لم يدرك الهيثم بن عدي حيث توفي سنة (٢٠٧هـ) وهو متروك الحديث ينظر: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٢٤.

(٣) رجل مجهول لم أجد له أثرا في كتب الرجال، له ذكر في الطبري فقط ينظر: المصدر السابق ٨/ ٨٤.

(٤) كان على شرطة المنصور وخاتمة، مجهول الحال ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٤٦٧، الطبري: المصدر السابق ٧/ ٥٠٦، ٨/ ٨٤.

فقلت لم أؤمر بذلك ولا بغيره ؟ ولا أدري لم دعيت !.
قال: فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار، وأمرت أن ادفع إلى كل واحدة من بنات عيسى:
ثلاثين ألف دينار، ثم دعاني المنصور فقال:
أقبضت ما أمرنا به لبنات أبي زيد ؟.
قلت نعم: يا أمير المؤمنين.
قال: اغد علي بأكفائهن حتى أزوجهن منهم.
قال: فغدوت عليه بثلاثة من ولد العكي[1] ثلاثة من ال نهيك من بني عمهن فزوج كل واحدة منهن على ثلاثين ألف درهم وأمر أن تحمل إليهن صدقاتهن من ماله وأمرني أن أشتري بما أمر به لهن ضياعاً يكون معاشهن منها ففعلت"[2].

هذا العطاء كان مع الأجانب أما عطاؤه مع أقاربه.

قال الطبري وقال الهيثم: فرق أبو جعفر على جماعة من أهل بيته في يوم واحد: عشرة آلاف درهم.

وأمر للرجال من أعمامه بألف ألف، ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها أحداً من الناس[3].

وقال العباس بن الفضل[4]:
أمرنا المنصور لعمومته[5]:
"سليمان[6] وعيسى[1] وصالح[2]، وإسماعيل[3]، بني علي بن عبد الله بن عباس لكل رجل منهم:

---

(١) هو: مقاتل بن حكيم، أحد قواد أبي العباس وأبي جعفر، ولاه أبو جعفر الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: المصدران نفسيهما: ٢/ ٤٣٦، ٤٦٤، ٧/ ٤٧٠، ٤٧٥.

(٢) الطبري: نفسه ٨/ ٨٤.

(٣) نفسه ٤/ ٥٣٠. (الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٧هـ).

(٤) العباس بن الفضل بن الربيع (القائد) يبدو أنه من رواة الطبري، وقائد معتمد لدى الرشيد كما في خبر إيقاع الرشيد بالبرامكة، لم أجد له ذكرا إلا عند الطبري ينظر: نفسه ٨/ ٦٣، ٨٤، ٢٠٦، ٢٩٧-٢٩٨.

(٥) نفسه ٨/ ٨٤-٨٥.

(٦) الهاشمي عم أبي العباس والمنصور، جواد كريم، كان يعتق عشية كل عرفة مائة نسمة، وثقه بعض العلماء (ت ١٤٢هـ) ينظر: ابن حجر تقريب التهذيب ١/ ٣٢٨ (٤٧٥)، الخزرجي: خلاصته التذهيب ص١٥٤.

بألف ألف معونة له من بيت المال؛ وكان أول خليفة أعطى ألف ألف من بيت المال؛ فكانت تجري في الدواوين".

وذكر عن الفضل بن الربيع عن ابان[٤] بن يزيد أن الهيثم[٥] القاريء البصري قرأ عند المنصور:

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ [النساء: ٣٧].

فقال للناس:

لولا أن الأموال حصن للسلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما وزينتهما ما بت ليلة وأنا أحرز منه ديناراً ولا درهماً لما أجد لبذل المال من اللذاذة ولما اعلم في إعطائه من جزيل المثوبة"[٦].

يقول الجاحظ وهو يرد على من وصفه بالبخل[٧]:

"فهل سمع هذا الجاهل الخائن بمثل هذه المكارم؛ لعربي أو أعجمي؟

ولو أردنا أن نذكر محاسن المنصور على التفصيل والتقصي لطال بها الكتاب وكثرة فيه الأخبار".

---

(١) الهاشمي أخو السابق، إليه ينسب قصر عيسى وقطيعة عيسى، ونهر عيسى، صدوق، مقل (ت ١٦٣هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١١/ ١٤٧-١٤٨ (٥٨٤٤)، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٠٠ (٨٩٩).

(٢) الهاشمي أخو السابقين، أمير الشام، قائد محنك شجاع، هزم الروم يوم دابق (ت١٥١هـ) وقيل غيرها ينظر: العبر ١/ ١٦٦، شذرات الذهب ١/ ٢٣١.

(٣) الهاشمي أخو أصحاب التراجم السابقة، والي المنصور على البصرة، وأميره على الحج في أكثر موسم، لم أقف على تاريخ وفاته وأكثر من ذلك ينظر: خليفة بن الخياط: المصدر السابق ٢/ ٤٤٣، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٦١، الطبري: المصدر السابق ٨/ ٤٧، ٨٥، وعدة مرات في المجلد السابع.

(٤) لم أقف على ترجمته له ذكر في الطبري، ينظر: نفسه ٨/ ٨٧.

(٥) ربما هو هيثم بن جماز البصري البكاء القاص، متروك الحديث، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: النسائي: الضعفاء والمتروكين ص٢٤٢(٦٣٨)، الذهبي: ميزان الاعتدال: ٤/ ٣١٩-٣٢٠ (٩٢٩٢).

(٦) الطبري: المصدر السابق ٨/ ٨٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ١٢٦.

(٧) الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية -القاهرة ١٩١٤م ص٤٣، ١٤٠ وينظر عن كرم المنصور على سبيل المثال: البلاذري: أنساب الأشراف ٣/ ٣١ و٤/ ٦، الطبري: المصدر السابق ٨/ ٩٤، ٩٩، ابن عبد ربه: العقد ١/ ١٧٥-١٧٦، المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٢٨٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٦/ ٣٠، ٦٧، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٣، ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (مطبعة محمد علي صبيح -القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م) ص١٢٧.

ويفهم من كلام جاحظ هذا أنّه كان يعرف أن هذه الدسيسة والتهمة من فعل معيّن أو معيّنين !.

بعد هذا الاستعراض السريع لما يتعلق بموضوع بخل وسخاء أبي جعفر المنصور فلننظر إلى ذلك بعينين مفتوحتين لكي نكون منصفين ونجمع بين كل تلك الروايات المتعارضة المتضاربة.

لا شك أن التبذير ليس من صفات المسلمين ولا من صفات عقّال بني آدم، ولقد حذر الإسلام من ذلك أيما تحذير وكان بعض ما يؤخذ على المنصور من هذا الجانب، وقد بين أكثر المؤرخين ذلك فمنها:

ذكر الطبري عن الفضل بن الربيع عن ابان بن يزيد العنبري أن الهيثم القاريء البصري قرأ عند المنصور[١]:

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ الآية [الإسراء: ٢٦].

فقال له المنصور – وجعل يدعو – :

اللهم جنبني التبذير فيما أنعمت به علينا من عطيتك ".

وذكر عمر بن شبه عن أحمد بن خالد[٢] قال حدثني يحيى بن أبي نصر القراشي[٣] أن ابانا القارئ قرا عند المنصور[٤]:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

فقال المنصور:

ما أحسن ما أدبنا ربنا!".

وقال أبو جعفر وهو يوصي ابنه:

(وانظر الأموال فإنها عدة الملوك وبها السلطان ونظام التدبير، فوفرها بولاية أهل العفاف عنها والحيطة عليها، ولا تبذلها (وفى رواية الطبرى وإياك والتبذير) إلا في إصلاح أمور السلطان

---

(١) المصدر السابق ٨/ ٨٧-٨٨.

(٢) مجهول لم أجد له ترجمة أو ذكرا إلا عند الطبري ينظر: المصدر نفسه ٨ / ٧٠، ٧٢، ٨٩، ٩٢، ٩٩.

(٣) مجهول لم يذكره فيما رجعت إليه من المصادر غير الطبري ينظر: المصدر نفسه ٨ / ٨٩.

(٤) الطبري: نفسه ٨ / ٨٩.

والرعية وثواب أهل الطاعة والنصيحة[١].

أن الروايات التي تتعلق بترفيع ثيابه وزهده في أموال المسلمين ما هي إلا دلالة واضحة بتأسيه بالسلف الصالح من الصحابة والتابعين بل هو صفة سيد البشرية رسول الله ﷺابن عمه كما هو صفة الفاروق عمر ابن الخطاب ﷺ، وهو يملك خزائن الأرض يملك مشارق الأرض ومغاربها.

أما كان يستطيع أن يتنعم بألذِّ أنواع الطعام والشراب ؟.

أما كان يستطيع أن يلبس افخر أنواع الثياب ؟.

لكنه تقوى وحرص على أموال المسلمين !.

يقول الجهشياري عنه[٢]:

"رأى يوما قنديلاً مضيئاً معلقا في مكان لا يحتاج إليه فأمر بإطفائه على أن لا ينار إلا في وقت الحاجة من الليل أو من آخر النهار.

فلما رأى كاتبه ذلك عمد فضول الموائد فباعها فاجتمع عنده في آخر الشهر مال من هذا الوفر فعرض عليه فسأله المنصور مصدره فاخبر به.

فسأله: وما كان يصنع بالطعام سابقاً ؟.

فقال له:

كان يأكله خدمك وغلمانك وحشمك وما فضل يتصدق به على الفقراء والمساكين.

فقال المنصور:

هذا لم يكن يضيع منه شيء، فأجر الأمر على ما كان جاريا عليه فيه.

وليس سبيل القنديل سبيل ذلك وفي ذلك الموضع، لأن ذلك الموضع الذي كان فيه كان مضيئاً بالنهار وكان الزيت يذهب ضياءاً ولا وجه للتضيع في شيء وإن قلَّ".

وروى الطبري عن علي بن محمد قال[٣]:

---

(١) ينظر:أنساب الأشراف ٤/ ٦، الطبري: المصدر السابق ٨/ ١٠٣.

(٢) الوزراء والكتاب ص١٣٩، وأنظر كذلك: الخطيب: تاريخ بغداد ١٠/ ٥٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٨/ ٧٣، وينظر خبر مشابه آخر لذلك: تاريخ ابن خلدون ١/ ١٥.

"قال واضح[١] مولى أبي جعفر، قال: أبو جعفر يوماً:

انظر ما عندك من الثياب الخلقان فاجمعها فإذا علمت بمجيء أبي عبد الله [٢] فجئني بها قبل أن يدخل وليكن معها رقاع ففعلت.

ودخل عليه المهدي وهو يقدر الرقاع فضحك، وقال: يا أمير المؤمنين مِنْ ههنا يقول الناس:

نظروا في الدينار والدرهم وما دون ذلك، ولم يقل دانق !.

فقال المنصور: أنه لا جديد لمن لا يصلح خلقه.

هذا الشتاء قد حضر ونحتاج إلى كسوة للعيال والولد !.

قال: فقال: المهدي:

فعلي كسوة أمير المؤمنين وعياله وولده !.

فقال له: دونك فافعل".

وإن دلّ هذا على شيء، فإنما يدل، على أن هؤلاء كانوا قدوة عمليين لأبنائهم وعمالهم وقضاتهم وللمسلمين عامة، ولم يكونوا من الذين يقولون ولا يفعلون.

٣- أما بقية الروايات الأخرى التي فيها التشدد مع الموظفين والحرص على أموال الدولة فكانت كلها من باب المصلحة العليا للخلافة الإسلامية والنهوض باع باء الجهاد وفي سبيل الله وسد الثغور لأن المال ركن الدولة وحصنها المنيع، يجب حفظه وصونه[٣].

لذا كان يقول[٤]:

"من قل ماله قل رجاله ومن قل رجاله قوي عليه عدوه ومن قوي عليه عدوه اتضح ملكه ومن اتضح ملكه استبيح حماه".

---

(١) ووالي مصر، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر الطبري: المصدر السابق ٤/ ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٦٤، ٦٠٠، القلقشندي: مآثر الانافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، مطبعة حكومة الكويت - الكويت ١٩٨٥ م ١/ ١٨٧.

(٢) وهو الخليفة: المهدي يكنى أبا عبد الله، ينظر: شذرات الذهب ١/ ٢٦٦.

(٣) العاني: حسن فاضل زغين، سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، مؤسسة إيف للطباعة -بيروت ١٩٨١م ص٤٥٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٠١.

وجاء في وصيته لابنه المهدي[١]:

"وقد جمعت لك في بغداد من الأموال ما إن كسر عليك خراج عشر سنين، كان عندك كفاية لأرزاق الجند والنفقات وعطاء الذرية ومصلحة الثغور فاحتفظ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً".

٤ - يتضح بعد هذه الغربلة كيف نوفق بين هذه الروايات وكيف نجمعها ؟.

لكن هناك سؤال من كان وراء هذه الضجة الإعلامية، وحاول جمع هذه التهم ضد أبي جعفر ؟!.

هنالك من يقول:

إن هذه الدعايات قد تكون من أعمال رجال الدولة والشعراء لأنهم لم يحضوا بما كانوا ينتظرونه من أمير المؤمنين من النفقات عليهم وأن هذه التهمة لم تقتصر على المنصور بل اتهم بها خلفاء قبله مثل:

عبد الملك بن مروان، وابنه هشام، ومروان ابن محمد، وهم من عظماء خلفاء بني أمية[٢].

والذي ذهبنا إليه في الجمع والتوفيق ذهب إليه جمع من المؤرخين فعلى سبيل المثال:

يقول ابن شاكر[٣]:

"أن المنصور كان حريصاً على جمع المال".

من المعلوم أن الحرص يختلف عن البخل.

ثم نجد المسعودي - المعروف بولائه وعطفه للفرقة الضالّة، والمتهم بها - يوضح ذلك الحرص (وخير الشهادة والفضل ما شهد به الأعداء) بقوله[٤]:

---

(١) الطبري: المصدر السابق ٨/ ١٠٣، ينظر عن بيت مال المظالم، كيف كان يجعل رقابة صارمة على الموظفين حرصاً منه على بيت المال: المصدر نفسه ٨/ ٨١.

(٢) ينظر الجاحظ: التاج ص١٤٠، ابن الطقطقي: الفخري ص١٠٤، وينظر كذلك: العاني: سياسة المنصور أبي جعفر ص٤٥٧.

(٣) فوات الوفيات ١/ ٣٩٦.

(٤) مروج الذهب ٣/ ٢٨٨.

"وكان المنصور يعطي الجزيل والخطير ما كان عطاؤه حزماً ويمنع الحقير اليسير ما كان إعطاؤه تضيعا".

كما أن ابن الطقطقي - هو مثل المسعودي في توجهه - يسلط الضوء على ذلك ويدفع تهمة البخل عن المنصور فيقول[١]:

"الصحيح أن المنصور كان رجلاً حازماً يعطي في موضع العطاء، ويمنع في موضع المنع".

---

(١) الفخري ص١٢٧، من العجيب أن كل الروايات كما سبق متفقة على أنه سمي بذلك لمحاسبته العمال حين بنى بغداد على الدانق والشيء اليسير ثم نجد أن هذه الكلمة أقدم من بناء بغداد ومن محاسبته للعمال حيث نجد بطرق واهية من روايات مجاهيل أن أول من أطلق اسم الدوانيقي على المنصور هو أحد الرهبان حين أراد المنصور بناء بغداد فقال المنصور للراهب الذي في الدير (يا راهب أريد أن أبني هاهنا مدينة، فقال، لا يكون إنما يبني هاهنا ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك المنصور في نفسه، وقال: أنا أبو الدوانيق)، وهذا دليل قوي بأن هذه الروايات، من الروايات الإسرائيلية، دخلت كتب المسلمين، عن طريق أهل الكتاب. ينظر الطبري: المصدر السابق ٧/ ٦١٩ نعم هذه أقدم رواية تاريخية حول هذه المسألة الذي وصمه به راهب نصراني ...!؟.

المبحث الرابع
قواعد الأئمة الفقهاء

معنى القواعد:

القواعد لغة:

جمع قاعدة فهي فاعلة من قعدت قعوداً، والقاعدة: أصل الأسس والقواعد الأساس وقواعد البيت أساسه والقواعد أساطين البناء التي تعمده[١].

قصدنا بقواعد الأئمة الفقهاء:

هي الأسس والقواعد التي بنى الفقهاء؛ أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم الفقه الإسلامي عليها من خلال فهمهم واستنباطهم تلك القواعد من الكتاب والسنة والإجماع والقياس وأصبحت تشريعاً للمسلمين منذ عهد السلف والى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؟.

صلة هذه القواعد بالتعارض والترجيح:

لعل أحداً يسال ويقول:

ما هي صلة قواعد الفقهاء بهذا الموضوع ؟

نقول:

أن هذا السؤال، هو سؤال وجيه، حيث لم يسبق أن فكر قديماً ولا حديثاً أحد من مؤرخي المسلمين أن يفحص الروايات التاريخية ويعارضها على الأسس الفقهية وبالتالي يحكم على هذه الروايات بالإيجاب أو السلب.

وحشر هذا الموضوع ضمن قواعد التعارض والترجيح وهو أنسب مكان حيث قد وردت روايات تاريخية (كما سنبينها) كثيرة في التاريخ الإسلامي، وهي تتعارض مع تلك الأسس والمناهج التي بنى الأئمة عليها التشريع الإسلامي فلا بد من التوفيق أو الترجيح بين هذه الروايات أو أنها روايات وضعت وأسندت إلى هؤلاء الأئمة الإجلاء من قبل أعداء الإسلام

---

(١) ينظر ابن منظور: لسان العرب ٣/ ١٢٨ (قعد).

وهم منها براء، وتحتاج إلى التحقيق والبيان والتوضيح لكي نرفع الأشكال بين ما وردت في الكتب الفقهية وبين ما وردت في الكتب التاريخية[١].

التاريخ الإسلامي والعلوم الشرعية:

إن ربط التاريخ الإسلامي بمختلف العلوم الشرعية أمر لا بد منه لأن تاريخنا تاريخ مرتبط بعقيدتنا وشريعتنا، ويختلف عن تاريخ بقية الأمم.

وإن أي مسالة تاريخية قد ترتبط بمسالة عقدية أو شرعية وقد تجد لتلك المسالة أصلا في العلوم الإسلامية الأخرى كعلم العقائد والتوحيد والفقه أو أصول الفقه أو علوم القران أو التفسير أو علم القراءات أو الأدب أو غيرها من العلوم الإسلامية.

وهذه الخاصية أو الميزة كما قلنا لا توجد في تاريخ أية أمة أخرى من الأمم.

فإذن ومن هذا الباب ومن هذا المنطلق يجب محاسبة التاريخ وفق هذه الضوابط الشرعية العقيدية، ولا اعتقد أن أي باحث مهما بلغ من العلم والنقد والتحليل يستطيع فهم هذا التاريخ دون أن يكون مطلعا على ما ذكرنا من العلوم وإلا فدون ذلك خرط القتاد.

يقول أحد الباحثين وهو يتحدث عن الاختلاف بين التاريخ الإسلامي والتاريخ الغربي[٢]:

" وعلى الرغم من ذلك فإن هذا المقال سيحاول أن يؤكد على ضرورة أن تدخل أكبر عدد ممكن من فروع المعرفة في إبراز تصور تاريخي للتاريخ الإسلامي يعكس بصدق مدى التعقيد الذي تتسم به الحقيقة التاريخية التي يريد المؤرخ أن يتفهمها ويحللها ويعكسها أو يعيد إخراجها".

---

(١) حيث أن الكتب الفقهية والأصولية، لها قدرة فائقة في تنقية الروايات، المتضاربة، لكونها تهتم بتحقيق المتون من جانب، وجمع كل الروايات المتعلقة بمسألة أو مفردة معينة، ويسمى ذلك عند الفقهاء، أحاديث الباب، فيستعرض الفقيه كل ما قيل في المسألة. الواحدة، وتاريخ هذه الأقوال، وما هو الصحيح أو الضعيف منها، وما يصلح أن يعضد ويقوى إلى غير ذلك، لا نجده في أي علم آخر.

(٢) محمد عبود، منهجية الأستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ١/ ٣٦٠.

ميزات التاريخ الإسلامي:

١ - التاريخ مرتبط بالدين والشريعة.

٢ - أن دراسات البنية أو النظم الاجتماعية تكون جزءاً لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي.

٣ - اعتماد التاريخ الإسلامي على عدد كبير من العلوم الإسلامية[١].

نجد باحثا آخر: يؤكد الاستفادة من تنويع المصادر الإسلامية لنقد الروايات التاريخية حيث يقول[٢]:

"ومع ذلك فإن تقديم العقلية النقدية عند علماء المسلمين القدامى ينبغي إلا يتم من خلال الكتب التاريخية وحدها وإنما ينظر إلى جملة النتائج الفكرية في الفقه والفقه المقارب (كتب أحاديث الأحكام) فلا شك أن كتب الفقه ركزت على المتون تركيزاً عظيماً تفسيراً وتوضيحا، وإعرابا واستنباطا، ومن الواضح إن عمل المحدثين، والفقهاء يتكامل فلا بد للمنصف أن يعترف بأن السنة النبوية نالت عناية عظيمة ومتوازنة من قبل العلماء المسلمين.

وتتضح في كتب أصول الفقه المحاكمات الدقيقة للمتون التي تكشف عن عقلية نقدية فذة".

إننا نجد هذه المسالة إحدى نقاط القوة في الدراسات الإسلامية إذ أنها وهي تعتمد على مثل هذا العدد الكبير من العلوم الإسلامية تثري التاريخ الإسلامي وتوسع من رقعة البحث وتتيح فرصاً أكبر بكثير لاكتشاف اتجاهات وظواهر تاريخية جديدة[٣].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٣٦٠ يقول الشيخ أبو غدة وهو يعلق على كتابه تاريخ الفقه والحديث وقلة من كتب فيها:

"إذ يتطلب ذلك من الكاتب أن يكون عالما متمكنا من علوم القرآن والسنة والرجال والفقه والأصول واختلاف فقهاء الأمصار والكلام والنحل والتاريخ وما إلى ذلك مما يتحقق معه تبين الحقيقة التاريخية على وجهها إذا تولاه القادرون على ذلك".

فقه أهل العراق ص٤.

(٢) أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١٦-١٧.

(٣) ينظر محمد عبود: المصدر السابق ١/ ٣٦١ ولذا نجد خريطة كبيرة للمستشرقين ومن يمشي على شاكلتهم ومن يقلدونهم التقليد الأعمى في تفسير أحداث التاريخ الإسلامي لأن هؤلاء في كثير من الأحيان يحكمون على الإسلام والتاريخ الإسلامي معتمدين على قيمهم ومقاييسهم الثقافية الخاصة بدلا من اعتمادهم على المصادر التاريخية والشرعية لتفسير وتقييم تلك الأحداث هذا إن كنا أحسنا الظن بهم وأبعدنا عنهم تبيت النوايا السيئة تجاه تاريخنا وعقيدتنا وحضارتنا. ينظر: المصدر نفسه ١/ ٣٦١.

عَدَّ المستشرق: روزنثال، طريقة الكافيجي (ربط علم التاريخ بعلم أصول الفقه، قفزة علمية رائعة في علم التاريخ)[١].

تطبيق القواعد الفقهية على الروايات التاريخية:

غزوة بني المصطلق[٢] بين الإغارة والإنذار:

تتعارض وتتضارب الروايات التي تتحدث عن هذه الغزوة من حيث أن رسول الله ﷺ أغار عليهم وداهمهم على غرة ودون سبق إنذار.

يذكر البخاري[٣] من حديث نافع عن ابن عمر:

(أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُّونَ وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَسَبَى ذَرَارِيَّهُمْ، وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُوَيْرِيَةَ)[٤].

وهناك روايات في كتب السير تعارض ذلك وتبين أنهم كانوا هم الذين يجمعون الجموع لرسول الله ﷺ:

فمما يروى ابن هشام عن ابن إسحاق بالإسناد الجمعي[٥]:

"بلغ رسول الله ﷺأن بني المصطلق يجمعون له وقائدهم الحارث بن أبي ضرار[٦] أبو

---

(١) روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين ص٣١٩.

(٢) بنو المصطلق بطن شهير من خزاعة وهو المصطلق بن سعيد بن عمرو بن الربيعة بن حارثة ويقال أن المصطلق لقب اسمه جزيمة ينظر ابن حجر: فتح الباري ٥/ ١٧١.

(٣) ينظر: صحيح البخاري ٢/ ٨٩٨ (٢٤٠٣)، صحيح مسلم ٣/ ١٣٥٦ (١٧٣٠)، فتح الباري ٥/ ١٧٠ (٢٥٤١) وينظر كذلك: ابن سيد الناس:عيون الأثر ٢/ ٩٢، وغارون: أي غافلون، ينظر: لسان العرب ٥/ ١١.

(٤) وهي بنت الحارث بن أبي ضرار وكان أبوها سيد قومه وقد أسلم بعد ذلك وكان أسمها برة كما يقول ابن عبد البر فغيره رسول الله ﷺ وسماها جويرية (ت٥٦هـ) ينظر: الاستيعاب ٤/ ٢٥٨-٢٦١، ابن سيد الناس: المصدر السابق ٢/ ٩٥، بن حجر: المصدر السابق ٥/ ١٧١.

(٥) السيرة النبوية ٣/ ٣٠٢ حيث روى ذلك عن كل من عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر، ومحمد بن يحيى بن حبان وقال: كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا ...أنظر أيضاً: ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ٩١، ابن كثير: السيرة النبوية ٣ / ٢٩٧.

(٦) ابن حبيب بن الحارث المصطلقي أسلم بعد غزوة بني المصطلق، لم أقف على وفاته انظر: عبد البر: الاستيعاب ١/ ٢٩٩، ابن حجر: الإصابة ١/ ٢٨١ (١٤٢٧).

جويرية بنت الحارث، زوج رسول الله ﷺ فلما سمع رسول الله بهم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المُرَيْسِيعِ من ناحية قد يد[١]، إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونسائهم ومواهم فأفاءهم عليه".

إذن هناك روايات تقول بمفاجئة النبي ﷺ إياهم بالإغارة، وروايات تقول:

أنهم هم الذين جمعوا الجموع لحرب النبي ﷺ وقد استشكلت هذه الروايات على بعض المحققين من أئمة الحديث والسير.

يقول ابن سيد الناس، وهو يحاول التوفيق بين هذه الروايات:

أن ابن عون كتب إلى نافع يسأله عن الدعاء قبل القتال.

قال: فكتب إلي إنما كان ذلك في أول الإسلام[٢]، أي أن الإنذار ودعوة المشركين والكفار إلى الإسلام كان في بداية الإسلام ثم نسخ ذلك[٣].

لكن نجد أن ابن سيد الناس يرجع ويرجح رواية ابن سعد التي في السير وهي: أنه لا بد أن رسول الله ﷺ قد انذرهم قبل ذلك هي الصحيحة وهي اثبت.

أما الحافظ ابن حجر؛ فيحاول أن يرد دعوى ابن سعد، لترجيحه روايات أهل السير، على ما في صحيح البخاري وغيره، لا سيما مع إمكان الجمع، ولكنه لا يذكر شيئاً عن طريقته لجمع تلك الروايات[٤].

هنا لا مفر ولا بد أن نعلم ماذا قال الأئمة الفقهاء بعد أن جمعوا تلك الروايات باجمعها (تحت أحاديث الباب) وهي الدعوة قبل القتال ؟ وعلى ضوءها يمكن التوفيق أو الترجيح بين تلك الروايتين.

ذكر الأئمة في ذلك ثلاثة مذاهب:

١ - يجب تقديم دعوة الكفار إلى الإسلام من غير فرق بين من بلغته الدعوة منهم ومن لم

---

(١) اسم موضع قرب مكة ينظر: معجم البلدان ٤/ ٣١٣ (قديد).

(٢) ينظر: المصدر السابق٢/ ٩٢

(٣) ينظر: فتح الباري٥/ ١٧١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٧/ ٤٣١ لكني وجدت بعد ذلك أن الحافظ ابن حجر مستند على قاعدة فقهية وهي: أعتبرهم أنهم كانوا مبلغين الدعوة، ينظر :نفسه ٦ / ١٠٨.

تبلغه، وبه، قال مالك والهادوية وغيرهم، وظاهر الحديث معهم.

٢- لا يجب مطلقاً، المازري[١]، والقاضي عياض.

٣- يجب لمن لم تبلغهم الدعوة، ولا يجب أن بلغتهم، لكن يستحب.

قال ابن المنذر[٢]:

وهو قول جمهور أهل العلم، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على معناه وبه يجمع بين ما ظاهره الاختلاف من الأحاديث[٣].

وبذا نستطيع بكل جزم أن نرجح رواية البخاري على الروايات الأخرى، أن رسول الله باغت بني المصطلق لكونهم ممن كانوا قد بلغتهم الدعوة، وكيف لا ؟ والدعوة الإسلامية في السنة الخامسة قد انتشرت وعلم بها الروم والفرس وكثير من أمم الأرض فما بالك بمن يسكن الجزيرة بجوار الدعوة ؟ !!.

الإمام أبو حنيفة وروايات الخروج على السلطان:

هناك بعض الروايات[٤] من هنا وهناك، تقول أن الإمام أبي حنيفة النعمان وبعض الفقهاء الآخرين (رحمهم الله)، كانوا يساندون ويتعاونون مع الخارجين على الخلافة الإسلامية، بل كانوا مبايعين لهم سراً، وقد زود بعضهم هؤلاء بما يملك من مال مثل: أبي حنيفة[٥].

---

(١) هو محمد بن علي بن عمر من الفقهاء المالكية (ت ٥٣٦هـ) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ٢٨٥ (٦١٧)، الذهبي: العبر ٢/ ٤٥١.

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الإمام، العلامة، شيخ الحرم، الثقة (ت ٣١٨هـ) ينظر الشيرازي: طبقات الفقهاء ص ٢٠١، السيوطي: طبقات الحفاظ ص ٣٣٠ (٧٤٦).

(٣) ينظر ابن قدامى: المغني ١٠/ ٣٨٥-٣٨٦، فتح الباري ٦/ ١٠٨ الشوكاني: نيل الأوطار ٧/ ٢٣٠-٢٣٢الموسوعة الفقهية ٦/ ٣٢٨ أكرم العمري: السير النبوية الصحيحة ١/ ٤٣.

(٤) تخلو المصادر القديمة من رواية هذه الاخبار فمثلا لم ترد هذه الرواية وغيرها ولا ذكر اسم أبي حنيفة في مسالة خروج محمد ذو النفس الزكية وأخيه إبراهيم أبنا عبد الله على المنصور ينظر: خلفية بن خياط: الطبقات ص١٦٧(ترجمة أبي حنيفة)وص٢٦٩(ترجمة محمد بن عبد الله) تاريخ خليفة ٢/ ٤٤٩ ، ٤٥٣ (ترجمة الزكيتين وأبي حنيفة)، ابن قتيبة: المعارف ص١٦٤-١٦٥، ٢١٦-٢١٧، تاريخ اليعقوبي ٣/ ٩٢-٩٦، تاريخ الأمم والملوك ٧/ ٢٩٣، ٦١٨-٦١٩، مروج الذهب ٣/ ٢٧٧-٢٨٣، تنبيه والاشراف ص٢٩٥.

(٥) من العجيب أنسياق بعض المفسرين والفقهاء وغيرهم دون تدبر وتفكر وراء هذه الأخبار ونقلها في كتبهم من بعض الكتب التاريخية كأنها هي مسلمة من المسلمات العقائدية والتاريخية لا تقبل مناقشة ولا جدلا.

وبما أن هؤلاء الأئمة أصحاب مذاهب وقواعد فقهية، فلا بد أن نراجع مذاهبهم الفقهية التي تمثل قناعتهم وعقيدتهم وخلاصة أفكارهم وآرائهم تجاه كل المسائل الدنيوية والاخروية ومنها وبكل سهولة يتمكن الباحث المنصف أن يحكم على هذه الروايات بالصحة أو بالبطلان.

ولنا في معالجة هذه الروايات ثلاث طرق:

١- تعارض هذه الروايات للقواعد الفقهية التي اقرها الإمام أبو حنيفة وبقية الفقهاء.

٢- تعارض هذه الروايات مع روايات أخرى صادرة عن هؤلاء الأئمة والتي تفيد تعاونهم مع خلفاء المسلمين وعدم خروجهم عليهم.

٣- مناقشة أسانيد ومتون هذه الروايات.

أولا: روايات تفيد دعم الإمام أبي حنيفة الخارجين على السلطان قال الخطيب[١]:

اخبرنا محمد بن أحمد بن رزق[٢]، اخبرنا إسماعيل بن علي الخطبي[١] حدثنا محمد بن

(١) ينظر الخطيب: المصدر السابق ١٣/٣٢٩-٣٣٠، ومما يرد هذه الرواية، روايات كثيرة، منها ما رواه الشمشاطي في تاريخه كما يذكر ذلك المقدسي والخطيب نفسه بأسانيد جيدة:

أن أبا حنيفة كان في بغداد، وليس في الكوفة، أيام خروج إبراهيم بن عبد الله سنة ١٤٥هـ، حيث كان مشرفا على بناء بغداد منذ تخطيطها إلى بنائها، ومن المعلوم أن إبراهيم، خرج في أول رمضان سنة (١٤٥هـ) وقيل: في ذي القعدة -كما يرجحه اليعقوبي وغيره وينص الطبري أن اختيار بناء بغداد وطلب المنصور ذلك كان سنة (١٤٤هـ) قبل خروج إبراهيم

"إن المنصور وجه في حشر الصناع ...وأمر باختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة، والفقه، والأمانة، والمعرفة بالهندسة، فكان ممن أحظر لذلك الحجاج بن أرطأة، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت ...الخ ".

وهذه الروايات تبين لنا أن أبا حنيفة كان في بغداد قبل خروج إبراهيم بثمانية أشهر على أقل تقدير، عند خليفة بن الخياط واليعقوبي، وربما لمدة أكثر عند الطبري والخطيب ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٤٤٩-٤٥٠، تاريخ اليعقوبي ٣ / ٩٥-٩٦، تاريخ الأمم والملوك ٧/ ٦١٨-٦١٩، المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١٢١، الخطيب: المصدر السابق ١/ ٦٦-٦٧، ٧١، ١٣/ ٣٢٨-٣٢٩، إذا فسند هذا الخبر لا يخلو من مقال.

(٢) الحافظ محدث بغداد، وثقة الخطيب، وهو شيخه، كف بصره في حدود سنة (٤٠٦هـ) لازمه الخطيب إلى وفاته سنة (٤١٢هـ) وقد أخذ عنه الخطيب رواياته بعد أن كف بصره، وقد عاب العلامة محمد زاهد الكوثري على الخطيب لكونه روى عن ابن رزق بعد أن كبر وكف بصره، كما حاول العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني ردّ الكوثري على ذلك، ثم وجدت بعد شيء من التحقيق أن ابن رزق يأتي بالغرائب عن الثقات.

ينظر تفصيل ذلك:تاريخ بغداد ١/ ٣٥١-٣٥٢(٢٧٨)، المنتظم ٨/ ٤-٥، الكامل في التاريخ ٧/ ٣١٠-٣١١، وفيات الأعيان ٤/ ٣٣٠، العبر ٢/ ٦٧، ٢٢١-٢٢٢، تذكرة الحفاظ ٣/ ١٠٥٢(٩٦٦)، البداية

عثمان[٢]، حدثنا نصر بن عبدالرحمن[٣] قال: حدثنا الفضل بن دكين[٤]، حدثني زفر بن الهذيل[٥] قال:

كان أبو حنيفة يجهر بالكلام أيام إبراهيم جهاراً شديداً، فقلت له:

والله ما أنت بمنته حتى توضع الحبال في أعناقنا!.

قال: فلم يلبث أن جاء كتاب المنصور إلى عيسى بن موسى أن احمل أبا حنيفة، قال:

فغدوت إليه ووجهه كأنه مسح، قال: فحمله إلى بغداد، فعاش خمسة عشر يوماً، ثم سقاه فمات وذلك في سنة (١٥٠هـ). ومات أبو حنيفة وله سبعون سنة ".

وقال الخطيب[٦]:

والنهاية ١٢/ ١٢، الأيوبي:عيسى بن محمد بن أيوب (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م) كتاب الرد على الخطيب (المعرف بالسهم المصيب في كبد الخطيب)، دار الكتب العلمية بيروت ص ١٤٢، الكوثري: تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب، الطبعة الأولى، مطبعة الأنور - مصر ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م ص٣٢، المعلمي اليماني: التنكيل ١/ ٣٩٠(١٨٩).

(١) وثقه بعض أهل العلم (ت٣٥٠هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٦/ ٣٠٤-٣٠٦(٣٣٤٧) ابن الجوزي المصدر السابق ٧/ ٣-٤، ابن أبي يعلي: طبقات الحنابلة ٢/ ١١٨-١١٩، الذهبي: العبر ٢/ ٨٤.

(٢) بن أبي شيبة الحافظ (ت ٢٩٧هـ) وثقه صالح بن جزرة، وضعفه الجمهور، وحاول اليماني رد الجمهور بحجة أن الذين نقلوا تجريحه إنما نقلوه عن ابن عقدة وهو مخالف لمحمد بن عثمان في التوجه والمذهب.

ويبدو أن هذا الأمر غير صحيح حيث أن الذهبي ذكره في العبر، والميزان، في الضعفاء ثم نقل من جرحه منهم من هو من طريق ابن عقدة، ومنهم من غير طريقه، ولو أن الذهبي لم يكن على ثقة فيما أصدره من الحكم عليه لعاد وذكره في الثقات ممن تكلم فيهم، ينظر الخطيب: المصدر السابق ٣/ ٤٢-٤٧ (٩٧٩)، ابن الجوزي: المصدر السابق ٦/ ٩٥-٩٦ (١٣٢)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٤٣٤، ميزان الاعتدال: ٣/ ٦٤٢-٦٤٣ (٧٩٣٤).

(٣) بن بكار الناجي (ت ٢٤٨هـ) وثقه بعض أئمة الجرح والتعديل ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٢٨ (٧٧٥)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٤٠٠.

(٤) وهو لقب، واسمه عمرو بن حماد بن زهير، أبو نعيم الأحول الكوفي (ت ٢١٩هـ) ثقة ثقة ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٧٢-٣٧٣ (٣٦٩)، ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ٢٧٠-٢٧٦ (٥٠٤).

(٥) العنبري الإمام الفقيه، صاحب أبي حنيفة، ثقة توفي (١٥٨هـ) ينظر: الذهبي: العبر ١/ ١٧٦، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ٢٤٣.

(٦) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٨٥.

"اخبرنا ابن الفضل[١]، اخبرنا ابن درستويه[٢]، حدثنا يعقوب[٣] قال:

حدثني صفوان بن صالح الدمشقي[٤]، حدثني عمر بن عبد الواحد السلمي[٥] قال: سمعت إبراهيم بن محمد الفزاري[٦] يحدث الأوزاعي قال:

قتل أخي مع إبراهيم الفاطمي بالبصرة، فركبت لأنظر في تركته فلقيت أبا حنيفة فقال لي:

من أين أقبلت وأين أردت؟.

فأخبرته إني أقبلت من المصيصة[٧] وأردت أخاً لي قتل مع إبراهيم.

فقال:

لو أنك قتلت مع أخيك كان خيراً لك من المكان الذي جئت منه.

قلت فما منعك أنت من ذلك ؟.

قال: لولا ودائع كانت عندي وأشياء للناس ما استثنيت في ذلك".

والآن فلنأت إلى مناقشة هذه الروايات من حيث القواعد والأسس الفقهية التي بنى عليها الإمام أبي حنيفة مذهبه وكذلك فقهاء مذهبه:

لا شك بين المسلمين في أن أبا حنيفة من أكابر وأعظم فقهاء المسلمين بلا منازع.

---

(١) محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل، وثقه الخطيب (ت ٤١٥هـ) ينظر الخطيب: المصدر نفسه ٢/ ٢٤٩-٢٥٠ (٧١٨)، ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ٢٠ (٤١).

(٢) عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثقة (ت ٣٤٧هـ) وسماعه من يعقوب فيه نظر، لأن ولادة ابن درستويه سنة (٢٧١هـ) ووفاة يعقوب (٢٧٧هـ) فيكون عمر ابن درستويه يومئذ (ست سنين)، وحاول اليماني أن يؤيد سماعه منه لكونه من بيت علم ! ينظر: الخطيب: المصدر السابق ٩/ ٤٢٨-٤٢٩ (٥٠٤٥)، ابن الجوزي: المصدر السابق ٦/ ٣٨٨ (٦٥١)، الذهبي: العبر ٢/ ٧٦-٧٧، اليماني: التنكيل ١/ ٢٨٥-٢٩١ (١١٩).

(٣) ثقة - سبق أن ترجم له.

(٤) ثقة (ت٢٣٩هـ) على ما رجحه الذهبي، ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٤/ ٣٠٩، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٣٨، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٧٥، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٦-٤٢٧ (٧٣٥).

(٥) ثقة (ت ٢٠٠هـ) على رأي الأكثرين، ينظر الذهبي: العبر ١/ ٢٦٠، ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٤٧٩ (٧٩٤).

(٦) ثقة - تقدم ذكره -.

(٧) بالتشديد والتخفيف، والأول أصح، مدينة في ثغور الشام، بين أنطاكيا وبلاد الروم، ينظر: معجم البلدان ٥/ ١٤٤-١٤٥ (المصيصة).

كما لا نزاع في أن ثورة الزكينين كانت في سنة (١٤٥هـ) كما مرّ، وكان عمر أبي حنيفة (رحمه الله) يومئذ (٦٥) عاماً، عند أغلب المؤرخين.

وينفرد المسعودي[١] حيث يرى أن عمره يومها كان (٨٥) عاماً، حين وقوع الفتنة، لأنه يذهب أنه توفي وعمره (٩٠) سنة.

وسواء أخذنا برواية جمهور المؤرخين (وهو الأصوب)، أو برواية المسعودي فإن هذا العمر هو عمر الاستقرار العلمي، حيث يبلغ الإنسان أشده وكماله العقلي، وينظر في كل آراءه السابقة أن احتاجت إلى التغيير أو الترجيح أو غيرها.

وبما أن كل الآراء الواردة عن هذا الإمام سابقاً ولاحقاً، وكذلك إجماع فقهاء مذهبه ضد الخروج على السلطان، فإن هذه الروايات باطلة.

والصحيح عند بقية مذاهب المسلمين قاطبة هو عدم جواز الخروج على السلطان، إلاّ في حالة واحدة وهو: وقوع الكفر الصريح من السلطان.

يقول الشوكاني بعد أن يأتي بجميع آراء العلماء سلفاً وخلفاً عن هذه المسألة[٢]:

"أن الأحاديث الواردة في عدم الخروج على السلطان إلا بالشرط المذكور متواترة المعنى لمن له انسة بعلم السنة".

هذا بصورة عامة عند جميع فقهاء المسلمين.

ثم نأتي إلى الأحناف، واهم كتبهم المعتمدة للاستدلال على ذلك:

قال السرخسي[٣]:

"اعلم أن الفتنة إذا وقعت بين المسلمين فالواجب على كل مسلم أن يعتزل الفتنة ويقعد في بيته هكذا رواه الحسن عن أبي حنيفة".

ثم يقول[٤]:

---

(١) ينظر: مروج الذهب ٣/ ٢٨٥.

(٢) نيل الأوطار ٧/ ١٧٥، وأنظر كذلك الموسوعة الفقهية ٦/ ٢٢٠-٢٢١، ١٩/ ١١٣.

(٣) السرخسي: المبسوط، الطبعة الثالثة، دار المعرفة - بيروت ١٠/ ١٢٤ وهو أحد أمهات الفقه الحنفي والمقصود هنا باعتزال الفتنة أن لم يكن هناك امام أو لم يطق الإنسان القتال ينظر: المصدر نفسه ١٠/ ١٢٤.

(٤) المبسوط جزء١٠/ ١٢٤.

"فإن كان المسلمون مجتمعين على واحد وكانوا آمنين به والسبيل آمنة، فخرج عليه طائفة من المسلمين فحينئذ يجب على من يقوى على القتال أن يقاتل مع إمام المسلمين الخارجين لقوله تعالى:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩].

والأمر حقيقة للوجوب ولأن الخارجين قصدوا أذى المسلمين وإماطة الأذى من أبواب الدين، وخروجهم معصية ففي القيام بقتالهم نهي عن المنكر وهو فرض ولأنهم يهيجون الفتنة... الخ"[١].

ومما نقل بعض الفقهاء عن أبي حنيفة[٢]: ويجب أن يدعى له بالصلاح ونحوه، ولا يجب الخروج عليه، كذا نقل الحنفية عن أبي حنيفة، وكلمتهم قاطبة متفقة في توجيهه على أن وجهه:

هو أن بعض الصحابة رضي الله عنهم صلوا خلف أئمة الجور، وقبلوا الولاية عنهم، وهذا عندهم للضرورة وخشية الفتنة".

وقال الدسوقي[٣]:

"ويحرم الخروج على الإمام الجائر لأنه لا يعزل السلطان بالظلم والفسق وتعطيل الحقوق بعد انعقاد إمامته وإنما يجب وعظه وعدم الخروج عليه... الخ".

---

(١) هنالك أحاديث كثيرة صحيحة عن رسول الله ﷺ في ذلك منها: ما رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر: (من حمل علينا السلاح فليس منا)، فتح الباري ١٢/ ١٩٢(٦٨٧٤) وللفظ له). ومنها حديث عرفجه الأشجعي قال سمعت رسول الله صلى اله عليه وسلم يقول (من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه) رواه أحمد ومسلم: شرح صحيح مسلم١٢/ ٢٤٢) ومنها حديث ابن عباس قال قال: (رسول الله ﷺ: من راى منكم من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية وفي لفظ من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية). متفق عليه: المصدر نفسه١٢/ ٢٤٠) ومنها حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وانه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تامرنا قال: وفوا بيعة الأول فالأول ثم اعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم متفق عليه). المصدر نفسه ١٢/ ٢٣١).

(٢) القدسي:محمد بن محمد بن أبي بكر (ت٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) المسامرة بشرح المسايرة، الطبعة الأولى، دار الدعوة -استنبول ١٩٧٩ م ص ٣٢٣، ابن عابدين: الحاشية ١/ ٣٦٨.

(٣) الدسوقي:محمد بن أحمد بن عرفة، ت١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م حاشية الدسوقي على الشرح الكبير على مختصر الخليل طبعة عيسى الحلبي ٤/ ٢٩٩.

يقول الملك عيسى بن العادل الأيوبي - وهو إمام من أئمة الأحناف - نقلاً عن الإمام أبي حنيفة[١]:

"ولا نرى الخروج على أئمتنا وأولياء أمورنا وإن جاروا علينا وندعوا لهم ثم قال:

وإجماع أصحاب أبي حنيفة على ما قلت".

ثانيا: كان الإمام أبو حنيفة من أحسن الناس تمسكا بامتثال رب الأمر (الخليفة).

يروى أن محمد[٢] بن أبي ليلى - وهو أحد الفقهاء والقضاة، الكبار وكان من أصحاب الرأي - تولى القضاء بالكوفة، وكانت بينه وبين أبي حنيفة وحشة يسيرة، فافتى ابن أبي ليلى يوما في قضية، وعارضه أبو حنيفة فيها، فشكاه ابن أبي ليلى إلى والي الكوفة، وقال له[٣]:

" هاهنا شاب[٤] يقال له: أبو حنيفة، يعارضني في أحكامي ويفتي بخلاف حكمي، ويشيع علي بالخطأ، فأريد أن تزجره عن ذلك.

فبعث إليه الوالي ومنعه من الفتيا، فيقال:

أنه كان يوما في بيته، وعنده زوجته، و ابنه حماد، وابنته.

فقالت له ابنته:

إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق ابيض لا يظهر عليه اثر الدم، فهل افطر إذا بلعت الآن الريق ؟.

فقال لها:

---

(١) السهم المصيب ص٦٠.

(٢) قاضي الكوفة، ثقة، صدوق (ت ١٤٨هـ) ينظر البخاري: التاريخ الكبير ١/ ١٦٢ (٤٨٠)، العجلي: معرفة الثقات ٢/ ٢٤٣ (١٦١٨).

(٣) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٩-١٨٠ (٥٦٤).

(٤) يظهر أن هذا تصحيف من أحد النساخ، حيث لم يكن أبو حنيفة، شابا في ذلك اليوم، بل كان شيخاً، لأن عيسى بن موسى، كان والي الكوفة، في ذلك اليوم، وهو: سنة (١٤٥هـ) والدليل الآخر على ذلك؛ أن في نفس الرواية، إشارة إى أن ابنه حماد؛ كان مفتيا، ولا يمكن أن يتولى الإفتاء شخص إلا وعمره - غالباً - من ثلاثين، فما فوق، وربما تكون الكلمة الصحيحة هي: شيب، أو شيخ، أو شخص، فصحفه إلى: شاب، والله أعلم، والغريب أن الصفدي؛ نقل هذا النص من ابن خلكان، دون الإنتباه إلى هذا الوهم، ونقل النص كما هو ! ينظر: الوافي في الوفيات ص ٣٨٧.

سلي أخاك حماد فإن الأمير منعني من الفتيا".

يعلق ابن خلكان على هذه الحادثة ويقول[١]:

"وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة، وحسن تمسكه بامتثال رب الأمر، فإن إجابته طاعة، حتى أنه أطاعه في السر، ولم يرد على ابنته جوابا، وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر) !!.

ثالثا: تبين أن أسانيد بعض هذه الروايات[٢]، ضعيفة لا يعول عليها، وتخالف مذهب

---

(١) نفسه ٤ / ١٨٠.

(٢) هناك روايات أخرى ذكرها الأصبهاني، ووضعت في تاريخ بغداد حول هذا الموضوع لكنها ليست بأقوى من الروايات التي ذكرناها، وقد اكتفينا بنقد أقواها سندا ومتنا ...الخ، ينظر: مقاتل الطالبيين ص٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦-٣٦٨، الخطيب: المصدر السابق ١٣/ ٣٨٤-٣٨٦ لكن عبد الله بن الإمام أحمد أورد حول هذا الموضوع ست روايات ضعف رواية منها، وسكت عن أخرى ينظر: السنة ١ / ٢١٨ (٣٦٧)، و١ / ٢١٩ (٣٧٢)، وفيها نكارة واضحة حيث يعتبر؛ إبراهيم ذو النفس الزكية كان مع المبيضة، فقتله المسودة !، واربع روايات قال عنها: حسان.

فالرواية الأولى: عن أبي الفضل الخراساني عن الحسن بن موسى الاشيب. فابو الفضل الخراساني لم أقف على ترجمة له فيما رجعت إليه في عدد كبير من كتب الرجال ! أما الحسن بن موسى فهو صدوق (ت ٢٠٩هـ) ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣ / ٣٧ (١٦٠)، الربعي: تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ٢ / ٤٦٨-٤٦٩.

أما الرواية الثانية: فأيضاً عن أبي الفضل الخراساني، عن إبراهيم بن شماس وهو السمرقندي وكان معاصرا للإمام أحمد لم أقف على تاريخ وفاته ولا على حاله في كتب الرجال، ينظر أبو نعيم: حلية الأولياء ٨ / ٣٧٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١ / ١٨٨ و٢٢٨، وينظر الخبرين عبد الله بن أحمد: المصدر السابق ١ / ١٨١-١٨٢ (٢٣٣- ٢٣٤).

الرواية الثالثة: عن محمد بن هارون أبو نشيط عن أبي صالح الفراء وأبو نشيط هو البغدادي الإمام الحافظ الثقة (ت ٢٥٨هـ) ينظر الذهبي: المقتنى ٢ / ١١٠ (٦١٧٦) وأبو صالح هو محبوب بن موسى الانطاكي (وقيل محمود بن موسى، وقيل محجوب)، وثقه العجلي، وقال الدار قطني صويلح، وليس بالقوي، وذكر أبو داود بعد توثيقه اياه: أنه لايلتفت إلى حكاياته إلا من كتاب (ولم يذكر الانطاكي هذا من أي كتاب روى هذه الحكاية (ت ٢٣٠هـ) ينظر العجلي: أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت ٢٦١هـ)، معرفة الثقات، تحقيق عبد العليم عبد العظيم، الطبعة الأولى، مكتبة الدار- المدينة المنورة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م ٢ / ٢٦٦ (١٦٨٨)، المزي: تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٦٥ (٥٧٩٦)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٤٢ (٧٠٨٤).

الرواية الرابعة: عن أحمد بن إبراهيم عن خلف بن تميم واحمد هو بن إبراهيم الدورقي الحافظ لم أقف على وفاته ولم يتبين لي حاله بعد مراجعة عدد كبير من كتب الرجال، ينظر شيئ من اخباره: ابن أبي يعلى: طبقات المحدثين ١ / ٨٢ (٨٧٩)، ابن ماكولا: الاكمال ٦/ ٥٥، ٧٣، وخلف هو بن تميم بن أبي عتاب أبو عبد

الإمام أبي حنيفة، وفقهاء مذهبه، بل يكاد يكون مذهب فقهاء المسلمين قاطبة.

بعد أن قمنا بتفتيش جميع المصادر الأساسية - للقرون الثلاثة الأولى - تبين لنا ما يلي:

١- أول من ذكر هذه الأخبار وبالأسانيد المذكورة هو: عبد الله بن الإمام أحمد في كتابه (السنة)[١]، وأبو الفرج الأصبهاني في كتابه (مقاتل الطالبيين)[٢]، وهو تالف، متروك الحديث، عند أغلب المحدثين، وإن كان ذهب البعض منهم إلى تعديله، بصيغة: صدوق !.

٢- أن الروايات التي ذكرها عبد الله بن أحمد ترد للأمور الآتية:

- جميع هذه الروايات، لم ترد أغلبها بسند صحيح، ولا ربما بسند حسن كما بينا.

- وردت هذه الروايات عن طريق الفزاري وابن مبارك، وهما معاصران للإمام أبي حنيفة، وبينهما وبينه شيء من الوحشة، والمعاصرة والوحشة تمنعان من قبول روايتهما في حقه.

- الفزاري وابن مبارك، ومن روى تلك الروايات، من مدرسة أهل الحديث، وأبو حنيفة، من مدرسة أهل الرأي، ولا يخفى على المتتبع ما بين المدرستين من خلاف، والتعصب للمذهب أحد أسباب رد الرواية[٣].

- هناك روايتان منهما قد ترقى إحداهما إلى درجة: الصحيح، والأخرى؛ إلى درجة: الحسن، لكن متونهما مظلمة لا تتفق مع ما نقل من قريب أو بعيد، من فتاوى، ومذهب، وأصول، وقواعد؛ الإمام؛ أبي حنيفة، في هذه القضية - كما مر - .

الرحمن، صدوق (ت ٢٠٦هـ) ينظر البخاري: التاريخ الصغير ٢/ ٣١٦ (٢٧٣٩)، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٣ / ٣٧٠ (١٦٨٤)، المزي: المصدر السابق ٨/ ٢٧٦- ٢٧٩ (١٧٠٣)، وينظر الخبرين: السنة ١/ ٢١٨ (٣٦٨)، ١/ ٢١٩ (٣٧٣).

(١) ينظر ١/ ١٨١-١٨٢، ٢١٨-٢١٩.

(٢) ينظر النصوص مع الأسانيد ص٣٦١، ٣٦٤.

(٣) يقول الحافظ الذهبي: (ثم لا يسمع قول العدو في عدوه)، ينظر: سير اعلام النبلاء ١٣/ ٢٢٩.

ولم يسلم كبار أهل العلم من مدرسة الأمام أبي حنيفة من طعونات أهل الحديث، فعلى سبيل المثال فقد تعرض الإمامان الجليلان (أبو يوسف، ومحمد بن الحسن) إلى ما تعرض له الإمام أبو حنيفة من قبل الفزاري، وابن مبارك، وابن معين وغيرهم. ينظر الخطيب: الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣٣٥، الاحتجاج بالشافعي ص٦٣، ٦٥، وقد قام الإمام الشافعي بدور جليل، لتقريب المدرستين، بعضهم من بعض، ينظر الخطيب: المصدر السابق ص٣٠.

والذي يظهر أنه من صنع بعض ضعاف الإيمان، وأصحاب الحقد، والتعصب، لهذا الإمام، فوضع إسناداً صحيحا على هذا المتن المنكر (تركيب الإسناد على المتن)، للنيل منه، عند أبي جعفر المنصور، أيام ثورة الزكيتين، ونجل أهل مدرسة الحديث من فعل مثل هذا الأمر، وهذا ما نفيء ونركن إليه، في قصة هذه الروايات.

٣- أما فيما يتعلق بروايات الخطيب، فربما كانت من نوع تركيب الإسناد على المتون للأمور الآتية:

- إن النسخة الأصلية لتاريخ بغداد قد تعرضت للحرق، والمنشور بين أيدينا هي غير نسخة الخطيب الأصلية، كما يقال أن ابن خيرون (محمد بن عبد الملك ت ٥٣٩هـ)، أو أن أحدا قد زاد فيها[١].

- وقوع واضع هذا الخبر في تناقض واضح، حيث ذكر أن أبا حنيفة لما جهر للكلام أيام إبراهيم لم يلبث أن جيء به إلى بغداد، وعاش خمسة عشر يوما، ثم سقي سما فمات سنة (١٥٠هـ)!.

ومن المعلوم أن إبراهيم قتل سنة(١٤٥هـ) ! فكيف جيء به أيام إبراهيم مباشرة ولم يعش إلا (١٥يوما) ثم مات سنة (١٥٠هـ)، وبغداد لم تبن بعد ؟!.

- نبه الحافظ أبو بكر الخطيب نفسه إلى مثل تلك الدسائس والتزويرات حيث يذكر في ترجمة القاضي محمد بن علي الواسطي، أبي العلاء[٢]:

"ورأيت لأبي العلاء أصولا عتقا سماعه، فيها صحيح وأصول مضطربة ... تدل على فساده ... ورأيت في كتاب أبي العلاء عن بعض الشيوخ المعروفين حديثاً استنكرته وكان متنه طويلا موضوعا مركبا على إسناد واضح صحيح، عن رجال ثقات أئمة في الحديث ".

- الذي ركب أسانيد ومتون الأصبهاني والوضاعين على أسانيد الخطيب شخص غير ذكي حيث ذكر أحاديث يعرفها، من هو دون مرتبة الإمام أبي حنيفة بدرجات ثم ذكر أن أبا حنيفة قال عنها (والعياذ بالله) هذا هذيان[٣].

---

(١) ينظر ابن الجوزي: المنتظم ٨/ ٣٦٩ (٣١٢)، الكوثري: تأنيب الخطيب ص٣١.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٩٦، ٩٨، وينظر كذلك الأيوبي: السهم المصيب في كبد الخطيب ص١٦٦-١٦٧.

(٣) من ذلك حديث: (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا)، وحديث: (أن يهوديا رضّ رأس جارية بين حجرين فرض النبي ﷺ رأسه)، الحديث الأول سبق تخريجه، والثاني رواه الجماعة ينظر: فتح الباري ١٢/ ١٩٨ (٦٨٧٦)، والجماعة هم: الشيخان وأصحاب السنن وأحمد ينظر: ابن تيمية (الجد): المنتقى من أخبار المصطفى ١/ ٣.

الإمام مالك والغناء:

الغناء في اللغة: اسم يطلق على التطريب والترنم بالكلام الموزون وغيره، كما يطلق على الصوت والمدح والهجاء والغزل والحداء لكنه مقيد بالغناء للإبل[(١)].

وفي الاصطلاح: فقد عرفه العلماء بتعاريف عديدة، وخلاصتها: هو كل كلام موزون سواء كان شعراً أو نثراً مع رفع الصوت بتمطيط وتكسر وتهيج، ويطلق على الترنم، والحداء، والتزمير، والتعزيف، وغناء الحجيج، والغزاة[(٢)].

أولا: الروايات الواردة عن مالك في إباحة الغناء[(٣)]:

يروي أبو الفرج الأصبهاني يقول:

"اخبر محمد بن عمرو العباسي القرشي[(٤)] قال:

حدثنا محمد بن خلف بن المرزبان[(٥)] ولم أسمعه[(٦)] أنا من محمد بن خلف ! قال: حدثني إسحاق بن محمد بن ابان الكوفي[(٧)].

---

(١) ذهب بعض أئمة اللغة إلى أن التغني على معنين الأول: بمعنى الاستغناء فهو من الغنى مقصور ثانيا ومن ذهب به إلى التطريب فهو من الغناء، الصوت، ممدود، ينظر:لسان العرب ٣/ ١٠٢٤، الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم ٢/ ٢١١(غنى).

(٢) ينظر ابن الجوزي تلبيس أبليس، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ص٢٢٣، النووي: شرح صحيح مسلم ٦/ ١٨٢-١٨٣، ابن حجر: فتح الباري ٢/ ٤٤٢، القسطلاني:أرشاد الساري ٢/ ٢٠٤، ٢٠٧، السيوطي: شرح السيوطي على النسائي (مطبوع مع سنن النسائي، ٣/ ١٩٧، الشوكاني: نيل الأوطار ٨/ ٩٩ وما بعدها.

(٣) نظر بحثا مفصلا حول الغناء، القضاة: أحمد مصطفى علي: الشريعة الإسلامية والفنون، الطبعة الأولى، دار الجيل -بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ص٢٥٧-٣٢٦.

(٤) لم أقف على ترجمته فيما رجعت إليه من المصادر.

(٥) ذكره ابن خلكان ينظر: وفيات الأعيات ٦/ ٢١(فهو مجهول الحال).

(٦) ولكن ممن سمع هذه الرواية ولم لا يصرح بأسمه ؟!.

(٧) أحد الكذابين الدجالين القائلين بألوهية علي من النصيرية، قال ابن حجر تعقيبا على روايته لهذه القصة: " ولا يغتر بها فإنها من رواية هذا الكذاب " (ت سنة ٢٨٦هـ) ينظر تفصيل ترجمته مع النص: لسان الميزان ١/ ٣٧٠ (١١٥٦).

قال: حدثني حسين بن دحمان الاشقر[١]، قال:

كنت بالمدينة فخلا لي الطريق وسط النهار فجعلت أتغنى:

ما بالُ أهلك يا رَبابُ　　　خُزْراً كأنهمُ غِضابُ

قال: فإذا خوخة قد فتحت، وإذا وجه قد بدا، تتبعه لحية حمراء، فقال:

يا فاسق، أسأت التأدية (وفي لفظ الأدب) ومنعت القائلة، وأذعت الفاحشة، ثم اندفع وغنى الصوت غناء (وفي لفظ يغنيه فظننت أن طويساً[٢] قد نشر يغنيه) لم اسمع بمثله، فقلت له:

أصلحك الله من أين لك هذا الغناء؟.

فقال: كنت وأنا غلام يعجبني الأخذ عن المغنين فقالت لي والدتي: يا بني أن المغني إذا كان قبيح[٣] الوجه لم يلتفت إلى غنائه.

فدع الغناء، واطلب الفقه، فطاوعتها فحصلت لي من الله العناية، فقلت:

اعد الصوت فقال: لا كرامة أن تقول أخذته عن مالك بن أنس فإذا به الإمام مالك رضي الله عنه[٤].

بل في رواية أخرى يسيء إلى الإمام مالك أكثر من ذلك ويجعله أحد مطربي المدينة حيث يقول:

---

(١) دحمان لقب واسمه عبد الرحمن بن عمرو، مولى بني ليث بن بكر، ويقال له دحمان الاشقر، ينظر: الأصبهاني: الأغاني ٦/ ٢١٠١ - ٢١١٢ (طبعة دار الشعب)، ابن عبد ربه: العقد ٧/ ٢٤-٢٥، ابن نباتة: سرح العيون ٢ / ١٩، ٢٠.

(٢) هو: عيسى ابن عبد الله، أبو عبد المنعم، مولى بني مخزوم، قيل أسمه طاوس، فلما تخنث سمي طويساً، وهو أول من غنى من المخنثين، ويضرب المثل بشأمه (ت ٩٢هـ) ينظر العسكري: الأوائل ص٢٦٨، ٢٧٠، الأصبهاني: المصدر السابق ٤/ ١٤٣٣ - ١٤٣٧ (طبعة دار الشعب)، ابن خلكان: المصدر السابق ٣/ ٥٠٦-٥٠٧ (٥١٩).

(٣) بل روايات الثقات تؤكد أن الإمام مالك كان جميلا مليحا، طويلا جسيما، شديد البياض إلى الشقرة أزرق العينين ينظر: ابن خلكان: المصدر نفسه ٤ / ١٣٨، الذهبي: العبر ١/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) الأصبهاني: المصدر السابق ٤/ ٢٢٥-٢٢٦، ابن عبد ربه: المصدر السابق ٧ / ٢٤-٢٥، ابن نباتة: المصدر السابق ٢ / ١٩-٢٠، والشعر لابن ذي يزن ينظر الأصبهاني: المصدر السابق ٤ / ٢٢٦، والخزر هو ضيق العين وصغرها، ينظر ابن منظور:لسان العرب ١ / ٨٢٣ (خزر).

(اخبرني الحسين بن يحيى[١] ومحمد بن مزيد[٢] قالا:
حدثنا حماد بن إسحاق[٣] عن أبيه[٤] قال:
سمعت إبراهيم بن سعد[٥] وفي العقد[٦] (الزهري) يحلف للرشيد، وقد سأله عمن بالمدينة يكره الغناء، فقال:
من منعه ؟ الله يخزيه، مالك بن أنس، ثم حلف أنه سمع مالكاً يغني.
سُلَيْمَى أَزْمَعَتْ بَيْنَا فَأَيْنَ تقولُها أَيْنا[٧].

---

(١) هو: الحسين بن يحيى الكاتب، ممن روى عن حماد بن إسحاق الموصلي، ويبدو أنه مجهول الحال، لم أستطيع الوقوف على أخباره، فيما رجعت إليه من المصادر. ينظر شيء عنه: تاريخ بغداد ٤/ ١٤٧، ٦/ ٣٤٢، تاريخ دمشق: ٨/ ١٤٢، ١٢/ ٤٠٥، ٣٣/ ٣٠٧.

(٢) محمد بن مزيد بن محمود بن منصور بن راشد أبو بكر ابن أبي الأزهر الخزاعي النحوي المعروف بابن أبي الأزهر، هكذا ذكره الخطيب. وذكره محمد بن إسحق فقال: محمد بن أحمد بن مزيد النحوي الاخباري البوسنجي (ت ٣٢٥هـ) روى عنه... وأبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، قال الخطيب: وكان كذاباً يضع الأحاديث على الثقات، ينظر: تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٨ (١٣٧٦)، لسان الميزان ٥/ ٣٧٧ (١٢٢٧)، الوافي في الوفيات ص ٥٩٧.

(٣) هو: حماد بن إسحاق بن إبراهيم بن ماهان الموصلي (فارسي الأصل)أحد المغنين روى عن أبيه كتاب الأغاني، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر الخطيب:تاريخ بغداد ٨ / ١٥٩ (٤٢٦٣).

(٤) هو: إسحاق بن إبراهيم الموصلي، النديم، اخباري عالم، رأس في صناعة الأغاني، اختلف في توثيقه(ت ٢٣٥هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٦ / ٣٣٨-٣٤٥ (٣٣٨٠)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٣٣٠.

(٥) هو: إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، ثقة تكلم فيه بلا قادح (ت ٢٨٥هـ) وقيل غير ذلك ينظر الخطيب: المصدر السابق ٦ /٨١-٨٦ (٣١١٩)، ابن حجر:تهذيب التهذيب ١/ ١٢١-١٢٣ (٢١٦).

(٦) ٧/ ١٠.

(٧) الجبوري: يحيى، شعر عروة بن أذينة، مكتبة الاندلس - بغداد ص ٣٩٨، الأصبهاني: الأغاني ٢/ ٢٣٠ (ط٢، تحقيق: سمير جابر). وتكملة الشعر:

وقــد قالتْ لأترابٍ لها زُهْــرٍ تلاقَيْنَــا
تعالَيْنَ فقــد طــابَ لنـا العيشُ تعالَيْنَــا
وغاب البَرَم الليلـــة والعيُن فــلا عَيْنَــا
فأقبَلْنَ إليها مسرِعاتٍ يَتَهادَيْنَــــــــا
إلى مثلِ مَهَـــاةِ الرملِ تَكْسُو المجلسَ الزَّيْنَا
إلى خَـــوْدٍ منعَّمـــةٍ حَفَفْنَ بهـــا وفدَّيْنَا
تمنّـــيْنَ مُنَاهــــن فكُنَّـــا مـــا تمنَّيْنَــا

ينظر: المصدران السابقان مع صفحاتها.

وفي زيادة من رواية العقد: ولو سمعت مالكاً يحرمه ويدي تناوله، لأحسنت أدبه ! قال: فتبسم الرشيد"[١].

ثانيا: مذهب مالك في الغناء:

ذكر القرطبي عن إسحاق بن عيسى الطباع[٢] قال[٣]:

"سألت مالك بن أنس عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال:

إنما فعله عندنا الفساق. وذكر أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال[٤]:

أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه، وقال:

إذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ردها بالعيب، وهو مذهب سائر أهل المدينة. إلا إبراهيم بن سعد ".

وقال الدردير[٥]:

" يحرم سماع الغناء وهو الصوت الذي يطرب السامع المشتمل على محرم. فإن لم يشتمل على محرم فمكروه، ما لم يشتمل على مدح النبي صلى الله عليه وسلم فيندب ".

وذكر ابن رجب الحنبلي:

أن مالكاً يحرم الغناء، وجاء عن مالك أن الرجل إذا اشترى جارية ووجدها مغنية كان له ردها بالعيب[٦].

---

(١) الأصبهاني: المصدر السابق ٢/ ٢٣١، ابن عبد ربه: المصدر السابق ٧ / ١٠ (بشيئ من التقديم والتأخير في الألفاظ، وهذا الخبر باطل لأنه من رواية الأصبهاني كما أن في الخبر مجاهيل، ومتروكين !.

وينظر بحثا جيداً حول هذا الموضوع، الشكعة: مصطفى، الأئمة الأربعة، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري - القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م ص ٣٤٧- ٣٥٢.

(٢) أبو يعقوب، روى عن مالك وغيره، صدوق (ت ٢١٥هـ) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١ / ٦٠ (٤٢٤)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٢٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤ / ٥٥.

(٤) ثقة، صادق (ت ٤٥٠هـ) ينظر الخطيب: المصدر السابق ٩ / ٣٥٨-٣٦٠ (٤٩٢٦)، ابن خلكان: المصدر السابق ٢ / ٥١٢-٥١٥ (٣٠٧).

(٥) الدردير: أحمد بن محمد (ت ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م) الشرح الصغير على اقرب المسالك، دار المعارف - مصر ٤ / ٧٤٤.

(٦) ابن رجب: جامع العلوم والحكم، دار المعرفة-بيروت ص ٣٩٠.

وذكر ابن تيمية:

أنه لا نزاع في حرمة الغناء عند مالك[١].

ولو نزلنا إلى أسوء الاحتمالات وهو القول بالكراهة، فيا ترى أكان مالك يكره ذلك للناس وهو يفعله ؟.

وهو الرجل المتشدد المتحرج من الابتسامة، وكان مجلسه كما يقول الذهبي[٢]: "مجلس وقار وعلم، وكان رجلاً مهيباً نبيلاً ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط ولا رفع الصوت ".

بل أن بعض أولاد أمير المؤمنين المنصور كما يذكر الذهبي أيضاً، كان يهاب أن يجلس في مجلس فيه الإمام مالك[٣].

نسبة أبيات إلى الإمام الشافعي:

مما نسب إلى الشافعي أبيات من الشعر توحي أن مذهبه توجب الصلاة على الآل في الصلاة وهي:

يا آلَ بيْتِ رسولِ الله حبُّكــمُ ... فَرضٌ مــن الله في القرآنِ أنْزَلَهُ

يكفيكمُ من عظيمِ القَدْرِ أنَّكمُ ... مَن لم يُصَلِّ عليكمْ لا صلاةَ لَهُ[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى، الطبعة الأولى (مصورة) ١١/ ٥٧٧.

(٢) التذكرة ١/ ٢١١.

(٣) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٠٩ بل كان هارون الرشيد يمشي معه إلى بيته متواضعاً ويجلس بين يديه احتراماً وإجلالاً. ينظر: شذرات الذهب ١/ ٢٩١.

عن عمر بن عثمان الزهري يقال: دخل شاعر على مالك بن أنس فمدحه:

يأتي الجواب فلا يرجع هيبـــة ... والسائلون نواكس الأذقــان

أدب الوقار وعز السلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا السلطان

ينظر السيوطي: تنوير الحوالك ١/ ٤.

(٤) ينظر الأبيات: المحبي: محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م) نفحة الريحانة، تحقيق عبد الفتاح الحلو، طبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٩م ٤/ ٦٦٠، القدوري: إبراهيم بن محمد بن معروف بابا خواجه الحسيني (ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م) ينابيع المودة، طبعة الاعلمي - بيروت ٢/ ١٢٠، البكري: أبو بكر عثمان بن محمد الدمياطي (ت بعد ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م) إعانة الطالبين، طبعة دار إحياء الكتب العربية - مصر ١/ ١٧١، الشبلنجي: مؤمن بن حسن (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م) نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار، طبعة مصطفى محمد مصطفى - القاهرة ١٣٣٤هـ ص ١١٥، الآلوسي: نعمان بن محمود (ت ١٣١٧هـ/

ومناقشة هذه الأبيات من أوجه:

أ- مخالفتها لما ورد عن الشافعي من أصول وقواعد فقهية.

إن من يفتش كتاب (الأم)وهو مؤلف الإمام الشافعي الرئيسي، وأساس مذهبه، والعمدة عند أهل المذهب، باب التشهد وأذكاره، وهو مظان هذا البحث، لا يجد حول ذلك ما يفيد حتى ندب ذلك.

يروي الشافعي صيغة التشهد - بإسناده إلى ابن عباس قال:

" كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن، فكان يقول:

(التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله).

قال:

وبهذا نقول، وقد رويت في التشهد أحاديث مختلفة كلها فكان هذا أحبها إلي لأنه أكملها"[(١)].

ويبين الشافعي أن مذهبه: وجوب الصلاة على النبي ﷺ دون الصلاة على الآل، فيقول:

فرض الله عز وجل الصلاة على رسول الله ﷺ فقال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال الشافعي:

فلم يكن فرض الصلاة عليه في موضع أولى منه في الصلاة، ووجدنا الدلالة عن رسول الله ﷺ، بما وصفت من أن الصلاة على رسول الله ﷺ فرض في الصلاة "[(٢)].

١٩٠٠م) غالية المواعظ، الطبعة الأميرية - بولاق ١٣٠٠هـ ٢/ ٨٧، مصطفى: محمد مصطفى، الجوهر النفيس في أشعار الإمام محمد بن إدريس، مطبعة النيل - مصر ١٩٠٣م ص ٦٤، الزعبي: محمد عفيف، ديوان الإمام الشافعي، دار النور - بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ص ٧٢، بهجت: شعر الشافعي ص ١٧٦.

(١) الشافعي: محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م) كتاب الام، تصحيح محمد زهري النجار، الطبعة الثانية، مطبعة دار المعرفة - بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ١/ ١١٧.

(٢) الشافعي: المصدر نفسه ١/ ١١٧: مسند الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ص ٤٢ (١٧٠)، وهذا الحديث رواه عدد كبير من أئمة الحديث ينظر على سبيل المثال: مسند الإمام أحمد بن حنبل١/ ٢٩٢ (٢٦٦٥) سنن النسائي الكبرى١/ ٢٥٣ (٧٦٢) سنن الترمذي ٢/ ٨٣ (٢٩٠).

ويوضح الشافعي ويضع النقاط على الحروف في هذا الموضع الدقيق، ويقول[١]:

" ولو لم يزد رجل في التشهد على أن يقول: التحيات لله، أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وصلى على رسوله، كرهت له ذلك، ولم أر عليه إعادة، لأنه قد جاء باسم تشهد وصلاة على النبي، وعلى عباد الله، والتشهد في الأولى، والثانية، لفظ واحد، لا يختلف ".

بـ مذهب اتباع الشافعي:

ذهب الأئمة المجتهدون في مذهب الإمام الشافعي - على الصحيح - أن الصلاة على الآل سنة في التشهد.

يقول النووي[٢]:

"والصلاة على النبي فرض في التشهد الأخير، والأظهر سنها في الأول، ولا تسن على الآل في الأول على الصحيح، وتسن في الآخر ".

وقال أيضاً[٣]:

"وفي الصلاة على الآل وجهان ... والمذهب أنها: لا تجب للإجماع ... الصحيح المنصوص وبه قطع جمهور الأصحاب أنها لا تجب ".

وأقل ما تصح به من الصلاة على النبي، قال الشافعي، والأصحاب[٤]:

"هو أن يقول: اللهم صلّ على محمد ".

جـ بقية المذاهب:

لم يوجب الإمام أبو حنيفة ومالك، الصلاة على النبي، وبالطريق الأولى لا يجب على الآل[٥].

---

(١) نفسه ١/ ١١٨.

(٢) القفال: سيف الدين، محمد بن أحمد الشاشي (ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م) حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق: ياسين أحمد إبراهيم، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ٢/ ١٨٠، الشربيني: مغني المحتاج ١/ ١٧٤، الغزي: فتح القريب المجيب ص ١٧.

(٣) النووي: المجموع شرح المهذب، طبعة دار الفكر، ٣/ ٤٦٤، ٤٦٥.

(٤) المصدر نفسه ٣/ ٤٦٦.

(٥) عالمكير: محي الدين، محمد أورنك، الفتاوى الهندية، الطبعة الثالثة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م (تصوير طبعة بولاق

وفي مذهب الإمام أحمد وجهان للصلاة على النبي دون الآل[(١)].

د- عدم ورود ذلك في المصادر الأساسية والقديمة، بل عدم وجود ذكرها حتى في مصادر القرن الخامس، من الكتب المشهورة [(٢)].

هـ- من المعروف أن عصر الشافعي عصر إسناد، لماذا لم تصلنا هذه الأشعار عن طريق الإسناد كما رويت بقية أشعاره[(٣)]؟!.

و- والذي نرجحه أن سبب نسبة هذه الأبيات إلى الشافعي كان لوجود ثغرتين:

- وجود مذهب شاذ في مذهب الشافعي- دون بقة المذاهب - بوجوب الصلاة على الآل.
- وجود شخص يحمل كنية الشافعي وهو ابن إدريس[(٤)]، الذي نسب كثيراً من الأبيات تحت تدليس كنيته إلى الإمام الشافعي[(٥)].

ز- ونرجح أن تكون هذه الأبيات قد وضعت أما في العهد البويهي أو الصفوي، والأخير أرجح عندنا.

= - مصر ١٣١٠هـ) ١/ ٧١-٧٢، المالكي: عبد الرحمن بن القاسم (ت ١٩١هـ/ ٨٠٦م) المدونة الكبرى، مطبعة السعادة - مصر ١/ ١٤٣.

(١) ينظر ابن قدامى: المغني ١/ ٥٧٩.

(٢) ولم يذكر حتى اسمه في تلك المصادر، ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٥١٠، تاريخ اليعقوبي٣/ ١٥٠-١٥١، تاريخ الأمم والملوك ٨/ ٥٧٤-٥٧٦، التنبيه والاشراف ص٣٠٣-٣٠٤، وممن ذكره لم ينسب إليه من هذه الأبيات من التقدمين والمتأخرين: المسعودي: مروج الذهب ٤/ ٢٦-٢٧، أبو نعيم: حلية الأولياء ٩/ ٦٣-١٦١ (٤١٥) وقد ذكر له حوالي (١٠٠) بيت من الشعر، الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ٥٦-٧٣ (٤٥٤)، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥/ ١٩٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤/ ١٦٣-١٦٩(٥٥٨)، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١-٢٥٤.

(٣) ينظر أبو نعيم: المصدر السابق ٩/ ٨٠-٨٣، ١٣١، ١٤١، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩وصفحات أخرى، ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ١٦٦.

(٤) هو محمد بن أحمد بن إدريس الحلي، من اعيان الروافض (ت ٥٩٨هـ) ينظر القمي: الكنى والألقاب ١/ ٢٠٥، وينظر كذلك الآلوسي: مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٣٤-٣٥، ٦٣، وانظر كذلك: مجاهد مصطفى: شعر الشافعي ص ٣٢.

(٥) ينظر الآلوسي: المصدر السابق ص ٣٤-٣٥.

الفصل السابع

تطبيقات أخرى

يتطرق هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

- المبحث الأول: عصر الصحابة.
- المبحث الثاني: عصر التابعين.
- المبحث الثالث: عصر أتباع التابعين.



الفصل السابع

تطبيقات أخرى

المبحث الأول

عصر الصحابة

سقيفة بني ساعدة[1]:

١- سقيفة بني ساعدة في الأخبار الضعيفة والموضوعة[2].

يقول الطبري [3]:

"حدّثنا[1] هشام بن محمد، عن أبي مخنف[2]، قال:

---

(١) هي ظلة كانوا يجلسون تحتها، فيها بويع أبو بكر الصديق ﷺ وبنو ساعدة هم: حيّ من الانصار. وهم: بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة الأنصاري، ينظر: الحموي: معجم البلدان ٣/ ٢٢٨-٢٢٩ (سقيفة بني ساعدة)، الفيروزآبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق: حمد الجاسر، الطبعة الأولى، دار اليمامة- الرياض ١٣٨٩هـ ص١٨١، وينظر كذلك: المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٤٧.

(٢) لم يذكر المسعودي- مع كون منهجه خارجا عن منهجنا- إلا ذكراً يسيرا عن السقيفة وملّخصا جداً وهو: أن أبا بكر، بويع في السقيفة، يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله، ﷺوأضاف في التنبيه: أن الأنصار نصبت للبيعة سعد بن عبادة، وقد وقعت منازعة طويلة في ذلك، ينظر: مروج الذهب ٢/ ٣٠٥، التنبيه والإشراف ص٢٤٧، مع أنه لا يخفى تشيع المسعودي وطعونه في الصحابة، وقد خدم التشيع بذكاء وبطريقة تخفى على كثير من الناس. ينظر: ابن العربي: القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، الطبعة الخامسة، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٩٩هـ ص٢٢٢، ابن تيمية: منهاج السنة ٢/ ١٦٣، ابن خلدون: المقدمة: ص٣، ابن حجر: لسان الميزان ٤/ ٢٢٥، (د) سليمان حمد العودة: نزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية ص٥٢، السويكت: سليمان: منهج المسعودي في كتابة التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ص٧٤، ٤٠٠.

(٣) ولد على الصحيح سنة (٢٢٤ وقيل ٢١٤هـ) وتوفي (٣١٠هـ) وهو إمام جليل، ثقة، ينظر: ابن الجوزي: المنتظم ٦/ ١٧٠ (٢٨٥)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٩٨-٤٩٩ (٧٣٠٦)، العبر ١/ ٤٦٠.

حدثني عَبْدِ الله[٣] بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[٤] بْنِ أَبِى عَمْرَةَ الانصاري[٥] أن النبي ﷺ لما قبض، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقالوا:

نولّي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام، سعد بن عبادة، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض

---

(١) هذا وهم من النساخ، والصحيح (حُدِّثنا عن هشام) وقد ورد حُدِّثت عن هشام في عدد من المرات في تاريخ الطبري ينظر على سبيل المثال ٣/ ٢٠٠، ٢٠٩، لأن هشام توفي على الصحيح سنة (٢٠٤هـ) حيث لم يدركه الطبري، وهشام متروك الحديث، لا يوثق به، ينظر: الذهبي: المصدران السابقان ٤/ ٣٠٤-٣٠٥ (٩٢٣٧)، ١/ ٢٧١.

(٢) (ت١٥٧هـ) تالف مجمع على ضعفه، ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤١٩-٤٢٠ (٦٩٩٢)، سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٠١، ابن حجر: لسان الميزان ٤/ ٤٩٢.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري الخزرجي المازنى، ذكره البخاري في: تاريخه الكبير، وذكره ابن حبان في: ثقاته، وابن أبي حاتم في: الجرح والتعديل، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وعمه مجهول لا يعرف اسمه، ولم يروِ عنه غير ابن أخيه عبد الله هذا. ووهم ابن حجر رحمه الله في: أطراف المسند، فسماه: عبيد الله مصغراً، وهما.

ينظر عنه: التاريخ الكبير ٥/ ١٣٦ (٤٠٨) ابن حبان: الثقات ٧/ ٤٥ (٨٩٣٣) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٥/ ٩٦ (٤٤٣)، ابن حجر: أطراف المسند ٨/ ٢٢٠.

وهذه الرواية، أطول رواية وردت في تاريخ الطبري في السقيفة وبيعة أبي بكر، وهي رواية في أول إسنادها انقطاع، وحال هشام وأبي مخنف معلومان، ولا نعلم هل لقي أبو مخنف عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري وروى عنه، حيث بعد الرجوع إلى المصادر المتوفرة لدّي لم أصل إلى شيء من ذلك. والخبر أيضاً مرسل وهو أن عبد الله بن عبد الرحمن لم يشهد السقيفة، وسند هذه الرواية ضعيف جداً والى الوضع اقرب، أما متنه فمظلم ومُنكر خالف ما وصف الله به الصحابة في الكتاب والسنة من المحبة والأخوة.

(٤) عبد الرحمن بن أبي عمرة واسمه عمرو بن محصن وقيل محمد الأنصاري النجاري المدني أبوه صحابي شهير- كما سيأتي - وأما هو فقال بن سعد ولد في عهد النبي ﷺ واختلف في صحبتة، والصحيح أنه ليس له صحبة، كان ثقة كثير الحديث، ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٢/ ٩٨٣ (٩٢٢) ابن حبان: الثقات ٥/ ٩١ (٣٩٩٩) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٥/ ٢٧٣ (١٢٩٧) ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/ ٢٤٢- ٢٤٣ (٤٨٦) الإصابة ٥/ ٤٥ (٦٢٣٢)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٢٣٢.

(٥) أبو عَمرَةَ في آخره هاءٌ هو أبو عَمرَة الأنصاري، اختلف في اسمه، فقيل: بشير. وقيل: ثعلبة بن عمرو بن مِحصن ابن عَمرو بن عَتِيك بن عمرو بن مَبْذول، واسمه عامر بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي وقال: (من بني مازن بن النجار).

والأول أصح، وفي بني مالك بن النجار ذكره ابن إسحاق. شهد بدراً وشهد أُحداً والمشاهد، وقتل مع علي بصفين، قاله أبو نَعيم، وأبو عمر.. ينظر ترجمته: أسد الغابة ٦/ ٢٤٣ (٦١٢٢) الإصابة ٧/ ٢٩٠ (١٠٢٩٨).

(وعصبته بعصابة وثبت له وسادة)[١].

فلما اجتمعوا قال لأبنه أو بعض بني عمه:

إني لا اقدر لشكواي أن اسمع القوم كلهم كلامي؛ ولكن تلقَّ منّي قولي، فأسمِعهموه؛ فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله، فيرفع صوته فيُسمع أصحابه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب.

إن محمدا عليه السلام لبث بضعة عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان؛ فما آمن به من قومه إلا رجال قليل.

وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله؛ ولا أن يعزّوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضَيما عُموّا به؛ حتى إذا أراد بكم الفضيلة، ساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه؛ والجهاد لأعدائه؛ فكنتم اشد الناس على عدّوه منكم، وأثقله على عدوه من غيركم؛ حتى اثخن الله عز وجلّ لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راض، وبكم قرير عين.

إستبدّوا بهذا الأمر، فإنه لكم دون الناس.

فأجابوه بأجمعهم؛ أن قد وُفقت في الرأي وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، ونوليّك هذا الأمر، فإنك فينا مَقَنَعٌ ولصالح المؤمنين رضا.

ثم أنهم ترادّوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش.

فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله ﷺ الأولون؛ ونحن عشيرته وأولياؤه؛ فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده!.

فقالت طائفة منهم:

فإنا نقول إذا؛ منا أمير ومنكم أمير؛ ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً، فقال سعد بن عبادة حين سمعها؛ هذا أول الوهن!.

---

(١) ينظر هذه الزيادة: تاريخ اليعقوبي ٢/ ٨٢، وهذا التاريخ أيضاً خارج عن نطاق منهجنا لكونه لا يعتمد على الإسناد، واليعقوبي، شيعي متحمس لا يعتمد عليه في مثل هذه القضايا الهامة في تاريخ الإسلام. ينظر: بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/ ٦٥، فلهوزن: أحزاب المعارضة ص١٧٩.

وأتى عمرَ الخبرُ، فأقبل إلى النبي ﷺ، فأرسل إلى أبي بكر، وأبو بكر في الدار، وعلي بن أبي طالب عليه السلام، دائب في جهاز رسول الله ﷺ.

فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إليَّ، فأرسل إليه:

إني مشتغل؛فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره؛فخرج إليه.

فقال: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة، يريدون أن يوّلوا هذا الأمر سعد بن عبادة، وأحسنهم مقالة من يقول: منا أمير ومن قريش أمير.

فمضيا مسرعين نحوهم؛ فلقيا أبا عبيدة بن الجراح؛ فتماشوا إليهم ثلاثتهم، فلقيهم عاصم بن عدي(١)، وعُوَيمُ بن ساعدة(٢) فقالا لهم: ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون.

فقالوا:

لا نفعل، فجاؤوا وهم مجتمعون.

فقال عمر بن الخطاب:

أتيناهم- وقد كنت زوّرت كلاماً(٣) أردت أن أقوم به فيهم- فلما أن دفعت إليهم ذهبت لأبتدئ المنطق فقال لي أبو بكر: رُويدا حتى أتكلم ثم أنطق بعدُ بما أحببت.

فنطق، فقال عمر:

فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به أو زاد عليه.

فقال عبد الله بن عبد الرحمن(٤):

فبدأ أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه؛ ثم قال:

إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه، وشهيدا على أمته، ليعبدوا الله ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى؛ ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة؛ وإنما هي من حَجَر منحوت،

---

(١) هو عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان العجلاني حليف الانصار، لم يشهد بدرا على الصحيح، صحابي جليل معمر مات سنة (٤٥هـ) عن (١٢٠) سنة ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١٣٤/ ١٣٥، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٤٦ (٣٤٥٣).

(٢) هو: عُوَيم بن ساعدة بن عائش الأنصاري صحابي شهد العقبة وما بعدها، مات في خلافة عمر على الصحيح. ينظر ابن عبد البروابن حجر: المصدران نفسيهما ٣/ ١٧١-١٧٣، ٣/ ٤٤-٤٥ (٦١١٢).

(٣) أي هيأته ينظر: لسان العرب ٢/ ٦٣ (زوّر).

(٤) هو راوي الخبر.

وخشب منجور، ثم قرأ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨].

وقالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمؤاساة له، والصبر معه على شدّة أذى قومهم لهم، وتكذيبهم إياهم؛ وكل الناس لهم مخالف؛ زارٍ[١] عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم، وشَنَفِ[٢] الناس لهم؛ وإجماع قومهم عليهم.

فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول؛ وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار، مَن لا ينكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، وفيكم جِلة أزواجه وأصحابه؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا أحد بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتانون بمشورة، ولا نقضي دونكم الأمور.

قال: فقام الحُباب بن المنذر بن الجموح[٣] فقال:

يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم؛ فإنَّ الناس في فيئكم وفي ظلكم؛ ولن يجترئ مجترئ على خلافكم؛ ولن يُصدِر الناس إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز والثروة، وأولو العدد والمنعة والتجربة، ذوو البأس والنجدة؛ وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون؛ ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم؛ فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم؛ فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر:

هيهات لا يجتمع إثنان في قَرَن[٤]! والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم.

---

(١) أي طاعن فيهم ينظر: الزاوي: طاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابي الحلبي ٢/ ٤٤٤، وفي ابن اثير: الكامل ٢/ ٢٢٣ زارٍ عليهم، والزأر، صوت الأسد، ينظر: الرازي: مختار الصحاح ص٢٦٧ (زأر).

(٢) أي يبغضونهم ينظر: لسان العرب ٢/ ٣٦٩ (شَنَف).

(٣) هو: الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، شهد بدرا والمشاهد كلها، أشار رسول الله في بدر بتغيير مكانه، وكان ذا رأي. مات في خلافة عمر: ينظر: ابن عبد البروابن حجر: المصدران السابقان ١/ ٣٥٤، ١/ ٣٠٢-٣٠٣ (١٥٥٢).

(٤) هو: جمعك بين دابتين في حبل، أي يستحيل جمع أميرين على حكومة واحدة، ينظر: ابن منظور: المصدر

ولكن العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم وولي أمورهم منهم؛ ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجّة الظاهرة والسلطان المبين؛ مَن ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته؛ ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٍ بباطل، أو متجانف لإثم، ومتورط في هلكة!.

(وقام عبد الرحمن بن عوف[1] وتكلم فقال:

يا معشر الأنصار، إنكم وإن كنتم على فضل فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي.

وقام المنذر بن الأرقم[2] فقال:

السابق ٣/ ٧٥، لم أجد المثل في كتب الأمثال فيما رجعت إليه إلا بصيغة (لا يجتمع سيفان في غمد)، ينظر الميداني: أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م) مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار الجيل - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م ٣/ ١٨٤ (٣٥٨٩).

(١) هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي أحد السابقين الأولين، وأحد العشرة المبشرة، وأحد الستة أصحاب الشورى (ت٣١ وقيل ٣٢هـ) ينظر: ابن عبد البر وابن حجر ٢/ ٣٩٣/ ٣٩٨، ٢/ ٤١٦-٤١٧ (٥١٧٩).

(٢) لم أقف على ترجمته فيما رجعت إليه من المصادر، قبل قرابة ثلاثة عقود ثم راجعت بعد ذلك عشرات من أمهات المصادر - إن لم تكن مئات - المتعلّقة بالصحابة والطبقات والتراجم والتاريخ وغيرها، فلم أجد له ذكرا لأي كاتب وفي أي مصدر !.

وهذا دليل آخر أن: اليعقوبي، أو أحدا ممن يعتنق مثل توجهه وعقيدته - حين أفلس - عن رواية الخبر المذكور بالسند، الذي هو: عادة وقانون عصرهم، وذلك من أجل التضليل، ودسّ ما يشاء أن يدّسه في تاريخنا وتراثنا، لأن من المعروف أن من يعدل عن الإسناد إلى غيره - الغالب عليه - سوء الطوية والنيّة، فلما لم يجد شيئاً يتعلق به، صنع راويا، أو بالأحرى بطلا - مثل الغول في الصحراء، أو العنقاء - من الصحابة كما يزعم، كي ينتصر لدينه وعقيدته !.

لكن هيهات هيهات، فالكذب حبله قصير !فلو كان هذا هذا البطل موجودا، لذكره رجال كتب الحديث، وكتب الصحابة، والتابعين والتراجم والتاريخ والطبقات، وعدم ذكره في جميع هذه المصادر، دليل أنه: بطل مصنوع من أبطال الشيعة الضالّين التابعين للفرس.

والخبر كله باطل لأمور:

١- لأنه بدون سند.

٢- وبعض ما ذكر من السند فيه مجاهيل.

٣- من رواية اليعقوبي المتهم بالتشيّع معدن الكذب، كما يتفق على ذلك علماء المسلمين.

٤- الخبر واضح أنّه وضع من أجل نصرة دين وعقيدة معيّنة وهي: عقيدة ودين الشيعة، ولو كان في غير هذا الموضوع، لكان من الممكن النظر فيه، إذا شفعّت له رواية أخرى، أو ذكره مؤرخ موثق !!!.

ما ندفع فضل من ذكرت، وإن فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر، لم ينازعه فيه أحد- يعني علي بن أبي طالب)[١].

فقام الحُباب بن المنذر فقال:

يا معشر الأنصار، أملِكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور؛ فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين؛ أنا جُذيلها المحكَّك[٢] وعُذيقها المُرَجَّب[٣] أما والله لئن شئتم لنعيدنّها جَذَعَة[٤]؛ فقال عمر: إذا يقتلك الله! قال: بل إياك يقتل!.

فقال أبو عبيدة:

يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر؛ فلا تكونوا أول مَن بدل وغيّر.

(قال سعد: صدقت، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء)[٥].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٨٢-٨٣.

(٢) تصغير جِذل، وهو العود الذي ينصب للابل الجَرْبى لتحتكّ به، أي أنا ممّن يستشفى برأيه ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٥١ (جَذَل).

(٣) الترجيب: أن تُدعم الشجرة إذا كثر حملها لئلا تتكسر أغصانها، أي أنا صاحب عشيرة. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق ١/ ١١٢٤ (رجب).

(٤) أي أول ما يبتدئ فيها، يريد بذلك إرجاع المدينة على العهد الأول قبل الهجرة! ينظر: المصدر نفسه ١/ ٤٢٤ (جذع).

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٠٣ وقد رواه عن زكريا بن يحيى الضرير، قال: حدثنا أبو عوانة، قال: حدثنا داود بن عبد الله الاودي، عن حُميد بن عبد الرحمن الحميري.

أما زكريا فهو ابن يحيى بن أيوب أبو علي الضرير المدائني، لم أقف على وفاته، وهو مجهول الحال (فيما رجعت إليه من المصادر) وربما ادركه الطبري، لأن الضرير روى عن شبابه بن سوار(ت٢٠٤-٢٠٦هـ)

وروى عن شبابة أيضاً الحسين بن إسماعيل المَحَامَلي (ت٣١٠هـ) فيكون بذلك قد ادركه الطبري، ينظر ترجمة الضرير، الخطيب: تاريخ بغداد ٨/ ٤٥٧-٤٥٨ (٤٥٧١). وترجمة سوّار، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٣٤٥ (٦)، وترجمة المحاملي؛ الذهبي: العبر ٢/ ٣٧.

لكن الضرير روى حديثاً ينظر الخطيب: المصدر السابق ٨/ ٤٥٧-٤٥٨، موافقا للفظ مسلم في صحيحه ينظر: النووي شرح صحيح مسلم ١٧/ ١٩٧-١٩).

وأبو عوانة هو: وضاح بن عبد الله اليشكري (ت١٧٦هـ) ثقة، ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٠٨، ابن حجر: المصدر السابق ١١/ ١١٦-١٢٠ (٢٠٤).

==

فقام بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير[١] فقال:

يا معشر الأنصار؛ إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين؛ ما أردنا به إلا رضى ربنا وطاعة نبينا؛ والكَدْحَ لأنفسنا؛ فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا؛ فإن الله وليّ المنّة علينا بذلك: ألا إن محمدا ﷺ من قريش، وقومه أحق به وأولى.

وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدا، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم!.

فقال أبو بكر:

هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا، فقالا: لا والله لا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ هما في الغار، وخليفة رسول الله على الصلاة؛ والصلاة أفضل دين المسلمين؛ فمن ذا ينبغي له أن يتقدّمك أو يتولى هذا الأمر عليك! ابسط يدك نبايعك.

فلما ذهبا ليبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد، فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر:

يا بشير بن سعد عَقَقْتَ[٢] عقاق؛ ما أحوجك إلى ما صنعت، أنفسْتَ[٣] على ابن عمك الإمارة ؟!.

فقال:

لا والله، ولكنّي كرهت أن أنازع قوما حقّا جعله الله لهم.

وداود بن عبد الله الاودي الكوفي، ثقة، لم أقف على تاريخ وفاته، ينظر: المصدر نفسه ٣/ ١٩١ (٣٦٤)، الخزرجي: خلاصة التهذيب ص١١٠.

وحُميد بن عبد الرحمن الحميري، تابعي من الثالثة، روى عن علي، وأبي هريرة، ثقة فقيه لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن حجرو الخزرجي: المصدران السابقان ٣/ ٤٦ (٧٨)، ص٩٤. وهذا الخبر مرسل، حيث أن حميد لم يدرك السقيفة.

(١) هو: بشير بن سعد بن ثعلبة بن جُلاس وقيل خَلاّس الأنصاري الخزرجي، من السابقين الأولين، وهو أول من بايع أبا بكر يوم السقيفة، قتل في عين التمر أيام أبي بكر الصديق ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ١٤٩-١٥٠، ابن حجر: الإصابة١/ ١٥٨ (٦٩٤).

(٢) في الطبري عقتك، والتصحيح من الكامل في التاريخ، وعَقاقِ، مبنية على الكسر مثل حذامِ، والمراد بها العقوق يتظر: ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٨٤٣ (عقق)

(٣) أي: اضننت وابخلت ينظر: الرازي: مختار الصحاح ص٦٧٢ (ن. ف. س)

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض، وفيهم أسيد بن حُضير[١] وكان أحد النقباء:

والله لئن وَليتَها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة؛ ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر.

فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة، وعلى الخزرج ما كانوا اجمعوا له من أمرهم.

قال هشام، عن أبي مخنف، قال عبد الله بن عبد الرحمن:

فاقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد[٢]:

اتقوا سعدا ولا تطؤوه!.

فقال عمر:

اقتلوه قتله الله! ثم قام على رأسه، فقال:

لقد هممت أن أطأك حتى تُندَرَ عضُدك[٣].

فأخذ سعد بلحية عمر، فقال:

والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة[٤]!.

فقال أبو بكر:

مهلا يا عمر! الرفق ها هنا ابلغ، فاعرض عنه عمر.

وقال سعد:

أما والله لو أن بي قوة مّا، أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً..

---

(١) هو: أُسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الاشهلي، من السابقين الأولين، من أفاضل الصحابة (ت٢٠ وقيل ٢١هـ) في زمن عمر ينظر ابن عبد البروابن حجر: المصدران السابقان ١/ ٥٣-٥٦، ١/ ٤٩ (١٨٥).

(٢) أعاد السند بعد أن قطعه برواية أخرى صغيرة تتعلق بمبايعة قبيلة أسلم أبا بكر.

(٣) أي تسقط عن موضعها ينظر: ابن منظور: المصدر السابق ٣/ ٦٠٧ (ندر).

(٤) الواضحة: الأسنان التي تبدو عند الضحك، ينظر: ابن منظور: المصدر نفسه ٣/ ٩٤٠ (وضح).

يُجحِرُك[١] وأصحابك، أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع! احملوني من هذا المكان فحملوه، فأدخلوه في داره، وترك أياما ثم بعث إليه أن أقبِل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك.

فقال:

أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي وأخضب سنان رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومَن أطاعني من قومي؛ فلا أفعل، وأيم الله لو أن، الجن اجتمعت لكم مع الأنس ما بايعتكم، حتى أعرض على ربي، وأعلم ما حسابي !.

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر:

لا تدعه حتى يبايع !.

فقال له بشير بن سعد: أنه قد لجَّ وأبى؛ وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يُقتل ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته؛ فأتركوه فليس تركه بضاركم؛ إنما هو رجل واحد.

فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه؛ فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم؛ فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله"[٢].

وفي رواية أخرى بعد أن قام الحُباب بن المنذر وتكلم:

"فحامله عمر فضرب يده، فندرَ[٣] السيف، فأخذه، ثم وثب على سعد، ووثبوا على سعد؛ وتتابع القوم على البيعة، وبايع سعد؛ وكانت فلتةً[٤] كفَلَتات الجاهلية؛ قام أبو بكر دونها.

وقال قائل حين أوطئ سعد: قتلتم سعدا!.

فقال عمر:

---

(١) أي يدخلك الجحر. ينظر: نفسه ١/ ٤٠٤-جحر).

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢١٨-٢٢٣، الكامل في التاريخ ٢/ ٢٢٢-٢٢٤ باختلاف يسير.

(٣) أي سقط. ينظر: الرازي: المصدر السابق ص٦٥٢ (ن د ر).

(٤) الفلتة أي الفجأة، وقيل كل شيء فُعِل من غير رويّة، وإنما بودِرَ بها خوف انتشار الأمر. ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٦٧ (فَلَت).

قتله الله! إنه منافق، واعترض عمر بالسيف صخرة فقطعه"[١].

ويكملّ اليعقوبي هذه المسرحية لصالح عليّ رضي الله عنه ويقول:

"وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم، وقال:

يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر !.

فقال بعضهم:

ما كان المسلمون يحدثون حدثا، نغيب عنه، ونحن أولى بمحمد.

فقال العباس:

فعلوها ورب الكعبة، وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في علي عليه السلام!!.

فلما خرجوا من الدار، قام الفضل بن العباس، وكان لسان قريش، فقال:

يا معشر قريش إنه ما حققت لكم الخلافة بالتمويه، ونحن أهلها دونكم، وصاحبنا أولى بها منكم، وقام عتبة بن أبي لهب[٢] فقال:

---

(١) الطبري: المصدر السابق ٣/ ٢٢٣، عن عبيد الله بن سعد، قال حدثنا عمي، قال: أخبرنا سيف بن عمر، عن سهل وأبي عثمان، عن الضحاك بن خليفة. وعبيد الله هو: ابن سعد (وليس بن سعيد كما في الطبرييظر: المصدر نفسه ٣/ ٢٠٧، ٢٢٣) بن إبراهيم بن سعد الزهري. (ثقة ت٢٦٠هـ) ينظر: ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٥٣٣ (١٤٤٩)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٢٥٠ وعم عبيد الله هو: يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، ثقة (ت٢٠٨هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٣٥-٣٣٦ (٣١٧) وفيه خطأ لأحد النساخ حيث ارخ لوفاته سنة (١٠٨هـ) ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ٣٨٠-٣٨١ (٧٤١).

وسيف هو: ابن عمر الضبي التميمي الكوفي، ضعيف بالإجماع توفي في عهد الرشيد بحدود (١٨٠هـ)ينظر: النسائي: الضعفاء والمتروكين ص١٢٣ (٢٧١)، ابن حبان: المجروحين من المحدثين ١/ ٣٤٥، الذهبي: الكاشف ١/ ٣٣٣، المغني ١/ ٢٩٢، الميزان ٢/ ٢٥٥-٢٥٦ (٣٦٣٧)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٥/ ٢٩٦ (٥٠٦).

وسهل هو: ابن يوسف السلمي (مجهول) ينظر: الطبري: المصدر السابق ١/ ١٤٣.

وأبو عثمان أيضاً (مجهول).

وضحاك هو: ابن خليفة بن ثعلبة صحابي شهد أحد وما بعدها عاش إلى خلافة عمر انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٢٠٨ ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٠٥-٢٠٦ (٤١٦٢) والخبر بهذا السند موضوع والمتن كذلك موضوع ومظلم.

(٢) هو: عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، شهد حنينا وكان ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، ابن عم النبيِّ ﷺ.

أسلم هو وأخوه مُعَتِّب عام الفتح، وكانا قد هربا، فبعث العباس فأتى بهما فأسلما، فسُرَّ رسول الله ﷺ بإسلامهما، ودعا لهما، وشهدا معه حُنَيْنا والطائف، ولم يخرجا من مكة، ولم يأتيا المدينة، ولهما عقب عند أهل النسب. مات على الأرجح في خلافة أبي بكر ينظر: طبقات ابن سعد ٤/ ٥٩، ٥/ ٤٥٥، تاريخ ابن معين ٢/ ٣٩١-٣٩٢ ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ١١٧، ابن الأثير: جامع الأصول في أحاديث الرسول ١٢/ ٥٩٦ (١٥٠٢) ابن حجر: الإصابة ٢/ ٤٥٥-٤٥٦ (٥٤١٣).

وابنه هو: العباس بن عتبة بن أبي لهب الهاشمي مات أبوه كافرا بدعوة النبي ﷺ قبل الهجرة !!وخلف هذا وكان عند وفاة النبي ﷺ رجلاً.

وما قاله ابن حجر عن موت أبيه: عتبة على الكفر، غير صحيح، إلاّ أن يقصد بأبيه: جدّه أبي لهب فهذا صحيح والله أعلم.

ينظر: الإصابة ٣/ ٦٣٢ (٤٥١١)

وهذه الأبيات نقلها عدد من المتأخرين لكنّهم أجمعوا أنّ قائل هذه الأبيات هو: الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أبي لَهَبٍ.

قال ابن الأثير: وله (أي للعباس بن عتبة بن أبي لهب) ولد اسمه الفضل شاعر مشهور وهو صاحب الأبيات المشهورة في مدح علي، كان معاصرا للفرزدق والاحوص، وله معهما أخبار. ومدح عبد الملك بن مروان، وهو أول هاشمي مدح أمويا بعد ما كان بينهما، فأكرمه، توفي كما يقول الزركلي نحو سنة (٩٥هـ).

ينظر ترجمته والأبيات ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣/ ١١٣٣، تاريخ دمشق ٤٨/ ٣٣٥ - ٣٤٣ (٥٦١٨) ابن الأثير: أسد الغابة ٤/ ١٣٣، الصفدي: الوافي بالوفيات ٧/ ١٧٦ - ١٧٧، ٤٥٩، الإصابة ٣/ ٦٣٢ (٤٥١١) الزركلي: الأعلام ٥/ ١٥٠.

وبهذا التدقيق يتبيّن لنا بوضوح أن عتبة بن أبي لهب الذي أسند إليه اليعقوبي هذه الأبيات:

١- لم يكن شاعرا.

٢- لم يكن له ذكر في قضيّة سقيفة، عند أحد من الخلق - ممن اطلعنا على كتبهم وهم كثير -، وأن بعضهم أصلا لا يعلم متى مات عتبة ؟.

٣ - أن هذه الأبيات (بالإجماع) هو لحفيده: الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أبي لَهَبٍ، وقد مات بحدود سنة (٩٥هـ) أي لم يكن مولودا على عهد رسول الله ﷺ، لأن أباه: العباس بن عتبة قد كان بالغا أي رجلاً في ذلك اليوم؛ أي عند وفاة النبيّ ﷺ.

ولو سلّمنا جدلا أنه كان مولودا، فإنه لا يتعدى عمره أربع أو خمس سنوات في ذلك اليوم !.

فكيف ينشد هذا الشعر في السقيفة ؟.

ومن المؤكدّ أن هذه الأبيات قد قيلت بعد وفاة النبيّ ﷺ، بعشرات السنين، مع أنني أشكّ أصلا أن تكون هذه الأبيات له، لأن من يتديره - وله خبرة في كتب التاريخ، والحديث، والتحقيق، وفي التشيّع - لا يتردد، أن يقول: أنّ هذه الأبيات منحولة، وقد نسّب إلى الفضل زورا وبهتانا ومن صنائع أتباع اليهود والمجوس لأمور:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الأمر مُنْصَرِفٌ عَـنْ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عَنْ أبي حَسَنِ
عـــن أول الناس إيمانا وسابقـــةً وَأَعْلَـمُ النَّاسِ بالقُـرْآنِ والسَّنَنِ
وَآخِـرُ النَّاسِ عَهْداً بِالنَّبِيِّ وَمَـنْ جِبريلُ عَونٌ له في الغُسْلِ والكَفَنِ
مَنْ فِيهِ مَا فيهـــم لاَ تَمْتَرُونَ بِـهِ وَلَيْسَ في القَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الحَسَنِ

فبعث إليه علي عليه السلام فنهاه.

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم: العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، والزبير بن العوام بن العاص، وخالد بن سعيد[١]، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر[٢]، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب[٣]، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة، فقال:

١- أنك لو نظرت في الأبيات، لرأيت فيها غلوا واطرائا واضحا في مدح عليّ ﷺ، ومغالطات دينية وتاريخية كذلك، إذ أن عليّا ﷺ، لم يكن - كما يقول هذا الكاذب - أعلم النّاس بالقرآن والسنّة، فكثير من الصحابة لم يكن بأقل منه شأنا في ذلك، كما أن بعضهم بلا أدنى منازعة كان أعلم منه بالقرآن والسنّة منهم: ابن عمّه: عبد الله بن عبّاس ﷺ أجمعين !.

ومن الصحابة من كان يحفظ من سنّة رسول الله ﷺ، أضعاف ما كان يحفظه علي ﷺ، وكذلك أعلم منه في ذلك، وهم كثير !!!.

وانظر أيها الباحث عن الحق والحقيقة، كيف دسّ هذا اللئيم ورتّب هذا الموضوع، ونسّب أبياتا قد قيل: في غير مناسبة وفي غير زمن ومن قبل غير ناس، إلى مناسبة، وزمن، وناس، المناسبة منها ببراء، والزمن منه بريئ، والرجل المنسوب إليه الأبيات بريئ منها كبراءة الذئب من دم بني يعقوب !!!.

(١) هو: خالد بن سعيد بن العاص الاموي، من السابقين الأولين، هاجر الهجرتين، قيل أنه أسلم مع أبي بكر، ولاه النبي على صدقات مُذحج قتل في معركة اجنادين سنة (١٣هـ) قبل وفاة أبي بكر بايام وقيل في معركة مرج الصفر سنة (١٤هـ) ينظر: ابن عبد البروابن حجر: المصدران نفسيهما ١/ ٣٩٩-٤٠٣، ١/ ٤٠٦-٤٠٧ (٢١٦٧).

(٢) هو: عمار بن ياسر بن عامر بن مالك حليف بني مخزوم، من السابقين الأولين هو وأبوه وأمه، وكان ممن تعذب في سبيل الله، شهد المشاهد كلها، قتل مع علي بصفّين سنة (٣٧هـ) ينظر: ابن عبد البرو ابن حجر: المصدران نفسيهما ٢/ ٤٧٦-٤٨١، ٢/ ٥١٢-٥١٣ (٥٧٠٤).

(٣) هو: أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي، من أصحاب العقبة الثانية، شهد بدرا والمشاهد كلها، وعمر كان يسميه سيد المسلمين، وكان من قراء القرآن الكريم ومن كتبة الوحي (ت٣٠هـ) وهو اصح الاقوال كما يقول ابن حجر ينظر: المصدران نفسيهما ١/ ٤٧-٥٢، ١/ ١٩-٢٠ (٣٢).

ما الرأي ؟.

قالوا:

الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب؛ فتجعل له في هذا الأمر نصيبا يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب حجة لكم على علي إذا مال معكم !.

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة، حتى دخلوا على العباس ليلا، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن الله بعث محمدا نبيا وللمؤمنين وليّا فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم، حتى اختار له ما عنده، فخلى على الناس أمورا ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين فاختاروني عليهم واليا ولأمورهم راعيا، فوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وهْنَاً ولاحَيرة ولا جبنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول: الخلاف على عامة المسلمين، يتخذكم لجأ فتكون حصنه المنيع وخطبه البديع، فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، وإما صرفتموهم عمّا مالوا إليه، ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيبا يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك[1] عنكم، على رسلكم بني هاشم فإن رسول الله منا ومنكم !!.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أي والله، وأخرى إنا لم نأتكم لحاجة إليكم ولكن كرها أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم، فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم.

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال:

أن الله بعث محمدا كما وصفت نبيّا وللمؤمنين وليّا، فمنّ على أمته به عليه حتى قبضه الله إليه، واختار له ما عنده فخلى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق، لا مائلين بزيغ الهوى، فإن كنتَ برسول الله فحقّا أخذتَ، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم، فما تقدمنا في أمرك فرطا ولا حللّنا وسطاً ولا برحنا سخطا.

وإن كان هذا الأمر إنما وجب لك بالمؤمنين فيما وجب، إذ كنا كارهين، ما أبعد قولك من أنهم طعنوا عليك من قولك أنهم اختاروك ومالوا إليك !.

---

(١) بياض في الأصل، لعلّه: (فعدلوا في الأمر) ينظر: الإمامة والسياسة ص١٦.

وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلى على الناس أمورهم، ليختاروا، فاختاروك !.

فأمّا ما قلت:

أنك تجعله لي، فإن كان حقا للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك، فإن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها! فخرجوا من عنده"[١].

ويضيف الطبري[٢]:

"قال أبو سفيان[٣] لعلي:

ما بال هذا الأمر في أقل حيّ من قريش!.

والله لئن شئت لاملأنها عليه خيلا ورجالاً!.

فقال علي:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٢/ ٨٤.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٢٠٩ وقد رواها عن محمد بن عثمان قال: حدثنا أبو قتيبة، قال: حدثنا مالك بن مغول، عن ابن الحرّ ومحمد هو: ابن عثمان بن أبي صفوان (على الصحيح) بن مروان الثقفي ثقة (ت٢٥٠هـ وقيل ٢٥٢هـ) ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٣٣٧/ ٣٣٨ (٥٥٨). الخزرجي: خلاصة التذهيب ص ٣٥١

وأبو قتيبة ربما هو: سلم بن قتيبة الشعيري الخراساني، ثقة (ت٢٠١هـ) ينظر ابن حجرو الخزرجي: ٤/ ١٣٣ / ١٣٤ (٢٢٥)، ص١٤٠-١٤٧.

ومالك هو: ابن مغول بن عاصم ثقة (ت١٥٩هـ) ينظر: الذهبي: العبر ١/ ١٧٨-١٧٩، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٢٢-٢٣ (٣٥).

وابن الحرّ هو: ابن أبي الحرّ. حصين بن مالك بن الخشخاش التميمي البصري. ثقة توفي بحدود سنة (٩٠هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ١/ ٥٥٣ (٢٠٩٠)، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٣٨٨-٣٨٩ (٦٧٥)، تقريب التهذيب ١/ ١٨٣ (٤١٨) وقد أرسل الخبر، حيث أنه لم يشهد الحادثة.

(٣) هو: صخر بن حرب بن أمية القرشي الاموي، أسلم عام الفتح، شهد حنينا والطائف صحابي جليل، أحد دهاة العرب، وشيخ قريش، فُقِئَت عينه يوم الطائف، وقيل فقئت عينه الأخرى يوم اليرموك في سبيل الله، روى ابن حجر بإسناد صحيح قال: فقدت الاصوات يوم اليرموك، إلا صوت رجل يقول: يا نصر الله اقترب، قال (أي الراوي): فنظرت فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد (ت٣١هـ) وقيل غير ذلك. ينظر: ابن عبد البروابن حجر: المصدران السابقان ٢/ ١٩٠-١٩١، ٢/ ١٧٨-١٨٠ (٤٠٤٦) الذهبي: تاريخ الإسلام ص٣٦٩-٣٧٠ (عهد الراشدين).

يا أبا سفيان، طالما عاديت في الإسلام وأهله فلم تضره بذلك شيئاً! إنا وجدنا أبا بكر لها أهلا".

وفي رواية أخرى للطبري[١]:

"فقيل له (أي لابي سفيان) إنه قد ولىّ إبنك، قال وصَلَتْه رَحِم!".

وفي رواية أخرى له أيضاً[٢]:

"لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان: وهو يقول: والله إني لأرى عجاجةً لا يطفئها إلا دم!.

يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم! أين المستضعفان! أين الأذلان: علي والعباس!.

وقال:

أبا حسنٍ! أبسط يدك حتى أبايعك، فأبى علي عليه، فجعل يتمثل بشعر المتلمس:[٣]

ولن يقيمَ على خَسْفٍ[٤] يُراد بـه إلا الأذلاّنِ عَيْرُ الحيِّ والوتِدُ

هذا عَلَى معكوس مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ[١] وَذَا يُشَجُّ فَلا يَبْكِي لَهُ أحــد

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٠٩ عن محمد بن عثمان الثقفي، قال: حدثنا أمية بن خالد، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت.

وأمية هو: ابن خالد بن الأسود بن هدبة، ثقة تكلم فيه ت ٢٠١ وقيل (٢٠٠هـ) ينظر: الذهبي: العبر ١/ ٢٦٠، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٣٧٠-٣٧١ (٦٧٦).

وحمّاد بن سلمة ثقة (ت ١٦٧هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٢-٢٠٣ (١٩٧)، الفيروز آبادي: البلغة ص ٩٤ (١١٥)، ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ١١-١٦ (١٤).

وثابت البناني، ثقة، حجة (ت١٢٣ وقيل ١٢٧هـ) ينظرالذهبي وابن حجر: المصدران السابقان ١/ ١٢٥ (١١٠)، ٢/ ٢-٤ (٢) والخبر مرسل وربما معضل حيث لم يشهد الحادثة.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٠٩ قال حدثت عن هشام، قال: حدثني عوانة.

(٣) هو جرير بن عبد العزى وقيل عبد المسيح الضبعي شاعر من شعراء الجاهلية، وكان يضرب به المثل في الشؤم، توفي نحو (٥٠ ق‌هـ/ ٥٦٩م) ينظر ترجمته ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/ ١١٢ -١١٦، الأصبهاني: الأغاني ٢٩/ ٩٧٧٤ - ٩٨٢٣ (طبعة دار الشعب)، الثعالبي: عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، طبعة مصر ١٣٢٦هـ ص١٧١، وينظر البيت: ديوان شعر المتلمس الضبعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠ م ص ٢٠٨.

(٤) في الديوان يسام به ينظر: ص٢٠٨.

قال: فزجره علي، وقال: أنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت الإسلام شراً! لا حاجة لنا في نصحك !".

وفي رواية أخرى[٢]:

"أتى عمر بن الخطاب[٣] منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال: والله لاحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة !.

فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف[٤]، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه، فأخذوه!".

وفي رواية[٥]:

"خرجت فاطمة، فقالت:

---

(١) الخسف: الإذلال، وتحميل الإنسان ما يكره. والعكس: شد عنق الدابة إلى إحدى يديه وهو بارك. والرمة: الحبل ينظر على التوالي: لسان العرب ١/ ٨٣١ (خسف)، ٢/ ٨٥٢ (عكس)، ١/ ١٢٢٩ (رمم).

(٢) الطبري: المصدر السابق ٣/ ٢٠٢، رواه عن ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد بن كليب.

ابن حميد هو: محمد بن حميد بن حيان الرازي حافظ ضعيف كذبه جمع من أئمة الجرح والتعديل وقال بعضهم يركب الاسانيد على المتون وقال الذهبي: لا يحتج به (ت٢٤٨هـ) ينظر: البخاري: التاريخ الكبير ١/ ٦٩ -٧٠): الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٣٠-٥٣١ (٧٤٥٣)، العبر ١/ ٣٥٦، سير اعلام النبلاء ١٢/ ٧٧، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ١٢٧-١٣١ (١٨٠)، الخزرجي: خلاصة التهذيب ص٣٣٣.

وجرير هو: ابن عبد الحميد بن قرط الضبي الكوفي، ثقة كان يهم في آخر عمره (ت١٨٨هـ) ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٢/ ٥٠٥، الذهبي: سير اعلام النبلاء٩/ ٩، العبر١/ ٢٣١، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٧١-٢٧٢ (٢٥٧). ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٤-٣٩٦ (١٤٦٦)، الكاشف ١/ ١٨٢ ومغيرة هو: ابن مقسم الضبّي أبو هشام، ثقة، لكنه يدلّس (ت١٣٦هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ١٦٥-١٦٦ (٨٧٢٣)، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٢٦٩-٢٧١ (٤٨٢).

وزياد هو: ابن كليب أبو معشر الحنظلي الكوفي، ثقة (ت ١٢٠هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٣/ ٣٨٢ (٦٩٨)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص١٢٥، وزياد لم يشهد الحادثة فقد ارسل الخبر.

والخبر بهذا السند باطل، لوجود من لا يحتج به في السند، ووجود الإرسال في آخره.

(٣) في تاريخ اليعقوبي:

"وبلغ أبا بكر وعمر إن جماعة من المهاجرين والانصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار ...الخ" ينظر: ٢/ ٨٥.

(٤) في اليعقوبي: أن الذي خرج، علي ومعه السيف، فلقيه عمر فصارعه وكسر سيفه. ينظر: ٢/ ٨٥.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٨٥.

والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجِن[١] إلى الله!.

فخرجوا، وخرج من كان في الدار، وأقام القوم أياما ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع ولم يبايع علي عليه السلام إلا بعد ستة أشهر، وقيل أربعين يوما".

٢- السقيفة في الأخبار الصحيحة والحسنة:

كانت وفاة رسول الله ﷺ يوم الاثنين من ربيع الأول سنة إحدى عشرة بلا خلاف وكاد يكون إجماعا[٢].

وأختلف في مدة مرضه ﷺ، وفي سند صحيح أنها عشرة أيام[٣]، وكان سبب وفاته ﷺ والله اعلم كما تروي عائشة رضي الله عنها :

(كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوانُ[٤] وجدتُ انقطاع أبهري[٥] مِن ذلك السُّم)[٦].

وكان وفاته ﷺ بعد الزوال يوم الاثنين على الصحيح، قال أنس[٧]:

(آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين كشف الستارة، والناس خلف أبي بكر، فنظرت إلى وجهه كأنه ورقة مصحف، فأراد الناس أن ينحرفوا، فأشار إليهم أن امكثوا ألقى السجف[٨]. وتوفي من آخر ذلك اليوم).

---

(١) والعاجِنُ: هو المُعتمِدُ على الأرض بجُمْعِهِ إذا أراد النهوض لعلّة، أي أنها تدعوا الله عليهم لضعفها! ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٦٩٩.

(٢) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٥٨-٥٩، الطبري: المصدر السابق ٣/ ١٩٩، السهيلي: الروض الأنف ٧/ ٥٧٨، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٢٣، ابن كثير: البداية والنهاية ٥/ ٢٥٤، ابن حجر: فتح الباري ٨/ ١٢٩، التلمساني: أبو الحسن علي بن محمد (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) تخريج الدلالات السمعية، تحقيق محمد أبو سلامة، لجنة التراث الإسلامي في وزارة الأوقاف- مصر ١٤٠١هـ ص٢٣.

(٣) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ١٢٩.

(٤) في رواية أخرى (أوان انقطاع أبهري) بدون (وجدت) ينظر: ابن حجر: المصدر نفسه ٨/ ١٣١.

(٥) والابَهَر: عرق مستبطن بالظهر، متصل بالقلب، ينظر: لسان العرب ١/ ٢٧٥ (بَهَر).

(٦) رواه البخاري، ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ١٣١ (٤٤٢٨).

(٧) البداية والنهاية ٥/ ٢٥٤-٢٥٥، واصل الخبر في البخاري، ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٨/ ١٤٣ (٤٤٤٨).

(٨) السجف: الستر ينظر ابن منظور: المصدر السابق ٢/ ١٠١ (سجف).

وقد توفي ﷺ في بيت عائشة، ورأسه الشريف في حجرها[١]:

(أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَسْأَلُ فِي مَرَضِهِ الذي مَاتَ فِيهِ يَقُولَ: « أين أَنَا غَدًا أين أَنَا غَدًا؟ ».

يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهَا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الذي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيهِ فِي بَيْتِي، فَقَبَضَهُ الله وَإِنَّ رأسه لَبَيْنَ نحري[٢] وَسَحْرِي[٣]، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيقِي.

ثُمَّ قَالَتْ:

دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِى بَكْرٍ[٤] وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَنُّ بِهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم – فَقُلْتُ لَهُ:

أعطني هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ.

فَأَعْطَانِيهِ فَقَضِمْتُهُ، ثُمَّ مَضَغْتُهُ فَأَعْطَيْتُهُ رَسُولَ الله ﷺ فَاسْتَنَّ بِهِ وَهْوَ مُسْتَنِدٌ إلى صدري).

ولم ينص ﷺ على الخلافة عينا لأحد من الناس، لا لأبي بكر ولا لغيره[٥].

وأراد ﷺ أن يكتب كتابا للمسلمين لن يضلوا بعده، قَالَ ابن عَبَّاسٍ[٦]:

(يَوْمُ الْخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ الله ﷺ وَجَعُهُ فَقَالَ:

« ائْتُونِى أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا ».

فَتَنَازَعُوا، وَلاَ يَنْبَغِى عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ ؟.

اسْتَفْهِمُوهُ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ.

فَقَالَ:

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٦١٧ (٤١٨٥)، ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ١٣٢ (٤٤٣٢).

(٢) النَّحر: موضع القلادة من الصدّر، ينظر: الرازي: مختار الصحاح ص٦٤٩ (ن ح ر).

(٣) السّحر: ما التزق بالحلقوم والمريء من أعلى البطن، ينظر: ابن منظور: المصدر السابق ٢/ ١٠٧ (سحر).

(٤) هو: عبد الرحمن بن عبد الله (أبو بكر الصديق) بن عثمان، قيل أسلم مع معاوية ﷺ قبل فتح مكة، وقيل في فتح مكة، صحابي جليل من اشجع رجال قريش وأرماهم بسهم أختلف في وفاته ورجح ابن حجر سنة (٥٨هـ) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٩٩٩-٤٠٢، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٤٠٧-٤٠٨ (٥١٥١).

(٥) ينظر ابن كثير: المصدر السابق ٥/ ٢٥٠.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٦١٢ (٤١٦٨)، ابن حجر: فتح الباري ٨/ ١٣٢ (٤٤٣١).

«دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ».

وَأَوْصَاهُمْ بِثَلاَثٍ قَالَ:

«أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ». وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ، أو قَالَ فَنَسِيتُهَا).

وفي رواية أخرى[(١)]:

(فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ الله[(٢)].

فَاخْتَلَفَ أهل الْبَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ قَرِّبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالاِخْتِلاَفَ قَالَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم - «قُومُوا».

قَالَ عُبَيْدُ الله:

فَكَانَ يَقُولُ ابن عَبَّاسٍ:

إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ لِاخْتِلاَفِهِمْ وَلَغَطِهِمْ).

ولو كان ما أراد كتابته حتماً وواجباً لما تركه ﷺ لأنه يجب عليه التبليغ[(٣)] ﷺ، كما أوصاهم بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وإكرام الوفد.

وقد ثبت أن طلبه الكتاب كان يوم الخميس، وبينه وبين يوم وفاته الاثنين؛ أربعة أيام، وكان

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٦١٢ (٤١٦٩)، فتح الباري ٨/ ١٣٢ (٤٤٣١).

(٢) وهو قول عمر ﷺ، قال ابن حجر: (قال النووي اتفق العلماء على أن قول عمر (حسبنا كتاب الله) من قوة فقهه ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أموراً ربما عجزوا عنها. فاستحقوا العقوبة، لكونها منصوصة، وأراد أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء. وفي تركه ﷺ الإنكار على عمر إشارة إلى تصويب رأيه) ينظر: المصدر السابق ٨/ ١٣٤.

وقد ذكر رسول الله ﷺ الحج (فقال رجل أكل عام يا رسول الله، فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ... الخ) رواه مسلم: شرح صحيح مسلم ٩/ ١٠٠-١٠١).

(٣) يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

فيها متسعاً لكتابة ما كان يريده ﷺ، ولا سيما أنه ﷺ قد صحا يوم الاثنين، وكشف ستر حجرة عائشة، ونظر إلى المسلمين، وهو يبتسم، حتى كاد المسلمون أن يفتتنوا فرحاً به ﷺ[١].

"وهذا يدل على أن الذي أراد أن يكتبه لم يكن أمراً متحتماً، لأنه لو كان مما أمر بتبليغه لم يكن يتركه لوقوع اختلافهم، ولعاقب الله من حال بينه وبين تبليغه، ولبلغه لهم، لفظاً كما أوصاهم بإخراج المشركين وغير ذلك، وقد عاش بعد هذه المقالة اياماً وحفظوا عنه أشياء لفظاً"[٢].

وأراد العباس استفسار ذلك من رسول الله فقال لعلي[٣]:

(اذْهَبْ بِنَا إلى رَسُولِ الله ﷺ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأمر، إنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ فَأَوْصَى بِنَا. فَقَالَ عَلِيٌّ إِنَّا واللهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ الله ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي واللهِ لاَ أَسْأَلُهَا رَسُولَ الله ﷺ).

لكن هناك إشارات واضحات وقويّات، يفهمها كل ذي لب وعقل، أن رسول الله ﷺ قد أشار إلى أبي بكر بالخلافة من بعده[٤].

(قَالَ أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ.

قَالَتْ أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ ؟.

قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

«إِنْ لَمْ تَجِدِينِى فَأْتِى أبا بَكْرٍ»[٥].

وقوله ﷺ في مرض موته[١]:

---

(١) رواه البخاري ينظر: فتح الباري ٨/ ١٤٣ (٤٤٤٨).

(٢) المصدر نفسه ٨/ ١٣٤، ينظر كذلك: أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٥٥٤.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٦١٥ (٤١٨٢)، فتح الباري ٨/ ١٤٢ (٤٤٤٧)، وينظر كذلك ابن كثير: المصدر السابق ٥/ ٢٥١ وقال فهذا يكون قي يوم الاثنين يوم الوفاة، فدل على أنه ﷺ توفي عن غير وصية في الإمارة.

(٤) ينظر ابن كثير: المصدر نفسه ٥/ ٢٥٠.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ١٣٣٨ (٣٤٥٩)، ابن حجر: فتح الباري ٧/ ١٧ (٣٦٥٩)، و١٣/ ٢٠٦ (٧٢٢٠) و١٣/ ٣٣٠ (٧٣٦٠)، النووي: شرح صحيح مسلم ١٥/ ١٥٤، الترمذي: السنن ٥/ ٥٧٤-٥٧٥ (٣٦٧٦)، وقال هذا حديث صحيح، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ١٧٨، الذهبي: تاريخ الإسلام ص١١٠ (عهد الراشدين).

(مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ فَقَالَ:
« مُرُوا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ».
قَالَتْ عَائِشَةُ:
إِنَّهُ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إذا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ.
قَالَ: « مُرُوا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ ».
فَعَادَتْ فَقَالَ:
« مُرِي أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ ».
فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى بِالنَّاسِ في حَيَاةِ النَّبِي ﷺ).

وفي رواية أخرى عن عائشة قالت(٢):

(قَالَ لِي رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ ادْعِي لِي أَبا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى وَيَأْبَى الله وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبا بَكْرٍ).

وكانت وفاة رسول الله ﷺ مصيبة عظيمة في حياة المسلمين(٣):

"لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة؛ أنقطع الوحي، وماتت النبوة.

وكان أول ظهور الشّر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه".

يقول أنس(٤):

(لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ فَلَمَّا

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٤٠ (٦٤٦) صحيح مسلم ١/ ٣١٦ (٤٢٠) وينظر: فتح الباري ٢/ ١٦٤-١٦٥ (٦٧٨-٦٨٢) بعدة روايات وألفاظ، شرح صحيح مسلم ٤/ ١٣٥-١٣٨.

(٢) صحيح مسلم ٤/ ١٨٥٧ (٢٣٨٧) الحميدي: الجمع بين الصحيحين ٤/ ١٣٦ (٣٣٢٢) فتح الباري ١٣/ ٢٠٥ (٧٢١٧)، شرح صحيح مسلم ١٥/ ١٥٥، ابن كثير: المصدر السابق ٥/ ٢٥٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٧٦.

(٤) مسند أحمد ٣/ ٢٢١، الترمذي: السنن ٥/ ٥٨٨ (٣٦١٨) وقال: حديث غريب صحيح، ابن ماجة: السنن ١/ ٥٢٢ (١٦٣١)، قال ابن كثير: إسناده على شرط الصحيحين ينظر: البداية والنهاية ٥/ ٢٧٣-٢٧٤، وهناك روايات أخرى في ذلك ينظر التفصيل: المصدر نفسه ٥/ ٢٧٤، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٢/ ١٧٦.

كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ وَقَالَ مَا نَفَضْنَا عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا).

ولشدة الصدمة قال الناس:

لم يمت رسول الله ﷺ، منهم عمر رضي الله عنه فقام يقول[1]:

(واللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ الله ﷺ.

قَالَتْ وَقَالَ عُمَرُ واللهِ مَا كَانَ يَقَعُ في نَفْسِى إلاَّ ذَاكَ وَلَيَبْعَثَنَّهُ الله فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِىَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ).

وقال[2]:

(وَلَكِنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رَبُّهُ، كَمَا أَرْسَلَ إلى مُوسَى رَبُّهُ، فَقَدْ أَرْسَلَ الله إلى مُوسَى، فَلَبِثَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) الحديث.

وقال مهددا[3]:

(واللهِ لا أَسْمَعُ أَحَدًا يَذْكُرُ أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قُبِضَ إلا ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هَذَا)

وهنا تظهر شخصية رجل الرجال الصديق الأكبر رضي الله عنه وشجاعته وجرأته[4]:

"فإن الشجاعة والجرأة حدّهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ... فظهرت عنده شجاعته وعلمه".

وكان الصديق خارج المدينة بالسُّنح[5]، وطلب الناس لسالم بن عبيد[1] الاشجعي أن يدعو

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٣٤١ (٣٤٦٧)، فتح الباري ٧/ ١٩ (٣٦٦٧)، القرطبي: المصدر السابق ٤/ ٢٢٢.

(٢) عبد الرزاق: المصنف ٥/ ٤٣٣، بإسناد صحيح، مُصنف ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٥٨ (٣٨١٩١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٢٦٦، ٢٦٩ بإسناد صحيح، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ١٤/ ٥٨٧ (٦٦٢٠)، وينظر كذلك: اكرم العمري: عصر الخلافة الراشدة، الطبعة الأولى، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة ١٤١٤-١٩٩٤م ص٣٨.

(٣) ينظر النسائي: السنن الكبرى ٦/ ٣٩٥ (٧٠٨١) أبو بكر الشيباني: الآحاد والمثاني ٣/ ١٢ (١٢٩٩) الطبراني: المعجم الكبير ٧/ ٥٦-٥٧، الهيثمي: مجمع الزوائد ٥/ ١٨٢، وقال: رجاله ثقات.

(٤) القرطبي: المصدر السابق ٤/ ٢٢٢.

(٥) إحدى المحال في المدينة المنورة-بضواحيها-فيها بيت إحدى زوجات أبي بكر رضي الله عنه ينظر: معجم البلدان ٣/ ٢٦٥ (سُنح).

أبا بكر رضي الله عنه فرآه في المسجد فأخبره خبر الوفاة[٢]، فأقبل[٣]:

" أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَتَيَمَّمَ رَسُولَ الله ﷺ وَهْوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى ".

ثُمَّ قَالَ[٤]:

(بِأَبِي أنت وَأُمِّي، والله لاَ يَجْمَعُ الله عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا).

ثم أقبل على الناس[٥]:

(ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ أيها الْحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ. فَلَمَّا تَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ فَحَمِدَ الله أبو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ أَلاَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا - صلى الله عليه وسلم - فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله فَإِنَّ الله حَيٌّ لاَ يَمُوتُ.

وَقَالَ:

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر: ٣٠].

وَقَالَ:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ }[٦].

---

(١) هو: سالم بن عبيد الاشجعي الكوفي، صحابي من أهل الصفة، لم تذكر كتب الرجال شيئاً كثيراً عنه ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٧٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٤٤١ (٨١٢).

(٢) النسائي: كتاب الوفاة، تحقيق محمد زغلول، نشر مكتبة التراث الإسلامي-القاهرة ص٧٣، الطبراني: المصدر السابق ٧/ ٥٦، الهيثمي: المصدر السابق ٥/ ١٨٢ وقال: رجاله ثقات.

(٣) صحيح البخاري ١٤/ ٣٩٣ (٤٤٥٢)، فتح الباري ٨/ ١٤٥ (٤٤٥٢).

(٤) صحيح البخاري ١٤/ ٣٩٤ (٤٤٥٣)، فتح الباري ٨/ ١٤٥ (٤٤٥٣)، ٧/ ١٩.

(٥) ينظر: فتح الباري ٧/ ١٩ وقالت عائشة:

(فما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم نفاقا فردّهم إلى الله بذلك).

رواه البخاري: فتح الباري ٧/ ٢٠ (٣٦٦٩).

(٦) صحيح البخاري ٣/ ١٣٣١ (٣٤٦٧): ابن حجر: المصدر السابق ٧/ ٢٠ (٣٦٦٨).

وقال[١]:

(واللهِّ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الله أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى تَلاَهَا أبو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلاَّ يَتْلُوهَا. فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ واللهِّ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ سَمِعْتُ أبا بَكْرٍ تَلاَهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلاَيَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلى الأرض حِينَ سَمِعْتُهُ تَلاَهَا أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَدْ مَاتَ).

وأدرك المسلمون أن اختيار خليفة لهم في هذا اليوم هو من أفرض وأهم المهام والمسائل الشرعية الملقاة على أعناقهم، لأن ترك المسلمين بدون خليفة سيؤدي إلى فوضى لا نهاية لها، لذلك قدموا ذلك حتى على تشييع ودفن الجسد الطاهر، بل قد فكر بعضهم - كما سلف- في ذلك قبل وفاته ﷺ، وقد فكر النبي ﷺ قبلهم في ذلك أيضاً، لذا اجمعوا على هذا الأمر.

"وكانت الضوابط الشرعية لاختيار المسؤول الأول للدولة تنحصر في قرشيته ومكانته التي يحددها قدمه في الإسلام، وخدمته للدعوة وللدولة، منزلته لدى النبي ﷺ وإمكان إجماع الأمة أو أكثرها على شرعية توليه لرئاسة الدولة وخلافة النبوة"[٢].

وظن الأنصار ﷺ أن لهم في الخلافة نصيبا، وذلك باجتهادهم بما قدموه للمسلمين من عون ومن نصرة لدين الله، فلما سمع أبو بكر بذلك توجه مع عمر وأبي عبيدة إليهم، يقول عمر ﷺ[٣]:

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٦١٨ (٤١٨٧)، المصدر السابق ٨/ ١٤٥ (٤٤٥٤).

(٢) ينظر العمري: عصر الخلافة الراشدة ص٣٩.

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٢٥٠٣ (٦٤٤٢)، ابن حجر: المصدر السابق ١٢/ ١٤٥(٦٨٣٠) وهو حديث طويل جداً وقد اقتصرنا على ما يخص الموضوع، ورواه أحمد أيضاً، ينظر: المسند١/ ١٩٣(شرح أحمد شاكر)، ورواه الطبري ينظر: المصدر السابق ٣/ ٢٠٣-٢٠٦ عن علي بن مسلم، قال: حدثنا عباد بن عباد، قال: حدثنا عباد بن راشد، قال:حدثنا عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس. وعلي هو:بن مسلم بن سعيد الطوسي أبو الحسن، صدوق مات (٢٥٣هـ) ينظر: ابن حجر:تهذيب التهذيب ٧/ ٣٨٢-٣٨٣(٦٢٢)، الخزرجي:خلاصه التهذيب ص٢٧٧.

وعباد هو ابن عباد بن حبيب بن المهلب البصري، ثقة قد يهم (ت١٨٠هـ) ينظر: الذهبي: العبر ١/ ٢١٦-٢١٧، ابن حجر: المصدر السابق ٥/ ٩٥-٩٦(١٦١).

وعباد الآخر هو: ابن راشد التميمي البصري، صدوق، من السابعة ينظر: ابن حجر:تقريب التهذيب ١/ ٣٩١(٨٨)، الخزرجي: المصدر السابق ص ١٨٦، أيضاً بسند الإمام أحمد ينظر ابن كثير: المصدر السابق ٥/ ٢٤٥-٢٤٦، وابن هشام: السيرة النبوية ٤/ ٣٠٧-٣١١ بسند صحيح.

(وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تَوَفَّى اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ إِلاَّ أَنَّ الأنصار خَالَفُونَا وَاجْتَمَعُوا بِأَسْرِهِمْ في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَخَالَفَ عَنَّا عَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَمَنْ مَعَهُمَا[1]، وَاجْتَمَعَ المُهَاجِرُونَ إلى أَبِي بَكْرٍ فَقُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبا بَكْرٍ انْطَلِقْ بِنَا إلى إِخْوَانِنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأنصار.

فَانْطَلَقْنَا نُرِيدُهُمْ فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُمْ لَقِيَنَا مِنْهُمْ رَجُلاَنِ صَالِحَانِ (وهما: عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ[2])[3].

فَذَكَرَا مَا تَمَالَى عَلَيْهِ الْقَوْمُ.

فَقَالاَ أين تُرِيدُونَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ؟.

فَقُلْنَا: نُرِيدُ إِخْوَانَنَا هَؤُلاَءِ مِنَ الأنصار.

فَقَالاَ: لاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تَقْرَبُوهُمْ اقْضُوا أَمْرَكُمْ.

فَقُلْتُ: واللهِ لَنَأْتِيَنَّهُمْ.

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَاهُمْ في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فإذا رَجُلٌ مُزَمَّلٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟. فَقَالُوا: هَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ.

فَقُلْتُ مَا لَهُ ؟.

قَالُوا: يُوعَكُ.

فَلَمَّا جَلَسْنَا قَلِيلاً تَشَهَّدَ خَطِيبُهُمْ، فَأَثْنَى عَلَى الله بِمَا هُوَ أهله ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ فَنَحْنُ أَنْصَارُ الله وَكَتِيبَةُ الإسلام، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ رَهْطٌ، وَقَدْ دَفَّتْ دَافَّةٌ مِنْ قَوْمِكُمْ، فإذا هُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَزِلُونَا مِنْ أَصْلِنَا وَأَنْ يَحْضُنُونَا مِنَ الأمر.

فَلَمَّا سَكَتَ أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ وَكُنْتُ زَوَّرْتُ مَقَالَةً أَعْجَبَتْنِي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ أَبِي بَكْرٍ، وَكُنْتُ أُدَارِي مِنْهُ بَعْضَ الْحَدِّ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ قَالَ أبو بَكْرٍ عَلَى رِسْلِكَ.

---

(١) أوضحت بعض الروايات أنها في بيت فاطمة، ينظر: أحمد: المسند، شرح أحمد محمد شاكر، الطبعة الرابعة، دار المعارف-مصر ١٣٧٣هـ ١/ ١٩٣، تاريخ الأمم والملوك ٣/ ٢٠٥، البداية والنهاية ٥/ ٢٤٦.

(٢) هو معد بن عدي بن الجد بن العجلان وهو أخو عاصم بن عدي الأنصاري، شهد بدرا وما بعدها من خيار الصحابة قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة الصديق ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٤٤٥-٤٤٧، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٤٩/ ٤٥٠ (٨١٥٨) وينظر كذلك: الخطيب البغدادي: الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، تعليق: عز الدين السيد، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي- مصر ١٤٠٥هـ ص٤٨٥.

(٣) مابين القوسين إضافة من عندنا؛ لغرض التوضيح في هذه الرواية.

فَكَرِهْتُ أَنْ أُغْضِبَهُ، فَتَكَلَّمَ أبو بَكْرٍ فَكَانَ هُوَ أَحْلَمَ مِنِّى وَأَوْقَرَ، واللهِ مَا تَرَكَ مِنْ كَلِمَةٍ أَعْجَبَتْنِى فِي تَزْوِيرِى إِلاَّ قَالَ فِي بَدِيهَتِهِ مِثْلَهَا أو أفضل مِنْهَا حَتَّى سَكَتَ.

فَقَالَ: مَا ذَكَرْتُمْ فِيكُمْ مِنْ خَيْرٍ فَأَنْتُمْ لَهُ أهل، وَلَنْ يُعْرَفَ هَذَا الأمر إِلاَّ لِهَذَا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أحد هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ.

فَأَخَذَ بِيَدِى وَبِيَدِ أَبِى عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ واللهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِى لاَ يُقَرِّبُنِى ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ، أَحَبَّ إلى مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أبو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلاَّ أَنْ تُسَوِّلَ إِلى نَفْسِى عِنْدَ المَوْتِ شيئاً لاَ أجده الآنَ.

فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الأنصار وهو (حُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ[1]):

أَنَا جُذَيْلُهَا المُحَكَّكُ، وَعُذَيْقُهَا المُرَجَّبُ، مِنَّا أمير، وَمِنْكُمْ أمير، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ. فَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ حَتَّى فَرِقْتُ مِنَ الاخْتِلاَفِ.

فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَدَكَ يَا أبا بَكْرٍ.

فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعْتُهُ[2]، وَبَايَعَهُ المُهَاجِرُونَ، ثُمَّ بَايَعَتْهُ الأنصار، وَنَزَوْنَا[3] عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ !.

فَقُلْتُ: قَتَلَ الله سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ[4].

قَالَ عُمَرُ:

وَإِنَّا واللهِ مَا وَجَدْنَا فِيمَا حَضَرْنَا مِنْ أمر أَقْوَى مِنْ مُبَايَعَةِ أَبِى بَكْرٍ خَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةٌ أَنْ يُبَايِعُوا رجلاً مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لاَ نَرْضَى، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فَسَادٌ، فَمَنْ بَايَعَ رجلاً عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فَلاَ يُتَابَعُ هُوَ وَلاَ الذي بَايَعَهُ تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلا).

ومما يؤكد رغبة الخزرج في اتباع الحق بعد ما تبين أن الذي تدخل في فض النزاع بين

---

(١) رواه البخاري ينظر: فتح الباري ٧/ ٢٠ (٣٦٦٨).

(٢) وفي رواية أخرى بإسناد جيد إن عمر قال (ثم أخذت بيده، وبدرني رجل من الأنصار فضرب على يده قبل أن اضرب على يده، ثم ضربت على يده، وتبايع الناس) وقد بينت رواية أخرى، أيضاً بإسناد جيد- أن ذلك الرجل هو: بشير بن سعد والد النعمان بن بشير. ينظر: ابن كثير: المصدر السابق ٥/ ٢٤٧.

(٣) أي: وثبنا، ينظر: لسان العرب ٣/ ٦٢١ (نزا)

(٤) أي دفع الله شره ينظر ابن الأثير: المصدر السابق ٤/ ١٣ (قتل).

المهاجرين والأنصار هو رجل من الخزرج وهو كاتب الوحي زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه فقال[١]:

(إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَإِنَّمَا الإِمَامُ يَكُونُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَامَ أبو بَكْرٍ فَقَالَ: جَزَاكُمْ الله خيراً مِنْ حَيٍّ يَا مَعْشَرَ).

ولم يكن أبو بكر رضي الله عنه حريصا على الأمارة، فقد حاول أن يوليها عمر أو أبا عبيدة ولكنهما أبيا ذلك، وقد قال رضي الله عنه[٢]:

(واللهِّ مَا كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الإِمَارَةِ يَوْمًا وَلاَ لَيْلَةً قَطُّ، وَلاَ كُنْتُ فِيهَا رَاغِبًا، وَلاَ سَأَلْتُهَا الله عَزَّ وَجَلَّ فِي سِرٍّ وَلاَ عَلاَنِيَةٍ، وَلَكِنِّي أَشْفَقْتُ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَمَا لِي فِي الإِمَارَةِ مِنْ رَاحَةٍ، وَلَكِنْ قُلِّدْتُ أَمْرًا عَظِيمًا مَا لِي بِهِ مِنْ طَاقَةٍ وَلاَ يَدَ إِلاَّ بِتَقْوِيَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ أَقْوَى النَّاسِ عَلَيْهَا مَكَانِي الْيَوْمَ، فَقَبِلَ الْمُهَاجِرُونَ مِنْهُ مَا قَالَ وَمَا اعْتَذَرَ بِهِ).

وبعد بيعة السقيفة - وهي البيعة الأولى، وكانت في يوم الاثنين - اجتمع المسلمون للبيعة العامة في يوم الثلاثاء، قبل تجهيز رسول الله ﷺ، في المسجد وقام عمر فجلس على المنبر، وذكر صدمتهم برسول الله ﷺ ثم قال[٣]:

(وَإِنَّ أبا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ثَانِى اثْنَيْنِ، فإنه أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأموركُمْ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ.

وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الْعَامَّةِ عَلَى الْمِنْبَرِ).

---

(١) مسند أحمد ٥/ ١٨٥ بإسناد صحيح، ابن أبي شيبة:عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد - الرياض ١٤٠٩هـ ٧/ ٤٣٠ (٣٧٠٤٠)، ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٢١٢ البلاذري انساب الأشراف، ص٦٥، الطبراني: المعجم الكبير ٥/ ١٨٣ ورجاله رجال الصحيح، الحاكم: المستدرك ٣/ ١٧٦ وقال الصحيح على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبي، ابن كثير: المصدر السابق ٥/ ٢٤٨ -٢٤٩.

(٢) الحاكم: المستدرك٣/ ٦٦ وصححه ووافقه الذهبي، سنن البيهقي الكبرى ٨/ ١٥٢ (١٦٣٦٤)، البداية والنهاية ٦/ ٣٠٢ بإسناد جيد، الحاكم: المستدرك٣/ ٦٦ وصححه ووافقه الذهبي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٥/٥٩٧ (١٤٠٦٠).

(٣) البخاري: فتح الباري ١٣/٢٠٦)، تاريخ خليفة بن الخياط ١/ ٦٤-٦٥. ابن كثير: المصدر السابق ٥/ ٢٤٨.

ولم يتخلف عن هذه البيعة أحد من المسلمين، لا سعد بن عبادة، ولا علياً ولا غيرهما، فقد ثبت بإسناد قوي أن سعد بن عبادة بايع أبا بكر في اليوم الذي قبله، أي في السقيفة [(١)].

وقد نظر أبو بكر في البيعة العامة فلم ير علياً والزبير، فسأل عنهما، ثم أرسل إليهما فكلمهما أمام المسلمين، فبايعا جميعاً، طوعاً وسمعاً وطاعة [(٢)].

أما سبب تأخر علي والزبير ساعات عن البيعة، فلأنهما لم يستشارا وقد بيّنا ذلك صراحة.

روى الحاكم بالسند الصحيح الذي ذكرنا في يوم البيعة العامة، بعد أن بايع جميع الناس فلم يبق إلاّ: علي والزبير فدعاهما فقال عَلِيٌّ رَضِيَ الله عَنْهُ وَالزُّبَيْرُ[(٣)]:

(مَا غَضِبْنَا إِلاَّ لأَنَّا قَدْ أُخِّرْنَا عَنِ الْمُشَاوَرَةِ، وَإِنَّا نَرَى أبا بَكْرٍ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا بَعْدَ رَسُولِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِنَّهُ لِصَاحِبُ الْغَارِ، وَثَانِيَ اثْنَيْنِ، وَإِنَّا لَنَعْلَمُ بِشَرَفِهِ وَكِبَرِهِ، وَلَقَدْ أَمَرَهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلاَةِ بِالنَّاسِ وَهُوَ حَيٌّ).

وقيل:

ذلك في أول يوم.

وقيل:

في اليوم الثاني[(٤)].

" وهذا حق فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في

---

(١) ينظر أحمد: المصدر السابق ١/ ١٨(شرح أحمد شاكر) ابن تيمية: منهاج السنة ١/ ١٩٢(وقال مرسل حسن)، ابن كثير: المصدر السابق ٥/ ٢٤٧-٢٤٨ وقال: إسناده جيد وقوي.

(٢) ينظر الذهبي:تاريخ الإسلام ص١٠، وابن كثير بعدة روايات:ينظر: المصدر السابق ٥/ ٢٤٩ وقال عن بعضها بأنها جيدة، وعن رواية (علي بن عاصم عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري). وهي تنص على بيعة علي والزبير لأبي بكر وإقرارهما بالبيعة أمام الملأ في المسجد -قال عن هذه الرواية، وهذا إسناد صحيح محفوظ.

(٣) الحاكم: المستدرك٣/ ٦٦ وصححه ووافقه الذهبي، سنن البيهقي الكبرى ٨/ ١٥٢ (١٦٣٦٤)، البداية والنهاية ٦/ ٣٠٢ بإسناد جيد، الحاكم: المستدرك٣/ ٦٦ وصححه ووافقه الذهبي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٥/ ٥٩٧ (١٤٠٦٠) وينظر كذلك ابن حنبل: عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م) كتاب السنة، تحقيق محمد سعيد القحطاني، الطبعة الأولى، دار ابن القيم-الدمام ١٤٠٦هـ ٢/ ٥٦٣.

(٤) ينظر ابن كثير: المصدر نفسه ٥/ ٢٤٩.

صلاة من الصلوات خلفه...وخرج معه إلى ذي القصة[١] لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الردة"[٢].

وحدث شيء من الجفوة بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفاطمة رضي الله عنها حول ميراثها من رسول الله ﷺ[٣] وأرض خيبر وفدك قد بين لها أنه رضي الله عنه ينفذ وصية أبيها[٤]:

---

(١) موضع بينه وبين المدينة أربع وعشرون ميلاً تلقاء نجد ينظر: الحموي: معجم البلدان ٤/ ٣٦٦(قصة).

(٢) ابن كثير: المصدر السابق ٥/ ٢٤٩.

(٣) رواه مسلم ينظر: (النووي: شرح صحيح مسلم ١٢/ ٧٧) (باب حكم الفيء).

(٤) رواه الشيخان ينظر: فتح الباري ٩/ ٥٠٢ (٥٣٥٨)، شرح صحيح مسلم ١٢/ ٧٦ (حكم الفيىء)، وقد أيد جمع كبير من كبار الصحابة أبا بكر الصديق رضي الله عنه فيما ذهب إليه (بل لم يكن له مخالف من الصحابة في ذلك) منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وعائشة رضي الله عنها، وقد اعترف كبير علماء أهل البيت بصحة حكم أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما رواه البيهقي بإسناد جيد عن زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه قال (أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر رضي الله عنه لحكمت بمثل ما حكم به أبو بكر في فدك)، ينظر البيهقي: السنن الكبرى ٦/ ٣٠١، ٣٠٢ (١٢٥١٥، ١٢٥٢٤)، ابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦ م ٤/ ٥٦٩، ٥٧٠ - ٥٧١، ٥٧٥، أما ما ورد في الصحيح عن إرضاء عمر لعلي والعباس رضي الله عنهما بعد سنتان من حكمه وتنصيبهما ناظرين على بعض تلك الأموال:

- كان علي والعباس يتطلع كل واحد منهما أن يجعله عمر ناظراً على تلك الأموال، وقد وقع بينهما جفوة كبيرة بسبب ذلك حتى قال بعض الصحابة لأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين اقض بينهما، أو ارح أحدهما من الآخر، فحكم عمر بتنصيبهما ناظرين على تلك الأموال.

- اشترط عمر رضي الله عنه عليهما أن يعملا فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر رضي الله عنهما! لا أنها ميراث النبي !.

- كانت فاطمة رضي الله عنها تتطلع أن يجعل أبو بكر رضي الله عنه زوجها ناظراً على هذه الصدقات، خاصة بعد تراضيها معه في مرض موتها وبعد قناعتها بحكمه في قضية الميراث، لكنه لم يفعل ذلك سداً للذرائع، واستجاب عمر رضي الله عنه لذلك بعد ذهاب تلك الذرائع، ينظر:صحيح البخاري ٤/ ١٤٧٩ (٣٨٠٩)، ابن كثير: السيرة النبوية ٤/ ٥٧١-٥٧٥، أما استدلال الروافض بأن خبر أبي بكر رضي الله عنه مخالف لقوله تعالى ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾ [النمل: ١٦] وقوله تعالى:

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾ [مريم: ٥-٦].

فهو باطل لأن المقصود بالميراث في الآية الأولى: الملك والنبوة، لا وراثة المال لأنه كان لداود مئة من

(لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ فَهُوَ صَدَقَةٌ).

وأنه حجبها، وحجب معها أزواجه، وعمّه من ذلك[١]، واحتاج علي أن يراعي ضعفها وخاطرها إلى أن توفت[٢].

وكان في نفس الوقت في نفس علي استفسار فاستفسر من أبي بكر وقال له[٣]:

(وَكُنَّا نَحْنُ نَرَى لَنَا حَقًّا لِقَرَابَتِنَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ).

فوضح له أبو بكر ذلك، وذكر ما شجر بينه وبينهم بسبب المال وأنه في كل ذلك إمتثل أمر رسول الله ﷺ، فاقتنع بذلك.

وسداً للذريعة جدّد البيعة[٤] (بيعة مؤكدة للصلح الذي وقع بينهما وهي ثانية للبيعة التي ذكرناها أولاً يوم السقيفة).

الأولاد فلم اقتصر على ذكر سليمان من بينهم لو كان المراد ورثة المال ؟!.

أما المقصود بالميراث في الآية الثانية فهو أيضاً: النبوة والقيام بمصالح بني إسرائيل ويوضح ذلك آخر الاية (يرثني ويرث من آل يعقوب) أي النبوة، ومن المعلوم أن زكريا عليه السلام كان نجاراً فقيراً ما كان لديه مال حتى يدخره.

أما الحديث من الناحية اللغوية (ما تركناه صدقة) فيحتمل أن يكون خبراً عن حكمه ﷺ وحكم سائر الأنبياء معه على ما تقدم، وهو مسلك جمهور العلماء.

أو أن يكون إنشاء وصية وكأنه يقول: لا نورث، لأن جميع ما تركناه صدقة.

ويؤيد ذلك حديث البخاري (لا تقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة). أما ما ذهب إليه الروافض من نصب (صدقة) بجعل ما نافية، فما قولهم في أول الحديث: لا نورث، وحديث: لا تقتسم ورثتي ديناراً.. الخ، ينظر البخاري: المصدر السابق ٣/ ١٠٢٠ (٢٦٢٤)، مسلم: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت ٣/ ١٣٨٢ (١٧٦٠)، أبو عوانة: يعقوب بن إسحاق (ت ٣١٦هـ/ ٩٢٨م) مسند أبي عوانة، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، الطبعة الأولى، دار المعرفة - بيروت ١٩٩٨ م ٤/ ٢٤٥ (٦٦٦٥)، الطبري: جامع البيان ١٩/ ١٤٠-١٤١، البيهقي: السنن الكبرى ٧/ ٥٨ (١٣١٤٧)، ابن الجوزي: زاد المسير ٦/ ١٥٩، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٨٧، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣/ ١١٢، السيرة النبوية ٤/ ٥٧٦، ٥٧٨.

(١) ينظر ابن كثير: المصدر السابق ٤/ ٥٦٦ - ٥٦٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٥/ ٢٥٠.

(٣) صحيح مسلم ٣/ ١٣٨٠ (١٧٥٩)، شرح صحيح مسلم ١٢/ ٧٩)، ابن كثير: السيرة ٤/ ٥٦٨.

(٤) ينظر: المصدران نفسيهما ١٢/ ٧٩)، ٤/ ٥٦٩.

لأن هناك من فسّر ما وقع بينهم، بأن علياً لم يبايع إلا كرهاً- وبهذا يمكن الجمع بين روايات الباب[١]، والمثبت مقدم على النافي كما تقرر.

وقد كان أبو بكر خطب الناس بعد البيعة العامة، وبين علاقة الحاكم بالمحكومين، والأساس الذي لابد أن تقوم عليه دولة الإسلام، كما بين دعائمها، وأن مجيئه كان بإرادة الأمة[٢] فوقف قائلاً[٣]:

"أما بعد، أيها الناس: فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم. فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني.

الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله وفي رواية: حتى أريح عليه حقّه[٤]، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله ألا ضربهم الله بالذل، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله".

مقارنة بين الروايات الصحيحة والروايات الأخرى:

أن أهم النقاط الجوهرية بين الروايات الصحيحة والروايات الموضوعة والضعيفة يمكن إجمالها في الأمور التالية:

١- الروايات الضعيفة والموضوعة صورت لنا السقيفة، كأنها سلسلة من المؤامرات، بين فرق متناحرة فمن جانب مؤامرة من طرف الأنصار ضد المهاجرين بأجمعهم، ثم تآمر المهاجرين- وتمثلهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة- على الأنصار، ثم تآمر المهاجرين فيما بينهم، بين أنصار أبي بكر وعمر، وبين أنصار علي والعباس.

وفي رواية الزبير أيضاً، معتكفين في بيت فاطمة للتآمر على أبي بكر وعمر.

---

(١) ينظر ابن كثير: البداية والنهاية ٥/ ٢٤٩، السيرة النبوية ٤/ ٥٦٨ - ٥٦٩.

(٢) العمري: عصر الخلافة الراشدة ص٤٦.

(٣) المصدر نفسه ٤/ ٣١١، بإسناد رجاله ثقات، عبد الرزاق: المصنف ١١/ ٣٦٦، ابن كثير: البداية والنهاية ٥/ ٢٤٨ وقال: هذا إسناد صحيح، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ٥/ ٦٠٠ (١٤٠٦٤).

(٤) ينظر ابن هشام: السيرة النبوية ٤/ ٣١١.

وهناك مؤامرة أخرى بين الأنصار أنفسهم حيث يتآمر الأوس والخزرج بعضهم على بعض في تنحي الطرف الآخر! هكذا وكأنهم خلقوا للتكالب على السلطة والدنيا كما تتنافس أهل عصرنا هذا!.

٢- كأن تربية رسول الله ﷺ - حوالي عقدين من الزمن لم تثمر شيئاً مع المهاجرين والأنصار ولم تخضر عودا، كي يصلوا إلى نتيجة خبيثة وهي: ظن السوء بالرسالة وبحملتها الأولين الذين اصطفاهم الله لدينه ولنصرة نبيه ﷺ الذين لولاهم لما عرفنا الإيمان والإسلام!.

٣- قياس مجتمع الصحابة وأخلاقهم، على قيم وأخلاق المجتمعات الرذيلة والساقطة، حيث، الشتائم واللعنات تملأ أفواه المتخاصمين، والمصارعة، بل المعركة وصلت- كما في بعض روايات الطبري اليعقوبي- إلى الضرب بالسلاح الأبيض!.

٤- مباينة روايات اليعقوبي للروايات الأخرى- حتى الضعيفة والموضوعة- بأن المهاجرين والأنصار كانوا لا يشكون في علي (أي أنه هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ).

وفي رواية أخرى له أن المنذر بن الأرقم قال:

(وإن فيكم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد)!.

٥- الطعن ببطلي الإسلام: علي، والعباس، ووصفهما؛ بالأذّلين والأضعفين، وتأجيج نار العداوة- مسبقا- بين بني أمية وبني هاشم، واتهام بعضهما الطرف الآخر، ثم سكوت أبي سفيان - كما في رواية منها- بعد ما يسمع أن أبا بكر قد ولّى ابنه!.

٦- إرجاع الأنصار إلى مفاهيم وقيم الجاهلية الأولى واستخدام مبدأ وقاعدة ابن سلول في محاربة المهاجرين:

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٨].

وكأنهم ليسوا الذين ضحوا من أجل إخوانهم المهاجرين بالنفس والنفيس:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٨- ٩].

٧- إيراد اليعقوبي التفاصيل الباطلة والإطناب في ما يتعلق في أحقية علي في الخلافة،

والتركيز على أن الخلافة مسألة تتعلق بالقرب من رسول الله ﷺ وأنها وراثة كما عند الأكاسرة والقياصرة!.

وتصوير بضعة الرسول فاطمة رضي الله عنها بصفة غير لائقة بعامة نساء المؤمنين- فكيف بأهل بيت النبوة- وهي: التهديد بكشف الشعر أمام الأجانب بعد صرع عمر علياً وكسره سيفه داخل بيتها؟!.

٨- إبراز الروايات الباطلة والضعيفة إطلاق سعد بن عبادة لكلمة - الوهن- على ما حدث بعد رسول الله ﷺ وكأنها مؤامرة كبرى.

بينما الروايات الصحيحة تؤكد، أن سعداً والأنصار لما استمعوا إلى توضيح أبي بكر في أحقية قريش، انقادوا لهم، وقد اجتهدوا قبل ذلك فخفي الحكم عليهم.

٩- هذه الروايات تذكر أن علياً- حينما بويع أبو بكر بالخلافة- كان مشغولاً بتجهيز[(١)] رسول الله ﷺ وهي تخالف تماماً جميع الروايات الصحيحة- وحتى بعض الروايات الباطلة والضعيفة مثلها كما سبق- التي توضح أن جهاز رسول الله ﷺ لم يبدأ به إلا يوم الثلاثاء!.

١٠- ذكر بعض هذه الروايات أن جلّة أزواج النبي من الأنصار، وهذا أمر غير صحيح ومخالف لجميع الروايات الصحيحة وكذلك الضعيفة، بل أن عامة أزواج النبي من قريش[(٢)].

١١- بيان بطلان ما في تلك الروايات التالفة بأن أوساً ما بايعوا أبا بكر إلا تخلصاً من ولاية الخزرج !.

وقد بينا في بعض الروايات الصحيحة أن أول من بايع أبا بكر هو خزرجي!.

١٢- الافتراء على سيد الخزرج، والمسلمين- سعد بن عبادة- بأنه - حاشاه - كان لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع معهم ويحج، ولا يفيض معهم بإفاضتهم، حتى توفي أبا بكر رضي الله عنه!.

وهذه الأمور كلها مخالفة لما أمر الله به ورسوله ﷺ، ويعلمها بسطاء المسلمين، لا سيداً من ساداتهم ممن كان له قدم صدق في الإسلام والجهاد وملازمة النبي ﷺ !.

---

(١) ينظر كذلك: المسعودي، التنبيه والإشراف ص٢٤٧.

(٢) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٤/ ٢٩٣-٢٩٨، ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ٣٠٠-٣٠٩، الذهبي: السيرة النبوية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية-بيروت ١٤٠١هـ ص٤١٤، ابن كثير: السيرة النبوية ٤/ ٥٧٩-٥٩٥؛ الفصول في اختصار سيرة الرسول، الطبعة الأولى مؤسسة علوم القرآن-دمشق ١٣٩٩هـ ص٢١٧-٢٢٦.

١٣- لو كان ما صورته لنا الروايات التالفة، صحيحة، لما كانت هناك بيعة ولا خليفة ولا خلافة، وكانت الدماء تجري في أزقة وشوارع المدينة وكانت فتنة لا يعلم مداها ولا يطفئ نارها إلا الله تعالى.

١٤- السقيفة تؤكد على عظمة الإسلام، وتربية النبي ﷺ للرجال، حيث أن أخطر حدث في حياة المسلمين بعد رسول الله ﷺ انحسمت في مدة قياسية لا تتجاوز (٢٤) ساعة، ولم يكن أبو بكر الصديق يملك جيشاً جراراً، أو حتى حرساً، كي يدافعوا عنه، أو يفرضوه على المسلمين، وإنما هداية الله، وتفهم الأنصار والمهاجرين- بعد توضيحات أبي بكر وعمر- جعلهم كلهم يقولون:

(نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر)[١].

صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنه وعام الجماعة:

طُعِنَ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة أربعين على ما ذهب إليه الجمهور[٢].

قيل مات من يومه، وقيل مات يوم الأحد[٣]. ولم يوص رضي الله عنه لأحد من بعده.

تذكر الروايات الصحيحة، أنه قيل له رضي الله عنه ألا تستخلف قال[٤]: " لَا وَلَكِنْ أَتْرُكُكُمْ إِلَى مَا تَرَكَكُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ.

قَالُوا:

فَمَا تَقُولُ لِرَبِّكَ إذا أَتَيْتَهُ ؟. - وَقَالَ وَكِيعٌ مَرَّةً: إذا لَقِيتَهُ ؟. -

قَالَ:

---

(١) مسند أحمد ٥/ ٣٧٦٥، ٣٨٤٢ (تحقيق أحمد شاكر) وقال إسناده صحيح، ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٤٣٢ (٣٧٠٤٤)، الهيثمي: مجمع الزوائد ٥/ ١٨٣ بإسناد جيد أيضاً.

(٢) ينظر: تاريخ خليفة بن الخياط ١/ ١٨٢، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ١٤٣، ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٥، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٥١٠.

(٣) ينظر ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ١٥.

(٤) أحمد: المصدر السابق ١/ ١٣٠ (١٠٧٨)، ١٥٦ (١٣٣٩)، والخبران صحيحان، كما قال القاضي ابن العربي، ينظر: العواصم من القواصم ص١٨١، وينظر كذلك: البيهقي: السنن الكبرى ٨/ ١٤٩.

أقول اللَّهُمَّ تَرَكْتَنِي فِيهِمْ مَا بَدَا لَكَ ثُمَّ قَبَضْتَنِي إليك وَأَنْتَ فِيهِمْ فَإِنْ شِئْتَ أَصْلَحْتَهُمْ وَإِنْ شِئْتَ أَفْسَدْتَهُمْ".

وفي رواية أخرى قال(١):

"وَلَكِنْ إِنْ يُرِدِ الله بِالنَّاسِ خيراً جَمَعَهُمْ عَلَى خَيْرِهِمْ كَمَا جَمَعَهُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ عَلَى خَيْرِهِمْ".

ثم بويع الحسن بن علي رضي الله عنه، قيل إن أول من بايعه هو: قيس بن سعد بن عبادة(٢) فقال له(٣):

"ابسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه، فسكت الحسن فبايعه ثم بايعه الناس بعده".

وكان علي رضي الله عنه قد جعل قبل موته، قيس بن سعد على مقدمة أهل العراق- وكانوا أربعين ألفا- بايعوه على الموت، لقتال أهل الشام، فلما قتل علي بايعوا الحسن بالخلافة.

وألحّ قيس بن سعد على الحسن في النفير لقتال أهل الشام، وكان الحسن لا يحب القتال، ولكن كان يريد أن يشترط على معاوية لنفسه، وعلم الحسن أن قيساً لا يطاوعه على الصلح فعزله، وأبدله، بعبد الله بن العباس، فاشترط ابن عباس لنفسه كما اشترط الحسن(٤).

وكان معاوية لما بلغه قتل علي، خرج في عساكر من الشام ونزل مَسْكِن(٥).

لما سمع جيش الحسن بقدوم معاوية وتحركه تجاه العراق، اجتمع جيش الحسن اجتماعا

---

(١) أبو العاصم: السنّة ٢/ ٥٥١ (١١٥٨) مسند البزار (البحر الزخار) ٢/ ١٨٦ (٥٦٥) المستدرك على الصحيحين ٣/ ٧٩ (٤٤٦٧) البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٧/ ٢٢٣ (٣١٥٥) السنن الكبرى ٨/ ١٤٩ (١٦٣٥٠) البداية والنهاية ٥/ ٢٥٠-٢٥١، و٨/ ١٤ بإسناد جيد.

(٢) هو: قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل ذو رأي، داهية، حامل راية الأنصار مع رسول الله ﷺ، شهد المشاهد كلها مات في خلافة معاوية على الصحيح، ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٢٢٤/ ٢٣٢، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٢٤٩ (٧١٧٧).

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٥/ ١٥٨، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ١٤.

(٤) ينظر: الطبري وابن كثير: المصدران نفسيهما ٥/ ١٥٨، ٨/ ١٤(بإسناد صحيح) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٣. (وشرط ابن عباس هو: كتب إلى معاوية ليسأله الأمان، ويشترط عليه الأموال التي أصابها، فوافق معاوية على ذلك، ينظر: الطبري: المصدر السابق ٥/ ١٥٨.

(٥) ينظر: الطبري وابن كثير وابن حجر: المصادر السابقة ٥/ ١٥٩، ٨/ ١٤، ١٣/ ٦٣، ومَسْكِن موضع قريب من أوانا على نهر دُجيل عد دير الجاثليق. ينظر: معجم البلدان ٥/ ١٢٧ (مَسكِن).

عظيما، وأكره الحسن على ملاقاة معاوية[١]، ووصل خبر ضخامة جيش الحسن معاوية وهي: بِكَتَائِبَ أمثال الجْبَالِ.

فقال عمرو بن العاص[٢]:

"إِنِّي لأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّى حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانهَا".

وفي رواية أخرى[٣]:

"أَرَى كَتِيبَةً لاَ تُوَلِّي حَتَّى تُدْبِرَ أُخْرَاهَا".

وأمر الحسن قيس بن سعد- مرة أخرى لما اضطر إلى ذلك- على المقدمة في اثني عشر ألفاً بين يديه، وتوجهوا إلى بلاد الشام، وسار هو في الجيوش في أثرهم لقتال أهل الشام، ونزل بالمدائن[٤].

تذكر روايات ضعيفة - وربما باطلة- من أن معاوية دسّ في عسكر قيس من يتحدّث أن الحسن قد صالح معاوية وأجابه، وفي عسكر الحسن من يتحدث أن قيساً قد صالح معاوية وصار معه.

وفي رواية أخرى أنه قتل، وسبب ذلك ارتباكاً واضطراباً كبيرين في جيش الفريقين[٥].

ويذكر بعض أهل الأخبار، أن الجيشين لما التقيا بمنزل في أرض الكوفة، نظر الحسن إلى كثرة جيش معاوية فذعر من ذلك ونادى[٦]:

"يا معاوية إني اخترت ما عند الله فإن يكن هذا الأمر لك فلا ينبغي لي أن أنازعك فيه، وإن يكن لي فقد تركته لك، فكبر أصحاب معاوية".

---

(١) ينظر: ابن كثير، المصدر السابق ٨/ ١٤.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٩٦٢ (٢٥٥٧)، ابن حجر: المصدر السابق ٥/ ٣٠٦).

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٢٦٠٢ (٦٦٩٢)، فتح الباري ١٣/ ٦١).

(٤) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ١٤.

(٥) ينظر: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٦ بدون إسناد!، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ١٥٩ وفي إسناده رجل ضعيف، متروك وهو: عثمان بن عبد الرحمن الحرّاني الخزاعي الطرائفي وكان يأتي بالعجائب عن المجاهيل (ت ٢٠٣هـ) ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٥-٤٦ (٥٥٣٢)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ١٣٤- ١٣٥ (٢٨٠)، وفيه رجل مجهول وهو: إسماعيل بن راشد!.

(٦) فتح الباري ١٣/ ٦٣.

وهذا باطل لأن معاوية هو الذي طلب الصلح - كما سيأتي في الصحيح - كما وأن الجيشين لم يلتقيا[١].

كان معاوية رجلاً عاقلاً حليماً محنكاً، لا يرى إراقة الدماء ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[٢].

وكان يعلم أن الحسن أَكْرَهُ النّاسِ للفتنة[٣].

وأنه إذا التقى الجيشان الكبيران ستكون دماء ومفسدة عظيمة بين المسلمين.

يروي البخاري عن الحسن البصري يقول:

"اسْتَقْبَلَ واللهِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أمثال الْجِبَالِ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِنِّي لأَرَى كَتَائِبَ لاَ تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ - وَكَانَ واللهِ خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ - :

أَي عَمْرُو إِنْ قَتَلَ هَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ هَؤُلاَءِ مَنْ لِي بِأمور النَّاسِ مَنْ لي بِنِسَائِهِمْ، مَنْ لي بِضَيْعَتِهِمْ ؟[٤]".

وفي رواية أخرى حسنة، نظر الحسن إلى جنده[٥]:

"أمثال الجبال في الحديد، فقال: اضرب هؤلاء بعضهم ببعض في ملك من ملك الدنيا!".

ولما صفت نفوس القيادتين لله تعالى وإختيار ما يخدم المسلمين، هدى الله معاوية لطلب الصلح[٦].

وقيل:

---

(١) ينظر: نفسه ١٣/ ٦٣.

(٢) ينظر: نفسه ٥/ ٣٠٦ و١٣/ ٦١).

(٣) ينظر ابن حجر: الإصابة ١/ ٣٣١.

(٤) رواه البخاري: المصدر نفسه ٥/ ٣٠٦ (٢٧٠٤).

(٥) الأصبهاني: محمد بن عبدالواحد بن محمد، مجلس إملاء لأبي عبدالله محمد بن عبدالواحد بن محمد الدقاق في رؤية الله تبارك وتعالى:تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، ط١، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ١٩٩٧م، ص ٣٧ (٣٣) تاريخ دمشق ١٣/ ٢٣٤، الإصابة ١/ ٣٣٠.

(٦) ينظر: فتح الباري ٥/ ٣٠٦).

أن عبد الرحمن بن سمرة[١] وعبد الله بن عامر بن كُرَيز[٢] اقترحا على معاوية فكرة الصلح[٣].

ويمكن الجمع بين الروايتين بأن معاوية لما أراد الصلح، وخشي إراقة دماء المسلمين وذكر ما ذكر إحتار من اختيار من يرسله إلى الحسن، ممَن يمكن للحسن أن يسمعه، فقال له الرجلان:

نحن "نلقاه فنقول له: الصلح"[٤].

وكانا من قريش[٥] فبعثهما وقال لهما[٦]:

"اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه، وقولا له واطلبا إليه.

فأتياه - وكان الحسن يومئذ بالمدائن - [٧] فدخلا عليه فتكلما وقالا له، وطلبا إليه، فقال لهما الحسن بن عليّ: إنّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإنّ هذه الأمة قد عاثت في دمائها.

قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك. قال: فمن لي بهذا؟.

قالا:

نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلاّ قالا: نحن لك به فصالحه".

وكان ذلك علماً من إعلام النبوة، ودليلاً من دلائلها[٨]، حيث بشر النبي بذلك وأن الحسن

---

(١) هو: عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، أسلم يوم الفتح شهد فتوح العراق (ت ٥١هـ) كما جزم به ابن عبد البر ينظر: الاستيعاب ٢/ ٤٠٢، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٤٠٢-٤٠٣ (٥١٣٨).

(٢) ابن ربيعه بن حبيب بن عبد شمس، ولد على عهد رسول الله، تولى إمارة البصرة في زمن عثمان وأجرى نهرها وأفتتح أطراف فارس كلها. لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن عبد البر، وابن حجر: المصدران نفسيهما ٢/ ٣٥٩/ ٣٦١، ٣/ ٦٠-٦١ (٦١٧٩).

(٣) ينظر: فتح الباري ١٣/ ٦١).

(٤) المصدر نفسه ١٣/ ٦١).

(٥) ينظر: نفسه (٥/ ٣٠٦).

(٦) نفسه ٥/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٧) تاريخ الأمم والملوك ٥/ ١٥٩، ابن حجر: المصدر السابق ١٣/ ٦٥.

(٨) ينظر ابن العربي: العواصم من القواصم ص١٨٠، ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٦، ابن حجر: المصدرالسابق ١٣/ ٦٦.

أهل لذلك وهو سيد من سادات المسلمين يقول أبو بكرة[١]:

رَأَيْتُ رَسُولَ الله - صلى الله عليه وسلم - عَلَى الْمِنْبَرِ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إلى جَنْبِهِ، وَهْوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أخرى وَيَقُولُ « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ الله أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[٢].

وتتحدث بعض الروايات الضعيفة أن الحسن لما صالح معاوية عارضه الحسين في بادئ الأمر، ولم يزل يحدثه الحسن حتى رضي.

أما عبد الله بن جعفر- ابن عمه- فقال له: جزاك الله خيراً عن أمة محمد[٣] واشترط الحسن على معاوية شرطين:

أولهما: أن تكون الخلافة له من بعده.

وثانيهما أن يبذل له معاوية مبلغاً من المال[٤].

وأراد الحسن المال ليسكن به الفتنة، ويفرقه على من لا يرضيه إلا المال من أصحابه[٥].

وحينما بلغ خبر الصلح عسكر قيس بن سعد- وكانوا مستميتين من الجد على قتال أهل الشام- كأنما كسرت ظهورهم من الغيظ[٦].

ويذكر شاهد عيان أن الحسن جمع رؤوس أهل العراق في قصر المدائن فقال[٧]: "إنكم قد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت وتحاربوا من حاربت، وإني قد بايعت معاوية، فاسمعوا له وأطيعوا". ثم توجه الجميع إلى الكوفة لإعلان البيعة أمام الملأ وفي عاصمة المسلمين.

---

(١) هو: نفيع بن الحرث ويقال ابن مسروح كان من فضلاء الصحابة (ت ٥١هـ) بالبصرة. ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٥٦٧-٥٦٨، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٥٧١-٥٧٢ (٨٧٩٣).

(٢) فتح الباري ٥/ ٣٠٧ (٢٧٠٤) و٧/ ٩٤ (٣٧٤٦)، و١٣/ ٦١ (٧١٠٩).

(٣) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ١٦٠، ابن حجر: الإصابة ١/ ٣٣١.

(٤) ينظر ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٥ وإسناده قوي.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ١٣/ ٦٥.

(٦) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ١٩ بإسناد حسن.

(٧) الإصابة ١/ ٣٣١ إسناده جيد، و(عون بن موسى) ثقة ينظر: ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٦/ ٣٨٦، العجلي: معرفة الثقات ٢ / ١٩٧.

وتذكر بعض الروايات الصحيحة، أن معاوية خطب قبل الحسن[١]، وطلب عمرو بن العاص، من معاوية، أن يخطب الحسن، ويعلن أمام الملأ البيعة.

فقام الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال[٢]:

"أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التُّقَى، وَإِنَّ أَعْجَزَ الْعَجْزِ الْفُجُورُ، وَإِنَّ هَذَا الأمر الَّذِي اخْتَلَفْت فِيهِ أَنَا وَمُعَاوِيَةُ حَقٌّ كَانَ لِي فَتَرَكْته لِمُعَاوِيَةَ، أو حَقٌّ كَانَ لِامْرِئٍ أَحَقَّ بِهِ مِنِّي، وَإِنَّمَا فَعَلْت هَذَا لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ:

﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ١١١﴾ [الأنبياء: ١١١] ثم استغفر ونزل".

وفي رواية الطبري:

"فإن الله قد هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وأن لهذا الأمر مدة، والدنيا دُول ...الخ"[٣].

وتتحدث رواية منكرة لا يعّول عليها:

أن بعض الناس بايع معاوية وهو مكره على البيعة[٤]، ولو فرضنا صحة الخبر، فإن ذلك لا يقلل من شأن البيعة، ولا سيما أن الإمام المتبع المفروض طاعته، قد أعلن البيعة.

وبعد إعلان الحسن البيعة، سمع الحسن أحد أتباعه من أهل العراق يخاطبه ويقول له[٥]:

"السلام عليك يا مذل المؤمنين، فقال: لا تقل هذا.. لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلهم على الملك".

---

(١) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ١٦٣ وإسناده صحيح، وذكر اليعقوبي جزءاً مختصراً من خطبته، ينظر: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٧.

(٢) مُصنف ابن أبي شيبة ١١/ ١٤٢ (٣١٣٤١) الطبراني: المعجم الكبير٣/ ٢٦ (٢٥٥٩) البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٦/ ٤٤٤ (٢٧٥٩) السنن الكبرى ٨/ ١٧٣ (١٦٤٨٩) أبو نعيم: حلية الأولياء ٢/ ٣٧، معرفة الصحابة ٢/ ٦٥٩ (١٧٥٩).

وقال ابن حجر: إسناده صحيح ينظر: فتح الباري ١٣/ ٦٣، وينظر كذلك اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٥٦، المسعودي: مروج الذهب ٣/ ١٣.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٥/ ١٦٣ بإسناد صحيح.

(٤) ينظر اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٥٧.

(٥) ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ١٩ وإسناده صحيح وقائل هذا الكلام هو: أبو عامر سعيد بن النتل، وينظر كذلك الطبري: المصدر السابق ٥/ ١٦٥، وابن حجر: الإصابة ١/ ٣٣٠، فتح الباري ١٣/ ٦٥.

وبقي أحد قواد جيش الحسن الكبار وداهية من دهاة العرب المسلمين لم يبايع معاوية، وعزم على الشقاق وكان معه جيش[(١)]، فأرسل إليه معاوية من يذكره ويقول له: "على طاعة من تقاتل، وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك"[(٢)].

ويبدو أن قيس بن سعد أراد أن يأمن على نفسه وجنده، لأنه تأخر عن البيعة، قد فهم ذلك معاوية منه، فبعث إليه بسجل أبيض كي يشترط فيه لنفسه وفئته، فاشترط قيس "فيه له ولشيعته على الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال"[(٣)].

وقبل معاوية ذلك وأمّنه ومن معه وأعطاه مالاً. ودخل في طاعة معاوية وبايعه ومن معه[(٤)].

وتتحدث بعض الروايات الباطلة أن قيس بن سعد خطب فيمن معه من جيشه[(٥)]: "يا أيها الناس، اختاروا الدخول في طاعة إمام ضلالة، أو القتال مع غير إمام!.

قالوا: لا، بل نختار أن ندخل في طاعة إمام ضلالة".

وتصور لنا رواية أخرى من تلك الروايات الباطلة بأن معاوية توسل بقيس ليبايعه، ويجادله قيس، ثم يخاطب قيس الناس ويقول[(٦)]:

---

(١) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ١٦٤ بإسناد جيد، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ١٩.

(٢) الطبري: المصدر نفسه ٥/ ١٦٤ بإسناد جيد.

(٣) نفسه ٥/ ١٦٤.

(٤) ينظر: نفسه ٥/ ١٦٤.

(٥) نفسه ٥/ ١٦٠ بإسناد منقطع، حيث أن الطبري روى هذا الخبر عن زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي ولم يدركه توفي زياد (١٨٣هـ) وأكثر أهل الحديث على تضعيف زياد ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧٥-٣٧٧ (٦٨٥) وروى زياد ذلك عن عوانة بن الحكم الإخباري، لا يعرف حاله (ت ١٥٨هـ) وقد أرسله حيث لم يدرك الحدث. ثم كيف يكون معاوية إمام ضلالة ويجمع جميع المسلمين وإمامهم الحسن على مبايعته!؟

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٧، وروايات اليعقوبي لا إسناد لها كما هو معروف، واليعقوبي نفسه متهم، وهذا النص: ألفاظه وصيغته واضحة لمن له شيء من الخبرة في التاريخ والفرق أنها من صيغ الروافض ومن أسلوبهم، وكما يقول أئمة الحديث: هو أشبه أن يكون من كلام الروافض، كما أنه يخالف جميع النصوص الأخرى ويعارضها-الصحيحة منها والضعيفة-وقد انفرد بها اليعقوبي!.

وأتوقع أن لا يكون هذا النص أصلاً من اليعقوبي - مع ما فيه من التشيّع - وإنما من فعل أتباع المجوس المتأخرين من المتشيّعة !.

===

"يا معشر الناس لقد إعتضتم الشر من الخير، واستبدلتم الذل من العز، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وابن عم رسول رب العالمين، قد وليكم الطليق ابن طليق ... ونادى الناس بايع قيس، فقال: كذبتم والله ما بايعت".

وبعد إن بايعه جميع الناس في الكوفة، بايعه المسلمون في سائر الأقاليم والآفاق، وسمي ذلك العام بعام الاتفاق والجماعة(١).

وكان ذلك في يوم الخامس من ربيع الأول. وقيل ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين(٢).

ثم هل يمكن شرعاً أن يخالف الإنسان إمامه؟!، وثانياً هل يمكن لمستأمن مشفق على نفسه أن يتكلم بمثل هذا الكلام. وكأنه جالس في ديوان يحدّث الناس وهو الأمير والمنفذ؟!.

(١) ينظر: تاريخ خليفة بن الخياط: ١/ ١٨٧، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ١٩.

(٢) ينظر: خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ١٨٧، الطبري: المصدر السابق ٥/ ١٦٣، المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٠، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ١٨.

المبحث الثاني
عصر التابعين

١ـ كلمة الخليفة:

مِنْ خَلَف يَخْلُفُ خَلاَفَةً، جَمْعُه: خُلَفاءُ، خَلائِفُ، وَالْهَاءُ مُبَالَغَةٌ مِثْلُ: عَلَّامَةٍ وَنَسَّابَةٍ وَيَكُونُ وَصْفًا لِلرَّجُلِ خَاصَّةً [١].

وخَلَفَهُ خِلافَةً: كان خَليفَتَهُ وبَقِيَ بَعْدَهُ وهو:

من يقوم مقام الذاهب ويَسّد مسدّه والخلافة الإمارة[٢].

وفي الاصطلاح:

الخَليفَةُ: السُّلْطانُ الأعْظَمُ وَيقَع على الرِّجالِ خاصَّةً [٣].

الخِلافَةُ عن صاحب الشرع في حراسة الدين والدنيا[٤].

الفرق بين الخلافة والإمامة:

الخليفة والإمام واحد، إلا أن بينهما فرقا، فالخليفة:

من استخلف في الأمر مكان من كان قبله، فهو مأخوذ من أنه خلف غيره، وقام مقامه.

والإمام: مأخوذ من التقدم، فهو المتقدم فيما يقتضي وجوب الاقتداء بغيره، وفرض طاعته فيما تقدم فيه [٥].

---

(١) الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، المصباح المنير، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، ص ٩٥.

(٢) ينظر الفراهيدي: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال ٤/ ٢٦٥ وما بعدها، ابن سيدة: المخصص ٣/ ١٣٤، الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١/ ١٠٤٣ وما بعدها، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث٢/ ٦٩، ابن منظور: لسان العرب ١/ ٨٨٣. وينظر كذلك: الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، نظام الحكومة النبوية، المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي، بيروت ١/ ٢(خلف).

(٣) الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١/ ١٠٤٤.

(٤) ينظر ابن خلدون: المقدمة ص١٥١، وينظر كذلك: ابن تيمية، قاعدة في مواضع الأئمة ومجامع الأمة، تحقيق: أحمد عدنان الحمداني. مطبعة الإرشاد-بغداد ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م ص٥٥، ص٥٨.

(٥) العسكري: معجم الفروق اللغوية (٨٦٤).

٢ـ كلمة الملك:

من ملَكَ يملُك ويَملِك، مُلْكًا، فهو مالِك، والمفعول مَمْلوك [١].

هو الرَّبْط والشَّدُّ. والمَلْك والمُلك والمِلك، احتواء الشيء، والقدرة عليه، والقدرة على الاستبداد به [٢].

ومَلِكٌ ومالِكٌ ومَليك ومَلْك والجمع: أملاك ومُلاَّك ومُلُوك ومُلْكاهُ [٣].

اتفق المسلمون بأجمعهم [٤]، أن عهد الخلافة الراشدة هي خلافة نبوّة [٥]، أي على صفات ومنوال حكومة النبي ﷺ. واستدلوا على ذلك بعدة أحاديث منها:

١ - أن النبي ﷺ أوصى الصحابة بجملة من الأمور ثم قال [٦]:

---

(١) د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، الناشر: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م ٣/ ٢١٢١ (٤٩٠٠ - م ل ك).

(٢) ينظر ابن سيدة: المصدر السابق ٣/ ١٣٣-١٣٤، ابن منظور: المصدر السابق ٣/ ٥٢٨. مادة (مَلَك).

(٣) ينظر ابن سيدة: المصدر السابق ٣/ ١٣٣-١٣٤، ابن منظور: المصدر السابق ٣/ ٥٢٨. مادة (مَلَك).

(٤) حصل هذا الإجماع منذ عهد مبكر من تاريخ الإسلام، في عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم، ولم يكن هناك خلافة حول هذا الموضوع، ولا يعتد بخلاف ظهر من بعض الفرق والمذاهب التي ظهرت في القرن الرابع والخامس، لأن الإجماع انعقد قبلهم بقرون على ذلك.

ثم إن اختلاف واتفاق هذه الفرق والمذاهب، التي جاءت مع الموجة، البويهية، والعبيدية، لا أثر لها على عقائد وتاريخ المسلمين، لكونها؛ عقائد ومذاهب منحرفة، لا تمت الإسلام والمسلمين بصلة، وإنما هي عقائد ومذاهب، تخدم حضارة وأمة وعقيدة، أخرى، تحت شعارات، وعقائد وأفكار، ظاهرها الرفض، وباطنها الكفر المحض !.

(٥) ينظر ابن العربي: العواصم من القواصم ص١٨٨-١٩٢، الزمخشري: الكشاف ٣/ ٢٥١، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٩٧، النووي: شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٩٩-٢٠٤، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣/ ٣٠٠-٣٠٢، التاريخ ٨/ ١٦، ١٩-٢٠، ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٢١١-٢١٥، ابن قدامى: المغني والشرح الكبير ١٠/ ٥٢-٥٣، الموسوعة الفقهية ٦/ ٢١٩ (مادة الإمامة الكبرى).

(٦) مسند أحمد ٢٨/ ٣٧٣ (١٧١٤٤) الترمذي: السنن ٥/ ٤٤ (٢٦٧٦) وقال حديث حسن صحيح، المستدرك على الصحيحين ١/ ١٧٤ (٣٢٩) المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم

المؤلف: أبو نعيم الهراني الأصبهاني: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط١، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م ١/ ٣٥ (١) ينظر كذلك: شرح الأربعين النووية ص٧٩ (٢٨).

٢- (فإنه مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كثيراً فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأمور فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) الحديث.

٢- «لاَ يَزَالُ الإسلام عَزِيزًا إلى اثْنَىْ عَشَرَ خَلِيفَةً».

ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً لَمْ أَفْهَمْهَا فَقُلْتُ لأَبِي[1]:

مَا قَالَ؟.

فَقَالَ:

«كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»[2].

٣- واستدلوا بحديث روي بعدة الفاظ كلهم عن سفينة مولى رسول الله ﷺ[3]: «الْخِلاَفَةُ فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ ».

ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ:

أَمْسِكْ خِلاَفَةَ أَبِي بَكْرٍ وَخِلاَفَةَ عُمَرَ وَخِلاَفَةَ عُثْمَانَ.

ثُمَّ قَالَ لِي: أَمْسِكْ خِلاَفَةَ عَلِيٍّ.

قَالَ فَوَجَدْنَاهَا ثَلاَثِينَ سَنَةً".

وقد أدخل بعضهم خلافة الحسن في ذلك[4]:

"وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ فإنه توفي في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين".

---

(١) السائل هو: الصحابي جابر بن سمرة راوي الحديث، ينظر: النووي: شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٠٢.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٤٥٢ (١٨٢١)، شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٠٢.

(٣) مسند أحمد ٤/ ١٨٥ و٥/ ٢٢٠-٢٢١، أبو داود: السنن ٤/ ٢٠٧ (٤٦٣٥)، الترمذي: السنن٤ / ٤٣٦ (٢٢٢٦)، واللفظ له، الطبراني: المعجم الكبير١ / ٤٥، ٧/ ٩٧، ٩٨، ابن عدي: الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٧٠٤، ٢٧١١، البغوي: شرح السنة ١٤/ ٧٤، ، التبريزي: مشكاة المصابيح رقم الحديث (٥٣٩)، الهيثمي: موارد الظمآن تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية-بيروت ص٣٦٩ (١٥٣٤).

(٤) البداية والنهاية ٨/ ١٦.

وهذا بعيد لأمور ستأتي[١].

ولا يطلق اسم الخليفة على رجل إلا من يجتمع فيه شروط:

١ - أن يكون قرشيا، للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك[٢].

٢ - أن تجتمع الأمة عليه، ويحمل ذلك على الأكثر الأغلب[٣].

٣- أن يكون الإسلام في عهده عزيزا قويا منيعا[٤].

٤ - توفير الأمن والاطمئنان وإزالة الخوف الداخلي والخارجي عن الأمة [٥].

وقد اجتمعت هذه الشروط في أبي بكر ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم اختلف المسلمون على الحسن ومعاوية، فأصبحوا فريقين[٦] ثم صالح الحسن معاوية، وأجمع المسلمون على بيعته وخلافته[٧].

وقد أخبر النبي في أحاديث صحيحة صريحة أن أمر الناس ماضي ما وليهم اثنا عشر خليفة وفي رواية أميرا، وفي رواية أخرى رجلاً كلهم من قريش[٨].

ومن تأمل تلك الأحاديث علم أن الإسلام ظلّ منيعا قويا عزيزا إلى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني، ولم تفترق فيه كلمة المسلمين إلا في أوقات نادرة وقليلة وكان المسلمون كلمتهم واحدة، ولا يحكمهم سوى خليفة واحد، منذ خلافة الصديق إلى عهد عمر بن عبد لعزيز وعددهم أربعة عشر نفسا.

---

(١) ينظر تحقيقنا على كتاب ابن أبي عذيبة المقدسي (تاريخ دول الأعيان في أخبار من سلف من أهل الزمان) وقد استوفينا الكلام حول هذا الموضوع هناك بإسهاب في الباب الأول.

(٢) ينظر الأحاديث: في الصحيحين: فتح الباري ١٣/ ٢١١ (٧٢٢٢-٧٢٢٣)، شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٩٩-٢٠٤ باب الإمارة بعدة ألفاظ.

(٣) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١٣/ ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥ واستشهد لذلك بعدة أحاديث.

(٤) ورد ذلك في عدة أحاديث رواها الإمام مسلم ينظر النووي: المصدر السابق ١٢/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٥) ينظر الزمخشري: الكشاف ٣/ ٢٥١، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٢٩٨-٢٩٩.

(٦) ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/ ١٥٨-١٦١، ابن العربي: العواصم من القواصم ص١٨٤، ابن حجر: المصدر السابق ١٣/ ٢١٤.

(٧) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ١٦٢-١٦٣، ابن العربي: المصدر السابق ص١٨٤، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ١٦، ١٨-١٩.

(٨) ينظر تفصيل ذلك الصحيحين: فتح الباري ١٣/ ٢١١، شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٠٢.

"منهم اثنان لم تصح ولايتهما ولم تطل مدتهما وهما: معاوية بن يزيد[١]، ومروان بن الحكم[٢]، والباقون اثنا عشر نفسا على الولاء كما اخبرنا ﷺ"[٣].

وورد حديث ضعيف جداً أن النبي قال[٤]:

(الْخِلاَفَةُ بِالْمَدِينَةِ وَالْمُلْكُ بِالشَّامِ).

عقّب الحافظ ابن كثير على هذا الحديث فقال:

غريب جداً[٥].

وبهذا يمكن أن نقول:

أن خلفاء بني أمية كانوا بحق خلفاء، اجتمعت فيهم جميع الشروط المطلوبة، يقول ابن حجر[٦]:

---

(١) هو: معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٤هـ، وبويع لعبد الله بن الزبير بالخلافة في السنة نفسها بالحجاز، ولم يمكث بعد أبيه إلا أربعين يوما ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٨٣-١٨٤، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٥٠١-٥٠٣.

(٢) هو: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، بويع له بالخلافة بعد وفاة معاوية بن يزيد سنة (٦٤هـ) وتوفى سنة (٦٥هـ) حكم تسعة أشهر وقيل عشرة اشهر إلا ثلاث ليال، ينظر: اليعقوبيو الطبري: المصدران نفسيهما ٣/ ٣-٥، ٥/ ٥٣٠، ٦١٠-٦١١.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢١٥.

(٤) التاريخ الكبير ٤/ ١٦، المستدرك ٣/ ٧٢، تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٤١، العلل المتناهية ٢/ ٢٨٠، مشكاة المصابيح (٦٢٧٥)، البداية والنهاية ٨/ ٢٠، الجامع الصغير ١/ ٦٣٨ (٤١٤٦)، كنز العمال ٦/ ٨٨ (١٤٩٦٦)، كلهم عن هشيم عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

وهشيم هو: ابن بشير بن القاسم بن دينار السلمّي روى عن العوام بن حوشب، ثقة، فيه تدليس (ت ١٨٣هـ) ينظر: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٤٨-٢٤٩ (٢٣٥)، تهذيب التهذيب ١١/ ٥٩-٦٣ (١٠٠).

والعوام هو: ابن حوشب بن يزيد الشيباني الواسطي ثقة (ت ١٤٨هـ) انظر: ابن حجر: المصدر السابق ٨/ ١٦٣-١٦٤ (٢٩٧)، الخزرجي: خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٢٩٨.

وسليمان: هو ابن أبي سليمان مولى ابن عباس روى عن أبيه وعن أنس وروى عنه العوام بن حوشب، والظاهر أنه وأبوه مجهولان، وجميع من روى هذا الأثر رواه عن طريقهما!.

ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٢/ ٢١١ (٣٤٧٦)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ١٩٦-١٩٧ (٣٣٣)، الخزرجي: المصدر السابق ص١٥٢، والغريب أن السيوطي نقل عن الحاكم تصحيحه؟! ينظر: الجامع الصغير ١/ ٦٣٨.

(٥) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٠.

(٦) فتح الباري ١٣/ ٢١٤.

"أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته، والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم علي، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين، فسمي معاوية يومئذ بالخلافة.

ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر، بل قتل قبل ذلك.

ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان، بعد قتل ابن الزبير.

ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام.

وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين.

والثاني عشر هو: الوليد بن يزيد بن عبد الملك، اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام، فولى نحو أربع سنين[1] ثم قاموا عليه فقتلوه، وانتشرت الفتن وتغيرت الأحوال من يومئذ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك ... الخ".

١ـ النظام الوراثي في الحكم[2].

ولم تخل خلافة بني أمية من شيء من مشابهة الملوك منها: أبهة الملوك في بعضهم، في الملبس والمشرب والمأكل وركوب السفن، وبناء القصور ... الخ[3].

وقد أشار النبي ﷺ إلى خلافة معاوية رضي الله عنه وجلوسه على الأسرة كالملوك في حديث صحيح حيث كان نائما في بيت إحدى الصحابيات[4].

(ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ.

قَالَتْ: فَقُلْتُ:

وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله ؟

قَالَ:

---

(١) الصواب والمتفق عليه بين المؤرخين أن الوليد تولى الخلافة سنة وثلاثة أشهر أي من سنة (١٢٥ـ ١٢٦هـ) ثمّ قتل وهذا وهم من الحافظ ابن حجر أو أحد نسّاخ كتابه ينظر الذهبي: تاريخ الإسلام ٨/ ٢٨٧ ـ ٢٩٥، العبر في خبر من غبر ١ / ١٢٤.

(٢) ينظر مثلاً: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٥٦، ١٧٤، ١٨٣، و٣/ ٣، ١٣، ٢٣، ٣١، ابن حجر: المصدر السابق ١٣/ ٢١٤.

(٣) ينظر الكتاني: نظام الحكومة النبوية ١/ ١٣-١٤.

(٤) وهي: أم حرام بنت ملحان خالة أنس بن مالك.

« نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَيَّ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ، أو مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ ».

شَكَّ إسحاق (أي راوي الحديث في أيّ الجملتين، سمعها من الرسول ﷺ).

قَالَتْ: فَقُلْتُ:

يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ.

فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ وَضَعَ رأسه، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ.

فَقُلْتُ:

وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟.

قَالَ:

«نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَيَّ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ».

كَمَا قَالَ فِي الأول.

قَالَتْ:

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ.

قَالَ «أنت مِنَ الأَوَّلِينَ».

فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، فَهَلَكَتْ[1].

وقد حصل ذلك، حينما كان معاوية أمير الجيش سنة (٢٧هـ) أيام عثمان بن عفان وغزا قسطنطينية[2].

وكانت أم حرام معه في تلك الغزوة، وماتت هناك، ثم غزاها يزيد بن معاوية سنة (٤٩هـ) في زمن أبيه، وذلك من دلائل النبوة[3].

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٠٢٧ (٢٦٣٦) صحيح مسلم ٣/ ١٥١٨ (١٩١٢)، فتح الباري ٦/ ١٠ (٢٧٨٨- ٢٧٨٩)، شرح صحيح مسلم ١٣/ ٥٧-٦٠.

(٢) وهي الآن: اصطنبول، وكانت دار ملك الروم، ينظر: معجم البلدان ٤/ ٣٤٧ (قسطنطينية).

(٣) ينظر: ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢٩.

ثم اختل الأمر في عهد يزيد بن الوليد[١] وقتل.

وازدادت الفتنة في زمن مروان بن محمد الجعدي وقتله بنوا العباس[٢].

" ثم كان أول خلفاء بني العباس أبو العباس السفاح، ولم تطل مدته مع كثرة من ثار عليه، ثم ولى اخوه المنصور، فطالت مدته، ولكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيين على الأندلس، واستمرت في أيديهم متغلبين عليها إلى أن تسموا بالخلافة بعد ذلك.

وانفرط الأمر في جميع أقطار الأرض إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم في بعض البلاد، بعد أن كانوا في أيام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع أقطار الأرض شرقا وغربا وشمالا ويمينا مما غلب عليه المسلمون.

ولا يتولى أحد في بلد من البلاد كلها الأمارة على شيء منها إلا بأمر الخليفة، ومن نظر في أخبارهم عرف صحة ذلك"[٣].

ووصل تفكك الخلافة إلى أسوأ حال حيث قد كان يدعي الخلافة في الأندلس وحدها ستة أنفس، عدا صاحب مصر، والعباسية ببغداد، وغيرهم من العلوية والخوارج!![٤].

وبذا جمع خلفاء بني العباس بين الخلافة والملك، جاء في أثر صحيح عن ذي عمرو[٥] وهو

---

(١) تولى الخلافة سنة (١٢٦هـ) واضطرب الأمر في عهده اضطرابا كبيراً، وخرج عليه الناس من كل الجهات وحكم خمسة أشهر توفي في السنة نفسها، ينظر: اليعقوبي: المصدر السابق ٣/ ٦٣-٦٤، الطبري: المصدر السابق ٧/ ٢٦١ وما بعدها.

(٢) تولّى الخلافة (١٢٧هـ) واضطرب فيها أمر بني أمية كما تقوى فيها دعوة بني العباس وانتشرت دعوتهم في كل مكان وتمكنوا في نهاية المطاف قتل مروان سنة (١٣٢هـ) ينظر اليعقوبي والطبري: المصدران نفسيهما ٣/ ٦٥-٧٢، ٧/ ٣١١، ٤٥٤.

(٣) فتح الباري ١٣/ ٢١٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ١٣/ ٢١٢.

(٥) ذُو عَمْرو الحميري رجل أقبل من اليمن مع ذي الكَلاع إلى النبي ﷺ وافِدَيْن مُسْلِمَيْن، ومعهما جرير ابن عبد الله البَجَلي، فمات النبيُّ ﷺ قبل أن يصلوا إليه.

كان في زمن النبي ﷺ ملكا.

فذو عمرو وذو الكَلاع ممن أسلم في زمن النبي ﷺ ولم يره، فليست لهما صحبة.

وقيل: إن جريرا كان الرسولَ إليهما من قِبَل النبي ﷺ في قتل الأسود العَنْسي.

وقيل: بل كان إقبال جرير معهما مسلما وافدا على النَّبيِّ. والأول أصحّ.

==

من ملوك اليمن يخاطب الصحابي الجليل قَيْسٍ[١] عَنْ جَرِيرٍ[٢] قَالَ[١]:

له ذكر في كتاب الخِلافة، وكان ذو عمرو من رؤساء اليمن ومقدَّميه.

ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٤٦٩ (٧١٧) مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير(ت ٦٠٦هـ): جامع الأصول في أحاديث الرسول ١٢/ ٣٧٧ (٨١٣) عز الدين بن الأثير(ت ٦٣٠هـ): أسد الغابة ٢/ ٢٠٩ (١٥٤١) الإصابة ٢/ ٤٢٧ (٢٥٠٥).

(١) قيس بن أبي حازم الكوفى الأحمسي البجلى كوفى ادرك الجاهلية، كنيته: أبو عبد الله، وقيل: أبو عبيد الله يروى عن العشرة.

واسم أبى حازم عوف بن الحارث ويقال عبد عوف بن الحارث.

كان قيس بن أبى حازم أتى النبي ﷺ ليبايعه فقدم المدينة وقد قبض النبي ﷺ فبايع أبا بكر الصديق.

ثقة من كبار التابعين، مات سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة ثمان وتسعين، وقيل: سنة أربع وثمانين، وقيل: سنة ستة وثمانين.

ينظر ابن حبّان: الثقات ٥/ ٣٠٧ (٤٩٧٨) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٧/ ١٠٢ (٥٧٩) العجلي: معرفة الثقات ٢/ ٢٢٠ (١٥٢٩).

(٢) جرير بن عبدالله بن جابر وهو الشليل بن مالك بن نصر البجلي، يكنى أبا عمرو وقيل أبا عبدالله، كان إسلامه في العام الذي توفي فيه رسول الله ﷺ وقال جرير أسلمت قبل موت رسول الله ﷺ بأربعين يوما.

قال ابن حجر:

"وهو غلط ففي الصحيحين عنه أن النبي ﷺ قال له استنصت الناس في حجة الوداع وجزم الواقدي بأنه وفد على النبي ﷺ في شهر رمضان سنة عشر وأن بعثه إلى ذي الخلصة كان بعد ذلك وأنه وافي مع النبي ﷺ حجة الوداع من عامه وفيه عندي نظر لأن شريكا حدث عن الشيباني عن الشعبي عن جرير قال قال لنا رسول الله ﷺ إن أخاكم النجاشي قد مات الحديث أخرجه الطبراني فهذا يدل على أن إسلام جرير كان قبل سنة عشر لأن النجاشي مات قبل ذلك".

قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك وتبسم

وقال فيه رسول الله ﷺ حين اقبل وافدا عليه: يطلع عليكم خير ذي يمن كان على وجهه مسحة ملك فطلع جرير وبعثه رسول الله ﷺ إلى ذي كلاع وذي رعين باليمن.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يوقول جرير بن عبدالله يوسف هذه الأمة يعني في حسنه وهو لاذي قال لعمر حين وجد في مجلسه رائحة من بعض جلسائه فقال عمر عزمت على صاحب هذه الرائحة غلا قام فتوضأ فقال جرير بن عبدالله علينا كلنا يا أمير المؤمنين فاعزن قال عليكم كلكم عزمت ثم قال يا جرير ما زلت سيدا في الجاهلية والإسلام ونزل جرير الكوفة وسكنها وكان له بها دار ثم تحول إلى قرقيسياء ومات بها سنة اربع وخمسين، وقد قيل إن جريرا توفي سنة إحدى وخمسين وقيل مات بالسراة في ولاية الضحاك بن قيس على الكوفة لمعاوية.

(كُنْتُ بِالْيَمَنِ فَلَقِيتُ رَجُلَيْنِ مِنْ أهل الْيَمَنِ:
ذَا كَلَاعٍ [٢] وَذَا عَمْرٍو فَجَعَلْتُ أُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُ ذُو عَمْرٍو:
لَئِنْ كَانَ الَّذِي تَذْكُرُ مِنْ أمر صَاحِبِكَ لَقَدْ مَرَّ عَلَى أَجَلِهِ مُنْذُ ثَلَاثٍ.
وَأَقْبَلَا مَعِي حَتَّى إذا كُنَّا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ رُفِعَ لَنَا رَكْبٌ مِنْ قِبَلِ الْمَدِينَةِ فَسَأَلْنَاهُمْ فَقَالُوا:
قُبِضَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتُخْلِفَ أبو بَكْرٍ وَالنَّاسُ صَالِحُونَ.
فَقَالَا:
أَخْبِرْ صَاحِبَكَ أَنَّا قَدْ جِئْنَا وَلَعَلَّنَا سَنَعُودُ إِنْ شَاءَ الله وَرَجَعَا إلى الْيَمَنِ.
فَأَخْبَرْتُ أبا بَكْرٍ بِحَدِيثِهِمْ.
قَالَ: أَفَلَا جِئْتَ بِهِمْ ؟.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ قَالَ لِي ذُو عَمْرٍو: يَا جَرِيرُ إِنَّ بِكَ عَلَيَّ كَرَامَةً وَإِنِّي مُخْبِرُكَ خَبَرًا؛ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا كُنْتُمْ إذا هَلَكَ أمير تَأَمَّرْتُمْ فِي آخر.

فإذا كَانَتْ بِالسَّيْفِ كَانُوا مُلُوكًا يَغْضَبُونَ غَضَبَ الْمُلُوكِ وَيَرْضَوْنَ رِضَا الْمُلُوكِ).

وقد يجمع الله الخلافة والملك لبعض عباده، كما جمع لنبيه داود النبوة والخلافة والملك.

قال تعالى:

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ينظر ترجمته ابن عبد البر: الاستيعاب ١/ ٢٣٦، الذهبي: المعين في طبقات المحدثين، تحقيق د. همام عبد الرحيم سعيد، الناشر دار الفرقان مكان النشر عمان - الأردن، ١٤٠٤هـ ص ٢٠ (٢٣) الإصابة ١/ ٤٧٥ (١١٣٨).

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢١٠ (٤٣٥٩)، فتح الباري ٨/ ٧٦ (٤٣٥٩)، ينظر كذلك: ابن تيمية، قاعدة في مواضع الأئمة ص٤٣.

(٢) ذو كلاع رَضِيَ الله تعالى عنه، هكذا ذكره عدد من أهل الحديث، دون تفصيل عنه، ويذكر خليفة بن خياط: رجلاً اسمه: ذو كلاع، قاتل وقعة صفين سنة سبع وثلاثين مع معاوية رضي الله عنهما ، ويا ترى هل هو أم غيره؟. ولم أجد له ذكرا في كتب ومعاجم الصحابة، وله أحاديث عند أبي بكر الشيباني، والطبراني ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ص ٤٥، الآحاد والمثاني ٤/ ٥٩٤ (٢٧٥٣) رقم ترجمته:٩٦٣، وحديثه: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: (اتْرُكُوا الترك مَا تَرَكُوكُمْ). وأورده أيضاً الطبراني بهذا النص: المعجم الكبير ٥/ ٢٢٥ (٢٧٥٣) رقم ترجمته:٩٦٣.

وله حديث ثاني ذكره الطبراني: المعجم الكبير٢/ ٣٠١ (٢٢٥٩) ويذكر فيه: حديث الباب الذي أوردناه.

فسر العلماء الملك: بتمليك الله له ملك طالوت، وفسروا الحكمة: بالنبوة[(١)].

وقال جل شأنه أيضاً:

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [ص: ٢٦].

أي جمع له النبوة والخلافة[(٢)].

ثم انقضى عصر بني العباس سنة (٦٥٦هـ) وساد الهرج والفتن كما أخبر بذلك نبي الرحمة ﷺ[(٣)] وأصبح الأمر ملكا، وسلطانا، والغالب على الملك والسلطان القوة والسطوة والاستبداد بالأمر، والأثرة[(٤)].

وهكذا بدأ الأمر نبوة، ثم خلافة نبوة، ثم خلافة فيها آثار الملك، ثم خلافة وملك، ثم ملك وسلطان.

وبهذا يمكن الجمع والتوفيق بين الأحاديث الكثيرة التي وردت عن النبي ﷺ في ذلك والله أعلم[(٥)].

وقعة الحرة[(٦)]:

تتفق الروايات بأن أهل المدينة خلعوا بيعة يزيد بن معاوية، وأخرجوا عامله عثمان بن محمد

---

(١) ينظر ابن كثير: تفسير القران العظيم ١/ ٣٠٣.

(٢) ينظر ابن كثير: المصدر نفسه ٤/ ٣٢.

(٣) ينظر: شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٠٠-٢٠٣)، ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٩-٢٠، و١٤/ ١٦٠، ٢٠٤-٢٠٥، ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٢١١-٢١٥.

(٤) ينظر انظر: ابن سيدة: المخصص ٣/ ١٣٣-١٣٤، ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٥٢٨ مادة (مَلك)، ابن كثير: المصدر السابق ١٤/ ٩٢-٢٢٥، ستجد في مدة سنوات قليلة-قبل سقوط الخلافة العباسية وبعدها عددا كبيراً من الملوك والسلاطين، مقتسمين بلاد المسلمين لا يجمعهم رأس جامع!

(٥) ينظر ابن كثيرو ابن حجر: المصدران السابقان ٨/ ١٩-٢٠، ١٣/ ٢١١-٢١٥.

(٦) سمّاها بعض الجهلة والمغرضون: بإباحة المدينة.

ولا يجوز تسميتها بإباحة المدينة، لأنه لم ترد في رواية صحيحة ولا حسنة، ولا ضعيفة يعّول عليها-كما سيأتي- أن المدينة استبيحت.

والحرّة هي: حرَّة واقم، تقع شرقي المدينة، وقعت فيها الوقعة المشهورة سنة (٦٣هـ) ينظر: معجم البلدان ٢/ ٢٤٩ (حرّة).

بن أبي سفيان[(١)]، ومن معه من بني أمية، ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش من المدينة. وكانوا يقدرون بنحو ألف رجل[(٢)]، ونزلوا جفيلاً[(٣)] خارج المدينة عل طريق الشام[(٤)].

تختلف الروايات في سبب ذلك، فذهب بعضهم إلى أن عامل يزيد على الصوافي[(٥)] طلب من والي المدينة عثمان بن محمد جمع صوافي تلك السنة (٦٣هـ) فكلم الوالي أهل المدينة، فامتنعوا عن أداء ذلك، فوثبوا به وبمن كان معه بالمدينة من بني أمية[(٦)] وذهب بعض آخر أنهم دعوا إلى الرضى

---

(١) عثمان بن محمد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي عامل يزيد بن معاوية على المدينة أخرجه أهل المدينة في سنة ثلاث وستين حين اجتمعوا على إخرج بني أمية عنها.

وحذرهم عثمان عاقبة ذلك فأبوا وشتموه وشتموا يزيد وخلعوه.

وأتى عثمان ابن عمر يستشيره في ضم عياله فقال له:

لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء!.

فرجع وهو يقول: قبح الله هذا أمرا، وهذا دينار.

وندم ابن عمر على قوله لعثمان وقال: لو وجدت سبيلا إلى نصر هؤلاء لفعلت فلقد ظلموا وبغي عليهم.

وقال له ابنه سالم: لو كلمت هؤلاء القوم!.

فقال: يا بني أنهم لا ينزعون عما هم فيه وهم بعين الله إن أراد أن يغير غير.

وأتى عثمان؛ علي بن الحسين ليضم أهله ويقبله ففعل ووجههم وامرأته أم أبان بن عثمان إلى الطائف، ومعها ابناه؛ عبد الله ومحمد، فعرض لهم حريث رقاصة وهو: مولى لبني بهز من سليم، وكان بعض عمال المدينة قطع رجله، فكان إذا مشى كأنه يرقص بحيث لقب: رقاصة، في قصة طويلة بحيث كان ذلك السبب في وقعة الحرة.

ينظر: تاريخ خليفة بن الخياط: التاريخ ١/ ٢٢٧، تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٨١، تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤٨٢.

السخاوي: شمس الدين (ت ٩٠٢هـ) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ٢/ ٢٥١ (٢٩٢٧) والترجمة مأخوذة منه.

(٢) ينظر: خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٧، ٢٢٨، اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٨١، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٨٢، المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٣١٠، ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٢١٧-٢١٨.

(٣) لم أقف على معرفة هذا الموقع فيما رجعت إليه من المصادر المختصّة، ويقع على طريق الشام ينظر: تاريخ خليفة بن الخياط ١/ ٢٢٨.

(٤) ينظر: نفسه ١/ ٢٢٨.

(٥) الصوافي، والصيفية هي: الميرة قبل الصيف ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٥٠١ (صَيف).

(٦) ينظر اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٨١.

والشورى[١].

وقال آخرون:

أن سبب ذلك أن يزيد انهمك في الملذات وجاهر بالمعاصي[٢].

ورواية رابعة:

أن عبد الله بن الزبير هو الذي حرضهم على ذلك[٣].

وهذه الروايات كلها باطلة، أو ضعيفة جداً، ولم تصلنا رواية صحيحة أو حسنة تبين لنا سبب ذلك.

واجتهد عبد الله بن عمر رضي الله عنه في تحذير الناس عن خلع البيعة، ونتائجها الوخيمة في الدنيا والآخرة روى الإمام أحمد بإسناد رجاله ثقات[٤] قال:

---

(١) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٨ وقد روى هذا الخبر خليفة عن أبي اليقظان وهو: عثمان بن عمير، وقيل عثمان بن أبي زرعة، وعثمان بن قيس وغير ذلك، البجلي الكوفي الأعمى، ضعيف، غالٍ في التشيع، مدلس، اختلط في آخره (ت ١٥٠هـ) وقيل قبل ذلك ينظر: النسائي: الضعفاء والمتروكين ص١٧٥ (٤٣٨)، الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٥٠-٥١ (٥٥٥٠)، الكاشف ٢/ ٢٢٣، المغني ٢/ ٤٢٨، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ١٤٥-١٤٦ (٢٩٢) وخليفة لم ير أبا اليقظان فالخبر منقطع في أوله، كما أن أبا اليقظان لم يدرك الحدث وربما بينه وبين الحدث شخصان، فالخبر في نهايته معضل!.

(٢) ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٣٢، ٢٣٣ وهذا الخبر لم يذكر له ابن كثير سندا! ولم يرد في خبر صحيح أو حسن أن يزيدا كان يشرب الخمر أو يجاهر بالمعاصي، والغريب أن ابن كثير يذكر في الصفحة نفسها خبر عن محمد بن الحنفية بن علي رضي الله عنه أنه نفى عن يزيد كل تلك التهم وقال لأهل المدينة مخاطبا إياهم:

"ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده، فرأيته مواظبا على الصلاة، متحريا للخير، يسأل عن الفقه، ملازما للسنة، قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعا لك.

فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليَّ الخشوع؟.

أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وان لم يكن اطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا.

قالوا أنه عندنا لحق وان لم يكن رأيناه فقال لهم أبى الله ذلك على أهل الشهادة فقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ولست من أمركم في شيء ... الخ" ينظر: المصدر نفسه ٨/ ٢٣٣، وقد شكك في صحة كل ما نسب إلى يزيد، ينظر: ٨/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) ينظر المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٣.

(٤) رواية أحمد عن إسماعيل بن عليّه عن صخر بن حويرية عن نافع.

"لَمَّا خَلَعَ النَّاسُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابن عُمَرَ بَنِيهِ وَأَهْلَهُ ثُمَّ تَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ:
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ الله وَرَسُولِهِ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
(إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ).
وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْغَدْرِ أَنْ لَا يَكُونَ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ تَعَالَى:
أَنْ يُبَايِعَ رَجُلٌ رجلاً عَلَى بَيْعِ الله وَرَسُولِهِ ثُمَّ يَنْكُثَ بَيْعَتَهُ.
فَلَا يَخْلَعَنَّ أحد مِنْكُمْ يَزِيدَ وَلَا يُشْرِفَنَّ أحد مِنْكُمْ فِي هَذَا الأمر فَيَكُونَ صَيْلَمٌ[1] بَيْنِي وَبَيْنَهُ)[2].

كما حذر ابن عمر أحد القادة الأربعة[3] الذي وكل إليه ربع جيش المدينة لمحاربة جيش يزيد وثاني أحد الأميرين العامين على قيادة المدينة[4] وهو: عبد الله بن مطيع[5].

إسماعيل هو: ابن إبراهيم بن مقسم المعروف بابن علية ثقة (ت ١٩٣هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٢٧٥.

وصخر بن جويرية هو: أبو نافع مولى بني تميم من الطبقة السابعة، ثقة، لم أقف على وفاته روى عن نافع. ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ٤/ ٤١٠-٤١١ (٧٠٧)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص١٧٢.

ونافع هو: أبو عبد الله المدني مولى ابن عمر، ثقة ثبت (ت ١١٧هـ) أبو بعد ذلك، ينظر: المصدران نفسيهما ١٠/ ٤١٢-٤١٥ (٧٤٢)، ص٤٠٠.

(١) الصيلم: القطيعة المنكرة، وفي رواية:، فيكون الفيصل بيني وبينه ينظر: مسند أحمد ٢/ ٤٨ (٥٠٨٨) ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٢٣٢.

(٢) وروى الحديث مسلم بعدة طرق: شرح صحيح مسلم ١٢/ ٤٢-٤٤.

(٣) جعل أهل المدينة جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير، فالربع الأول كان يقودهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف الزهري، والربع الثاني: عبد الله بن مطيع، والربع الثالث: مَعقِل بن سنان الاشجعي، والربع الرابع: عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، في اعظم وأجمل الأرباع وأكثرها. ينظر: خليفة بن الخياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٨، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٨٧، ابن الأثير: المصدر السابق ٣/ ٣١٢.

(٤) وهما عبد الله بن مطيع وعبد الله بن حنظلة حيث كان الأول على قيادة المهاجرين، والثاني على قيادة الأنصار، ينظر: خليفة بن خياط والطبري: المصدران نفسيهما ١/ ٢٢٨، ٥/ ٤٨٧، المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٤، مروج الذهب ٣/ ٧٤، ابن الأثير: المصدر السابق ٣/ ٣١٢، ابن كثير: المصدر ٨/ ٢١٧-٢١٨.

(٥) هو: عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي المدني، رأس قريش يوم الحرّة، له رؤية قتل مع عبد الله بن الزبير سنة (٧٣هـ) ينظر: ابن حجر: الإصابة ٣/ ٦٤-٦٥ (٦١٩١)، تقريب التهذيب ١/ ٤٥٢ (٦٤٦).

(جَاءَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ إلى عَبْدِ الله بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أمر الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: اطْرَحُوا لأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً !.

فَقَالَ:

إِنِّي لَمْ آتِكَ لأَجْلِسَ.

أَتَيْتُكَ لأُحَدِّثَكَ حديثاً سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:

«مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[١].

كما تتفق الأخبار- وهي ضعيفة ولكن تعضد بعضها البعض- أن أهل بيت النبوة بأجمعهم لم يخلعوا يزيدا، ولم يساعدوا عليه أحدا، وأنكروا على أهل المدينة ذلك.

وقد تحدثت تلك الأخبار عن ذلك بالتفصيل[٢].

وذكرت اثنان من رؤوس بني طالب تعاونا مع يزيد تعاونا تاما وهما:

محمد بن الحنفية[٣]، وعلي بن الحسين المعروف بالسجاد[١].

---

(١) رواه مسلم: شرح صحيح مسلم ١٢/ ٢٤٠-٢٤١، وينظر كذلك ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٣٣ بإسناد رجاله ثقات.

(٢) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٨٤-٤٨٥، ٤٩٣-٤٩٤، المسعودي: التنبيه والإشراف ص٣٦٤، مروج الذهب ٣/ ٧٤، ابن الأثير: المصدر السابق ٣/ ٣١١، ٣١٤، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢١٨-٢١٩، ٢٣٣.

(٣) محمد بن الحنفية وهو: محمد بن علي بن أبي طالب ، المشهور بابن الحنفية ويكنى أبا القاسم أمه الحنفية خولة بنت جعفر ابن قيس ويقال بل كانت أمة من سبي اليمامة فصارت إلى علي.

قالت أسماء بنت أبي بكر رأيت أم محمد بن الحنفية سندية سوداء وكانت أمة لبني حنيفة.

كان واسع العلم، ورعا، وأخبار قوته وشجاعته كثيرة. كان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته، ويزعم أنه المهدي.

وكانت الكيسانية (من الفرق الضالّة) تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى.

وكان يقول في أخويه الحسن بن علي والحسين بن علي هما خير مني وأنا أفقه منهما، مات برضوى سنة ثلاث وسبعين ويقال: سنة ثمانين، وقد قيل: سنة إحدى وثمانين وهو ابن خمس وستين سنة ودفن بالبقيع، ثقة علم.

ينظر ترجمتها بن حبان: الثقات ٥/ ٣٤٧ (٥١٥٩) بن زبر الربعي: محمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان (ت

حتى قال أبو جعفر الباقر[٢]:

٣٩٧هـ) تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، الناشر دار العاصمة - الرياض، سنة النشر ١٤١٠هـ ١/ ٢٠٢، ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، ط٢، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ٢/ ٧٧ (١٥٨) ابن الخطيب: أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب (ت ٨٠٩هـ)، كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض

الناشر دار الإقامة الجديدة، سنة النشر - بيروت، ١٩٧٨م، ص ٩٣ (٨٣).

(١) عَلِيُّ بنُ الحُسَيْنِ ابن الإِمَام عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبِ الهَاشِمِيُّ، ابن عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هَاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، السَّيِّدُ، الإِمَامُ، زَيْنُ العَابِدِيْنَ الهَاشِمِيُّ، العَلَوِيُّ، المَدَنِيُّ. يُكْنَى: أَبَا الحُسَيْنِ. وَيُقَالُ: أَبُو الحَسَنِ. وَيُقَالُ: أَبُو مُحَمَّدٍ. وَيُقَالُ: أَبُو عَبْدِ اللهِ.

وأحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. يقال له: "علي الاصغر" للتمييز بينه وبين أخيه "علي" الأكبر، مولده ووفاته بالمدينة مدني تابعي ثقة وكان رجلاً صالحا ويروى عن الزهرى قال: ما رأيت هاشميا قط أفضل من على بن الحسين وهو أبو الحسينين كلهم.

حَدَّثَ عَنْ: أبيه؛ الحُسَيْنِ الشَّهِيْدِ، وَكَانَ مَعَهُ يَوْمَ كَائِنَةِ كَرْبَلاَءَ، وَلَهُ ثَلاَثٌ وَعِشْرُوْنَ سَنَةً، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مَوْعُوْكاً، فَلَمْ يُقَاتِلْ، وَلاَ تَعَرَّضُوا لَهُ، بَلْ أَحْضَرُوْهُ مَعَ آلِهِ إلى دمشق، فَأَكْرَمَهُ يَزِيْدُ، وَرَدَّهُ مَعَ آلِهِ إِلَى المَدِيْنَةِ. (ت ٩٤هـ).

ينظر ترجمته ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥/ ٢١١ وما بعدها، العجلي: معرفة الثقات ٢/ ١٥٣ (١٢٩٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٦ (١٥٧).

(٢) هو: أبو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ العَلَوِيُّ، الفَاطِمِيُّ، المَدَنِيُّ، وَلَدُ زَيْنِ العَابِدِيْنَ. وُلِدَ: سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِيْنَ، فِي حَيَاة عَائِشَةَ وأَبِي هُرَيْرَةَ.

كَانَ أحد مَنْ جَمَعَ بَيْنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ، وَالسُّؤْدُدِ وَالشَّرَفِ، وَالثِّقَةِ وَالرَّزَانَةِ، وَكَانَ أَهْلاً لِلْخِلاَفَةِ، وَشُهِرَ أبو جَعْفَرٍ: بِالبَاقِرِ، مِنْ: بَقَرَ العِلْمَ، أَيْ: شقه، فعرف أصله وَخَفِيَّهُ.

قَالَ ابن فُضَيْلٍ: عَنْ سَالِمِ بنِ أَبِي حَفْصَةَ:

سَأَلْتُ أبا جَعْفَرٍ وَابْنَهُ جَعْفَراً عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالاَ لِي: يَا سَالِمُ، تَوَلَّهُمَا، وَابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِمَا، فَإِنَّهُمَا كَانَا إِمَامَيْ هُدَىً.

عَنْ بَسَّام الصَّيْرَفِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أبا جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، فَقَالَ: واللهِ إِنِّي لأَتَوَلاَّهُمَا، وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمَا، وَمَا أَدْرَكْتُ أَحَداً مِنْ أهل بَيْتِي إِلاَّ وَهُوَ يَتَوَلاَّهُمَا.

عَدَّهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ فِي فُقَهَاءِ التَّابِعِيْنَ بِالمَدِيْنَةِ، واتفق الحُفَّاظُ عَلَى الاحْتِجَاجِ بِأَبِي جَعْفَرٍ.

مَاتَ أبو جَعْفَرٍ: سَنَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَمائَةٍ بِالمَدِيْنَةِ. وَقِيْلَ: تُوُفِّيَ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ.

ينظر ترجمته ابن حبان: الثقات ٥/ ٣٤٨ (٥١٦٠) ابن ماكولا علي بن هبة الله بن أبي نصر: الإكمال في رفع

"لم يخرج أحد من آل أبي طالب ولا من بني عبد المطلب أيام الحرّة"[١]. واعتزل الفتنة جماعة من سادات الصحابة، وكسروا سيوفهم، وخرجوا إلى أطراف المدينة[٢].

وحينما وصل عبد الله بن العباس خبر خلع أهل المدينة يزيدا، وكان في الطائف- واستعملهم أميرين على جيشهم قال:

أميران هلك القوم[٣]! رجاله ثقات[٤].

كتب مروان إلى يزيد ما آل إليه أمر أهل المدينة، فأمر يزيد؛

"بقبّة، فضربت له خارجا من قصره، وقطع البعوث على أهل الشام مع مسلم بن عقبة المريّ[٥]، فلم تمض ثالثة حتى فرغ، ثم أصبح في اليوم الثالث فعرض عليه الكتائب وهو يقول[٦]:

ابلغ أبا بكر إذا الجيش انبرى إذا أتى الجيش على وادي القرى

أجمع نسوان من القوم ترى "[٧].

==

الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ ١/ ١٧٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٠١ (١٥٨)

(١) ابن كثير: نفسه ٨/ ٢٣٣.

(٢) ينظر: تاريخ خليفة بن الخياط ١/ ٢٣٠-٢٣١ ورجال إسناده ثقات، الطبري وابن الأثير وابن كثير: ٥/ ٤٩١، ٣/ ٣١٣، ٨/ ٢٢١، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٩٩-٣٠٠ بإسناد صحيح.

(٣) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٨.

(٤) وهم: وهب بن جرير بن حازم الأزدي ثقة إلا في شعبة (ت ٢٠٧هـ) ينظر الذهبي: من تكلم فيه وهو موثق ص١٩٢، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ١٦١، وثانيهم هو: جرير بن حازم (أبو السابق) ثقة تغير قبل موته بسنة ولم يتحدث عنه أولاده في اختلاطه (ت ١٧٥هـ) انظر: ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ٦٩، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٦١، وثالثهم هو: أيوب بن كيسان السختياني ثقة (ت ١٣١هـ) ينظر: ابن حجرو الخزرجي: المصدران نفسيهما ١/ ٣٩٧، ص٤٢-٤٣ ورابعهم هو: عكرمة أبو عبد الله المدني مولى ابن عباس ثقة (ت ١١٠هـ) وقيل غير ذلك، ينظر: نفسيهما ٧/ ٢٦٣، ص٢٧٠

(٥) الغطفاني قائد جيش يزيد في وقعة الحرّة مات بعد أشهر من الوقعة ينظر: الذهبي: العبر ١/ ٥٠-٥١، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ٧١.

(٦) الأبيات، المنجد: صلاح الدين، شعر يزيد بن معاوية، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٨٢ م ص ٢٤.

(٧) تاريخ خيفة بن خياط ١/ ٢٢٨-٢٢٩ ورجال سنده رجال ثقات، وقصْدُ يزيد بابي بكر في الأبيات، عبد الله

==

ووفد عبد الله بن حنظلة الغسيل[١] مع ثمانية بنين له على يزيد قبل الوقعة؛ "فأعطاه مائة ألف، وأعطى بنيه كل رجل منهم عشرة آلاف درهم سوى كسوتهم وحملاتهم.

فلما قدم عبد الله بن حنظلة المدينة أتاه الناس فقالوا: ما وراءك؟

قال:

أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم.

قالوا:

فإنه بلغنا أنه أجازك وأكرمك، وأعطاك !.

قال:

قد فعل وما قبلت ذلك منه إلا أن أتقوى به عليه، وحضض الناس فبايعوه"[٢].

ويمكن الجمع بين هذه الرواية، والرواية التي قبلها، أن أهل المدينة: كان عليهم أميران في بداية خلعهم يزيد، ثم أستقر الأمر والإمارة العامة لعبد الله بن حنظلة.

وتذكر روايات منكرة أن مسلم بن عقبة حلف بالأيمان أمام يزيد قبل أن يتحرك صوب المدينة أن يجعل أسفلها أعلاها[٣].

وقسم يزيد جيشه إلى خمسة أقسام[٤]، وأعطى القيادة العامة لمسلم بن عقبة[١]، وأوصاه:

بن الزبير حيث كان يكنى به ينظر: المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٣، وقد زيّد المتأخر ون -بعد خليفة - هذه الأبيات وحرفوا بعض كلماتها لكي تنسجم مع رواياتهم الباطلة ينظر: الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٨٤، المسعودي: المصدر السابق ص٢٦٣، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢١٩.

(١) هو: عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاري أبو عبد الرحمن المعروف أبوه بغسيل الملائكة ولد السنة الرابعة للهجرة وكان من خيار أهل المدينة وعد من الصحابة قتل يوم الحرة سنة (٦٣هـ) ينظر: ابن عبد البر. الاستيعاب ٢/ ٢٨٦-٢٨٧، ابن حجر: الإصابة ٢/ ٢٩٩-٣٠٠ (٤٦٣٧)

(٢) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٧-٢٢٨، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٥ كلاهما بإسناد جيد.

(٣) ينظر: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٨١.

(٤) كان على أهل دمشق: عبد الله بن مسعدة الفزاري، وعلى أهل حمص: حصين بن نمير السكوني، وعلى أهل الأردن: حبيش بن دلجة القيني، وعلى أهل فلسطين: روح بن زنباع الجذامي، وعلى أهل قنسرين: طريف بن الحسحاس الهلالي، وقيل زفر بن الحارث الكلابي، ينظر: اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٨١، المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٣، ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٢١٨.

أن يدعو أهل المدينة ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة، يقبل منهم ويكف عنهم، وإلا فليقاتلهم[٢].

وتبالغ بعض الروايات في تعداد جيش مسلم حيث يوصله إلى خمسة وعشرين ألفا.

عشرة آلاف فارس، وخمسة عشر ألف راجل[٣].

وإسناد هذه الروايات كلها ضعيفة.

والذي يبدو أن الراجح:

أنهم كانوا حوالي خمسة آلاف مقاتل لأن من المؤرخين من ذكر أن كل قائد من قواد مسلم الخمس كان مع ألف رجل[٤].

ويضاف إلى ذلك أن جيش المدينة كان أكثر منهم، بحيث أنه لما التقى الجمعان هاب أهل الشام من أهل المدينة، وكرهوا قتالهم[٥].

وتهيأ أهل المدينة لملاقاة أهل الشام - وفي بعض الروايات الضعيفة- أنهم حفروا خندقاً حول المدينة[٦]، وقيل: بل هو الخندق الذي حفره رسول الله ﷺ يوم الأحزاب![٧].

كما أنهم بعثوا إلى كل ماء بينهم وبين أهل الشام، فعوروه[٨].

ويبدو أن اختيار الخليفة؛ مسلم بن عقبة، كان بوصية من أبيه، حيث تذكر إحدى الروايات الجيدة:

---

(١) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٩، اليعقوبي: المصدر السابق٢/ ١٨١، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٨٣، ٤٩٥، المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٣، مروج الذهب ٣/ ٧٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/ ٣١١، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢١٨.

(٢) ينظر الطبري وابن الأثير وابن كثير: المصادر السابقة ٥/ ٤٨٤، ٣/ ٣١١، ٨/ ٢١٩.

(٣) ينظر: المصادر نفسها ٥/ ٤٨٣، ٣/ ٣١١، ٨/ ٢١٨.

(٤) ينظر: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٨١، المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٣ (وجعلهم أربعة آلاف).

(٥) ينظر خليفة بن الخياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٩، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٥ كلاهما بإسناد جيد.

(٦) ينظر اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٨١، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢٠.

(٧) ينظر المسعودي: المصدر السابق ص٢٦٣.

(٨) ينظر خليفة بن الخياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٩، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٥

"أن معاوية ﷺ لما حضرته الوفاة دعا يزيداً فقال له: إن لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوها فأرمهم بمسلم بن عقبة، فإنه رجل قد عرفنا نصيحته.

فلما صنع أهل المدينة ما صنعوا وجه إليهم مسلم بن عقبة.

وقد بعث أهل المدينة إلى كل ماء بينهم وبين أهل الشام، فصبوا فيه زقاً من قطران[١]، وعوروه.

فأرسل الله عليهم السماء فلم يستقوا بدلو حتى وردوا المدينة"[٢].

ولم يكن تحذير معاوية من أهل المدينة من التكهن والتنبؤ في الأمور المستقبلية، بل كان مستندا إلى الحقائق، حيث كانت المدينة، والكوفة- دون بقية المدن الإسلامية- فيهما عدد من المعارضين[٣] لخلافة يزيد.

فالمدينة العاصمة الأولى للدولة الإسلامية، فيها جلّة الصحابة من المهاجرين والأنصار وأولادهم، وهم بقية الإسلام وعمده[٤].

أما الكوفة فلم تشكل تلك الخطورة على الخلافة كون أكثر المعارضين هم من الموالي الفرس، ومن السبئية المؤيدين لهم، وتأثيرهم ينحصر في جانب واحد وهو: تحريك بعض الجهلة من المسلمين على الدولة، وإشعال نار الفتنة بينهم.

وكان ورود جيش مسلم بن عقبة يوم الأحد لستٍ بقين من ذي الحجة سنة (٦٣هـ) فنزل شرقي المدينة في حرّة واقم[٥].

ودعا مسلم أهل المدينة ثلاثة أيام إلى الطاعة، لكنهم أبوا إلا المحاربة والقتال.

فلما مضت الثلاثة- ودخل اليوم الرابع الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة- ناداهم وقال لهم:

---

(١) الزق: ما زفت أو قير، والقطران والقطران: عصارة الأرز وغيره ينظر على التوالي: ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٣٤ (زقق)، و٣/ ١١٤ (قطر)، يعني أنهم عوروا الآبار بالقير والزفت المائع.

(٢) خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٩، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٥.

(٣) حيث كان يسكنها عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وأولاد الحسن والحسين وغيرهم.

(٤) ينظر الطبري وابن الأثير وابن كثير: المصادر السابقة ٥/ ٤٨٧، ٣/ ٣١٢، ٨/ ٢١٩.

(٥) ينظر الطبري وابن كثير: المصدران السابقان ٥/ ٤٨٧، ٨/ ٢١٩.

مضت الثلاث وإن أمير المؤمنين قال لي:

إنكم أصله وعشيرته، وانه يكره إراقة دمائكم، فماذا انتم صانعون؟.

فقالوا:

بل نحارب !.

فقال:

لا تفعلوا بل سالموا فأبوا إلا القتال(١).

وكان مسلم بن عقبة شيخاً مسنّا مريضا[٢] "فأمر مسلم بسريره فوضع بين الصفين، ثم أمر مناديه قاتلوا عني أو دعوا الناس فشدّ الناس في قتالهم، فسمعوا التكبير خلفهم في جوف المدينة، وأقحم عليهم بنو حارثة أهل الشام، وهم على الجد[٣]، فانهزم الناس[٤]، وعبد الله بن حنظلة متساند إلى بعض بنيه يغط نوماً، فنبهه ابنه، فلما فتح عينيه فرأى ما صنع أمر أكبر بنيه فتقدم حتى قتل، فلم يزل يقدمهم واحداً واحداً حتى أتى على آخرهم.

ثم كسر جفن سيفه وقاتل حتى قتل.

ودخل مسلم بن عقبة المدينة، ودعا الناس إلى البيعة على أنهم خول ليزيد بن معاوية يحكم في أهليهم ودمائهم وأموالهم ما شاء"[٥].

---

(١) ينظر الطبري وابن الأثير وابن كثير: المصادر نفسها ٥/ ٤٨٧، ٣/ ٣١٢، ٨/ ٢١٩-٢٢٠.

(٢) ينظر خليفة: المصدر السابق ١/ ٢٢٩، اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٨١، الطبري وابن كثير: المصدران السابقان ٥/ ٤٩٥، ٨/ ٢١٨.

(٣) وبنو حارثة، بطن معروف من الأنصار، ثم من أوس، وقد جاء ذكرهم في حديث صحيح عن النبي ﷺ ينظر: خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٤٠، البخاري: فتح الباري ٤/ ٨١ (١٨٩٦) الجد: وجه الأرض، ينظر ابن منظور: المصدر السابق ١/ ٤١٣ (جدد).

(٤) وكان بنو حارثة مع الخليفة ضد أهل المدينة، فلما أشتد القتال كسروا جوف المدينة وأدخلوا أهل الشام وهذا يدل على أن هناك قبائل من أهل المدينة، كانت مع يزيد، لكنها لم تظهر ذلك ينظر: خليفة بن خياط: المصدر السابق١/ ٢٢٩، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٥، ابن الأثير: المصدر السابق ٣/ ٣١٤ وإسناده جيد.

(٥) خليفة بن خياط والطبري: المصدران السابقان ١/ ٢٢٩-٢٣٠، ٥/ ٤٩٥ وإسناد كلا المصدرين رجال ثقات، لكن جويرية بن أسماء لم يسم ولم يبين أسماء الأشياخ الذين حدث عنهم، ومع ذلك فإن هذه الرواية أصح وأقدم رواية وردت في وقعة الحرة!

وعبارة: " أنهم خول ليزيد ..." وردت أيضاً في ابن الأثير وابن كثير، ينظر: الكامل في التاريخ ٣/ ٣١٤،

البداية والنهاية ٨/ ٢٢٢، ووردت في غيرها بصيغة: عبيد وقن.

ينظر: اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٨١، المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٤، مروج الذهب ٣/ ٧٤، وانفرد اليعقوبي بأن: علي بن الحسين ممن بايع مسلماً، على أنه عبد قن ليزيد، مخالفاً بذلك جميع الروايات التاريخية الصحيحة منها والضعيفة في جميع المصادر! ينظر: اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٨١.

وأقدم مصدر -كما سبق- ذكر لنا ذلك هو خليفة بن الخياط، ونقل لنا بقية الناس عنه تلك الرواية بلفظ (خول) لكن اليعقوبي والمسعودي غيرا اللفظ إلى العبيد والقن!.

وهذه العبارة - بعد شيء من التفكير والاطلاع على الكتب الفقهية فيما يتعلق بأحكام البغاة والرق - تبيّن لي أنّ فيها شيء من النكارة ويمكن إزالتها (وهو اجتهاد متواضع) بإحدى الطرق الآتية :

أ- احتمال إدخال هذه العبارة -المتن- على ذلك السند!.

ب- أن قصد مسلم بهذه العبارة، إرادة التخويف، والتأديب، والزجر، والتنكيل، لقيامهم بالتمرد على خليفة المسلمين!.

ج- أو أن العبارة تقرأ هكذا:

"ودعا الناس إلى البيعة على أنهم خول ليزيد -أي خوله الله بشرعه في التحكم فيهم لمخالفتهم وغدرهم خليفة المسلمين- يحكم في ...الخ".

وإلا لم يسمع في تاريخ المسلمين، لا فيما حصل بين: علي، ومعاوية، ولا بين علي، وعائشة، ولا في غيرها، برواية صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أن أحداً من خلفاء أو أمراء أو حكام المسلمين استرقوا الخارجين والبغاة والمتمردين عليهم.

بل اعتبرهم القرآن كلهم مسلمين.

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

كما أنه لو كان هذا الأمر صحيحاً لوصل إلينا بطريق التواتر، وأن نصف أهل المدينة إن لم يكن ثلثيهم أصبحوا عبيداً ليزيد ثم لابنه ثم لخلفاء بني أمية يتصرفون بهم كالعبيد والجواري -والعياذ باللهـ ولم يصل إلينا شيء من ذلك لا في الكتب التاريخ ولا في كتب الفقه أو الأحكام!.

قال ابن همام أحد علماء الفقه والتشريع الإسلامي: "والحرية حق لله تعالى فلا يقدر أحد على إبطاله إلا بحكم الشرع، فلا يجوز إبطال هذا الحق، ومن ذلك أنه لا يجوز إسترقاق الحر ولو رضي بذلك".

وقال ابن قدامى: "والمسلم لا يسترق بأي وجه من الوجوه".

ابن الهمام: فتح القدير ٦/ ٢٣٧. ينظر تفصيل ذلك: ابن قدامى: المغني ٦/ ٣٧٤-٣٧٥، ابن حجر: فتح الباري ٤/ ٤١٧-٤١٨ (٢٢٢٧)، البابرتي: اكمل الدين، محمد بن محمد بن محمود (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) العناية في شرح الهداية، مطبعة بولاق - القاهرة ١٣١٨هـ (بهامش فتح القدير) ٤/ ٣١٦، الموسوعة الفقهية ٢٣/ ١٢-١٣.

وتتحدث روايات لا سند لها من الصحة أن مسلم بن عقبة أباح المدينة ثلاثة أيام(١)، يفعل فيها ما يشاء من القتل والنهب والسبي والرق، حتى ولدت الأبكار لا يعرف من أولَدَهُنّ، وكان يقال لأولئك الأولاد أولاد الحَرَّة(٢).

وبعض الروايات الأقل منها دساً من تلك تقول:

أنه نهب المال، والسلاح، والطعام فقط!(٣).

أما أصح الروايات في هذه الوقعة، لم تذكر قتلاً ولا نهباً ولا إباحة، بل ذكرت أنه لما انتصر جيش مسلم على أهل المدينة، دعاهم إلى البيعة كما مرّ(٤).

---

(١) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٨٤ هذا الخبر في أوله انقطاع وفيه راويين متروكين وهما: هشام الكلبي وأبي مخنف عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق، وثقه ابن حبان ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/ ٤٢٨ (٨٩١)، الخزرجي: خلاصة التذهيب ص٢٤٦. عن حبيب بن كرّة. وهو مجهول ! ينظر ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢٢، ٢٣٢ بدون سند، وكلاهما ذكرا أن يزيد أمره بذلك

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٨١، المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٧٥، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/ ٢٤٩ (حرّة)، ابن كثير: المصدر السابق ٢/ ٢٢١، جميعهم بدون إسناد، إلا ابن كثير رواها عن المدائني، وهو علي بن محمد أبو الحسن (ثقة ت٢٢٤هـ) ينظر: تاريخ بغداد ١٢/ ٥٤، ولم يبين ابن كثير، كيف أخذ هذه الرواية عن المدائني حتى ننظر فيها، حيث بين المدائني وابن كثير حوالي، خمسة قرون، وثاني رجال الإسناد هو: أبو مرّة وهو الأزدي، مجهول ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٥٦٤.

وثالثهم هو: هشام بن حسان القُرْدوسي الأزدي، ثقة، يرسل، ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ٣٤.

فالخبر في أوله انقطاع، وفيه مجهول، والخبر أيضاً مرسل حيث أن هشام لم يدرك وقعة الحرّة كما أن عبارات السند، توحي أن فيها تدليساً وتحريضاً.

"قال المدائني عن أبي مرّة، قال: قال: هشام بن حسان".

ومثل هذه المسألة لو كانت تتعلق بشخص تحتاج إلى شهود عدول، وبروايات صحيحة، وبشرط معاينة الحدث، فكيف إذا كانت المسألة تتعلق بشرف الأمة بأجمعها، وبخيرة نساء الصحابة من المهاجرين والأنصار، وتابعيهم.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [النور: ٤].

(٣) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٨٤، ٤٩١، روايات هشام عن أبي مخنف، المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٤.

(٤) ينظر: خليفة بن الخياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٧-٢٣١، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٥ رواية أحمد بن زهير.

تتضارب الروايات - وأغلبها لا سند لها أو ضعيفة جداً- في عدد قتلى المعركة فمنهم من يوصل عددها إلى حوالي أحد عشر ألف قتيل من كلا الفريقين[١].

ومنهم من يبالغ أكثر من ذلك ويقول أنه: "لم يبق كثير واحد إلا قتل"[٢].

ومن يوصل العدد إلى نصف العدد الأول[٣].

ومنهم من لم يذكر عدد القتلى بحال من الأحوال[٤].

والذي يتبين أن كل تلك الروايات غير صحيحة، وإن أعدل الروايات وأصحها في عدد قتلى المعركة لا تتجاوز (٣٠٦) من الجهتين.

وقد قامت بعض هذه المصادر بتسجيل أسمائهم فرداً فرداً وعشيرة عشيرة[٥].

ولما وصل الخبر يزيد بما وقع قال:

واقوماه، وأمر بحمل الطعام إلى أهل المدينة وأفاض عليهم أعطيته، ولم يشمت بهم ولا استشفى بقتلهم[٦].

ومن الأخبار المكذوبة على يزيد في هذه الحادثة فرحه بما حدث لأهل المدينة، وتمثله بهذه الأبيات وهي لابْنَ الزِّبَعْرَى[٧]:

---

(١) ينظر المسعودي: التنبيه والإشراف ص٢٦٤، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢١.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٨١.

(٣) ينظر: مروج الذهب ٣/ ٧٤.

(٤) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٨٢-٤٩٥ لم يذكر ذلك في أصح الروايات ولا في أضعفها.

(٥) ينظر خليفة بن الخياط: المصدر السابق ١/ ٢٤٤ وينظر قائمة الأسماء: نفسه ١/ ٢٣١-٢٤٥، وينظر كذلك الذهبي: العبر ١/ ٥٠، ابن تغري بردي: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مؤسسة الثقافة والإرشاد القومي - مصر ١/ ١٦١ وانظر قائمة الأسماء الصفحات التي تليها.

(٦) وهي أصح الروايات الضعيفة (عن المدائني) ينظر: ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٣٣-٢٣٤.

(٧) ينظر الأبيات: ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢٤، وهو من شعر ابن الزَّبَعْرَى قاله في وقعة أحد، ينظر: الجمحي: محمد بن سّلام (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) طبقات فحول الشعراء تحقيق، محمود شاكر، طبعة المدني -القاهرة ١/ ٢٣٨-٢٣٩ والشعر لعبد الله الزَّبَعْرَى أنشده حين انتصر المشركون في أحد على المسلمين ثم أسلم وتوفي بحدود ١٥هـ انظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٢/ ٣٠٩-٣١٠ العاصمي المكي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي (ت ١١١١هـ) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود-

يَا غُـرَابَ الْبَـيْنِ أَسْـمَعْتَ فَقُـلْ إنـــما تَنْطِـــقُ شــيئاً قَـــدْ فُعِـــلْ
إنَّ لِلْخَـــيْرِ وَلِلـــشَّرِّ مَـــدًى وَكِـــلاَ ذَلِـــكَ وَجْـــهٌ وَقَبَـــلْ
والْعَطِيَّـــاتُ خِـــسَاسٌ بَيْنَنَـــا وَسَـــوَاءٌ قَـــبْرُ مُثْـــرٍ وَمُقِـــلْ
كُـــلُّ عَـــيْشٍ وَنَعِـــيمٍ زَائِـــلٌ وَبَنَـــاتُ الـــدَّهْرِ يَلْعَـــبْنَ بِكُـــلّ
أَبْلِغَـــا حَـــسَّانَ عَنِّـــي آيَـــةً فَقَـــرِيضُ الـــشِّعْرِ يَـــشْفِي ذَا الْغُلَـــلْ
كَـــمْ تَـــرَى بِـــالْجَرِّ مِـــنْ جُمْجُمَـــةٍ وَأَكُـــفٍّ قَـــدْ أُتِـــرَّتْ وَرِجِـــلْ
وَسَرَابِيـــلَ حِـــسَانٍ عَرِيَـــتْ عَـــنْ كُـــمَاةٍ أُهْلِكُـــوا فِي الْمُنْتَـــزَلْ
كَـــمْ قَتَلْنَـــا مِـــنْ كَـــرِيمٍ سَـــيِّدٍ مَاجِـــدِ الجَـــدَّيْنِ مِقْـــدَامٍ بَطَـــلْ
صَـــادِقِ النَّجْـــدةِ قَـــرْمٍ بَـــارِعٍ غَـــيْرِ مُلْتَـــاثٍ لَـــدَى وَقْـــعِ الأَسَـــلْ
فَـــسَلِ الْمِهْـــرَاسَ [١] مَـــا سَـــاكِنُهُ بَـــيْنَ أَقْحَـــافٍ وَهَـــامٍ كَالْحَجَـــلْ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَــــــدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ [٢]

علي محمد معوض، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م ٢/ ١٤٥.

علق محمود شاكر تعليقاً مفيداً على ذلك. وهذا الخبر فيه عدة علل:

أ - منها أنه لم يرد في أي مصدر من المصادر الأساسية القريبة العهد بالقرن الأول، ولو كان ذلك صحيحاً لما فات الأولين ذكره! ينظر: خليفة بن الخياط: المصدر السابق ١/ ٢٢٧-٢٣١، اليعقوبي: المصدر السابق ٢/ ١٨١، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٨٢-٤٩٥ وقد أورد أطول رواية حول الحرّة تقع في عدة صفحات بسند موضوع، ولم يذكر شيئاً من ذلك، وينظر كذلك المسعودي: التنبيه ص٢٦٣-٢٦٤، مروج الذهب ٣/ ٧٤-٧٥، ابن الأثير: المصدر السابق ٣/ ٣١٠-٣١٥.

ب- وأنه ليس له سند حتى ينظر في إسناده!.

ج- ويبدو أنه من وضع الفترة البويهية، لأنه ظهر في كتب ما بعد القرن الرابع!.

وينظر كذلك رد وتعقيب صلاح الدين المنجد، وهنري لامانس في هذه الأبيات وغيرها من الأبيات التي فيها ذكر الخبر أو الكفر حيث جزما بانها من الاشعار المنتحلة والمنسوبة إلى يزيد وانها من وضع روافض العراق، ينظر المنجد: شعر يزيد ص ٤٣-٤٤.

(١) المهراس بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره سين مهملة المهراس موضعان أحدهما موضع باليمامة، والمهراس فيما ذكره المبرد ماء بجبل أحد وروي أن النبي ﷺ عطش يوم أحد فجاءه علي ﵁ وفي درقته ماء من المهراس فعافه وغسل به الدم عن وجهه، وهو المقصود به ههنا. ينظر ياقوت: معجم البلدان ٥/ ٢٣٢.

(٢) وقع الأَسَلْ: أي وقع الرماح، والأَسَلْ: شجر معروف، وشبهت الرماح به في اعتداله وطوله واستوائه، ودقة أطرافه. ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١/ ٦٢ (أسل).

حِـينَ حَكَّـتْ بِقُبَـاءِ بَرْكَهَـا ... واسْـتَحَرَّ الْقَتْـلُ فِي عَبْـدِ الأَشَـلْ [(١)]
ثُـمَّ خَفُّـوا عِنْـدَ ذَاكُـمْ رُقَّـصًا ... رَقَـصَ الْحَفَّـانِ يَعْلُـو فِي الْجَبَـلْ
فَقَتَلْنَـا الـضِّعْفَ مِـنْ أَشْرَافِهِـمْ ... وَعَـدَلْنَا مَيْـلَ بَـدْرٍ فَاعْتَـدَلْ
لاَ أَلُـومُ الـنَّفْسَ إِلاَّ أَنَّنَـا ... لَـوْ كَرَرْنَـا لَفَعَلْنَـا الْمُفْتَعَـلْ
بِسُيُـوفِ الْهِنْدِ تَعْلُـو هَامَهُـمْ ... عَلَـلاً تَعْلُوهُـمْ بَعْـدَ نَهَـلْ

لعن الحافظ ابن كثير قائله، وقال:

إنه من وضع الروافض أي الإستشهاد به في هذا الموضع، وتمثل يزيد به، فلا شكّ أنّه من ترتيباتهم وافتراءاتهم [(٢)].

---

(١) عبد الأشل:هم: عبد الأشهل، وسماهم عبد الاشل لضرورة وزن الشعر، وهم بطن معروف من الأنصار ثم من الأوس، ينظر: خليفة بن الخياط: المصدر السابق ١/ ٢٩، ٤٦، الطبري: المصدر السابق ٢/ ٣٥٩.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٢٣٣-٢٣٤.

وقد أجاب شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت ﷺ فقال:

ذَهَبَـتْ يَـابْنَ الزِّبَعْـرَى وَقْعَـةٌ ... كَـانَ مِنَّـا الْفَـضْلُ فِيهَـا لَـوْ عَـدَلْ
وَلَقَـدْ نِلْـتُمْ وَنِلْنَـا مِـنْكُمُ ... وَكَـذَاكَ الْحَـرْبُ أَحْيَانًـا دُوَلْ
نَـضَعُ الأَسْـيَافَ فِي أَكْتَـافِكُمْ ... حَيْـثُ نَهْـوَى عَلَـلاً بَعْـدَ نَهَـلْ
نُخْـرِجُ الأَصْـبَحَ مِـنْ أَسْـتَاهِكُمْ ... كَـسُلاَحِ النيـبِ يَـأْكُلْنَ الْعَـصَلْ
إذ تُوَلُّـونَ عَـلَى أَعْقَـابِكُمْ ... هَرَبًـا فِي الـشِّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَـلْ
إذ شَـدَدْنَا شَـدَّةً صَـادِقَةً ... فَأَجَأْنَـاكُمْ إلى سَـفْحِ الْجَبَـلْ
بِخَنَاطِيـلَ كَأَشْـدَافِ الْمَـلاَ ... مَـنْ يُلاَقُـوهُ مِـنَ النَّـاسِ يُهَـلْ
ضَـاقَ عَنَّـا الـشِّعْبُ إذ نَجْزَعُـهُ ... وَمَلأْنَـا الْفُـرْطَ مِنْـهُ وَالرِّجَـلْ
بِرِجَـالٍ لَـسْتُمُ أمثـالَهُمْ ... أُيِّـدُوا جِبْرِيـلَ نَـصْرًا فَنَـزَلْ
وَعَلَوْنَـا يَـوْمَ بَـدْرٍ بِـالتُّقَى ... طَاعَـةِ الله وَتَـصْدِيقِ الرُّسُـلْ
وَقَتَلْنَـا كُـلَّ رَأْسٍ مِـنْهُم ... وَقَتَلْنَـا كُـلَ جَحْجَـاحٍ رفِـلْ
وَتَرَكْنَـا فِي قُـرَيْشٍ عَـوْرَةً ... يَـوْمَ بَـدْرٍ وَأحاديـثَ المثـلْ
وَرَسُـولُ الله حَقًّـا شَـاهِدٌ ... يَـوْمَ بَـدْرٍ والتَّنَابِيـلُ الهُبَـلْ
في قـريش مِـنْ جُمُـوعٍ جَمَّعُـوا ... مِثْلَ مـا يُجْمَعُ في الخِـصْبِ الهمَـلْ
نَحْـنُ لا أمثالكُـمْ ولْد اسْتِهَـا ... نَحْضُـرُ البَأْسَ إذا البَـأْسُ نَـزَلْ

العاصمي المكي: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ٢/ ١٤٦.

حريق الكعبة:

بعد أن فرغ مسلم بن عقبة من قتال أهل المدينة، جمع جموعه للمسير إلى مكة، لمقاتلة عبد الله بن الزبير وقد خلف على المدينة رَوح بن زنباع الجذامي [(١)]، وقيل:

عمرو بن محرز [(٢)] الأشجعي [(٣)].

وكان مسيره إلى مكة في أول محرّم سنة (٦٤هـ) [(٤)].

اشتد المرض بمسلم في الطريق، فبعث إلى رؤس الأجناد وأبلغهم بأن أمير المؤمنين قد عهد إليه أنه إذا حدث به حدث أن يستخلف عليهم حصين بن نمير السَّكوني [(٥)]، ثم مات مسلم عند

---

(١) رَوْح بن زِنْبَاع بن رَوْح بن سَلامة بن حداد بن حَدِيدَة بن أمية بن امرئ القَيْس أبو زرعة الجذامي الفلسطيني، ويقال أبو زنباع. سيد جُذام وأمير فلسطين، وقائد جيش مسلم بن عقبة أيام يزيد بن معاوية، كان ذا اختصاص بعبد الملك بن مروان ووزيره، لا يكاد يغيب عنه، كان صاحب علم وعقل ودين، كان عابدا غازيا من سادات أهل الشام ولأبيه زنباع بن روح بن سلامة صحبة، وكان لروح دار بدمشق في طرف البزوريين، أمره يزيد على جند فلسطين، وشهد يوم راهط مع مروان.

ذكر بعضهم أنه له صحبة وهو: غير صحيح وإنما تثبت الصحبة لأبيه، تابعي ثقة (ت٨٤هـ) ينظر ابن حبان: الثقات ٤/ ٢٣٧ (٢٦٨٧) ابن الأثير: أسد الغابة ٢/ ٢٨٣ (١٧٠٢) الذهبي: العبر ١/ ٧٢، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ٦ / ٦١، ابن كثير: المصدر السابق ٩/ ٥٣، الصفدي: الوافي بالوفيات ٤/ ٤٦٤ - ٤٦٥، السخاوي: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١/ ٣٥٠ (١٢٨٣).

(٢) عمرو بن محرز ويقال: عمر ويقال: ابن محرر. فأما محرز: بالحاء غير معجمة وبعدها راء غير معجمة تليها زاي عمرو بن محرز الأشجعي، ويقال: عمرو بن محرر، ويقال: ابن مجزز بالجيم الأشجعي الحمصي من قيس عيلان غطفاني، روى عنه الزهري.

كان في الجيش الذي وجهه يزيد بن معاوية من زيزاء إلى أهل الحرة مع مسلم بن عقبة واستعمله مسلم على ميمنته، وفي سنة ست وسبعين غزا عمرو بن محرز الأشجعي على الصائفة ففتح هرقلة، لم أظفر بتاريخ وفاته.

ينظر ترجمته وأخباره: خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٣٠١، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٢، ٤٩٦، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٦/ ١٣٥ (٧٣٥) تاريخ دمشق ٤٦/ ٣٢٧ (٥٣٩٤).

(٣) ينظر: الطبري: المصدر نفسه ٥/ ٤٩٦، ابن الأثير: المصدر السابق ٣/ ٣١٦.

(٤) ينظر ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢٤.

(٥) حصين بن نمير ابن نائل بن اسد بن جعثنة بن الحارث بن سلمة بن شكامة بن شبيب بن السكون بن أشرس بن كندة الكندي أبو عبد الرحمن الكندي السكوني الحمصي السكوني أحد أمراء الشام، وهو الذي حاصر ابن الزبير، وقد مر من أخباره في الحوادث وأنه قتل بالجزيرة سنة بضع وستين، كلّمه عبد الله بن الزبير ﷺ أن يبايعه بعد موصول نعي يزيد بن معاوية - وكان محاصرا للكعبة -.

ثنية المشلّل[١]، وقيل عند ثنية هَرْشا[٢].

فلما مات مسلم سار الحصين بالجيش، وقدم مكة لأربع بقين من المحّرم، وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير، كما لحق به المنهزمون والفارون من أهل المدينة، ولحق به أيضاً نجدة بن عامر[٣] الحنفي مع جمع من الخوارج يمنعون البيت[٤].

وكان قبل ذلك، بعث أمير المؤمنين يزيد بن معاوية: "ابن عضاة الأشعري[٥]"، إلى ابن الزبير

"وكلم ابن الزبير الحصين بن نمير وقال له قد مات يزيد وأنا أحق الناس بهذا الأمر لأن عثمان عهد إلي في ذلك عهدا صلى به خلفي طلحة والزبير وعرفته أم المؤمنين فبايعني وأدخل فيما يدخل فيه الناس - يعني يكن لك ما لهم وعليك ما عليهم - فقال له الحصين بن نمير أي والله يا أبا بكر لا أتقرب إليك بغير ما في نفسي أقدم الشام فإن وجدتهم مجتمعين لك أطعتك وقاتلت من عصاك وإن وجدتهم مجتمعين على غيرك أطعته وقاتلتك ولكن سر أنت معي إلى الشام أملكك رقاب العرب فقال ابن الزبير أو أبعث رسولا قال تبا لك سائر اليوم إن رسولك لا يكون مثلك وافترقا وأمن الناس ووضعت الحرب أوزارها وأقام أهل الشام أياما يبتاعون حوائجهم ويتجهزون ثم انصرفوا راجعين إلى الشام فدعا ابن الزبير يومئذ إلى نفسه ".

ينظر ترجمته وأخباره: تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٨٢، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٦، المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٧٥، ابن الأثير: المصدر السابق ٣/ ٣١٦، الذهبي: تاريخ الإسلام ٥ / ١٠٩، ابن أبي جرادة: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د. سهيل زكار، الناشر دار الفكر ٦/ ٢٨١٨ - ٢٨٢٣ (النص منقول منه).

(١) المُشَلَّل: جبل يهبط منه إلى قُديد من ناحية البحر ينظر: معجم البلدان ٥/ ٨٣٦ وسماه ابن كثير: المسلك ينظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٢٥.

(٢) ينظر: اليعقوبي والطبري والمسعودي وابن الأثير وابن كثير: المصادر السابقة ٢/ ١٨١، ٥/ ٤٩٦، ٣/ ٧٥، ٣/ ٣١٦، ٨/ ٢٢٤، وثنية هَرْشَى (على الصحيح) في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر. ينظر: معجم البلدان ٥/ ٣٩٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦/ ٢٧٦.

(٣) وهو: نجْدَة بن عامر الحروري الخارجي (قتل سنة ٦٩ أو ٧٠هـ) قتله أصحابه، وقيل بل أصحاب ابن الزبير ينظر: خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٦٣-٢٦٤، الذهبي: العبر ١/ ٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ٢٣٥.

(٤) ينظر الطبري وابن الأثير وابن كثير: المصادرالسابقة ٥/ ٤٩٧، ٣/ ٣١٦، ٨/ ٢٢٥.

(٥) قال ابن عساكر: اسمه عبد الله عبدالرحمن بن عضاه بن الكركر الأشعري، وذكر أنه من الصحابة ﷺ.

وسمّاه ابن حجر:عبد الله بن عصام الأشعري شامي. وقال:"عضاه بضاد معجمة وآخره هاء عوض الميم وذكر أنه شهد صفين مع معاوية وكان رسول يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير في طلب البيعة له وأنه كان ممن استخلفه مسلم بن عقبة لما فرغ من وقعة الحرة وقصد مكة فأدركته الوفاة ولم يذكر من أمره غير ذلك".
وذكر ابن عساكر له هذا الموقف مع معاوية ﷺ ، قال:

يدعوه لبيعته، ومعه جامعة[١] من فضة وبرنس حرّ.

فقدم على ابن الزبير، وهو جالس بالأبطح[٢]، ومعه أيوب بن عبد الله بن زهير بن أبي أمية المخزومي[٣]، وعلى مكة يومئذ الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة[٤]، فكلمه ابن عضاة، وابن الزبير ينكت في الأرض.

فقال له أيوب:

يا أبا بكر لا أراك غرضاً للقوم، فرفع ابن الزبير رأسه فقال:

"قدم أبو موسى على معاوية بعد الجماعة فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله فرحب به معاوية.
ثم قال: بايع يا أبا موسى !.
قال: لنا وعلينا فقبض معاوية يده وخرج أبو موسى من عنده واتى منزله.
فأتاه: عبد الله بن عضاه، فدخل عليه منزله فقال: يا أبا موسى أنك والله ما أنت في زمان أبي بكر ولا زمان عمر ولا عثمان فاتق على نفسك فاني أخاف أن تقتل، وخرج ابن عضاه.
فقال أبو موسى لأبي بردة: اتبع الرجل فانظر أين يدخل!.
قال: فتبعه، فدخل ابن عضاه إلى معاوية.
فرجع أبو بردة إلى أبي موسى فأخبره.
فقال أبو موسى: معاوية أرسله، ثم راح أبو موسى إلى معاوية فقال:
السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمه الله وبركاته ثم قال:
ما الذي أنكرت من سلامي عليك بالأمس ؟.
قد كنا نسلم على عمر وعلى عثمان يا أمير المؤمنين وبالأمير إذا سلمنا عليك بالإمرة فنحن المؤمنون وأنت أمير المؤمنين وان لم نلقها لك !.
وأما الذي أنكرت من قولي لك الأشعري وعلينا لنا أجرها وعلينا الوفاء بها.
ثم قال: امدد يدك أبا موسى قد علمت أنك لم تأتنا حتى زممتها وخطمتها.
قال: ثم بايع فأمر له بعطاء خمس سنين كان حرمه إياها ! ".
ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٤٦، تاريخ دمشق ١٨/ ٢٤٨، ٣٢/ ٩٧ (النص المنقول) ٣٥/ ١٣٢، وينظر ترجمة أبيه: المصدر نفسه ٣٥/ ١٣٢ (٣٨٩٣) الإصابة ٤/ ١٨٠ (٤٨٣١).

(١) جامعة: هي: الحاوية العظيمة ينظر: لسان العرب ١/ ٤٩٩ (جمع).

(٢) الأبطح: مَسيلٌ واسع فيه دقائق الحصى. ينظر: مختار الصحاح ص٥٥ (ب ط ح).

(٣) لم أقف على ترجمته فيما رجعت إليه، ذكره خليفة بن الخياط، ينظر: المصدر السابق ١/ ٢٤٦.

(٤) ولاه يزيد إمارة مكة، كان شاعراً مشهوراً، واستتر أيام ابن الزبير(ت ٨٠هـ) ينظر: تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/ ٤٣٧، البغدادي: خزانة الأدب ١/ ١٧.

قلتم حَلَف ألاّ يقبل بيعتي، حتى يوترني في جامعه، لا أبرَّ الله قسمه، فتمثل ابن الزبير:

ولا أَلِينُ لِغير الحقِّ أَسألُهُ حتى يَلِينَ لِضِرسي المضاضغِ الحَجَرُ

ثم قال: والله لا أبايع يزيد ولا أدخل له في طاعة"[١].

وفي رواية أخرى:

(رجالها مجهولون) أن الخليفة يزيد أرسل ناساً آخرين[٢] إلى عبد الله بن الزبير يدعوانه إلى البيعة لهُ " على أن يجعل له ولاية الحجاز وما شاء وما أحب لأهل بيته من الولاية"[٣]، فأجابهم ابن الزبير بأنه لا يبايع رجلاً كذا، وذكر مثالبه[٤]!.

وسار حصين بن نمير بجيشه صوب مكة، فانتهى إليها لأربع بقين من المحرّم[٥].

لاذ عبد الله بن الزبير بالمسجد الحرام، ونصب فيه جيشه الفساطيط والخيام[٦].

وتتحدث روايات (ليست بالقوية) أن حصين بن نمير حاصر عبد الله بن الزبير مرتين.

ففي الحصار الأول:

خرج ابن الزبير في أهل مكة ومن التف معه، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وحمل أهل الشام على أهل مكة حملة قوية، فأنكشف أهل مكة، وقتل طائفة من جماعة ابن الزبير، وبقي ابن الزبير يصابرهم حتى جاء الليل، فأنصرف أهل الشام[٧].

---

(١) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ١/ ٢٤٦ روى ذلك خليفة عن المدائني وهو ثقه، عن رجل من أهل مكة عن صالح بن كيسان أبو محمد المدني، ثقة (ت بين ١٣٠-١٤٠هـ) ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٣٦٢ (٤٨)، عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم صدوق (ت ٨٠هـ) ينظر ابن حجر: المصدر نفسه ١/ ٥١٢ (١٢٥٠) وإسناد الخبر جيد لولا جهالة الراوي الذي بين الثقتين (المدائني وابن كيسان) وفي كل الأحوال فهو أصح ما روي في ذلك.

(٢) وهما: النعمان بن بشير الأنصاري وهشام بن قبيصة النميري ينظر: خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٤٧.

(٣) نفسه ١/ ٢٤٧.

(٤) ينظر: نفسه ١/ ٢٤٧، روى ذلك المدائني عن بقيه بن عبد الرحمن عن أبيه، وقد بحثت عنهم - فيما توفر لدي من المصادر- فلم أهتدِ إليهم.

(٥) ينظر الطبري وابن الأثير وابن كثير: المصادر السابق ٥/ ٤٩٨، ٣/ ٣١٦، ٨/ ٢٥٥.

(٦) ينظر الأزرقي: محمد بن عبد الله بن أحمد (ت بعد ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م) أخبار مكة، الطبعة الثانية، مطابع دار الثقافة - مكة المكرمة ١٩٦٥م، ١/ ٣٠٠، المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٧٥.

(٧) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٧-٤٩٨ عن هشام وفيه انقطاع عن هشام الكلبي عن عوانة بن الحكم، ولم يشهد الحادثة وفيه إعضال.

ثم حمل أهل الشام الحملة الثانية على أهل مكة - ويبدو أنهم في هذه المرة داخل الحرم- بقية محّرم وصفر كله[١].

وهناك رواية أخرى:

(ليست بأقوى من السابقة) تفيد بأن الحصار لم يكن إلا مرة واحدة وأنه دام من دخول جيش الشام مكة لأربع بقين من محّرم إلى نهاية صفر، وتفيد أيضاً أنه لم يقع قتال بين أهل الشام وأهل مكة عدا المناوشات[٢].

ودام الحصار خمسين يوماً[٣]، وقيل أربع وستين يوماً[٤].

والذي يبدو أن رواية الطبري أصح وأقرب من الواقع، لأن جيش أهل الشام دخل مكة لأربع بقين من محّرم، واستمر الحصار لمستهل ربيع الآخر[٥].

وتتضارب الروايات فيمن احرق البيت، وفي اليوم الذي فيه احرق البيت.

فهناك من يقول:

إن السبب كان من جيش أهل الشام، لكنهم أيضاً مختلفون في ذلك، فمنهم من يقول: أن أهل الشام قذفوا البيت بالمجانيق، ورمي مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان فاحترق البيت وانهدم.

وقائل:

أن ابن الزبير اتخذ المسجد حصنا " فكانت فيه الفساطيط والخيام، فحرق رجل من أهل الشام باب بني جمح، ففشى الحريق حتى اخذ في باب الكعبة فاحترقت"[٦].

---

(١) ينظر الطبري وابن الأثير وابن كثير: المصادر السابقة ٥/ ٤٩٨، ٣/ ٣١٦، ٨/ ٢٢٥.

(٢) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٤٩-٢٥٠ بدون إسناد، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢٥ بدون إسناد أيضاً.

(٣) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٥٠.

(٤) ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٨.

(٥) ينظر الطبري وابن الأثير وابن كثير: المصادر السابقة ٥/ ٤٩٨، ٣/ ٣١٦، ٨/ ٢٢٥.

(٦) تاريخ خليفة بن خياط: ١/ ٢٤٦-٢٤٧ عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وفيه إعضال لأن وفاته ١٥٠هـ قال الإمام أحمد: إذا قال ابن جريج، قال فلان وكان فلان، وأخبرت جاء بمناكير، وإذا قال اخبرني وسمعت فحسبك به، وقال يحيى القطان: إذا قال ابن جريج قال فلان فهو شبه الريح ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/ ٤٠٢، ٤٠٤. (وبقية رجال السند ثقات).

هناك روايات أخرى اصح إسناداً، من تلك، تبين لنا أن السبب:

كان من أصحاب عبد الله بن الزبير حيث تشهد شاهدة عيان ممن كانت مع ابن الزبير "فقلت لها:

اخبريني عن احتراق الكعبة، كيف كان؟.

قالت:

كان المسجد فيه خيام كثيرة، فطارت النار من خيمة منها، فاحترقت الخيام والتهب المسجد حتى تعلقت النار بالبيت فاحترق: [١]

وتوضح لنا رواية أخرى:

إن الحريق كان سببه رجل من أصحاب ابن الزبير "وذلك أن رجلاً منا- وهو مسلم بن أبي خليفة المذحجي [٢]- كان هو وأصحابه يوقدون في خصائص لهم حول البيت فأخذ نارا في زج [٣] رمحه في النفط، وكان يوم ريح، فطارت منها شرارة فاحترقت الكعبة حتى صارت إلى الخشب" [٤].

---

(١) أخبار مكة ١/ ٣٠٠ رواه عن جده أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة المكي ثقة كان حيا سنة (٢١٧هـ) ينظر: ابن حجر: المصدر السابق ١/ ٧٩ (١٣٤)، عن سعيد بن سالم القداح أبو عثمان المكي صدوق من كبار التاسعة. ينظر ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ١٧٢، عن عثمان بن عمرو بن ساج القريشي، فيه ضعف من التاسعة ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٤٩ (٥٥٤٦)، ابن حجر: المصدر السابق ٢/ ١٣ (١٠٠) والخبر بهذا الإسناد جيد، وقد رواه الطبري بإسناد عن الواقدي عن رياح بن مسلم عن أبيه، لم اهتد إلى تراجمهم ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/ ٤٩٨.

(٢) لم اعثر على ترجمة له وهو من جنود ابن الزبير ينظر: الازرقي: المصدر السابق ١/ ٢٩٩.

(٣) الزُّجُّ: الحديدة التي في أسفل الرمح والجمع زججة، ينظر: الرازي: مختار الصحاح ص٢٦٨ (ز ج ج).

(٤) الازرقي: المصدر السابق ١/ ٢٩٩ عن محمد بن يحيى بن عبد الكريم الأزدي ثقة (ت ٢٥٢هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٣/ ٤١٤-٤١٥ (١٥٤٧)، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ٢١٧ (٨١١) وهذا يدل على أن الازرقي قد توفي بعد (٢٥٢هـ) عن ألواقدي، عن عبد الله بن جعفر، لعله ابن عبد الرحمن بن الميسور المخرمي صدوق (ت ١٧٠هـ) ينظر: ابن حجر: تهذيب التهذيب ٥/ ١٧١-١٧٣ (٢٩٥)، عن ابن عون وهو: محمد بن عبيد الله بن سعيد الثقفي، ثقة (ت ١١٦هـ) ينظر: ابن حجر المصدر السابق ٩/ ٣٢٢ (٥٣٢)، أو عبد الله بن أبي عبد الله الشاميّ الأعور، ثقة، لم أقف على تاريخ وفاته ينظر: ابن حجر: المصدر نفسه ١٢/ ١٩١ (٨٨٢). وإسناده جيد إلا الواقدي، فهو ضعيف.

وقد رواه الطبري بإسناد آخر عن الواقدي أيضاً، عن عبد الله بن زيد بن أسلم العدوي، صدوق (ت

وأما ما ذكره ابن الأثير من أن عبد الله بن الزبير ترك الكعبة تحترق[1]، فليس معناه أن أهل الشام مسؤولين عن ذلك وذلك:

أ- أن عبد الله بن الزبير وأصحابه كانوا محصورين داخل الحرم، وكانوا في حالة تأهب قصوى- في أية ساعة- لمواجهة جيش الشام ساعة الاقتحام، وأن انشغالهم بإطفاء الحريق قد كان يعطي الفرصة لأهل الشام باقتحامهم المسجد وإنهاء جيش ابن الزبير!.

ب- أراد ابن الزبير جلب عواطف الناس بذلك لتحريضهم على أهل الشام.

ومما يؤيد صحة ما ذكرناه أيضاً:

١- أن حصين بن نمير لم يقتحم الحرم، وانه كان عظم حرمة الكعبة والحرم، فحينما اجتمع ابن الزبير معه داخل الحرم، أراد فرسه أن يطأ حماما من حمام الحرم فكّف فرسه عنه[2].

٢- شهود- من روى أن أهل مكة كانوا وراء الإحراق- شهود عيان[3].

٣- الرواة جميعهم مكيون[4].

وكان ذلك يوم السبت ثالث ربيع الأول[5] سنة (٦٤هـ).

وقيل يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر ربيع الآخر[6]، وهو رأي مرجوح[7].

١٦٤هـ) ينظر: ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤١٧، عن عروة بن أذينه، وهو صدوق ينظر: الذهبي: ميزان الاعتدال ٣/ ٦٣ (٥٦٠٥)، ابن حجر: تعجيل المنفعة، تحقيق: إكرام الله إمداد الحق، الطبعه الأولى، دار الكتاب العربي-بيروت ١/ ٢٨٥.

(١) ينظر: الكامل في التاريخ ٣/ ٣١٦، وذكر اليعقوبي أيضاً شيئاً من ذلك ينظر: ٢/ ١٨٢.

(٢) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٥/ ٥٠١، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢٦.

(٣) ينظر الازرقي: أخبار مكة ١/ ٢٩٨-٣٠٠، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٩.

(٤) ينظر الازرقي: المصدر السابق ١/ ٣٠٠.

(٥) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٤٨، (ولكن يقول: ربيع الآخر)، الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٨، المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٧٥، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢٥.

(٦) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٥٠.

(٧) إلا من يرى أن الحصار دام بعد موت يزيد، أو من يرى أن الخليفة يزيد مات لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء، ينظر الطبري: المصدر السابق ٥/ ٤٩٨.

واستمر الحصار حتى جاءهم نعي يزيد بن معاوية لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة (٦٤هـ) [١].

وقيل:

استمر الحصار بعد موت يزيد بنحو أربعين ليلة[٢] ثم قفل جيش أهل الشام قاصدا، المدينة، ثم الشام[٣].

هل نبش العباسيون قبور بني أمية؟:

تتحدث بعض الأخبار أن عبد الله بن علي[٤] (عم المنصور)، تتبع مروان بن محمد بعد هزيمته من معركة الزاب حتى دخل دمشق، ثم انهزم منها أيضاً باتجاه أفريقية[٥].

ولما دخل عبد الله بن علي دمشق، دخلها بالسيف، وجعل جامعها سبعين يوما اسطبلا لدوابه وجماله[٦]!.

وتذكر أخبار: من أن عبد الله بن علي، أو، أبو العباس السفّاح، أو، أبو غانم المروزي، أمر عمرو بن هانيء الطائي، بنبش قبور بني أمية !.

وفي رواية:

(غير مسندة أيضاً) أن علي ابن عبد الله بن علي جمع نحو تسعين رجلاً من بني أمية كانوا قد اجتمعوا إليه أمر بضربهم بالعمد حتى القوا إلى الأرض وكان ذلك وقت حضور الطعام فأمر أن تبسط عليهم الانطاع ويمد عليهم الخوان وأكل الناس وهم يسمعون أنينهم حتى ماتوا جميعاً ![٧].

وجميع الذين رووا هذا الحدث الكبير رووه بدون سند - إلاّ ابن العساكر فقد ذكره بالسند

---

(١) ينظر خليفة بن خياط: المصدر السابق ١/ ٢٥٠.

(٢) ينظر ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ٢٢٦.

(٣) ينظر: نفسه ٨/ ٢٢٦.

(٤) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمير أبي العباس على بلاد الشام، وكان من رجال الدهر شجاعة ورأيا وحزما (ت١٤٧هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ١٠/ ٨ - ٩ (٥١١٨). الذهبي: العبر ١/ ١٥٩.

(٥) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٧/ ٤٤٠ -٤٤١، ابن كثير: المصدر السابق ١٠/ ٤٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ١٠/ ٤٥.

(٧) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة ١/ ٧٦.

وسنأتي إلى ذكر سنده - وهو:موضوع قد حدث أمام مرأى ومسمع من الناس، وكان من المفروض أن يذكره أعداد كبير ممن شاهدوا الحادثة خلفا عن سلف، بل ويبلغ حدّ التواتر أو الشهرة في أقلّ الحالات.

وتختلف عبارات هؤلاء في ذلك، مع اتفاقهم على جوهر القضيّة والحدث، وهم جميع كبير من المؤرخين والمفسرين والأدباء والبلدانيين وغيرهم، ولم يذكره أحد من رجال الحديث، ومن له علاقة بهم أو بعملهم ولو برواية واحدة ! [(١)].

---

(١) وهذه أهم المصادر التي ذكرت هذه القضيّة حسب الأقدمية:

اليعقوبي توفي بحدود(٢٨٤هـ): تاريخ اليعقوبي، الناشر دار صادر- بيروت ٢/ ٣٥٦، الكوفي: أحمد بن أعثم (ت بحدود ٣١٤هـ / ٩٢٦م) الفتوح، دار الندوة الجديدة- بيروت (مصورة عن طبعة، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى - حيدر آباد الدكن) ٨/ ١٩٣-١٩٥، المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، ط ١، دار القلم - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٩ م ٣ / .. البيروني: محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ) الجماهر في معرفة الجواهر ص ٣٠، الراغب الأصبهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني (ت ٥٠٠هـ) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعرء والبلغاء، تحقيق: عمر الطباع، الناشر دار القلم - بيروت، سنة النشر ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م ٢/ ٥٥٧، المقدسي: المطهر بن طاهر المقدسي(ت ٥٠٧هـ) البدء والتاريخ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية - بورسعيد ٦/ ٧٢، ابن عساكر: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي(ت ٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، الناشر دار الفكر - بيروت، سنة النشر ١٩٩٥م ٤٦/ ٤٥٣، ٥٣/ ١٢٦ - ١٢٧، ابن أبي الحديد: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه ٧/ ١٣١ (نقلا عن المسعودي)، الحِميري:محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ) الروض المعطار في خبر الأقطار، المحقق: إحسان عباس، ط٢، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، ١٩٨٠م، ص ٢٣١، ابن الوردي: زين الدين عمر بن مظفر (٧٤٩هـ) تاريخ ابن الوردي، الناشر دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ١/ ١٨٣، ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، الناشر: مكتبة المعارف - بيروت ١٠/ ٤٥، القلقشندي: أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ) مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط٢، دار النشر/ مطبعة حكومة الكويت - الكويت - ١٩٨٥م ١/ ٧٦.

ابن عاشور: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣) التحرير والتنوير، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م ٢/ ١٨٣.

١ـ رواية اليعقوبي[١]:

"ويقال إن أبا العباس كتب إليه خذ بثأرك من بني أمية ففعل بهم ما فعل ووجه فنبش قبور بني أمية فأخرجهم وأحرقهم بالنار فما ترك منهم أحدا ولما صار إلى رصافة أخرج هشام بن عبد الملك ووجده في مغارة على سريره قد طلي بماء يبقيه فأخرجه فضرب وجهه بالعمود وأقامه بين العقابين فضربه مائة وعشرين سوطا وهو يتناثر ثم جمعه فحرقه بالنار وقال عبد الله عند ذلك إن أبي يعني علي بن عبد الله كان يصلي يوما وعليه إزار ورداء فسقط الرداء عنه فرأيت في ظهره آثار السياط فلما فرغ من صلاته قلت يا أبه جعلني الله فداءك ما هذا فقال:

إن الأحول يعني هشاما أخذني ظلما فضربني ستين سوطا فعاهدت الله إن ظفرت به أن أضربه بكل سوط سوطين ".

يقال لليعقوبي:

أنت تقول: يقال ! من قال ومن أخبرك وممن سمعت الخبر، وأنت تعيش في عصر الإسناد؟

من الممكن أن يصل الإنسان في هذا الزمن من بغداد إلى أمريكا (وهي قطع آلاف الكيلومترات) في بضع ساعات أو نصف يوم، لأن عصر التقنيات قفز قفزة نوعية عالية في مجال الصناعات والطيران وغيرها، لكن لو قال أحد:

أنّه يقطع هذه المسافة قبل: مئتي عام أو أقل في شهر لكذّبناه، لأن آلة العصر لم تكن مثل اليوم !.

ومن المعلوم لدى المتتبع لتاريخ الإسلام والسنّة المشرّفة، أن عصر اليعقوبي كان عصر إسناد، فلم لم يذكر سند روايته، حتى لا يكذّب، لأنه آلة العصر ؟.

وإذا كان شاكّا في الموضوع لماذا ذكره هكذا: يقال ؟.

٢ـ رواية المسعودي: تحت عنوان: صنيع العباسيين بقبور الأمويين.

قال المسعودي[٢]:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٥٧.

(٢) مروج الذهب، وبين الهيثم بن عدي والمسعودي: قرابة قرن ونصف قرن من الزمن، فمن أو صله إليه، حتى يحكي عنه هذه الحكاية ؟ !!.

"وحكى الهيثم بن عدي الطائي[١]، عن عمرو بن هانيء[٢]، قال:

خرجت مع عبد الله بن علي لنَبْش قبور بني أمية في أيام أبي العباس السفاح، فانتهينا إلى قبر هشام، فاستخرجناه صحيحاً ما فقدنا منه إلا خورمة أنفه، فضربه عبد الله بن علي ثمانين سوطاً، ثم أَحْرَقَه.

واستخرجنا سليمان من أرض دابق، فلم نجد منه شيئاً إلا صُلْبه وأضلاعه ورأسه، فأحرقناه، وفعلنا ذلك بغيرهما من بني أمية.

وكانت قبورهم بقنسرين، ثم انتهينا إلى دمشق، فاستخرجنا الوليد بن عبد الملك، فما وَجَدْنا في قبره قليلاً ولا كثيراً.

واحتفرنا عن عبد الملك فما وجدنا إلا شؤون رأسه، ثم احتفرنا عن يزيد بن معاوية فما وجدنا فيه إلا عظماً واحداً، ووجدنا مع لحمه خطاً أسود كأنما خط بالرماد في الطول في لحده، ثم اتبعنا قبورهم في جميع البلدان، فأحرقنا ما وجدنا فيها منهم.

وإنما ذكرنا هذا الخبر في هذا الموضع لقتل هشام زَيْدَ بن علي، وما نال هشاماً من الْمُثْلَة بما فعل بسلفه من الإحراق كفعله بزيد بن علي".

وهنا تظهر الطائفية والخبث من تحت لسان المسعودي، إذ يحلل سبب ذكره لهذه الفريّة هو من أجل الثأر لزيد بن علي !.

---

(١) الهيثم بن عدي الطائي أبو عبد الرحمن المنبجي ثم الكوفيقال البخاري: متروك، وقال لفسوي: الهيثم بن عدي كذاب، وقال عنه العجلي: الهيثم بن عدى الطائي كذاب وقد رأيته، مات الهيثم سنة سبع ومائتين عن ثلاث وتسعين.

ينظر البخاري: التاريخ الكبير ٨/ ٢١٨ (٢٧٧٥)الفسوي: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت ٣٤٧هـ)المعرفة والتاريخ، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ٣/ ١٥٦، العجلي: معرفة الثقات ٢/ ٣٣٧ (١٩٢٤) ضعفاء العقيلي ٤/ ٣٥٢ (١٩٥٩) ميزان الاعتدال ٧/ ١١١ (٩٣١٩).

(٢) عمرو ويقال عمر بن هانيء الطائي من شيعة بني العباس وهو الذي تولى نبش قبور بني أمية بدمشق وغيرها حكى عنه الهيثم بن عدي، قال البخاري: يختلفون فيه لم يرو. ينظر: تاريخ دمشق ٤٦/ ٤٥٣ (٥٤١٧) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٥/ ٣٤٩ (٦٤٦٩).

٣- رواية الراغب الأصبهاني:

قال الراغب الأصبهاني (دون ذكر سنده لعمرو بن هانيء) [١]:

" قال عمرو بن هانئ الطائي:

بعثنا أبو غانم المروزي[٢] على نبش قبور بني أمية فانتهيت إلى قبر هشام فاستخرجته صحيحا فما فقدت منه شيئاً إلا أطراف أنفه إلا أنه كان كريشة فأحرقناه.

ثم استخرجنا سليمان من أرض دابق فلم نجد إلا صلبه وجمجمته وكذلك كان عبد الملك.

ووجدنا معاوية كخط أسود كأنه رماد.

ولم يوجد في قبر يزيد بن معاوية إلا عظم واحد وما وجد من عظامهم أحرقناه ".

وهذه الرواية فيها (ولو مختصرة) أن أبا غانم المروزي هو الذي أمر بنبش قبور بني أمية !ولم يذكر إلاّ الحرق !، ولم يذكر السياط وما رواه غيره من الأفعال الأخرى !.

٤- رواية ابن عساكر بالسند:

قال ابن عساكر[٣]:

"قرأت بخط أبي الحسن (والصحيح: أبي الحسين) الرازي[٤] حدثني أبو العباس محمود بن محمد بن الفضل الرافقي[٥] حدثني محمد بن موسى العمي ويعرف بحبش الصيني[١] حدثني علي

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ٢/ ٥٥٧.

(٢) يونس بن نافع أبو غانم المروزي الخراساني، القاضي ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ، توفي سنة تسع وخمسين ومائة. تهذيب الكمال ٣٤/ ١٧٣، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ٩/ ٦٧٣ - ٦٧٤، تهذيب الكمال ٣٢/ ٥٤٨ (٧١٨٦) تهذيب التهذيب ١١/ ٣٩٤ (٧٦٧).

(٣) تاريخ دمشق ٥٣/ ١٢٦ - ١٢٧ (محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي).

(٤) هو: أبو الحسين الرازي الحافظ الإمام محدث الشام محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد والد تمام الرازي، كان يعرف قديما بابن الرستاقي، ثقة نبيل مصنف. مات في سنة سبع وأربعين وثلاثمائة. ينظر: تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٣٥ - ٣٣٧ (٦٥١٥)، تذكرة الحفاظ ٣/ ٧٦ (٨٦٤) سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٧ (٥).

(٥) محمود بن محمد بن الفضل بن الصباح بن موسى بن الليث ابن أعين أبو العباس التميمي المازني الرافقي، أديب مؤرخ، صاحب كتاب: تاريخ الجزيرة، لم أقف على تاريخ وفاته، وهو: مجهول الحال - فيما يبدو لي بعد بحث متواضع - ذكره ابن عساكر كثيراً في تاريخه. ينظر ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى ٧/ ١٩١، تاريخ دمشق ٥٧/ ١٢٦ - ١٢٧ (٧٢٦٠) تاريخ الإسلام ٢٤/ ٣٢١.

بن محمد بن[٢] سليمان النوفلي قال سمعت أبي[٣] يقول:

كنت مع عبد الله بن علي أول ما دخل دمشق فدخلها بالسيف ثلاث ساعات من النهار وجعل مسجد جامعها سبعين يوماً اصطبلاً لدوابه وجماله ثم نبش قبور بني أمية فنبش:

قبر معاوية فلم يجد فيه إلا خيطا أسود مثل الهباء.

ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجد منه جمجمته وكان يوجد في القبر العضو بعد العضو غير هشام بن عبد الملك فإنه وجد صحيحا لم يبل منه إلا أرنبة أنفه فضربه بالسياط وهو ميت وصلبه أياما ثم أمر به فأحرق بالنار ودق رماده ونخل وذري في الريح !.

ثم تتبع بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فطلبهم فأخذ منهم اثنين وتسعين نفسا ولم يفلت منهم:

---

(١) حبيش بن موسى الصِّيني، صاحب كتاب الأغاني الذي ألَّفه للمتوكل ذكر في هذا الكتاب أشياء لم يذكرها إسحاق ولا عمرو بن بانه وذكر من أسماء المغنّين والمغنيات في الجاهلية والإسلام كل ظريفٍ عريبٍ وله كتاب الأغاني على حروف المعجم. كتاب مجردات المغنيات. مجهول الحال والعين !.

ينظر: الوافي بالوفيات ١١/ ٢٢١ (تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى).

(٢) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان النوفلي صاحب: كتاب الأخبار، وهو مثل أبيه، مشغول بالرواية حول أخبار المغنين والرّقاصين وخدم الخلفاء، ومن على شاكلتهم، ونقل عنه المسعودي وأبو الفرج الأصبهاني في كتابيه: مقاتل الطالبيين، والأغاني، أخبارا موضوعة تالفة واضحة الدس والكذب في أكثر من موضع في كتابه. ينظر: مروج الذهب ص، ورواياته حول المغنين والجواري والغلمان. ينظر الأصبهاني: الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط٢، الناشر: دار الفكر - بيروت ٤/ ٨٩، ٣٦٥، ٩/ ٦٢، ١٤٨، ٢٨٤، ١٢/ ٢٧٢، ١٤/ ٩٩، ١٧٠، ١٨/ ١٨١،

السراج القارئ: أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسيني، مصارع العشاق، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد رشدي شحاته، ط١، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م ١/ ٨١، الوافي بالوفيات ١٨/ ١٠٢ الأبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (ت ٨٥٠هـ) المستطرف في كل فن مستظرف مجلدين، تحقيق مفيد محمد قميحة، الناشر دار الكتب العلمية - بيرت، سنة النشر ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ٢/ ٣٢٠.

لم يذكره أحد من أصحاب كتب الرجال، فهو كما تبين لي من أخباره: تالف، يأتي بأخبار منكرة، ومظلمة، وكذلك أبوه: صاحب الترجمة التالية.

(٣) محمد بن عبد الله بن سليمان بن عبد الله النوفلي، والي اليمامة، ذكر لي أبو نعيم الأصبهاني أنه بغدادي قدم أصبهان، يروي حكايات خلفاء بني العباس الأولين وكان معاصرا لهم، ورواياته أكثرها عن خدمهم وحشمهم. تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٦١، تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٥١٦، ٥٢٧، ٥٨٨، الأصبهاني: الأغاني ٩/ ٦٢، ١٤٨، ٢٨٤، تاريخ بغداد ٥/ ٤٣٧ (٢٩٥٩) لم يذكر شيئاً عنه !المنتظم ٨/ ٢١٩، ٩/ ٢١٥.

إلا صبي صغير يرضع أو من هرب إلى الأندلس فلم يقدر عليه فقتلهم على نهر بالرملة، وجمعهم وبسط عليهم الأنطاع وجعل فوق الأنطاع موائد عليها الطعام وجلس يأكل ويأكلون فوقهم وهم يتحركون من تحت الأنطاع!!!.

واستصفى كل شيء كان لهم من الضياع والدور والعقار وكان السبب فيما عمل بجثة هشام بن عبد الملك أنه لم تحدث الناس أن الخلافة تصير إلى ولد العباس.

كتب هشام إلى عامله على المدينة أن يشخص محمد بن علي بن عبد الله بن عباس إلى حضرته إلى دمشق فأشخصه وأمره بلزوم الباب فاشترى محمد بن علي بها جارية فجاءت بابن.

فأنكر محمد الابن فاختصما إلى هشام بن عبد الملك فأمر قاضيه أن يحكم بينهما فاستحلفه فحلف أنه ليس بابنه وفرق بينهما.

ثم إن محمد بن علي لما أن بلغ الصبي سبع سنين دس إليه من سرقه فأتاه به فقتله.

فاستعدت أمه عليه إلى هشام، فحلف أنه ما قتله ولا دس إليه من قتله ولا يعلم له قاتلا؟.

ثم إن هشاما أمر أصحاب الأبواب أن يتجسسوا في الغوطة هل عندهم من ذلك خبر فجاءه رجل من أهل المزة فذكر أنه كان يسقي أرضا له بالليل وأنه رأى رجلاً راكبا على فرس وقد أردف خلفه آخر ومعه آخر يمشي فقتلوا واحدا منهم ودفنوه ولم يعلموا بي وقد علمت على الموضع الذي فيه القتيل وتتبعت أثرهم حتى دخلوا المدينة وعرفت الدار التي دخلوها !.

فقال هشام:

لله درك فرجت عنا !.

ثم وجه معه بأقوام إلى الدار التي ذكر فإذا دار محمد بن علي !.

فأحضره وسأله: فأنكر، فوجه فنبش الصبي ووضع بين يديه مقتولا !.

فقال هشام:

لولا أن الأب لا يقاد بالابن لأقدتك به !.

ثم أمر فضرب سبع مائة سوط ! ونفاه إلى الحميمة.

فكان الذي حمل عبد الله بن علي على أن عمل بجثة هشام ما عمل بأخيه محمد بن علي.

ثم دفع عبد الله بن علي امرأة هشام إلى قوم من الخراسانية حتى مروا بها إلى البرية ماشية

حافية حاسرة فما زالوا يزنون بها ثم قتلوها وهي عبدة ابنة عبد الله بن يزيد بن معاوية صاحبة الخال! "[١].

٥- رواية ابن أبي عذيبة للقصة:

كتب أبو العباس إلى عمه عبد الله بن علي يأمره بنبش قبور بني أمية:

"أن تتبع قبورهم وتنبشها، وتخرج ما فيها من عظام. فأول من نبش قبره، معاوية بن أبي سفيان، فما أصابوا فيه إلا شبه خيط. وثانية نبش قبر يزيد بن معاوية ...[٢] فما أصابوا فيه إلا رميما، وكذلك قبر معاوية بن يزيد[٣]، ومروان بن الحكم[٤]، وأما عبد الملك بن مروان فما أصابوا في قبره شيئاً إلا جمجمته وأضلاعه، وكذلك ابنه الوليد بن عبد الملك[٥] أصابوا فقرات ظهره؛ وكذلك مسلمة بن عبد الملك بن مروان[٦]، فما أصابوا إلا صلبه وبعض جمجمته وكذلك سليمان بن عبد الملك[٧]، ما أصابوا إلا عظماً واحداً.

"إلا هشام فإنه وجد صحيحاً ما فقد منه إلا ارنبة انفه، فضربه مائة وعشرين سوطا حتى

---

(١) راجع تحقيقنا على كتاب: تاريخ دول الأعيان في أخبار من سلف من أهل الزمان، لابن أبي عذيبة، وقد استوفينا التحقيق والكلام على هذه الفرية هناك.

(٢) استخدم كلمة لا يمكن استخدامها في حقّ أي ذي روح فكيف بحق بني البشر الذين كرّمهم الله حيّا وميّتا!.

١ - معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثالث خلفاء بني أمية، وكان خيراً صالحا بقي في الخلافة قرابة شهرين (ت ٦٤هـ) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٥/ ٥٠١ - ٥٠٣ الذهبي المصدر السابق ١/ ٥١.

٢- مروان بن الحكم بن أبي العاص الاموي، له رؤية صحابي صغير، فقيه، بويع له سنة (٦٤هـ) وعاش في الخلافة تسعة اشهر وقيل أقل (ت ٦٥هـ) ينظر المصدر أن نفسيهما ٥/ ٦١٤١، ١/ ٥٢ -٥٣، ابن حجر الإصابة ٣/ ٤٧٧ -٤٧٨ (٨٣١٨).

(٥) الوليد بن عبدالملك بن مروان، أبو العباس، كان كثير القراءة للقران افتتح في ايامه الهند، الترك، والاندلس بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة (٨٦هـ) (ت ٩٦هـ) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٦ / ٤٩٥، ٤٢٣، الذهبي: المصدر السابق ١ / ٨٥ -٨٦.

(٦) أبو سعيد وقيل أبو الأصبغ الأموي، كان مجاهدا شجاعا، ذا رأي ودهاء غزا القسطنطينية وليّ عدة ولايات (ت ١٢١هـ) ينظر: الذهبي: العبر ١/ ١١٨، ابن كثير: المصدر السابق ٩/ ٣٢٨.

(٧) بويع له بالخلافة-سنة ٩٦هـ في اليوم الذي توفي فيه أخوه الوليد بن عبد الملك، كان فهما عدلا عالي الهمة كانت خلافته أقل من ثلاث سنين (ت ٩٩هـ) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٦/ ٥٠٥، ٥٤٦، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٨٨-٨٩.

تناثر لحمه، ثم صلبه ثم احرق بالنار مع تلك العظام أخذا لثأر زيد[١]"[٢].

وقيل[٣]:

"إن هشاما كان قد ضرب أخاه محمد بن علي[٤]، حين كان قد اتهم بقتل ولد له صغير، سبعمائة سوط، ثم نفاه إلى الحميمة[٥] بالبلقاء[٦]".

وكذلك ابن يزيد[٧]، وابن الوليد[٨]، والوليد بن مسلمة[٩]، وسائر بني أمية، ما أصابوا في قبورهم إلاّ العظم، فجمع عبد الله عظامهم، من كل موضع فأحرقها بالنار، إلاّ قبر عمر بن عبد العزيز رحمه الله فإنه لم ينبش.

---

(١) هو: زيد بن علي بن الحسين بن علي ﷺ، وعده أهل الكوفة بالوقوف والحرب معه ضد هشام بن عبد الملك وخذلوه فقتله يوسف بن عمر سنة (١٢٢هـ) وذكر الطبري بصيغة (قيل) بدون أي إسناد أنه صلب ومكث مصلوبا حتى مات هشام، ثم أمر به الوليد فانزل واحرق!! ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٧/ ١٨٨-١٨٩، الذهبي: المصدر السابق١/ ١١٨ وجعل وفاته سنة (١٢١هـ) ولم يذكر خليفة بن الخياط شيئاً من ذلك، سوى ذكره أنه قتل في هذه السنة ينظر: ٢/ ٣٦٩.

(٢) ابن أبي عذيبة: تاريخ دول الأعيان ٢/ ١١ (بتحقيق الباحث)، وهذا الخبر يستنتج منه أن هشاما مات شهيدا-لو كان صحيحا-لأن أجسام الشهداء لا تأكلها الأرض! وينظر قريب من هذا النص ابن كثير: البداية والنهاية، الناشر: مكتبة المعارف - بيروت ١٠/ ٤٥، القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٥م ١/ ٧٦ وعدد آخر من الكتب التي ذكرناها في من ذكر هذا الخبر من المتقدمين والمتأخرين.

(٣) البداية والنهاية ١٠/ ٤٥.

(٤) هو: محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، والد المنصور وأبي العباس، ثقة كان وسيما مهيبا نبيلا، كانت دعاة بني العباس يلقبونه بالإمام؛ ينظر: الذهبي: العبر ١/ ١٢٣، ابن حجر: تقريب التهذيب ٢/ ١٩٣ (٥٥٠).

(٥) بلد من أرض الشراة من أعمال عمّان في أطراف الشام، كان منزل بني العباس: ينظر: معجم البلدان ٢/ ٣٠٧ (الحُميمة).

(٦) كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمان، وهي من البلق، وهي: سواد وبياض مختلطان ينظر: المصدر نفسه ١/ ٤٨٩ (البَلْقَاءُ).

(٧) لعل قصده خالد بن يزيد بن معاوية، أو عبد الله بن يزيد بن معاوية، لأنه ذكر معاوية بن يزيد ينظر: الطبري: المصدر السابق ٥/ ٥٠٠.

(٨) هو: يزيد بن الوليد بن عبد الملك بويع له بالخلافة سنة (١٢٦هـ) كانت خلافته قرابة خمسة اشهر وكان يسمى يزيد الناقص، لنقصه إعطيات الناس، وقيل غَير ذلك، توفي في نفس السنة التي بويع فيها للخلافة. ينظر: الطبري: المصدر نفسه ٧/ ٢٦١-٢٦٢، ٢٩٨، الذهبي: العبر ١/ ١٢٤.

(٩) لم أجد في جميع المصادر المتوفرة لدي لمسلمة ولد باسم الوليد.

ثم أنشأ عبد الله بن علي يقول:

حسِبْت أمية أن سيَرْضَى هاشِم عنها ويذهَب زيْدُها وحُسينُها
كلا وربِّ مُحَمَّدٍ علـم الهـدى حتى تُبـاحَ سُهولها وحزونها

.. الخ.

قال:

فلم يزل عبد الله بن علي على ذلك حتى فعل بهم الأفاعيل"[1]!!.

وهذا الخبر باطل للأمور الآتية :

١ - هذا الخبر مع فظاعته لم تذكره المصادر الأساسية ولو بجملة أو كلمة واحدة مثل: كتب:

ابن أبي خيثمة، ابن معين، ابن سعد، أبو زرعة الدمشقي، خليفة بن خياط، ابن قتيبة، وأبو حنيفة، الدينوريان في كتبهم، الطبري، الفسوي في المعرفة والتاريخ، ابن حبان، وعدم ذكر الخبر في كتب هؤلاء الأقدمين توحي بأنهم لم يذكروا الخبر لأمرين لا ثالث لهما:

أولا: أنهم لم يسمعوا بهذا الخبر الموضوع والمصنوع من قبل المجوس وأتباعهم من الزنادقة المتشيّعة المتسترين بالدّين ، وقد أكدّنا في فقرة من فقرات هذا الردّ، أن هذه القصّة من القصص والحكايات المصنوعة التي صنعت ووضعت من قبل هؤلاء في منتصف القرن الرابع الهجري، بعد سيطرة أتباع الفرس على أكثر بلاد المسلمين، كالبويهيين، وبني عبيد، والقرامطة، وبقية الفرق الباطنية التابعة لهم، الذين دمّروا كتب تاريخنا وتراثنا بالتزوير والدس والتحريف، وقلب الحقائق.

ووضع مئات - بل ربما آلاف من الكتب المكذوبة والموضوعة - في تلك العهود المظلمة، وما تلاها من العهد الصفوي، للتشويش على كتب: العقائد، والتشريع، والتاريخ، وبقية كتب تراثنا الإسلامي، لذا لم نجد هذه القصّة في كتب من سبق عهود هؤلاء، وإن كان بعض تلك الكتب لم تخل أيضاً من محاولة تخريبا من قبلهم.

ثانيا: أو أنهم سمعوا بهذا الخبر، لكن عرفوا أنّه كذب محض وفريّة واضحة، فلم يريدوا أن يلوّثوا كتبهم بتدوين مثل هكذا خبر.

---

(١) الكوفي: الفتوح، دار الندوة الجديدة- بيروت (مصورة عن طبعة، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى - حيدر آباد الدكن) ٨/ ١٩٣-١٩٥، والخبر بشيء من الاختصار، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٤/ ٣٣٣، ابن كثير: المصدر السابق ١٠/ ٤٥، ابن أبي عذيبة: تاريخ دول الأعيان ٢/ ١١.

وأما ذكر الإمام المحدث:

محمد بن عبدالله (ابن الرستاقي) فيما نقله لنا: ابن عساكر عنه (إن صحّ) في كتبه بسنده إلى من ذكرناهم، كان بعد ظهور هذه الروايات في منتصف القرن الرابع الهجري، حيث أن الإمام توفي (٣٤٧هـ) فأراد أن يبيّن لمن يأتي بعده أن: هذه القصّة وردت عن طريق المسندين الذين ذكرناهم، حتى لا يغترّ أحد بهذه الفرية فيما بعد، وهذا مخرج، لتصحيح أو تخريج أو بيان ما ذكرنا آنفا من أنّ الوثيقة، لا يستبعد منها تعرضها للتزوير.

٢- لم يثبت هذا الخبر عن أحد من أئمة التاريخ ولا غيرهم بسند صحيح أو حتى ضعيف[١]، بل كل ما ورد في ذلك بدون إسناد، مع أن عصر الحادثة كان عصر إسناد، إلاّ ابن عساكر، وقد وجدنا في سنده:

أبو العباس محمود الرافقي، مجهول الحال، ومحمد بن موسى العمي (حبش أو حبيش الصيني) مجهول الحال والعين، ومحمد بن سليمان النوفلي، وابنه: علي بن محمد، تالفان، أغلب رواياتهما تتركز عن المغنين والمغنيات، وهم أيضاً - كما ذكرن - قد ألّفوا في هذا المجال، كما أن الطابع السائد على روايتهما هو: الأخبار المنكرة والمظلمة، وتركهما علماء الرجال، ولم يدّونوا تراجمهم في كتبهم ولم يذكروهم !.

وهكذا فإن في هذا السند الوحيد واليتيم لهذا الموضوع يرويه: اثنان مجهولان، واثنان تالفان.

والرجل الوحيد في هذا السند وهو ثقة هو: أبو الحسين؛ محمد بن عبد الله المعروف بابن الرستاقي وهو حجّة إمام، وروه ابن عساكر عن هذا الإمام عن طريق الوجادة: المختلف فيها بين أهل العلم[٢].

قال ابن عساكر[٣]:

"قرأت بخط أبي الحسين الرازي) هكذا.

---

(١) ينظر جميع الكتب التي ذكرناها.

(٢) ذكرنا أن الوجادة: تطلق فيما اخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا اجازة ولا مناولة، وهي ليست من باب الرواية وإنما هي حكاية عما وجده.
أما العمل بها: فمنع منه طائفة كبيرة من الفقهاء والمحدثين.

(٣) تاريخ دمشق ١٢٦/٥٣.

وأنت تعلم أن ابن عساكر توفي سنة (٥٧١هـ) وأبو الحسين الرازي توفي (٣٤٧هـ) أي بين الشخصين (٢٢٤) سنة !.

فكيف عرف ابن عساكر أن هذا الخبر مكتوب بخط الرازي ؟.

ومن المؤكّد الجواب هو:

إما أنه وجد نسخة الأم للمؤلف الذي فيه هذا الخبر أو: نسخة كتب عليها: بخط المؤلف !.

وفي كلا الحالتين من الممكن أن يأتي شخص بعد عقود أو قرون، ويلعب بهذا النص والكتاب، ولاسيّما ونحن قد بيّنا أن الهجمة الشرسة التي وقعت على كتب التاريخ والتراث الإسلامي، من الدس والتزوير والتحريف، وتشويه صورة الإسلام؛ عقيدة وحضارة وتاريخا، ورجالا، كانت بدايتها عند وصول أولاد المجوس من الفرس؛ من بني بويه، وبني عبيد في شمال أفريقيا، وبني قرمط، كانت من بداية أو منتصف القرن الرابع الهجري، وهذه الوثيقة، كما تجدها تعود إلى تلك الحقبة من الزمن !.

٣- لو ثبت ذلك لنقل إلينا بالتواتر، كيف وأنه لم يثبت حتى عن طريق الآحاد!.

٤- أقدم من ذكر هذا الموضوع هو: اليعقوبي، والمسعودي، وابن اعثم الكوفي، وهم من هم في عداوتهم لبني أمية، وفي ترفضهم ؟!.

وجميع هؤلاء من أشد الناس عداوة على بني أمية حتى بلغ التعصب ببعضهم إلى لعنهم[(١)]، وجمع كل ما هو ساقط وتالف وباطل وحشو كتبهم بها، مع أن اليعقوبي بنفسه يروي هذه القصّة بتردد وهو غير واثق من حدوثه فيقول[(٢)]:

"ويقال:

إن أبا العباس كتب إليه خذ بثأرك من بني أمية".

هكذا بصيغة: يقال !!!.

ويظهر أن بقية المتأخرين، نقلوا هذه الفريّة من هؤلاء الموتورين والحاقدين.

---

(١) ينظر ابن أعثم: المصدر السابق ٨/ ١٩٣، وقد ذكر كثيراً من الأخبار التالفة بحق السلف بغير إسناد، وهو نفسه، ممن لا يعرف شيء كثير عنه، ينظر: الحموي: معجم الأدباء ١/ ٣٧٩، ابن حجر: لسان الميزان ١/ ١٣٨، سزكين: تاريخ التراث العربي مجلد، ١ جزء ٢/ ١٦٩ (التدوين التاريخي).

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٥٦.

٥- هل يعقل أن يفعل مسلم يشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله أن يجعل المسجد الجامع في دمشق سبعين يوما إسطبلا للدواب![١] والفاعل ابن عم رسول الله ﷺ ؟!.

٦- إن أبا العباس ابن عم رسول الله ﷺ، ومن خير القرون، أما كان يسعه أن يقول للناس: - كما قال ابن عمه ﷺ يوم فتح مكة لأهل مكة - : أذهبوا فأنتم الطلقاء![٢].

وفعلا كان أبو العباس تقيا لا كما وصفه أعدائه، فحينما قتل عامر بن إسماعيل[٣] مروان بن محمد قعد عامر على فرشه وأكل من طعامه، فبلغ ذلك أبو العباس فكتب إليه (والفضل ما شهد به الأعداء):

"ويلك! أما كان لك في أدب الله عز وجل ما يزجرك أن تأكل من طعام مروان، وتقعد على مهاده، وتتمكن من وساده؟ ... فتقرّب إلى الله تعالى بصدقة تطفئ بها غضبه، وصلاة تظهر بها الاستكانة، وصم ثلاثة أيام، ومُر جميع أصحابك أن يصوموا مثل صيامك"[٤].

٧- هل يتصور عاقل أن يضرب أحد عظاما نخرة (١٢٠) سوطا أو أن يجمع العظام ليحرقها؟!.

بل إن العقل والمنطق يقول:

إن المجنون أو المختل العقل أو من هو مصاب بمرض نفسي قد لا يفعل هذا الأمر، فكيف يفعل ذلك أبناء عمّ النبيّ ﷺ الذين هم خيرة الخلق؟

من المعلوم إن الشيطان يترك الميت بعد موته فكيف ببني آدم وبأناس هم أهل بيت النبوة؟!

٨- من الأمور البديهية في الإسلام أن الشرع حرم الإحراق[٥]، كما حرم التمثيل[٦]، أو لم

---

(١) لم يسمع بذلك اللهم إلا في عصر التتار وعهد الصفويين!!.

(٢) ينظر ابن هشام: السيرة النبوية ٤/ ٥٥.

(٣) هو: عامر بن إسماعيل المسلّي، أحد قواد أبي العباس والمنصور، وهو قاتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية (ت ١٥٧هـ) ينظر: خليفة بن خياط: المصدر السابق ٢/ ٤٢٨، الطبري: المصدر السابق ٨/ ٥٢.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٢٤٤، وسبب قبولنا لهذا الخبر هو كون الخبر منسجم وموافق لما كان عليه السلف الصالح من التقوى والعمل الصالح، وتعظيم حرمات الله.

(٥) (إنيّ كنتُ أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلانا، وإن النار لا يعذب بها إلا الله) رواه البخاري: فتح الباري ٦/ ١٤٩ (٣٠١٦).

(٦) (لا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ... الخ) رواه مسلم: شرح صحيح مسلم ١٢/ ٣٧).

يكن أبي العباس وعبد الله بن علي يعرفان ذلك ؟ أم كانا جاهلين وغافلين عن شريعة ابن عمّهما رسول الله ﷺ؟!.

٩ - هل يجوز نبش القبور ؟ وما جزاء من يفعل ذلك بقبور المسلمين؟

الإنسان مكرّم في شرع الله، حيّا كان أو ميّتا، قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

قال المفسّر الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ قاطبة، برهم وفاجرهم، أي: كرمناهم بالصورة الحسنة، والقامة المعتدلة، والتمييز بالعقل، والإفهام بالكلام، والإشارة والخط، والتهدي إلى أسباب المعاش والمعاد، والتسلط على ما في الأرض، والتمتع به، والتمكن من الصناعات، وغير ذلك مما لا يكاد يُحيط به نطاق العبارة ".

وقد ورد التهديد والتحذير من نبيّ الإسلام ﷺ ابن عمّ هؤلاء من بني العبّاس، فيمن يفعل ذلك في: باب النبّاش: عند المحدّثين والفقهاء.

حديث النبي ﷺ في نبش القبور:

عَنْ عُمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ[(١)]:

(لَعَنَ الْمُخْتَفِي وَالْمُخْتَفِيَةَ).

يَعْنِي: النَّبَّاشَ وَالنَّبَّاشَةَ، قال البوصيري: رَوَاهُ مُسَدَّدٌ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْكُبْرَى مُرْسَلاً بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وذكر الشيخ الألباني أن ابن التركماني تعقّبه وأوصله، فهو حديث موصول (مرفوع) صحيح وخرج من أن يكون مرسلا صحيحا.

وقد رفعه قبل ابن التركماني: الْحَاكِمُ النيسابوري أبو عبد الله، كما ذكر ذلك البوصيري.

---

(١) الشافعي: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، مسند الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ص ٣٦٣ (١٦٧٢) مصنف عبد الرزاق ١٠/ ٢١٥ (١٨٨٨٨) البيهقي: سنن الكبرى ٨/ ٢٧٠ (١٧٠٢١) معرفة السنن والآثار ١٢/ ٤٠٨ (٥٤٠٩) البوصيري: إتحاف الخيرة المهرة ٢/ ٥٢٠ (٢٠٢٤) الألباني: السلسلة الصحيحة ٥/ ١٨١ (٢١٤٨).

وهل كان بنو عمّ النبي المختار ﷺ بهذا المستوى من الجهل بشرع ابن عمهم المصطفى ﷺ ؟
أم أنهم يقبلون أن يكونوا ملاعين بفعلهم هذا ؟
أم أنّ بني المجوس وأتباعهم، هم من يعلّمون أبناء عمومة النبيّ ﷺ وخيرة الناس بعد أصحاب رسول الله ﷺ والمسلمين الحّل والحرمة، وهؤلاء لا يعرفونها ؟

أهل الفقه والنبش:

يقول أبو حامد الغزالي [١]:

"القبر محترم فيكره الجلوس والمشي والاتكاء عليه ! وليخرج الزائر منه إلا حد كان يقرب منه لو كان حيا !ولا يحل نبش القبور إلا إذا انمحق أثر الميت بطول الزمان أو دفن من غير غسل فالظاهر أنه ينبش القبر ويغسل أو دفن في أرض مغصوبة وترك المالك إخراجه فإن حق الحي أولى بالمراعاة !!".

بل إن الإسلام ذهب إلى أبعد من هذا فراعى حرمة قبور المشركين والكفّار ولم يجوّز نبشها إلاّ لمصلحة راجحة، وكره ذلك كالإمام مالك وغيره[٢]، فكيف بقبور أهل التوحيد، وأهل القرون الثلاثة ؟

﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور: ١٦-٢١].

---

(١) الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد(ت ٥٠٥هـ)الوسيط في المذهب، تحقيق أحمد محمود إبراهيم، محمد محمد تامر، الناشر دار السلام - القاهرة، سنة النشر ١٤١٧هـ ٢/ ٣٩٠.

(٢) ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ): التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المحقق: مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكرى، الناشر: مؤسسة القرطبه ١٣/ ١٤٥، بدر الدين العينى: محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى (ت ٨٥٥هـ) شرح سنن أبي داود، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، ط١، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م ٢/ ٣٥٤.

١٠ - بسط علي بن عبد الله النطع (المائدة) على جثث بني أمية، وبعضه لازال في الإحتضار والحشرجة، والتلذذ بالطعام على أنينهم، ووسط دمائهم وقوله: أنّه لم يأكل طعاما ألذّ من هذا في حياته !.

وهل يصدّق عاقل هذا، أن أولاد عمّ النبي محمد ﷺ هكذا تربّوا أم هكذا ربّاهم دينهم وأسرتهم، فإن كان هؤلاء هكذا فكيف يكون حال غيرهم معاذ الله ؟ !.

ويبدو أن أعداء الإسلام ممن ذكرناهم ممن تولّوا بخطّة مبرمجة تخريب تاريخنا وتراثنا، بل قبل ذلك: ديننا، أرادوا أن يضربوا بحجر عصفورين !.

فبنوا أمية وبنوا هاشم أبناء عمّ، وكلّهم من قريش، وكلّهم مسلمون، ففعلوا هذه القصص والحكايات الملفقّة كي يشوّهوا صورة الأثنين، بل الإسلام كلّه !.

ومن التناقضات الأخرى التي رصدنا في هذه الفريّة من حيث المتن:

تضارب وتناقض الروايات فيمن أمر بنبش قبور بني أمية، هل هو: أبو العباس ؟ أم هو: عبد الله بن علي ؟ أم أبو غانم المروزي ؟.

والإضطراب في المتن والسند (عند علماء المسلمين) دليل وضع وبطلان الخبر.

ومن هذا الإضطراب في المتن أيضاً الاختلاف فيمن أمر بنبش قبور بني أمية:

رواية اليعقوبي تقول:

"ويقال إن أبا العباس (أي السفّاح) كتب إليه خذ بثأرك من بني أمية ففعل بهم ما فعل ووجه فنبش قبور بني أمية فأخرجهم وأحرقهم بالنار ".

رواية الراغب الأصبهاني تقول:

"قال عمرو بن هانئ الطائي: بعثنا أبو غانم المروزي على نبش قبور".

ورواية ثالثة تقول:

أن عبد الله بن علي هو الذي فعل ذلك ببني أمية، انتقاما لآل العباس وآل المطلب، وهذا ما ذهب إليه عدد ممن رووا القصّة.

ومن تناقضات المتن أيضاً اختلافهم في اسم من ضُرِبَ بالسياط في زمن هشام ومقدار السياط وسبب ضربه من أجل بذلك:

أولا: من المضروب بالسياط في زمن هشام بن عبد الملك ؟

أ - محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، كما ذكر ذلك كل من: ابن عساكر.

ب - علي بن عبد الله بن عباس، أخو الأول، ذكره المسعودي.

ج - رواية الراغب الأصبهاني، لا تذكر أحداً مضروباً ولا أحد ضارباً.

ثانيا: مقدار السياط التي ضُربت الطرفين (الحيّ، والميّت):

أ - هشام بن عبد الملك يضرب أحد المذكورين في الفقرة السابقة (٦٠) سوطا، ويعاهد الله المضروب إن ظفر بهشام أن يضربه (١٢٠) سوطا، مقابل كل سوط سوطان، ذكر ذلك: اليعقوبي.

ب - المسعودي يذكر أنه ضرب هشاما (٨٠) سوطا.

ج - هشام يضرب المذكور (٧٠٠) سوط، ومقابله يضرب: عظامه أسواطاً! ذكره ابن عساكر، وهل يتحملّ بشرٌ، أو ربما كل ذي روح (٧٠٠) سوط ؟ !.

د - هشام يضرب المذكور (٧٠٠) سوط، ومقابله يضرب: عظامه (١٢٠) سوطا، ذكره ابن أبي عذيبة.

ثالثا: سبب ضرب هشام للمذكور من بني العباس:

أ - لم يذكر اليعقوبي، والمسعودي، وآخرين سبب هذا الأمر.

ب - السبب هو: أن المذكور من بني العباس، قتل ابنه وعمره سبع سنين من امرأة سوداء، فعاقبه: الخليفة هشام، بعد أن أوصلت أم الولد هذه الجريمة لهشام، وتأكدّ هشام من الأمر، فضربه (٧٠٠) سوط، وقال له: لولا أنك أبٌ، لاقتصت منك، وقتلتك به، ذكره ابن عساكر.

وهكذا ليس لهذه الفريّة والقصّة المفبركة أي سند صحيح، وجميع من روى ذلك بسند كامل أو نصف سند، أو ربع سند ! وجدنا في سنده كذّابا، ومجهولين، ومتروكين، وغيرها، وكذلك متنها، فالقصّة باطلة بكل أوجه النقد والتحليل، سواء بحكم علماء المسلمين، أو علماء النقد من المؤرخين من غير المسلمين.

كما أن هذه القصّة لم تكن مذكورة في كتب الأقدمين في القرون الثلاثة الأولى، وإنما ظهرت في منتصف القرن الربع الهجري، إلاّ ما ذكره اليعقوبي !.

وبعد أكثر من عقدين من الزمن راجعت بحثي هذا، ووجدت والحمد لله من كان منتصرا لما ذهبنا إليه، من المؤرخين والعلماء الكبار في نقد الروايات التاريخية وهو العلاّمة: محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي (فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم) (٢٦٢هـ - ٤٤٠هـ = ٩٧٣ - ١٠٤٧م).

وحكم على هذه الروايات كلّها بالبطلان، وهذا مما أحمد الله عليه وأشكره، إذ لم أكن منفردا بهذا الحكم.

قول البيروني في بطلان هذا الخبر[١]:

" وكان بأرض الدوار صنم يسمى زون معمول من ذهب وعيناه ياقوتتان فقلعهما عبد الرحمن بن سمرة [٢] وقطع يدا الصنم ثم قال لمرزبانها :

دونك الذهب والجوهر فما أردنا بها فعلت إلا أنه أعلمك أنه لا ينفع عابده ولا يضر معانده.

وقالوا:

واتى المنصور رجل واخبره أنه دخل ناووس فين الملك من الأكاسرة فرأى عليه تاجا من الجواهر واللآلئ قد فات القيمة وانه كره أن يمد يده لشيء منها دون أخباره بها - فأمر المنصور أن يضرب سبعين سوطا وينادى عليه هذا جزاء من تخطى عرصة ملك حيا كان أو ميتا !.

وهذا هو مستوجب السياسة ومقتضى المروءة والحرية لكن من درس الأخبار واطلع منها على أفعال العرب في العجم عند انتزاع أرضهم [٣] ونعمتهم وعلى الموجود في قبور بني أمية حين نبشها عبد الله بن علي بعلة الثأر والترة وحرص المنصور على الأموال يعلم بطلان هذا الخبر وإن كان فيه تحسين الأدب".

---

(١) محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ) الجماهر في معرفة الجواهر ص ٣٠.

(٢) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي العبشمى، أبو سعيد:صحابي جليل، من القادة الولاة، أسلم يوم فتح مكة، وشهد غزوة مؤتة، وسكن البصرة. وافتتح سجستان وكابل وغيرهما. وولي سجستان، وغزا خراسان ففتح بها فتوحا، ثم عاد إلى البصرة فتوفي فيه سنة (٥٠-٥١هـ). ينظر: الاستيعاب ٢/ ٨٣٥ (١٤٢٢) الإصابة ٤/ ٣١٠ (٥١٣٧)

(٣) أعتقد أنّ الصحيح لهذه العبارة هو:

"على أفعال العجم في العرب عند انتزاع ارضهم" لأن دولة بني العباس شاء من سمّاها بدولة العجم!!!!.

المبحث الثالث
عصر أتباع التابعين

قضية الشراب:

لم ينقض عصر التابعين[١]. إلاّ وكثر الكلام والاتهام لعدد من خلفاء المسلمين، وفقهائهم، وأئمتهم، وعلمائهم وغيرهم من السادات والإشراف بالشراب، والخمر، والنبيذ[٢].

حتى وصف بعضهم عهد الرشيد ومن جاء بعده من خلفاء بني العباس، بعهد الشراب واللهو والمنادمة.

"وكانت العادة في بغداد إذا أراد أحد كبارها من الأمراء والقواد وأصحاب الشأن في الدولة أن يجلس للمنادمة والشراب، أن يأمر وكيله بإعداد ما يلزم فيتخير الوكيل أطيب الأطعمة وأعذب الشراب"[٣].

---

(١) اختلف أهل العلم في تحديد عصر الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين على عدة أقوال:

فمنهم من جعل كل عصر قرنا، والقرن عنده أربعون سنة، وعلى هذا فنهاية الأربعين نهاية عصر الصحابة، ونهاية الثمانين، نهاية عصر التابعين، ونهاية العشرين بعد المائة، نهاية عصر أتباع التابعين.

ومنهم من ذهب أن عصر الصحابة قد انتهى عند انقضاء السبعين، (وهذا على سبيل التغليب)، وربما جعل عصر التابعين وأتباعهم أيضاً كلا منهما سبعون سنة، مستأنسين بحديث (عمر امتي من ستين إلى سبعين سنة) رواه الترمذي: السنن ٤/ ٥٦٦ (٢٣٣١).

وقسّم آخرون عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم إلى اثنتي عشرة طبقة، لكل طبقة عشرون سنة وتنتهي العصور الثلاثة بحلول حوالي سنة (٢٢٠هـ). ينظر على التسلسل الذي ذكرناه: ابن سعد: الطبقات الكبرى١/ ، الخطيب: تقييد العلم ص١٧، أحمد شاكر: الباعث الحثيث ص٢٤٠، ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٢١٥، صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص٣٨، ٤٨، ٣٥٣، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) ينظر على سبيل المثال: ابن عبد ربه: العقد الفريد٨/ ٤٩-٨٤ (بتحقيق عبد المجيد الترحيني ط٣ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م طبعة دار الكتب العلمية -بيروت)، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص١٤٤، وكيع: أخبار القضاة ٣/ ٢٥٦، الأصبهاني: الأغاني ٧/ ١٥، ١٧، ٤٥، ٥٥، ٦٠، ٧٤، الصفدي: شرح لامية العجم، المطبعة الازهرية - مصر ١٣٠٥هـ ١/ ٢٦٧-٢٦٨.

(٣) أبو النصر: عمر: الهوى والشباب والحضارة في عهد الرشيد، الطبعة الثانية مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمة والنشر، عمارة درويش-شارع سورية ١٩٧٠م ص٢١٧.

كان المهدي ومن قبله من الخلفاء يكرهون الشراب[١]، والمنادمة، يقول إبراهيم الموصلي[٢]:

"وكان المهدي لا يشرب، فأرادني على ملازمته وَتَرْكِ الشراب، فأبيت عليه، وكنت أغيب عنه الأيام، فإذا جئته منتشيا، غاظه ذلك مني، فضربني وحبسني، فحذقت الكتابة والقراءة في الحبس، ثم دعاني يوما فعاتبني على شربي في منازل الناس، والتبذل معهم، فقلت:

يا أمير المؤمنين، أنى تعلمت هذه الصناعة للذتي وعشرتي لأخواني، ولو أمكنني تركها لتركتها وجميع ما أنا فيه لله عز وجل!.

فغضب غضبا شديداً وقال:

لا تدخل على الهادي وهارون البتة، فو الله لئن دخلت عليهما، لأفعلنّ ولأصنعنّ.. فقلت:

نعم ... ثم بلغه أني دخلت وشربت معهما، وكانا يميلان إلى اللهو، فضربني ثلاثمائة سوط[٣]، وقيدني وحبسني، ثم أخرجني واحلفني بالطلاق وكل يمين لا فسحة لي فيه، ألا ادخل على ابنيه موسى الهادي وهارون أبدا ولا أغنيهما، وخلى سبيلي"[٤].

فما هو الشراب؟ وما هو الخمر؟ وما هو النبيذ؟ وما هما الخليطان؟.

الشراب لغة:

اسم لما يشرب من الماء وغيره، وكل شيء لا مضغ فيه فإنه شراب[٥].

---

(١) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٧٨.

(٢) هو: إبراهيم بن ماهان بن بهمن أبو إسحاق ألا رجاني، المعروف بالموصلي، شاعر مغن، نديم للخلفاء!(ت ١٨٨هـ)على ما صححه ابن خلكان، ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٤٢-٤٣ (١٠)، تاريخ الإسلام ١٢/ ٦٠ وما بعدها، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ٣١٨-٣١٩.

(٣) وهل يمكن للإنسان أن يبقى على قيد الحياة، إذا ضرب في يوم واحد هذا العدد الكبير من السياط، وأنا أعتقد، لو أن حمارا، ضرب ثلثمائة سوط في وقت واحد، لو يشك أن يهلك، إن لم يهلك !. لكن بعض الوضاعين والكذابين، والمسيئين، لتاريخنا، ولرجالها، أحيانا لا يحسنون حتى الكذب، أو أنه من سنن الله في الكون والحياة، أنه لا يكذب كذاب أو يحاول أن يكذب، إلا فضحه الله، من خلال زلات لسانه، أو من أقرانه، أو بوسائل وطرق الكشف عن الكذب والكذابين.

(٤) الأغاني ٥/ ١٤٣، ١٤٦. وهذا الخبر باطل، لأنها بدون سند كامل، ومن ذكر في السند فهو من: المغنّين ومن يعترف على نفسه بشرب الخمر ! وفي السند أيضاً: أبو الفرج الأصبهاني !!.

وسبب إيرادنا للخبر هو للاستدلال على ما اشتهر في بعض الكتب، عصر الرشيد وما بعده بمجالس الشراب!!.

(٥) ينظر ابن سيدة: المخصص ١١/ ٩٢-٩٣، ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٢٨٧-٢٨٨ (شرب).

وفي الاصطلاح:

تطلق الأشربة على ما كان مسكرا من الشراب، سواء اتخذ من الثمار، أو من الحبوب، أو من العسل، سواء كان مطبوخا أو نيئا[١].

وهو اسم جامع لجميع أنواع الأشربة المحّرمة، سواء كان معروفاً باسم قديم كالخمر، أو النبيذ أو مستحدث، كالعرق والشمبانيا ...الخ.[٢] لحديث[٣]:

(لَيَشْرَبنَّ أناس من أمتّي الخمرَ، ويسمّونها بغير إسمها).

الخمر لغة:

ما أسكر من عصير العنب، دون ما كان من سائر الأشياء، والأصح أنه عام، لأنها حّرمت وما بالمدينة خمر عنب، وما كان شرابهم إلاّ البسر والتمر، [٤].

وقيل الخمر: ما خامر العقل[٥].

واصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريف الخمر بسبب اختلافهم في اللغة وإطلاق الشرع.

ذهب الجمهور: منهم: أهل المدينة، وأهل الحجاز، وكافة أهل الحديث، والحنابلة، وبعض الشافعية، أن الخمر تطلق: على ما يسكر قليله أو كثيره، سواء أُتُخذ من العنب أو غيره[٦] إستناداً

---

(١) ينظر: ابن القاسم المالكي: المدونة الكبرى ٦/ ٢٦١، الزيلعي: تبيين الحقائق في شرح كنز الدقائق، مطبعة دار المعرفة ٦/ ٤٤، ابن عابدين: الحاشية ٥/ ٢٨٨، الشوكاني: نيل الاوطار ٨/ ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، الشربيني: مغني المحتاج ٤/ ١٨٧.

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية ٥/ ١٢.

(٣) مسند أحمد ٥/ ٣٤٢، ابن حجر: فتح الباري ١٠/ ٥١ وقال صححه ابن حبان.

(٤) ينظر ابن سيدة: المصدر السابق ١١/ ٧٢-٧٣، ابن منظور: المصدر السابق ١/ ٨٩٩ (خمر)، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٣٠، الشوكاني: المصدر السابق ٨/ ١٧٨، ١٧٩.

(٥) أي ستره وخالطه ينظر: ابن سيدة وابن منظور: المصدران السابقان ١١/ ٧٢، ١/ ٨٩٩ (خمر)، الشوكاني: المصدر السابق ٨/ ١٧٦.

(٦) ينظر ابن القاسم المالكي: المصدر السابق ٦/ ٢٦١، ابن قدامى: موفق الدين عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) المغني والشرح الكبير، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م ١٠/ ٣٢٥، ٣٢٧، القرطبي: الجامع لأحكام القران ١٠/ ١٣٢، ابن حجر: فتح الباري ١٠/ ٤٨، الشوكاني: المصدر السابق ٨/ ١٧٨، ١٧٩.

إلى قول النبي ﷺ[١]:

(كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٌ حَرَامٌ).

وذهب أكثر الشافعية، وأبو يوسف ومحمد من الحنفية، وبعض المالكية، أن الخمر هي: المسكر من عصير العنب خاصة إذا أشتد[٢]، وعند أبي حنيفة أن يقذف بالزبد بعد اشتداده[٣].

النبيذ لغة:

من النبذ، وهو: الطرحُ، يقال: نبذت التمر والعنب إذا تركت عليه الماء ليصير نبيذاً، ويقال للخمر المعتصرة من العنب: نبيذ، كما يقال للنبيذ خمر[٤].

وفي الاصطلاح:

هو كل ما ينبذ من التمر أو الزبيب في الدُّبَاء[٥] والمزَّفت[٦]، فإذا لم يسكر فهو حلال. وإذا أسكر فهو حرام[٧].

وقيل **النبيذ**: ما أشتد حتى يسكر كثيره، وما لم يشتد فلا يسمى نبيذاً[٨].

الخليطان لغة:

من خَلَطَ الشيء بالشيء يَخلِطُه خلطاً، مزجه واختلطا[٩].

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٥٨٧ (٢٠٠٣)، شرح صحيح ١٣/ ١٧٢).

(٢) ينظر الطبري: جامع البيان ٢/ ٣٥٧ القرطبي: المصدر السابق ١٠/ ١٣٢، ابن الملَّقن: سراج الدين عمر بن علي الشافعي (ت ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م) تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، دار صادر- بيروت ٧/ ٦٣٦، الموسوعة الفقهية ٥/ ١٣.

(٣) ينظر ابن عابدين: الحاشية ٥/ ٢٨٨، الشربيني: مغني المحتاج ٤/ ١٨٦.

(٤) ينظر ابن منظور: لسان العرب ٣/ ٥٦٦ (نبذ).

(٥) الدُّبَاءُ: القَرعُ. ينظر: مختار الصحاح ص١٩٨ (د ب ي).

(٦) المزّفتْ: المطلية بالزفت. ينظر: المصدر نفسه ص٢٧٢ (ز ف ت).

(٧) ينظر ابن عبد ربه: العقد الفريد ٨/ ٦٥-٦٦، ابن حجر: فتح الباري ١٠/ ٥٨، الشوكاني: نيل الاوطار ٨/ ١٩٠، وينظر كذلك: ابن منظور: المصدر السابق ٣/ ٥٦٦.

(٨) ينظر الطبري: المصدر السابق ٢/ ٣٥٧، ابن عبد ربه: المصدر السابق ٨/ ٦٥-٦٦، ابن عابدين: الحاشية ٥/ ٢٨٨.

(٩) ينظر ابن منظور: المصدر السابق ١/ ٨٧٩ (نبذ).

واصطلاحاً:

هو أن ينبذ في الماء شيئان، كالتمر والزبيب، والرطب والزهو[١]، والبسر[٢] والزبيب ...الخ[٣].

فالشراب أن أطلق يقصد به: المحّرم من الشراب[٤].

وإن قصد به المعنى اللغوي أو شربه أحد السلف، فيراد به الشراب الحلال، كالعصير وغيره.

روي عن كثير من السلف ومنهم سعيد بن المسيب والشعبي[٥] والنخعي[٦]، أنهم قالوا[٧]:

" اشْرَبْ الْعَصِيرَ مَا لَمْ يُزْبِدْ).

وقال ابن عباس[٨]: (اشْرَبِ الْعَصِيرَ مَا دَامَ طَرِيًّا).

حين قدم عمر بن الخطاب إلى الشام؛ " شكا إليه أهل الشام وباء الأرض وثقلها، وقالوا لا يصلحنا إلا هذا الشراب، فقال عمر: اشربوا العسل.

قالوا:

ما يصلحنا العسل.

فقال رجال من أهل الأرض:

هل لك أن نجعل لك من هذا الشراب شيئاً لا يسكر؟.

فقال:

---

(١) الزهو: يقال زهى النخل وأزهى إذا اصفرَّ واحمرَّ. ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣٢٣ (زها)

(٢) البُسْرُ: أوله طلع ثم خلال. ينظر الرازي: المصدر السابق ص٥١ (ب س ر).

(٣) ينظر ابن قدامى: المغني ١٠/ ٣٤١، ابن حجر: فتح الباري ١٠/ ٦٧، الشوكاني: نيل الأوطار ٨/ ١٨٥-١٨٧.

(٤) ينظر ابن القاسم: المدونة الكبرى ٦/ ٢٦١، ابن عابدين: المصدر السابق ٥/ ٢٨٨، الشربيني: المصدر السابق ٤/ ١٨٧.

(٥) هو: عامر بن شراحيل.

(٦) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس.

(٧) النسائي: السنن ٨/ ٣٣١، الشوكاني: المصدر السابق ٨/ ١٩٠.

(٨) صحيح البخاري ١٨/ ٤٥٩ (١٠) النسائي: المصدر السابق ٨/ ٣٣١، البخاري: فتح الباري ١٠/ ٦٢)، وانظر المعنى العام للشراب، السرخسي: المبسوط ٨/ ١٨٦-١٨٧، ٢٣/ ١٦١، ١٩٣-١٩٤.

نعم، فطبخوه حتى ذهب منه ثلثان وبقي الثلث، فأتوا به عمر، فأدخل فيه إصبعه ثم رفع يديه، فتبعها يتمطط، فقال:

هذا الطلاء مثل طلاء الإبل[١]، فأمرهم عمر أن يشربوه"[٢].

والخمر لا يطلق إلا على المنكر[٣]، ولا يمكن اتهام أحد من السلف به إلا برواية الثقات عن شاهدي عدْل[٤]، أو إقرار منه لا بغيرها[٥].

أمّا الخليطان فذهب المالكية إلى تحريمهما، واستدلّوا بحديث[٦]:

(نهى رسول الله أن يُنْبَذَ التَّمْرُ والزَّبيبُ جميعاً، ونهى أنْ يُنبَذَ الرَّطبُ والبُسْرُ جميعاً).

ويكره عند الشافعية والحنابلة[٧].

قال النووي في أحاديث النهي عن الخليطين بعد جمع أحاديث الباب[٨]:

"قال أصحابنا وغيرهم من العلماء، سبب الكراهة فيه، أن الاسكار يسرع إليه بسبب الخلط قبل أن يتغير طعمه، فيظن الشارب أنه ليس مسكراً، ويكون مسكراً، ومذهبنا، ومذهب الجمهور أن هذا النهي لكراهة التنزيه، ولا يحرم ذلك ما لم يصر مسكراً، وبهذا قال جماهير العلماء".

وذهب الإمام أبو حنيفة، وأبو يوسف في رواية عنه، إلى الإباحة[٩]، وهو مذهب الليث بن سعد، وابن[١٠] التين[١].

---

(١) الّطلاءُ: ما طُبخ من عصير العنب حتى ذَهَبَ ثلثاه. ينظر: الرازي: المصدر السابق ص٣٩٧ (ط ل ا).

(٢) مالك: الموطأ ٢/ ٨٤٧، ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٦٣.

(٣) ينظر ابن قدامى: المصدر السابق ١٠/ ٣٣١، الشربيني: المصدر السابق ٤/ ١٩٠.

(٤) ينظر ابن قدامى والشربيني: المصدران نفسيهما ١٠/ ٣٣١، ٤/ ١٩٠.

(٥) ينظر: نفسيهما ١٠/ ٣٣١، ٤/ ١٩٠.

(٦) صحيح مسلم ٣/ ١٥٧٤ (١٩٨٦)، فتح الباري ١٠/ ٦٧ (٥٢٠٢)، : شرح صحيح مسلم ١٣/ ١٥٥)

(٧) ينظر: المصدران نفسيهما ١٣/ ١٥٤، ١٠/ ٦٨، الشوكاني: المصدر السابق ٨/ ١٨٧، الشربيني: المصدر السابق ٤/ ١٨٧.

(٨) شرح صحيح مسلم ١٣/ ١٥٤.

(٩) ينظر: نفسه ١٣/ ١٥٤، ابن حجر: فتح الباري ١٠/ ٦٩.

(١٠) عبد الواحد بن التين؛ أبو محمد الصفاقسي (٦١١هـ) ينظر: الديباج المذهب ص ١٨٨، المناوي: محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م) فيض القدير، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٥٦هـ ١/ ٣٠٤، ٤٩١ و٢/ ٢٥٢، هدية العارفين ١/ ٦٣٠، الزرقاني: شرح الزرقاني ١/ ٦٣.

ذهب ابن حجر أن سبب النهي، إمّا توقع الاسكار بالخلط سريعاً، أو تحقيق الاسكار، أو الإسراف والشره، وذكر عللاً مع أدلتها بالتفصيل[٢].

وزعم ابن حزم إن النهي مخصوص بخمسة أشياء: التمر، والرطب، والزهو، والبسر، والزبيب. سواء خلط أحدهما في الآخر منها، أو في غيرها.

فأما لو خلط واحد من غيرها في واحد من غيرها فلا مانع كالتين والعسل[٣].

والنبيذ يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

١- النبيذ المحّرم:

هو ما غَلَيَ وقذف الزَبد من عصير العنب خاصّة، من غير أن تمسه النار، وقد أجمع العلماء على تحريمه بدون اختلاف[٤].

٢- النبيذ المختلف فيه:

ذهب أهل الكوفة، وزيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه[٥] إلى أن:

شراب نقيع الزبيب إذا طبخ، وشراب نقيع التمر إذا طبخ، وشراب عصير العنب؛ إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ويبقى ثلثه وإن أسكر فهو حلال، ولا حدّ فيه ما لم يشرب من القدر الذي يسكر.

وإن شرب نبيذ تين مسكر، أو نقيع عسل مسكر، أو عصير تفاح مسكر، أو شراب قمح أو شعير، أو ذرة مسكر، فسكر من كل ذلك أو لم يسكر فلا حد فيه[٦] لكنهم مع ذلك قيدوه بشروط:

---

(١) ينظر الشوكاني: المصدر السابق ٨/ ١٨٧.

(٢) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٦٧-٦٩.

(٣) ينظر: المحلى، دار الفكر ٨/ ٣٧٠ (٢٢٨٩).

(٤) ينظر السرخسي: المبسوط ٢٤/ ٢، القرطبي: الجامع لأحكام القران ١٠/ ١٣٢، عالمكير: الفتاوى الهندية ٥/ ٤٠٩، ٤١٠، ابن عبد ربه: العقد الفريد ٨/ ٤٨.

(٥) ينظر ابن عبد ربه: المصدر نفسه ٨/ ٤٨، وينظر كذلك الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٦) ينظر السرخسي: المصدر السابق ٢٤/ ١٧٥ ابن حزم: المحلى ٨/ ٣٧٣، ابن عبد ربه: المصدر السابق ٨/ ٦٥-٦٦، ٧٢-٨٤، عالمكير: المصدر السابق ٥/ ١٢.

١ - أن يكون شربه لغرض صحيح كتقوية الجسم وغيره.
٢ - أن لا يشربه للهو والطرب، فإن شربه من أجل ذلك فكثيره وقليله حرام.
٣- ألا يشرب ما يغلب على ظنه أنه مسكر[١].

واستدل هذا الفريق بأدلة من الكتاب والسنة، وأقوال العلماء من السلف بما ذهبوا إليه وليس هنا مجال لذكرها والخوض فيها[٢].

وذهب الجمهور إلى تحريم كل شراب مسكر؛ قليله وكثيره.

واستدلوا أيضاً بأدلة كثيرة[٣]، وهو مذهب محمد بن الحسن[٤] من الحنفية، وهو المفتى به عندهم[٥].

ومذهب الجمهور هو الأقرب إلى الصحة والصواب، وهو الأحوط والله أعلم.

فقد ورد في الحديث[٦]:

(إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أمور مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشْتَبِهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَلِعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الْمُشْتَبِهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِيْ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيْهِ أَلَا إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ).

٣- النبيذ المشروع (وهو الحلال).

وهو جميع أنواع العصير سواء المنقوعة، أو المطبوخة، أو دبس التمر، أو العنب، أو الرمان، أو غيرها من الفواكه، والثمار[٧].

---

(١) ينظر ابن عابدين: الحاشية ٥/ ٢٩١، ٢٩٢، الموسوعة الفقهيه٥/ ١٨.

(٢) ينظر ابن عبد ربه: المصدر السابق ٨/ ٧٢-٨٤، السرخسي: المصدر السابق ٢٤/ ٣-٥، ابن عابدين: المصدر السابق ٥/ ٢٩١-٢٩٢،.

(٣) ينظر: الموسوعة الفقهية ٥/ ١٥-١٦.

(٤) الإمام الفقيه صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٩هـ) انظر ابن قتيبة: المعارف ص ٢١٩، الشيرازي: طبقات الفقهاء ص ١٣٥.

(٥) ينظر السرخسي: المصدر السابق ٢٤/ ١٢، عالمكير: المصدر السابق ٥/ ٤١٢.

(٦) صحيح مسلم ٣/ ١٢١٩ (١٥٩٩)، فتح الباري ١/ ١٢٦(٥٢).

(٧) وهذا النوع من الشراب، أو العصير، أو الدبس: مشهور ومعروف لدى جميع الشعوب الإسلامية، ويستخدم عندهم، بصورة طبيعية، وليس فيه أي سكر، حاله: العصير، والدبس، ويسمى بلغة الفرس،

واشترطوا للمنقوعة أن لا يمضي عليها أكثر من ثلاثة أيام لحديث ابن عباس[١]: (قَالَ كَانَ رَسُولُ الله - صلى الله عليه وسلم- يُنْقَعُ لَهُ الزَّبِيبُ فَيَشْرَبُهُ الْيَوْمَ وَالْغَدَ وَبَعْدَ الْغَدِ إلى مَسَاءِ الثَّالِثَةِ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيُسْقَى أو يُهَرَاقُ).

قال النووي[٢]:

"في هذه الأحاديث دلالة على جواز الانتباذ، وجواز شرب النبيذ مادام حلوا لم يتغير ولم يغل، وهذا جائز بإجماع الأمة، وأما سقيه الخادم بعد الثلاث، وصبه، فلأنه لا يؤمن بعد الثلاث تغيره وكان النبي ﷺ يتنزه عنه بعد الثلاث ".

والمطبوخة:

اشترطوا أن يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه، وكان ابن عمر يقول في العصير: اشربه ما لم يأخذه شيطانه، وقيل: وفي كم يأخذه شيطانه ؟ قال في ثلاث[٣].

والكورد، وبعض اللغات الشرقية الأخرى؛ ب: دو شابي (دوشاو).

والمفسدون والملوثون لتاريخنا، ذكروها في رواياتهم، وفي كتبهم، لكنهم عرضوها، بصورة مشوهة، ومخادعة، للمس والنيل من رجال هذه الأمة.

يروي الأصبهاني عن طريق: زياد بن أبي الخطاب؛ كاتب مسرور؛ خادم الرشيد، قال:

سمعت محبوب بن الهفتي يحدث أبي، قال: دعاني محمد بن سليمان بن علي فقال لي:

قد قدم فليح من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رغبان فصر إليه فأعلمه أنه إن جاءني قبل أن يدخل إلى الرشيد خلعت عليه خلعة سرية من ثيابي ووهبت له خمسة آلاف درهم!.

فمضيت إليه فخبرته بذلك فأجابني إليه إجابة مسرور به نشيط له.

وخرج معي فعدل إلى حمام كان بقربه فدعا القيم فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيء يأكله ونبيذ يشربه فجاءه برأس كأنه رأس عجل ونبيذ دوشابي غليظ مسحوري رديء.

فقلت له:

لا تفعل وجهدت به ألا يأكل ولا يشرب إلا عند محمد بن سليمان فلم يلتفت إلي وأكل ذلك الرأس وشرب من ذلك النبيذ الغليظ حتى طابت نفسه. الأغاني: ٤/ ٣٥٥.

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٥٨٩ (٢٠٠٤) شرح صحيح مسلم ١٣/ ١٧٤-١٧٥.

(٢) نفسه ١٣/ ١٧٣-١٧٤.

(٣) ينظر ابن حجر: المصدر السابق ١٠/ ٦٣، الشوكاني: نيل الاوطار ٨/ ١٨٩.

وجاء كتاب أمير المؤمنين عمر؛ إلى، عمار بن ياسر، يأمره أن يتخذ الشراب المثلث، لاستمراء الطعام وكان عمار يقول: لا أدع شربها بعدما رأيت عمر ﷺ يشربها ويسقيها الناس[(١)].

ومن الصحابة والتابعين وأتباعهم طائفة يرى شرب الطلاء على النصف، أي إذا طبخ وصار على النصف[(٢)].

واشترطوا أن لا يبلغ حد السكر وإلا حرم[(٣)].

ويبدو أن هذا الأمر يختلف باختلاف أنواع العنب فقد نقل الشوكاني عن ابن حزم: "أنه شاهد من العصير ما إذا طبخ إلى الثلث ينعقد ولا يصير مسكراً أصلاً.

ومنه ما إذا طبخ إلى النصف كذلك.

ومنه ما إذا طبخ إلى الربع كذلك بل قال أنه شاهد منه ما لو طبخ حتى لا يبقى غير ربعه لا ينفك عنه السكر"[(٤)].

وعلى هذا يجب حمل شرب نبيذ الصحابة والتابعين وأتباعهم من الفقهاء، والعلماء والخلفاء، على مذهب أهل الكوفة وهو مذهب زيد بن علي كما سبق[(٥)].

أما النبيذ المحرم فلا يستطيع أحد أن يقدم دليلاً شرعياً أن أحد منهم كان يشربه فضلاً عن المجاهرة به أمام الناس.

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ [النور: ١٢-١٣].

---

(١) ينظر السرخسي: المصدر السابق ٢٤/ ٥.

(٢) ينظر ابن حجر والشوكاني: المصدران السابقان ١٠/ ٦٢، ٨/ ١٩٠.

(٣) ينظر: نفسيهما ١٠/ ٦٢، ٨/ ١٩٠.

(٤) نفسه ٨/ ١٩٠.

(٥) ينظر ابن خلدون: التاريخ ١/ ١٤-١٥، الشوكاني: المصدر السابق ٨/ ١٩٠.

إيقاع الرشيد بالبرامكة[١].

يعود أصل هذه العائلة إلى، البَلْخ[٢]، من أصل مجوسّي، وكان جّدهم الأعلى بَرمْك[٣] يخدم النوبهار، وهو معبد كان للمجوس، توقد فيه النار، واشتهر هو وبنوه بسدانته[٤].

وقع آل برمك وأهل بلخ سنة(٨٦هـ) سبايا بأيدي المسلمين بقيادة القائد قتيبة بن مسلم الباهلي[٥]، ثم صالحوا المسلمين وردّت سباياهم[٦].

تتحدث بعض الأخبار أن خالد بن برمك لم تزل نفسه تحدثه بأمجاد فارس، فحينما أراد المنصور بناء بغداد، أشار المنصور عليه في نقض بناء مدينة إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينة السلام، فقال له[٧]:

"لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين !.

قال: ولِمَ؟.

قال:

لأنه علمٌ من أعلام الإسلام يستدَّل به الناظر إليه على أنه لم يكن لِيُزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا؛ وإنما هو على أمر دين؛ ومع هذا يا أمير المؤمنين؛ فإن فيه مصلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه!.

---

(١) أول من أطلق كلمة النكبة على البرامكة هو المسعودي، ثم تابعه في ذلك المتأخرون! ينظر: التنبيه والأشراف ص٢٩٩، مروج الذهب ٣/ ٣٤٧.
ملاحظة: جميع الروايات الواردة حول البرامكة في المصادر الأساسية - فيما اطلعت عليها - أسانيدها ضعيفة.
وقد أفردنا للبرامكة كتاباً خاصّا، كما أفردنا لقصّة وأسطورة العبّاسة بنت المهدي (أخت الرشيد) كتاباً آخر وذكرنا في الكتابين ما هو صحيح أو راجح حول الموضوعين، فليراجع هناك !.

(٢) مدينة معروفة بخراسان ينظر: معجم البلدان ١/ ٤٧٩ (بَلْخُ).

(٣) هو: بَرمْك بن جاماس بن يشتاسف ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ١/ ٣٢٨.

(٤) ينظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٦/ ٤٢٥، ابن خلكان: المصدر السابق ٦/ ٢١٩.

(٥) أحد القواد الشجعان المجاهدين تولى عدة ولايات في عهد بني أمية حرر خوارزم وبخارى وسمرقند من الكفر (ت٩٦هـ) ينظر: ابن خلكان: المصدر السابق ٤/ ٨٦-٩١ (٥٤٢) الذهبي: العبر ١/ ٨٦.

(٦) ينظر الطبري: المصدر السابق ٦/ ٤٢٥.

(٧) نفسه ٧/ ٦٥٠-٦٥١، وذكر الذهبي أنه اتهم بالمجوسية ينظر: الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٨٩

قال:

هيهات يا خالد! أبيتَ إلاّ الميل إلى أصحابك العجم!...الخ".

استطاعت هذه العائلة أن تتغلغل في أهم وأعلى مؤسسات الدولة العباسية، فقد شغل منذ عهد مبكر خالد بن برمك، منصب ديوان الخراج في عهد أبي العباس سنة (١٣٣هـ)(١) واستمر يتقلد مناصب متعددة إلى وفاته سنة (١٦٥هـ) في عهد المهدي(٢).

وعقد ليحيى بن خالد في حياة أبيه توليه الموصل سنة (١٥٨هـ)(٣).

وفي عهد المهدي زادت العلاقة بين عائلته آل برمك، وبين عائلة الخليفة؛ المهدي، حتى أرضعت زوجة يحيى: هارون الرشيد، وأصبح ابنا لهم من الرضاعة(٤).

ووصلت العلاقة بين العائلتين إلى درجة قوّية وصل الأمر بالمهدي أن يوكلّ جميع شؤون الرشيد إلى يحيى(٥) حين أفضت الخلافة إلى الرشيد استوزر البرامكة، وأطلق أيديهم في شؤون الخلافة كلها(٦).

وكان سبب ذلك أن الرشيد لم يبلغ بعد مبلغ الرجال. حيث لم يكن عمره، يتجاوز إحدى وعشرين سنة(٧).

وليحيى بعض الفضل عليه، قبل أن يتولى الخلافة، لذا خاطبه بعد أن تولى الخلافة بكل رفق، بصية الأبوة والدلال، فقال مخاطبا إياه(٨):

"يا أبت، أنت أجلستني في هذا المجلس ببركتك، ويُمْنك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك الأمر، ودفع خاتمه إليه".

---

(١) ينظر الطبري: المصدر السابق ٧/ ٤٦٠، ٤٦٥.

(٢) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ١٨٩.

(٣) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٥٤-٥٥.

(٤) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٣٠، المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٣٢١.

(٥) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ١٤٦، الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/ ١٢٨-١٢٩.

(٦) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٣٠، المسعودي: المصدر السابق ٣/ ٣٢١، ٣٤٧-٣٤٨.

(٧) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٣٠.

(٨) المسعودي: المصدر السابق ٣/ ٣٢١.

واستغلت البرامكة كل ذلك الضعف، وأطلقوا أيديهم في جميع شؤون الدولة، كبيرها وصغيرها، وأصبح الرشيد مغلوباً على أمره لا يحلّ في دولته ولا يربط - كما يقال - .

" حتى ما كان له معهم أمر ولا نهي، فأقاموا على تلك الحال وأمور المملكة إليهم سبع عشرة سنة"[١].

كان الناس ينظرون إلى الرشيد بأنه صنيع البرامكة، وأنه لولاهم لما كان له نصيب من الملك يقول الشاعر[٢]:

لِيهن الرشيــد خلافاتِهِ ... وأمر الذي قد وهى عقده
أضاف إلى بيعـــة بيعة ... فقام بها جعفــر وَحْــدَهُ
بنو بَرْمَكٍ أسّسوا ملكه ... وشدّوا لوارثــه عَهْـــدَه.

ويقول شاعر آخر[٣]:

قُــلْ لأمينِ الله فِي أَرْضِــهِ ... ومَنْ إِلَيْـهِ الحَلُّ والعَقْــدُ
هذا ابن يَحْيَى قد غَدَا مَالِكًا ... مِثْلَكَ مــل بَيْـنكُما حَــدٌّ
أَمْرُك مـــرْدُودٌ إلى أَمْـرِهِ ... وأَمْـرُهُ لَيْــسَ لــــه رَدٌّ
وقَدْ بَنى الدَّارَ التي مـا بَنَى ... مِثَالَهَا الفُــرْسُ ولا الهِنْـدُ
أَلدُّرُّ واليَاقُوتُ حَصْبَاؤها ... وتُرْبُهَــا العَنْبَرُ والنــــدُّ
ونَحْنُ نخشَى أنــه وَارِثٌ ... مُلْكَـكَ إِنْ غَيَّبَكَ اللَّحْـدُ
ولَنْ يُبَاهِي العَبْــدُ أربابَـهُ ... إلاَّ إذا مـــا بَطِـــرَ العَبْدُ

كان يحيى يدخل على الرشيد في أي وقت شاء، وعلى أي وضع كان يدخل عليه وهو في فراشه، فدخل يحيى على الرشيد يوماً، وجبريل[٤]، جالسٌ معه، فقال الرشيد[١]:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٣٢.

(٢) ينظر المسعودي: المصدر السابق ٣/ ٣٤٩-٣٥٠.

(٣) ينظر: وفيات الأعيان ١/ ٣٣٥، تاريخ الإسلام ١٢/ ٣١، اليافعي: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت ٧٦٨هـ) مرآة الجنان وعبرة اليقظان، الناشر دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، سنة النشر ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ١/ ٤١١.

(٤) هو: جبريل بن بختيشوع، طبيب الرشيد الخاص (ت ٢١٣هـ) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٨٧، ٣٣٩، ٣٤٢-٣٤٤، ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، طبعة مصر ١٢٩٩ -١٣٠٠هـ ١/ ١٢٧-١٣٨.

"يا جبريل، يدخل عليك وأنت في منزلك أحد بِلا إذن ؟.

فقلت:

لا، ولا يطمع في ذلك.

قال:

فما بالنا يدخل علينا بلا إذن ؟!.

فقام يحيى فقال:

يا أمير المؤمنين، قدمنّي الله قبلك؛ والله ما ابتدأت ذلك الساعة، وما هو إلاّ شيء كان خصّني به أمير المؤمنين، ورفع به ذكري؛ حتى أن كنتُ لأدخل عليه وهو في فراشه مجرّداً حيناً، وحيناً في بعض إزاره؛ وما علمت أن أمير المؤمنين كره ما كان يحب، وإذ قد علمتُ فإني أكون عنده في الطبقة الثانية من أهل الأذن، أو الثالثة إن أمرني سيدي بذلك".

وأطلق البرامكة أيديهم في أموال الدولة لحسابهم الخاصّ وبناء القصور، حتّى إن جعفر بنى داراً لم يستخدم فيها لبنة واحدة، مما يدل على البذخ في الصرف على بنائها، ومعنى ذلك أنه كان يجلب جميع مواد البناء من الولايات الإسلامية البعيدة، أو من البلدان الأجنبية[٢]، قال جعفر يوماً لإبراهيم المهدي[٣]:

"أما تعجب من منصور بن زياد[٤] ؟

قال:

قلت فبماذا ؟

قال:

سألته: هل ترى في داري عيباً؟.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٨/ ٢٨٧.

(٢) ينظر يوسف العش: تاريخ الخلافة العباسية ص٦٧.

(٣) هو: إبراهيم بن المهدي بن المنصور أخو الرشيد، بويع له بالخلافة ببغداد، والمأمون يومئذ بخراسان كان شاعراً غزير الأدب (ت ٢٢٤هـ) ينظر: الصولي: أشعار أولاد الخلفاء ص١٧-٤٩، ابن خلكان: المصدر السابق ١/ ٣٩-٤٢ (٩).

(٤) كاتب الرشيد وبوابه، لم أقف على ترجمته، له ذكر في الطبري ينظر: ٨/ ٢٤٢، ٢٥٦، ٢٩١.

قال:

نعم؛ ليس فيها لَبِنة ولا صَنَوْبَرَةٌ ![١].

قال إبراهيم:

فقلتُ: الذي يعيبها عندي أنك انفقت عليها نحواً من عشرين ألف ألف درهم، وهو شيء لا آمنه عليك غداً بين يدي أمير المؤمنين!.

قال:

هو يعلم أنه قد وصلني بأكثر من ذلك وضعف ذلك، سوى ما عرضَنّي[٢].

قال:

قلت: إن العدو إنما يأتيه في هذا من جهة أن يقول: يا أمير المؤمنين، إذا أنفق على دار عشرين ألف ألف درهم، فأين نفقاته! وأين صلاته! وأين النوائب التي تنوب ؟.

وما ظنّك يا أمير المؤمنين بما وراء ذلك! وهذه جملة سريعة إلى القلب، والموقف الحاصل منها صعب"[٣].

وكان الرشيد هو وأولاده وأقاربه لا يملكون إلاّ القليل من الكثير من المال الذي يعود للبرامكة، بل كان الرشيد يتحسّر على بعض المال فلا يستطيع الحصول عليه.

"فأحتازوا الأموال دونه حتى كان يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه"[٤].

أما صرفهم على ملذاتهم، من الطعام والشراب، والجواري، وأعطياتهم للناس، واستغلالها من أجل كسبهم وولائهم لهم، فشيء لم يسبق إليه تاريخ الإسلام.

تروي أم جعفر - بعد إيقاع الرشيد بالبرامكة - :

---

(١) هي شجرة لا ثمار لها. ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٢/ ٤٨٠ (صنبر) وهل المقصود هنا هو الشجرة هذه؟ أشكّ في الموضوع !!.

(٢) في بعض نسخ الطبري: عوّضني ينظر: المصدر السابق ٨/ ٢٩١ هامش رقم (٢).

(٣) نفسه ٨/ ٢٩١.

(٤) مروج الذهب ٣/ ٣٤٧-٣٤٨، وينظر كذلك الاتليدي: محمد أو محمود دياب (ت ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٨م) أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، الطبعة الأولى، دار صادر - بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

أنها مرّ عليها عيد من الأعياد، وكان على رأسها أربعمائة وصيفة في بيتها تخدمها[١].

وكُتُبُ التاريخ مليئة من تلك الأخبار، حتى تصل بعضها إلى درجة القصص الخيالية[٢].

وكان للبرامكة سياسة خاصّة مع آل علي ﷺ، كلها رفق وشفقة ولين، وقد كان لهم الدور الأساسي لإرجاع آل علي إلى المدينة المنّورة وتدبيرهم[٣].

وتمرد يحيى بن عبد الله بن حسن[٤] على الرشيد سنة (١٧٦هـ) واشتدت شوكته وقوي أمره ببلاد الدَّيْلم.

فتوجه إليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل، ونجح الفضل بسياسة ودهاء أن يلين جانب صاحب الديلم بمبلغ من المال كبير، ويجبر يحيى على الصلح[٥].

وجاء به إلى بغداد، فلقيه الرشيد بكل ما أحب، وكان يتولى أمره بنفسه، ولا يكل ذلك إلى غيره[٦]، وكان ذلك دليلاً على عدم اطمئنان الرشيد منه، ومن البرامكة في نفس الوقت لتواطئهم مع العلويين.

أراد الرشيد أن يختبر ذلك، فوضع الرشيد، يحيى بن عبد الله تحت مراقبة جعفر بعد أن كان تحت مراقبته، وقد ولّى الرشيدُ مراقبةَ الوضع، الفضلَ بن الربيع، وكان الأمر كما توقع الرشيد، حيث تواطأ جعفر مع يحيى وأخرجه من بغداد، وأدّاه إلى مأمنه[٧].

وأبلغَ الفضلُ بن الربيعِ، الرشيدَ بما حصل، وجاءه جعفر فسأله:

"ما فعل يحيى بن عبد الله؟

---

(١) ينظر المسعودي: المصدر السابق ٣/ ٣٦٠، الخطيب: تاريخ بغداد ٧/ ١٥٦-١٥٧ باختلاف يسير، واسم أم جعفر عبادة ينظر: نفسيهما ٣/ ٣٦٠، ٧/ ١٥٦، لكن الطبري سماها زينب بنت منير ينظر: ٨/ ٢٣٠.

(٢) ينظر: نفسه ٨/ ٢٩١، المسعودي والخطيب: المصدران السابقان ٣/ ٣٤٧-٣٤٨، ٧/ ١٥٣-١٥٥، ١٥٧، ١٤/ ١٢٩-١٣١، ابن خلكان: المصدر السابق ٦/ ٢٢٣- ٢٢٧.

(٣) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٣٥ (أحداث سنة ١٧١هـ).

(٤) بن الحسن بن علي بن أبي طالب توفي بحدود سنة (١٨٠هـ) ينظر: الأصبهاني: مقاتل الطالبيين ص٤٦٣-٤٩١، الخطيب: المصدر السابق ١٤/ ١١٠-١١٢ (٧٤٥٠).

(٥) ينظر: تاريخ اليعقوبي ٣/ ١١٦-١١٧، الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٦) ينظر: نفسه ٨/ ٢٤٣.

(٧) ينظر: ٨/ ٢٨٩، الاتليدي: أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ص ٤٥ - ٤٦.

قال:

بحاله يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والاكبال.

قال:

بحياتي! فأحجم جعفر- وكان من أدق الخلق ذهناً، وأصحهّم فكراً- وهجس في نفسه أنه قد علم بشيء من أمره !.

فقال:

لا وحياتك يا سيدي، ولكن أطلقته وعلمت أنه لا حياة به ولا مكروه عنده.

قال:

نعم ما فعلت؛ ما عدوتَ ما كان في نفسي !.

فلما خرج أتبعه بصره حتى كاد أن يتوارى عن وجهه، ثم قال:

قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك!"[١].

وكانت سياسة آل برمك الاعتماد على العنصر الفارسي من بني جلدتهم في جميع المجالات فقد كان كاتب المهدي: محمد بن عبيد الله، فارسياً، زنديقاً، فعرف به المهدي وأقرّ بذلك فقتله[٢].

وكان سهل بن هارون[٣] فارسياً زنديقاً أيضاً كان كاتب البرامكة، ثم ادخلوه في خدمة الرشيد في بيت الحكمة، وكان ينتقد العرب المسلمين وهو في خدمة الرشيد[٤].

وحينما وليّ الفضل بن يحيى على خراسان سنة (١٨٧هـ) " اتخذ بخراسان جنداً من العجم سمّاهم العباسّية، وأن عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل، وأنه قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل"[٥].

وتستر عدد كبير من الزنادقة تحت أجنحة البرامكة، وكان منهم موظفون كبار في الدولة،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٨/ ٢٨٩، وينظر كذلك ابن خلكان: المصدر السابق ١/ ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٨/ ١٣٩، ابن النديم: الفهرست ص٤٧٣.

(٣) ينظر شيئ عنه ابن خلكان: المصدر السابق ٢/ ٢٦٩،

(٤) ينظر العش: يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر - دمشق ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م (إعادة الطبعة الأولى ١٩٨٢م) ص٦٧.

(٥) الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٥٧.

فستروا أمرهم، وأمدوهم بكل ما يستطيعون من قوة[١]، بل يرى ابن النديم:

أن البرامكة بأسرها زنادقة تستروا بالإسلام، إلا نفر واحد منهم[٢].

وقد كانت عيون العلماء والزهّاد تراقب أعداء الإسلام من الزنادقة.

واتهم بعضهم يحيى البرمكي بالزندقة وبعث إلى أمير المؤمنين رسالة جاء فيها:

"إن يحيى بن خالد، لا يغني عنك من الله شيئاً، وقد جعلته فيما بينك وبين الله؛ فكيف أنت إذا وقفت بين يديه، فسألك عما عملت في عباده وبلاده، فقلت: يا رب إني استكفيت يحيى أمور عبادك! أتراك تحتج بحجة يرضى بها!"[٣].

وهذا بيان من هذا العالم من خطورة أمر يحيى وأولاده، لكنه لم يستطع أن يصرّح بأكثر من ذلك خوفاً منه على نفسه!.

لكن يحيى، بحث عنه، وعرفه، واتهمه أمام الرشيد بأنه متهم على الإسلام! فأدخل السجن.

ثم أمر الرشيد بإخراجه بعد الإيقاع بالبرامكة.

وهنا صرّح الرجل بما كان يعرفه عن البرامكة من فساد في العقيدة فقال – بعد أن أراد الرشيد أن يرضيه بسبب سجنه –[٤]:

"سوى قول حاسدٍ يكيدُ الإسلام وأهله، ويحب الإلحاد وأهله، فكيف أحبُّك ؟ !".

وتطاولت البرامكة على الرشيد في كل شيء، فكان جعفر يولي من يشاء باسمه، ويعزل من يشاء، حتى تدخل في شؤونه الخاصة العائلية.

ففي إحدى أمسياته مع الندماء زوج بنت الرشيد عالية[٥]،لإبراهيم[٦] بن عبد الملك بن

---

(١) ينظر حسن عطوان: الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول ص٢١.

(٢) ينظر ابن النديم: الفهرست ص٤٧٣، وقد استثنى من آل برمك –من الزندقة-: محمد بن خالد بن برمك وقيل أيضاً: الفضل، والحسن ابنا يحيى، ويوضح الطبري ذلك أكثر حيث يذكر إن الرشيد لما قضى على البرامكة نادى بالأمان لمحمد بن خالد ... وعرف براءته مما دخل فيه غيره من البرامكة ينظر: ٨/ ٢٩٦.

(٣) الطبري: المصدر نفسه ٨/ ٢٨٨، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠/ ١٨٩.

(٤) الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٨٨.

(٥) لم أقف على شيء كثير من أخبارها،ذكرها ابن خلكان ينظر:وفيات الأعيان ١/ ٣٣١، ٣٤٣.

(٦) لم أقف على ترجمته ولا على ذكره سوى ما ذكره ابن خلكان ينظر:نفسه ١/ ٣٣١، ٣٤٣.

صالح[١]، وولاه في نفس المجلس ولاية مصر.

ويتعجب أخو أمير المؤمنين الرشيد؛ إبراهيم بن المهدي، من جرأة جعفر وإقدامه على الرشيد بما اقدم، وامضاء الرشيد ما حكم به جعفر عليه![٢].

وهكذا أحدقت المخاطر بالأمة وبالخليفة الشاب.

فهو يفكر أن البرامكة جلبوا عشرين ألف مقاتل من الفرس إلى بغداد، وبمثليها- أن تركنا مبالغة الرواة - في خرا سان وهذا الجيش يكفل للبرامكة الإطاحة بالخليفة في أي وقت شاؤا، أو استخدام هذا الجيش، لإذلال الرشيد وجعله آلة مطوعة بأيديهم طالما كان لهم وجود في سدة الحكم !.

كما فكر الخليفة في فرض البرامكة سيطرتهم على المال، والسياسة، والإدارة، والحكم.

ونبز الناس البرامكة بالإلحاد والزندقة، أو في أقل الأحوال رعايتهم للزنادقة وعنايتهم بهم ...الخ[٣].

بعد أن قضى الرشيد على أكبر خصومه بحدود سنة (١٨٠هـ) وهو يحيى العلوي، وكان قد أغتم من قبل لذلك[٤].

كما قد قضى قبل ذلك على الفتنة التي وقعت بين اليمانية والنزارية سنة (١٧٦هـ)[٥] وفي سنة (١٨٠هـ)[٦].

دخل الرشيد العقد الثالث من العمر، وبلغ أشدّهُ وكماله العقلي سنة (١٨٤هـ)[٧]، ومنذ يومئذٍ خطط وفكّر للقضاء على البرامكة والخلاص منهم، حيث يخاطب - بعد السّريّة التامّة وَأَخْذِ

---

(١) هو:عبد الملك بن صالح بن علي عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن، وكان قائدا شجاعا،ذا فصاحة، تقلد عدة مناصب أيام الرشيد (ت ١٩٩هـ) بالرقة ينظر المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٣٢٧، الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ١٣٦-١٣٧، ابن خلكان المصدر السابق ٦/ ٣٠، الذهبي: العبر ١/ ٢١٥.

(٢) ينظر ابن خلكان: المصدر السابق ١/ ٣٣٠-٣٣١.

(٣) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٨٨، ٢٨٩، يوسف العش: الخلافة العباسية ص٦٩.

(٤) ينظر اليعقوبي: المصدر السابق ٣/ ١١٦، الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٤٢.

(٥) ينظر: نفسه ٨/ ٢٥١.

(٦) ينظر: نفسه ٨/ ٢٦٢.

(٧) حيث ولد في بعض الروايات سنة (١٤٥ وقيل ١٤٩هـ) ينظر: الطبري: نفسه ٨/ ٢٣٠.

كل الاحتياطات- أحد أقرب المقربين إليه ويبوح إليه بسره ومخططه للقضاء على البرامكة[١].

"إني أريد أن أفشي إليك سرّاً والله لئن سمعته من أحد من الناس لأضربن عنقك؛ فتراجعتُ نفسي وقلتُ:

إن كنت يا أمير المؤمنين قلته لأحد أو تقوله فلا حاجة بي إليه.

فقال:

ما قلته لأحد، ولا أقوله! إني أريد أن أوقع بآل برمك إيقاعاً ما أوقعته بأحد، وأجعلهم أحدوثة ونكالاً إلى آخر الأبد.

فقلت:

وفقك الله يا أمير المؤمنين وأرشد أمرك.

ثم قام فعاد، وأخذتُ الكرسيَّ فرددتُهُ، وقلتُ:

إنما أراد أن يعرف ما عندي فيهم فبعث بي إليهم، وكان يفعل ذلك كثيراً!.

ثم حال الحول، وحال حول ثان، ثم حال ثالث، فلما كان رأس الحول الرابع قتلهم"[٢].

وكان الرشيد قد عقد لأبنه محمد، وسماه الأمين سنة (١٧٥هـ[٣] وقيل ١٧٣هـ)[٤] بعد أن شعر أن جماعة من بني العباس، قدمدّوا أعناقهم إلى الخلافة بعده[٥].

وكان سبب هذا الترشيح من قبل بعض العباسيين، وهم إن صح التعبير الحزب العباسي المؤيد للأمين لكونه عباسياً من أب وأمّ[٦].

وتعرض الرشيد - كما يبدو- لضغط كبير من قبل البرامكة قبل عقد العهد لمحمد الأمين لكي يجعلوا وليّ عهده: المأمون، بدل الأمين[٧].

---

(١) ينظر اليعقوبي: المصدر السابق ٣/ ١٢٧.

(٢) نفسه ٣/ ١٢٧، ينظر كذلك الاتليدي: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بين العباس ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

(٣) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٤٠.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٨/ ٢٧٥.

(٥) ينظر: نفسه ٨/ ٢٤٠.

(٦) ينظر:نفسه ٨/ ٢٤٠، ٣٠٥، المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٣٣٤.

(٧) ينظر المسعودي: المصدر السابق ٣/ ٣٣٤، ٣٣٥.

وأشار عليه بعض العقلاء[١] - طلب استشارة الرشيد له، لكي ينقذه من حيرته[٢]- أن يجعل البيعة للأمين، ثم للمأمون [٣].

وأعلنت بيعة المأمون سنة (١٨٣هـ) بالشام وولآه بلاد المشرق[٤].

وشعر الرشيد بأن فتنة حسّاد النعم، تزداد يوماً بعد يوم، وأن أمر الأمة سيؤول إلى الفساد، وأن أعداءه متربصون به، وبإشعال نار العداوة بين أبنيه، ومن هؤلاء:

ابن عمّه عبد الملك بن صالح، فرأى أن يحبسه ويعزله عن أولاده، وحينما سئل عن حبسه له قال[٥]:

"ويحك! بلغني عنه ما أوحشني، ولم آمنه أن يضرب بين إبنيَّ هذين - يعني الأمين والمأمون- ".

وكان شعوره صادقاً، فلما مات الرشيد، أطلقه الأمين، وعقد له على الشام، وجعل له عهد الله وميثاقه "لئن قُتِل وهو حيّ لا يعطي المأمون طاعة أبداً"[٦].

بعد أن قضى على أحد أسباب الفتنة ومثيري العداوة بين الأمين والمأمون، توجه الرشيد بكل ثقله لبيان فضائح البرامكة، بكل حزم وعقل وبكل حكمة حيث أرسل نسخة[٧] من كتابه إلى جميع عماله، وبين فيها أن هناك فئة من الناس، تريد الكيد والشر بالإسلام، وبالأمة وبأبنيه الأمين والمأمون - ولم يسَمهم- لكي يوضح لعماله بأن أمراً سيقع عمّا قريب، ولكي لا يحس البرامكة أنهم هم المقصودون بهذا الأمر.

وكان هذا التدخل من قبل البرامكة - في قضية تنصيب ولي العهد - قاصمة لظهورهم، بعد إضافة الأسباب السابقة الأخرى.

---

(١) وهو: الاصمعي، عبدالملك بن قريب. ينظر: نفسه ٣/ ٣٣٤.

(٢) ينظر: نفسه ٣/ ٣٣٤.

(٣) ينظر: نفسه ٣/ ٣٣٤.

(٤) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٧٥.

(٥) الطبري: نفسه ٨/ ٣٠٥.

(٦) نفسه ٨/ ٣٠٥.

(٧) ينظر ملحق رقم (٤) نص كتاب الرشيد إلى عماله.

ومما أوضحه الرشيد لعماله أنه:

"يُعمل فكره ورأيه ونظره ورويتّه، فيما فيه الصلاح لهما، ولجميع الرعيّة والجمع للكلمة، واللّم لِلشَّعث، والرفع للشتات والفرقة، والحَسمْ لكيد أعداء النِعَم؛ من أهل الكفر والنفاق والغلّ والشقاق، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما. ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك، ويسأله العزيمة له على ما فيه الخير لهما ولجميع الأمة"[١].

ولما قدم الرشيد مكّة هذه السنة (١٨٦هـ) وكان معه؛ محمد الأمين، وعبد الله المأمون، أراد أن يقطع دابر الفتن، ويجعل ابنيه على المحجَّة البيضاء أمام شهود المسلمين أيام الحج في الكعبة المشرَّفة "وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة، ومسرّ لها، وكل منافق ومارق، وأهل الأهواء الضّالة المضلّة مَنْ تكيّدَ بِكَيْدْ توقعه بينهما"[٢].

فأمر الرشيد ابنيه بكتابة العهد في بطن بيت الله الحرام، بخطوط ايديهما، فكتب كل منهما ماَلَه وما عليه[٣]:

"بمحضر ممَّن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين، وقّواده، وصحابته وقضاته، وحَجَبَة الكعبة وشهاداتهم، عليهما كتابين إستودعهما أمير المؤمنين الحَجَبة، وأمر بتعليقهما في داخل الكعبة"[٤].

ولشدة خطورة الموقف وما كان يشعر به الرشيد من كيد أعداء النعم - كما سماهم- لم يطمئن بذلك بل أمر "أن يُعْلِموُا جميع من حضر الموسم من الحّاج والعمّار، ووفود الأمصار، ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويَعوه، ويعرفوه ويحفظوه، ويؤدوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم، ففعلوا ذلك، وقُرِئ عليهم الشرطان جميعاً في المسجد الحرام، فانصرفوا. وقد اشتهر ذلك عندهم، وأثبتوا الشهادة عليه"[٥].

ولم تخلص كتابة العهد والبيعة من منغصات البرامكة، وتدخلهم في شؤون الخليفة، حتى

---

(١) الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٨٤.

(٢) نفسه ٨/ ٢٨٤-٢٨٥.

(٣) ينظر نص نسختي العهد، الملحق رقم (٥).

(٤) الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٨٥.

(٥) نفسه ٨/ ٢٨٥.

داخل الكعبة المشرفة، حيث ممثل الحزب البرمكي - المتمثل بجعفر- يخّوف الأمين ويحلّفه بأن لا يغدر بأخيه المأمون!.

"إن الأمين لَّما حلف للرشيد بما حلف له به، وأراد الخروج من الكعبة ردَّ جعفر بن يحيى، وقال له:

فإن غدرتَ بأخيك خذلك الله، حتى فعل ذلك ثلاثاً في كلها يحلف له!.

وبهذا السبب اضطغنت أم جعفر على جعفر بن يحيى؛ فكانت أحد من حرَّض الرشيد على أمره، وبعثته على ما نزل به"[١].

وهنا تيقن الرشيد أنه لا خلاص للأمة، ولا صلاح لأولاده مع وجود البرامكة، وقد بلغ السيل الزبى، وحان الوقت المناسب للقضاء عليهم، ولم يمض أيام على إرسال الرشيد كتب العهد إلى العمال حتى قفل راجعاً صوب بغداد.

وكان من عادة جعفر أن يتخذ للرشيد طعاماً كلما حجّ ومرّ بعُسَفان[٢] يُقريه ويستضيفه إذا انصرف شاخصاً من مكة إلى العراق.

فلما وصل الرشيد هذا العام المكان، وأحضر جعفر الطعام، اعتذر له الرشيد بأنه مريض، واستمر السير، وجعفر معه حتى وصلوا منزله بالأنبار[٣].

وحين استقر الرشيد بالعُمْر[٤] بالأنبار - وكان ذلك في المحرّم- [٥] اتخذ أقصى الاحتياطات لتنفيذ خطته، أرسل أوثق رجاله إلى بغداد - بعد أن استشاره في إيقاعه بالبرامكة- وهو السنّدي بن شاهك[٦] وقال له:

"قد بعثت إليك في أمر لو علم به زر قميصي رميت به في الفرات!.

---

(١) مروج الذهب ٣/ ٣٣٥.

(٢) هي على مرحلتين من مكة ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ١٢١-١٢٢ (عُسْفَان)

(٣) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٩٤.

(٤) وهي قلاّية القسّ، تقع ظاهر الحيرة ينظر الحموي: المصدر السابق ٤/ ٣٨٦، وينظر كذلك ابن خلكان: المصدر السابق ١/ ٣٤١.

(٥) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٩٥.

(٦) هو مولى المنصور وقد خدمه وخدم أولاده وأحفاده، لم أقف على ترجمة كاملة له ينظر: الطبري: المصدر نفسه ٨/ ٥١٩، ٥٢٣ و٨/ ٢١٤، ٢٩٦-٢٩٨، ابن خلكان: المصدر السابق ١/ ٣٣٧، ٣٣٨ و٢/ ١٩٩.

يا سنديّ مَن أوثق قوّادي عندي؟.

قلت: هرثمة[١].

قال: صدقت.

قال: فمن أوثق خدمي عندي؟.

قلت: مسرور الكبير[٢].

قال: صدقت.

إمض من ساعتك هذه وجدّ في سيرك حتى توافي مدينة السلام، فأجمع ثقات أصحابك وأرباعك، ومرهم أن يكونوا وأعوانهم على أهبة، فإذا انقطعت الزُّجَلُ[٣]، فصر إلى دور البرامكة، فوكل بكل باب من أبوابهم صاحب ربع، ومره أن يمنع مَن يدخل ويخرج - خلا باب محمد بن خالد[٤]- حتى يأتيك امري"[٥].

واستعان أيضاً بهذا الأمر بأحد القادة الشجعان، وكان معه في الانبار وهو عباس بن الفضل بن الربيع[٦]- كان هو وابوه من الكارهين للبرامكة- ويبدو أنه فعل ذلك من باب الاحتياط والحذر[٧].

كان جعفر ملتهيا بالندماء، وحديث السمر إلى منتصف الليل[٨]، حيث وكل الرشيد خادمه

---

(١) هو هرثمة بن أعين أحد القادة الشجعان، تولى مصر للرشيد سنة (١٧٨هـ) وفي فتنة الأمين والمأمون انحاز إلى المأمون (ت ٢٠٠هـ) ينظر: الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٥٦، الكندي: كتاب الولاة وكتاب القضاة ص ١٣٦، الذهبي: العبر ١/ ٢٥٩، ابن عماد: شذرات الذهب ١/ ٣٥٨.

(٢) هو أبو هاشم الخادم الكبير للرشيد كان حيّا سنة (٢٢٠هـ) ينظر: الطبري: ٩/ ١٧، و٨/ ١٦٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٠، ابن خلكان: المصدر السابق ١/ ٤٧٤ و٤/ ٣٣ و٦/ ٣٨٥، ٣٨٦.

(٣) أي صوت حركة الناس ينظر: لسان العرب ٢/ ١٣ (زَجَل).

(٤) حاجب الرشيد، ولم يكن متهما بالزندقة، وكان ينصح الرشيد في أموره ينظر: الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٦١، ٢٩٦، ابن النديم: الفهرست ص٤٧٣.

(٥) الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٩٨.

(٦) هكذا يظهر من الموقف ونرى أنه ابن الفضل بن الربيع القائد وليس هو أحد الرواة، وموقفه تلك الليلة يؤيد ذلك، ينظر: الطبري: المصدر نفسه ٨/ ٢٠٦، ٢٩٧-٢٩٨.

(٧) ينظر: وفيات الأعيان ٤/ ٣٧-٣٨، البداية والنهاية ١٠/ ١٨٩.

(٨) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٩٩.

مسرور "ومعه حماد بن سالم[١] أبو عصمة في جماعة من الجند، فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلا"[٢].

وتولى مسرور قتله، وكان ذلك ليلة السبت لانسلاخ المحرم سنة (١٨٧هـ) [٣].

وقيل كان في صفر سنة (١٨٨هـ [٤] بدير العمر.

فلما جيء إليه برأس جعفر، اقبل عليه، وجعل يذكره بذنوبه[٥].

وكان أنس بن أبي الشيخ من أصحاب جعفر، وكان يتهم بالزندقة، فجيء به إلى الرشيد فقتله[٦].

مصير بقية آل برمك:

في بعض الأخبار أن الرشيد حبس يحيى البرمكي وأولاده في مدينة المنصور، المعروف بحبس الزنادقة[٧].

وتتحدث الأخبار أن الرشيد بعد أن اوقع بالبرامكة بطشه، اظهر أنه غير مرتاح وأنه نادم على فعله[٨].

وقال:

"لو علمت يميني بالسبب الذي له فعلت هذا لقطعتها"[٩].

يظهر أنه إنما اطلق هذه الشعارات من أجل هدفين معينين:

الهدف الأول:

هو امتحان القادة والمقربين لآل برمك، وقراءة ما في ظاهرهم وباطنهم ممن لا يزال يكن لآل

---

(١) ينظر شيء من ذكره الطبري: المصدر نفسه ٨/ ٢٩٥، ابن خلكان: المصدر السابق ١/ ٣٣٦.

(٢) الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٩٥.

(٣) ينظر الطبري: نفسه ٨/ ٢٩٥.

(٤) ينظر: تاريخ اليعقوبي ٣/ ١٢٧، ابن خلكان: المصدر السابق ١/ ٣٤٥.

(٥) ينظر المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٣٥٧.

(٦) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٩٦-٢٩٧، ابن كثير: المصدر السابق ١٠/ ١٩٠-١٩١.

(٧) ينظر ابن خلكان: المصدر السابق ١/ ٣٣٧.

(٨) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٣١١، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٥٨، ابن خلكان: المصدر السابق ٦/ ٢٢٨، ابن كثير: المصدر السابق ١٠/ ١٩٢.

(٩) اليعقوبي وابن خلكان وابن كثير: المصادرالسابقة ٣/ ١٢٧، ١/ ٣٣٦، ١٠/ ١٨٩.

برمك المحبة والولاء، وهي خطة حكيمة منه للقضاء على ما تبقى من فلول مرتزقة البرامكة.

يوضح ذلك أن بعض الروايات تذكر أن أحد القادة الكبار، وهو:

إبراهيم بن عثمان بن نهيك[(١)] كان جزعا على موت جعفر، وكان يبكي عليه "إلى أن خرج من حدّ البكاء، ودخل في طالبي الثأر والإحَن.. ثم يقول:

واجعفراهّ واسيداه! والله لاقتلن قاتلك، ولاثأرن بدمك عن قليل ! "[(٢)].

فلما أكثر من ذلك شهد عليه ابنه وغلامه أمام الرشيد، ولم يستعجل الرشيد بذلك حتى امتحنه بنفسه فجيء به في مأدبة عشاء ثم قال له:

"يا إبراهيم كيف أنت وموضع السر منك؟.

قال:

يا سيدي إنما أنا كأخص عبيدك، وأطوع خدمك!.

قال:

إن في نفسي أمراً، أريد أن أوْدِعَكَه، وقد ضاق صدري به، وأسهرت به ليلي.

قال:

يا سيدي إذا لا يرجع عنّي إليك أبداً، وأخفيه عن جنبي أن يعلمه، ونفسي أن تذيعه!.

قال:

ويحك! إني ندمت على قتل جعفر بن يحيى ندامة ما أحسنُ أن أصفها؛ فوددت أني خرجتُ من مُلكي، وأنه كان بقي لي؛ فما وجدت طعم النوم منذ فارقته، ولا لذّة العيش منذ قتلته!.

قال:

فلما سمعها إبراهيم أسبل دمعه، وأذرى عبرته، وقال:

رحم الله أبا الفضل، وتجاوز عنه!.

والله يا سيدي لقد أخطأت في قتله، وأوطِئت العَشوة في أمره! وأين يوجد في الدنيا مثله!... فقال الرشيد:

---

(١) ولاّه الرشيد على الرقّة سنة (١٨٦هـ) ينظر بعض اخباره الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٩٦.

(٢) نفسه ٨/ ٣١٠-٣١١، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ١٩٣.

قم عليك لعنة الله... فأنصرف إلى أمّه فقال:

يا أمّ، ذهبت والله نفسي!.

قالت:

كلا إن شاء الله، وما ذاك يا بنيّ؟.

قال:

ذاك أن الرشيد امتحنني بمحنة والله؛ ولو كان لي ألف نفس لم أنج بواحدة منها !.

فما كان بين هذا وبين أن دخل عليه ابنه - فضربه بسيفه حتى مات- إلاّ ليالٍ قلائل"[١].

أما الهدف الثاني الذي أزمع أن لا يشيع ما دفعه إلى الإيقاع بالبرامكة هو:

أنه يجب أن لا يُعَرَف السبب، فهي مسائل خاصة لا يحب أن يعرّف أولاده لماذا فعل ذلك[٢]!.

أسطورة العبّاسة بنت المهدي:

وما يذكر من أسباب مهلك البرامكة قصة العباسة [٣] وهذه القصة باطلة لأمور:

١ - أنها لم تذكر بسند صحيح[٤].

٢- أن الرشيد قد أزمع على هلاكهم قبل حدوث تلك القصة الملفقة... بحدود ثلاث سنوات[٥]، حيث أن هذا الأمر- كما قيل- حدث في سنة (١٨٦هـ) [٦].

٣- أن الرشيد بيّن بكل وضوح، بعد أن أوقع بالبرامكة، وأستثنى من ذلك محمد بن خالد بن برمك أن عدم قتله إياه والإيقاع به، أنه: لم يتهم بالزندقة، ولم يتآمر أو يشارك في أية مؤامرة عليه[٧].

٤- أن مصادر أقدم من الطبري لم تذكر تلك القصة[٨].

---

(١) الطبري: المصدر السابق ٨/ ٣١١-٣١٢، ابن كثير: المصدر السابق ٨/ ١٩٣.

(٢) ينظر يوسف العش: الخلافة العباسية ص٧٨.

(٣) وقد سماها الأتليدي ميمونة، ينظر: أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ص ٢٤٤.

(٤) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٩٤، وفي إسناده رجل مجهول!، الأتليدي: المصدر السابق ص ٢٤٤.

(٥) لقد فكر الرشيد بذلك منذ سنة (١٨٣ أو ١٨٤هـ) ينظر: اليعقوبي: المصدر السابق ٣/ ١٢٧.

(٦) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٩٤، المسعودي: مروج الذهب ٣/ ٣٥٤-٣٥٦.

(٧) ينظر الطبري: المصدر السابق ٨/ ٢٩٦، ابن النديم: الفهرست ص٤٧٣.

(٨) ينظر: تاريخ خليفة بن خياط ٢/ ٤٩٢-٤٩٣، اليعقوبي: المصدر السابق ٣/ ١١٦-١٣٥.

كتاب المعتضد في شأن بني أمية:

قيل إن أصل ذلك أن المأمون أمر مناديه سنة إحدى عشرة ومائتين[١] فنادى:
"برئت الذمّة ممن ذكر معاوية بخير، أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ"[٢].

وسبب ذلك أن المأمون سمع بعض سمّاره عن مُطَرِّفْ بن المغيرة بن شعبة[٣] أنه قال[٤]:
"وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف اليّ، فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه.

إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتما، فانتظرته ساعة وظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له:

مالي اراك مغتما منذ الليلة؟.

قال:

يا بني، اني جئت من عند أخبث الناس، قلت له وما ذاك؟.

قال:

قلت له:

وقد خلوت به:

أنك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً ! وبسطت خيراً ! فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى اخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، فقال لي: هيهات هيهات!!.

ملك اخو تَيْمْ فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره !، إلا أن يقول قائل: أبو بكر.

ثم ملك أخو عَدي، فاجتهد وشمر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره!، إلا أن يقول قائل: عمر.

---

(١) وقيل (٢١٢هـ) ينظر: المسعودي: المصدر السابق ٤/ ٤١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٨/ ٦١٨، ونقل عنه ذلك ابن الأثير حرفياً ينظر: الكامل في التاريخ ٥/ ٢١٥.

(٣) قائد عسكري استخدمه الحجاج لمحاربة الخارجين على السلطة، ثم خرج هو على الحجاج وقتل سنة (٧٧هـ) ينظر الطبري: المصدر السابق ٦/ ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٨٤-٢٩٩.

(٤) مروج الذهب ٤/ ٤١-٤٢.

ثم ملك أخونا (!) عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل، وعمل به فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره!، وذكر ما فعل به.

وإن أخا هاشم يُصرخُ به في كل يوم خمس مرات: اشهد أن محمدا رسول الله، فأي عمل يبقى مع هذا؟ لا أم لك!!!.

والله إلا دفنا دفنا!.

وإن المامون لما سمع هذا الخبر بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ما وصفنا، وانشئت الكتب إلى الافاق بلعنه على المنابر، فأعظم الناس ذلك واكبروه، واضطربت العامة منه(!) فاشير عليه بترك ذلك، فاعرض عما كان همّ به".

ويذكر أن المعتضد العباسي عزم على نشر كتاب المأمون ونسخه وتوزيعه على الخطباء ليقرأ على المنابر، وفي يوم الاربعاء لست بقين من جمادي الأولى سنة اربع وثمانين ومائتين[1]، وهو كتاب طويل[2]، وقد ذكر ملخصه ابن كثير[3]:

"وفيها عزم المعتضد على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر فحذره ذلك وزيره عبد الله بن وهب[4]، وقال له:

أن العامة تنكر قلوبهم ذلك وهم يترحمون عليه ويترضون عنه في اسواقهم، وجوامعهم.

فلم يلتفت إليه بل أمر بذلك، أمضاه وكتب به نسخا إلى الخطباء بلعن معاوية وذكر فيها ذمّه وذم ابنه يزيد بن معاوية وجماعة من بني أمية واورد فيها أحاديث باطلة في ذم معاوية وقرئت في الجانبين من بغداد ونهيت العامة عن الترحم على معاوية والترضي عنه!.

فلم يزل به الوزير حتى قال له فيما قال:

يا أمير المؤمنين أن هذا الصنيع لم يسبقك إليه أحد من الخلفاء إليه، وهو مما يرغب العامة في الطالبيين، وقبول الدعوة إليهم، فوجم المعتضد عند ذلك تخوفا على الملك" !!!.

وكلا هذين الخبرين باطل سندا ومتنا، ونبدأ بمناقشة الخبر الأول:

---

(١) ينظر الطبري: المصدر السابق ١٠/ ٥٤، ابن الجوزي: المنتظم ٥/ ١٧١، ابن الأثير: المصدر السابق ٦/ ٨٥.

(٢) ينظر تفصيل الكتاب الملحق رقم (٦).

(٣) البداية والنهاية ١١/ ٧٦.

(٤) هو: أبو القاسم عبيد الله (وقيل عبد الله) بن سليمان بن وهب (ت ٢٨٨هـ) ينظر: ابن الأثير: المصدر السابق ٦/ ٩٩. ابن خلكان: المصدر السابق ٣/ ١٢٢-١٢٣ (٩١).

١- لم يذكر الطبري والمسعودي[١] هذا الخبر بإسناد متصل، رغم أن هذا الحدث عظيم وغريب ومهم في هذا الباب (وقد انفردا بهذا الخبر).

٢- لم يذكر الخبر من هو اقدم من الطبري[٢]، ومن هو مختص بتاريخ بغداد[٣]، كالخطيب، مع أن الدواعي والهمم متوفرة لنقل ذلك!.

٣- الذي ذكر تفصيل هذا الخبر هو المسعودي، وهو متهم، وألف كتابه - المروج- في الفسطاط بمصر سنة (٣٣٢- ٣٣٦هـ) في احضان الدولة العبيدية[٤]، ولا يستبعد أن يكون قد ذكر تلك الاكذوبة من اجلهم، أو زيّده أحد اعداء بني أمية على أصل الكتاب بعد وفاته، مع أن كتابه الاخر- التنبيه والاشراف- لم يشر إلى ذلك بكلمة واحدة ![٥].

٤- صيغة تأليف هذه الوثيقة تدل على أن واضعها أحد الحاقدين على الإسلام من الزنادقة سواء كان من العبيديين أو من غيرهم، حيث الطعن بنبي الإسلام ﷺ!.

كما أن هذا الكلام الذي نقله المسعودي، لا يتفوه به إنسان يؤمن بالله واليوم الاخر، فكيف بصحابي جليل صهر النبي ﷺ وكاتب وحيه ووالي المسلمين وامير المؤمنين اربعين عاما[٦]؟!.

٥- كيف يتهم معاوية بانه لم يعدل، وهو الذي يضرب بعدله المثل، فحينما ذكر عدل عمر بن عبد العزيز عند أعمش قال[٧]:

"كيف لو ادركتم معاوية؟

قالوا: في حلمه؟

---

(١) لم يذكر الطبري أي سند لهذا الخبر رغم أن الخبر في عصر الإسناد، كما أن المسعودي لم يذكر له أيضاً سندا متصلا ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٨٤/ ٦١١، مروج الذهب ٤/ ٤١

(٢) ينظر مثلاً: خليفة بن الخياط: المصدر السابق ٢/ ٥٠٥-٥١٥، اليعقوبي: المصدر السابق ٣/ ١٤٣-١٦٢، وكلاهما عراقيان ولو كان ذلك صحيحا لهرع اليعقوبي إلى تدوينه!.

(٣) ولم يذكره الخطيب في ترجمة المأمون ينظر: تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٣-١٩٢ (٥٣٣٠).

(٤) ينظر: المسعودي: التنبيه والاشراف ص ي.

(٥) ينظر ص٣٠٢-٣٠٥.

(٦) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٣٩٥-٤٠٣، ابن حجر: الإصابة ٣/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٧) ابن العربي: العواصم من القواصم ص١٨٨، الذهبي: منهاج الاعتدال ص٢٠٥، وكان عدد من علماء السلف وأئمتهم يسموه المهدي: ينظر المصدر نفسه ص٢٠٥.

قال: لا والله بل في عدله".

٦- قول المسعودي في عثمان رضي الله عنه:

" ثم ملك عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه".

فهو كلام غير صحيح لمتتبعي الانساب حيث أن نسب أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنه ليس بأقل من نسبه!! .

٧- أن رواية الطبري، وابن الأثير[١]، وابن كثير[٢]، ليس فيها ذكر للعن معاوية ولا هذا التفصيل الذي ذكره المسعودي!.

٨- أن من المعلوم أن المأمون كان منذ شبابه قبل أن يتولى الخلافة وبعدها كان من المهتمين بعلم الحديث، بل من علمائه وحفاظه[٣]، كيف يلعن شخصاً من أصحاب رسول الله ﷺ ! وقد جاء في الحديث أن اللعن ليس من صفات المسلم: (لا يكون اللّعّانون شُفَعَاء، ولا شهداء يوم القيامة)[٤].

٩- من المعروف عن المأمون أنه كان حليماً، بلغ به حلمه أنه كان يقول: "ربما أكون في المتوضأ فيشتموني- وأظنه قال ويفترون عليّ- ولا يدرون اني اسمع، فأعف عنهم"[٥]. بل كان حلمه يضرب به المثل[٦].

أما الخبر الثاني فباطل لوجوه:

---

(١) لم يذكر الطبري، ولا ابن الأثير (وهو ناقل عن الطبري نصا) سوى جملتين:
١- برئت الذمة من ذكر معاوية بخير.
٢- أو فضل معاوية على أحد من الصحابة.

(٢) ذكر أن المأمون اظهر بدعتين: ١-خلق القرآن. ٢-تفضيل علي على بقية الصحابة! انظر: البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٧.

(٣) ينظر زكريا: أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى (ت ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م) كتاب الجليس الصالح الكافي والانيس الناصح الشافي، تحقيق محمد مصطفى أرسلان (أطروحة جامعية، كلية الآداب - جامعة بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ص٢٩-٣٠، الحاكم: معرفة علوم الحديث ص٢٥٠، الخطيب: تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٧

(٤) رواه مسلم: شرح صحيح مسلم ١٦/ ١٤٩).

(٥) الخطيب: المصدر السابق ١٠/ ١٨٩.

(٦) ينظر: نفسه ١٠/ ١٨٩ بإسناد جيد.

١- ليس للخبر سند!.

٢- ذكره الطبري بصيغة التمريض[١]!.

٣- مثل هذا الخبر يحتاج أن ينقله عدد يصل عدده إلى حدّ التواتر أو الاشتهار، لأنه اذيع في جميع بغداد، وفي جميع انحاء الدولة العباسية!!.

كيف ولم ينقل حتى بطريق الآحاد، ولم ينقله أحد من السابقين غير ما ذكر عن الطبري[٢]؟!.

٤- يذكر الطبري أن هذا الكتاب هو نفسه جُمع من النسخ التي كتبها المأمون، وقد بينّا أن المأمون كان عالماً بالحديث، وما ذكر في هذه الوثيقة من الكذب، والحقد، والاباطيل، يعرفها صبيان أهل الحديث بأنها موضوعة وملفقّة!.

٥- جامع هذه الوثيقة زنديق أراد أن يجمع مثالب بني أمية، ويخرج ما في قلبه من حقد اسود بذكاء تارة[٣]، وبغباء تارة أخرى[٤].

٦- لم يذكر هذا الخبر الخطيب وهو مختص بتاريخ بغداد[٥].

٧- يذكر في الوثيقة أن علياً رضي الله عنه[٦]:

"أفضل المسلمين مكاناً. واقدمهم سبقاً".

وهو محض افتراء لمتتبعي التاريخ حيث أن المسلمين مجمعون على أن: "خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم"[٧].

وكان ذلك مكتوباً على ابواب مساجد بغداد إلى القرن السادس، مضافاً إليها: "ثم معاوية خال المؤمنين"[٨].

---

(١) ينظر: المصدر السابق ١٠/ ٥٤ وعبارته (فَذَكرَ أن المعتضد ...الخ).

(٢) فالمسعودي مثلاً مع ذكره الخبر الأول لم يذكر الخبر الثاني ينظر: مروج الذهب ٤/ ٢٣٧.

(٣) حيث ذكر وجمع أكثر ما ذكره الوضاعون في مثالب بني أمية حسب التسلسل الزمني ينظر: الملحق.

(٤) وهو واضح حيث أن جامعه كان غبياً بعلم الحديث وعلم الرجال، ذكر أشياء، كما ذكرنا يعرف بطلانها صبيان أهل الحديث والتفسير!.

(٥) ينظر: ٤/ ٤٠٣-٤٠٧ (ترجمة المعتضد).

(٦) الطبري: المصدر السابق ١/ ٥٩.

(٧) العواصم من القواصم ص١٩٣.

(٨) نفسه ص١٩٢-١٩٣، وينظر كذلك ابن خلكان: الوفيات ٤/ ٢٩٦-٢٩٧.

٨- صيغة وعلى آله الطيبين[١]، صيغة مستحدثة، وأول من انشأها العبيديون[٢] في مصر.

٩- صيغة: "اني اخاف اضطراب العامة"[٣] من صيغ الشيعة أتباع الفرس الحاقدين على أمّة الإسلام[٤].

١٠- هناك اضطراب كبير حول من كتب هذه الوثيقة، فمنهم: من ذكر أنها من كتابة المأمون[٥].

وقيل أن المعتضد هو الذي كتبها[٦].

وقيل كتبها عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره[٧].

١١- هناك اضطراب فيمن حذر المعتضد من عواقب هذه الوثيقة، فمن قائل:

أن المحذر هو:

قاضيه يوسف بن يعقوب[٨]، وقائل أنه عبيد الله بن سليمان[٩].

١٢- يذكر بعض المؤرخين أن وزير المعتضد عبيد الله كان ناصبّيا يكفّر عليا[١٠]، وأن المعتضد كان فيه تشيع[١١]!.

فكيف اجتمع ناصبي ورافضي بحدود عشر سنوات، احدهم يكفر عليا والآخر يكفر معاوية[١٢]؟!.

---

(١) ينظر الطبري: المصدر السابق١٠/ ٥٥.

(٢) ينظر المقريزي: إتعاظ الحُنَفَا ص١٤٨.

(٣) الطبري: المصدر السابق ١٠/ ٦٣.

(٤) ينظر المقريزي: المصدر السابق ص٩٦.

(٥) ينظر الطبري: المصدر السابق ١٠/ ٥٤.

(٦) ينظر ابن الأثير: المصدر السابق ٦/ ٨٥.

(٧) ينظر الطبري: المصدر السابق ١٠/ ٦٢، الذهبي: العبر ١/ ٤٠٩.

(٨) أبو محمد الأزدي، كان حافظاً، ديناً مهيبا (ت٢٩٧هـ) ينظر: الخطيب: المصدر السابق ١٤/ ٣١٠-٣١٢ (٧٦٣٠)، الذهبي: المصدر السابق ١/ ٤٠٩.

(٩) ينظر ابن الجوزي: المنتظم ٥/ ١٧٦، ابن كثير: المصدر السابق ١١/ ٧٦.

(١٠) ينظر: نفسه ١١/ ٧٦.

(١١) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٤١٥.

(١٢) ينظر ابن خلكان: المصدر السابق ٣/ ١٢٢-١٢٣.

١٣- لم يكن المأمون ولا المعتضد ولا غيرهما من بني العباس ممن يقدمون عليا وأولاده على العباس، وأولاده، فقد ذكر بعض المؤرخين أن المأمون حاجج علي بن موسى فقال له[1]:

"بم تدعون هذا الأمر؟.

قال:

بقرابة علي من النبي ﷺ، وبقرابة فاطمة.

فقال المأمون:

أن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة، ففي خلف رسول الله ﷺ من أهل بيته من هو أقرب إليه من علي!.

ومن هو في القرابة مثله !.

وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله ﷺ فإن الحق بعد فاطمة:

للحسن والحسين، وليس لعلي في هذا الأمر حق وهما حيان.

وإذا كان الأمر على ذلك، فإن عليا قد ابتزهما جميعاً وهما حيان صحيحان، واستولى علي على مالا يجب له، فما أحار علي بن موسى نطقا".

---

(١) عيون الأخبار ٢/ ١٤١.

الخاتمة والتوصيات

إن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث- بحمد الله وتوفيقه - يمكن تلخيصها في الأمور الآتية :

١- أن التاريخ الإسلامي، ركام واكداس من الحوادث، جمعها الاقدمون، بطريق الإسناد- ما يخص القرون الثلاثة الأولى- فيها الصحيح، وفيها الحسن، وفيها الضعيف، وفيها الغريب والشاذ، وفي رواتها أشخاص ذوو ميول واتجاهات متعددة عقائديا، وسياسيا، واجتماعيا، وهم يتباينون في الدقة والاتجاه والاسلوب.

٢- أن المواد التاريخية المتعلقة بالقرون الثلاثة الأولى، كثيرة جداً، لكنها مبثوثة ومنتشرة بين ثنايا كتب الحديث والتراجم والتاريخ والأدب والتفسير وغيرها، وهي غنية في مادتها، وقد تغطي ما يصح منها أو قريب من ذلك جميع احداث القرنين الأول والثاني، والقرن الثالث بدرجة أقل.

٣- يمكن انقاذ التاريخ الإسلامي، وتخليصه من الدسائس والأباطيل- لتلك القرون- مع شيء من المرونة والدقة في التعامل مع مناهج المحدثين.

٤- إهمال نقد المتون، دون الإسناد، يوقع الباحث أمام كثير من الروايات التاريخية المتضاربة والمتعارضة.

٥- يمكن تقسيم الروايات التاريخية، حسب تقسيم أئمة الحديث إلى صحيح، وحسن، وضعيف، في معظم احداث القرون الثلاثة.

٦- إعادة كتابة التاريخ وفق هذا المنهج دَيْنٌ في رقاب علماء المسلمين وحكامهم وهو واجب كفائي على الأمة.

٧- أن عملية إعادة هذا التاريخ المشوه، عملية شاقة وعسيرة، لا يمكن أن يقوم باعبائها فرد معين، وإنما هي جهود جماعات ومؤسسات.

٨- أحذّر جميع المسلمين شيبهم وشبابهم أن يحكموا على سلفنا الصالح، وحضارتنا العريقة من خلال هذه الروايات والكتب التاريخية في المصادر القديمة، أو في مصادر المستشرقين

ومقلديهم، أو الزنادقة والطائفيين، حيث أنهم جراثيم التاريخ ومخربيه، وإنما تاريخنا موجود بين ثنايا تلك الروايات المكدسة، ولا يصبح تاريخا لنا إلا بعد تطبيق مناهج المحدثين عليه.

٩- أناشد جميع حكام المسلمين- والعرب منهم بشكل خاص- أن يهيئوا الظروف المناسبة، وأن يمدوا يد المساعدة والعون، لأي جماعة تقوم بهذا العمل وأن يذللوا أمامهم الصعوبات، ويوفروا لهم كافة المستلزمات، أن كانوا حريصين على دينهم، وماضيهم، وحضارتهم وتاريخهم.

١٠- كما اناشدهم، بتغيير المناهج والكتب التاريخية في المدارس والجامعات واعادة كتابتها وفق المنهج الذي فصلناه، وانقاذ الشباب من الحيرة والشك، الدسائس التي طالما اساءت إلى امتنا عقيدة وحضارة ورجالا.

١١- وختاما فالحمد لله، على هدايته وتوفيقه، واعانته لي على هذه الدراسة ، ارجو أن اكون قد حققت معظم اهدافها وغاياتها، والا فحسبي، أن اكون قد نورت الطريق، أمام الباحثين، يفيدون منها لإعادة كتابة تاريخنا، ورب حامل فقه إلى من هو افقه منه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

Abstract

This is a Ph. D. thesis written by Ibraheem Ameen Al- Jaf submitted to the Arabic History and Scientific Heritage Institute for Post- graduate Studies in Baghdad. It consists in collecting and arranging all the approaches of modernists, the rules of jurists (religious scholars) and the approaches of the historians. They are dealt with one by one in detail with a comprehensive survey of Islamic history since its very beginning and its oral transference by story- tellers till its full registration and the appearance of the science of history and the appearance of systematization among the Muslims.

Since the appearance of historical studies among the Muslims, this study is the first attempt which tries to apply all the approaches of the modernists, the rule of the jurists and the approaches of historians on the historical narratives that extend to our modern time.

The researcher deals with the historical situation, the reasons that led to it, its aims, the persons affecting it and its bad effects on the Nation during its time, in one hand, and on civilization, on the other. He also tackles the science of biographies, science of causes, disagreements, preferences, transmission of word- of- mouth, the relation between history and Prophetic Traditions (Hadith) and conspiracies planned against Islamic history after the third Hijri century.

The researcher discovers that classical books on Prophetic Traditions, biographies, causes, history, literature, exegesis, genealogies, etc., contain plethora of true and good narratives concerning, especially, the first and second Hijri centuries; and less narratives about the third century. He also demonstrates that the history of each nation has its own special characteristics. This applies particularly to our history which has deep- rooted and unprecedented relationships with Islamic faith, jurisprudence (Sharia), moral and spiritual principles.

Therefore, no one has the right to rewrite its history except the natives of this nation who adhere too its principles, who belong to it and who are strong believers in its moral and spiritual principles. This goes in line with the Arabic proverb "Citizens of Mecca know its net of roads better than anyone else."

The thesis also shows that for each nation and period of time, there are special characteristics, morals and rules of civilization, and they should not be analysed on the bases of another time or according to the standards of another nation.

The researcher offers numerous and selective examples, the most important of which are outstanding Islamic events taken from the first three Hijri centuries. These examples are dealt with according to the aforementioned approaches.

The researcher feels confident enough to say that the history of the first three Hijri centuries can be rewritten in accordance with the modern approaches. This can also apply to the other centuries provided that chains of transmitters are available.



الملاحق والفهارس العامة

الملحق رقم (١)

الحديث الضعيف	سبب الضعف
١- المرسل الذي لم ينجبر	فقدان الشرط الأول
٢- المنقطع	فقدان الشرط الأول
٣- مرسل في إسناده ضعيف	فقدان الشرط الأول والثاني
٤- منقطع فيه راو ضعيف	فقدان الشرط الأول والثاني
٥- مرسل فيه راو مجهول	فقدان الشرط الأول والثاني
٦- منقطع فيه راو مجهول	فقدان الشرط الأول والثاني
٧- مرسل فيه راو مغفل	فقدان الشرط الأول والثالث
٨- منقطع فيه مغفل	فقدان الشرط الأول والثالث
٩- مرسل فيه مستور ولم ينجبر بمجيئه من وجه آخر	فقدان الشرط الأول والرابع
١٠- منقطع فيه مستور ولم ينجبر بمجيئه من وجه آخر	فقدان الشرط الأول والرابع
١١- مرسل شاذ	فقدان الشرط الأول والخامس
١٢- منقطع شاذ	فقدان الشرط الأول والخامس
١٣- مرسل معل	فقدان الشرط الأول والسادس
١٤- منقطع معل	فقدان الشرط الأول والسادس
١٥- مرسل شاذ فيه عدل مغفل كثير الخطأ	فقدان الشرط الأول والثالث
١٦- منقطع شاذ فيه مغفل	فقدان الشرط الأول والثالث
١٧- مرسل معل فيه ضعيف	فقدان الشرط الأول والثاني والسادس
١٨- منقطع معل فيه ضعيف	فقدان الشرط الأول والثاني والسادس
١٩- مرسل معل فيه مجهول	فقدان الشرط الأول والثاني والسادس
٢٠- منقطع معل فيه مجهول	فقدان الشرط الأول والثاني والسادس

الحديث الضعيف	سبب الضعف
٢١- مرسل معل فيه مغفل	فقدان الشرط الأول والثالث والسادس
٢٢- منقطع معل فيه مغفل	فقدان الشرط الأول والثالث والسادس
٢٣- مرسل معل فيه مستور ولم ينجبر	فقدان الشرط الأول والرابع والسادس
٢٤- منقطع معل فيه مستور	فقدان الشرط الأول والرابع والسادس
٢٥- مرسل شاذ معل	فقدان الشرط الأول والخامس والسادس
٢٦- منقطع شاذ معل	فقدان الشرط الأول والخامس والسادس
٢٧- مرسل شاذ معل فيه مغفل كثير الخطأ	فقدان الشرط الأول والثالث والخامس والسادس
٢٨- منقطع شاذ معل فيه مغفل كثير الخطأ	فقدان الشرط الأول والثالث والخامس والسادس
٢٩- ما في إسناده ضعيف	فقدان الشرط الثاني
٣٠- ما فيه مجهول	فقدان الشرط الثاني
٣١- ما فيه ضعيف وعلة	فقدان الشرط الثاني والسادس
٣٢- ما فيه مجهول وعلة	فقدان الشرط الثاني والسادس
٣٣- شاذ معل فيه عدل مغفل كثير الخطأ	فقدان الشرط الثالث والخامس والسادس
٣٤- ما فيه مغفل كثير الخطأ	فقدان الشرط الثالث
٣٥- شاذ فيه مغفل كثير الخطأ	فقدان الشرط الثالث والخامس
٣٦- معل فيه مغفل	فقدان الشرط الثالث والسادس
٣٧- شاذ معل فيه مغفل	فقدان الشرط الثالث والخامس والسادس
٣٨- ما في إسناده مستور لم تعرف اهليته ولم يرو من وجه آخر	فقدان الشرط الرابع
٣٩- معل فيه مستور	فقدان الشرط الرابع والسادس
٤٠- الشاذ	فقدان الشرط الخامس
٤١- الشاذ المعل	فقدان الشرط الخامس والسادس
٤٢- المعل	فقدان الشرط السادس

الملحق رقم (٢)

فمن الطبقة الأولى:

١ - مالك بن أنس بالمدينة.

٢ - سفيان بن عيينة بمكة.

٣ - سفيان الثوري بالكوفة.

٤ - شعبة بن الحجاج.

٥ - حماد بن زيد بالبصرة.

٦ - الأوزاعي بالشام.

ومن الطبقة الثانية:

١ - وكيع بن الجراح بالكوفة.

٢ - يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي بالبصرة.

٣ - عبد الله بن المبارك بخراسان.

٤ - أبو إسحاق الفزاري وأبو مسهر[١] بالشام[٢].

ومن الطبقة الثالثة:

١ - أحمد بن حنبل ببغداد.

٢ - علي بن المديني بالبصرة.

٣ - محمد بن عبد الله بن نمير بالكوفة[٣].

ومن الطبقة الرابعة:

أبو زرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي بالري، والبخاري ومسلم وأبو إسحاق الجوزقاني.

---

(١) هو: عبد الأعلى بن مسهر الغساني، عالم الشام، حافظ ثبت (ت ٢١٨هـ) ينظر: الذهبي: تذكرة الحفاظ السابق ١/ ٣٨١ (٣٧٩)، ابن حجر: تهذيب التهذيب ١/ ٩٠ (٢٠٥).

(٢) ينظر الأدلبي: منهج نقد المتن ١٤٦ - ١٤٧.

(٣) الهمداني الكوفي: الزاهد الحافظ، حجة (ت ٢٣٤هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٣٩ - ٤٤٠ (٤٤٦)، ابن حجر: تقريب التهذيب ١/ ٤٩٠ (٦٠٥٣).

ويأتي بعد هؤلاء أئمة كثيرون وأهمهم:

١ - النسائي.

٢ - العقيلي.

٣- ابن حبان.

٤ - ابن عدي.

٥ - الأزدي. [١]

٦ - الخطيب البغدادي.

٧- ابن رومية. [٢]

٨- الذهبي.

وهؤلاء هم مشاهير النقاد الذين تكلموا في الرواة جرحاً وتعديلا [٣].

---

(١) هو محمد: بن الحسين بن أحمد الموصلي الحافظ، وهاه جماعة بلا مستند (ت ٣٧٤هـ) ينظر: الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤ (٧٠٩) الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٦٧ - ٩٦٨ (٩٠٨).

(٢) أحمد بن محمد بن مفرج الاندلسي الحافظ، الناقد الفقيه (ت ٦٣٧هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٤/ ١٤٢٥ - ١٤٢٦ (١١٣٨)، ابن أبي اصيبعة: عيون الأنباء ٢/ ٨١.

(٣) ينظر: الأدلبي منهج نقد المتن ص ١٤٨ - ١٥٠، صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه ص ١٠٩.

الملحق رقم (٣)

١ - شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠هـ): قال عنه الشافعي:
(لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق) [١].

وقال عنه الثوري:
(شعبة أمير المؤمنين في الحديث)[٢].

وقال عنه ابن رجب:
(وهو أول من وسع الكلام في الجرح والتعديل واتصال الأسانيد وانقطاعها، ونقب عن دقائق علم العلل، وائمة هذا الشأن بعده تبع له في هذا العلم.)[٣].

٢ - يحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨هـ): سماه الذهبي بالعلم سيد الحفاظ.

قال أحمد:

(ما رأيت بعيني مثل يحيى) وقال ابن المديني:

ما رايت احدا أعلم بالرجال منه[٤].

وكان شعبة مع جلالة قدره وهو استاذه يحكمه على نفسه. قال ابن مهدي- يعني عبد الرحمن - اختلفوا يوما عند شعبة فقالوا:

اجعل بيننا وبينك حكما قال: قد رضيت بالاحول، يعني يحيى بن سعيد ؟ فما برحنا حتى جاء وقضى على شعبة فقال:

ومن يطيق نقدك يا احول. [٥] وقد ذكر ابن رجب أن ليحيى القطان كتابا في العلل، فيكون ذلك أول من صنف في هذا العلم[٦].

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ١٩٣.

(٢) نفسه ١/ ١٩٣.

(٣) شرح علل الترمذي ١/ ٤٤٨.

(٤) ينظر الذهبي: المصدر السابق ١/ ٢٩٨.

(٥) ينظر: نفسه ١/ ٢٩٨ - ٣٠٠، ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٦٤.

(٦) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٨٩٢.

٣- عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨هـ): ذكر الذهبي أنه: الحافظ الكبير والإمام العلم الشهير[١].

قال عبيد الله بن سعيد[٢]:

سمعت ابن مهدي يقول:

لا يجوز أن يكون الرجل إماما حتى يعلم ما يصح مما لا يصح. قال نعيم بن حماد: قلت لابن مهدي:

كيف تعرف الكذاب؟

قال: كما يعرف الطبيب المجنون، وكان عبد الرحمن فقيها بصيرا بالفتوى عظيم الشأن.

وقال ابن المديني:

لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت اني لم أر مثل عبد الرحمن.[٣]

٤- يحيى بن معين (٢٣٣هـ): الإمام، الفرد، سيد الحفاظ.

قال عنه ابن المديني:

لا نعلم احدا من لدن آدم عليه السلام كتب من الحديث ما كتب يحيى بن معين. وقال أحمد بن حنبل: يحيى اعلمنا بالرجال[٤].

وقال أيضاً:

ههنا رجل خلقه الله لهذا الشأن[٥]، وذكر الدكتور همام: أنه اطلع على كتاب له فيه العلم الغزير باسم (التاريخ والعلل)[٦].

٥- أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر المديني (ت٢٣٤هـ): حافظ العصر وقدوة ارباب هذا الشأن.

---

(١) ينظر: نفسه ١/ ٣٢٩.

(٢) ابن يحيى اليشكري: ثقة مأمون (ت ٢٤١هـ) انظر: الذهبي: العبر ١/ ٣٤٣، ابن حجر: تهذيب التهذيب ٦/ ١٦ - ١٧ (٣١)

(٣) ينظر هذه الأقوال: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩ - ٣٣١.

(٤) ينظر: نفسه ١/ ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٥) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٨٨.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ١/ ٣٢.

قال أبو حاتم:

كان ابن المديني علما في الناس في معرفة الحديث والعلل وما سمعت أحمد بن حنبل سماه قط إنما كان يكنيه تبجيلا له[١].

ذكر له الحاكم عددا يربوا على الثلاثين كتابا أكثرها في العلل مثل (علل المسند) في ثلاثين جزءا، و(العلل) التي كتبها عنه إسماعيل القاضي، أربعة عشر جزءا، و(علل حديث ابن عيينة) ثلاثة عشر جزءا[٢].

٦- الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره، الحافظ، الحجة.

قال الشافعي:

خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل ولا اعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل[٣].

وقال النسائي:

أحمد بن حنبل اعلم بعلل الحديث من إسحاق - يعني ابن راهويه[٤].

قال محقق شرح العلل:

وقد بلغ كتابه (العلل ومعرفة الرجال) اثني عشر جزءا مخطوطا[٥].

٧- الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ): شيخ الإسلام، وإمام الحفاظ.

---

(١) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٢٨، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام:
ربانيو الحديث أربعة: فأعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل.
وأحسنهم سياقة للحديث وادائه: علي بن المديني.
وأحسنهم وضعا لكتاب: ابن أبي شيبة.
وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيى بن معين، وكذلك قال محمد بن مسلم بن وارة.
ينظر: نور أحمد بن محمد: يحيى بن معين وكتابه التاريخ، الطبعة الأولى - مكة المكرمة، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م ص٩٥.

(٢) ينظر: معرفة علوم الحديث ص ٧١.

(٣) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٤٣١ - ٤٣٢.

(٤) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٤٨٣.

(٥) ينظر: نفسه ١/ ٣٣ وقد طبع كما سنشير إليه.

قال ابن خزيمة:

ما تحت أديم السماء إعلم بالحديث من البخاري[١].

وذهب مسلم بن الحجاج إليه، فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله[٢]. وله كتاب في العلل[٣].

٨ - الإمام مسلم بن الحجاج (٢٦١هـ). الإمام، الحافظ، حجة الإسلام.

قال ابن عقدة:

حينما سئل عن البخاري ومسلم قال: إنهما عالمان، لكن قد يقع للبخاري الغلط في أهل الشام، وأما مسلم فقل ما يؤخذ عليه غلط في العلل.

وله من كتب العلل: (كتاب التمييز) و(كتاب العلل)[٤].

٩- يعقوب بن شيبة الدوسي (ت ٢٦٢هـ). الحافظ، العلامة، صاحب (المسند الكبير المعلل) وما صنف مسند أحسن منه ولكنه ما أتمه[٥].

١٠ - أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي (ت ٢٦٤هـ). الإمام، حافظ العصر، كان من افراد الدهر حفظا، وذكاء ودينا وإخلاصا وعلما وعملا[٦].

---

(١) ينظر: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥ - ٥٥٦.

(٢) ينظر الحاكم: المصدر السابق ص ١١٣ - ١١٤. وقد شكك في صحة هذا الخبر بعض العلماء قال الحافظ العراقي: وغالب ظني أن هذه الحكاية ليست بصحيحة، وأنا اتهم بها أحمد بن حمدون راويها عن مسلم. ينظر: التبصرة والتذكرة ١/ ٢٢٩.

(٣) ابن حجر: المعجم المفهرس: مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٥٤، وينظر كذلك: ابن رجب: شرح علل الترمذي ١/ ٣٣.

(٤) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٨٨ - ٥٩٠.

(٥) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ١٤/ ٢٨١ - ٢٨٣، الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٧٧ - ٥٧٨. ولم يبق من هذا الكتاب إلا جزء هو الجزء العاشر وقد نشر بعناية الدكتور سامي حداد في بيروت ١٩٤٠ م وفيه مسند أمير المؤمنين عمر ﵁ وترتيب الكتاب على مسانيد الصحابة. ينظر: ابن رجب المصدر السابق ١/ ٣٤ هامش (٤).

(٦) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٥٧.

له مسائل في العلل جمعها البرذعي[(١)].

١١ - أبو حاتم محمد بن ادريس الرازي (ت ٢٧٧هـ). الإمام، الحافظ الكبير.

قال ابن أبي حاتم:

سمعت أبي يقول:

قلت على باب أبي الوليد الطيالسي:

من أغرب علي حديثاً صحيحاً فله درهم، وكان ثم خلق، أبو زرعة فمن دونه، وإنما كان مرادي أن يلقى علي ما لم أسمع به لأذهب إلى راويه فأسمعه فلم يتهيأ لأحد أن يغرب علي[(٢)] وكان له علم في العلل[(٣)].

١٢ - الإمام أبو عيسى محمد ين عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ).

قد اشتهر بهذا الفن (العلل) وجمع مسائله وشوارده، وهو أول من صنف الحديث على الابواب المعللة[(٤)].

١٣ - أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر الدمشقي (ت ٢٨٠هـ)، الحافظ، الثقة، محدث الشام. وله كتاب (التاريخ وعلل الرجال)[(٥)].

١٤ - الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو البزار (ت ٢٩٢هـ).

له كتاب مهم في العلل وهو (المسند الكبير المعلل)[(٦)].

١٥ - أبو يحيى زكريا بن يحيى الساجي (ت ٣٠٧هـ).

له كتاب جيد في العلل يدل على تبحره[(٧)].

---

(١) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤.

(٢) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٥٦٧ - ٥٦٨.

(٣) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤.

(٤) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٦٣٣ - ٦٣٥، ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤٥، وترمذ بالكسر هو المستفيض على الالسنة حتى يكون كالمتواتر وقيل هو بضم التاء. ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٦٣٤.

(٥) ينظر: نفسه ٢/ ٦٢٤ - ٦٢٥ وفيه أن اسم أبيه عمرو وأنه توفي (٢٨١هـ).

(٦) ينظر الذهبي: نفسه ٢/ ٦٥٣ - ٦٥٤، وقد أفاد محقق كتاب شرح علل الترمذي بانه مطبوع بتحقيق شكر الله الدوجاني. ينظر:ا بن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٥ الهامش (٢).

(٧) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٢/ ٧٠٩ - ٧١٠. ابن خير: الفهرست ص ٢١٠.

١٦ - عبد الرحمن بن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ). الإمام، الحافظ، الناقد، شيخ الإسلام.

قال أبو يعلى الخليلي[١] :

أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال[٢] وجمع علمهما في كتاب (علل الحديث)[٣].

١٧ - أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد الماسرجسي النيسابوري (ت ٣٦٥هـ). صنف المستند الكبير مهذبا معللا في ألف جزء وثلاثمائة جزء[٤].

١٨ - الحافظ الكبير أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني المعروف بابن القطان (ت ٣٦٥هـ).

له كتاب (الكامل في معرفة الضعفاء وعلل الحديث)، وقد اختصره تقي الدين المقريزي ت ٨٤٥هـ[٥].

١٩ - الحافظ أبو الحسن محمد بن محمد المعروف بالحجاجي (ت ٣٦٨هـ). صنف كتابا في العلل يقع في نيف وثمانين جزءاً[٦].

٢٠ محمد بن محمد بن أحمد النيسابوري الكرابيسي (ت ٣٧٨هـ). صنف كتابا في العلل مخرجا على كتاب المزني[٧].

٢١ - الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ).

فقد انتهى علم الاثر والمعرفة بالعلل وأسماء الرجال[٨].

---

(١) الخليل بن عبد الله بن أحمد، الحافظ، القاضي ثقة (ت ٤٤٦هـ) ينظر: الذهبي: المصدر السابق ٣/ ١١٢٣ - ١١٢٥ (١٠٠٨) ابن عماد: شذرات الذهب ٣/ ٢٧٤.

(٢) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٨٢٩ - ٨٣١.

(٣) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٤.

(٤) ينظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٥٥ - ٩٥٦، الكتاني: الرسالة المستطرفة ص ٧٣.

(٥) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٣/ ٩٤٠ - ٩٤٢.

(٦) ينظر: نفسه ٣/ ٩٤٤ - ٩٤٥.

(٧) ينظر: نفسه ٣/ ٩٧٦ - ٩٧٧.

(٨) ينظر: نفسه ٣/ ٩٩١ - ٩٩٥، ابن خير: المصدر السابق ص ٢٠٣، وله خمس مجلدات مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩٤ ومجلد آخر برقم ٧٨٦، ينظر: ابن رجب: شرح علل اترمذي ١/ ٣٦.

٢٢ - الحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد البيع (ت ٤٠٥هـ).
صنف في العلل كما افرد في كتابه (معرفة علوم الحديث) بابا للعلل[١].

٢٣ - الحسن بن محمد البغدادي المعروف بالخلال (ت ٤٣٩هـ) له كتاب في العلل[٢].

٢٤ ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ).
له كتاب (العلل المتناهية)[٣].

٢٥ - ابن رجب: عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ).
له كتاب شرح علل الترمذي.

٢٦- ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ).
له كتاب (الزهر المطلول في الخبر المعلول)[٤].

---

(١) ينظر الذهبي: المصدر السابق ٣/ ١٠٤٣.

(٢) ينظر الخطيب: تاريخ بغداد ٧/ ٤٢٥. الذهبي: المصدر السابق ٣/ ١١٠٩.

(٣) ينظر ابن الجوزي: العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق، إرشاد الحق الأثري، الطبعة الأولى - لاهور ١٣٩٩هـ ١/ ٦٤٦.

(٤) ينظر ابن رجب: المصدر السابق ١/ ٣٧، وقد سماه ابن عماد: الزهر المطول في بيان الحديث المعدل ينظر: شذرات الذهب ٧/ ٢٧٠ - ٢٧١.

الملحق رقم (٤)

نسخة كتاب هارون بن محمد الرشيد إلى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد:

فإن الله ولي أمير المؤمنين وولي ما ولاه، والحافظ لما استرعاه وأكرمه به من خلافته وسلطانه، والصانع له فيما قدم وآخر من أموره، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها، والكالئ والحافظ والكافي من جميع خلقه؛وهو المحمود على جميع آلائه، المسئول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمير المؤمنين، وعادته الجميلة عنده، وإلهام ما يرضى به، ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله.

وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله ابني أمير المؤمنين، من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة، ومدت إليه أعناقها، وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون إليهما والثقة بهما، لعماد دينهم، وقوام أمورهم؛ وجمع الفتهم، وصلاح دهمائهم، ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم؛ حتى القوا إليهما ازمتهم، وأعطوهما بيعتهم وصفقات إيمانهم، بالعهود والمواثيق ووكيد الإيمان المغلظة عليهم.

أراد الله فلم يكن له مرد، وامضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا ازالته، ولا صرف له عن محبته ومشيئته، وما سبق في علمه منه.

وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما في ذلك وعلى الأمة كافة؛ لا عاقب لأمر الله ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد بن أمير المؤمنين، يعمل فكره ورأيه ونظره ورويته فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية والجمع للكلمة، واللم للشعث، والدفع للشتات والفرقة، والحسم لكيد أعداء النعم؛ من أهل الكفر والنفاق والغل والشقاق، والقطع لامالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما.

ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك، ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما ولجميع الأمة،

والقوة في أمر الله وحقه وائتلاف أهوائهما، وصلاح ذات بينهما، وتحصينهما من كيد أعداء النعم، ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما.

فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله، وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة والإنفاذ لأمره، واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود، وأغلظ الأيمان والتوكيد، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع الفتهما ومودتهما وتواصلهما وموازرتهما ومكانفتهما على حسن النظر لأنفسهما ولرعية أمير المؤمنين التي استرعاهما، والجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه ﷺ، والجهاد لعدو المسلمين؛ من كانوا وحيث كانوا، وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة، ومسر لها، وكل منافق ومارق، وأهل الأهواء الضالة المضلة من تكيد بكيد توقعه بينهما، وبدحس يدحس به لهما، وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة، والسعي بالفساد في الأرض، والدعاء إلى البدع والضلالة؛ نظرا من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمة نبيه محمد ﷺ ومناصحة لله ولجميع المسلمين، وذبا عن سلطان الله الذي قدره، وتوحد فيه للذي حمله إياه، والاجتهاد في كل ما فيه قربة إلى الله، وما ينال به رضوانه، والوسيلة عنده.

فلما قدم مكة اظهر لمحمد وعبد الله رأيه في ذلك، وما نظر فيه لهما، فقبلا كل ما دعاهما إليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله، وكتبا لأمير المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما، بمحضر ممن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجبة الكعبة وشهاداتهم، عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة، أمر بتعليقهما في داخل الكعبة.

فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة، أمر قضاته الذين شهدوا عليهما، وحضروا كتابهما، أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاج والعمار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعوه، ويعرفوه ويحفظوه، ويؤدوه إلى إخوانهم أهل بلدانهم وأمصارهم، ففعلوا ذلك، وقرئ عليهم الشرطان جميعاً في المسجد الحرام، فانصرفوا. وقد اشتهر ذلك عندهم، واثبتوا الشهادة عليه، وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم وحقن دمائهم، ولم شعثهم وإطفاء جمرة أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم، واظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشكر لما كان منه في ذلك[1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٨/ ٢٨٣ - ٢٨٥.

الملحق رقم (٥)

نسخة الشرط الذي كتبه محمد ابن أمير المؤمنين بخط يده في الكعبة.

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين، كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين، في صحة من عقله، وجواز من أمره، طائعا غير مكره، أن أمير المؤمنين ولأني العهد من بعده، وصير البيعة لي في رقاب المسلمين جميعاً، وولى عبد الله بن هارون العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدي، برضا مني وتسليم، طائعا غير مكره، وولاه خراسان وثغورها وكورها وحربها وجندها وخراجها وطرزها وبريدها، وبيوت أموالها، وصدقاتها بعشرها وعشورها، وجميع اعمالها، في حياته وبعده.

وشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين برضا مني وطيب نفسي، أن لاخي عبد الله بن هارون عليّ الوفاء بما عقد له هارون أمير المؤمنين من العهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين جميعاً بعدي، وتسليم ذلك له؛ وما جعل له من عقدة أو ضيعة من ضياعه، أو ابتاع من الضياع والعقد، وما أعطاه في حياته وصحته من مال، أو حلي أو جوهر، أو متاع أو كسوة، أو منزل أو دواب، أو قليل أو كثير؛ فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين، موفرا مسلما إليه. وقد عرفت ذلك كله شيئاً شيئاً.

فإن حدث بأمير المؤمنين حدث الموت، وأفضت الخلافة إلى محمد ابن أمير المؤمنين، فعلى محمد إنفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين في تولية عبد الله ابن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ومن ضم إليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقرماسين؛ وأن يمضي عبد الله ابن أمير المؤمنين إلى خراسان والري والكور التي سماها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله ابن أمير المؤمنين من معسكر أمير المؤمنين وغيره من سلطان أمير المؤمنين وجميع من ضم إليه أمير المؤمنين حيث أحب، من لدن الري إلى أقصى عمل خراسان.

فليس لمحمد ابن أمير المؤمنين أن يحول عنه قائدا ولا مقودا ولا رجلاً واحدا ممن ضم إليه من أصحابه الذين ضمهم إلى أمير المؤمنين، ولا يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التي ولاه إياها هارون أمير المؤمنين من ثغور خراسان وأعمالها كلها، ما بين عمل الري مما يلي همذان إلى أقصى خراسان وثغورها وبلادها؛ وما هو منسوب إليها، ولا يشخصه إليه ولا يفرق أحدا من أصحابه وقواده عنه، ولا يولي عليه أحداً، ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره

بندارا، ولا محاسبا ولا عاملا، ولا يدخل عليه في صغير من أمره ولا كبير ضررا، ولا يحول بينه وبين العمل في ذلك كله برأيه وتدبيره، ولا يعرض لأحد ممن ضم إليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته وقضاته وعماله وكتابه وقواده وخدمه ومواليه وجنده؛ بما يلتمس إدخال الضرر والمكروه عليهم في أنفسهم ولا قراباتهم ولا مواليهم، ولا أحد بسبيل منهم، ولا في دمائهم ولا في أموالهم ولا في ضياعهم ودورهم ورباعهم وامتعتهم ورقيقهم ودوابهم شيئاً من ذلك صغيرا ولا كبيراً، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وهواه، وبترخيص له في ذلك وادهان منه فيه لأحد من ولد آدم، ولا يحكم في أمرهم ولا أحد من قضاته ومن عماله وممن كان بسبب منه بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأي قضاته.

وإن نزع إليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته وقواده وعماله وكتابه وخدمه ومواليه وجنده، ورفض اسمه ومكتبه ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين عاصيا له أو مخالفا عليه؛ فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين بصغر له وقماء حتى ينفذ فيه رأيه وأمره.

فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده، أو عزل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان وثغورها وأعمالها، والذي من حد عملها مما يلي همذان والكور التي سماها أمير المؤمنين في كتابه هذا أو صرف أحد من قواده الذين ضمهم أمير المؤمنين إليه ممن قدم قرماسين، أو أن ينتقصه قليلا أو كثيراً مما جعله أمير المؤمنين له بوجه من الوجوه، أو بحيلة من الحيل؛ صغرت أو كبرت؛ فلعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين، وهو المقدم على محمد ابن أمير المؤمنين، وهو ولي الأمر بعد أمير المؤمنين والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون من أهل خراسان وأهل العطاء وجميع المسلمين في جميع الاجناد والأمصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين، والقيام معه، والمجاهدة لمن خالفه، والنصر له والذب عنه؛ ما كانت الحياة في أبدانهم.

وليس لأحد منهم جميعاً من كانوا، أو حيث كانوا، أن يخالفه ولا يعصيه، ولا يخرج من طاعته، ولا يطيع محمد ابن أمير المؤمنين في خلع عبد الله بن هارون أمير المؤمنين وصرف العهد عنه من بعده إلى غيره، أو ينتقصه شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون في حياته وصحته، واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام في هذا الكتاب.

وعبد الله ابن أمير المؤمنين المصدق في قوله، وانتم في حل من البيعة التي في أعناقكم لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون أن نقص شيئاً مما جعله له أمير المؤمنين هارون، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينقاد لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ويسلم له الخلافة.

وليس لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون، ولا يقدما عليه أحداً من أولادهما وقراباتهما ولا غيرهم من جميع البرية؛ فإذا أفضت الخلافة إلى عبد الله ابن أمير المؤمنين، فالأمر إليه في إمضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده، أو صرف ذلك عنه إلى من رأى من ولده وأخوته، وتقديم من أراد أن يقدم قبله، وتصيير القاسم ابن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله، يحكم في ذلك بما أحب ورأى.

فعليكم معشر المسلمين إنفاذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا، وشرط عليهم وأمر به، وعليكم السمع والطاعة لأمير المؤمنين فيم ألزمكم واوجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين، وعهد الله وذمته وذمة رسوله ﷺ وذمم المسلمين والعهود والمواثيق التي اخذ الله على الملائكة المقربين والنبيين والمرسلين، ووكدها في أعناق المؤمنين والمسلمين، لتفنّ لعبد الله أمير المؤمنين بما سمى، ولمحمد وعبد الله والقاسم بني أمير المؤمنين بما سمى وكتب في كتابه هذا، واشترط عليكم وأقررتم به على أنفسكم؛ فإن انتم بدلتم من ذلك شيئاً، أو غيرتم، أو نكثتم، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين، واشترط عليكم في كتابه هذا، فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله محمد ﷺ وذمم المؤمنين والمسلمين، وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم أو يستفيده إلى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين، وعلى كل رجل منكم المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجة، نذرا واجبا لا يقبل الله منه إلا الوفاء بذلك؛ وكل مملوك لأحد منكم - أو يملكه فيما يستقبل إلى خمسين سنة - حر، وكل امرأة له فهي طالق ثلاثا البتة طلاق الحرج، لا مثنوية فيها. والله عليكم بذلك كفيل وراع، وكفى بالله حسيبا[1].

نسخة الشرط الذي كتبه عبد الله ابن أمير المؤمنين بخط يده في الكعبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين، في صحة عقله، وجواز أمره، وصدق نية فيما كتب في كتابه هذا، ومعرفه بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعه المسلمين.

إن أمير المؤمنين هارون ولآني العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين في سلطانه بعد أخي محمد بن هارون.

وولاني في حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما

---

(١) نفسه ٨/ ٢٧٨ - ٢٨١.

عقد لي من الخلافة ولآية أمور العباد والبلاد بعده، وولاية خرا سان وجميع أعمالها، ولا يعرض لي في شيء مما أعطاني أمير المؤمنين، أو اتباع لي من الضياع والعقد وأرباع واتبعت منه ذلك، وما أعطاني أمير المؤمنين من الأموال والجوهر والكساء والمتاع والدواب والرقيق وغير ذلك، ولا يعرض لي ولا لأحد من أعمالي وكتابي سبب محاسبة، ولا يتبع لي في ذلك ولا أحد منهم أبدا، ولا يدخل علي ولا عليهم ولا على من كان معي ومن استعنت به من جميع الناس مكروها؛ في نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال، ولا صغير من الأمور ولا كبير.

فأجابه إلى ذلك، واقر به وكتب له كتابا، أكد فيه على نفسه ورضي به أمير المؤمنين هارون وقبله، وعرف بصدق نيته فيه.

فشرطت لأمير المؤمنين وجعلت له على نفسي أن اسمع لمحمد أطيعه ولا اعصيه، وانصحه ولا أغشه، وأوفي بيعته وولايته، ولا اغدر، ولا انكث، وأنفذ كتبه وأموره، وأحسن موازرته وجهاد عدوه في ناحيتي، ما وفى لي بما شرط لأمير المؤمنين في أمري، وسمى في الكتاب الذي كتبه لأمير المؤمنين، ورضي به أمير المؤمنين، ولم يتبعني بشيء من ذلك، ولم ينقض أمراً من الأمور التي شرطها أمير المؤمنين لي عليه.

فإن احتاج محمد بن أمير المؤمنين إلى جند، وكتب إلي يأمرني بأشخاصه إليه، أو إلى ناحية من النواحي، أو إلى عدو من أعدائه؛ خالفه أو أراد نقص شيء من سلطانه أو سلطاني الذي أسنده أمير المؤمنين إلينا وولانا إياه؛ فعليّ أن أنفذ أمره ولا أخالفه، ولا اقصر في شيء كتب به إليّ.

وإن أراد محمد أن يولي رجلاً من ولده العهد والخلافة من بعدي؛ فذلك له ما وفى لي بما جعله أمير المؤمنين إليّ واشتراطه لي عليه، وشرط على نفسه في أمري، وعلى إنفاذ ذلك والوفاء له به؛ ولا انقص من ذلك ولا غيره ولا أبدله، ولا أقدم قبله أحداً من ولدي، ولا قريبا ولا بعيدا من الناس أجمعين؛ إلا أن يولي أمير المؤمنين هارون أحداً من ولده العهد من بعدي؛ فيلزمني ومحمدا الوفاء له.

وجعلت لأمير المؤمنين ومحمد، عليَّ الوفاء بما شرطت وسميت في كتابي هذا، ما وفى لي محمد بجميع ما اشترط لي أمير المؤمنين عليه في نفسي، وما أعطاني أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة في هذا الكتاب الذي كتبه لي، وعليّ عهد الله وميثاقه وذمة أمير المؤمنين وذمتي وذمم آبائي وذمم المؤمنين واشد ما اخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين، من عهوده ومواثيقه، والإيمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها، ونهى عن نقضها وتبديلها؛ فإن انا نقضت شيئاً مما شرطت

وسميت في كتابي هذا أو غيرت أو بدلت، أو نكثت أو غدرت، فبرئت من الله عز وجل ومن ولايته ودينه، ومحمد رسول الله ﷺ، ولقيت الله يوم القيامة كافرا مشركا؛ وكل امرأة هي لي اليوم أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثا البتة طلاق الحرج؛ وكل مملوك هو لي اليوم أو املكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله، وعليّ المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين حجة، نذرا واجبا عليّ في عنقي حافيا راجلا؛ لا يقبل الله مني إلا الوفاء بذلك، وكل مال لي أو املكه إلى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة؛ وكل ما جعلت لأمير المؤمنين وشرطت في كتابي هذا لازم لا اضمر غيره، ولا انوي غيره.

وشهد سليمان بن أمير المؤمنين وفلان وفلان. وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة[1].

---

(١) نفسه ٨/ ٢٨١ - ٢٨٣.

الملحق رقم (٦)

ذكر كتاب المعتضد في شأن بني أمية

وتحدث الناس أن الكتاب الذي أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة على المنبر، فلما صلى الناس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يقرأ.

فذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية، فأخرج له من الديوان، فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب، وذكر أنها نسخة الكتاب الذي أنشئ للمعتضد بالله:

بسم الله الرحمان الرحيم. الحمد لله العلي العظيم، الحليم الحكيم، العزيز الرحيم، المنفرد بالوحدانية، الباهر بقدرته، الخالق بمشيئته وحكمته؛ الذي يعلم سوابق الصدور، وضمائر القلوب، لا يخفى عليه خافية، ولا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات العلا، ولا في الأرضين السفلى؛ قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وضرب لكل شيء أمداً، وهو العليم الخبير. والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته، وخلق عباده لمعرفته، على سابق علمه في طاعة مطيعهم، وماضي أمره في عصيان عاصيهم؛ فبين لهم ما يأتون وما يتقون، ونهج لهم سبل النجاة، وحذرهم مسالك الهلكة، وظاهر عليهم الحجة، وقدم إليهم المعذرة، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم، وأكرمهم به، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعروته أولياءه وأهل طاعته، والعاندين عنه والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته؛ ليهلك من هلك عن بينة، وإن الله لسميع عليم.

والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع بريته، واختاره لرسالته، وابتعثه بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين، وتأذن له بالنصر والتمكين، وأيده بالعز والبرهان المتين، فاهتدى به من اهتدى، واستنقذ به من استجاب له من العمى، وأضل من أدبر وتولى، حتى أظهر الله أمره، وأعز نصره، وقهر من خالفه، وأنجز له وعده، وختم به رسله، وقبضه مؤدياً لأمره، مبلغاً لرسالته، ناصحاً لأمته، مرضيا مهتدياً إلى أكرم مآب المنقلبين، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين، وعباده الفائزين؛ فصلى الله عليه أفضل صلاة وأتمها، وأجلها وأعظمها، وأزكاها وأطهرها؛ وعلى آله الطيبين.

والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين وسلفه الراشدين المهتدين ورثة خاتم النبيين وسيد

المرسلين والقائمين بالدين، والمقومين لعباده المؤمنين، والمستحفظين ودائع الحكمة، ومواريث النبوة، والمستخلفين في الأمة، والمنصورين بالعز والمنعة، والتأييد والغلبة، حتى يظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم، وفساد قد لحقهم في معتقدهم، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم، ونطقت بها ألسنتهم، على غير معرفة ولا روية، وقلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة، وخالفوا السنن المتبعة، إلى الأهواء المبتدعة، قال الله عز وجل:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]، خروجاً عن الجماعة، ومسارعة إلى الفتنة وإيثاراً للفرقة، وتشتيتاً للكلمة وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة، وبتر منه العصمة، وأخرجه من الملة، وأوجب عليه اللعنة، وتعظيماً لمن صغر الله حقه، وأوهن أمره، وأضعف ركنه، من بني أمية الشجرة الملعونة، ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة، وأسبغ عليهم به النعمة؛ من أهل بيت البركة والرحمة، قال الله عز وجل:

﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٤].

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك، ورأى في ترك إنكاره حرجاً عليه في الدين، وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين، وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين، وإقامة الحجة على الشاكين، وبسط اليد على العاندين.

وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشر الناس بأن الله عز وجل لما ابتعث محمداً بدينه، وأمره أن يصدع بأمره، بدأ بأهله وعشيرته، فدعاهم إلى ربه، وأنذرهم وبشرهم، ونصح لهم وأرشدهم، فكان من استجاب له وصدق قوله واتبع أمره نفر يسير من بني أبيه، من بين مؤمن بما أتى به من ربه، وبين ناصر له وإن لم يتبع دينه؛ إعزازاً له، وإشفاقا عليه، لماضي علم الله فيمن اختار منهم، ونفذت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافته وإرث نبيه؛ فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميته، يدفعون من نابذه، وينهرون من عاره وعانده، ويتوثقون له ممن كانفه وعاضده، ويبايعون له من سمح بنصرته، ويتجسسون له أخبار أعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين؛ حتى بلغ المدى، وحان وقت الاهتداء، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله، والإيمان به، بأثبت بصيرة، وأحسن هدى ورغبة، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة، وأهل بيت الدين - أذهب عنهم

الرجس وطهرهم تطهيراً - ومعدن الحكمة، وورثة النبوة وموضع الخلافة، وأوجب لهم الفضيلة، وألزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممن عانده ونابذه، وكذبه وحاربه من عشيرته، العدد الأكثر، والسواد الأعظم، يتلقونه بالتكذيب والتثريب، ويقصدونه بالأذية والتخويف، ويبادونه بالعداوة، وينصبون له المحاربة، ويصدون عنه من قصده، وينالون بالتعذيب من اتبعه.

وأشدهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة، وأولهم في كل حرب ومناصبة، لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها، في كل مواطن الحرب، من بدر واحد والخندق والفتح ...أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية، الملعونين في كتاب الله، ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن، وعدة مواضع، لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم، ونفاقهم وكفر أحلامهم، فحارب مجاهداً، ودافع مكابداً، وأقام منابذاً حتى قهره السيف، وعلا أمر الله وهم كارهون؛ فتقول بالإسلام غير منطو عليه، واسر الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله ﷺ والمسلمون، وميز له المؤلفة قلوبهم، فقبله وولده على علم منه؛ فمما لعنهم الله به على لسان نبيه ﷺ، وانزل به كتاباً قوله:

﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٦٠].

ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية.

ومنه قول الرسول ﷺ وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: (لعن الله القائد والراكب والسائق).

ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد مناف تلقفونها تلقف الكرة. فما هناك جنة ولا نار.

وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨].

ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أحد بعد ذهاب بصره، وقوله لقائده: ها هنا ذبنا محمداً وأصحابه.

ومنه الرؤيا التي رآها النبي ﷺ فوجم لها، فما رئي ضاحكاً بعدها، فأنزل الله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]؛ فذكروا أنه رأى نفراً من بني أمية ينزون على منبره. ومنه طرد رسول الله ﷺ الحكم بن أبي العاص لحكايته إياه، وألحقه الله بدعوة رسوله آية

باقية حين رآه يتخلج، فقال له: (كن كما أنت)، فبقي على ذلك سائر عمره، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام، واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها أو أريق بعدها.

ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر:

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [القدر: ٣]، من ملك بني أمية.

ومنه أن رسول الله ﷺ دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه، فدافع بأمره، واعتل بطعامه، فقال النبي: (لا أشبع الله بطنه)، فبقي لا يشبع، ويقول: والله ما أترك الطعام شبعا؛ ولكن إعياء.

ومنه أن رسول الله ﷺ قال: (يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي)، فطلع معاوية.

ومنه أن رسول الله ﷺ، قال:

(إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه).

ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال:

(أن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي: يا حنان يا منان. الآنَ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً. وأقدمهم إليه سبقا، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً؛ علي بن أبي طالب، ينازعه حقه بباطله، ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه، من إطفاء نور الله وجحود دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

يستهوي أهل الغباوة، ويموه على أهل الجهالة بمكره وبغيه، الذين قدم رسول الله ﷺ الخبر عنهما، فقال لعمار:

(تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار)، مؤثرا للعاجلة، كافرا بالآجلة، خارجاً من ربقة الإسلام، مستحلاً للدم الحرام، حتى سفك في فتنته، وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه، مجاهدا لله، مجتهداً في أن يعصي الله فلا يطاع، وتبطل أحكامه فلا تقام، ويخالف دينه فلا يدان.

وإن تعلو كلمة الضلالة، وترتفع دعوة الباطل؛ وكلمة الله هي العليا، ودينه المنصور، وحكمه المتبع النافذ، وأمره الغالب، وكيد من حاده المغلوب الداحض؛ حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتبعها، وتطوق تلك الدماء وما سفك بعدها، وسن سنن الفساد التي عليه إثمها

وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة، وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع الحقوق أهلها؛ واغتره الأملاء، واستدرجه الأمهال، والله له بالمرصاد.

ثم مما أوجب الله له به اللعنة، قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة؛ مثل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي، فيمن قتل (من) أمثالهم، في أن تكون له العزة والملك والغلبة، ولله العزة والملك والقدرة، والله عز وجل يقول:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣].

ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادعاؤه زياد بن سمية، جرأة على الله؛ والله يقول: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥].

ورسول الله ﷺ، يقول:

(ملعون من ادعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه).

ويقول: (الولد للفراش وللعاهر الحجر).

فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ جهاراً، وجعل الولد لغير الفراش، والعاهر لا يضره عهره، فادخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي ﷺ وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله، واثبت بها قربى قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله، مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله، ولم ينل الدين تبديل شبهه.

ومنه إيثاره بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمير، صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبة، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكرانه وفجوره وكفره. فلما تمكن منه ما مكنه منه، ووطأه له، وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش؛ مما ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عبد نفسه وغليله، وظن أن قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القوم من ساداتكم — وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلوا واستهلوا فرحاً — ثم قالوا: يا يزيد لا تسل

لست من خندف [1] أن لم انتقم — من بني أحمد ما كان فعـــل
ولعت هاشم بالملـــــك فلا — خبر جاء، ولا وحي نــــزل

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله.

ثم من أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع موقعه من رسول الله ﷺ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله ﷺ له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة، اجتراء على الله، وكفراً بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهدة لعترته، واستهانة بحرمته، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمة، ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره، واجتث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، واعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته.

هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه، واتخاذ مال الله دولاً بينهم، وهدم بيته، واستحلال حرامه، ونصبهم المجانيق عليه، ورميهم إياه بالنيران، لا يألون له إحراقاً وإخراباً، ولما حرم الله منه استباحة وانتهاكاً، ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً، ولمن أمنه الله به إخافة وتشريداً، حتى إذا حقت عليهم كلمة العذاب، واستحقوا من الله الانتقام، وملئوا الأرض بالجور والعدوان، وعموا عباد الله بالظلم والاقتسار، وحلت عليهم السخطة، ونزلت بهم من الله السطوة، أتاح الله لهم من عترة نبيه، وأهل وراثته من أستخلصهم منهم بخلافته، مثل ما أتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين، فسفك الله بهم دماءهم مرتدين، كما سفك بآبائهم دماء آباء الكفرة المشركين، وقطع الله دابر القوم الظالمين، والحمد لله رب العالمين. ومكن الله المستضعفين، ورد الله الحق إلى أهله المستحقين، كما قال جل شأنه:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥].

واعلموا أيها الناس، أن الله عز وجل إنما أمر ليطاع، ومثل ليتمثل، وحكم ليقبل، وإلزام الأخذ بسنة نبيه ﷺ ليتبع؛ وأن كثيراً ممن ضل فالتوى، وانتقل من أهل الجهالة والسفاه ممن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله؛ وقد قال الله عز وجل:

---

(١) خندف امرأة إِلْياسَ بن مُضَرَ بن نِزارٍ واسمها لَيْلى نُسِبَ وَلَدُ إلياسَ إليها. أي لست من قريش. ينظر: لسان العرب ٩/ ٩٨.

﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [التوبة: ١٢].

فانتهوا معاشر الناس عما يسخط الله عليكم، وراجعوا ما يرضيه عنكم، وارضوا من الله بما اختار لكم، وألزموا ما أمركم به، وجانبوا ما نهاكم عنه، واتبعوا الصراط المستقيم، والحجة البينة، والسبل الواضحة، وأهل بيت الرحمة؛ الذين هداكم الله بهم بديئا، واستنقذكم بهم من الجور والعدوان أخيراً، واصاركم إلى الخفض والأمن والعز بدولتهم، وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم، والعنوا من لعنه الله ورسوله، وفارقوا من لا تنالون القربة من الله إلا بمفارقته.

اللهم العن أبا سفيان بن حرب، ومعاوية ابنه، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وولده؛ اللهم العن أئمة الكفر، وقادة الضلالة، وأعداء الدين، ومجاهدي الرسول، ومغيري الأحكام، ومبدلي الكتاب، وسفاكي الدم الحرام.

اللهم إنا نتبرأ إليك من موالاة أعدائك، ومن الإغماض لأهل معصيتك، كما قلت:

﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢].

يا أيها الناس، اعرفوا الحق تعرفوا أهله، وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم، ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم؛ فلا يأخذكم في الله لومة لائم، ولا يميلن بكم عن دين الله استهواء من يستهويكم، وكيد من يكيدكم، وطاعة من تخرجكم طاعته إلى معصية ربكم.

أيها الناس، بنا هداكم الله، ونحن المستحفظون فيكم، أمر الله ونحن ورثة رسول الله والقائمون بدين الله، فقفوا عند ما نقفكم عليه، وانفذوا لما نأمركم به؛ فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمة الهدى على سبيل الإيمان والتقوى، وأمير المؤمنين يستعصم الله لكم، ويسأله توفيقكم، ويرغب إلى الله في هدايتكم لرشدكم، وفي حفظ دينه عليكم؛ حتى تلقوه به مستحقين طاعته، مستحقبين لرحمته، والله حسب أمير المؤمنين فيكم، وعليه توكله، وبالله على ما قلده من أموركم استعانته، ولا حول لأمير المؤمنين ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم.

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة أربع وثمانين ومائتين. وذكر أن عبيد الله بن سليمان احضر يوسف بن يعقوب القاضي، وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد؛ فمضى يوسف بن يعقوب، فكلم المعتضد في ذلك، وقال له: يا أمير المؤمنين؛ إني أخاف أن تضطرب العامة، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركة. فقال: أن تحركت العامة أو نطقت وضعت سيفي فيها، فقال: يا أمير المؤمنين، فما تصنع بالطالبين الذين هم في كل ناحية يخرجون،

ويميل إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول ومآثرهم؛ وفي هذا الكتاب إطراؤهم، أو كما قال، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل، وكانوا هم أبسط السنة، وأثبت حجة منهم اليوم. فامسك المعتضد فلم يرد عليه جوابا، ولم يامر في الكتاب بعده بشيء [1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ١٠/ ٥٤ - ٦٣.

المصادر المخطوطة

١- الترمذي:

محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧هـ/ ٩١٠م) العلل الكبير، مخطوطة (أحمد الثالث) رقم المخطوطة ٥٣٠.

٢- الرازي:

عبيد الله بن عبد الكريم (أبو زرعة) (ت ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م) الضعفاء والمتروكين، مخطوطة (كوبرلي) رقم المخطوطة ٧١٩ تاريخ.

٣- الرصافي:

معروف بن عبد الغني الجباري (ت ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م) الشخصية المحمدية (أو اللغز المقدس) مخطوطة (المجمع العلمي العراقي) رقم المخطوطة ٥٢ سير وتراجم.

٤- الشاكر:

محمد عارف بن أحمد، كوكب المريخ في خلاصة التاريخ (مخطوطة مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب - جامعة بغداد) رقم المخطوطة ٤٤٤.

٥- ابن أبي عذية:

شهاب الدين، أحمد بن محمد (ت ٨٥٦هـ/ ١٤٥٣م) تاريخ دول الأعيان في أخبار من سلف من أهل الزمان، مخطوطة (دار صدام للمخطوطات) رقم المخطوطة ٩٢٠٩.

المصادر والمراجع المطبوعة

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس، الطبعة الأولى، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٩٣م.

ال جعفر:

مساعد مسلم، الموجز في علوم الحديث، دار الرسالة - بغداد ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ال خميس:

عثمان بن محمد، حقبة من التاريخ، ط ١، مركز الثقافة الإسلامية - الكويت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الابشيهي:

محمد بن أحمد بن منصور (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) المستطرف في كل فن مستظرف، المكتبة التجارية الكبرى.

ابن أبي اصيبعة:

أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة - بيروت.

ابن أبي الحديد:

عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق لجنة احياء الذخائر، مكتبة الحياة - بيروت.

ابن أبي الخطاب:

جمهرة اشعار العرب، ط مصر ١٣٠٨هـ.

ابن أبي العز:

علي بن علي بن محمد الدمشقي (ت ٧٩٢هـ/ ١٣٩٢م) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة.

ابن أبي جرادة:

كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ط ١، دار الفكر - بيروت ١٩٨٨م.

ابن أبي حاتم:

عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م) تقدمة المعرفة، ط ١، دار المعارف العثمانية - حيدر آباد ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.

المراسيل (تحقيق صبحي السامرائي، بغداد ١٣٨٦هـ).

ابن أبي ربيعة:

عمر، ديوان عمر بن أبي ربيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

ابن أبي شيبة:

عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، مكتبة الرشد - الرياض ١٤٠٩هـ.

ابن أبي يعلى:

محمد بن محمد بن الحسين (ت ٥٢٦هـ/ ١١٣١م) طبقات الحنابلة، ط الفقي - مصر ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

ابن إسحاق:

محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ/ ٧٦٨م)، سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب - الرباط.

ابن الأثير:

علي بن أبي الكرم، محمد بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م) أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط القاهرة ١٣٨٦هـ.

الكامل في التاريخ، دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

اللباب في تهذيب الأنساب، ط مصر ١٣٥٦هـ/ ١٩٦٩م.

ابن الأثير:

مجد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد المجيد سليم وحامد الفقي - القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، ط ٢، دار الفكر ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

ابن التركماني:

علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) الجوهر النقي، دار الفكر - بيروت (مطبوع بذيل السنن الكبرى للبيهقي).

ابن الجارود:

عبد الله بن علي (ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م) المنتقى لابن الجارود، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط ١، مؤسسة الكتاب الثقافية - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

ابن الجوزي:

جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) أخبار الحمقى والمغفلين، مطبعة البصري - بغداد ١٩٦٦م.

تلبيس أبليس، الناشر دار الكتب العلمية بيروت .

زاد المسير، الطبعة الثالثة، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٤هـ .

صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، الطبعة الثانية، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، ط٢، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

صيد الخاطر، تحقيق آدم أبو سنينة، دار الفكر - عمان ١٩٨٧ م

الضعفاء والمتروكين، تحقيق عبد الله القاضي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٦هـ .

المحنة، مطبعة الخانجي

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الطبعة الأولى، دائرة المعارف - حيدر آباد ١٣٥٨هـ

الموضوعات، مطبعة المجد ١٣٨٦ -١٣٨٨هـ

نواسخ القرآن، مطابع: يوسف بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت.

الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة - مصر ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م

العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، تحقيق، إرشاد الحق الأثري، الطبعة الأولى - لاهور ١٣٩٩هـ .

العلل، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٤٣هـ.

ابن الحاجب:

عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٩م)، مختصر الأصول (المشهور بمختصر المنتهى)، ط بولاق ١٣١٦هـ.

ابن الحنبلي:

رضي الدين، قفو الأثر، مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ.

ابن الصلاح:

عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ابن الصلت:

ديوان أمية بن أبي الصلت، دراسة وتحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي، مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٥م.

ابن الطقطقي:

محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، مطبعة الرحمانية.

ابن العربي:

القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨هـ.

ابن الفوطي:

عبد الرزاق بن أحمد بن محمد (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، مطبعة الفرات - بغداد ١٣٥١هـ.

ابن القيم:

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) أحكام أهل الذمة، مطبعة جامعة دمشق.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة: طه عبد الرؤوف، دار الجيل - بيروت ١٩٧٣م.

إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط ٢، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

تهذيب سنن أبي داود: مطبعة أنصار السنة المحمدية، ١٣٦٧هـ.

حاشية ابن القيم، ط ٢، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الرابعة عشر، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

الصواعق المنزلة على الطائفة الجهمية والمعطلة، تحقيق: أحمد عطية الغامدي وعلي ناصر الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

نقد المنقول، تحقيق حسن السماعي، الطبعة الأولى، دار القادري - بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠ م.
داية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار الكتب العلمية - بيروت.

ابن المرتضى:

أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٧م) طبقات المعتزلة، تحقيق السيدة سوسنة ديفلد - بيروت ١٩٦١م.

ابن المعتز:

عبد الله بن محمد المعتز (ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م) طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف - مصر.

ابن الملقن:

سراج الدين عمر بن علي الشافعي (ت ٨٠٤هـ/ ١٤٠١م)، تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، دار صادر - بيروت.

ابن النديم:

محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) الفهرست، دار المعرفة - بيروت.

ابن الهمام:

كمال الدين محمد بن عبد الواحد (ت ٨٦١هـ/ ١٤٥٧م) فتح القدير، الطبعة الأولى، البابي الحلبي ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

ابن الوزير:

محمد بن إبراهيم بن علي (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م) تنقيح الأنظار في علوم الآثار، مطبعة السعادة ١٣٦٦هـ.

ابن بابويه:

أبو جعفر محمد بن علي القمي (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م) التوحيد، ط ٤، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٧هـ.

ابن بطوطة:

محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الاسفار، ط ٢ - مصر ١٣٢٢هـ.

ابن تغري بردي:

يوسف بن تغري بردي بن عبد الله (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مؤسسة الثقافة والإرشاد القومي - مصر.

ابن تيمية:

أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) أحاديث القصاص، تحقيق محمد الصباغ، ط ١، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

إقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق علي حسن ناصر مع آخرين، ط ١، دار العاصمة الرياض ١٤١٤هـ.

الرد على البكري، ط ٢، دار العلمية - دلهي ١٤٠٥هـ.

رفع الملام عن الأئمة الاعلام، ط ٤، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٢هـ.

علم الحديث، تحقيق موسى محمد علي، ط ٢، عالم الكتب - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الفتاوى الكبرى، ط ١ (مصورة).

قاعدة في مواضع الأئمة ومجامع الأمة، تحقيق: أحمد عدنان الحمداني. مطبعة الإرشاد-بغداد ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م

مقدمة في أصول التفسير، مطبعة الترقي - دمشق ١٩٣٩ م.

منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.

مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف - الرياض.

موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، المطبعة الأميرية - بولاق ١٣٢١هـ (مطبوع بهامش منهاج السنة).

ابن تيمية:

مجد الدين عبد السلام (ت ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م) المنتقى من أخبار المصطفى، ط ٢، دار الفكر ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٤م.

ابن جزي:

محمد بن أحمد بن محمد (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الخلود - بغداد ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ابن جلجل:

سليمان بن حسان (ت ٣٧٢هـ / ٩٨٤م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد السيد - القاهرة ١٩٥٥م.

ابن حبان:

أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م) صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط ٢، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

كتاب الثقات في الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، تصحيح عبد الخالق الأفغاني، الطبعة الأولى - حيدر آباد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم، الطبعة الأولى، دار الوعي - حلب ١٣٩٦هـ .

مشاهير علماء الأمصار، تصحيح فلايشهمر، لجنة التأليف - القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

ابن حزم:

علي بن أحمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) الأحكام في أصول الأحكام، ط ٢، دار الجيل - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

جمهرة انساب العرب، تحقيق عبد السل ام محمد هارون، ط ٣، دار المعارف - مصر.

الفصل في الملل والأهواء والنحل، المطبعة الأدبية - مصر ١٣٢٠هـ.

كتاب في معرفة الناسخ والمنسوخ، مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة (مطبوع مع تفسير ابن عباس)

المحلى، دار الفكر.

ابن حنبل:

أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) العلل ومعرفة الرجال، تحقيق طلعت فوج بيكيت وإسماعيل اوغلي - انقرة ١٩٦٣م.

فضائل الصحابة: تحقيق وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

مسند أحمد، المطبعة الميمنية ١٣١٣هـ.

ابن حنبل:

عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م) كتاب السنة، تحقيق محمد سعيد القحطاني، ط ١، دار ابن القيم - الدمام ١٤٠٦هـ.

ابن خزيمة:

محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ/ ٩٢٤م) صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

ابن خلدون:

عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من السلطان الأكبر، مطبعة مؤسسة الاعلمي - بيروت.

مقدمة ابن خلدون، دار العلم - بيروت.

ابن خلكان: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

ابن دقيق العيد:

الاقتراح في بيان الاصطلاح، تحقيق: قحطان عبد الرحمن الدوري، مطبعة الارشاد - بغداد ١٤٠٢هـ.

ابن رجب:

زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م) جامع العلوم والحكم، دار المعرفة - بيروت.

ذيل طبقات الحنابلة، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٤هـ.

شرح علل الترمذي، تحقيق الدكتور همام عبد الرحيم، ط ١، مكتبة المنار - الزرقاء ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ابن زنجلة:

أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (توفي في المائة الرابعة) حجة القراءات، تحقيق: سعيد الافغاني، ط ٤، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

ابن سعد:

محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) الطبقات الكبرى، دار بيروت ودار صادر - بيروت ١٩٥٨م.

ابن سيد الناس:

فتح الدين، محمد بن محمد (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ط ٢، دار الجيل ١٩٧٤م.

ابن سيدة:

أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) المخصص، دار الفكر.

ابن شاهين:

عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين: ناسخ الحديث ومنسوخه، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الطبعة الأولى، مكتبة المنار - الزرقاء، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ابن عابدين:
محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م)، حاشية ابن عابدين، ط ٢، دار الفكر - بيروت ١٣٨٦هـ.
مجموعة رسائل ابن عابدين طبعة قديمة.

ابن عباس:
الإسراء والمعراج، مطبعة صبيح وأولاده - القاهرة.

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار العلوم الحديثة (مطبوع بهامش الإصابة).
بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، طبعة دار الجيل - مصر
التمهيد، تحقيق: مصطفى أحمد العلوي ومحمد عبد الكريم، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الدينية - المغرب ١٣٨٧هـ.
جامع بيان العلم وفضله وما يتبغي في روايته وحمله، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، ط ٢، المكتبة السلفية - المدينة المنورة ١٩٦٨م.
الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق: شوقي ضيف، ط ٢، دار المعارف - القاهرة ١٤٠٣هـ.

ابن عبد ربه:
أحمد بن محمد (ت ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م) العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، ط ٣، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ابن عدي:
عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م) الكامل في ضعفاء الرجال، ط ١، دار الفكر - بيروت ١٤٠٤هـ.

ابن عذاري:
محمد (أو أحمد) بن محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تحقيق كولان، وليفي بروفنسال، ط ليدن ١٩٤٨م.

ابن عراق:
علي بن محمد الكناني (ت ٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ابن عقيل:
بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) شرح ابن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١٦، دار الفكر.

ابن فارس:
أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) معجم مقاييس اللغة، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة.

ابن فرحون:
إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ط مصر ١٣٥١هـ.

ابن قاضي شهبة:
أحمد بن محمد بن عمر (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م) طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، دار الندوة الجديدة - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ابن قتيبة:
عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبه، مكتبة الشرق - بغداد.
الإمامة والسياسة، مطبعة النيل - القاهرة.
أدب الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١٤، المكتبة التجارية ١٩٦٣م.
تأويل مختلف الحديث، تصحيح: محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
الشعر والشعراء، طبعة مصر ١٣٦٤هـ.
عيون الأخبار، ط المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة (مصورة عن ط دار الكتب).
المعارف، تصحيح محمد إسماعيل الصاوي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

ابن قدامى:
موفق الدين عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) المغني والشرح الكبير، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ابن كثير:
أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية، ط ٥، مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.
الفصول في اختصار سيرة الرسول، ط ١، مؤسسة علوم القرآن - دمشق ١٣٩٩هـ.

ابن ماجه:

محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن ماكولا:

علي بن هبة الله بن أبي نصر (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٣م)، الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ.

ابن مسكويه:

أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط ليدن ١٩٠٩م.

ابن معين:

أبو زكريا يحيى بن معين (ت ٢٣٣هـ/ ٨٤٨م) تاريخ يحيى بن معين، تحقيق أحمد نور سيف، ط ١، مركز البحث العلمي بجامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٩هـ.

ابن مفلح:

برهان الدين، إبراهيم بن محمد، (ت ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان، ط ١، مكتبة الرشد - الرياض ١٩٩٠م.

ابن منبه:

همام بن منبه (ت ١٣١هـ/ ٧٤٩م) الصحيفة الصحيحة، تحقيق: محمد حميد الله، ط ٢، مطبوعات المجمع العلمي العربي - دمشق ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

ابن منظور:

محمد بن مكرم بن علي (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق عبد القادر بدران، ط ٢، دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
لسان العرب، دار لسان العرب - بيرون.

ابن نباتة:

محمد بن محمد بن محمد الجذامي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م) سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون، هامش على شرح لامية العجم.

ابن هشام:

عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٦م.

السيرة النبوية، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠١هـ.

أبو الطيب:

عبد الواحد علي اللغوي (ت ٣٥١هـ/ ٩٦٢م) مراتب النحويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة ١٩٥٥م.

أبو النصر:

عمر، الهوى والشباب والحضارة في عهد الرشيد، ط ٢، مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمة والنشر - شارع سوريا ١٩٧٠م.

أبو تمام:

حبيب بن أوس (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٦م) نقائض جرير والأخطل، تعليق الأب انطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٢٢م.

أبو حنيفة:

أحمد بن داود ونند الدينوري (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر - القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

أبو ريه:

محمود أبو ريه، أضواء على السنة المحمدية، ط ١، مطبعة دار التأليف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

شيخ المضيرة أبو هريرة، ط ٣، دار المعارف - مصر.

أبو زهرة:

محمد أبو زهرة، ابن تيمية، ط ٢، مطبعة أحمد مخيمر ١٩٥٨م.

أبو سلمى:

ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتحقيق: حجر عاصي، دار الفكر العربي - بيروت.

أبو شامة:

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٥م) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط ١، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٧م.

أبو عوانة:

يعقوب بن إسحاق الاسفرائيني (ت ٣١٦هـ / ٩٢٨م) مسند أبي عوانة، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، ط ١، دار المعرفة - بيروت ١٩٩٨م.

أبو غدة:

عبد الفتاح أبو غدة، صفحات في صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، ط ٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب ١٩٧٤م.

أبو مخنف:

لوط بن يحيى (ت ١٥٧هـ / ٧٧٤م)، مقتل الحسين، نشر عبد الله بن موسى الحسيني (عن نسخة امبروزيانا - بومباي ١٣١١هـ).

أبو هاجر:

محمد السعيد بن بسيوني زغلول، موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، ط١، عالم التراث - بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

أبو يعلى:

الخليل بن عبد الله، (ت ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م)، الإرشاد، تحقيق: محمد سعيد عمر، ط ١، مكتبة الرشد - الرياض ١٤٠٩هـ.

الأبياري:

إبراهيم الأبياري، الموسوعة الشوقية (جمع وترتيب وشرح) ط١ دار الكتاب لعربي - بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

الأتليدي:

محمد (أو محمود) دياب (ت ١٠٩٦هـ / ١٦٨٨م) أعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، ط ١، دار صادر - بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

الأدلبي:

صلاح الدين أحمد، منهج نقد المتن عند علماء الحديث، ط ١، دار الأفاق الجديدة - بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الاردبيلي:

أحمد بن محمد (ت ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م) حديقة الشيعة، طبعة طهران.

الأزرقي:
محمد بن عبد الله بن أحمد (توفي بعد ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م)، أخبار مكة، ط ٢، مطابع دار الثقافة - مكة المكرمة ١٩٦٥م.

الأزهري:
محمد بن أحمد بن الأزهر (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨١م) تهذيب اللغة (تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - ١٩٦٧م)
تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار القومية العربية - القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
تهذيب اللغة (تحقيق مجموعة من الأساتذة - القاهرة ١٩٦٤م)

أسد:
محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة الدكتور: عمر فروخ، ط ٩، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٧م.

الأسد:
ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار المعارف - القاهرة ١٩٥٦م.

الاسفرائيني:
عماد الدين طاهر بن محمد (ت ٤٧١هـ/١٠٧٩م)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط ١، عالم الكتب - بيروت ١٩٨٣م.
الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، تعليق عز الدين السيد، ط ١، مكتبة الخانجي - مصر ١٤٠٥هـ
الاسنوي: جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م) نهاية السول شرح منهاج الأصول، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٥٤هـ.

الاشعري:
أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥٤م.

الاصبحي:
مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥م) موطأ مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - مصر.

الأصبهاني:
أحمد بن عبد الله، أبو نعيم (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) جزء فيه طرق حديث أن لله تسعة وتسعين اسما، تحقيق مشهور بن حسن، ط ١، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ١٤١٣هـ.
ذكر أخبار أصبهان طبعة-ليدن ١٩٣١م.

الأصبهاني:

حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، مكتبة الحياة - بيروت.

الأصبهاني:

علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ/ ٩٩٧م) الأغاني، ط دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٧م.

مقاتل الطالبين، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة - بيروت.

الأعظمي:

محمد مصطفى، وآخرون، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي - الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الأعظمي:

وليد الأعظمي، السيف اليماني في نحر الاصفهاني صاحب الأغاني، ط ١، دار الوفاء - المنصورة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الأعلمي:

محمد حسين سليمان الحائري، كتاب دائرة المعارف (مقتبس الأثر ومجدد ما دثر)، ط ١، مطبعة الحكمة - قم ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

آغا بزرك:

محمد محسن الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط النجف ١٣٥٥هـ/ ١٩٣١م.

آل ياسين:

محمد حسن، نصوص الردة في تاريخ الطبري، ط ٣، دار الحياة - بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

الألباني:

محمد ناصر الدين، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، المكتب الإسلامي - دمشق.

إلهي ظهير:

إحسان الهي، الشيعة والسنة، ط ٦، مطبعة الوفاق - لاهور ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الألوسي:

محمود شكري (ت ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) مختصر التحفة الأثني عشرية، ط اسطنبول ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

الألوسي:

نعمان بن محمود (ت ١٣١٧هـ/ ١٩٠٠م)، غالية المواعظ، المطبعة الأميرية - بولاق ١٣٠٠هـ.

الأمدي:

سيف الدين، علي بن أبي علي (ت ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) الأحكام في أصول الأحكام، دار الاتحاد العربي للطباعة - القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

الأحكام في أصول الأحكام، تحقيق: د. سيد الجميلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٤هـ.

أمين:

أحمد أمين، ضحى الإسلام، مطبعة لجنة التاليف ١٩٣٣م.

فجر الإسلام، ط ١٠، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٦٩م.

الانباري:

كمال الدين، عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧هـ/ ١١٨١م) نزهة الالباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل، دار النهضة، مصر.

الانصاري:

زكريا بن محمد بن زكريا (ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق مازن المبارك، ط ١، دار الفكر المعاصر - بيروت ١٤١١هـ.

فتح الباقي على ألفية العراقي، طبعة فاس ١٣٥٤هـ.

الأنصاري:

عبد الله بن محمد (ت ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م)، طبقات المحدثين باصبهان، تحقيق عبد الغفور البلوشي، ط ٢، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

الأنصاري:

محمد بن علي بن أحمد، المصباح المضيء (كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي)، ط ١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن ١٩٧٦م.

أويغور:

ضياء اويغور، جذور الصهيونية، ترجمة إبراهيم الداقوقي، دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٦م.

الأيوبي:

عيسى بن محمد بن أيوب (ت ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م)، كتاب الرد على الخطيب (المعروف بالسهم المصيب في كبد الخطيب)، دار الكتب العلمية - بيروت.

البابرتي:

أكمل الدين، محمد بن محمد بن محمود (ت ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م) العناية في شرح الهداية، مطبعة بولاق - القاهرة ١٣١٨هـ (بهامش فتح القدير).

الباجي:

سليمان بن خلف بن سعد، (ت ٤٧٤هـ / ١٠٨٢م)، التعديل والجرح، تحقيق: أبو لبابة حسين، ط ١، دار اللواء - الرياض ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

بامات:

حيدر بامَّات (ج. ريفوار)، مجالى الإسلام، ترجمة عادل زعيتر، طبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٦م.

البخاري: محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) التاريخ الصغير، دار الوعي - حلب.

التاريخ الكبير، إشراف عبد الرحمن معلمي اليماني، دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٣٦١ - ١٣٦٢هـ.

جزء القراء ة خلف الإمام، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٣٢٠هـ.

صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير - اليمامة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الضعفاء الصغير، تحقيق محمود زايد، نشر دار الوعي - حلب ١٣٩٦هـ

براون:

ادوارد غرنفيل (ت ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٦م) تاريخ أدبيات إيران، ط الهند.

البرزنجي:

عبد اللطيف عبد الله عزيز، التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، ط ١، مطبعة العاني - بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

البرقعي:

أبو الفضل بن الرضا (ت١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) كسر الصنم، ترجمة عبد الرحيم البلوشي، ط ١، دار البيارق - عمان ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

بروكلمان:كارل بروكلمان

تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٢م.

تاريخ الشعوب الإسلامية، الطبعة السابعة - بيروت ١٩٧٧.

البستاني:
فؤاد افرام، المجاني الحديثة، ط بيروت ١٩٤٦م.

البغدادي:
أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ/ ١١٣٤م) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ط القاهرة ١٩١٠م.

البغدادي:
إسماعيل باشا البابان، هدية العارفين، دار الفكر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م (مطبوع مع كشف الظنون).

البغدادي:
جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (ت ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) مصارع العشاق، تحقيق مشالي أحمد - القاهرة ١٢٣٤هـ/ ١٩٠٧م.

البغدادي:
عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، المطبعة الأميرية - بولاق.

البغوي:
حسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٠هـ/ ١١١٧م) شرح السنة، المكتب الإسلامي - بيروت.

بك:
محمد بن عفيفي خضري بك (ت ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م)، أصول الفقه، ط ٦، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

بك:
محمد فريد بن أحمد (ت ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط ٢، دار النفائس - بيروت ١٤٠٣هـ.

البكري:
عثمان بن محمد الدمياطي (توفي بعد ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م)، إعانة الطالبين، دار إحياء الكتب العربية - مصر.

البلاذري:
أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ.

البلخي:

عبد الله بن أحمد (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م) قبول الأخبار ومعرفة الرجال،

البلخي:

مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ/ ٧٦٧م) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق عبد الله محمود شحاتة، وزارة الثقافة المصرية – القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

البنا:

أحمد عبد الرحمن البنا (ت ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م) بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن محمد الشيباني، دار الناشر الحديث – القاهرة.

البنداري:

محمد البنداري، التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي، ط ١، دار عمار – عمان ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

بهجت:

مجاهد مصطفى، شعر الشافعي، مطبعة جامعة الموصل ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

البهي:

محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط ٢، دار القلم – القاهرة ١٩٦٠م.

البوطي:

محمد سعيد رمضان، فقه السيرة، ط ٣، دار الفكر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

بول ماس:

نقد النص، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط دار النهضة العربية – القاهرة (مطبوع مع النقد التاريخي).

بيك:

الخضري بك: تاريخ التشريع الإسلامي، الطبعة التاسعة، المكتبة التجارية الكبرى- مصر ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، تحقيق محي الدين الجراح، مطبعة منير – بغداد.

البيروني:

أبو الريحان حمد بن أحمد (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) الآثار الباقية عن القرون الخالية، ط ليبزك ١٩٢٣ تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.

الجماهر في معرفة الجواهر؟

البيضاوي:
عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العربية ١٣٣٠هـ.

البيهقي:
أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) السنن الكبرى، دار الفكر - بيروت.

التبريزي:
محمد بن عبد الله الخطيب (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط ٢، المكتب الإسلامي - دمشق ١٩٧٩م.

الترمذي:
محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٩٧هـ/ ٩١٠م) الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

تسهير:
كولد تسهير، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد موسى وآخرون، ط ٢، دار الكتب الحديثة - مصر.
المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، ترجمة علي حسن عبد القادر: الطبعة الأولى - القاهرة ١٩٤٤م.

التلمساني:
أحمد بن محمد المقري (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت ١٩٦٨م.

التلمساني:
علي بن محمد (ت ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية، تحقيق محمد أبو سلامة، لجنة التراث الإسلامي في وزارة الأوقاف - مصر ١٤٠١هـ.

التهانوي:
ظفر أحمد بن لطيف العثماني، إنهاء السكن لمن يطالع إعلاء السنن، كراتشي ١٣٨٣هـ.
قواعد في علوم الحديث، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثالثة، دار العلم - بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م

التونسي:
محمد بن خليفة، الخطر اليهودي، ط ٤، دار الكتاب العربي - بيروت.

الثعالبي:

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) جواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي)، مؤسسة الاعلمي - بيروت.

الثعالبي:

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، طبعة مصر ١٣٢٦هـ.

خاص الخاص، تقديم حسن الأمين، مكتبة الحياة-بيروت .

ثعلب:

أحمد بن يحيى بن زيد (ت ٢٩١هـ / ٩٠٤م) مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف ١٣٦٩هـ.

الجابري:

علي حسين، الفكر السلفي عند الشيعة الأثني عشرية، عويدات - بيروت ١٩٨٨م.

الجاحظ:

أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) البخلاء، تحقيق طه الحاجري، مطبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٥٨م.

البيان والتبين، تحقيق حسن الندوي، المطبعة الرحمانية - القاهرة ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م.

التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، ط ١، المطبعة الأميرية - القاهرة ١٩١٤م.

الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي - القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٦٤م.

مجموع رسائل الجاحظ، نشر ب. كروس ومحمد طه الحاجري - القاهرة ١٩٤٣م.

الجاربردي:

أحمد بن الحسن (ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م)، مجموعة الشافية من علمي الصرف والخط، عالم الكتب - بيروت (عن طبعة العامرة ١٣١٠هـ).

جب:

أ ر جب، علم التاريخ، ترجمة إبراهيم خورشيد مع آخرين، ط ١، دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٨١م.

جب:

هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٤م.

الجبهان:
إبراهيم سليمان، معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير، ط ٢، مطابع الريل ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

جبّور:
جبرائيل، ابن عبد ربه وعقده، ط ٢، دار الأفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٩م.

الجبوري:
يحيى، شعر عروة بن اذينة، مكتبة الأندلس - بغداد.

الجرجاني:
أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) كنايات الأدباء - مصر ١٩٠٨م.
الجرح والتعديل، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٧١هـ.

جرونيباوم:
غوستاف فون، الإسلام الحديث البحث عن الهوية الثقافية، منشورات جامعة كاليفورنيا ١٩٦٢م.
حضارة الإسلام، ترجمة عبد العزيز توفيق، دار مصر للطباعة.

الجزائري:
طه بن صالح (ت ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م) توجيه النظر إلى أصول الأثر، ط ١، مطبعة الجمالية ١٣٢٨هـ.

الجزري:
أبو الخير الجزري: محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٣٣هـ ١٤٢٩م) غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجشتر اسر، طبعة القاهرة ١٩٣٢-١٩٣٣م.
النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضّباع، دار الفكر للطبع والنشر.

الجصاص:
أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) أحكام القرآن، دار الكتاب العربي - بيروت.

الجمحي:
محمد بن سلام (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، ط مصر ١٩٥٢م.

جميل بثينة:
جميل بن عبد الله (ت ٨٢هـ /٧٠١م) ديوان جميل بثينة، تحقيق الدكتور حسين نصار - مصر ١٩٦٧م.

الجندي:

أنور الجندي، الإسلام والحضارة، المكتبة العصرية - صيدا.

الجهشياري:

محمد بن عبدوس بن عبد الله (ت ٣٣١هـ / ٩٤٣م) الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، البابي الحلبي - القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م.

الجوهري:

إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٩م) الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، ط ١، دار الحضارة العربية - بيروت ١٩٧٤م.

حاجي خليفة:

المولى مصطفى بن عبد الله الرومي (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دار الفكر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

الحازمي:

محمد بن موسى (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، دار إحياء شروط الأئمة الخمسة، مكتبة الشرق الجديد - بغداد (مطبوع مع شروط الأئمة الستة).

التراث العربي - بيروت ١٣٤٦هـ.

الحاكم:

محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م) المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

معرفة علوم الحديث، تحقيق السيد معظم حسين، ط ٣، دار الأفاق - بيروت ١٩٧٩م.

الحامي:

محمد أمين (ت ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م) تعليق الحامي على أصول الحسامي، طبعة الهند.

حتي:

فليب حتي، تاريخ العرب المطول، ط بيروت ١٩٦٥م.

الحجي:

عبد الرحمن علي، نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي، ط ١، دار الإرشاد - بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

الحديثي:

نزار عبد اللطيف، وآخرون، العراق في التاريخ، دار الحرية - بغداد ١٩٨٣م.

حسن:
حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط ٧، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م.

حسين:
طه حسين، حديث الأربعاء، ط القاهرة ١٩٣٧م.

حسين:
محمد محمد، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط القاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
حصوننا مهددة من داخلها - الكويت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

الحسيني:
شمس الدين محمد بن علي بن حسن (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م) الإكمال للحسيني، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعة جي، جامعة الدراسات الإسلامية - كراتشي ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
ذيل تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي (مطبوع مع تذكرة الحفاظ).

الحلبي:
برهان الدين إبراهيم بن محمد (ت ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م) الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، تحقيق صبحي السامرائي - بغداد ١٩٨٢م.

الحلبي:
محمد بن محمد (ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) كتاب التقرير والتحبير، ط ١، دار الفكر - بيروت ١٩٩٦م.

الحلي:
تقي الدين، الحسن بن علي بن داود، كتاب الرجال، مطبعة جامعة طهران ١٣٤٢هـ.
حلية الأولياء، المكتبة السلفية.

حمزة:
محمد عبد الرزاق، ظلمات أبي ريه امام أضواء السنة المحمدية، ط السلفية ١٣٧٩هـ.

الحموي:
أبو الفضائل، محمد بن علي (كان حيا سنة ٦٣٠هـ) التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، نشر بطرس غرياز نويج - موسكو ١٩٦٠م.

الحموي:
شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم الأدباء، دار المشرق - بيروت.

معجم البلدان، دار صادر - بيروت.

الحميدي:

عبد الله بن الزبير الأزدي (ت ٢١٩هـ / ٨٣٤م) مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت.

الحميدي:

محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي (ت ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) جذوة المقتبس، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، مصر ١٩٥٢م.

الحنبلي:

ابن عماد عبد الحي بن عماد (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط ٢، دار المسيرة - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

الحنفي:

عثمان بن عبد الله (ت ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م) الفرق المتفرقة بين أهل الزيغ والزندقة، تحقيق بشار قوتلو آي - انقرة ١٩٦١م.

الحوفي:

أحمد بن محمد، الطبري، طبعة المؤسسة المصرية - القاهرة.

الحيدر آبادي:

محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ط ٢، لجنة التأليف - القاهرة ١٩٥٨هـ.

الخازن:

علاء الدين، علي بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٤١هـ / ١٢٤٣م)، لباب التأويل (تفسير الخازن)، مطبعة دار الكتب العلمية الكبرى - مصر.

الخراساني:

سلطان محمد بن حيدر الجنابذي، بيان السعادة في مقامات العبادة، طبعة طهران ١٣١٤هـ.

الخربوطلي:

علي حسين، منهج المسعودي في كتابة التاريخ، دار المعارف - مصر ١٩٦٨م.

الخزاعي:

دعبل بن علي بن رزين (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) ديوان دعبل الخزاعي، تحقيق عبد الصاحب الدجيلي - النجف ١٣٨٢هـ.

الخزرجي:
صفي الدين أحمد بن عبد الله (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، ط ٢، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م (مصورة عن ط بولاق ١٣٠١هـ).

الخزرجي:
عاتكة الخزرجي، ديوان العباس بن الاحنف - القاهرة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

الخطابي:
حمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) معالم السنن، تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنة - القاهرة.

الخطيب:
أبو بكر أحمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م) الاحتجاج بالشافعي، تحقيق خليل إبراهيم ملا خاطر، المكتبة الاثرية - باكستان.
تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي - بيروت.
تقييد العلم، تحقيق: يوسف العش - دمشق ١٩٤٩م.
الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمد رأفت سعيد، مكتبة الفلاح - الكويت ١٩٨١م.
الرحلة في طلب الحديث، تحقيق: نور الدين عتر، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
شرف أصحاب الحديث، تحقيق: محمد سعيد اوغلي، دار إحياء السنة النبوية.
الفقيه والمتفقه، تصحيح: الشيخ إسماعيل الأنصاري، دار إحياء السنة النبوية ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
الكفاية في علم الرواية، مراجعة: عبد الحليم محمد وعبد الرحمن حسن، ط ١، مطبعة السعادة - القاهرة.
موضح اوهام الجمع والتفريق، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعه جي، ط ١، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٧هـ.

الخطيب:
محب الدين الخطيب، حملة رسالة الإسلام الاولون، ط النواعير - الرمادي ١٩٩١م.

الخطيب:
محمد عجاج، السنة قبل التدوين، ط ٢، دار الفكر - القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

خليل:
عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط ٤، شركة آسيا - نينوى ١٩٨٦م.

حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ط ١، دار الثقافة - قطر ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
دراسة في السيرة، ط ٧، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
في التاريخ الإسلامي مواقف ودراسات، ط ٢، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الخوئي:
أبو القاسم الموسوي، معجم رجال الحديث، ط ١، مطبعة الآداب - النجف ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

الخوارزمي:
محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) مفاتيح العلوم، ط فإن فلوتن.

الخياط:
عبد الرحيم بن محمد بن عثمان (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق: نيبرج - القاهرة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م.
دار الكتب الإسلامية - طهران ١٣٨٧هـ.

الدار قطني:
علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٨م) سنن الدار قطني، عالم الكتب - بيروت.

الدارمي:
عثمان بن سعيد بن خالد (ت ٢٨٠هـ/ ٨٩٤م) سنن الدارمي، ط كانفور.

الداودي:
شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) طبقات المفسرين، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الدباغ:
أديب إبراهيم، حركة التاريخ بين النسبي والمطلق، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

دحلان:
أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في أمراء البيت الحرام، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
الدر المنثور، دار الفكر - بيروت.

الدردير:
أحمد بن محمد (ت١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م) الشرح الصغير على أقرب المسالك، دار المعارف - مصر.

دروزة:
محمد عزت، سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم، ط ٢، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٦٥م.

درويش:
محمود درويش، مختارات من كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٩م.

الدسوقي:
محمد بن أحمد بن عرفة (ت ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، مطبعة عيسى الحلبي.

دكسن:
عبد الأمير، الخلافة الأموية - بيروت ١٩٧٣م.

الدوري:
عبد العزيز الدوري، أخبار الدولة العباسية، دار صادر - بيروت.
بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٠م.
العصر العباسي الأول - دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي، مكتبة الانجلو مصرية - القاهرة ١٩٧٣م.

دوزي:
رينهارد بيتر آن (ت ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م) تاريخ الاندلس وآدابه، ط ٣ - ليدن ١٨٨١م.
الدولة العربية وسقوطها، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة - القاهرة ١٩٥٨م.

دي بور: ت. ج:
تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية.

الديار بكري:
حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م) تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس - دار صادر - بيروت.

الديلمي:
محمد بن الحسن، بيان مذهب الباطنية وبطلانه، اعتناء ر. شد. وطهان، مطبعة الدولة - استانبول ١٩٣٨م.

الذهبي:

شمس الدين محمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الاعلام، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام التدمري، ط ١، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي (مصورة عن طبعة حيدر آباد الدكن) ١٩٥٦م.

ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق، تحقيق محمد شكور بن محمود الميادينى، ط ١، مكتبة المنار - الزرقاء ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الاسد، ط ٤، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

طبقات المحدثين، تحقيق: همام عبد الرحيم، ط ١، دار الفرقان - عمان ١٤٠٤هـ.

العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد وفؤاد لبيد - الكويت ١٩٦٠ - ١٩٦٦م.

الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، دار الكتب العلمية - بيروت.

كتاب الكبائر، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

المغني في الضعفاء، دار المعارف - حلب.

المقتنى في سرد الكنى، تحقيق: محمد صالح المراد، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٤هـ.

المنتقى في منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٧٤هـ.

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.

الذهبي:

محمد حسين، التفسير والمفسرون، ط ٢، دار الكتب الحديثة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

ذو الرمة: غيلان بن عقبة بن نهبس (ت ١١٧هـ / ٧٣٥م) ديوان ذو الرمة، ط دمشق ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

رؤوف:

عماد عبد السلام، وآخرون، الصراع العراقي الفارسي، دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٨٣م.

الرازي:

أبو حاتم أحمد بن حمدان، توفي بعد القرن الثالث، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية (القسم الثالث)، تحقيق: الدكتور عبد الله سلوم، ط ٢، الدار العربية - بغداد ١٩٨٢م (مطبوع مع كتاب الغلو والفرق الغالية).

الرازي:

فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق علي سامي النشار، ط القاهرة ١٩٣٨م.

التفسير الكبير (المشهور بمفاتيح الغيب)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١، المطبعة المصرية ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

الرازي:

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م) مختار الصحاح، ط ١، دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٧٩م.

الرافعي:

تاريخ آداب العرب، ط مصر ١٣٣٠ - ١٣٣٢هـ.

الرامهرمزي:

حسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، ط ١، دار الفكر - بيروت ١٣٩١هـ.

راوس: أ. ل. راوس، :

التاريخ أثره وفائدته، ترجمة: مجد الدين حفني ناصف، مؤسسة سجل العرب - القاهرة ١٩٦٨م.

الربعي:

محمد بن عبد الله بن أحمد، (٣٧٩هـ/ ٩٨٩م)، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: عبد الله أحمد، ط ١، دار العاصمة - الرياض ١٤١٠هـ.

رستم:

أسد رستم، مصطلح التاريخ، ط ٣، المطبعة العصرية - صيدا.

الرصافي:

معروف بن عبد الغني، ديوان الرصافي، تحقيق: مصطفى علي، دار الحرية للطباعة - بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

رضا:

محمد رشيد بن علي (ت ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) مطبعة المنار ١٣٤٦هـ.

الروداني:

محمد بن سليمان (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م) جمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوائد، ط ١، سيرفي برس - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

روزنثال:

فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٣م.

رونلدسن:

عقيدة الشيعة، ط القاهرة ١٩٤٦م.

مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة - بيروت ١٩٦١م.

الريس:

محمد ضياء الدين، النظريات السياسية الإسلامية - القاهرة ١٩٦٦ - ١٩٦٧م.

الزاوي:

طاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، الطبعة الثانية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

الزبيدي:

تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

الزبيري:

مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥١م) كتاب نسب قريش، تحقيق: أ. ليفي بروفنسال، دار المعارف - مصر ١٩٥٣م.

الزرقاني:

محمد بن عبد الباقي بن يوسف (ت ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م) شرح المواهب اللدنية، ط بولاق ١٢٩١هـ.

شرح الموطأ، طبعة القاهرة ١٣١٠هـ.

الزرقاني:

محمد بن عبدالعظيم، الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر.

الزركشي:

بدر الدين محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط ٢، المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

الزركلي:

خير الدين بن محمود بن محمد (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) الإعلام، ط ٢، كوستاتوماس وشركاءه، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧.

زريق:

قسطنطين زريق، نحن والتاريخ، ط بيروت ١٩٥٩م.

الزعبي:
محمد عفيف، ديوان الإمام الشافعي، دار النور - بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
زكي:
محمد أمين (ت ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) مشاهير الكرد وكردستان، طبعة مصر، ١٩٣٧م.
الزمخشري:
جاد الله محمود بن عمر (ت ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م) أساس البلاغة، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م.
تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي - بيروت.
المستقصى في أمثال العرب، الطبعة الثانية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٨٧م.
زيدان:
جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، تعليق: حسين مؤنس، مطابع دار الهلال ١٩٥٨م.
الزيدان:
عبد الكريم الزيدان، الوجيز في أصول الفقه، ط ٦، الدار العربية للطباعة - بغداد ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
الزيلعي:
عبد الله بن يوسف (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م) تبين الحقائق في شرح كنز الدقائق، مطبعة دار المعرفة.
نصب الراية لأحاديث الهداية، تحقيق، محمد يوسف البنوري، دار الحديث - مصر ١٣٥٧هـ.
سالم:
السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧١م.
السامرائي:
عبد الله سلوم، الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية، المؤسسة العراقية - بغداد.
الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ط ٢، الدار العربية - بغداد ١٩٨٢م.
السباعي:
مصطفى السباعي، الاستشراف والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ط ١، مكتبة دار البيان - الكويت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٨م.
السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط ٣، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

سبط ابن الجوزي:
جمال الدين يوسف بن فرغل (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، ط حيدر آباد - الدكن ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

السبكي:
تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) جمع الجوامع، المطبعة الخيرية ١٣٠٨هـ.
طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية ١٣٢٤هـ.
قاعدة في الجرح والتعديل، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب (مطبوع مع الرفع والتكميل).
قاعدة في المؤرخين، ط ٢، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م (مطبوع مع الرفع).

السبكي:
علي عبد الكافي (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) الإبهاج بشرح المنهاج، ط ١١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٤هـ.
شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ط ٢، دار الأفاق الجديدة - بيروت ١٩٧٨م.

السجستاني:
سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م) سنن أبي داود، دار الحديث - القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

السخاوي:
محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبعة الترقي - دمشق ١٣٤٩هـ.
فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، طبعة أنوار محمدي، لكنو - الهند ١٣٠٣هـ.
فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ط ١، القاهرة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م.

السرخسي:
محمد بن أحمد (ت ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م) أصول السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الافغاني، دار المعرفة - بيروت.
المبسوط، الطبعة الثالثة، دار المعرفة - بيروت.

سركيس:
يوسف اليان (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) معجم المطبوعات العربية والمعربة، ط مصر ١٣٤٦هـ/ ١٩٣٨م.

سزكين:

فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠م.

السقا:

أحمد حجازي، لا نسخ في القرآن، ط ١، دار الثقافة العربية - القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

السكري:

أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة- القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

السكسكي:

عبد الوهاب بن عبد الرحمن، طبقات صلحاء اليمن، تحقيق: عبد الله محمد، ط ٢، مكتبة الإرشاد - صنعاء ١٩٩٤م.

السمرقندي:

محمد بن محمد بن محمود (ت ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) شرح الفقه الأكبر، مراجعة عبد الله بن إبراهيم، المكتبة العصرية - بيروت.

السمعاني:

عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م)، أدب الإملاء والاستملاء، تحقيق: ماركس فايسفايلر، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

الأنساب، تصحيح عبد الرحمن معلمي اليماني، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية - الدكن ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

السندي:

أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي (ت ١١٣٨هـ/ ١٧٢٦م) حاشية السندي على البخاري، المطبعة الميمنية - القاهرة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م.

السهسواني:

محمد بشير الهندي (ت ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، ط ٤، مطابع القصيم - الرياض ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

السهيلي:

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) الروض الانف، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة.

السوداني:
مزهر السوداني، جحظة البرمكي، ط النعمان - النجف ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
السويكت:
سليمان: منهج المسعودي في كتابة التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
السيوطي:
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)
ألفية السيوطي في علوم الحديث، تصحيح وشرح: أحمد شاكر، مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٣٤م.
الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، ط ٢، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مطبعة البابي الحلبي ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢، القاهرة ١٩٦٤م.
تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، ط الخيرية ١٣٠٧هـ.
تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، تحقيق: محمد الصباغ، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
تعقيبات السيوطي على موضوعات ابن الجوزي، مطبعة المحمدي - لاهور ١٣٠٥هـ.
تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، المكتبة الثقافية - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، ط ١، دار الفكر - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
شرح السيوطي على النسائي (مطبوع مع سنن النسائي).
شرح سنن ابن ماجه، قديمي كتب خانه - كراتشي.
الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق: محمد بن إبراهيم الشيباني، الدار السلفية - الكويت ١٣٩٩هـ.
طبقات الحفاظ، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ.
اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، المكتبة التجارية - القاهرة.
لباب النقول في أسباب النزول، مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة.
المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط الحلبي ١٣٦١هـ.
مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة، مطبعة الزمان - بغداد.

شاخت وبوزورث:

تراث الإسلام، ترجمة: محمد زهير السمهوري، تحقيق: شاكر مصطفى، ط الكويت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

الشافعي:

محمد بن ادريس (ت ٢٠٤هـ / ٨٢٠م) الام، تصحيح: محمد زهري النجار، ط ٢، مطبعة دار المعرفة - بيروت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر، ط البابي الحلبي - مصر.

شاكر:

أحمد محمد، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ط ١، دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الشبلنجي:

مؤمن بن حسن (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٨٩١م)، نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار، طبعة مصطفى محمد مصطفى - القاهرة ١٣٣٤هـ.

الشبيبي:

محمد رضا، مؤرخ العراق ابن الفوطي، ط التفيض - بغداد ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م.

الشربيني:

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد (ت ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

شريعتي:

علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، إصدار ١٩٧٣م (مترجم).

شريف المرتضى:

علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م) امالي المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي - مصر ١٩٥٤م.

الشعراني:

عبد الوهاب بن أحمد (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥م) لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.

اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، المطبعة الميمنية ١٣١٧هـ.

شعوط:
إبراهيم علي، أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ، ط ٥، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الشكعة:
مصطفى، الأئمة الأربعة، ط ٢، دار الكتاب المصري - القاهرة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

شلبي:
أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط ٣، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٦م.

الشهرستاني:
أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م) الملل والنحل، ط ٢، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

الشوكاني:
محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) إرشاد الفحول، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٥٦هـ.
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة - بيروت.
فتح القدير، دار الفكر - بيروت.
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة.
نيل الاوطار من أحاديث سيد الأخيار، دار الحديث - القاهرة.

الشيبي:
كامل مصطفى، الصلة بين التشيع والتصوف - بغداد ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.

الشيرازي:
أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) طبقات الفقهاء، تحقيق احسان عباس - بيروت ١٩٧٠م.

الصابوني:
عبد الرحمن، مدى حرية الزوجين في الطلاق في الشريعة الإسلامية، ط ٢، دار الفكر ١٩٦٨م.

الصابي:

ثابت بن سنان بن قرة (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٦م) تاريخ أخبار القرامطة، تحقيق سهيل زكار، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

الصارم:

سمير، أبو العلاء المعري حياته، شعره، الناشر دار كريم.

الصالح:

صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، ط ٤، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.

الصباغ:

محمد، الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، علومه، كتبه، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الصفدي:

صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) شرح لامية العجم، المطبعة الأزهرية - مصر ١٣٠٥هـ.

الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ربتروس - دمشق ١٩٥٣م.

الصنعاني:

عبد الرزاق بن همام بن نافع (ت ٢١١هـ/ ٨٢٧م) مصنف عبد الرزاق، المكتب الإسلامي.

الصنعاني:

محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م) توضيح الأفكار شرح تنقيح الانظار، مطبعة السعادة ١٣٦٦هـ.

الصواف:

محمد محمود، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، دار الاعتصام - القاهرة.

الصولي:

إبراهيم بن العباس بن محمد (ت ٢٤٣هـ / ٨٥٧م) أدب الكتاب، تحقيق: محمد بهجة الاثري، مطبعة المكتبة السلفية - القاهرة ١٣٤١هـ.

أشعار أولاد الخلفاء، نشر ج. هيورث. دن، ط ٣، دار المسيرة - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨٣م.

الصولي:

شرح ديوان أبي تمام، تحقيق خلف رشيد نعمان، وزارة الثقافة والإعلام - بغداد ١٩٧٨م.

الضبعي:
المتلمس، جرير بن عبد العزى (أو عبد المسيح)، (توفي نحو ٥٠ ق.هـ / ٥٦٩م) ديوان شعر المتلمس، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

الضبي:
ابن عمير، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٤م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس، مطبعة روحس - مجريط ١٨٨٤م.

ضيف:
شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ط ٢، دار المعارف - مصر.

طاشكبري زادة:
أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ / ١٥٦١م) الشقائق النعانية (العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم)، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٩٥هـ.

الطبراني:
سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م) المعجم الصغير، المطبعة السلفية.
المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد الحميد السلفي، ط ٢، مطبعة الزهراء - الموصل ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الطبرسي:
أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) الاحتجاج، مطابع النعمان - النجف ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

الطبرسي:
حسين بن محمد تقي النوري (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م) فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الأرباب، طبعة إيران ١٢٩٨هـ.

الطبري:
محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٤، دار المعارف - القاهرة.
جامع البيان لتفسير القرآن، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (مصورة عن ط بولاق).

الطحاوي:
أحمد بن محمد بن سلامة (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م) مشكل الاثار، دار المعارف، حيدر آباد - الدكن ١٣٣٣هـ.

الطرابلسي:
إبراهيم بن محمد (ت ٨٤١هـ / ١٤٣٧م) من رمي بالاختلاط، تحقيق: علي حسن علي، الوكالة العربية - الزرقاء.

طنطاوي:
محمد سيد، بنو إسرائيل في القرآن الكريم والسنة، ط ٢، دار مكتبة الاندلس - بنغازي ليبيا ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

الطوسي:
أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ / ١٠٨٧م) تهذيب الأحكام، تحقيق: حسن الخرسان، ط ٣، دار الكتب الإسلامية - طهران.

الطيالسي:
سليمان بن داود بن جارود (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م) مسند الطيالسي، دار المعرفة - بيروت.

الطيبي:
الحسين بن محمد (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٩٧١.
ظهر الإسلام، ط ٥، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

عالمكير:
محي الدين محمد اورنك، الفتاوى الهندية، ط ٣، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م (مصورة عن طبعة بولاق ١٣١٠هـ).

العاملي:
محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢م) وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ط ٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

العاني:
حسن فاضل زعين العاني، سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية، مؤسسة ايف - بيروت ١٩٨١م.

العاني:
محمد جمال الدين، الذريعة لازالة شبه كتاب الشيعة، دمشق ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

عبد الخالق:
عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، مطبعة منير - بغداد.

عبد السلام:

عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م) قواعد الأحكام في مصالح الانام، تعليق: طه عبد الرؤوف، ط ٢، دار الجيل ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

عبد العال:

محمد جابر، حركات الشيعة المتطرفين واثرهم في الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق ابان العصر العباسي الأول، مطبعة السنة المحمدية - مصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

عبد القادر:

حامد، قصة الأدب الفارسي، مكتبة النهضة - القاهرة ١٩٥١م.

عبد القادر:

علي حسن، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، ط ٢، مطبعة العلوم - مصر ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

العبدري:

محمد بن يوسف (ت ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) التاج والاكليل، ط ٢، دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ.

عبده:

محمد عبده، نهج البلاغة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات - بيروت.

عتر:

نور الدين، الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين، ط ١، لجنة التاليف ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

منهج النقد في علوم الحديث، الطبعة الثالثة، دار الفكر المعاصر بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م.

عثمان:

فتحي عثمان، اضواء على التاريخ الإسلامي، دار العروبة ١٩٥٦م.

العجلوني:

إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي (ت ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م) كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، مكتبة التراث.

العجلي:

أحمد بن عبد الله (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م)، معرفة الثقات، تحقيق: عبد العليم البستوبي، مكتبة الدار - المدينة المنورة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

العدوي:
إبراهيم أحمد، التاريخ الإسلامي أفاقه السياسية وأبعاده الحضارية، الشركة المتحدة - القاهرة.
العدوي:
علي بن أحمد بن مكرم (ت ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م) لقط الدرر بشرح نخبة الفكر، مطبعة التقدم ١٣٢٣هـ.
العراقي:
عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن (ت ٨٠٦هـ / ١٤٠٤م) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ١، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي - المدينة المنورة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
شرح ألفية العراقي (المسماة بالتبصرة والتذكرة) طبعة - فاس ١٣٥٤هـ.
شرح العراقي على مقدمة ابن الصلاح، المطبعة العلمية - حلب ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م.
فتح المغيث بشرح ألفية الحديث مطبوع على الحجر في لكناو عام ١٣٠٣هـ.
عرسان:
ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط ١، دار السعودية - جدة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
عرموش:
أحمد راتب، الفتنة ووقعة الجمل، ط ٤، دار الفائس - بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
العريان:
حمد محمد، إباحة المدينة وحريق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية بين المصادر القديمة والحديثة، ط ٢، مكتبة ابن تيمية.
العزي:
ماجد أحمد، ديوان إسحاق الموصلي - بغداد ١٩٧٠م.
العسقلاني:
ابن حجر أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة مصطفى محمد - مصر.
الإصابة في تمييز الصحابة، ط ١، ١٣٢٨هـ.
تهذيب التهذيب، ط ١، دار المعارف - حيدر آباد الدكن ١٣٢٦هـ.

تقريب التهذيب، ط ٢، دار المعرفة - بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
تعجيل المنفعة، تحقيق: اكرام الله امداد الحق، ط ١، دار الكتاب العربي - بيروت.
الدراية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق، السيد عبد الله هاشم اليماني، دار المعرفة - بيروت.
تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تصحيح: عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة ١٩٦٤م
الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حيدر آباد - الدكن ١٣٤٨هـ.
شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المطبعة السلفية - المدينة المنورة.
القول المسدد في الذب عن مسند أحمد، حيدر آباد الدكن ١٣١٩هـ.
الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، دار الكتاب العربي - بيروت (بهامش تفسير الكشاف).
المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ط ١، المطبعة العصرية - الكويت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
مقدمة فتح الباري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون، دار المعرفة - بيروت ١٣٧٩هـ.
لسان الميزان، ط ٢، مؤسسة الاعلمي - بيروت ١٣٩٠هـ.
نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز محمد السديدي، ط ١، مكتبة الرشيد - الرياض ١٩٨٩م.
النكت على ابن الصلاح، تحقيق بسيع بن هادي عمير، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ م.
هدي الساري مقدمة فتح الباري، ط المنيرية ١٣٤٧هـ.

العسكري:

أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) الأوائل، دار آمل - طنجة ١٩٦٦م.
تصحيفات المحدثين، تحقيق: محمود أحمد ميرة، ط ١، المكتبة الحديثة - القاهرة ١٤٠٣هـ.
كتاب جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، الطبعة الثانية، الناشر: دار الفكر، ١٩٨٨م.
الفروق في اللغة، الطبعة الثالثة، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

العسكري:

مرتضى العسكري، عبد الله بن سبأ، ط ٢، مطبوعات النجاح - القاهرة ١٣٧٥هـ.

العسلي:
خالد، جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي، مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٥م.
العش:
يوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر - دمشق ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م (اعادة ط ١ ١٩٨٢م).
العصفري:
خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرم العمري، ط ١، مطبعة الآداب - النجف ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.
كتاب الطبقات، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط ١، مطبعة العاني - بغداد ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
عطوان:
حسين عطوان، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأول، دار الجيل - بيروت.
العظيم آبادي:
محمد شمس الدين، عون المعبود، ط ٢، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ.
العقاد:
عباس محمود، إسلاميات، دار الشعب - مصر.
العقيلي:
محمد ارشيد، الشيعة نشأتها وتطورها حتى أواسط القرن الثالث الهجري، ط ١ - عمان ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
العقيلي:
محمد بن عمر (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) الضعفاء الكبير (المشهور بضعفاء العقيلي)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعه جي، دار المكتبة العلمية - بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
العلائي:
صلاح الدين بن خليل بن كيكلدي (ت ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م) جامع التحصيل في احكام المراسيل، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط ١، دار العربية - بغداد ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
كتاب المختلطين، تحقيق:رفعت فوزي وعلي عبد الباسط، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٩٦م.

علي:

جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط بغداد ١٩٥٠م.

العلي:

صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب، ط ٣، مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٤م.

العلي:

عبد المنعم صالح، دفاع عن أبي هريرة، ط ١، مكتبة النهضة - بغداد ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

العمري:

أكرم ضياء العمري، بحوث في تاريخ السنة المشرفة، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

السيرة النبوية الصحيحة، ط ٥، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

عصر الخلافة الراشدة، ط ١، مكتبة العبيكان ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

المجتمع المدني في عهد النبوة، ط ١، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

عواد:

ميخائيل عواد، مخطوطات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

العواصم من القواصم، تحقيق محب الدين الخطيب، ط ٥، المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٩٩هـ.

العودة:

سليمان بن حمد، عبد الله بن سبأ واثره في احداث الفتنة في صدر الإسلام، ط ١، دار طيبة - الرياض ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

نزعة التشيع وأثرها في الكتابة التاريخية، الطبعة الثانية - الرياض ١٤١٥هـ.

العيدروسي:

عبد القادر بن شيخ عبد الله (ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ط بغداد ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

العيني:

محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) البناية في شرح الهداية، طبعة نولشكور - الهند ١٢٩٣هـ.

غربال:

محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة - لبنان ١٩٨٠م.

الغريري:
صبري أحمد لافي، الحركة الفكرية العربية في اصفهان في القرون الستة الأولى من تاريخ الإسلام، مطبعة الخلود - بغداد ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

الغزالي:
أحمد عبد المجيد، ديوان أبي نواس، ط مصر ١٩٥٣م.

الغزالي:
محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الكتاب العربي - مصر.

الغزالي:
محمد بن محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت.
المستصفى من علم الأصول، طبعة مصر.
الغزي محمد بن القاسم (ت ٩١٨هـ / ١٥١٢م) فتح القريب المجيب، منشورات مكتبة المثنى - بغداد.

الغضبان:
منير محمد، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط ٣، مكتبة المنار - الزرقاء ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

فتاح:
عرفان عبد المجيد، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، مطبعة اسعد - بغداد.

الفتني:
محمد طاهر الصديقي (ت ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م) تذكرة الموضوعات، دار السعادة - اسطنبول ١٣٠٨هـ.

الفراهيدي:
الخليل بن أحمد: كتاب الجمل في البحث، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٥م.

فلهوزن:
يولس فلهوزن، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٨.

فلوتن:
فإن فلوتن، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة: حسن إبراهيم ومحمد زكي، ط ٢، مكتبة النهضة - القاهرة ١٩٦٥م.

فهد:

بدري محمد، شيخ الأخباريين أبو الحسن المدائني، مطبعة القضاء - النجف ١٩٧٥م.

الفهرست في كتب الشيعة - النجف ١٣٥٦هـ.

فوزي:

فاروق عمر، التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، دار آفاق عربية - بغداد ١٩٨٥م.

في الأدب الجاهلي، ط القاهرة ١٩٥٨م.

الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية، ط ٢، بغداد ١٩٧٧م.

خليفة بن خياط مؤرخا، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٨ م

الخمينية وصلتها بحركات الغلو الفارسية وبالإرث الباطني، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد.

دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط ١، دار عمار - عمان ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

طبيعة الدعوة العباسية، ط ١، دار الارشاد - بيروت ١٩٧٠م.

مباحث في الشعوبية، نقابة المعلمين - بغداد ١٩٨٩م.

فياض:

عبد الله فياض، التاريخ فكرة ومنهجا، مطبعة اسعد - بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الفيروز آبادي:

مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، ط ١، جمعية احياء التراث الإسلامي - الكويت ١٤٠٧هـ.

القاموس المحيط ترتيب الشيخ طاهر التراوي، ط ٣، الدار العربية للكتاب - ليبيا ١٩٨٠م.

المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد الجاسر، ط ١، دار اليمامة - الرياض ١٣٨٩هـ.

القاري:

علي القاري، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، تحقيق: محمد الصباغ، ط ١، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧١م.

المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، تحقيق، عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

القاسمي:

جمال الدين بن محمد سعيد (ت ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، مطبعة ابن زيدون - دمشق ١٣٥٣هـ/ ١٩٢٥م.

القدسي:
حسام الدين، انتقاد المغني عن الحفظ والكتاب، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مطبعة الترقي - دمشق ١٣٤٣هـ.

القدسي:
محمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) المسامرة بشرح المسايرة، ط ١، دار الدعوة - استنبول ١٩٧٩م.

القدوري:
إبراهيم بن محمد بن معروف بابا خواجه الحسيني (ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م)، ينابيع المودة، طبعة الاعلمي - بيروت.

القرشي:
إدريس عماد الدين (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) عيون الأخبار وفنون الآثار، تحقيق: مصطفى غالب، دار التراث الفاطمي - بيروت ١٩٧٣م.

القرطبي:
محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م) الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٦م.

القزويني:
عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م) التدوين في ذكر أخبار قزوين، تحقيق: عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٧م.

القسطلاني:
أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، المطبعة الأميرية ١٣٢٥هـ.

القشيري:
مسلم بن حجاج (ت ٢٦١هـ / ٨٧٦م)، التمييز، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط ٣، مكتبة الكوثر - المربع السعودية ١٤١٠هـ.
صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
صحيح مسلم ، شرح النووي، ط ٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
الكني والأسماء، تحقيق عبد الرحيم محمد، الطبعة الأولى، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة ١٤٠٢هـ

المنفردات والوحدان، تحقيق: عبد الغفار سليمان، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

القضاة :

أحمد مصطفى علي، الشريعة الإسلامية والفنون، ط ١، دار الجيل - بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

قطب:

سيد قطب، في التاريخ فكرة ومنهاج، ط ٣، دار الشروق - بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

في ظلال القرآن، ط ٩، دار الشروق - بيروت ١٩٨٠م.

قطب:

محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ط ١، دار الكتاب الإسلامي ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

القفال:

سيف الدين محمد بن أحمد الشاشي (ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م) حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق: ياسين أحمد إبراهيم، ط ١، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

القفطي:

جمال الدين، علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) انباه الرواة على انباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.

قلعه جي:

قدري قلعه جي، صلاح الدين الايوبي، ط ٥، دار الكتاب العربي ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

القلقشندي:

أبو عباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨) صبح الاعشى في صناعة الانشا، وزارة الثقافة المصرية (مصورة عن الطبة الاميرية).

مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج،ط٢ ،دار النشر / مطبعة حكومة الكويت - الكويت – ١٩٨٥م .

القمي:

سعد بن عبد الله، أبي خلف (ت ٣٠٠هـ/ ٩١٣م) المقالات والفرق، مؤسسة مطبوعاتي - طهران ١٩٦٣م.

القمي:

عباس القمي، الكنى والألقاب، المطبعة الحيدرية - النجف ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م.

القمي:

عباس بن محمد رضا، سفية بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار، ط النجف ١٣٥٥هـ.

القمي :

محمد بن علي بن الحسين [ابن بابويه القُمِّي] (ت ٣٨١هـ/ ٩٩١م)

من لا يحضره الفقيه، ط ٥، دار الكتب الإسلامية - طهران ١٣٩٠هـ.

القنوجي:

صديق بن حسن (ت ١٣٠٧هـ / ١٩٨٩م) أبجد العلوم، تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٨م.

القهبائي:

زين الدين المولى عناية الله علي، مجمع الرجال، تحقيق: الحاج ضياء الدين (الشهير بالعلامة الأصبهاني) طبعة اصفهان ١٣٨٤هـ.

القيعي:

محمد عبد المنعم، نظرات في السنة، ط ١، مكتبة الكليات الازهرية - القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

الكاتب:

أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ط ١، دار الشورى - لندن ١٩٩٧م.

كارل:

اللكسي كارل: الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق اسعد، ط ٤، مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الكاشاني:

الفيض الكاشاني، الوافي، المكتبة الإسلامية - طهران.

الكاشف:

السيدة إسماعيل، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٧٦م.

الكاظمي:

محمد مهدي، احسن الودعية في تراجم أشهر مشاهير مجتهدي الشيعة، ط بغداد ١٣٤٧هـ.

الكافيجي:

محي الدين محمد بن سليمان بن سعد الرومي (ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) رسالة الكافيجي في علم التاريخ، تحقيق: الدكتور صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى - بغداد ١٩٦٣م (مطبوع مع علم التاريخ عند المسلمين).

الكتاني:

عبد الحي بن عبد الكبير، نظام الحكومة النبوية (المسمى التراتيب الادارية)، دار الكتاب العربي - بيروت.

الكتاني:

محمد بن جعفر (ت ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، ط ٣، دار الفكر - دمشق ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م.

الكتبي:

محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) فوات الوفيات، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - مصر ١٩٥١م.

كحالة:

كحالة: عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار العلم للملايين - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م

عمر رضا، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت.

الكحلاني:

محمد بن إسماعيل (ت ١١٨٢هـ/ ١٧٧٠م) سبل السلام، ط ٤، دار إحياء التراث العربي ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

كريمر:

فون، الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية، ترجمة: مصطفى طه، دار الفكر العربية - القاهرة ١٩٤٧م.

الكشي:

محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م) معرفة أخبار الرجال، المطبة المصطفوية - بومباي ١٣١٧هـ.

الكليني:
محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤١م) روضة الكافي، طبعة النجف ١٣٨٥هـ.
الكافي في الأصول، مطبعة الحيدري - طهران.
الكافي في الفروع، ط الهند.
الكافي: تحقيق: علي أكبر غفاري، الطبعة الثانية، دار الكتب الإسلامية - آخوندي، ١٣٨٩هـ
كمال:
أحمد عادل، الطريق إلى دمشق، مطبعة دار النفائس، ط ٢، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
الكناني:
أحمد بن أبي بكر (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٣م)، مصباح الزجاجة، ط ٢، دار العربية - بيروت.
كنجو:
خالص جلبي، الطب محراب الإيمان، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
الكندي:
محمد بن يوسف بن يعقوب (توفي حوالي ٣٥٠هـ/ ٩٦٤م) كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨م.
الكوثري:
محمد زاهد بن حسن (ت ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م) تانيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب، ط ١، مطبعة الانور - مصر ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م.
حسن التقاضي في سيرة الإمام يوسف القاضي، مطبعة الأنوار ١٣٦٨هـ.
فقه أهل العراق وحديثهم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ١، مكتب المطبوعات الإسلامية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
المقالات، طبعة الأنوار ١٣٧٣هـ.
الكوفي:
أحمد بن اعثم (توفي بحدود ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، الفتوح، دار الندوة الجديدة - بيروت (مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، ط ١، حيدر آباد الدكن)
كولنجود:
فكرة التاريخ، ترجمة: محمد بكير خليل - القاهرة ١٩٦١م.

اللكنوي:

عبد العلي بن ملا نظام الدين (ت ١٢٢٥هـ/ ١٨٠٩م) فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، ط بولاق ١٣٢٢هـ.

اللكنوي:

محمد عبد الحي الهندي (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م) الأجوبة الفاضلة للاسئلة العشرة الكاملة، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، مكتب المطبوعات الإسلامية - روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

لوبون:

غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، ط ٤، البابي الحلبي ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

فلسفة التاريخ، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف - مصر.

مؤنس:

حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط ١، مطابع تين واه - سنغافورة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ماجد:

عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، ط ٣، مطابع سجل العرب - القاهرة.

مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

ماسينيون:

لويس ماسينيون، عاطفة الحلاج الشهيد الصوفي في الإسلام، ط باريس ١٩٢٢م.

المالكي:

حسن بن فرحان، نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي، ط ٢، توزيع مكتبة الإمام الكوثري ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

المالكي:

عبد الرحمن بن القاسم (ت ١٩١هـ/ ٨٠٦م) المدونة الكبرى، مطبعة السعادة - مصر.

المامقاني:

محمد بن حسن بن عبد الله النجفي (ت ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) تنقيح المقال في أقوال الرجال - النجف ١٣٥٢هـ.

المباركفوري:
محمد بن عبد الرحمن (ت ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) تحفة الاحوذي، دار الكتب العلمية – بيروت.

متز:
آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي أبو ريدة – القاهرة.

المجلسي:
محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١هـ/ ١٧٠٠م)، بحار الأنوار، الطبعة الثانية المصححة، مؤسسة الوفاء – بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

مجموعة من الباحثين:
الموسوعة الفقهية، الطبعة الأولى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

مجموعة من العلماء:
رسالة إيضاح المفروض في زكاة العروض، دار الإفتاء – الرياض.

مجموعة من المستشرقين:
دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، مطابع الشعب – القاهرة.

مجهول:
نبذة من كتاب التاريخ، موسكو ١٩٦٠م.

المحبي:
محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، نفحة الريحانة، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، طبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة ١٩٦٩م.

المحمصاني:
صبحي، المجتهدون في القضاء، ط ١، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٠م.
المحنة، مطبعة الخانجي.

المدرس:
عبد الكريم محمد، صفوة اللآلي من مستصفى الغزالي، ط ١، مطبعة العاني – بغداد ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

المديني:
علي بن عبد الله بن جعفر (ت ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م) العلل، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

المرتضى:

الزين أحمد، مناهج المحدثين في تقوية الأحاديث الحسنة والضعيفة، ط ١، مكتبة الرشد - الرياض ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

مرجليوث:

دراسات عن المؤرخين العرب، ترجمة حسين نصار، ط بيروت.

المزي:

يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) تهذيب الكمال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

المسعودي:

أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م) التنبيه والإشراف، دار التراث - بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، ط ١، دار القلم - بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م.

مصطفى:

شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ط ٢، دار العلم للملايين ١٩٧٩م.

مصطفى:

محمد مصطفى، الجوهر النفيس في أشعار الإمام محمد بن إدريس، مطبعة النيل - مصر ١٩٠٣م.

معروف:

بشار عواد، الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام، مطبعة البابي الحلبي - القاهرة ١٩٧٦م.

معروف:

ناجي معروف، المدخل في تاريخ الحضارة العربية، ط ١، مطابع العاني - بغداد ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠.

المقدسي:

محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت ٣٩٠هـ/ ١٠٠١م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق ١٩٨٠م.

المقدسي:

محمد بن طاهر بن علي (ت ٥٠٧هـ/ ١٠١٣م) شروط الأئمة الستة، مكتبة الشرق الجديد - بغداد.

المقدسي:
مطهر بن طاهر (ت ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م) البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة.
المقريزي:
تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط دار الفكر العربي ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.
إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى، ط١، نشر: بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار (الخطط)، ط القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٦هـ.
المكي:
تقي الدين محمد بن محمد (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م) لحظ الالحاظ، دار إحياء التراث العربي - بيروت (مطبوع مع تذكرة الحفاظ).
المناوي:
حمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م) فيض القدير، ط ١، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٥٦هـ.
المنجد:
صلاح الدين، شعر يزيد بن معاوية، ط ١، دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٨٢م.
المنذري:
زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) الترغيب والترهيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٣، دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
موافي:
عثمان موافي، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوربي، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية ١٩٨٤م.
موريسون:
أ. كريسي موريسون، العلم يدعو للإيمان، ترجمة: محمود صالح الفلكي، ط ٥، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٥م.
الموسوي:
محمد باقر، روضات الجنات في أحوال العلماء السادات، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، المطبعة الحيدرية - طهران ١٩٥٠م.

الموسوي:

موسى الموسوي، الشيعة والتصحيح، ط ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

الموصلي:

محمد، مختصر الصواعق المرسلة، مكتبة الرياض الحديثة.

الميداني:

أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٥١٨هـ/ ١١٢٤م)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار الجيل - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ميلي:

الدو ميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة: عبد الحليم النجار وآخرون، ط ١، دار القلم ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

ناجي:

س. ناجي: المفسدون في الأرض، ط ٢، العربي للإعلان والنشر - دمشق ١٩٧٣م.

النباهي:

عبد الله بن حسن، ولد ٧١٣هـ، تاريخ قضاة الأندلس، المكتب التجاري - بيروت.

النجاشي:

أحمد بن علي (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) الرجال، ط بومباي ١٣١٧هـ.

الندوي:

أبو الحسن علي بن الحسن، ردة ولا أبا بكر لها، إدارات البحوث العلمية والإفتاء - السعودية.

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ط ٦، دار الكتاب العربي - بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

النسائي:

أحمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣هـ/ ٩١٥م) سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

كتاب الضعفاء والمتروكين، تحقيق: بوران الضناوي وكمال الحوت، الطبعة الثانية، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

كتاب الوفاة، تحقيق محمد زغلول، نشر مكتبة التراث الإسلامي-القاهرة .

النشار:

سامي علي، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلامي، ط القاهرة ١٩٥٤م.

نصر:
الصديق بشير، ضوابط الرواية عند المحدثين، ط ١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس الغرب ١٩٩٢م.

النصولي:
أنيس زكريا، الدولة الأموية في الشام، ط ١، دار السلام - بغداد ١٩٢٧م.

النقشبندي:
أسامة ناصر وظمياء محمد عباس، مخطوطات التاريخ والتراجم والسير، دار الحرية - بغداد.

النواجي:
شمس الدين محمد بن حسن بن علي (ت ٨٥٩هـ / ١٤٥٥م) حلبة الكميت - القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م.

النوبختي:
أبو محمد الحسن بن موسى (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) فرق الشيعة، تعليق: محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية - نجف.

النووي:
أبو زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) الأذكار، المكتبة الثقافية - بيروت، ١٩٨٣م.

هارون:
عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مطبعة المدني - القاهرة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
تقريب النواوي، تعليق: صلاح بن محمد، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م (مطبوع مع تدريب الراوي).
تهذيب الأسماء واللغات، ط مصر.
رياض الصالحين، تحقيق شعيب الارنؤوط، ط ٧، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
شرح الأربعين النووية، مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٣٧٥هـ ١٩٥٥ م.
المجموع شرح المهذب، ط دار الفكر.

هرنشو:
علم التاريخ، ترجمة: عبد الحميد العبادي، ط ٢، دار الحداثة - بيروت ١٩٨٢م.

الهروي:
محمد بن محمد الحنفي (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) جواهر الأصول في علم حديث الرسول، تحقيق: أبو المعالي اطهر المباركفوري، ط بومباي - الهند ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

الهمذاني:

رشيد الدين فضل الدين الهمذاني (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) جامع التواريخ، وزارة الثقافة - مصر ١٩٦٠م.

الهندي:

علاء الدين، علي المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٨م) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تصحيح وتعليق بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

الهندي:

محمد أنور شاه (ت ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م) التصريح بما تواتر في نزول المسيح، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

هورس:

جوزف هورس، قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، ط ١، عويدات - بيروت ١٩٧٤م.

هورفتس:

يوسف هورفتس، المغازي الأولى ومؤلفوها، ترجمة حسين نصار، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م.

الهيتمي:

الأعلام بقواطع الإسلام، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

الهيثمي:

نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠١م) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط ٢، دار الكتاب - بيروت ١٩٦٧م.

موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية-بيروت

الهيتمي:

أحمد بن محمد بن علي بن حجر (ت ٩٠٩هـ/ ١٥٠٤م) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية -بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م

الواحدي:

علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م) أسباب النزول، ط القاهرة.

الوردي:
علي الوردي، لمحات من تاريخ العراق الحديث، مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٦٩م.
وكيع:
محمد بن خلف (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م)، أخبار القضاة، طبع الاستقامة ١٣٦٩هـ.
ونسنك:
أ. ي ونسنك وي. ب منسنج، المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي، مطبعة بريل - ليدن ١٩٦٩م.
الونشريسي:
أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب، دار المغرب الإسلامي - بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
اليافعي:
عبد الله بن اسعد (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الاعلمي - بيروت ١٩٧٠م.
اليحصبي:
عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط ١، مطبعة السنة النبوية - القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.
ترتيب المدارك: تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مطبعة خليل - الاستانة ١٢٩٠هـ.
اليحيى:
يحيى بن إبراهيم بن علي، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ط ١، دار العاصمة - الرياض ١٤١٠هـ.
اليعقوبي:
أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) تاريخ اليعقوبي، دار الفكر - بيروت ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م.
اليماني:
عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٥م) التنكيل بما في تانيب الكوثري من الأباطيل، تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني، طبع على نفقة محمد نصيف وشركاءه ١٣٨٦هـ.

المراجع الأجنبية:

Aly Mazaheri: Lavie quo tidienne des musulmans au Moyen Age. Xeau XIlle siecle. Paris, 1951, P. 149

Anderson. J. N. (The World Religions), London, 1950, The Arti Cleon Islam, PP. 7-54- 58

Fuad Sezzingin Buharinin Kaynaklari,p. 20.

G. M. GuyNBoll: The A Uthenticity Of The Tradition, Literaturedicus Sion In Modern Egypt Leiden, Brill 1969 P. 100

lewis b., the origins of ismailism p. 15

Lichtentader 1., "Arabic and Islamic Historiography "the moslem world 1954, p. 130.

Robson, the isnad in muslim traiution,glasgow univ, or, soc,trans (1953 - 54), p. 15-26,

Schacht,the origins of muhammadan juris prud ence,p. 36 - 37

Shacht, the origins of muhammedan jurispru dnce p. 37, robson the isnad in muslim tradition

W. Montgomery Watt. Muhammad at Mecca, Oxford, 1953, p. 44

w. montgomery wait. Shlism, j. r. a. s. 1960 p158- 172

Historie Generale Des Religions Islam P. 365- 366

الرسائل الجامعية

ابن أبي عذيبة: تاريخ دول الأعيان في أخبار من سلف من أهل الزمان (العصر العباسي الأول)، دراسة وتحقيق إبراهيم أمين الجاف، رسالة ماجستير، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا - بغداد ١٩٩٦م.

البوصيري: شهاب الدين، أحمد بن أبي بكر (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م) اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز، رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.

الدليمي: أحمد صالح، البخاري مؤرّخا، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٩٨م.

زكريا: أبو الفرج المعافى بن زكريا (ت ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م)، كتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، تحقيق: محمد مصطفى ارسلان، رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

عليش: محمد سيف الدين، مسند عبد الله بن عمرو وصحيفته الصادقة، رسالة ماجستير - جامعة دمشق.

العمري: أكرم ضياء، خليفة بن خياط وكتابه الطبقات، رسالة ماجستير، كلية الآداب - جامعة بغداد ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

المجلات والدوريات

البيان الصادر عن اتحاد المؤرخين العرب، بغداد، جماد الأخر ١٤١٧هـ/ شباط ١٩٩٧م.

الجندي: أنور، السنة النبوية في مواجهة شبهات الاستشراق، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد الرابع والعشرون ١٩٨٤م.

حنبلي: فيصل، أهمية علم التاريخ، مجلة البحث الإسلامي، العدد الخامس، مجلد ١٣.

الخطيب: محب الدين، المراجع الأولى في تاريخنا، مجلة الأزهر، مجلد ٢٤، صفر ١٣٧٢هـ.

الصدر: حسن، تأسيس علوم الشيعة، مجلة المنار، العدد العاشر.

العش: يوسف، نشأة تدوين العلم في الإسلام، مجلة الثقافة المصرية، العدد ٣٥١، السنة السابعة.

علي: جواد، موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الأول، ج ١، ١٣٩٦هـ / ١٩٥٠م.

العلي: صالح أحمد، مصادر دراسة تاريخ الكوفة، مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد الرابع والعشرون ١٣٩٤هـ.

غرايبة: محمد الرحيل، جهود صلاح الدين في إحياء المذهب السني في مصر والشام، مجلة الحكمة، ليدز، العدد الثاني عشر، صفر ١٤١٨هـ.

كامل: عبد العزيز، سيرة النبي، مجلة العربي الكويتي، العدد ٢٣٢، ربيع الأول ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

الياسري: عبد الجبار ناجي، التنظيم العسكري لجيش صاحب الزنج، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد السابع ١٩٧٨م.